نفحة الريحانة

ورشحة طلاء الحانة

لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي

١٠٦١ - ١١١١ هـ

تحقيق

عبد الفتاح محمد الحلو

الجزء الثالث

طبع بدار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

الطبعة الأولى

([illegible]٦٨م – ١٣٨٨ هـ)

الباب الثالث

في نوابغ بلغاء الروم


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وهذا الباب فيه الغرض المَرُوم ؛ فإن دارَ خلافتها وإن تبايَن فيها اللسان ، ففى أهلها حِذْق لا يَمِيقه مَزِيَّة وُجدت فى نوع الإنسان .

فسبحان مَن جعل جبالَها السبعَ بمنزلة الأفلاك ، مطالعَ الأضوا ومغاربَ الأحْلاك ، ومغرِّد طيور جُملة[1] الأملاك ، وسببَ انتظام هذه الأسلاك.

فسما بها الفرعُ الباسِق ، والأصلُ الثابت ، وطاب لَعَمْرى فيها المنبتُ والنابت .

كيف وهى حاضرة الدنيا ، وواحدة المُفردَة والثُّنْيا[2] .

وتَجْمَع أهل الفضل تنظِمُهم فى سِلك ، وتُنزِّههم فيما أنالَها اللهُ من مَلِك ومُلك .

وقد أمِنت بحمد الله من الصائل ، وحُمِدت فيها البُكَر والأصائل .

ولها الحُظْوة التامة ، والمحاسن الخاصة إلى الخيرات العامة .

مع اللطافة المُشرَبة بالغَضارة ، والطلاقة المُمكِنة من مفاصل النَّضارة .

فهى قِيمة الظل الأبْرد ، وكِناس الغِيد الخُرَّد .

ومَهْوَى هوى الغيث الهاتن ، ومأوَى اللفظ الساحر واللَّحْظ الفاتن .

وبها المبانى الشُّمُّ الأُنوف ، والقصور الجَمَّة الحُلَى والشُّنوف .

رياضها وريقه[3] أرِيضة ، وأهْوِيتها صحيحة مريضة .

ومرابعها مراتعُ النواظر ، ومطالع المسَرَّات النَّواضر .

تصْبو النَّسمات إلى مسارحها الرِّحاب ، وتبكى شوقاً إليها جفونُ السحاب .

ولَعهدى بها إذا أخذَت بدائعَ زخارفها ، ونشَرت طرائفَ مَطارِفها .

---

(١) فى ا : «حملة» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) كذا فى الأصول ، وهو يعنى المثنى ، وفى القاموس : «الثنيا ــ بالضم ــ من الجزور ، الرأس والقوائم وكل ما استثنيته» . (٣) فى ب : «أريفة» ، والمثبت فى : ا ، ج .

وقد ساقت إليها أرواحُ الجنائب ، زِقاق خمرِ السحائب .

فسقَت مُروجها مُدامَ الطَّلِّ ، فنشأ على أزْهارها حَبابٌ كاللؤلؤ المُنحلّ .

هنالك رأيتَ كل شِعْب يحدِّث عن شِعْب بوّان [1] ، وكلَّ منظر يتجلَّى [2] عن أشكال من الزّهر وألوان .

بُسِطت فَوقه بُرودُ ربيعٍ ... عندما زاره وفودُ الشمائلْ
خُطَّ فيــه كتابُ توحيد ربِّي ... نَقْطُه النَّورُ والمياهُ الجداولْ
فتلتْـــــه طيورُه دارساتٍ ... وأعادتْه مُفْصِحات العنادِلْ
أغنَتِ السمعَ عن مِراء جدالٍ ... رامياتٍ لنقْل حمْل الدلائلْ

وأنا إذا بسطتُ فيها القول ، وهدَرْت هَدْرَ الشَّوْل [3] .

فغايةُ ما أقول : هى العروس المتبرِّجة ، والروضة المتأرِّجة .

فصان الله جمالَها وجلالَها ، ووقَى من حرِّ الهجير ببَرْد النعيم ظلالَها .

ولا زالت قوافلُ العوائد الإلهية واصلةً إليها ، ودامت دارَ إيمانٍ إلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها .

ومع ما أعطاها الله من تُحَفٍ تَحِفّ بها وكرامة ، فقد اجتنتْ أهلُها أثمارَ [4] الرِّحلة فى ظلِّ الإقامة .

فـكلهم عصابة بارعة ، وآراؤهم إلى الغوامض مسارعة .

---

(١) شعب بوان : بأرض فارس ، بين أرجان والنوبندجان ، وهو أحد متنزهات الدنيا ، وفيـه يقول أبو الطيب قصيدته ، التى بدأها بقوله :

مَغانى الشِّعبِ طِيبًا فى المغانى ... بمنزلةِ الربيعِ من الزمانِ

معجم البلدان ١/٧٥١ ، ديوان أبى الطيب ٥٥٧ .

(٢) فى ا : « يتحلى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) الشائلة من الإبل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها . القاموس (ش و ل) .

(٤) فى ب : « آثار » ، والمثبت فى : ا ، ج .

بأنْفُس كريمة الشمائل والغرائب ، وقرائح تقذِف بحارُها بدُرَر الغرائب .

وحِرْص على لقاء كل ذى علِم ، وتخلُّق بأخلاق كل ذى مُروءة وحِلم .

وقد خرج جماعةٌ من أعْيانهم ، زانُوا الأدب وزيَّنوه بحُسْن بيَانهم .

أشعارُهم بالألسنة الثلاثة حجةُ أهـل اللَّسَن ، وفاضحةُ المُذْهِبات الثلاث المـاء والخضرة [1] والوجه [2] الحسَن .

لو كنت أُوَفِّيهم حقَّهم الراتب ، وأخلُص من تَبْـكيت المُزْدرِى والمعاتب .

لجعلتُ الطِّرس من صحيفة الخد ، والقلمَ من ألِف القَد .

ثم كتبتُ وصفَهم بالتِّبْر ، فضلا عن الحبر .

ووهبت للناسخ ، نفسَ وُدِّى الراسخ .

وقلت فليـكن الناقل ، ممن لا يقْذِف صفحتَه إلَّا إلى الصاقل .

وقد ابتدأتُ الباب باثنين منهم ، روَيْت حديثَ الثنا فى محلِّهم عنهم .

وعقَّبتَهم باثنين آخرَيْن ، رأيتهما بدمشق وقد بزَغا كالقمرين .

ثم أذكر بعدهم من له شعرٌ عربىٌّ اطَّلعتُ عليه ، ثم من له شعر تركىٌّ انتخبتُ من شعره مُفْرَدات عرَّبتُها ونسبتُها إليه :

☆☆☆

(١) فى ا : «والخضراء» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ب : «والشكل» ، والمثبت فى : ا ، ج .

١٤٠

شيخ محمد بن لطف الله بن زكريا بن بيرام *

أستاذى ومَلاذى ، وعَتادى وعِياذى .

عين المعالى وإنسانُها ، وقلبُ المعارف ولسانها .

صحيفةُ مجده لم يَجِد نقْطَ شكلها حسود، وأقلام مَدحِه ليس همّها إلا ركوع وسجود .

أنديتُه مَصَبُّ مُزْن الفضل ، فهى ذَاتُ سَقِيط ونَدًى مُخْضَلّ .

تبذُل الأعمارُ فى لقائه نقدَها ، وتنتطِق [1] الجوزاء فى خدمته عِقْدَها .

ومن حق هيْبَته عند ذوى الآداب، أن يعْقِدوا إذا لحوه [2] الحواجبَ بالأهداب .

أراد البحر أن يحاكىَ نَداه ، فقصَّر عنه ولم يدرك أدْنى مَداه .

فهو لذلك فى اضطراب وأمواجُه فى الْتِطام ، وطفلُ النّبْت يغتذِى بندى كفِّه فلا يخشى عليه منها إلا الفِطام .

(*) محمد بن لطف الله بن زكريا بن بيرام ، الشهير بشيخ محمد العربى ، شيخ المؤلف .

ولد سنة تسع وثلاثين وألف ، بغلبه ، وكان والده على قضائها .

وتوفى والده وهو ابن سبع سنين ، فكفله عمه يحيى .

ثم شرع فى الاشتغال ، فقرأ على جماعة منهم : حامد بن مصطفى الأقسرائى ، والمولى محمد الكردى ، الشهير بمنلا چلبى ، والمولى حسن الطويل ، وتخرج فى الأدب بعمه يحيى .

ولما مات عمه استقر فى داره وورثه ، واشتغل بالتدريس .

وولى قضاء الشام ، سنة أربع وستين وألف ، ثم نقل منها إلى مصر ، وتولى أيضا قضاء بروسه وأدرنه ، وارتقى به الحال إلى أن صار قاضى العسكر ، وعزل ، وولى آخر أمره قضاء روم ايلى وأقبل عليه السلطان محمد إقبالا زائدا ، ثم عزل .

توفى سنة اثنتين وتسعين وألف ، ودفن بمدرسة جده شيخ الإسلام زكريا ، مما يلى عمه شيخ الإسلام يحيى .

خلاصة الأثر ٤/١٣١ ـ ١٤٢ .

(١) فى ا ، ج : « وتنطق » ، والمثبت فى : ب .

(٢) فى ا : « نحوه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فلو استجارت أوراقُ الخريف ، بظِّل حمى نداه الوريف .

لما سُلبت بُرْداً زَهَى للعيون وراق ، وظلَّت شاكرةً فضلَ الربيع بلسان الأوراق.

إليه انتهتِ الرَّغائب ، وحَضر نداه الخِضر وهو غائب .

وهو الذى دخلتُ الروم لأجْله ، وحصلتُ من لِقاه على أعْظم الأمل وأجَلِّه .

وهو إذ ذاك عن رتبة البدرِ مُتقاعِد ، ومع الشمس فى الظهور رابعةَ النهار مُتواعِد.

فشاهدتُ ملَكا فى صورة[1] إنسان ، يملأ العينَ بالحُسْن والكَفَّ بالإحسان .

وله السعادة مهيَّأة ، وبه الدنيا وأهاليها[2] مُهنَّأة .

فوردتُ بحراً من جوده نَميرا ، وارتقيتُ حيث أعُدُّ النجمَ سميرا .

وكم مجلسٍ بين يديه ، قرأتُ فيه سُورةَ الأدب لديه .

تُنطقنى فضائلُه بما أنظِم فيه من الغُرَر ، فأغدو كمن قلَّد البحرَ من فرائده بعقُود الدُّرَر .

ثم أفيض عنه فَيْض النهر ، وأنصرف انصراف الصَّبا عن الزَّهْر .

وقد آليتُ لا توقَّعتُ خيراً سوى خيرِه ، ولا أملتُ الرغبةَ عن شَقِّ القلم لِمدْحة غيره .

وصَفْوى مَحْمِىٌّ به عن الشوائب ، وجسدى محرَّم على أنياب النوائب .

وكانت لى وراء رأيه مواعيد ، كنت منها على نَيْلٍ قريب غير بعيد .

فعاق عنه موتُه الذى بدَّل السرورَ بالترَح ، وترك الحزن شامتًا بالفرح .

فدُفِن به كنزٌ كان فى الزمان لَقِيَّة[3] ، وتم به[4] السرورُ لكل حى وكانت عندنا منه بقيِّة .

فنعتْه الِهمَم ، وماتت بموتِه أُمَم .

---

(١) فى ب : « زى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « وأهليها » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) لعله يعنى الاستعمال المحدث للكلمة ، وهو مايجده المرء على غير انتظار أو ترقب .

(٤) فى ا : « كل » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وما فُجِعت به الدنيا ولكن غدتْ بفِراقه الدنيا يتيمهْ

فعلى قبره من الرحمة الحافّة ، عددُ أنفاس الخلائق كافّة .

***

وقد أوردت له من آثاره التى جلّت ، وأسْفرت عن شمس البلاغة حين تجلّت . ماهو فى مُقْلة الأدب حَوَر ، وفى قلب الحسود خَوَر .

فمن ذلك قوله :

يرمِى فيُوقع فتنـــةَ النَّظَرِ وتراه يسألنى عن الخبرِ
نَزّهْ خيالُ الفكر يُغضِبـــه فيكاد يمنعنى من الفِكَرِ (١)
ماشاهدتْ عيْناىَ طلعتَـــه إلا وأغْنـــاها عن القمرِ
يُرْجَى من الفِتَن الخلاصُ إذا سلمتْ لواحظُـه من الحَوَرِ

***

وقوله :

أترى الزمانَ يُعيـــد لى أُنْسِى ويردُّ بدرِى حاملاً شمسِى
فإذا تـكرَّم رحتُ أشكرُه وتركتُ يومى عاتباً أمسِى

***

وقوله :

صافيْتُـكم من عهـدِ أن كنتمْ فما هـــذا الجفَا
وبيْننـــا مودةٌ تعــــلِّمُ الآسَ الوفَا

***

(٣) فى ب : « عن الفكر » ، والمثبت فى : ا ، ج

وقوله [١] :

يسْبِي العقولَ بلَحْظه فكأنما سُقِيتْ سيوفُ لِحاظِه بسُلافِ [٢]
سَيْفِيَّةٌ صاد القلوبَ بنَظْرةٍ من بين مثل قوادم الخُطَّافِ [٣]

السيفى : طائر من الجوارح يشبه الصقر .

* * *

ومن رباعياته قوله [٤] :

ناديتُ أحبَّتِي لأجل السَّلْوَى والدهرُ رسومَ رَبْعِهم قد سَوَّى
بالنَّوْحة جُدْتُ فى المغانى حتى قد ساعدنى على بكائِي رَضْوَى [٥]

* * *

ولى فيه مدائح كثيرة ، من جملتها قصيدة قلتها فى ابتداء وُرودى عليه .

ومستهلها [٦] :

دَنا الرَّكْب من حَىٍّ تقادَمَ عهدُه وهَيَّج فيه القلبَ وجداً يُجِدُّه [٧]
دعتْه إلى الشكوى معالمُ أُنْسِه ولكن أسرارَ الغرام تصُدُّه
بنفسِيَ مِن آرامِه كلّ شادِنٍ تملَّكَ منى حَبَّةَ القلبِ وُدُّه [٨]
من الغِيد يرْنُو عن حُسامِ لَواحظٍ يقُدُّ قلوبَ الدَّارِعين فِرِنْدُه [٩]

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/١٣٥ ، ولوالد المؤلف معارضة لها فى الخلاصة أيضا .

(٢) فى الخلاصة : «سيوف جفونه بسلاف» . (٣) فى خلاصة الأثر : «من بين نقل قوادم الخطاف»

الخطاف ، بالضم : طائر أسود . القاموس (خ ط ف) .

والخطاف ، بالفتح : طائر طويل الجناحين قصير الرجلين أسود اللون ، يسمى فى بر الشام بالخطف ـ بضم الخاء والطاء المشددة ـ المنجد ١٨٣ . (٤) الرباعية فى خلاصة الأثر ٤/١٣٤ ، ولوالد المؤلف معارضة للرباعية ، فى الخلاصة أيضا . (٥) رضوى : جبل بالمدينة . معجم البلدان ٢/٧٩٠ .

ويشبه به الثقيل الرزين .

(٦) القصدة فى خلاصة الأثر ٤/١٣٥ ، ١٣٦ . (٧) فى ب : «وجدا يجيده» ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٨) فى خلاصة الأثر : «بنفسى من جرعائه» .

(٩) فى خلاصة الأثر :

* من الصَّيدِ يرْنو لحظه عن مُهنَّدٍ *

أُرُدُّ عيونى عنه خِيفَــةَ كاشحٍ وهل يمنع الصَّادِى عن الماء وِرْدُهُ (١)

سقانى وقــد حيَّ مُداماً تروّقتْ إذا لم تكُن من كَرْمِهِ فهىَ خَدُّهُ (٢)

سُلافاً تُعير الصبحَ فى كَشْفِهِ لنــا قِناعَ الدجى منهـا سَنًا يستمدُّهُ (٣)

***

من مديحها :

يرِفُّ به غصنٌ من الحمدِ يانِعٌ ويعبَق من نَشر الثَّنا فيــه نَدُّهُ (٤)

ولا تعثُر اللَّحظاتُ فى باب مجــدِهِ بغير مَنالٍ يقْدَح العزَّ زَنْدُهُ (٥)

أدرَّ على الأيام سَيْباً ففجَّرتْ ينابيعَ حتى الصخرُ أعْشَب صَلْدُهُ (٦)

***

ومنها هـذه القصيدة ، قلتهـا وقد ألبَسنى فروةً من فِراه ، وهى بعض مانالنى من قِراه (٧) :

شأنُ المُوَلَّه أن يعيش مُتيَّماً والحبُّ مامنــع القَرارَ المُغرَمَا

هو ماعلمتَ غرامُ صَبٍّ دمعُـــه مازال يُظهِر سِرَّه المتكتِّمَا

لو شاء مَن أضنــاه فَرْطُ هجيرِه ردَّ الحيـــاةَ لجسْمِه متكرِّمَا

وإذا الصبابةُ خامَرتْ قلبَ امرئٍ وجـــد الشِّفاء من الحبيب تنعُّمَا

---

(١) فى خلاصة الأثر : « عن الماء رده » . (٢) فى ج : « من كرمة » ، والمثبت فى : ب ، ج

ورواية البيت فى خلاصة الأثر :

سَقانى مُداماً رَقَّ فى اللُّطْفِ جِرْمُهَا فَشَفَّ بها عن أحمرِ الوَرْدِ خَدُّهُ

(٣) فى ب : « بغير الصبح » ، وفى ج : « نعير الصبح » ، وفى خلاصة الأثر : « يصير الصبح » ، والمثبت فى : ا . (٤) فى خلاصة الأثر : « يروق به . . . فيه رنده » .

(٥) فى خلاصة الأثر :

* فلا تعثُر اللَّحظاتُ دونَ مقامِهِ *

(٦) فى خلاصة الأثر : « سيباتفجرت » . (٧) القصيدة فى خلاصة الأثر ٤/١٣٨ — ١٤٠ ، وذكر المؤلف هناك أنه ألبسه من حلله جوخة بنفسجية اللون ركب فيها فروة ، فقال هذه القصيدة .

وَلَرُبَّ مُغْبَرِّ الأديمِ قطعتُــــه ... من فوق مُبْيَضِّ القوائمِ أدْهَمَا

لا تستطيع الشمسُ ترسم ظـــلَّه ... مهما مشَى سبَق القضاء المُبرَمَا (١)

والليــــلُ بحر قد تدافَع مَوْجُه ... وترى الكواكبَ فيه تسْرِي عُوَّمَا

وكأن وجهَ الأُفْقِ تُنَقَـــدُ فضةً ... والبدرَ تحسبه عليـــه دِرْهَمَا (٢)

وكأنمــــا المَرِّيخُ شعلة قابسٍ ... أو رأسُ نَصْلٍ خضَّبتْه يدٌ دَمَا (٣)

أسْرِي وشخصُك لا يزال مُسامرِي ... وأرى التصبُّر عنك مُرًّا علْقَمَا

يا آفةَ الأرواح ما ألْهاك عن ... دَنِفٍ لذكْرِ هواك يهوَى اللُّوَّمَا

***

من مديحها :

مولًى إذا ظَلَم الزمانُ فما يُرَى ... إلّا إلى عزَماته مُتظلِّمَا (٤)

جارَى الملوكَ إلى مقاماتِ العُــلَى ... فتأخَّرُوا عنـــه وكان مُقدَّمَا

لو مَدَّ راحتَـــه لثغرٍ مُقَبِّلٍ ... أنِف الثُّريَّا أن تكون له فَمَا

أو تنطق الدنيا بِمِدحةِ ماجدٍ ... نطَق الزمانُ بمدْحِه وتكلَّمَا (٥)

دعَواتُه تجلو الكروبَ وعَزْمُه ... لو يلْتقيـــه الموتُ مات توهُّمَا

ولو اسْتجار به النهارُ من الدجى ... لم تبصرِ الأحـــداقُ شيًّا مظلِمَا

***

منها :

ألْبَسْتنى نِعمًا رأيتُ بهـــا الدجى ... صبحًا وكنتُ أرى صباحِي مظلِمَا

---

(١) في خلاصة الأثر : « توسم ظله * فإذامشى . . . » . (٢) في ا : « تنقضى فضة » ، وفي خلاصة الأثر : « منقد فضة » ، والمثبت في : ب ، ج . (٣) في الأصول : « وكأنها المريخ » ، والمثبت في : خلاصة الأثر .

(٤) في خلاصة الأثر : « فاترى » . (٥) في ا : « لمدحة ماجد » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة ، وفي الأصول : « لمدحه وتكلما » ، والمثبت في الخلاصة .

ما عُذْرُ من شرَّفته بفضيلةٍ ... أن لا ينالَ بها السُّها والمِرْزَما [1]

وإليكها زهراءَ ذاتَ بلاغةٍ ... لو رامها قُسٌّ لأصبح أبْكَمَا

من كل بيتٍ لو تجسّم لفظُه ... لرأيتَه وَشْياً عليك مُنَمْنَما

واسلَمْ لنَشْر فضيلةٍ معلومةٍ ... لولاك طال على المَلا أن تُعلما

إن العُلَى بدأتْ بذكرِك مثلما ... آلتْ بغيرِك فى الورى لن تُختَما

***

ومنها هذه الرائية ، مدحته بها فى أول فصل الربيع ، وأولها [2] :

باكِرِ الحانةَ والكأسُ تُدارُ ... فشبابُ العمرِ ثوبٌ مستعارُ

هذه الأرضُ اكْتَستْ أزهارَها ... ماعلى من يغْتَنِم اللذاتِ عارُ

وكأنَّ الروضَ وَشْيٌ فاخِرٌ ... نَقْشُه آسٌ وورْدٌ وبَهارُ

إن سرتْ فيه نُسيماتُ الصَّبا ... فضَح العنبرَ رَنْدٌ وعَرارُ [3]

وكأنَّ المُزْنَ تِبْرٌ كنزُه ... دُرَّةٌ بيضاءُ والماءُ نُضارُ

فتَقتْ كفُّ الغوادِى جَيْبَها ... فالذى منها على الروضِ نِثارُ [4]

يارَفِيقَىَّ دعانِى والهوى ... إنما الصَّبْوةُ للصَّبِّ شِعارُ

كنتُ أُخفِى محنةً فى خَلَدى ... لو يكنْ للقلب فى العشقِ اختيارُ

من بيتٍ وَلْهانَ فى حبِّ الظِّبا ... خانَه القلبُ وعزَّ الاصْطبارُ

يعذُب الهجرُ لمن يعرفُه ... وبمَطْل الغِيد يحلُو الانتظارُ [5]

إنما نَشْوانُ أحْداقِ المَها ... صَحْوُه من سَكْرةِ العشق خُمارُ

(١) المرزم : أحد المرزمين ، وهما نجمان من الشعريين . القاموس (رزم) . (٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٤/١٤٠ — ١٤٢ . (٣) فى خلاصة الأثر : « إن سرت فى سرحه ريح الصبا » .

(٤) فى خلاصة الأثر : « على الدوح نثار » (٥) فى ا : « يعذب الهجران لمن يعرفه » ، وفى ب : « يعذب البحر » ، والمثبت فى ج ، وخلاصة الأثر .

يا سقى موطنَ لَهْوِى بالحمى ... أدْمُعِى إن شحّتِ السحبُ الغِزارُ (١)

كم ليالٍ فيه قد قضّيتُها ... ومن الأيامِ حلوٌ ومِرارُ

فانقضتْ أسرعَ من سهم القضا ... يا ابنَ وُدّى ليس للعيشِ قرارُ

وحبيبٍ بات زَندِى طوقَه ... والمُنى ثالثُنا والأنسُ جارُ (٢)

قد نأى لكنْ عن العينِ وكم ... نازحِ الدار له القلبُ ديارُ

أىُّ نفعٍ فى اقتراب الجسمِ إن ... بَعُد القلبُ وما يُغنِى الجِوارُ

هكذا تفعل أحكامُ الهوى ... فى بَنِى العشقِ وللدهرِ الخيارُ

ينقضى العمرُ ومالى مُسْعِفٌ ... ومن الضَّيْمِ مُصِيخٌ لا يُجارُ (٣)

هذه حالى وإن طال المدى ... واعتبارُ الحالِ للمرء اختبارُ

غيرَ أن الحرصَ غلّابُ النُّهَى ... والمُنى منها اختيارٌ واضطرارُ

لا أذُمُّ الدهرَ حاشَى وله ... أنْعُمُ المولَى عن الذنبِ اعتذارُ

كعبةِ الآمالِ والركنِ الذى ... للمنى فيه استلامٌ واعتمارُ

قد جلا خَطْبَ الليالى عَزْمُه ... مثلما يجلو دُجَى الليلِ النهارُ

لو يكُنْ للبحر أدْنَى بِرّه ... لم يَلُحْ للعينِ بَرٌّ وقِفارُ

وحِماهُ مُلتقَى عِيسِ المُنى ... لا سِواه للنَّدى مأوًى وجارُ (٤)

روضُ فضلٍ نجتَنى إحسانَه ... وكذا تُجْنَى من الروضِ الثِّمارُ

أيها الأستاذُ والمولى الذى ... غرِقتْ فى سَيْبِ كفَّيْه البحارُ (٥)

لك أُنْهِى نُوَبًا من بعضِها ... يذْهَل اللبُّ وذو العقلِ يَحارُ

---

(١) فى الخلاصة : « إن سحت السحب الغزار » . (٢) فى خلاصة الأثر : « والحظ جار » والرفع فى « والمنى ثالثنا والأنس جار » ، على الحالية . (٣) فى الخلاصة : « ومن الدهر مصبح لايجار » . (٤) فى خلاصة الأثر : « عيش المنى . . . مأوى ودار » . (٥) فى خلاصة الأثر : « غرقت من فيض كفيه البحار » .

حَـــلَّ بى الشيْبُ فأفنَى رَوْنقِى ... وكذاكَ البــدرُ يمْحوه السِّرارُ(١)

فأغِثْنى من كروبٍ فى الحشـــا ... حُرَقٌ منهـــا وفى الطَّرْف انكسارُ

وتمتَّـــع بقوافٍ كَرُبَى ... ضاحَكَ النَّوْرَ عليهـــا الجُلَّنارُ(٢)

بِدَعٌ قد أُشْرِبتْ ألفاظُهـــا ... رِيقَـــةَ المبْسَم والخمرَ العُقارُ(٣)

كخُدودِ الغِيـــد تحْمرُّ حيًا ... وإذا شئْتَ كما اخْضَرَّ العِـــذارُ

أنا حسَّان القوافى فإذا ... فُهتُ طاب الشعرُ وارْتاح الفَخارُ

وإذا غنَّتْك أطْيـــارُ الثنـــا ... فأنا من بينهـــا وحدِى الهَزارُ

ليس لى مالٌ ولـكن كَلِمِى ... عَسْجَدٌ تِبْرٌ وإلّا فنُضَـــارُ(٤)

لم أقُلْ طالتْ وإطْنـــابُ الورَى ... فى مَعاليك مدَى الدهرِ اختصارُ

فابْقَ أعْلَى النـــاسِ جاهًا ونَدًى ... وإلى مجْـــدِك بالعِزِّ يُشارُ(٥)

لك أهْنَى عِيشةٍ تخْتـــارُها ... ولأعْداك البـــلايَا والدَّمارُ

***

وقد اكْتفيتُ بما أثبتُّه عن الباقى ، ورددت بعد هذه الخمْريّة القدحَ إلى السّاقِى .

❁

---

(١) فى خلاصة الأثر : « يعلوه السرار » .
والسرار : آخر ليلة من الشهر .

(٢) فى خلاصة الأثر : « ضاحك الروض بها الجلنار » .

(٣) لعل فى هـذا البيت إقواء ، فحق « العقار » النصب .

(٤) فى خلاصة الأثر :

* عَسْجَدٌ ينحلُّ دُرًّا ونُضَارُ *

(٥) فى ب : « جاها ومدى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

١٤١

عبد الباقى بن محمد الشهير بعارف

بحرٌ وأنواع [١] المعارف ماؤُه ، وبدر وأَوْج السعادة سماؤُه .

لم يُرَ نظيرُه فى المحاسِن النَّواضِر [٢] ، لأن محاسنَه ملأَت القلوب والنواظِر .

له السَّبْق الأشْهر ، ونُطْقُه الياقوت والجوهر .

استولى على العلوم ، وألْحَق المجهولَ منها بالمعلوم .

وأما الأدب وفنونُه ، فهو الذى تُشير إليه عيونُه .

فالنَّسَب ، إلى حفظه انْتسب .

والأيام والدُّوَل ، عنده منها خبرُ الأواخر والأُوَل .

وأما الأخبـار فهو يُنسِى التاريخ ومَنْ ورَّخ ، وله استقصاءٌ بعلم به الذى باض وفرَّخ .

وقد وفَّر الله له غايةَ الحظِّ فى محاسن الخطّ ، فخطُّه نتيجةُ ماأودع البارى من مُقدِّمتِي البَرْى والقَطّ .

كلما دوَّر القلم نوَّر المُقَل ، وحَلَّى المعقول وحَلَّ العُقَل .

وقد اعْتنق الأشعار وألِفَها ، كما اعْتنقتْ لامُ الكتابة ألِفَها .

وجاء منها بفرائد تحسدها سُبَح الدُّرِّ من الثنايا المنظَّمة فى العَقِيق ، وتُغضُّ من حيائها حَدَقُ النَّوْر وتحمرُّ خدود الشَّقِيق .

وكنت وأنا بالرُّوم اجتمعتُ به مرَّات ، وشاهدت طلعـةً [٣] هى موسم أفراح ومَسَرَّات .

---

(١) فى ا : «أنواع» بدون الواو ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : «النواظر» والمثبت فى ب ، ج

(٣) فى ا : « طلعته » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فلما ورد دمشق كانت رُؤْيتى له ثانية ، وفيها تدلّت علىّ ثمرات إقباله مُتدانية .

وشدّيْت للقاهرة فى خدمته الرَّحْل [١] ، وكنتُ معه بهما فى زمنٍ كزمن الفِطَحْل [٢] .

فى أوقاتٍ كلها برؤيته نعيم وطِلاوة ، أتْلو بها أوصافَه على القلم فيسجُد لها سجدةَ تِلاوة .

وأنا أُعلّق من نفائسه كلّ ذخيرة ، ويُنْسِينى الليلةَ [٣] الأولى منه [٣] بالأخيرة .

وتسهر عيْنى فيه والحظُّ نائمٌ كأنّىَ من خوفِ المَكارِه أحرسُهْ

ولقد أشتهى أن أحُلّ كلّ جسم ، ليكون لى من رؤية وجهه كل قِسْم .

وإذا رغِب إلى الله راغبٌ ، فى تسْهيل مالَه من مطالبَ ورغائب .

فإنى أرغبُ فى التوسُّل بطُول عمره ، وارتقاء أمره .

إلى أن يعمل الاسم فى الحرف ، ويمتنع زيد من الصَّرْف .

وحتى يشغلَ الجسمُ حيِّزيْن ، ويحُلّ فى مكانيْنِ .

***

وقد أخذتُ من أشعاره التى جاوز الشِّعْرَى [٤] تَراقِيها ، وكأنما نظْمُ المحاسنِ عُقِد فى تَراقيها .

ما لوضرَبتْ بيوتَها بالحجاز ، لأقرّتْ لها العرب العاربةُ بالإعجاز .

قصائدُ إن تكنْ تُتْلَى على مَلَأٍ صدورُها علمتْ منها قوافيَها

ينْسى لها الراكبُ العَجْلانُ حاجتَه ويصبحُ الحاسدُ الغضْبانُ يرْويها

***

(١) راجع فى رحلة المؤلف إلى القاهرة صفحة ١٣ من مقدمة التحقيق ، وصفحتى ١٧ ، ١٨ من الجزء الأول

(٢) الفطحل : دهر لم يخلق فيه الناس بعد . القاموس (ف ط ح ل) .

(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٤) الشعرى : إحدى الشعريين ، وهما أخت سهيل . القاموس (ش ع ر) .

فمنها قصيدة نبوية، أولها:

متى هتفتْ بالجنحِ وُرْقُ الحمائمِ ... أثارتْ جوًى قلبٍ من الوجدِ هائمِ

سقى اللهُ ساحاتِ المُذَيْبِ وبارقٍ ... بكل هَمُولِ الوَدْقِ أوْطفَ ساجمِ (١)

إذا بارقٌ شِمْناه من نحو بارقٍ ... تأجّج نارٌ في الحشا والحيازمِ (٢)

فها أنا مَطْوِيُّ الضلوعِ على الجوى ... إلى لَثْمِ هاتيك الرُّبى والمعالمِ

ألا أيها الحادي ترفّقْ بمُهْجتي ... وباليَعْمَلات الدّامياتِ المَناسِمِ (٣)

أحِنُّ ادّكاراً نحوَ مُنْعَرَجِ اللِّوى ... وأصْبُو إلى سفحِ النَّقَا فالأناعمِ (٤)

فيَسِّرْ إلهي أنْ أعفِّر جبهتي ... بساحاتِ هاتيكَ الرُّبى والمَعالمِ

ألم يأْنِ يامُعطِي المُنَى أن تحصَّلتْ ... مآربُ أصحابِ النفوسِ الأكارمِ

وهاج غرامِي نحوَ مكّةَ حينما ... تُشَدُّ حِزامُ المُرسَلات الرّواسمِ (٥)

وذلك أزكى مَرْبعٍ صار مَنْشأً ... لفخرِ البرايا خيرِ أولادِ آدمِ

ترى طَيْبةً قد صار مأوى شفيعنا ... حليفِ النَّدى فخرِ الجدودِ الأكارمِ

محمدٍ المبعوثِ بالبرِّ والتقى ... وبَذْلِ نوالٍ واقْتناءِ مكارمِ

طرازِ رُواءِ الفضلِ من نَسْلِ يَعْرُبٍ ... وإنسانِ عين المجد من آل هاشمِ

شفيعِ ذوِي الآثامِ نِيطَتْ بحبِّه ... إزاحةُ آثامٍ وصفحُ جرائمِ

ملائكةُ الرحمنِ أمستْ وأصبحتْ ... تطوف ذُراها كالطيورِ الحوائمِ

وليس يُسامِي النجمُ سُدَّةَ بابِهِ ... فمن يعتلي سقفَ السَّما بالسَّلالمِ

فمن يكُ يأويها فقد صار لائذاً ... إلى مَعْقِلٍ للمستجيرين عاصمِ

ولن تبلُغَ الأملاكُ في القُرْبِ شأْوه ... وكيف الخوافِي تستوِي بالقوادمِ

---

(١) الودق: المطر. والأوطف: الغزير. (٢) الحيزوم: وسط الصدر.

(٣) اليعملة: الناقة النجيبة المعتملة المطبوعة. القاموس (ع م ل). (٤) في ج: «سفح النقاف الأناعم»، والمثبت في: ا، ب. (٥) الرواسم: الإبل تسير الرسيم، وهو السير الشديد.

وفى ليلةِ الإسراء صار مُشرَّفاً ... بأخْمَصِه فوق السُّها والنَّعائم (١)

وبعثته أضحتْ لـــــكلِّ مُلِمَّةٍ ... كأيام ذى قارٍ لجار الأراقم (٢)

ولولاه لم يُوجَد من الخلقِ واحدٌ ... هو السببُ الأقْصَى لخلقِ العوالمِ

بميلادِه غارتْ بُحَيرة ساوةٍ ... وغِيضَت أوَاذِي سَيْحِها المتراكم (٣)

غَدا حِصْنُ من لم يَتَّبِعْ لك دارساً ... ولم يتَّفق بَانٍ له غـــيرُ هادم

مَشارِبُهم سَمٌّ ذُعافٌ ومالَهـــم ... مطاعمُ أشْهَى غير عَضِّ الأباهم (٤)

ألا يا رسولَ اللهِ جُدْ بشفاعةٍ ... عسى اللهُ أن يَمتاح عفوَ جرائمى

شفَيْتَ نفوسًا حيث داويْتَ سُقْمها ... وسلَّلتَ منها مُرْدِيات السَّخائمِ

وسَيْبُك ياذا الجودِ غــيرُ مُمنَّع ... لمُسْترفِدِ الجــدْوَى ببابك قادمِ

تركتَ ذوى اللَسَن المصاقعَ مُفْحماً ... وإنَّك قد أنطقْتَ عُجْمَ البهـــائمِ

وكم مُفْلِقٍ أعجزْتَه مُتحدِّيا ... بمُعجِز قرآنٍ إلى الحشر قائمِ

وهبْتَ جَرِيدًا فى الوغَى لعُكاشةٍ ... تحوّل نَصْلًا من مَواضِى الصَّوارمِ (٥)

ووجهُ ابن مِلْحان غدَا إذْ مسَحْتَه ... مُضيئًا كبَرْقٍ فى خلال غمائمِ (٦)

وشاماً لعبـــد القيْس فى أُذْنِ سَخْلِها ... إلى اليوم قد أبْقيتَ بادى المياسِمِ (٧)

---

(١) النعائم : منازل القمر . القاموس (ن ع م) . (٢) ذوقار : ماء لبكر بن وائل ، قريب من الكوفة ، بينها وبين واسط ، وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس ، والتى انتصف فيها العرب من الفرس وبالرسول صلى الله عليه وسلم نصروا ، كما جاء فى الخبر . معجم البلدان ٤/١٠ .

(٣) ساوة : مدينة حسنة بين الرى وهمذان . انظر معجم البلدان ٣/٢٤ ، وذكر ياقوت فيه حديث سطيح فى أعلام النبوة . (٤) الذعاف : السم الذى يقتل من ساعته .

(٥) عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدى ، صحابى من أهل بدر ، انكسر فى يده سيف فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجونا أوعودا فعاد فى يده سيفا شديد المتن أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل فى الردة وهو عنده ، وكان ذلك السيف يسمى العون . أسد الغابة ٤/٣ .

(٦) لست أدرى أهو سليم بن ملحان أم حرام بن ملحان ، وكلاهما استشهد يوم بئر معونة . انظر طبقات ابن سعد ٣/٥١٤ ـ ٥١٦ ، عيون الأثر ٢/٤٦ . (٧) السخل : ولد الشاة .

لعمري قد أصبحتُ مُغرًى ببابك الرّ   فيع مُعَنًّى مُذْ أُميطتْ عمائمي
عليك سلامُ اللهِ ما سطع الضُّحَى   وأوْمَض برقٌ فى خلال غمائمِ
كذلك للصحب الكرام وآله   ذوى عِزَّة قَعْساء جَمِّ المكارمِ
لهم فى النَّوادِى فضلُ حِلْمٍ ومُكْنَةٍ   وفى حَوْمةِ الهيْجاء عَدْوُ الضّراغمِ
نجومُ هُدًى من يقْتديهم يفُزْ بمـــا   يرومُ اهْتــــداءً فى ليالٍ فواحِمِ

* * *

وأنشدنى من لفظه هذه القصيدة ، مدح بها مفتى السلطنة :

أحْيى رُبوعَ الأجْرَعَيْنِ لِزاماَ   مُزْنٌ سَقاها وابلًا ورِهاماَ (١)
ومتى يُرى البرقُ اللّموعُ بذى الغَضا   طار الفؤادُ لها شجىً وغَــــراماَ
وثَوى الربيعُ على ذُراها مُلْقِياً   برَحِيب ساحتِهـا العصا فأقاماَ
والريحُ إذْ هبّتْ بريّا تُرْبِها   أذْكتْ من الوجدِ الصريحِ ضِراماَ
زرّتْ هَتُون السحبِ فى حافاتِها الـ   أزرارَ ناشرةً بهـا أعْـلاماَ
لو ضَـــلَّه السّارِى هداه نحْوَ سا   حتِها شَذَا أنفاسِ نَشْرِ خُزامَى
عهْدى بأيامٍ مَضَيْنَ بربْعِهـــا   ياريحُ عنّى بلِّغيـه سلاماَ
أوقاتُ أُنْسٍ مثل إبْهـام القَطا   قد صِرْنَ من قِصَرِ المدى أحْلاماَ
وبِمُنْحَنَى وادِى الأراكِ حبيبةٌ   قلبى بشَجْوِ غرامِها قد هاماَ
وبسُرّةِ البَطْحاء مُرْتَبَعٌ غدا   أضْنَى فؤادى صَبْوةً وهُياماَ
وبما ارْتدتْ برِداءِ جَوْنِ سُفُورِها   صارتْ على بشرِ المَوامِى شــاماَ (٢)
شَغَفِى وتَهْيـامِى تجـدّد كلّما   شدُّوا على العِيسِ الأمُونِ حِزاماَ (٣)

---

(١) الرهام : جمع الرهمة ، وهى المطر الخفيف الدائم .   (٢) الموامى : جمع موماة ، وهى الفلاة .
(٣) الأمون : المأمونة العثار .

للنَّاسِ صـــيَّرها الإلهُ مَثابةً ... إذ حيثُ عَيَّن قبلةً إعْظاماً (١)

قُصَّادُها ترَقَى على رُتَبِ العلى ... مهمـــا تجُوب مَهامِهاً وأكاماً

أصْبُو إلى تقْبيل هاتيك الثرى ... لأفُوز أن استافَ ذاكَ رَغاماً (٢)

وإذا الحجيجُ توجَّهتْ نحو العُلَى ... أهْفُو إلى تلك الربوعِ غَراماً

إن رُمْتَه نَيلَ المُنَى مُسترفِداً ... خُذْ ماترُوم فقد ظَفِرتَ مَراماً

فاطلُبْـــه ممَّن بالفضائل والنُّهى ... لذَوِي الحِجَى والفضــلِ صار إماماً

مُفْتِي الورى ومُبِين أعلام الهدى ... أفْتَى الأنامَ وأوضحَ الأحْـكاماً (٣)

ذو المجد إن أمْعنْتَه ألْفَيْتَـــه ... وجدودَه الغُرَّ العظامَ كِراماً (٤)

وبِرأيه المورُوثِ أعطَى راعياً ... للدولةِ العُظْمى به استحْـكاماً (٥)

أعْطَى بصائب فكرِه وبجُودِه ... لشَتِيت آمالِ العُفــــاةِ نِظاماً

وأزاح دَيْجورَ الحوادثِ بعـــدما ... قد عَمَّ ساحاتِ الديارِ ظلاماً

وأراح مُذْ ساس الورَى فلأجْلِ ذا ... أضحتْ عيونُ الحادثاتِ نِياماً (٦)

مَن فاز بِشْراً من أسِرَّة وجهه ... برْقَ البشـــائرِ والتهانِي شَاماً

ومَنِ استضاء بنورِ غُرَّته اجْتلَى ... وجهَ السرورِ وقـــد أُميطَ لِثاماً

ولأجْـــل أن أغْـلَى المعالِي قيمةً ... سوقُ المعـــالِي والمعارف قاماً (٧)

مَن كان مُنتمياً إلى أعْتابه ... أمسَى وأصبح للأنام إماماً

أنت الذِي أعطيتَ جَدًّا ناعِشاً ... من يستغيثُك نال ماقد راماً

---

(١) فى ب : « لله صيرها » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى الأصول : « لأفوز أن أستاق » ، ولعل الصواب ما أثبته .

واستاف الشيء : اشتمه . والرغام : التراب .

(٣) فى ب : « ومديم أعلام الهدى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ب : « وجدوده الغر الكرام عظاما » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ا : « وبرأيه الموزون » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٦) فى ب : « وأراح من ساس الورى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٧) فى ا : « أعلى المعالى قيمة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

آنافُ كلِّ مُخالفٍ أجدَعتَهـــا ... بشَباَ البراعةِ إذ سَللتَ حُساماَ

وجوادُ فكرِك فاق سَبّاقَ النُّهَى ... خاض الطِّرادَ وما أثار قَتاماَ

وسلكتَ فى سُبُلِ المكارم مَسْلَكاً ... أعْيَى الوُلاةَ وأتعبَ الحُكّاماَ

من يتّخِــذْ مَثْوَى جنابِك قِبْلةً ... للنـــاس أصبح أُسْوةً وإماماَ

سَبقتْ لبابِك لى تَليدُ عُبودةٍ ... أنت الأحقُّ بأن تصون ذِماماَ

اللهَ أسألُ أن يُحـــلِّى دائباً ... بوجـــودِك الأيامَ والأعواماَ

دُمْ فى ذُرا طَوْدِ السعادة والعلى ... تتسنَّم الهضبـــاتِ والأعلاماَ

***

وأنشدنى رائيّة خَبِيَّة الفكْر ، والخريدة التى صانها اللهُ صيانةَ البِكْر ، وهى فى مدح الوزير مصطفى ، أخى الوزير الفاضل[١] .

ومطلعها :

دِراكُ المعالى بالمُهنَّــدةِ البُتْرِ ... ونَيْـــلُ الأمانى بالمُثقَّفة السُّمْرِ

ومَن يهتصرْ لَدْنَ القنا باعْتقالِها ... جَنَى يانعاً من دَوْحةِ النُّجْحِ والنصرِ

وهل بعــد أن الحتْفَ ضربةُ لازِب ... لمن يَنْثنِي ذُعْراً عن الزحفِ من عُذْرِ[٢]

ولو لم يكن بالهالِع النَّذْلِ سُبّةٌ ... كفى فيه خُسْراً سوء مُنْقلَبِ الكَرِّ[٣]

---

(١) الوزير الفاضل هو أحمد باشا بن محمد باشا الكوبرى الأصل ، القسطنطيني المولد .
أحد وزراء الدولة العثمانية ، ومن أعظمهم ، وهو صاحب خزانة الكتب العظيمة المعروفة باسمه .
توفى سنة سبع وثمانين وألف .
خلاصة الأثر ١/٣٥٢ – ٣٥٦ .

(٢) فى ج : « وهل أن بعــد الحتف » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ب : « ضربة لازم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ب : « بالهالع الندب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى ا : « الندل سبتة » ، والمثبت فى : ب ، ج .
والندل : الوسخ .

وما لم تُرِقْ لم يُورِقِ النُّجْحَ ناضرًا　　نجيعُ الأعادي كالمُلِثِّ من القطرِ (١)

ومن يعتنِقْ هِيفَ القنا يَسْلُ مُعرضًا　　عن الخفِراتِ البيضِ ناحلةِ الخصرِ

ويستنتج الحوْماتِ والبأسِ من يكن　　أبا عُذْرِ ما قد خاض من فتنةٍ بِكْرِ (٢)

ومن لم يخضْ لُجَّ المعاركِ لم يكدْ　　يفوزُ بعقدِ النحرِ من لؤلؤٍ نثرِ

فهــا هو ذا الصدرُ الكريم الذى غدا　　عديمَ المُداني غيرَ مُشتركِ النَّجْرِ (٣)

سَمِيُّ النبيِّ المصطفى الناشرُ اللُّهى　　غزيرُ الندى شمسُ العلى الواسعُ البِرِّ

مُعِزُّ أساسِ الدينِ مُحيِي رسومِهِ　　مُذِلُّ رقابِ المعتدين ذوى الكفرِ

وناظمُ شمْلِ الدين للمال ناثرٌ　　يفوق الورى فى ذلك النظمِ والنثرِ

تطاوَلَ للأحرارِ حيث استرقَّهمْ　　يفكُّ عُناةً منهم عن يدِ الأسْرِ (٤)

وصار له خوضُ الحروبِ سجيةً　　ولم يكُ يسطو فى المعاركِ بالبُتْرِ

رحيبٌ ذراه أصبحتْ منتدى اللُّهى　　وحضرتُه العليا غدتْ منتهى الفخرِ (٥)

حَرِى للورى أن يُفرِشوه خدودَهم　　يعدُّونه زهوًا من الشِّيَمِ الغُرِّ (٦)

له شاغلٌ بالبيضِ عن أبيضِ الدُّمى　　وبالسُّمْرِ يستغنى عن الشُّدُنِ العُفْرِ

زكا خُلْقُه الزَّاهى ورتبتُه اعتلتْ　　على أنجُمِ الزَّهْرا بل الأنجُمِ الزُّهْرِ (٧)

أزاح بماضى الشفرتين صفوفَهم　　كما حكَّ سطرًا بعد ما حاك من سطرِ

وما قد أتى من صيِّبِ النُّجْحِ عاجلًا　　مَخِيلةُ أن يزداد من دِيَمٍ غُزْرِ (٨)

وأنت الوزيرُ ابنُ الوزيرِ أخو الندى　　وصدرُ الصدورِ الماجدين ذوى القدْرِ

---

(١) الملث : المتتابع .　　(٢) فى ج : « ويستنتج الحومات » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ب : « أبا عذر من قد خاض » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى ج : « من فتنة نكر » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) النجر : الأصل .　　(٤) فى ا : « يفك عناة » ، وفى ب : « يفك عتاة » ، والمثبت فى : ج . والعانى : الأسير .

(٥) فى ب : « منتدى الفخر » ، وفى ج « منتمى الفخر » ، والمثبت فى : ا .

(٦) فى ا : « حوى الورى » ، وفى ب : « جرى للورى » ، والمثبت فى : ج .

(٧) فى ا : « على أنجم الزهر » ، وفى ب : « على أنجم الزهرى » ، والمثبت فى : ج .

(٨) المخيلة من السحب : المنذرة بالمطر .

أحاطتْ أياديك الكرامُ بحيثما   يَضيقُ بما خوّلتَ منطقةُ الشكرِ

رُواقُ المعالى فى ذَراكَ مُطنَّبٌ   بحيث غدتْ أوتادُه مَرْقَبَ النَّسْرِ

بغزوكَ آضَ الشرعُ مُسْتوثِقَ العُرَى   وأصبح حبلُ الدِّين مُستحْصِدَ الشَّزْرِ (١)

ومن عَضْبِك البتّارِ ما برح العِدى   إذا أوْمَضَ البرقُ المُلِيحُ على ذُكْرِ

تركْتَهمُ تحت السَّنابكِ فى الوغى   لَقًى بعد ما كانوا اعتلَوا صَهْوةَ الكِبْرِ

ولاذُوا حُصوناً قد ظفِرْتَ بفتْحِها   كما فزِع الطيرُ المَرُوعُ إلى الوَكْرِ

ومن يكُ يأوِى من جَنابِك مَلْجأً   جَلا أوْجُهَ الآمال مُبتسِمَ البِشْرِ

أقلْنِى يُثِبْك اللهُ ما قد ترُومُه   وزادَك ما قد حُزْتَ من شرف القدرِ

أفاض لك النُّعمَى وزادك بَسْطةً   بما مَنَّ من نُجْحٍ عظيمٍ ومن نصرِ

وجازَى بما أعليْتَ من كلماتِه   فكنتَ مُقيلَ الدِّين والشرعِ من عَثْرِ

وإنّى وأيْمُ اللهِ لم آلُ دَعوةً   مُديمُ الثناء المَحْضِ فى السرِّ والجهرِ

غدوتُ أخا عُرْىٍ وضُرٍّ وفاقةٍ   طَليحاً بأعباء الخصاصةِ والفقرِ

وأضحى عدوّى راثياً لى لأننى   قوىُّ الأسَى واهِى التجلُّد والصبرِ

وإنّى لِمَابِى من أسىً مُتجلِّدٌ   ولكنَّ أحزانى تنِمُّ على سِرِّى

وإنّى جديرٌ أن أُروَّى برَشْحةٍ   أفَضْتَ بها من فيْضِ نائِلك الغَمْرِ

مُنايَ وسُؤْلِى أن أفوز بحُجّةٍ   وأسْرَحَ طَرْفِى بالحَجُون إلى الحِجْرِ (٢)

ولى فى سماءِ الصدقِ صادقُ دعوةٍ   عَلا فى الدياجى مثل مُنْبلِجِ الفجرِ

أنِلْ وابْقَ واسلَمْ مُستماحاً ومَفْزَعاً   لمُستنجِدِى الجَدْوَى ومُسترفِدِى البِرِّ

ودُمْ ساحباً ذيلَ المكارم ساكباً   سحابَ نوالٍ مُخْجِلٍ نائلَ البحرِ (٣)

---

(١) مستحصد الشزر : قوى الفتل .   (٢) فى ا : « وأسرى طرفى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ا : « ذيل المكارم راكبا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

سقى اللهُ مِن دَانِي الهيادِبِ صَيِّبٍ ... حِماكَ الذى صارتْ مُناخاً لذى الفقرِ (١)

***

وكتب إليه إبراهيم السُّؤالاتِيّ (٢) ، ملغزاً فى ربيع ، قولَه ، وقد أنشدنيه وجوابَه من لفظه :

نكتةَ الدهــرِ لَوْذَعِيَّ الزمانِ ... عارفَ الوقتِ ألْمعِيَّ الأوانِ
بدرَ أُفْقِ الـكمالِ شمسَ المعالى ... رُوحَ جسمِ الجمالِ والعرفانِ
والمُجَلِّى طِرْفَ الفضائلِ والبَذْ ... لِ سَبُوقاً فى حَلْبةِ الميْدانِ
والمُحلِّى جِيدَ الفصاحةِ بالفكْ ... رِ عُقوداً من لؤلؤٍ وجُمانِ
بيَراعٍ منه تُراعُ المَنايا ... ويُراعَى فيه ربيعُ الأمانِ (٣)
ما اسمُ شيءٍ طَلْقِ المُحيَّا نضيرٍ ... بشذاه يُريحُ لُبَّ الجَنانِ
رُبعه خمسُ ربعه وتراه ... إسمَ شخصٍ وقطعةً من زمانِ
شَطْرُه مالكٌ ومقلوبُ باقيـ ... ـه يُصيبُ الإنسانَ فى الأحيانِ (٤)
واقلبِ الاسمَ بعد طَرْحِك للصد ... رِ تراه عيْباً بدا للعيانِ
وإذا ماقلبْتَ حاشيتيْه ... فعبيرٌ يَنُمُّ عن رَيْحانِ (٥)
وإذا ماحذفتَ ثانىَ هذا ... فهْو رَكْبٌ يسيرُ فى القِيعانِ (٦)
وانْتشِقْ من تصْحيفِه نَشْرَ شيءٍ ... هو طِيبُ الأرْواحِ والأبدانِ
نصفُه إن رددْتَه فهْو شخصٌ ... طائعٌ والديْه فى كلِّ آنِ

---

(١) فى ا : « حكاك الذى صارت » ، والمثبت فى : ب ، ج .
والهيدب من السحاب : المتدلى الذى يدنو من الأرض ، كأنه خيوط عند انصباب المطر .

(٢) إبراهيم بن عبد الرحمن السؤالاتى ، تقدمت ترجمته فى الجزء الأول ، صفحة ٢٩٣ ، برقم ١٦ .

(٣) فى ج : «تروع المنايا» ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ب : «ربيع الأمانى» ، والمثبت فى :ا، ج.

(٤) فى ا ، ج : «نصيب الإنسان» ، المثبت فى : ب .

(٥) فى ج : « وإذا ما قلبت ما شيتيه » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٦) فى ا : « فى العقيان » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وفَلاةٌ عريضـةٌ وتعــالى الله ربِّى مُدبِّرُ الإنســانِ
وإذا ماحــذفتَ ذا فهْو قوتٌ وغــذاء للجائعِ اللّهْفانِ (١)
وإذا ما صحَّفْتَــه فوعاء لغِــذاء الرضيعِ ياذا البَيــانِ
هاكَ مولاىَ من عُبَيْدِك لُغْــزاً وابْقَ تسْمُو قدراً على كِيوانِ (٢)
ماسرَتْ نَسْمــةُ الرياضِ صَباحاً فى رُباها بَلِيــلَةَ الأرْدانِ
وتغنَّتْ بسَجْــعِ حَمْـدِك وُرْقٌ بفَصِيــحِ التِّبيانِ والألْحــانِ

* * *

وهذا جوابه :

وردةٌ ذى أم مَبْسِمُ الأقْحُوانِ جاد وَسْمِىَ عارضٍ هَتَّــانِ (٣)
أم ثغورُ المِلاح ألْمَسُ أحْــوَى أم خــدودُ المِلاح حُمْرُ قَواني
أم جُمــانٌ مُنضَّدٌ لوشاحِ الْ غِيــدِ يزْهِى مَعاقِدَ التِّيجانِ
أم سُلافُ الرُّضاب عــذْباً برُوداً بِتُّ منهــا كالْوالِهِ النَّشْوانِ
أم كئُوسٌ أدارها أهْيفُ القَــدِّ هَضِيمُ الحشــا خضيبُ البَنانِ
زهرةٌ زانَهــا السحابُ سُحَيْراً بدموعٍ غــــزيرةِ الهَمَلانِ
تلك روضةٌ غَنَّاء فيهــا من الوُرْ قِ بــكلٍّ الأرْجاء سَجْعُ قِيانِ
نَفْثــةُ السِّحْر أم رُقًى لِمُعنًّى فاترِ القلبِ ساهرِ الأجفــانِ (٤)
كنتُ خِلْوًا من الغرام فهزَّتْـ نِى صَباباتُ هـــذه الألحانِ
حيث جاءتْ ألذَّ من غَفَواتِ الْ فجرِ طِيبــاً لجَفْنِىَ السهرانِ
يا كريماً بعثتَ سِلْكَ عقـــودٍ فاضِحاتٍ قلائدَ العِقْيــانِ

---

(١) هذا البيت ساقط من : ج ، وهو ف : ا ، ب ، وفى ب : « وإذا ماحرفت ذا » ، والمثبت ف: ا.
(٢) كيوان : زحل . القاموس (ك و ن) .
(٣) الوسمى : مطر الربيع الأول . (٤) فى ا . « ساحر الأجفان » ، والمثبت فى : ب ، ج .

مُلْغِزٌ فى اسمِ مابه الرَّبعُ زَاهٍ وهْو للدهرِ موسمُ العُنْفُوانِ
جئتَ للهِ ياربيعَ المعالى بمُوشًّى مُحيِّرِ الأذهانِ (١)
ياسَمِيًّا لمن به صِرْنَ بَرْداً وسَلاما لَواعِجُ النِّيرانِ
فُقْتَ كلَّ الورى وصار مُقِرًّا لك بالفضل كلُّ قاصٍ ودَانِ
ماتغنَّتْ حمائمٌ ساجعاتٌ بهديلٍ أعالِيَ العيدانِ

أجبت أطال (٢) الله بقاك ، وأقول كما قال شيخ المعرَّة ، حيث أنشد (٣) :

واقْتَنِعْ بالرَّوِيِّ والوزنِ منِّى فهُمومى ثقيلةُ الأوزانِ

***

ومن بدائعه قوله :

ترى السَّرْوَ إذْ وافَى السحابُ بشَاْجه وقلبي المُعَنَّى بالهوى جِدُّ مَسْجُورِ
يشمِّر أذيالًا كبِلْقِيس حينما تبدَّتْ لها بُسْطُ الرُّبَى كالقواريرِ

***

قلت لو كان للسَّرْو رِجل أخرى إلى رجله ، لكان تَشميره الذيلَ حتى يسارع بتقبيل الأرض لأجْلِهِ .

***

ومنه قول ابن زُهْر الحفيد (٤) ، فى زهر الكَتَّان :

أهلًا بزَهر اللَّازَوَرْدِ ومرحباً فى روضةِ الكَتَّان تعطِفه الصَّبَا
لو كنتُ ذا جهلٍ لخِلْتُك لُجَّةً وكشفتُ عن ساقٍ كما فعلتْ سَبَا

***

(١) فى الأصول : « بوشى محير الأذهان » ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٣) شروح سقط الزند ١/٤٦٠ .
(٤) تقدم التعريف به ، فى الجزء الثانى ، صفحة ٤٥٣ .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

تَوَقَّ الشُّحَّ عن نَشْرِ الأيادِي ... وأيْدِي الجود فابْسُطْها سَماحَا

أيَبْقَى العنكبوتُ بلا جناحٍ ... أعَدَّ الله للرزقِ الجناحَا

***

ولي أنا فيه من المدائح قصائد محرَّرة ، وبُرودٌ خطّتها من جَيِّد الثناء وهي بالقوافي مُزرَّرة .

فمنها قصيدة أهديتُها له عند دخولنا القاهرة ، مستهلها :

على رَسْمِهما بالمُدَّعِي من مآلفِ ... أقامتْ هَزِيماتُ الحيا المتضاعفِ (١)

ونُسخَتُها اختصَّ بها وحده ، فلهذا لم أذكرْها .

***

وكان له ولد طاهر (٢) النَّشأة وَفُورها ، مبذول المكارم موفورها .

انتقل بمصر إلى عَفْو الله ورِضْوانه ، وخلَّى القلوب تعالج لواعِجَ أحْزانه .

فكتبت إليه أُسلِّيه :

هو الرَّدَى للمرء بالمرصادِ ... والكونُ كلُّه إلى النَّفادِ

وهذه الدنيا التي نعرفُها ... ماهي إلا مَنْشأُ الأنكادِ

أنكرتُها وأنكرتْني وأنا ... إذْ ذاك ماوُضعتُ في المِهادِ

فلو أكُنْ أملكُ روحي في يدي ... أطلقتُها من ساعة الميلادِ (٣)

مالي وإيَّاها وكلِّي ألسُنٌ ... على فَواتِ عُمُري تُنادِي

ومن يمتْ أحْسَب يلْقَى راحةً ... ولا أقلَّ من أذى الأضْدادِ

---

(١) في ب : « هزعات الحياء المضاعف » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٢) في ا ، ج : « ظاهر » ، والمثبت في : ب .   (٣) « أكن » كذا للوزن .

ويكتفى مع الورى فى خاطٍ مشقةً متاعبَ الجهادِ
وقد فقدتُ مَن مضَوا ومعهمْ راحلتِي من المُنَى وزادِي
وفيهمُ مَن لو يُفدَّى مَيْتُهُ فدَيْتُه بحبَّةِ الفؤادِ (١)
ومن إذا ذكرتُ عهدَ قُرْبِهِ ودَّعتُ عند ذكره رَشادِي
ومَن هواه لم يزلْ فى خَلَدِي مُنزَّلاً منزلةَ اعتقادِي
ريحانةُ المجدِ التى بِعَرْفِها تعطَّرتْ مَعاطِسُ الأمجادِ
قد نقَد الفضلَ صفاتُه التى حلَّته نَقْدُ الحُسْنِ للجيادِ
وكان فى عيْن الزمانِ نُورَها قد حلَّ منها داخلَ السَّوادِ
ومَن رآه فى بُروجِ سَعْدِهِ فقد رأى أهِلَّةَ الأعيادِ
مضَى سعيدًا والرِّضا زميلُه مُصاحبُ الإسْعافِ والإسعادِ
فكلُّ بُقعةٍ به عاطرةٌ تنفح نَشْرَها بكلِّ وادِ
فما على من شمَّ مِسْكًا أذفرًا من تربِهِ مُضمَّخًا بجادِي (٢)
لا زال فى جِنانِ عَدْنٍ ثاويًا يحبُوه لطفُ المنعم الجوادِ
وباكرتْ مَضْجَعَه من الرِّضا غُرٌّ يحثُّها الصَّبا غوادِ
والله يقضى لمُصابِ فَقْدِهِ بالصبرِ والجزاءِ فى المَعادِ
ولا يزال عمرُه عُمْرَ الورى لا ينقضى لأبَدِ الآبادِ
فهو الذى تُرشِدُنا علومُه ورأيُه للخير خيرُ هادِ

***

(١) فى ا : «يفدى ميتة» ، والمثبت فى : ب ، ج .
والميت كالموت .

(٢) مسك أذفر : شديد الرائحة ظاهر الطيب .
والجادى : الزعفران .

وقلتُ وأنا[١] برَشِيد[١] فى خدمته أُودِّعه ، وكان المرض أقعدنى عن رُفْقته ، لمشيئة الله وحكمته :

أفارقُ من أوَدُّ به التلاقِى	وأختار الحِمامَ على الفِراقِ
وأذكر عهدَ لَيْلاتى المَواضِى	فأنْدُبها بتَذْكارِ البَواقِى
ولو كانتْ دمشقُ ثَنَى عِنانِي	ولا ألْقاك عِفْتُ بها اعْتِلاقِى
فأنت إذا بعُدتَ فألْفُ بُعْدٍ	لآمالى ولا بَرِح اشْتِياقِى
ولولا الضَّعفُ ما اخترتُ التَّوانى	ولا سلَّمْتُ للبلْوَى وَثاقِى
فعُذْرًا إننى والحظُّ قِدْمًا	تعاهدْنا على عدَمِ الوِفاقِ[٢]
إذا ما رُمْتُ أمْرًا فيه نُجْحِى	يُماكِسه ويجْهَد فى شِقاقِى
فيا صبْرِى فديْتُك مِن مُطِيقٍ	ويا بُؤسى عدِمتُك من مُطاقِ
وأنت أيا مُنَى قصْدِى خبيرٌ	بما ألْقَى وما أنا بعدُ لاقِ
فلا تُهْمِل لعبْدك رَعْىَ وُدٍّ	ودُمْ طولَ الزمان وأنت باقِ

❁

(١) فى ب : « فى رشيد » ، والمثبت فى : ا ، ج .
ورشيد : بليدة على ساحل النيل والبحر قرب الإسكندرية . معجم البلدان ٢ / ٧٨١ .

(٢) فى ا : « على عدم الرفاق » ، والمثبت فى : ب ، ج .

١٤٢

السيد عبد الله ، المعروف بابن سعدى *

روضٌ متهدِّل الغصون ، من شجرة السَّرْو (١) المَصُون .

لم يَرِقَّ أفصحُ منه بَراعةَ بَيان ، ولم يشُقَّ أنقشُ منه يَراعةُ بَنان .

فكفُّه تُوشِّى الأرضَ الزَّخارف ، وتجرُّ على وجهِ الرياض خُضْرَ المَطارف .

وكان شديدَ العارِضة فى المُعارضات ، مُوفَّى العهد (٢) فى المُقارَضات .

إلا أنه على جَوْدة طبعِه ، وشُفوفِه (٣) فى مادَّة نَبْعِه (٤) .

زُحَلِىُّ الانْتقال ، والعَثْرة عنده لا تُقال .

ينْحرف من حيث يستقيم ، ويعتلُّ وشكلُ مادَّته عقيم .

ولهذا ابتُلِىَ فى قضاه ، بحُكْمٍ جرى على خلاف رِضاه .

فجُوزِىَ باخْترامه ، فى احترامه .

وقُوبِل باعْتباطه (٥) ، من اغْتباطه .

(*) السيد عبدالله بن سيف الله ، المعروف بابن سعدى ، القسطنطينى .

ولد سنة ثلاثين وألف .

ولازم من شيخ الإسلام يحيى بن زكريا .

ولى قضاء سلانيك ، ثم بروسه وأزمير ، ثم ولى قضاء مكة المشرفة .

رحل فى صباه مع والده إلى القدس ودمشق ، وورد دمشق بعد توليه قضاء مكة .

وكان فاضلا ، أديبا ، جسيما ، وسيما ، حسن النظم والنثر فى الألسنة الثلاثة : العربية ، والفارسية ، والتركية ، عارفا بنقد الشعر وأساليبه .

رحل من دمشق مع الحاج وحج ، وأقام بمكة ، فتوفى بها سنة تسع وسبعين وألف .

خلاصة الأثر ٣/ ٤٤ ـ ٤٩ .

(١) فى ج : « السر » ، والمثبت فى : ا ، ب (٢) فى ب : « العهدة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ا : « وشفوفة » ، والمثبت فى : ب ، ج (٤) فى ب : « نبغه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) الاعتباط : القتل ظلماً ، أو التنقص .

فصَعُب عليه أمر العَزْلة وأشْكل ، إلى أن عقَل أمانيه المُطْلقة وتوكّل .

ثم حصَل له إمدادٌ بالرَّجْعة ، فأحلَّه فيما شاء من النُّجْعَة .

وأطلعتْ صفحتَه الصَّحْو ، ونُشِر بعد ذلك المَحْو .

ولما استقْضَى بمكّة رأيتُه بالشام وهو يزْدهي بالنَّسب الأوْضَح ، ويتباهَى بدَبْعةٍ فرعُها في السماء ومغرسُها سُرَّةُ الأبْطح .

وكان بينَه وبين أبي حقوق ، مارُمِيَتْ قطُّ بوَصْمة عقوق .

فاحْتفل به احْتفال الناس بالربيع إذاجَا ، وهلالِ شوَّال إذا فَاجَا .

ثم جرى بينهما مُخاطَبات ، وطُرَف مكاتبات .

ألَذُّ من إغْفاء الفجر ، وأشْهى[1] من الوصْل بعد الهجر .

ثم دخل الحِجاز ، فكان لِوعْد ارْتحاله بها الإنْجاز ، وهكذا مَن كان في دار النُّقْلة والمَجاز .

فرحم اللهُ انقطاعَه إلى كَرَمِه ، والْتجاه إلى حَرَمِه .

فمِمّا دار بينه وبين أبي ، ما كتبه إليه أبي[2] :

ياساكنًا بشِغافِي	وعن عيونيَ خافِي[3]
طوَّلتَ مدةَ هجرِي	وبعضُه كان كافِي[4]
كدَّرتَ بالبُعدِ عيشِي	من بعد ماكان صافِي
لهفِي لطِيب ليالٍ	مرّتْ لنا بالتصافِي
حيث الشبابُ قَشيبٌ	والدهرُ فيه مُوافِي

---

(١) في ا : « وأشهر » ، والمثبت في : ب ، ج (٢) القصيدة في خلاصة الأثر ٣/٤٥ ، ٤٦ .

(٣) في الأصول : « بشفاف » ، والمثبت في خلاصة الأثر .

(٤) في خلاصة الأثر : « مدة بيني * وبعضها ... » .

وسالفٌ من زمانٍ تُدار فيـــــه سُلافي
من كفِّ رِيمٍ كغُصْنٍ يميـــــلُ بالأعْطافِ
يزْهُو بورْديِّ خــدٍّ يُزْرِي بورْد القِطافِ
زمانُ لَهْوٍ تقضَّى برَوضـــةٍ مِئْنافِ (١)
تُسْقَى من السُّحبِ وَبْلاً بعــارضٍ وَكَّافِ (٢)
يادهرُ رِفقًا بصَبٍّ حتى متى ذا التجافي
وعـــدْتني بالأماني فكُن بوعــدِك وافِي
واسمحْ برؤيةِ مَوْلًى سليـــلِ عبدِ منافِ

منها :

مولاىَ يابحرَ فضلٍ طَامٍ من الجود طافِي
وفائزاً بقـــوافٍ أعيتْ لعَمْرِى ابنَ قافِ (٣)
أنت الغنيُّ بمدْحي عن كثْرةِ الأوصافِ
فلا تظنَّنْ بأنِّي لِسابقِ الوُدِّ جافِي
لو كنتُ أعلم أمرِي لكنَّ أمرِىَ خافِي (٤)
لَكان سَعْيِي إليكمْ وفى حِماكم طَــوافِي
فرَبْعُ غـيرِك عنـدى مولاىَ كالأعْرافِ (٥)
إن رُمْتَ تفْصيــلَ حالِي من الزَّمانِ المُجافي

---

(١) فى ا ، ج : « زمان لهو » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة ، وفى الخلاصة : « لهوى تولى » .
وروضة أنف ومئناف : لم ترع .

(٢) الوكاف : المتتابع المنهل .

(٣) فى الخلاصة خطأ : « قد أعجزت بن قاف »
وللروم شاعر يقال له ابن القاف ، وهو فيض الله بن أحمد ، تأتى ترجمته فى هذا الباب ، برقم ١٥٣

(٤) فى خلاصة الأثر : « لو كنت أعلم صبرى » .

(٥) الأعراف : اسم للجبل المشرف على قعيقعان مكة . معجم البلدان ١ /٣١٤ .
والأعراف أيضاً : سور بين الجنة والنار . غريب القرآن للسجستانى ١٢ .

ما إن تمنَّيتُ شيئاً إلا أنى بالخلافِ
من جَوْره ضاق صدرى فسِحْتُ فى الأريافِ
حتى حلَلْتُ بمصرٍ من بَعْد قطع الفيافِى
فلم أجِدْ لىَ فيها غيرَ الثلاثِ الأثافِى
فلا صديقٌ صَدُوقٌ ولا حبيبٌ يُوافِى
هذا زمانٌ عجيبٌ مافيه خِلٌّ مُصافِى
والفضلُ قد صار ذَنباً وللرَّواجِ مُنافِى

منها :

واعذُرْ بفضلِك فكرِى ضاقتْ عليه القوافِى [1]
ودُمْ بسَعْدك تسْمُو عُلاً على الأسْلافِ [2]

***

فأجابه بقصيدة طويلة ، مستهلها [3] :

ياخيرَ خِلٍّ مُصافِى لا زال وِرْدُك وافِى [4]
أين الزمانُ الذى قد كُنَّا به فى التَّصافِى
مابيْننا غيرُ وُدٍّ مابيْننا من خِلافِ
طَوْراً نرَى من رياض الْ علومِ فى الاقتطافِ
وتارةً من بحار الْ قَرِيض فى الاغْترافِ

---

(١) فى خلاصة الأثر :

واعْذُرْ بفضلِكَ فضْلِى ضاقتْ علىَّ القوافى

(٢) فى خلاصة الأثر :

ودُمْ بسَعْدِكَ ترْقَى لِمَنْهَلٍ لك صافِى

(٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٤٦ ـ ٤٨ . (٤) فى خلاصة الأثر : « وردك صافى » .

كنّا كمثـــلِ الثُّريَّا بصُحبةٍ وائتــــلافِ
فصيَّرَتنـــا بناتِ النَّـ ـعْشِ الليالي الجوافي [1]
بينـــا نَرُود بروضٍ يوماً مع الأخــلافِ [2]
وطـــيرُه في وِفاقٍ ولَحْنُها في اختلافِ [3]
إذْ صاح منهـــا غُدافٌ تَعْساً لذاك الغُدافِ [4]
قد بَانَ كلٌّ عن الإلْـ ـفِ وهْي ذاتُ إلَافِ [5]

منها :

عسَى ليــالٍ تقضَّتْ يعُـــدْنَ بالإسْعافِ
آهٍ عليهـــا فآهٍ قد أسرعتْ في التَّجافِي
مضَتْ سريعاً وولَّتْ كمثــلِ دُهْمٍ خِفافِ
مرّتْ كخاطفِ برْقٍ وطِرْنَ كالخُطَّـــافِ [6]
قد كُنَّ شامَ زمانٍ كالشَّـــامِ في الأرْيافِ
دمشقُ أعني ودامتْ مُخْضرَّةَ الأكْنـــافِ
شوقي لهـا كلَّ حينٍ يزْداد بالأضْعافِ [7]
أصْبُـــو إلى برَداها بلَوْعـــةٍ والتِهافِ
نسيمُهـا وهْو ذُو عِلَّـ ـةٍ لدائِيَ شافِي
أنهارُها لجيـــوشِ الْـ ـهمومِ كالأسْيـــافِ

(١) بنات نعش الكبرى : سبعة كواكب ، أربعة منها نعش ، وثلاث بنات ، وكذا الصغرى . القاموس (ن ع ش) .
والشاعر يقصد التشبيه بها في التفرق .

(٢) في الخلاصة : « نروض بروض » .

(٣) في الخلاصة : « ولحنه في خلاف » .

(٤) الغداف : الغراب الأسود .

(٥) في خلاصة الأثر : « فبان كل . . . » .

(٦) سبق التعريف بالخطاف في صفحة ١١ .

(٧) في خلاصة الأثر : « كل يوم » .

بهـــا حدائقُ فاقتْ في أحسنِ الأوْصافِ
تلك الحدائقُ تحكى صفاتِ خِدْنِي المُصافِي [١]

منها :

يامَن له كابْنِ بُرْدٍ بُرْدٌ من الفضلِ ضافِي
ياظافراً بقـــوافٍ أعْيَتْ عُوَيْفَ القَوافِي

***

عُوَيف القوافى ، هو : عويف بن معاوية بن عُقْبة الفَزَارِىّ [٢] .

من شعراء الدولة الأُموية .

وإنما قيل له عُوَيف القوافى لبيت قاله ، وهو [٣] :

سأُكذِبُ مَن قد كان يزْعُمُ أننى إذا قلتُ قولًا لا أُجِيد القوافيَا [٤]

***

أتحفْتَنــــا بقريضٍ أحْسِنْ بذا الإتْحافِ [٥]
فَائِيَّــةٍ ما رأيْنـــا مِثْلاً لها فى القوافِي
مامن سِنادٍ خَلِيـــلِى بهـا ومِن إصْرافِ [٦]

***

السِّناد : اسم لـكل عيْب يحدُث للحروف والحركات قبلَ الرَّوِىّ .

والإصْراف : اختْلاف المجْرَى ، وهو الحركة فى الرَّوِىّ ، بالفتحة والضمة .

---

(١) فى خلاصة الأثر : « صفات خلى » . (٢) ترجمته فى : جمهرة أنساب العرب ٢٤٥ ، خزانة الأدب ٣/٨٧ ، سمط اللآلى ٢/٨١٤ ، لطائف المعارف ٢٨ ، مختار الأغانى ٥/٣٠٧ ، معجم الشعراء للمرزبانى ١٢٧ . (٣) البيت فى : البيان والتبيين ١/٣٧٤ ، خزانة الأدب ٣/٨٧ ، سمط اللآلى ٢/٨١٤ ، لطائف المعارف ٢٨ ، مختار الأغانى ٥/٣٠٩ ، المزهر ٢/٤٣٩ .

(٤) فى البيان والتبيين : «إذا قلت شعرا» . (٥) فى الأصول: «أتحفنا» ، والمثبت فى خلاصة الأثر.

(٦) فى ا : « ما فى سناد » ، والمثبت فى : ب ، ج . وفى ا ، ج : « من إطراف » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة .

وإذا كان بالضمة والكسرة فهو الإقْواء .

وأما الإكْفاء ، فهو تقارُب حرفَي الرَّوِيّ في المَخْرج ، كالنون مع الميم .

والإجازة هو بعدهما في المخْرج ، كالباء واللام .

***

زَفَفْتَ بِكْراً عَرُوباً إلَيَّ خيرَ زَفافِ

بِخَتْمِها بلَغَتْني مَصونةً في السِّجافِ [(١)]

عتبْتَ في تَرْكِ كُتْبِي إليكَ والعَتْبُ شافِي [(٢)]

لا تَعذُلَنِّي فهذا حَوْبُ الزمانِ المُجافِي [(٣)]

وإن يكنْ ذاكَ ذَنْبِي فاصْفَحْ ومثلُكَ عافِي

ما أجملَ الصفحَ عن ذنْبِ مجرمٍ ذي اعْترافِ

واللهِ ربِّي الذي لا تَخْفَى عليه الخوافِي

حُبِّيكَ في كلِّ حينٍ يكون في استحْصافِ [(٤)]

رأسٌ كقافٍ وإن كا ن بيْننا بُعْدُ قَافِ [(٥)]

لا زلْتَ ترْفُل عِزًّا وثوبُ قدْرِكَ ضَافِي

*

---

(١) في ا ، ب : « نجمتها بلغتني » ، والمثبت في : ج ، والخلاصة .

(٢) البيت في الخلاصة :

عتبتَ ودِّكَ في ترْ كِ الكتبِ والعَتْبُ شافِي

(٣) الحوب : الوحشة ، والإثم أيضا . (٤) في الأصول : « يكون في استصحاف » ، والمثبت في خلاصة الأثر .

(٥) قاف : جبل يقوف أثر الأرض فيستدير حولها . هكذا ذكر ياقوت ، في معجم البلدان ٤ / ١٨ .

١٤٣

عبد اللطيف ، المعروف بأُنْسِي*

أُعجوبة الأقطار والأمصار ، وشَرَك العقول وقَيْد الأبصار .

وحَسَنة هذا النوع الإنسِي ، وعُذر الزمن عن ذنب به أُنْسِي .

اشتمَلَتْ[1] بأسماره لحمةُ الليـل ، وجرى فى روضِ أخباره نهرُ الصبح مثل السَّيْل .

بحُسْن بَيان يسحَب ذيـلَه على سَحْبان ، ولُطف تعبـير يجرُّ مِطْرَفه على جَرِير وحَسَّان .

وأحاديثَ هى مَراوح النفوس من كَدِّ الفِـكَر ، ومِصفاة القلوب إذا أبقتْ فيها الحوادثُ أثرَ العَـكَر .

ومناسبات هى نزهة[2] مسارح الأخبار ، وحَظُّ جارحةِ السمع من مِنَح الاعْتبار .

(*) عبد اللطيف المعروف بأنسى .

أصله من بلدة كوتاهية ، وبها ولد .

ثم دخل دار الخلافة فى حداثة سنه ، وخدم قاضى القضاة محمد بن يوسف الشهير بنهالى ، وورد معه إلى دمشق ، لما ولى قضاءها ، فى سنة اثنتى عشرة وألف ، واعتنى به مخدومه فأقرأه وأدبه .

وبعد موت مخدومه ، كثرت رحلاته ، واستقر بمصر ، وولى قضاء الركب المصرى ، ومحاسبة أوقاف مصر ، سنة ثمان وعشرين وألف .

ثم عاد إلى الروم وولى بهـا مدرسة ، ثم صار قاضيا بطرابلس الشام ، سنة ثمان وأربعين ، وولى بعدها قضاء كوتاهية ، ثم الجيزة ، ثم طرابلس ، ثم مكة المكرمة ، ثم قضاء أزمير ، ثم قضاء سيروز ، ثم قضاء إيوار ، ثم قضاء الشام .

وفى الشام ، توفى سنة خمس وسبعين وألف ، ودفن فى الحديقة قبالة جامع السنانية بدمشق .

خلاصة الأثر ٣/٢٣ _ ٣٦ .

(١) فى ب : « استغلت » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

أشهى من لذة النَّشْوان ، وقِطَع الرياض ، جرَى فيها ماء البيان ، وسقتْها مياهُ الحِياض .

***

وله فى الفنون يدٌ تتناول الشمس ، وتُشَبِّرُ البسِيطة بالبَنان الخمس .

فلو أدركه الرَّازِيّ[(١)] لقيل له دونك إمامَك ، [(٢)] أو ابنُ أرفع رأس[(٣)] ، لقيل له أرفعْ رأساً وانظُر مَن أمامَك[٢] .

أو لحِقه[(٤)] ابنُ وَحْشِيَّة[(٥)] لقرّب له المتنافِر البعيد ، أو خالدٌ الغَيُور لكفاه همَّ التقْطير والتَّصْعيد .

فلو وُضِعت صَنَجاتُ النجوم من نيران السماء فى كِفَّة ، لم تُوازِن مناقبَه الغرّ ونُسِبتْ إلى طيشٍ وخِفَّة .

له تدبيرُ مُحْتَنِكٍ مجرِّب ، ورأىُ مُمارِسٍ مُشرِّق ومُغرِّب .

***

ونظمه ونثره بالمسانَيْن ، هـذا يقصُر عنه من السحاب دَرُّه ، وذا يصغُر عنه من السِّخاب[(٦)] دُرُّه .

---

(١) لعله يعنى الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى ، المتوفى سنة ست وستمائة .

(٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٣) ابن أرفع رأس هو على بن موسى بن على الأنصارى الأندلسى .
كيائى ، أديب ، شاعر ، توفى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .
شذرات الذهب ٣١٧/٤ ، فوات الوفيات ١٨١/٢ .

(٤) فى ج : « لحق » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) ابن وحشية هو أحمد بن على بن المختار الكلدانى .
عالم بالسحر ، والكيمياء ، والفلاحة ، والسموم .
توفى سنة ست وتسعين ومائتين .
الفهرست لابن النديم ٤٣٣ .

(٦) فى الأصول : « السحاب » ، ولعل الصواب ما أثبته . والسخاب : العقد .

فذا أصْفَى قطْراً ودِيمة ، وذا أوْفَى قدراً وقِيمة .

وكان فى آخرِ أمرِه تنبّه حظُّه من نَوْمته ، وسِيمَ من الإقبال التَّام بسَوْمته .

فولى قضاء الشام ، ونال رتبةً يتباهى بها العِزُّ والاحْتشام .

وقد رأيتُه يوم دخوله ، وزحمةُ الأعيُن تحولُ بين التملِّى ووجهِه ، فرأيتُ شيخا إذا سار البدرُ فى مَوكب نجومِه ، قيل قد غَنِينا عنه بتلهُّبِه .

وقد أخْلَقَ العمرُ عمائمَ ثلاثاً فى رَاسِه ، وأشْعل للرحيل بهذه النَّعْشة ذُبالة نِبْراسِه .

ولم يبْقَ من كأسِ عمره إلا جُرعة ، وبَرِيدُ المنِيَّة سائرٌ إليه فى عجَلة وسرعة .

فما حطَّ أثقاله بهذا الفِنا ، حتى نزل دار البقا وترك دار الفَنا .

فالله ينوِّر له الحفِيرَة والتُّربة ، وهو المسؤول أن يؤْنس له الوحشةَ والغُربة .

***

وهذا جانبٌ من نثره الفائق ، ونظمه الرائق .

أتيتُ منه بالقليل من الكثير ، فإن محاسنَه تزيد على نجوم الفلك الأثِير .

فمن ذلك ما كتبه إلى مفتى الدولة[1] :

دروعٌ لِشاكِى الطعنِ هذى الرسائلُ ... يرُدُّ بها عن نفسه ويشاغِلُ[2]

هى الزَّرَدُ الضَّافِى عليه ولفظُها ... عليكَ ثناءٌ سابغٌ وفضائلُ

أتاكَ يكادُ الرأسُ يجحَد عُنْقَه ... وتنقَدُّ تحت الذُّعْر منه المَفاصلُ

---

(١) الأبيات الثلاثة التالية للمتنبي ، وهى فى ديوانه ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٢) فى ديوان أبى الطيب :

* دروعٌ لملْك الرومِ هذى الرسائلُ *

كيف لا ، وأيّد الله مولانا ، وهو مظهر الجلال والقهر ، ومصدر الحماسة والسيادة في أبناء الدهر .

ذو الهمة التي همّت بالدهر إذ تصرّف في الأحرار[1] بصُروفه ، والعَزْمة التي عزمَتْ على تسكين دَوْر دوائر حُتُوفِه .

الذي[2] تصهّر[3] باستعباده الأحرارَ من عزمهم غُصْناً وَرِيقا ، وتسنّم من سُبَح الجلالة والجبروت مكاناً وثيقا .

متى استُنْجِد تنمّر تنمُّر الليث ، أو استُغيث تشمّر تشمُّر البطل عند الغَيْثِ[4] .

يكاد سَنَا برقِ سَطْوتِهِ يذهب بالأبصار ، وتكاد صواعقُ دولتِه تُخرِّب المدائن والأمصار .

وإن شِيمَ بَرْقُ حِلْمِهِ في خلال جُونِ مُعارضات عوارضِه ، فالمُسْتغرِقُ بوَميضه كمن اغترّ في الأحقاف[5] بعارضِه .

كم أوْجَف أقْدامُ قُرْبِهِ بالجبان ، إلى مساقِط الحرب العَوان .

وكم روّى سُوَيْد بن البَنان ، من دماء الغَطارِفة الشجعان .

يتكسّبُ القصَبُ الضعيفُ بخطِّه شَرفاً على صُمِّ الرماحِ ومَفْخَرا

لقد أطال إلى سَمْك السِّماكَيْن[6] باعا ، ومدّ إلى جرِّ مجرّةِ الفرْقديْن ذِراعا .

---

(١) في ب : « بالأحرار » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٢) في ب ، ج : « التي » ، والمثبت في : ا .

(٣) لعل الصواب : « تهصر » .   (٤) في ا ، ج : « العيث » ، والمثبت في : ب .

(٥) في ب : « بالأحقاف » ، والمثبت في : ا ، ج .

وهو يشير إلى قوله تعالى في سورة الأحقاف ٢٤ : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

(٦) السماكان : نجمان نيران ، يقال لأحدهما الرامح ، وللآخر الأعزل ، وسمكهما : أعلاهما .

فتغنَّى بمديحه(١) غيرُ الغرِّيد ، وملأتْ مهابتُه(٢) قلبَ كلِّ قريب، وبعيد .

بعث الرعبَ فى قلوبِ الأعادِى　فكأنَّ القتالَ قبلَ التَّلاقِى(٣)

وتكاد الظُّبَا إذا جاشَ غَيْظاً　تَنْتَضِى نفسَها إلى الأعناقِ(٤)

كرمٌ خَشَّنَ الجوانبَ منه　فهْو كالماء فى الشِّفارِ الرِّقَاقِ(٥)

ومَعالٍ إذا ادَّعاها سِواهُ　لزِمتْه جِنايةُ السُّرَّاقِ(٦)

هو لعَمْرِى المقـدَّم الذى لا يُجارَى فى مِضْمار ، ولا يُساوَى عِـذارُ جَواد سُؤْدده بعِذار .

لقد تقلَّد بفخره حُساماً لا تنبُو مَضاربُه ، وتخوَّذَ من عِرْضِه بَيْضةً(٧) يعجز عن قَرْعها مُضارِبه .

فمن رام وَطْء حُرُمِه بنَقْصٍ مَلَتْه البُقْيا ، ومن اصْطلَى بناره أُتِيح له منها شَوْبٌ لا يموت فيها ولا يحْيى .

أعزُّ مُغالبٍ كفًّا وسيفاً　ومقدرةً ومَحْمِيـةً وآلا(٨)

وأشرفُ فاخرٍ نفساً وقوماً　وأكرمُ مُنْتَمٍ عَمًّا وخالَا

كلَّا والله ، لستُ صادقاً فى قالِى ، ولا مُصِيبا تلك الرَّمِيَّة بنبالِ مَقالِى .

لأنى لا أرْتضِى (٩ له من ٩) جميـل المدح مدحاً ، ولا أستطيع لمَتْن حسنِ ثَنائه شرحاً .

---

(١) ساقط من : ا ، وفى ب : « عدائحه » ، والمثبت فى : ج .　(٢) فى ج : « نهايته » ، والمثبت فى : ا ، ب .　(٣) هذا البيت والأبيات التالية لأبى الطيب ، وهى فى ديوانه ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، وفيه : « بعثوا الرعب » .　(٤) فى الديوان :

* وتكاد الظُّبا لما عوَّدوها *

(٥) فى الديوان : « الجوانب منهم » .　(٦) فى ا : « إذا دعاها » ، وفى ب : « إذا دعانا » ، والمثبت فى : ج ، والديوان ، وفيه : « ادعاها سواهم » .　(٧) فى ج : « ببيضة » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٨) البيتان لأبى الطيب أيضا ، وهما فى ديوانه ١٣٠ . وفى ب : « أعز مطالب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والديوان .　(٩) فى ا : « لعز » ، وفى ب : « له فى » ، والمثبت فى : ج .

إذ المدحُ وسيلةٌ لِأن يُعتقد فى الناقص الكمال ، والثناء ذريعةٌ إلى تخيُّل[١] الجميل فى غير ذِى الجمال .

فأكون كالأعْشَى إذا مدح مُحلِّقَا[٢] فغدا بعد خُموله[٣] إلى شأو العُلى مُحلِّقًا .

وهو فقد ملك السيادة مَقاداً ذَليلا ، وأضحى له صَعْبُ الفخار ذَلُولا .

وجَلَّ عن مذهب المديح فقد كاد يكون المديح فيه هجاء ، فأكبِرْ بشأنه ، وأعْظِم بمكانه .

هو الذى بَذَّ فلا يُدرَك ، وشذَّ فى عصره فلا يُشْرَك .

وأىُّ مقال يُنْبِى عن معنى فضلِه ، وأىُّ إرْقالٍ[٤] يَنْتهى إلى مَداه وخَصْلِه[٥] .

لو أُرْخِيَ عِنان جوادِ الثَّنا ، فى مَيْدان المدح والثَّنا ، لوجَب من غُلُوِّ الوصف المَمْدُوح ، تكفيرُ المادح والممدوح .

لكن قد زحم[٦] جِماحُ غُلُوِّه ، واستنزه[٧] جُلْمودُ عُلُوِّه .

واستقْصر مدى جَرْيته ، دُون التَّمادِى فى مِرْيَتِه .

على سَرْدِ[٨] بعض مُنتقَى أوصافِه الفاخرة ، ووصفِ فيْض ملتقَى بحر علومِه الزاخرة .

عَلامةُ العلماء والبحرُ الذى ... لا ينتهى ولكل لُجٍّ ساحلُ[٩]

يدْرِى بما بِكَ قبلَ تُظهِرُهُ له ... من ذهنِه ويُجيب قبلَ تُسائلُ

---

(١) فى ج : « تخييل » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) انظر خبر الأعشى مع المحلق فى شرح أدب الكاتب ، لابن السيد ٣٩٠ ، وقد تقدم . (٣) فى ا ، ب : « خمول » ، والمثبت فى : ج .
(٤) الإرقال : الإسراع . (٥) الخصل : إصابة الغرض . (٦) فى ا : « رحم » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٧) استنزه : استبعد . (٨) فى ا : « سود » ، وفى ج : « سره » ، والمثبت فى : ب . (٩) الأبيات لأبى الطيب ، وهى فى ديوانه ١٦٥ بغير هذا الترتيب .
وفى الديوان : « واللج الذى » .

وتراه معترضاً لنا ومُوليّاً أخداقُنا وتحارُ حين يُقابلُ [(١)]

كلماتُه قُضُب وهنَّ فواصلٌ كلُّ الضَّرائبِ تحتهنَّ مَفاصلُ

مقطَّعاته كالسحر الحلال ، والسَّلسبيل السَّلسال .

والمثل السائر ، والنَّادر المُنْجِد والغائر .

لا يُمكن الاحتذاء على مِثالها ، ولا تطول أعناق الهِمَم إلى مِثالها .

إن شبَّه فالمُعتزيَّات [(٢)] واجمة ، أو أغرب [(٣)] فالمُغرِبات راغمة .

ذو الأخلاق الأرْيحيَّة ، والأحكام الشُّريحيَّة [(٤)] .

والشجاعة العَنْترية ، والنصائح البُحترية .

من هو في الزهد [(٥)] كأُوَيْس [(٦)] ، وفي الحِلم كالأحنف بن قيس .

إياسُ [(٧)] الزَّكَن ، عَرِيٌّ عن اللحن واللَّكَن .

كان قِدْماً أبوه في العلم والزهد يُساوِي سَمِيَّه زكريا ، فاقْتفى أثرَه وأرْبَى عليه وله صار وارثاً ووليّاً .

أُنْهِي إليك أيها المولى الباذخ فَخارُه ، الشامخ عَلَى النجم مَنارُه .

---

(١) في ب : « معترضا لنا ومواليا » ، والمثبت في : ا ، ج ، والديوان .

(٢) نسبة إلى ابن المعتز . (٣) في ا ، ب : « وأغرب » ، والمثبت في : ج .

(٤) نسبة إلى القاضي شريح بن الحارث الكندي .
من أعظم القضاة في الإسلام ، كان له قضاء الكوفة زمن الراشدين ، وظل قاضيها حتى أيام الحجاج ، واستعفى فأعفى سنة سبع وسبعين ، وتوفي سنة ثمان وسبعين .
شذرات الذهب ١/٨٥ ، وفيات الأعيان ٢/١٦٧ .

(٥) في ا ، ب : « للزهد » ، والمثبت في : ج . (٦) أويس بن عامر القرني .
تابعي ، زاهد ، متنسك .
سكن الكوفة ، واستشهد سنة سبع وثلاثين .
حلية الأولياء ٢/٧٩ ، شرح المقامات للشريشي ٢/١٦٠ ، ميزان الاعتدال ١/٢٧٨ .

(٧) القاضي إياس بن معاوية بن قرة المزني .
كان آية في الذكاء والفطنة ، وكان زكنا يظن الظن فيصيب فيه .
توفي سنة اثنتين وعشرين ومائة .
ثمار القلوب ٩٢ ، وفيات الأعيان ١/٢٠٤ ، ترجمة رقم ١٠٢ .

أن هذا بعضُ ما أدركه أسيرُ امْتهانِك ، وهدفُ سِهام امْتحانِك .

من بعضِ أوصاف حميدِ شِيَمك [(١)] ، التى حوَيْتها بعَلِيِّ هِمَمِك [(٢)] .

التى أفْحمتْ كلَّ مُعارض يُجارِى ، وأوْجمتْ كلَّ معاندٍ يُمارِى .

ورجمتْ مُناوِيك بِشُواظٍ من نار ، وألْجمتْ كلَّ ذى لَسَنٍ يُقاوِيك بِلجام العِىِّ والبَوار .

فكيف أقْوَى بعد جُرْمِى [(٣)] بها ، وتحقُّق وَهْى فيها ، على سَلِّ مُرْهَف المَقال ، والتَّجاسُر فى حضرتك على إطْلاق عِنان المَقال .

مع علمى بصُلود قِدْحِى [(٤)] ، ومعرفتى وَسْمَ قَدْحِى .

وإنى إن [(٥)] جعلتُ نفسى لِسهام سَطْوتك هدَفا ، أوْردْتُها من وَخيم مَناهل بطشِك تلَفا .

ثم لا أجِدُ لى من الانْتِساب إلى معرفة جَنابك شافعا ، ولا من الانْتماء إلى خدمة أعْتابك عن [(٦)] أليم عقابك دافِعا [(٧)] .

وما [(٨)] عسى أن أقول ، وعلى أى قِرنٍ أصُول .

وأنت سَحْبان وائل ، وأنا أعْيَى من باقِل .

ولقد عُرِفتَ وما عُرِفت حقيقةً ولقد جُهِلتَ وما جُهِلت خُمولَا [(٩)]

ما كلُّ من طلَب المعالى نافِذاً فيهـا وما كلُّ الرجال فُحولَا [(١٠)]

والرِّسالة التى تَقُوَّم بِعدَّة رسائل ، هو ماقال القائل [(١١)] :

---

(١) فى ب : « شيمتك » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : «همتك » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ا : « جزعى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) القدح : السهم قبل أن ينصل ويراش .

(٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٦) فى ا : « من » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٧) فى ب : « مدافعا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٨) فى ج : « وماذا » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٩) البيتان لأبى الطيب ، وهما فى ديوانه ١٣٦ . ورواية الديوان : « فلقد عرفت » .

(١٠) فى الديوان : « ولا كل الرجال » . (١١) البيتان للحصين بن الحمام المرى والبيت الأول فى الأغانى ٢٦٧/١٢ ، والأشباه والنظائر ١٤٣/١ ، وانظر حاشيته ، والبيت الثانى فى الأصمعيات ٦٩ ، وانظر التخريج فى صفحة ٦٤ .

تأخَّرتُ أستبقِ الحياةَ فلم أجِــدْ ... لنفسِي حياةً مثلَ أن أتقدَّما

فلستُ بمُبْتاعِ الحيــاة بذلَّةٍ ... ولا مُرْتقٍ من خشْيةِ الموت سُلَّمَا (١)

وكنتُ برهةً طالما اقتدحتُ زِنادَ فكرى ، فى وَصْفِ مَعاليك فما قَدَح ،

واسْتصدحتُ عَنْدليبَ شعرى ، فى وَصْفِ مَساعيك فما صَدَح .

فأصبحتُ من زخارِف آمالى ، وزَيْفِ نقود (٢) أعمالى ، على رَكِيَّة (٣) جفَّت

مَذانِبُها ، وروضةٍ أغْبَرَّتْ جوانبها .

وصرتُ الآن كقَطاةٍ لم يَعْلَق لها جناح ، عِلق بها من جأشِك لامن

الأيام جُناح .

ونُصِبتْ لها فى حرمك الأشْراك ، وأعْوزها البَشام والأراك .

والذى حوَّل حَمَّالى ، وهَيَّج بلابِل بَلْبالى (٤) .

هو ما أنا شارحُه ، وبين يديك الكريمتين طارحُه .

سمعتُ حــديثاً ماسمعتُ بمثلِه ... فأكثرتُ فيه فِكرتى وتعجُّبِى

وها أنا أُلقيــه إليك مُفصَّلاً ... فدونك فاسْمعْ مايسرُّك واطْرَبِ

وذلك أنا صادفْنا خُلْسةً من خُلَس الاتِّفاق ، فى مجاس بعضِ الموالى الرِّفاق .

الذين حضورُ مجالسهم شرفُ دهر ، واستئْناف عُمر ، ورفعةُ قَدر .

والذين هم عيونُ أعيان (٥) أصدقائك ، وأجَلُّ جِلَّة مُحبِّيك وأخِلَّائك .

تتنافَث فيه رُقَى الأشعار ، وتتساجَل من فِقَرها ما يفعل فى العقول فعلَ الأسحار .

---

(١) فى الأصمعيات :

فلستُ بمُبتاعِ الحياةِ بسُبَّةٍ ... ولا مُبتغٍ من رهبة الموت سُلَّمَا

(٢) فى ج : « نقرة » ، والمثبت فى : ا ، ب .

والنقرة : القطعة المذابة من الذهب والفضة . القاموس (ن ق ر) .

(٣) الركية : البئر بها ماء .

(٤) البلبال : الهم ووسواس الصدر .

(٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

ونَتفاوض منها فى المُحْكَم والمُتشابه ، والشَّرطِ الذى لا يحسُن القريض إلَّا به .
مع سادةٍ هم لَعمرى نجومُ الفضل والأدب ، وبُدورُ الحسَب والنسَب .
فبينما نحن نجُول فى تلك الحَلْبة ، ونرتشِف من مَحْض تلك الحَنْبة .
إذ سقط علينا من السَّما ، وفاجأنا من العَما[1] ، من أسكرتْه حُميَّا قُربك ، وأقْمَس مَنكِبيْهِ كونُه من حِزْبك .
فهو لا يرتضى غيرَ حالِه حالا ، ولا يعُدُّ غيرَ قالِه قالا .
فجعل ينُصُّ[2] لنا من مُخدَّرات أبكار أفكارِه ، ويجلُو علينا من قاصِرات نِظامِه ونثارِه .
ما زعم أنَّهُنَّ كاللُّؤلؤ والمرجان ، لم يطْمِثْهُنَّ إنسٌ قبله ولا جانّ .

ولنــا القولُ وهو أدْرَى بفحْوا ... هُ وأهدى فيــه إلى الإعجازِ[3]
ومن النـاسِ من يُمرُّ عليــه ... شعراءٌ كأنهـا الخـازِ بازِ[4]

فاعتقدْنا ما اعتقدنا ، ونَقَدْنا ما نقدنا .
وأقمْنا لبضاعة قريضه سوقا ، ونهجْنا للأخْذ والعطاء فيه طريقا .
فرأينا[5] النُّقاوة[6] فانتقيناها ، وأريْناه النُّفاوة[7] التى انتفيناها .
فأوْتَر لذلك قوسَ غضبِه بوتَر المَثالب ، ورمَى المملوكَ من تعنُّتِه بكلِّ سهمٍ صائب .
وتكشَّف عن خُلُق ليس بينه وبين الجميل نسَب ، ولا له إلى التثبُّت[8] طريقٌ ولا مَذْهب .
وهو بسَيْف تعسُّفِه صائل ، ولم يعلمْ قولَ القائل :

إن بعضًا من القَريض هُراءٌ ... ليس شيئًا وبعضُه إحكامُ
منه ما تجلِبُ البراعةُ والفضْ ... لُ ومنه ما يجلبُ البِرْسَامُ[9]

---

(١) يعنى : « العماء » . (٢) ينص مخدرات أفكاره : يظهرها ويكشف عنها .
(٣) فى ج : « وهو أدرى فيه إلى الإعجاز » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٤) الخازباز : ذباب يكون فى الروض ، أو هى حكاية أصواته . القاموس (ب و ز) .
(٥) فى ج : « فأدينا » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٦) النقاوة : خلاصة الشىء .
(٧) النفاوة من الشىء : رديه . (٨) فى ج : « التشبث » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٩) البرسام : علة يهذى فيها . القاموس (ب ر س م) .

فلما رأى أنى لستُ ممن تغتاله غَوائلُه [1] ، ويُصطاد فى حبائِلِه .

وأنى وإن [2] طلبتُ للشِّعر عَيْبا ألفَيْتُه ، وإن كافحنِى قِرْنٌ لقيتُه .

وأنه [3] إنما تخضع الرِّقابُ لمن وجدتْ فيه فَضلا ، وتُنقل الأقدامُ إلى من كان للزِّيارة أهلا .

فاضْرب [4] عن المُجادلة صَفْحا ، وسحَب ذيلَ تَناسِيه على رَسْم المُساجلة مَرَحا .

ثم لمَّا ودَّعنا ، وغاب شخصُه عنَّا .

حمَلناه على أحسن مَحْمَل ، ونسبْناه إلى ماهو من الجميل أجْمَل .

ولم نعلم أنه ركَض علينا فى مَيْدان حضرتك ، ووضع قدمَ قولِه حيث شاء من الكلام فى سُدَّتِك .

وما لكلام الناس فيما يَرِيبُنِى أصولٌ ولا للقائلين أصولُ [5]
أعادَى على ما يُوجِب الحبَّ للفتى وأهـدأُ والأفكارُ فِىَّ تجُولُ [6]

فلم أشعُر إلَّا [7] منذرا [8] إيعادُ [9] مولاىَ علاه [10] لَدَى الباب ، يذكُر ماحصَل لجنابِه من التحمُّل [11] والاضْطراب .

فيالله العَجَب كيف أصْغَى للنَّميمة ، وبالَغ كلَّ المبالغة فى الشَّتيمة .

ولم يُلهَم أن الرواياتِ تَمُرُّ وتعذُب ، والحكايات قد تصدق وتكذِب .

---

(١) فى ا : « الفوائل » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٢) لعل الصواب : « إن » بدون الواو . (٣) فى ب : « فإنه » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٤) فى ا : « فضرب » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٥) البيتان لأبى الطيب ، وهو فى ديوانه ٣٥٢ ، وفيه : « ولا للقائليه أصول » .
(٦) فى ب : «على من يوجب» ، والمثبت فى: ا ، ج ، والديوان . (٧) ساقط من: ب ، وهو فى: ا ، ج .
(٨) مكان هذه الكلمة بياض فى : ج ، وفى ب : « ومنذر » ، والمثبت فى : ا .
(٩) فى ج : « ميعاد » ، والمثبت فى : ا ، ب . (١٠) كذا فى الأصول ، والجملة مضطربة .
(١١) فى ج : «التمحل» ، والمثبت فى : ا ، ب .

ولم أرَ في عيوبِ الناسِ عيباً   كنقصِ القادرين على التَّمامِ (١)

وربما صدَّق مولانا مانُقِلَ إليه ، وما عُرِض من الافْتراء عليه .

من أنى استهْجنتُ شعرَه الرائق ، واستوجَمْتُ نثرَه الفائق .

أو من تقدَّمه من متقدِّمي هذه الصناعة ، وجالِبِي هذه البضاعة .

من كلِّ مَن إذا رام اقْتناصَ نوادرَ بديعيَّة (٢) ابْتدعَها ، أو غاص في بحار المعاني على جواهرَ (٣) اخْتراعيَّة اخترَعها .

أو قال أبياتا أبْرزها غُرَرَا ، أو نَظم فِقَراً جعلها دُرَرَا .

وأنا أُعِيذ سيدى (٤) أن ينظُر الذنبَ الخَفِيّ ، أو يتغافَل عن العذر الجَلِيّ .

تطيعُ الحاسدينَ وأنت امرؤٌ   جُعِلتُ فِداؤُه وهُم فدائِي (٥)

أأنطِقُ فيكَ هُجْراً بعد علمي   بأنكَ خيرُ مَن تحت السماءِ

وهَبْنى قلتُ هذا الصبحُ ليلٌ   أيَعْمَى العالَمونُ عن الضِّياءِ

وإنما طريقُ العلم نَهْجٌ تستوى فيه الأقدام ، ومَوردُ الفضل مَشْرَعٌ تتشارك فيه الأفهام .

ولكنِّي أقول (٦) :

أرى المُتشاعِرين غَرُوا بذَمِّي   ومَن ذا يحمَد الداءَ العُضالَا

ومن يكُ ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ   يجدْ مُرًّا به الماءَ الزُّلالَا

فوالذى حرَّم وَطْءَ حُرُمِ الأعراض ، وعظَّم أجرَ غَرَضَ أسْهُمِ الأغراض .

---

(١) البيت لأبى الطيب ، فى ديوانه ٤٧٦ ، وفيه : « فى عيوب الناس شيئا » .

(٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٣) فى ج : « جواهره » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٤) فى ج بعد هذا زيادة : « من » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) الأبيات لأبى الطيب ، وهى فى ديوانه ٧١ ، وفيه : « وأنت مرء » .

(٦) البيتان لأبى الطيب ، وهما فى ديوانه ١٣٠ .

مايليق بشأنِك ، ولا يحسُنُ بعُلوِّ مكانِك .

أن تكون خفيفَ رِكاب الغضَب والرِّضا ، أو تكونَ رخيصَ مَهر الحبِّ والقِلَى .

وأن [١] تُسارِع إلى شنِيع العَتْب ، أو تُسلِف العقوبة قبلَ ارْتكاب الذنب .

ولقد عجبتُ كلَّ العجَب حيث لم تدرِكِ الصواب ، فى تعْيين بَشاعةِ الجزاء . وشَناعة [٢] العقاب .

وأنت المشهور بالصواب [٣] فى أحكامِك ، والمعروف بإصابة اليقين بسِهام أوْهامِك .

وفى حلِّ عُقَد المشاكل ، كما قال القائل [٤] :

قاضٍ إذا التبس الأمْرانِ عَنَّ له رأىٌ يُخلِّص بين الماء واللبنِ

القاصلُ الحكمَ عَىَّ الأوَّلون به والمُظهِر الحقَّ للسَّاهِى على الذَّهِنِ [٥]

فلو عرفتُ [٦] وجه سَخَطِك ، وتبيَّنْتُ مُوجِب شَطَطِك .

لتحمَّلْتُ دونك الوِزْرَ فى ظُلْمى ، ولكنتُ مُقدِّمَتَك إلى [٧] سَبِّى وذَمِّى .

ولأزْمَعْتُ أن أضع نفسِى فى الكِفَّة التى وضعْتنى فيها ، وأن أُنْزِلها فى [٨] المنزِلة التى أهَّلتنى لها .

لعِلْمى أن حُكومتَك لا تُنْقَض ، وحُجَّتَك لا تُدْحَض .

لكن يتواضَع الليثُ لصَيْد الأنب ، وافتِراس الثعلَب .

---

(١) فى ج : « أو أن » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) فى ب : «أو شناعة» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ب : «فى الصواب» ، والمثبت فى : ا ، ج.

(٤) هو أبو الطيب ، كما جاء فى ديوانه ١٥٧ . (٥) فى ا ، ب «عن الذهن» ، والمثبت فى : ج ، والديوان . ورجل ذهن : ذكى فطن .

(٦) فى ج بعد هذا زيادة : «به» ، والمثبت فى : ا ، ب . (٧) فى ج : «فى» ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٨) فى ا : «إلى» ، والمثبت فى : ب ، ج .

وإن كان يَصْطاد الفِيل ، ويفترس العَنْدبيل (١) .

حسبُك اللهُ ماتضلُّ عن الحقِّ ولا يَهْتَـــدى إليك أثامُ

لِمَ لَمْ تحْذَرِ العواقبَ فى غَيْـ ـرِ الدَّنايا وما عليك حَرامُ (٢)

والعقاب الذى حكَم به مولانا على عبده مَرْضِىّ ، وقضاؤه على مملوك رِقّه مَقْضِىّ .

لكن حيث كان الخوض فى شعر الناقل محصورا ، والنّقد على زُيُوف محصول دِيوانه مقصورا .

لو قصَر تم السببَ على ذلك المُسبِّب ، لكان أظهرَ للإغلال وأنْسَب .

بشأن الحب أنّ (٣) ذلك العُنوان ، ليس إلا فى شأن ذلك الدِّيوان .

وليعلمَ الخاصُّ والعام ، ويُتحَدَّث فى المحافل عاماً بعد عام .

بأن مولانا لم يُخطِ فى حكمِه ثُغْرَة السَّداد ، ولم يزِغ برَسْمه عن شريعةِ الرَّشاد .

فلَعَمْرِى لقد جاءنى (٤) الدَّاء ، من مَظِنّة الدواء .

وكنت أعددْتُ مولاى لكلِّ مطلوب جَناحا ، ولظُلمات الخُطوب مِصْباحا .

قد كنتَ عُدَّتِىَ التى أرْمى بِهــــا ويدى إذا اشْتَدَّ الزمانُ وساعِدِى (٥)

فرُمِيتُ منك بضِـــدِّ ما أمَّلْتُه والمرء يشْرَق بالزُّلالِ البارِدِ (٦)

أقول ذلك إجلالا واحتراما ، لا اختباراً واستفهاما .

فإن الأمورَ بيد الله،والأرزاقَ فى خِزانة الله .

قد لَعَمْرِى أقصرتُ عنك ولِلوَفْـ ـدِ ازْدِحامٌ ولِلعطاء ازْدِحامُ (٧)

---

(١) لعله مقلوب العندليب ، وفى القاموس (ع ن دل) : والعندليل ، بلامين : ضرب من العصافير » .

(٢) فى ج : « لم لا تحذر » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) فى ج : « إذ » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٤) فى ج : « جاء فى » والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) فى ج: «التىأسطو بها» ، والمثبت فى: ا ، ب .   (٦) عجز هذا البيت فىالتمثيل والمحاضرة ٢٥٦ .

(٧) البيتان لأبى الطيب ، وهما فى ديوانه ١٥٢ ، وفيه : « وللعطايا ازدحام » .

ومن الرُّشْـدِ لم أَزُرْكَ على القُر ... بِ على البُعدِ يُعرَف الإِلْمامُ[1]

لى والله ياسيدى قلبٌ لا تقلّبُــه السرّاء ولا الضّرّاء ، وعِرْضٌ غــيرُ مَلوم لا يُدنِّسُه المِراء[2] .

طالما نطقتُ بلسانٍ تُشبِه خِلْقتُــه خِلْقةَ إنسان ، ونَمَّقْتُ بِكَلِمٍ[3] كأن لسانَه لسانُ السِّنان .

لا يعثُر جوادُها[4] فى مِضْمار الـكلام ، وصُلْت بحُسامِ هِمّة لا يَنْبُو شَباهُ عن ضرب أعناق المَرام .

لم أُوجَد بحمد الله تعالى كاسِدَ الشِّعْر ، رخيصَ السِّعر .

نَزْرَ[5] الـكلام ، كسلانَ الأقلام .

غافلاً عما هو من الحقوق مُتَعَدٍّ أو[6] لازم ، جاهلا بمـا هو للأَنَفَة مُحرِّك أو جازم .

وما الحداثةُ من حِـــلْمٍ بمانعةٍ ... قد يُوجَد الحلمُ فى الشُّبّانِ والشِّيبِ[7]

فليتك ياسيدى ومولاى تقول :

إنّى امرؤٌ لا يعترِى خُلُقِى ... دَنَسٌ يُكدِّرُه ولا أفَنُ

وكل هذا لا يُساوِى هذا المَلَق ، ولا يستغرِق السجعَ المُلفَّق .

وإن تيقنتَ أبقاك الله جميعَ ما نُقِل عنِّى ، أو زعمتَ أنه صدَر منِّى .

فطالما كانت الهَفْوةُ عند الـكريم سبباً لجميل الرُّجْعَى ، والنَّبْوةُ سُلَّماً عند الحليم إلى كريم العُتْبَى .

---

(١) فى ج : « بل على البعد » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والديوان .

(٢) فى ج : « العرا » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) فى ج : « بقلم » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٤) فى ج : « جواداها » ، والمثبت فى ا ، ب .

(٥) فى ا ، ب : « أنذر » ، والمثبت فى: ج .

(٦) فى ب : « و » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٧) البيت لأبى الطيب ، وهو فى ديوانه ٤٤٧ ، وفيه : « فما الحداثة » .

والصِّلةُ بعد القطيعةِ أبقَى ، والوُدُّ بعد النُّفْرَةِ أخلصُ وأصفَى .

ولطالما انكسرت المودةُ فانجبرت ، وانقلبت[1] الأحوالُ بعد ما أدبرت .

فليس لما صدرَ تُربةٌ تحتمل غِراسا[2] ، ولا قرارةٌ تسعُ أساسا .

والكذبُ عائدٌ على مَن حَكاه ، والغلَط مَردُود على من رواه .

فإنه صَيْرَفِيُّ دراهمٍ ، لا صَيْرَفِيُّ مَكارم .

وإنما هو تاجرُ قِيل وقال ، لا تاجرُ مَقال وأفعال .

دعونِيَ والواشِي فها أنا حاضرٌ وصوتِيَ مرفوعٌ ووجهيَ بارِزُ

والمرء أقصرُ ما تكون بَنانُه ، إذا طال لسانُه .

وإنما يتلمَّظ بحلاوة العُرس ، من احتمل مَهْرَ العِرس .

أنفُ الكريمِ من الدَّنيةِ تارِكٌ في عينِه العددَ الكثيرَ قليلاَ[3]

والعارُ مَضَّاضٌ وليس بخائفٍ من حَتْفِه مَن خاف مهما قيلاَ[4]

ولئن عاد إلى التَّمْريض ، والادِّعاء في إجادة القَريض .

لم أدَعْ في لساني فضلةً إلا أحضرتُها ، ولا في قلبي سَجْعةً إلا نثرتُها .

ليعلمَ أن الكريمَ من أكرَمَ الأحرار ، واللئيمَ من ازدرَى بالأخيار .

وأن الرِّياسة ، حيثُ النَّفاسة .

وأنِّي ممن إذا رمى صاد ، وإذا قال أجاد .

وأن الحرَّ إذا جرَح أسا ، وإذا خرَق رَفا .

ومن بسَط عُذْرَ الأيام ، فقد بسط عُذْرَ الأنام .

---

(١) في ب : « وأقبلت » ، وهي رواية حسنة ، والمثبت في : ا ، ج

(٢) في ج : « غراما » ، والمثبت في : ا ، ب . (٣) البيتان لأبي الطيب ، وهما في ديوانه ١٣٥ .

(٤) في الديوان : « من خاف مما قيلا » .

ومن جهِل المتاع ، فلْينظرُ المبتاع .

جعل الله أوقات مولانا صافيةً من الكدَر ، خالصةً من الغِيَر .

ومَساعيه محمودةَ الأثر ، وعلومَه زاكيةَ الثَّمر .

إنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

أيا عاتباً لا أحمِلُ الدهرَ عَتْبَهُ ... عليَّ ولا عندى لأنْعُمِه جَحْدُ

سأسكتُ إجلالاً لعلمِك إننى ... إذا لم تكن خَصْمِي لِيَ الحُجَجُ اللُّدُّ (١)

***

ومن شِعره النَّقِيّ ، ما كتبه لبعض أحبابه فى صدر رسالة :

أيها السيدُ الذى أنا عبدُهْ ... والذى أنطَقَ المدائحَ مجدُهْ

لى إلى وجهِك الجميلِ غرامٌ ... فى يديْه عَفْوُ اشْتياقٍ وكَدُّهْ

أنا إن زرتَ أو تخلّفتَ عبدٌ ... بل وَلِيٌّ صفاً وحقِّك وُدُّهْ

يستوى فى الوفاء قُربى وبعدِى ... وسواءٌ قُربُ الولىِّ وبُعدُهْ

سوف أُثنِي على مودةِ مولًى ... ضاق عنها شكرُ الكلام وحَمْدُهْ

***

وقوله فى بعض الصدور :

حدَّثتُ باليأسِ منك النفسَ فانصرفتْ ... واليأسُ أحمدُ مَرجُوعاً من الطمعِ

فكُن على ثقةٍ أنِّى على ثقةٍ ... أن لا أُعلِّل نفسِى اليومَ بالخُدَعِ (٢)

فما يَضرُّك عندى اليومَ هجرُك لِي ... ولستُ إن سُمْتنِي وصلاً بمُنتفِعِ (٣)

---

(١) فى ب : « لى الحجج اللد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، واللجج ، جمع اللجة ، وهى المرة من اللجاج .

(٢) فى ا : « أعلل نفسى اليوم بالجذع » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ا : « وصلا بمنقطع » ، والمثبت فى : ب ، ج .

هجرتُ ذِكْرَكَ عن قلبي وعن أُذُنِي ... وعن لسانِي فقُل ما شئتَ أو فَدَعِ
إذا تباعدت قلبي عنك مُنصرِفٌ ... فليس يُدْنيكَ منِّي أن تكون مَعِي

***

ومن ظرفه قوله :

أمُعِيرُ قَوْلي أنت سمعك مرّةً ... كَرَماً فأذكُرُ إن رأيتُ فُضولَا
والنصحُ قُرْطٌ ربما يُجْدِي الفتى ... في السمعِ محمولُ النَّهِيِّ ثقيلَا[1]
وسواكَ يفْهم إن عنيْتُ بِمقْولي ... فعلَى استماعِك أجعلُ التَّعْويلَا
وإذا نظرتَ وأنت عارفُ عِلّةٍ ... لم تَعْيَ عن أن تعرف المَعْلولَا

***

وكتب لبعض أخلائه :

أُكلِّفُ نَسماتِ البُكورِ تكلُّفاً ... بحَمْلِ سلامي أو بثِّ غرامِي
فتدْنَفُ مما قد تضمَّن من جوًى ... وتضعُفُ عن أعْباءِ شرحِ أُوامِي
وتعثُرُ في الأذْيالِ من ثِقْلِ حملِها ... ويُزعِجُها فيه لهيبُ ضِرامِي
فرِقَّتُها من رحمةٍ لي وطِيبُها ... شَذَى مِدْحتي فيكمْ ونَشْرُ سلامِي

***

وكتب إليه مفتي الشام عبد الرحمن العِمادِيّ[2] ، وهو قاضٍ بطَرابُلُس[3] :

مولايَ أُنسِي الذي طابتْ طَرابُلُسٌ ... به وأصبح فيها الوحشُ في أُنسِ
ومن غَدا فضلُه في العصرِ مُشتهراً ... كالشمسِ في شَفَقٍ والصبح في غَلَسِ

(١) النهي : الناهي .
(٢) تقدمت ترجمته، في الجزء الثاني صفحة ٩٤ ، برقم ٦٧ .
(٣) الأبيات في خلاصة الأثر ٣/ ٢٤ .

أنتَ الذى فَخَرَ العصرُ العصورَ بهِ   وقصَّرتْ كلُّ مصرٍ عن طَرابُلُسِ [1]

قد كان لى حَرُّ أشوقٍ فضاعَفَه   قُربُ الديارِ كشَبِّ النارِ بالقَبَسِ [2]

لكن رجَوْنَا لقاءً منك يُطفئه   يا رَبِّ فاجعلْ رجانا غيرَ مُنعكِسِ [3]

فأجابه بقوله [4] :

هذا كتابُك أم ذِى نفحةُ القُدُسِ   يا طيَّبَ اللهُ زاكِى عَرْفِ ذَا النفَسِ

فقد حلَا كُلَّما كرَّرْتُه بفَمِى   كأنه أشْنَبٌ قد جادَ باللَّعَسِ

كأنَّما كلُّ سَطْرٍ مُفْعَمٍ أدَباً   غُصنٌ تُوَقِّره الأثمارُ لم يَمِسِ

كأنَّهنَّ المَهارِى وفْوُها دُرَرٌ   وفى سوى القلبِ والأسماعِ لم تَطُسِ [5]

نظمٌ بديع جِناسُ الإلتفات حَلَا   منه فباللهِ هذا ظَبْيَةُ الأنسِ

مخائلُ السحرِ تبدو من دقائقِه   كاللحْظِ أجفانُه مالتْ إلى النَّعَسِ

لنا به كلَّ وقتٍ عن سواه غِنًى   فى طلعةِ الشمسِ ما يُغنِى عن القَبَسِ

تكسو المَسامعَ أشنافاً صناعتُه   وتكْتسِى صُنْعَ صَنْعاء وأندلُسِ

فبينما نحن نَجْنِى من أزاهرِها   إذ أشرقتْ وهْى مثلُ الزُّهْرِ فى الغَلَسِ

وبينما هى تُجْلَى فى طَرابُلُسٍ   والشام طَلَّتْ على مصرٍ ونابُلُسِ [6]

أذْكَرَتنى منه ما لم أنسَه أبداً   ولم يزَلْ مُؤنسِى فى مجلسِ الأُنسِ

---

(١) فى ا ، ب : « نفر الأعصر العصور به » ، والصواب فى : ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) فى ب : « فى القبس » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٣) فى خلاصة الأثر : « فاجعل رجأنى » .

(٤) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/ ٢٤ ، ٢٥ .

(٥) لم تطس : لم تحسن ، والمهارى : جمع مهرية ، وهى إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان .

(٦) فى ج : « وبينما نحن » والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر ، وفى ا : « طالبت على مصر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

يا مَن تنزَّه عن إحصا فضائلِه ... هل فى حسابك أُنْسِى للعهودِ نَسِى [1]

وإنَّنى لَحَفِيظٌ للودادِ ولو ... أَعْياكَ رسمُ ودادٍ غيرُ مُنْدرِسِ

لا زلتَ عُمْدةَ أهلِ الفضلِ فى صَعَدٍ ... إلى العُلَى يا عمادِى غيرَ مُنْتكِسِ

مالِى سوى نسماتِ الشِّعرِ أبعثُها ... تحيةً لدمشق من طَرابُلُسِ [2]

⁂



---

(١) أنسى ، لقب الشاعر .

(٢) فى ج : «تحية من دمشق» ، والمثبت فى : ا، ب ، والخلاصة . وبعد هذا فى الخلاصة سينية أخرى للعمادى كتب بها إلى أنسى ردا على قوله هذا .

١٤٤

شيخ الإسلام زكريا بن بيرام*

مُفتِي الديار الرُّومِيّة ، والممالك العثمانيَّة ، وأجلُّ من كل مَن انفتحت عن مآثِره الشقائق النُّعْمانيَّة .

هو من جوهرِ الفضل مُكَوَّن ، وكتاب الدهر بمحاسِنه مُمْنون .

ما طلَعت نجومُ فتاوِيه إلا وأشرقتْ آفاقُ الدنيا رَوْنقًا وابتهاجا ، ولا امتطَى صَهَوات أبحاثه إلَّا كان له نُور الفهْم على دُهْم الإشكال سِراجا وَهَّاجا .

دَانتْ له الليالى فجلَى بها ظُلمات الحنادِس ، وتدَانتْ له سماء المعالى فاستقرّ بها وهو للنَّيِّرات الخمس سادِس .

حتى أصبح الدهرُ راوِيًا لخبر إفادتِه ، وناطقا بلسان إجادتِه .

وقد جمَع الفضائلَ كلَّها ، وحوَى المحاسنَ دِقَّها وجِلَّها .

ومع ذلك فهو مُطلَق الهمَّةِ لإسْداء الهِبات ، مُفيضٌ للمكارم على الفَوْر والثَّبات .

إذا هطَلت سُحْبُ إحسانه سقى الجود منه رياضَ المُنَى ، طلائعُ إحْسانِه بِشْرُه كما

(*) زكريا بن بيرام المفتى .

أصله من أنقرة ، وبها ولد ونشأ .

ثم قدم إلى قسطنطينية ، وأخذ بها على المولى عبد الباقى ، المعروف بعرب زاده ، ثم وصل إلى خدمة معلول أمير ، فصحبه معه إلى القاهرة ، فى سنة خمسين ، وشارك على بن غانم المقدسى فى القراءة عليه ، ولما وصل إلى قضاء أناطولى صيره حافظ التذاكر .

واشتغل بالتدريس فى مدارس القسطنطينية حتى وصل إلى السليمانية ، وولى منها قضاء حلب ، سنة ثمانين وتسعمائة ، وترقى بعدها إلى أن صار قاضى العساكر بأناطولى ، ثم عزل ، ودخل دمشق سنة أربع وتسعين وتسعمائة متوجها منها إلى الحج ، وعندما عاد إلى الروم تولى قضاء العسكر بروم ايلى ، وتولى الإفتاء سنة إحدى بعد الألف .

وفى هذه السنة توفى ، ودفن فى إحدى مدرستيه اللتين بناهما بقسطنطينية بقرب جامع السلطان سليم .

خلاصة الأثر ٢/١٧٣ ـ ١٧٥ ، حديقة الأفراح ١٢٣ ، نقلا عن النفحة .

سبَق النَّوْرُ غَضَّ الجَنَى .

لم يأتِ من المَراتب شيئاً فرِيًّا ، وكفَل الفضائل والفواضِل كفالة زَكريًّا[١] .

***

وكان مع تبحُّره فى المنْقول والمأْثور ، جامعاً بين حُسْن المنظوم ورَوْنَق المنثور .

وله فيهما ما تقفُ الفصاحةُ عنده ، وتقْفُو البلاغةُ حَدَّه .

فمن ذلك ما قرَّظ به « طبقات التَّقِيّ التَّميميّ[٢] » .

هـــذا كتابٌ فاق فى أقرانِهِ ۞ يَسْبِي العقولَ بكَشْفِه وبيَانِهِ

سِفْرٌ جليلٌ عَبْقَرِيٌّ فاخِرٌ ۞ سحرٌ حلالٌ جاء من سَحْبانِهِ[٣]

أوراقُه أشْجارُ روضٍ زاهرٍ ۞ قد تُجْتَنى الثَّمَراتُ من أفْنانِهِ

لله دَرُّ مُؤلِّفٍ فاق الورى ۞ بفرائدٍ فغَـدَا فريدَ زمانِهِ

فجزاه ربُّ العالَمين بلُطْفِه ۞ طبقاتِ عِزٍّ فى فسيحِ جِنانِهِ

« لما تعمَّقْتُ فى لُجَجِ هذا البحرِ الزَّاخر ، صادفتُ أصدافَ أصْنافِ الدُّرَرِ الكامنة النَّوادِرِ .

---

(١) يشير إلى قوله عز وجل فى سورة آل عمران ٣٧ فى شأن مريم وزكريا عليهما السلام : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ .

(٢) تقى الدين بن عبد القادر التميمى الغزى الحنفى .
عالم ، فاضل ، أديب ، جم الفائدة ، مفنن .
جال فى البلاد ، ودخل الروم ، وأخذ عنه علماء كثيرون .
اشتغل بالتأليف ، ومن أحسن مؤلفاته كتابه هذا « الطبقات السنية فى تراجم الحنفية » .
توفى سنة عشر ، وقيل سنة خمس ، وهو فى سن الكهولة .
خبايا الزوايا لوحة ١٣٤ ب ، خلاصة الأثر ١/٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ريحانة الألبا ٢/٢٧ ــ ٣١ ، كشف الظنون ٢/١٠٩٨ ، ١٠٩٩ .
والأبيات فى حديقة الأفراح ١٢٣ ، خلاصة الأثر ٢/١٧٣ ، وكذلك النثر بعدها .

(٣) فى خلاصة الأثر : « عبقرى ماجد » .

وألفيتُه روضةً غَنّاء زاهرةً أزهارُها ، وروضةً[1] زَهراء ناضرةً أنوارُها .

وَجنَاتٍ[2] شَقائقُها مُحْمَّرة ، وَجنّات حدائقُها مُخْضرّة .

تذكِرةً لعارفٍ تقيّ ، وتبصرةً لمستبصرٍ عن الرّذائل نقيّ .

جاوز الشِّعرَى بشِعرِه الفائق ، وفاق النَّثْرَة[3] بنثْرِه الرائق .

قد استضاء بجواهِرِه المُضِيَّة تاجُ تراجم الأعيان[4] ، فصار كأنه مرآةٌ انعكَس فيها صُوَر سِيَرِ الأسلاف وأشرافُ أفاضِلِ الزّمان .

اللّهم اجمعْ بيننا وبينهم فى غُرَف عَدْنٍ وطبقات الجِنان » .

ومما يرْوَى له من الشعر قوله[5] :

إذا ما كنتَ مَرْضِيَّ السَّجايَا وعاش الناسُ منك على أمانِ

فعِشْ فى الدهرِ ذا أمْنٍ ويُمْنٍ ويُوصِلُك الإله إلى الأمانِ[6]

***

وقوله فى الغزل[7] :

قد قتل العشاقَ من لَحْظِهِ دماؤُهم سالَتْ على الأوْدِيَهْ

ياعجباً من قاتلٍ إنه ليس عليه قَوَدٌ أو دِيَهْ

☆

---

(١) كذا فى الأصول ، والحديقة ، وفى خلاصة الأثر : « وزهرة » ، وهو أولى .

(٢) فى الحديقة : « ووجنات » .

(٣) النثرة : كوكبان بينهما قدر شبر ، وفيهما لطخ بياض كأنه قطعة سحاب . القاموس (ن ث ر) .

(٤) يشير إلى كتاب الجواهر المضية للقرشى ، وإلى كتاب تاج التراجم لابن قطلوبغا ، وهما فى تراجم الحنفية .

(٥) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/١٧٣ .

(٦) فى خلاصة الأثر : « إلى الأمانى » .

(٧) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/١٧٤ .

١٤٥

ولده شيخ الاسلام يحيي*

المولى الأعظَم ، والمَلاذُ الأعصَم ، والعُرْوة الوُثقَى التى لا تُفصم .
واحدُ الزمان ، وثانى النُّعمان .

طلع شمساً[1] فى فَلَك[2] الفتْيا فلما قابَل أرضَه البدرُ انْخسف ، ودار كل شهر على لِقاه فلما آيَس انْتَحل بل امْتَحَق من الأسَف.

فشَعْشَعت الآفاق منه غُرَّةٌ فى جَبِين المجد مُشرِقة ، واستقرَّ به فى ذلك المركز شخصٌ لم يدخُل العلومَ من بابٍ واحدٍ ، بل دخلَها من أبواب مُتفرِّقة .

فأطاعته الدولةُ إطاعةَ المملوكِ لمالـِكه ، ونفَذتْ كلمتهُ نَفاذَ كلمة المَليك فى ممالـِكه .

فى رياسةٍ مطارِحُ ظلالِها حرَم ، وكلُّ فِعالِها جودٌ وكرَم .

فلم يدعْ لفضل الفضل[3] ذِكراً ، وترك معروفَ يحيى بن خالد[4] نُـكْراً .

(*) يحيي بن زكريا بن بيرام ، شيخ الإسلام .
ولد بقسطنطينية ، سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، ونشأ بها .
واجتهد فى التحصيل على علماء عصره ، حتى برع وتفوق ، ولازم شيخ الإسلام السيد محمد بن معلول.
ثم درس بمدارس قسطنطينية ، وترقى فى التدريس الى أن وصل إلى إحدى المدارس الثمان ، ثم درس بمدرسة الشهرزاده ، ونقل منها إلى مدرسة والدة السلطان مراد الثالث باسكدار .
وسلك سلك القضاء ، فولى قضاء حلب ، سنة أربع بعد الألف ، ثم قضاء دمشق ، ثم قضاء مصر ، ثم قضاء بروسة ، ثم قضاء أدرنه ، ثم قضاء قسطنطينية ، ثم صار قاضي العسكر بأناطولى ، ونقل بعدها إلى روم ايلى ، ثم ولى الإفتاء السلطانى سنة إحدى وثلاثين وألف .
كان يحيي جواد ممدحا ، جمع التقى الفارسكورى مدائحه فى كتاب ، وكذلك فعل والد المحبى .
وجمع شيخ الإسلام محمد البورسوى فتاويه التى وقعت فى عهده ، فى كتاب سماه « فتاوى يحيي » .
توفى سنة ثلاث وخمسين وألف ، ودفن عند والده بمدرسته .
خلاصة الأثر ٤/٤٦٧ ــ ٤٧٢ .

(١) فى ا ، ج : « شمسيا » ، والمثبت فى : ب . (٢) فى ب : « تلك » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) يعنى الفضل بن يحيي بن خالد البرمكى ، وزير الرشيد ، المتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائة .
(٤) يحيي بن خالد البرمكى ، أبو الفضل السابق ، كان مؤدب الرشيد ومعلمه ، وقد رضع الرشيد مع ابنه الفضل ، توفى يحيي فى سجن الرشيد سنة تسعين ومائة .

بل لم يُبْقِ لكَعْبٍ[1] ، من عُلُوٍّ كَعْب .

وأنْسَى دعوة حاتِم ، بأيّ مادحٍ[2] وخاتِم .

تتنفّس الأسحارُ عن آثارِه ، وتتبَسّم[3] الأمانِي عن جُودِه وإيثاره .

والدنيا مشرِقةٌ بلألاء وجهِه المُضِى ، والأيامُ تغضَب إذا غضِب وترضى إذا رَضِي .

وقد ضمِنتْ مَساعِيه أن يُشكر ، وأن لا تعذُب الأفواهُ حتى يُذْكَر .

وله القَدْر الذى استخْدم الأنام ، واستعْبد الليالى واسترَقّ الأيام .

إذا أقبل فى كوكبِه وجَلالِه ، تسجُد الأجفانُ لتعْظيمه وإجلالِه .

فرأيُه سراجُ الملوك[4] ، وذلك من نظمه الذى هو نَظْم السُّلوك[5] .

وهو فى الأدب أوْحَدُ مَن لَان له الكلام ، فإذا أمْسَك القِرْطاس اختصمتْ أفْواهُ الدُّوِىّ فى تقْبيل أقدام الأقلام .

يستوقفُ العَلْيا جلالاً كلّما ... سجَد اليَراعُ بكفِّه تبْجيلا

لا تستنيرُ به المعَالى غُرَّةً ... حتى يسيل به النَّدَى تحْجِيلاً[6]

وكل من كان فى عصرِه ، فهو هاصِر غصنِ الأدب من محلِّ هَصْرِه .

وأكثرُهم عليه تخرَّج ، وفى بُستانِه تأرَّج .

ومن طبعِه اكْتسب ، وإلى طريقِه انْتَسَب .

فرِياضُ أفكارِه باسمةُ الثغور عن شَنَب المعانى والألفاظ ، وغِياضُ أشعارِه مُتفتِّحة عن وردِ الخدود ونَرْجِس الألحاظ .

---

(١) لعله يعنى كعب بن مامة الإيادى ، جاهلى جواد ، يضرب به المثل فى الإيثار وحسن الجوار .

(٢) فى ا : « ماح » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ا ، ج : « وتبتسم » ، والمثبت فى : ب . (٤) يشير إلى كتاب سراج الملوك للطرطوشى .

(٥) نظم السلوك لأبى بكر محمد بن عيسى بن اللبانة اللخمى . انظر كشف الظنون .

(٦) التحجيل : بياض فى قوائم الفرس .

تهزُّ أعطافَهَا ارتياحاً به القوافى ، وتحُثُّ لها[1] النُّدْمانُ أكؤُسها على الغُدْران الصَّوافِي .

مستظهِرٌ بعباراتٍ وألسِنةٍ تفَتَنَّتْ كالرياضِ الغُرِّ ألوانَا
أهْدَى إلى لُغَةِ الأعْرابِ تبَعَهَا ورقَّ بالمنطقِ التُّرْكِيِّ خاقَانَا

***

وقد أوردتُ له مايُحَلِّي الأدبَ كما يُحلِي السِّوارُ الزَّنْد ، ويفُوح عَرْفُه كما يفوح عَرْفُ العنبرِ النَّدّ .

فمنه قوله فى الغزل[2] :

ورَد النسيمُ بأطْيبِ الأخبارِ طاب الوُرودُ وسائرُ الأزْهارِ
سكِرُوا بخمْرِ الشوقِ حتى أظهرُوا مافى ضمائِرهم من الأسرارِ
فى جَمْعِهم لم تلْقَ إلا ماسِكاً قدَحا من الإبْرِيزِ والبلَّارِ
والحوضُ فيه مجالسٌ مَلَكِيَّةٌ والوَرْد كالسُّلطانِ فى الأطْوارِ[3]
لِعبَ الشَّمال بهم فحرَّكهم كما لِعبَ الشَّمُول بزُمْرةِ الشُّطَّارِ[4]

***

وقوله[5] :

كأنَّ بورْدِ خــدَّيْه عُقارُ شرِبْتُها حتى بَدا البلَّارُ[6]

***

البلار : لغة فى البِلَّور ، رأيته فى استعمال المُولَّدين ، منهم المعتمِد[7] بن عبَّاد ، على

(١) فى ج : « له » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤٧١/٤ .
(٣) فى خلاصة الأثر : « فى الأنوار » . (٤) فى خلاصة الأثر : « لعب الشمول بهم » .
(٥) البيت أيضا فى خلاصة الأثر ٤٧١/٤ . (٦) فى ا ، ج : «حتى بد البلار» ، والمثبت فى : ب .
(٧) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ٤٧١/٤ .

ماذكره فى « قلائد العِقيان » [1] :

جاءتْكَ ليلاً فى ثيابِ نهارِ من نُورِها وغُلالةِ البلارِ

والشُّرب [2] كناية عن التَّقبيل ، أُزيلت به الحمرةُ وبَدَا البياض .

***

ومن لطيف تخيُّلاته قوله [3] :

بحُلَّةٍ حمراء جاءتْ وقد تفُوح بالعنْبَر أذيالُهَا

حِلْيتُها لَعْلٌ وياقوتةٌ صِيغَ من العَسْجدِ خَلْخالُهَا [4]

***

وله تخميس على بُردة [5] الأبُوصيرىّ [6] بقوله [7] :

لمّا رأيتُك تذْرِى الدمعَ كالعَنَمِ غرِقتُ فى لُجَجِ الأحْزانِ والتُّهَمِ [8]

قُلْ لى وسِرِّ الهوى لا تخْشَ من ندَمِ أمِن تذكُّرِ جِيرانٍ بذِى سَلَمِ

مَزَجْتَ دمعاً جرَى من مُقْلةٍ بدَمِ

تُمسِى بعَيْنٍ بوَبْلِ الدمعِ ساجمةٍ ونارِ وَجْدٍ بجَوْنِ القلبِ ضَارِمةٍ [9]

فهل بَرِيدٌ أتَى من حَىِّ فاطمةٍ أم هبَّتِ الرِّيحُ من تِلْقاءِ كاظِمةٍ [10]

وأوْمَض البرقُ فى الظَّلْماء من إضَمِ

(١) قلائد العقيان ٦ .

(٢) فى خلاصة الأثر ٤/ ٤٧١ زيادة : « فى بيته » .

(٣) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/ ٤٧٢ .

(٤) اللعل : حجر كريم .

(٥) فى ا ، ب : « براءة » ، والمثبت فى : ج .

(٦) فى الأصول : « الأبى صيرى » أضاف صدر النسبة ، والإضافة إليها كلها كما هو معروف .

(٧) فى ب : « افتخر بقوله » ، وفى ج : « أوله » ، والمثبت فى : ا .
والتخميس أيضا فى خلاصة الأثر ٤/ ٤٧٠ ، ٤٧١ .

(٨) فى ج : « تذرى الدمع كالعلم » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة . وفى ا : « وفى لجج الأحزان والهم » ، وفى الخلاصة : « فى لجج الأحزان والألم » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٩) فى ا ، ج : « وناروجدى » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة .

(١٠) فى ج : « إلى من حى كاظمة » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .

متى السُّلُوُّ لأهلِ العشقِ عنه متى وحَبُّ حُبِّ سُلَيْمَى بالحشا نَبتَا[1]
إن تُنْكرِ الوجدَ عندى بعد ماثبتا فما لعينَيْك إن قلتَ اكْفُفا هَمتا
وما لقلبِك إن قلتَ استفِقْ يَهِم

تُرِيد تُخْفِى الهوى والدمعُ مُنْسجِمٌ وفى حَشاكَ لَظَى الأشواقِ مُضْطرِمٌ[2]
هيْهات كاتمُ سِرِّ العشقِ مُنْعدِمٌ أيحسَبُ الصَّبُّ أن الحبَّ مُنكتِمٌ
مابين مُنْسجِمٍ منه ومُضْطرِمِ

***

ومن إنشائه ، ما كتبه على كتاب فى الطب ، اسمه « مغنى الشفا »[3] :

ياله من روضةٍ شحاريرها أقلامُ المادِحين من النَّحارير ، وألحانُ سواجِعِها ماسُمِع لدى التَّحْرير من الصَّرير .

غصونُها أورقَتْ ولكنها بصحائفَ كأنها مملوءةٌ باللطائف أطْباق، وأثمرتْ والعجَب أنَّ[4] منابت أثمارها[5] بطونُ الأوراق .

مَن وقف عليها وتوقَّف فيما قلتُه من الوصف العارى عن المِرا ، فلا شك أنه مُبْتلًى بداء النُّوك[6] وليس له دَوا .

ولمَّا أجلْتُ نظرِى[7] فى رَبْوةِ حسنِها وبَهْجتِها ، ونَشَقْتُ شذَا رياحِينِها وشَممْتُ رَوْفَ نَفْحتِها .

وعايَنْتُ مجالسَ أُنسِها وقضيْتُ منها العجَب ، وحرَّك منِّى أوتارُ[8] سطورِ طُروسٍ بها[9] مالا يُحدِثه القانون من الطَّرب .

---

(١) فى ج : « لأهل العشق منه » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة، وفى الخلاصة : « فى الحشا » .
(٢) فى ج : « لظى الأشواق تضطرم » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .
(٣) هذا الفصل أيضا فى خلاصة الأثر ٤ / ٤٧٢ . (٤) فى ا ، ب : « إذ » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة .
(٥) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وفى الخلاصة : « ثمارها » .
(٦) النوك : الحمق . وفى الخلاصة : « الترك » ، وهو تحريف . (٧) فى ج : « ناظرى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة . (٨) ساقط من الخلاصة . (٩) فى الخلاصة : « طروسها » .

توجّهت بمَجامِع قلبي إليها ، وقلت مُؤْثِرا مُوجَز القول فى الثّناء عليها :

يا روضــــــةً فى رُباهَا دَوْحٌ غــدَا سَجْعُ طَيْرِهْ
مَغْنَى الشّفَاء ومُغْنٍ عنِ الشِّفاء وغـيرِهْ[1]

* * *

ومن نوادره ، أنه دخل عليه رجلٌ ، فوقف وسَوّى قامتَه ، ثم انْحنى ، ثم قبَض على لِحيته ، وجعل كأنه ينفُض عنها شيئا من آخرها ثلاث مرات ، ثم قال له[2] يُعَمِّى : باسم الفقير ؟

فقال له : اجلس يا إدْرِيس .

* * *

ومن هذا القَبِيل ما يُحكَى عن الصاحب ، أنه سأل رجلاً عن اسمه ، فأنشده :

وقد تستوى الأسماء والناسُ والكُنَى كثيرا ولـكن ماتساوى الخلائقُ

فقال له الصاحب : اجلس يا أبا القاسم .

*

(١) فى ج : « من الشفاء » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .
(٢) زيادة من : ج ، على ما فى : ا ، ب .

١٤٦

علىّ المعروف برِضائى*

سِبْط المفتى زكريا

علىّ الرِّضا (١) فى نَباهتِه ، وإن شئتَ فقل (٢) فى نزاهته .

ذُو البَنان الرَّطْب ، والبِشْر الذى يفرَق منه الخَطْب .

فسيح مدى الإغْضاء وفضاه ، مُنتقِبٌ وجهُ غضبه برِضاه .

انتَسخت شمائلُه من الصَّبا فى المَنازِه الرِّحاب ، وارتضعت خِلالُه مع طِفل النَّور أخْلافَ السحاب .

فيكاد من رقته يذوب ذوَبان على بن الجَهْم (٣) ، وتتقطَّر مِياهُ البراعة من أعْطافه إذا أخذتْه حرارةُ الفهْم .

(*) على بن محمد ، المعروف برضائى ، سبط شيخ الإسلام زكريا بن بيرام .
كان أديبا شاعرا ، خفيف الروح .
اختصر « خريدة القصر » للعماد الكاتب ، وسمى مختصره « عود الشباب » .
ولى قضاء القضاة بمصر ، سنة تسع وثلاثين وألف .
وفى هذه السنة توفى ، ودفن بالقرب من قبر القاضى بكار .
خلاصة الأثر ٣/١٨٧ ـ ١٨٩ ، حديقة الأفراح ١٢٤ ، نقلا عن النفحة .

(١) على بن موسى بن جعفر ، الملقب بالرضا .
وهو الذى عهد إليه المأمون بالخلافة من بعده ، وزوجه ابنته ، وغير من أجله السواد ، وهو شعار العباسيين ، إلى الخضرة ، وهو شعار أهل البيت .
توفى فى حياة المأمون ، سنة ثلاث ومائتين .
الأعلام ٥/١٧٨ .

(٢) فى ج : « قل » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) أبو الحسن على بن الجهم بن بدر القرشى .
شاعر عرف برقة شعره ، وخص بالمتوكل الخليفة العباسى .
قتل سنة تسع وأربعين ومائتين .
الأغانى ١٠/٢٠٣ ، وفيات الأعيان ٣/٣٩ .

وله قوة إلْهاميّـة ، على افتراع بنـات الأفـكار ، وسليقةٌ غريزيّة ، فى اختراع المعانى الأبكار .

ومن آثاره الفريدة ، « مختصر الخريدة » .

سماه « عود الشباب » ، كله أُبٌّ اللباب .

وكان ممن وَلِىَ قضاء القاهرة ، فافترّت مَباسِمُها عن فضائله الزاهرة .

وقد سلك فى قضائه بهـا أجـلَّ مَسلكٍ جَلِىّ ، وصـدَق الحديثُ المَرْوِىّ : « أقْضَاكُمْ عَلِىٌّ »[1] .

وبها عَطِل منه جِيدُ القضا ، على مقتضَى الحـكم الذى لا يُقابَل إلّا بالرِّضا .

فعلَى أخلاقه الرَّضيّة ، رضوانُ الله ورحمتُه الرّاضية المَرضِيّة .

***

فمن تَوْشِيات قلمه ، قوله فى الاعتذار عن اختصار الخريدة[2] :

ولمـا وجدت بعض نَقْده أزيَفَ من رائج زماننا ، شرعتُ فى تمييز الجِياد[3] واكتفيتُ باقْتطاف الجِياد[3] من ثمار[4] أغصانهـا ، بل قنِعت بالعَرْف الضائع من بانِها .

وإنى وإن فاتنى بعضُ جواهره فالغائصُ يُعذَر بما فى يديه ، ويُشـكَر الصَّبا مُقبِلا من الحبيب بعضَ عَرْفِ صُدْغَيْه .

فجاء بحمد الله تعالى غادةً تسْحر القلوب بألفاظها القُسِّيّة ، وألْحاظِها البابِلِيّة .

---

(١) قال ابن الديبع ، فى تمييز الطيب من الخبيث ٣١ : « قال شيخنا : ما علمته بهذا اللفظ مرفوعا ، بل فى مستدرك الحاكم ، عن ابن مسعود ، قال : كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة على . وقال : إنه صحيح ولم يخرجاه . قاله شيخنا .

ومثل هذه الصيغة حكمها الرفع على الصحيح » .

(٢) هذا الفصل فى خلاصة الأثر ٣/١٨٨ . (٣) ساقط من : ا ، ج ، وهو فى : ب ، وخلاصة الأثر .

(٤) فى ج : « أثمار » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .

تصيد القلوبَ [1] بألحاظِها التى زيَّنها الجمالُ بالفُتور ، فمن نظَر فيه يشتعِل قلبُه بالنار وتكتحل عينُه بالنُّور .

وإنى غيرُ آملٍ من أبناء الزمان تحسينَهم، وبقِلادة حُسْن القبول توشيحَهم وتزيينَهم.

فإنَّ مَن جرَّب الناس فى أمرهم ، يعرف أن الناس مُشتقُّون من دهرهم .

بل [2] مانؤمِّله [2] من كرمِهم الفسيح ، أن لا يُورِّدُوا وجهَه بالتَّصريح بأنه قبيح .

إنَّا لفى زمنٍ تَرْكُ القبيحِ به من أكثرِ الناسِ إحسانٌ وإجمالُ [3]

ثم ختَم الدِّيباجةَ بذِكْر خاله شيخ الإسلام يحيي [4] وجعل المختصر مُعَنْوَنا باسمه ، وأورد هذه الأبيات وأظنها من نظمه ، وهى [5] :

يا مُصدِرَ الآمالِ بُدْنًا بعـد ما سُقْنَا إليك مع الرَّجا أنقاضَها

عِشْ فى ذَرَى كافى الكُفاةِ مُصاحِباً نِعَماً بياضُ الصبح هاب بياضَها [6]

وخُذِ الجواهرَ من قلائد مِقْوَلى إذْ كان غيرى مُهْدِياً أعراضَها

***

قوله : « يعرف أن الناس مشتقون من دهرهم » يشير به إلى قول أبى الفرج العلاء الرئيس [7] الواسطىّ :

الناسُ مُشتقُّون من دهرِهمْ طَبْعًا فمن مَــيَّزَ أو قاسَا

يمتحن الدهرَ وأحــوالَه مَن شاء أن يمتحنَ الناسَا

***

---

(١) ساقط من : ا ، ج ، وهو فى : ب ، والخلاصة . (٢) فى خلاصة الأثر : « نؤمل » .
(٣) البيت لأبى الطيب ، وهو فى ديوانه ٥٠٠ . (٤) تقدمت ترجمته برقم ١٤٥ ، صفحة ٦٢ .
(٥) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، والأبيات فى خلاصة الأثر ٣/١٨٨ .
(٦) فى ا ، ج : « كاف الكفاف » ، وفى ب : « كاف الكفاة » ، والمثبت فى خلاصة الأثر.
(٧) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

واتّفق لى أن بعضَ الإخوان وعدنى بإرسال هذا المختصر وسوّف ، وشوّق العينَ لاجْتلاء روضِه النّضْر وشوّف[1] .

[2] فكتبَ إليه متمثلا[2] :

نَوالُكَ دونه حَجْبُ الحجابِ ومَن ناداك مفقودُ الجوابِ

إذا أمّلتُ يوماً منك وَعْداً كأنى أرْتجِى عَوْدَ الشَّبابِ

***

ومن شعر رضائى ، قوله مضمِّنا فى الدُّخان ، وقد[3] أبدع[4] :

غَلْيونُنا حين همّت كلُّ نائيةٍ به وسامَرنا همٌّ وأفكارُ

قد اهتديْنا إلى شُرْب الدُّخانِ به كأنه علَمٌ فى رأسِه نارُ

***

الغليون : أطلِق على سفينة معهودة بين العوامّ ، وعلى هذه الآلة التى يُوضَع فيها ورق التَّبْغ ويُشرَب ، وكلاهما غيرُ لغوىّ ، وهو فى اللغة اسم للقدر[5] .

***

والمصراع للخَنْساء ، من قصيدتها التى رثت بها أخاها صَخراً .

وأول البيت الذى هو ثانيه[6] :

* وإن صَخْراً لتأْتمُّ الهُداةُ بهِ *

---

(١) فى ج : « وشوق » ، والصواب فى : ا ، ب .
وتشوف إلى الشىء : تطلع إليه .

(٢) ساقط من : ج ، وسقط منها أيضا البيت بعده ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) سقطت « قد » من : ج ، وهى فى : ا ، ب . (٤) البيتان فى خلاصة الأثر ٣/١٨٨ .

(٥) لم أجد هذا فى المعاجم التى بين يدى .

(٦) من قصيدة لها فى ديوانها ٧٣_٨٥ ، وعد ابن قتيبة هذا البيت مما سبقت إليه ، وروى صدره :

* أشَمُّ أبْلَجُ تأتمُّ الهُداةُ بهِ *

انظر الشعر والشعراء ١/٣٤٧ .

وقد كثر تضمين الشعراء له فى مقاصد لهم وأجود ما رأيته من تضامينه قول العِزّ المَوْصِلِيّ [١] ، فى سامَرِّىّ [٢] ، اسمه نجم :

وسامَرِىٍّ أعارَ البدرَ فضلَ سَنًا ... سَمَّوه نجْما وذاكَ النجْمُ غَرَّارُ

تهْتزُّ قامتهُ من تحت عِمَّتِهِ ... كأنه عــــلَمٌ فى رأسِهِ نارُ

ومما عرَّبْته من شعره [٣] :

جرَّد لى من ناظِرَيْه مُرْهفًا ... ومثلُه من حاجبَيْهِ عاطِبِى [٤]

حيَّرنى فَدَيْتــــه أأغتدِى ... قُرْبانَ عَيْنَيْــه أم الحواجبِ



(١) عز الدين على بن الحسين بن على الموصلى ، الشاعر المشهور .
مهر فى النظم ، وجلس بدمشق مع الشهود ، وأقام بحلب مدة .
وله بديعية مشهورة ، عارض بها بديعية الصفى الحلى .
توفى سنة تسع وثمانين وسبعمائة .
الدرر الكامنة ٣/١١٢ .

(٢) نسبة إلى مدينــة سر من رأى بالعراق . انظر اللباب ١/٥٢٤ ، وهو فيــه بتشديد الراء ، وفى القاموس (س م ر) بالتخفيف .

(٣) بعد هذا فى ج زيادة : « قوله » .

(٤) فى ج : « ومثله من ناظريه » ، والمثبت فى : ا ، ب .

١٤٧

محمد بن بستان المفتى *

خِدْنُ الفضل وتِرْبُه ، ومن أمِن من المكروه سِرْبُه[١] .

يتفتَّق من المعارف مُكْنَة ، لكنه يرتضخ لُكْنَة .

فالكلام مشغوف بحلاوة لسانه ، والقول وَقْف على حُسْنه وإحسانه .

وهو من حين أقْمَر هلالُه ، راقتْ ولا ورَق البستان المُزهر[٢] خِلالُه .

وانْهَلّ صَيِّبُ جودِه وقد أرْبَى على انهلال السحاب انْهلالُه فشتّانَ بينه وبين البستان ، أو الصَّيِّب الهتّان .

وهيهات أن يكون من فيضُه خاصٌّ كمن فيضُه عامّ ، أو من يُؤْتِي أُكُلَه كل حينٍ كمن يُؤْتِي أُكُلَه كلَّ عام .

وقد أطلعه اللهُ منْظوراً بعين العناية المتواصلة المَدَد ، ومحْفوفاً بنهاية الرعاية على تَوالِي الآنات والمُدَد[٣] .

حتى سمَتْ رتبةُ الفُتيا بعالِي مَقامِه ، وطُرِّزت حُلَلُها الباهيةُ بوَشْيِ أرْقامه .

(*) محمد بن مصطفى ، المعروف أبوه ببستان ، الرومى .

مفتى الديار العثمانية ، ورئيس علمائها .

ولى قضاء الشام ، وقدمها سنة إحدى وثمانين وتسعمائة ، ثم ولى قضاء مصر ، ثم ترقى إلى قضاء العسكرين ، ثم قضاء مصر ثانية ، ثم سافر إلى القسطنطينية ، فولى بها قضاء العسكر ، ثم صار مفتيا سنة سبع وتسعين وتسعمائة ، وعزل ثم أعيد .

توفى سنة ست بعد الألف بقسطنطينية .

خلاصة الأثر ٤/٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(١) فى ا ، ج : « وسربه » ، والمثبت فى : ب . (٢) فى ج : « الزهر » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) فى ا : « والمهد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ثم فارقته ولم تصبر على نَواه [١] ، فراجعها بعد ما استحلَّت بسواه .

فعاد روضُ الفضل إلى نمائه ، وكوكب السَّعد إلى سمائه .

ولم [٢] يزل يُكحِّل [٢] الطروسَ بميل يَراعتِه ، ويُشنِّفُ الآذانَ بلآلئ بَراعتِه .

إلى أن ذَبُل بسموم المرض غَضُّ نَباتِه ،وقُطِفتْ بيد الحَيْن زهرةُ حياته .

***

فمما يُعَدُّ من زهرات بستانه ، ورشَحات أقلام بَنانه ، قوله في رِثاء سليمان [٣] زمانه [٤] :

ألا أيها النّاعِي كأنَّك لا تَدْرِي	بما قلتَ من سوءِ المَقالةِ والنَّشرِ [٥]
سَلَلْتَ سيوفَ الموتِ في الدهرِ بَغْتةً	وقد بلغ السيلُ الزُّبَى من جوَى الصدرِ [٦]
وشَقَّتْ قلوبَ المسلمين جراحةٌ	بصارمِ سيْفٍ قد مضَى ماضِيَ الأمرِ [٧]
سهامُ المَنايا من قِسِيٍّ صُرُوفِها	أصابتْ بسهمٍ في ابْتسامٍ من الفجرِ [٨]
نسيمُ الصَّبا رقَّتْ بأشْجانِ فُرْقةٍ	حمامةُ ذاتِ السِّدرِ حنَّتْ من الذُّعرِ
همامٌ على هــامِ المَمالكِ تاجُه	أمينٌ رشيدٌ في الخــلافةِ ذو قَدْرِ
أأَعْنِي جواداً في جوادٍ بذكْرِه	لقد سارتِ الرُّكبانُ في البرِّ والبحرِ [٩]
عزيمتُه في البحرِ كانت عظيمةً	وهِمّتُه فاقتْ على الأنْجُمِ الزُّهْرِ
وأيامُه كالشمسِ كانت مضيئةً	وأعوامُه في الحسنِ أبْهَى من البدرِ

---

(١) في ب ، ج : « ثواه » ، والمثبت في : ا .

(٢) في ب : « تكحل » ، والمثبت في : ا ، ج .

(٣) يعني السلطان سليمان القانوني ، وهو ابن السلطان سليم فاتح مصر ، وكانت وفاة السلطان سليمان القانوني سنة أربع وسبعين وتسعمائة .
انظر حقائق الأخبار ١/٥٣٢ ـ ٥٥٥ .

(٤) القصيدة في خلاصة الأثر ٤/٢٢٣، ٢٢٤ .

(٥) في خلاصة الأثر: «من سوء المقالة والشر» .

(٦) في الخلاصة : «أسلت سيوف» ، وهي رواية حسنة .

(٧) في ا ، ب : «وشققت قلوب» ، وفي ج : « وشقت قلوب » ، والمثبت في خلاصة الأثر .

(٨) في الخلاصة : «في ابتسام من الثغر» ، وفي ج: « في ابتسام في الفجر» ، والمثبت في : ا ، ب .

(٩) في الخلاصة : « فأعني جوادا » .

وما قيل إجمــالٌ لبعضِ صفاتِهِ ولا يُمكِن التفصيلُ بالنظمِ والنثرِ (١)

فهاتيك أوصافٌ لَعَمْرِى جليــلةٌ فدُونَكها أبْهَى من الزَّهْرِ والزُّهْرِ

على عكس ما طاف البـــلادَ بجُنْدِه كشمسٍ غَرِيبا غاب فى مَغْرِب القبرِ (٢)

صحائفُ أكْوانٍ تدبَّرتُ حَلَّهــا فصادفْتُها شرحاً لفنٍّ من الهجرِ (٣)

على صفحةِ الخدَّيْن أمليْتُ ما جرَى بأقلامِ أهْدابٍ من البُؤْس والضُّرِّ

❊



(١) فى خلاصة الأثر: «لبعض جيله» . (٢) فى ج : «ما كان البلاد» ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .
(٣) فى خلاصة الأثر : « تدبرت كلها » .

١٤٨

شيخ الاسلام أسعد بن سعد الدين*

مَناطُ المُلك ومِلاكُه ، وقطب السعد الذى دارتْ عليه أفلاكُه .

الطالع بين الشمس والقمر السَّعد ، والمقتنِص لِشوارِد المعالى بلا تحمُّل مِنَّة لِوَغْد[١]

تحلَّى بالرياسة فى مَيْعة شبابِه ، وألْقَتِ السعادةُ أعِنَّتَها فى بابِه .

مُرتقِياً فى رُتَبِها طورًا فطورًا ، ترقِّىَ النَّبات ورَقا ونَوْرا .

يزِيد قَدْرُه ويُوفِى ، وقد خلَص من داء[٢] الغَرض وعُوفِى .

فما قصُرت له فى أمرٍ يَدان ، وعنده[٣] انْطفا قِنْديل سَعْدان[٤] .

فبوجهه مرآةُ النهار تُصْقَل ، ولديْه تُربط الأمانى وتعقَل .

(*) المولى أسعد بن محمد (سعد الدين) بن حسن جان التبريزى الأصل القسطنطينى المولد والوفاة .

مفتى التخت العثمانى ، وواحد الزمان فى الفضل والإتقان .

ولد سنة ثمان وسبعين وتسعمائة .

وحصل على والده ، وعلى المولى المنلا توفيق الكيلانى .

درس بالمدرسة الكبرى (مدرسة أم السلطان سليم الثانى) ، وبالمدرسة السليمانية بالقسطنطينية .

ثم وجه له قضاء أدرنة ، ثم قضاء قسطنطينية ، ثم قضاء العسكر باناطولى ، ثم قضاء الروم .

وحج فى سنة ثلاث وعشرين ، وعاد إلى الروم ، فتولى الإفتاء سنة أربع وعشرين ، ثم عزل ، ثم أعيد سنة اثنتين وثلاثين .

توفى سنة أربع وثلاثين ، ودفن بتربة أسلافه ، بمدينة أبى أيوب .

خلاصة الأثر ١/٣٩٦ — ٣٩٨ ، وانظر ريحانة الألبا ٢/٢٨٣ .

(١) فى ا ، ب : « لوعد » ، وفى ج : « الوعد » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) فى ا : « أداء » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ا بعد هذا زيادة : « إن » ، والصواب فى : ب ، ج . (٤) كان يحيي بن خالد ولى سعدان الديوان ، فكان يرتشى ، ولا يقضى حاجة لأحد ما لم يأخذ رشوة ، حتى قال فيه الشاعر :

صُبَّ فى قنديلِ سعدا ن مع التَّسليم زيْتَا

وصب الزيت فى القنديل كناية عن الرشوة ، فلما شهر بذلك عزله .

ثمار القلوب ١٥٢ ، وللقصة بقية فيه .

وله فى الصدارة تثبُّتُ الجبال ، والاستقلال الذى يُنْسِى الماضِيَ منه الاستقبال .

فلولا مَهابتُهُ إذا أقبل ، لانتظمتْ على أذياله القُبَل .

وكان دخل الشامَ حاجًّا فابتهجتْ بأضواء سعادته ، وقارنت السعدَ الأكبر فى بَدْء أمره وإعادتِه .

وفى رجْعته إليها قابله البريدُ بمنصب الفُتْيا ، ودعاه الدهرُ إلى هذا المَقام الذى وقفتْ عنده العَلْيا .

فنادتْه المعالى لبَّيْك وسَعْدَيْك ، واليُمْن والنَّجْح كما تشاء فى يديْك .

ولم يزل فى هذا المركز حائزاً رُتَب الكمال ، وعلى مَشْرَع مجدِه تحوم طيورُ الآمال .

إلى أن وقعتْ فتنةٌ بين العسكر ، اغبَرَّ لها أفُق الكون وتعكَّر .

ثم انتهت إلى قتْل السلطان عثمان[١] ، فانحرف عنه وعن آل بيْته الزمان .

ولم يطُل به العمر حتى طَلَحه[٢] وأنْضاه ، وأغمده فى قِراب القبر الذى انتضاه .

فلا زالت رحمةُ الله وبركاتُه ، تُحَيِّيه مادامت تَقِلُّ الفلَكَ حركاتُه .

* * *

وقد أوردتُ من شعره قطعةً خضع لها البيان وسلَّمَ ، وهى قوله فى التوسُّل بصاحب الشفاعة صلى الله عليه وسلَّمَ[٣] :

يا رسولَ الله أنت المَقصِدُ أنت للرَّاجين نعم المسنِدُ[٤]

---

(١) هو السلطان عثمان الثانى بن السلطان أحمد الأول ، وقد قتله الانكشارية ، حين علموا نيته فى التخلص منهم سنة اثنتين وثلاثين وألف .

انظر حدائق الأخبار ١/٥٧٥ ـ ٥٧٧ ، وخلاصة الأثر ٣/١٠٥ ـ ١٠٩ .

(٢) طلحه : أعياه وأتعبه . (٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ١/٣٩٧ ، ٣٩٨ .

(٤) بعد هذا البيت فى الخلاصة زيادة :

كلُّ خيرٍ فهْو مجموعٌ لديْك بين جَمْع الرُّسْلِ أنت المفردُ

كلُّ مَن ناداكَ فيما نَابَه فاز بالإسْعادِ فيما يقصدُ (١)

قد أتى مستغفِراً مُستشفِعاً عبدُكَ المسكينُ هـذا أسعدُ

مستغيثاً شاكياً من نفسِهِ باكياً مما جنتْ منـه اليَدُ

منك فتْحَ الباب أرجو ضارعاً قارعاً أبوابَ فضلٍ تُرْصَدُ

منك ياغيثَ النَّدَى أرجو الهُدَى إن فى الأحشاء ناراً تُوقَدُ (٢)

مَسّنِى ضُرٌّ وكربٌ مُزعِجٌ فى الليـالِى بالتَّوالى أسهَدُ

طـال أيامُ التنائِى والأسَى يا طبيبَ القلب أنت المُنْجِدُ (٣)

يا حبيبَ القلب باللهِ الذى غـيرُه سبحانَه لا يُعبَدُ

بالذى أعطاكَ قـدراً عاليا ما لمخلوقٍ إليـه مَصْعَدُ (٤)

بالذى أعطاكَ بين الأنبيا مَـكْرُماتٍ أنت فيها أوْحَدُ (٥)

بالذى أعطاكَ ما لم يُعْطِه أحَداً من خَلْقِه يا سيِّدُ (٦)

عِدْ بلُطْف منك كُنْ لى شافعاً إن تُلاحِظْنِى فإنى أسْعَدُ

لا تُخيِّبْنى فإنى سـائلٌ سائلُ الدمعِ الذى لا يُطْرَدُ

سَلْ مِن الرحمن تعجيلَ الشِّفا وانشِراحَ الصدرِ لى يا أمْجَدُ

كلُّ مَن يرجُو النَّدَى من بابِكمْ فهْو من نيْـلِ الأمانى يسعَدُ (٧)

صَلِّ ياربِّ على خـيرِ الوَرَى بصـلاةٍ سَرْمَدٍ لا تنفَدُ (٨)

وارضَ عن آلٍ وأصحابٍ هُمُ الْ عابدون الرَّاكعون السُّجَّدُ

✲

---

(١) فى ا : « فيمن نابه » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(٢) فى ج : « نورا توقد » ، والصواب فى : ا ، ب ، والخلاصة . (٣) فى ا ، ب : « أيام التأنى » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة . (٤) هذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، والخلاصة .

(٥) هذا البيت ساقط من : ا ، ج ، وهو فى : ب ، والخلاصة . (٦) فى خلاصة الأثر : « واحدا من خلقه » .

(٧) بعد هذا البيت فى خلاصة الأثر زيادة :

أنت محمودٌ لربِّى فعلَى ذاتِك لا أُحْصِى الثَّنا يا أحمدُ

(٨) فى ج ، والخلاصة : « بصلاة سرمدا » ، والمثبت فى : ا ، ب .

١٤٩

ابنه أبو سعيد محمد *

المفتى بعد أبيه وجدِّه ، والمولَى الذى خضَع كلُّ مجدٍ(١) لمجدِه .

ورِث(٢) المجد خلَفاً عن سلَف ، وزهَا به مركزُ السيادة على زَهْوٍ وصَلَف.

بِشِيَمٍ للنّيِّرات بها تعلُّق، تستمِدُّ منها فضلَ توقُّدٍ وتألُّق .

وبلاغةٍ فى مرتبة الإعجاز ، كأنما اُستُفِيد منها الاختصارُ والإيجاز .

فهو قليلُ القول صادقُ العمل ، (٣)مقصورُ الهِمَّة(٣) على إنالة ما يُهِمّ(٤) من الأمَل .

له صَدْرُ النادِى ، والصِّيتُ الذّائع(٥) بِشَرف المنادِى .

وأيْدِى الغِبْطة به عالية ، وحالُ تلك الدولةِ به حالِية .

حتى جَرَّبه الدهرُ بخطْب مَنْ أخطاه سهمُه ، لـكنه ازْداد به عقلا(٦) عقلُه وفهمُه .

فى وقعةٍ(٧) تحزَّب فيها قَبيلٌ وعَشِير ، وهلَك فيها وزير ومُشِير .

(*) أبو سعيد محمد بن أسعد بن محمد (سعد الدين) بن حسن جان القسطنطيني المولد والمنشأ والوفاة .

شيخ الإسلام بن شيخ الإسلام بن شيخ الإسلام .

ولد سنة ثلاث بعد الألف .

ولازم عمه شيخ الإسلام المولى محمد بن محمد (سعد الدين) .

ولم يزل يترقى فى المدارس ، حتى صار قاضى قضاة الشام ، سنة إحدى وثلاثين وألف ، ثم ولى قضاء بروسه والغلطة ، ثم قضاء قسطنطينية ، ثم قضاء العسكر بأناطولى ، ثم نقل إلى روم ايلى ، ثم صار مفتى التخت ثلاث مرات .

واختفى مدة فترة الاضطرابات فى الدولة العثمانية ، وتوفى وهو فى الاختفاء ، سنة اثنتين وسبعين وألف ، ودفن بمقبرة أجداده ، بالقرب من تربة أبى أيوب الأنصارى ، رضى الله عنه .

خلاصة الأثر ١/١٢٧ ـ ١٢٩ .

(١) فى ب : « المجد » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا ، ب : « ورد » ، والمثبت فى : ج .

(٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٤) فى ج : « به » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) فى ب : « الشائع » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) فى ب : « نبلا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٧) ذلك أن المترجم نهبت داره فى آخر مرة تولى فيها الفتوى ، وذلك بسبب ثورة العسكر على الوزير الأعظم أبشير ، واضطرب حال المترجم بعدها ، واختفى مدة ، وعرض عليه عديد من الوظائف فلم يقبلها .

انظر خلاصة الأثر ١/١٢٩ .

فرّقت بين روحٍ وجسد ، وخلّتْ بين تَشَفٍّ وحسَد .

فأُصيب فى ذخائر كانَ عَبّأ خَباياه[1] منهـا ، وسلِمتْ ولله الحمد نفسُه التى لا عِوَض عنها .

وإذا بقِيَتِ[2] النفس فلا ٱلتفاتَ إلى الْفان ، وهى الأيامُ ليست إلّا إغْفاءةُ[3] أجفان .

فبقِيَ بعدها مُنزوِيا ، وفى خيرِ الخير كما كان مُنطوِيا .

ولم يغْفَل لسانُه عن شُكر ، ولا شاب فيها حالتَه المعروفةَ بنُكْر .

حتى طوَى الحِمامُ محاسنَه الفاخرة ، فالله يُعوِّضه عن لَذّات الدنيا بنعيم الآخرة .

***

وقد ذكرتُ من آثار قلمِه مايُرْوَى لشرَف الناظم ، والمنسوبُ يصير عظيما بالنِّسبَة إلى الأعاظِم .

فن ذلك ما كتبه على طُومار يشتمل على كرامات أبى الغيث القَشّاش التُّونُسى[4] :

أرى أسْطُراً فى ضِمْن تلك الرسالةِ ... جداولَ من بحر الحقيقةِ سالَتِ[5]

ومن مَنْبَعَىْ علمِ اليقينِ وعيْنِه ... أسالتْ مَعينَ الحقِّ أىَّ إسالةِ

وفيها جلَتْ حالاتِ حبٍّ كأنها ... طَواوِيسُ جَنّاتٍ تجلَّتْ وجالَتِ

وفى ضِمْنها تنْشيطُ أهلِ محبَّـةٍ ... وتنْبيهُ تعبيرٍ لأهل البَطالةِ[6]

أبو الغيثِ نعم الغَوْثُ خـيرُ وسيلةٍ ... إلى من به قد كان خَتْمُ الرسالةِ

***

---

(١) فى ب : « خزائنه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ب : « أبقيت » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٣) فى ب : « غفاة » ، وفى ج : «غفاءه» ، والمثبت فى : ا .   (٤) فى ج بعد هذا زيادة : « وهو قوله » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) فى ج : « فى بحر الحقيقة » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٦) فى ا : « تشطيب أهل محبة » ،والمثبت فى : ب ، ج .

قلت : أبو الغيث هذا آيةُ الله الكبرى فى الفنون ، والنائل من مقاماتِ القُرْب والتخْصيص مالا تتخيَّله الأوهام والظنون .

ومن أراد استقصاء أحواله ، فعليه بتاريخى[1] فهو مُوَشّى بذِكْر أفعاله وأقواله .

* * *

وكتب على فرائض العلاء الطَّرَابُلُسِىّ[2] ، الإمام بجامع دمشق[3] :

كتابٌ نفيسٌ للفوائد جامعُ ... مفيــدٌ لطلاَّب المسائل نافعُ[4]

على حُسْنِ ترتيبٍ تحلَّى مُجَمَّلاً ... فقرَّتْ عيونٌ للورى ومَجامعُ[5]

بَدا مُعْجِباً إذْ لم تَرَ العينُ مثلَه ... به نورُ آثارِ الفضائل لامعُ

لجامِعِــهِ فخرِ الأئمة سُؤْدُدٌ ... لرايات أنوارِ المكارم رافعُ[6]

أفاض عليه الربُّ من سُحْبِ جُودِه ... فبحرُ عطاهُ الجمُّ للخَلْقِ واسعُ[7]

فسدَّد مَن جمعه وأحْسن ، وأمعَن فيما جمع وأتْقَن .

حيث أتى بمُختصر حسَن ، فى تلخيص مُطوّلات هذا الفن .

---

(١) خلاصة الأثر ١/ ١٤٠ ـ ١٤٢ ، وكانت وفاته سنة إحدى وثلاثين وألف .

(٢) علاء الدين على بن محمد الطرابلسى الأصل ، الدمشق ، الحنفى .

شيخ الإقراء بدمشق ، وإمام الجامع الأموى .

كان علامة فى القراءات ، والفرائض ، والحساب ، والفقه .

وكتابه هذا الذى كتب عليه أبو سعيد، هو «سكب الأنهر»، وهو شرح على فرائض «ملتقى الأبحر».

توفى علاء الدين سنة اثنتين وثلاثين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

تراجم علماء طرابلس وأدبائها ٢٠ ، خلاصة الأثر ٣/ ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٣) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/ ١٢٨ . (٤) فى ا : «لطلاب الفوائد»، والمثبت فى: ب ،ج، والخلاصة.

(٥) فى الخلاصة : « تجلى محملا » . (٦) فى ا ، ب : « فخر الأئمة سؤددا » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة ، وفى ا : « لربات أنوار » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(٧) هذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، والخلاصة ، ورواية الخلاصة لعجزه :

* فإنَّ غمامَ الفضلِ منهُ لوامعُ *

(نفحة الريحانة ٣/٦)

ولما أجَلْتُ نظرى [1] فى رَبْوة حُسْنه وبهجته ، وشممْتُ من جانبِ واديه عَرْفَ شَمِيمه ونَفْحته .

وجدتُه [2] حديقةً أنيقة ، مُزَيَّنةً بأزْهار المعانى الدقيقة .

وألْفَيْتُه جامعاً من المسائل مالا يُوجد فى المنقول ، ومُحتوياً من الأبْحاث ماتعجِز عن فهمه العُقول .

أبرَّ الله عمَلَه ، وحرَسه من صَوارف [3] الدهر ويسَّر أملَه .





---

(١) فى ج : « ناظرى » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٢) فى ب : « وجدت » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) فى ج : « حوادث » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والمعهود فى هذا الجمع « صروف » .

١٥٠

محمد بن عبد العزيز بن سعد الدين المعروف ببهائى *

هو بين أسِرَّة [1] هذا النَّجْر ، ليلةُ القدر إلى مَطْلَع الفجر .

شاهِدْهُ تلْقَ نُجْحَ [2] الأمل ، وانْظُر بنادِيه الشمسَ فى الحَمَل .

أشْرق فى فلك البَها ، وحَلِيَ [3] ببُردة الازْدها .

فبِشْرُه يُميد بَشاشةَ النَّبْت الجدِيب ، ولُطْفُهُ يَمسح به الروضُ عِطْفَىْ أدِيب .

مشمولُ الشَّمائل طَيِّبُها ، مُنْهمِرُ المواهب صَيِّبُها .

أعْدَى الوجودَ بجُودِه ... فأباد سائرَ بُخْلِهِ [4]

لا بُخْلَ فيه يُرَى سوى ... أن لا يَجُود بمثْلِهِ

فعطاؤه يزِيد الأعمارَ فى نَمائِها ، ويُبْقِى وُجوه الرَّاغبين بمائِها .

وإذا كانت أنْعُمُه عند أوليائه ، يُغْتَبط بها أكثرَ ماتكون فى أفيائِه .

سرَى ذِكْره فى الآفاق ، مَسِيرَ الصَّبا جاذَب ذيلَها النسيمُ الخفَّاق .

(*) محمد بن عبد العزيز بن محمد بن حسن جان ، الشهير ببهائى .

مفتى الديار الرومية ، وأحد أفراد الدنيا .

ولد سنة عشر وألف .

وتلمذ لأستاذه عبد الرحيم .

وحج مع والده سنة عشرين وألف ، ولازم من عمه الأوسط شيخ الإسلام أسعد .

درس بقسطنطينية ، وظل أمره يترقى حتى وصل إلى مدرسة شهرزاده .

وأعطى قضاء سلانيك ، ثم حلب ، وعزل منها ونفى إلى جزيرة قبرس ، ثم أعيد ، وأعطى قضاء الشام ، سنة ثمان وأربعين ، ثم ولى قضاء أدرنة وقسطنطينية ، وقضاء العسكر بأناطولى ، ثم ترقى إلى روم ايلى ، سنة ست وخمسين ، وأصبح مفتيا سنة ست وخمسين .

توفى سنة أربع وستين وألف .

خلاصة الأثر ٤/٢ ــ ٩ .

(١) فى ج : « امرة » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ا : « نجم » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ا : «وجلى» ، والمثبت فى: ب ، ج . (٤) فى ج : «غذى الوجود» ، والمثبت فى:ا ،ب.

فإذا تلقَّت الأرواحُ منها نفَحاتِ الثَّنا ، تعطَّفت بها الأعْطافُ وتثنَّت الأثْنا .

وقد جمع الله [1] شَتاتِ الأدب باعْتنـائِهِ ، وأعاد فيـه رَوْنَق الحياة بعـد دُثورِه وفَنائه .

فى زمنٍ لم يَبْقَ فيـه مَن إذا شَدَا مُدَّاحُه هزَّته الأرْيَحِيَّة ، إلَّا قُضُبُ الربيع إذا شدَتْ الأطيارُ تثنَّتْ من أصواتها الشجِيَّة .

فانـكشفتْ ظَلْماؤُه عن يَقَق [2] ، وازْدَهت رياضُه من الوَشْيِ فى أنْخرِ شَقَق .

وانْثالتْ إليه الوجوهُ من أهلِهِ ، سالـكين فى صَعْب المديح وسَهْلِهِ .

فما خابَ [3] أحَدٌ منهم فى سُرَاه ، ولا صَلَد [4] له زَنْدٌ ورَّاه .

* * *

وهو فى الشعر التركىّ مُجيد مِلْءَ فَمِه ، وأما الشعر العربىّ فلا أحسَبه جرَى على قلَمه .

وقد وقفتُ له على قطعةٍ بالتركيَّة التقطتُ منها اللؤلؤَ الفَرْد ، ونقلتُه إلى العربيَّة فهاهو كماء الوَرْد يدُلُّ على الوَرْد :

وقد كُشِفَ الحجابُ فبَان عنه   مُحَيًّا أكْسَبَ الشمعَ اضْطِرابَا
وأخْجَلها بوجهٍ فاق نُوراً   فصيَّرت الفِراشَ لهـــا نِقابَا

* * *

وقد رأيت من مُنشَآته هذه القطعة ، كتبها على نسب أدْهَمِىّ [5] :

حمداً لمن جعل الانْتساب ، إلى بعض الأنساب ، مِن أوكد الأسباب ، الناجعة فى إنشاء ذخائر الحمد والثَّنا .

---

(١) فى ج بعد هذا زيادة : « له » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) يقق : شديد البياض .

(٣) فى ج : « غاب » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٤) صلد الزند : صوت ولم يور .

(٥) هذا الفصل فى خلاصة الأثر ٤/٦ .

وأباح لِأَقْدام المُتَشَبِّثين بأَذْيالها، مواطئَ العِزِّ ومَدارِجَ العُلَى .

ونصَب لهم سُلَّمًا يَعرُجون فيه ، إلى سماءِ السُّمُوِّ وفلكِ الارْتقا .

مَرابِعُ قُدْسٍ نالَها كلُّ أقْدسٍ   سَمَا مَن سَما مِن نائليها إلى السَّمَا

وصلاةً وسلامًا على من به بُدِئت نُسخة الوجود والعطا ، كما [١] به خُتِمت [١] رسائلُ النُّبُوَّة والاصْطفا .

وعلى آله وأصحابه الكُرَماء النُّجَبا .

وبعد ، فهذه شجرةٌ طيِّبةٌ أصلُها ثابت وفرعُها فى السما ، تُؤتِى أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذن [٢] ربِّها .

وتفُوح من كل زهرة منها روائحُ كأنها نوافحُ [٣] النَّوافِج حُسنًا [٤] وطِيبًا ، ويبدُو من محاسنها مايخالُه الإنسان غُصْنًا رَطِيبا .

كأنها اتَّصلت بأفواه عُروقِها عينُ الحياة ، إذِ انسحبتْ [٥] عليها أذيالُ نفحات الجِنان بتلك الحسنات .

يالها من شجرةٍ زكيَّة تَسُدُّ عينَ الشمس بأوراقهـا ، وتعطِّر أعماقَ الثَّرى بِطيب أعْراقها .

ثابتةٍ فى تُرْبةٍ طالما رَبَتْ غُصونًا طامِيات ، ودَوْحا نامِيات .

من أسْفَلِ سافِلين ، إلى أعْلَى عِلِّيِّين .

وجنَّة عالية ، قُطوفُها دانية ، وثمارُها يانِعةٌ غيرُ فانية .

تورَّد أُخْدودُ خدودِها حياءً وخَجَلً ، حيث تشرَّفتْ بلَثْم أنامل السيِّد الأجَلّ .

---

(١) فى ا : « ختمت به » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة . (٢) فى ب ، ج ، والخلاصة : « بأمر » ، والمثبت فى : ا ، وهو اقتباس من الآيتين ٢٤ ، ٢٥ من سورة إبراهيم .

(٣) فى ج : « نوافج » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة . (٤) فى ب : « مسكا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة . (٥) فى الأصول : « نسجت » ، والمثبت فى الخلاصة .

ملكِ أقاليمِ الإطلاق على الإطْلاق ، وارثِ أُسرة مَقامات الـكُمَّل [١] بالاستحقاق.

الذى أنحَف الضَّرَّتين بطلاق ، وقام فى مَقام الحمد [٢] على ساق .

فطُوبَى لمن له نصيبٌ فى تلك الشجرة الرَّفيعة الشَّان ، السامِية المَـكان ، المُورقة الأغصان .

المُشرقة الأنوار ، المُزْهرة الأزهار ، اليانعة الأثمار .

طوبَى له ثم طُوبَى له كالشيخ الأجَلّ ، والصاحب الأمجد الأكْمَل ، فلان ؛ فإن فيه مما [٣] يشهد له ألسنةُ الأقلام ، من أجلَّة العلماء الأعلام .

بصحَّةِ هذا النَّسَب الباذِخ ، والحسَب العاطِس من أنْف شامِخ .

دلائلَ تدلُّ على تلألُؤِ نُورِ السيادة من غُرَّته ، وانبلاج صبح السعادة عن [٤] مَفْرق طُرَّته .

قاله المتيَقِّن [٥] بصحَّة هـذا النسب الأخْطَر ، حاكمًا بهما على ما يُوجِبه الشرعُ المُطهَّر .

۞

(١) فى ا : « الـكمال » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة . (٢) فى الخلاصة : « الجد » .

(٣) فى ا ، ب : « ما » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة .

(٤) فى ا ، ج : « من » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة .

(٥) فى ا ، ج : « المستعين » ، والمثبت فى : ب ، ويشهد له ما فى الخلاصة .

١٥١

حسين بن محمد بن أخى المفتى *

صدرُ الصدور ، والبدر الذى تستضىء بأنواره[1] البدور .

تألّق وظلامُ الخطوب قد امْتدّ ، وأسفر وسوادُ القُطوب قد اشتدّ .

فأشرقتْ به الدولةُ فى لياليها المُعتكر ، وزهَت به[2] برجل أندَى من الوَسْمِىِّ[3] المُبتكِر .

ثم اسْتوى رئيسَ هذه الطائفة ، فأضحى ووفودُ الآمالِ حول حِماه طائفة .

وكان كبراء عصره لنَباهته يحسدونه ، ويوَدُّون لو عُدُّوا فى دفتر المعتدين ولا يُعدُّونه .

فانبعث سوء[4] القول ، وفُتِح بابُ العوْل .

وكان فى قلوب الجند أغراضٌ خالجة ، ومفاسدُ منذ زمانٍ والِجة .

فوُجِد فى جانب الخِيار ، وانبرم[5] فى الأمر معه فى الحركة على الاخْتيار .

(*) المولى حسين بن محمد بن نور الله ، المعروف بأخى زاده .

مفتى دار السلطنة ، وأحد أفراد العالم فى الفضل والذكاء والمعرفة .

ولد بقسطنطينية ، وبها نشأ وتأدب .

وما زال يترقى فى المناصب ، حتى ولى قضاء قسطنطينية ، سنة سبع عشرة وألف ، ثم قضاء العسكر بأناطولى ، ثم قضاء رم ايلى .

ورقى إلى منصب الإفتاء ، وقد أدى اضطراب الأمور فى الدولة العثمانية إلى دخول المترجم غمار فتن كثيرة ، انتهت بخنقه ، سنة ثلاث وأربعين وألف .

خلاصة الأثر ٢/١٠٩ — ١١١ .

(١) فى ب ، ج : « أنواره » ، والمثبت فى : ا . (٢) فى ب : « منه » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ا : « الوحى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ب : « سؤال » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) فى ب : « وانبرام » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فدقُّوا[1] عِطْر مَنْشِم[2] ، وسعَوا سَعْىَ مُتذبْذِبٍ مُتحشِّم .

فى فتنة يتأجَّج أجِيجُها ، ويبلغ عَنان الأفق ضجيجُها .

فعُدِم اتِّفاقا ، وحُرِم مناصرةً وارْتفاقا .

واستشهد فى كربٍ وبَلا ، مثل سَمِيِّه بكَرْبَلا .

فتجرَّع أعداؤه غُصَص الحَيْن ، ورأوا بمقتلِه يومَ الحسين .

***

وقد أوردتُ له مقطوعاً يدل على لُطف مِزاجه ، وحُسْن طبعه الذى يحكى عُطارِد فى قوة امْتِزاجِه .

وهو قوله[3] :

أيها المُبتــــلَى عليك بخمرٍ … إنها للعليل خــيرُ علاج[4]

ثم لا تشْرَبَنَّ إلَّا بمَزْجٍ … أوَّلُ الواجبات أمر المِزاجِ

***

وكتب على إجازة الشيخ مسلم الصُّمادِىّ[5] ، لولده الشيخ إبراهيم[6] :

---

(١) فى ا ، ج : « فدوقوا » ، والمثبت فى : ب .

(٢) يعنى أنهم تحاربوا أو سعوا إلى الحرب ، وفى تفسير قولهم « أشأم من منشم » اختلاف كبير . راجعه فى مجمع الأمثال ١/٢٥٨ .

(٣) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/١١٠ . (٤) فى ب: «خير مزاج» ، والمثبت فى: أ، ج ، والخلاصة.

(٥) مسلم بن محمد الصمادى ، القادرى ، الشافعى .
شيخ الطائفة الصمادية بالشام .
كان صالحا ، دينا ، سليم الصدر والفطرة .
توفى سنة خمس عشرة وألف .
خلاصة الأثر ٤/٣٦٣ .
والصمادى : نسبة إلى صماد ، قرية من قرى حوران ، بها أجداد المترجم .
خلاصة الأثر ١/٤٩ .

(٦) إبراهيم بن مسلم بن محمد الصمادى ، القادرى ، الشافعى .
ولد سنة ثمان وتسعين وتسعمائة .
واشتغل فى أول أمره على الشهاب أحمد العيثاوى ، وأجازه أبوه مسلم بطريقتهم .

=

الحمدُ لله الولىِّ القادر ، العالِم بما فى الضمائر .

والصلاةُ والسلام على رسوله محمد ، المبعوث من أكرم القبائل وأشرف العشائر .

وعلى آله وأصحابه الجالسين على سُرُر اليقين ، الوارثين معالمَ الدين كابراً عن كابرٍ .

وبعد ،

فقد وقفتُ على ما فى هذ الرّق الفاخر من الإجازة ، وعرفت حقيقَته ومَجازه .

فوجدته كالروض الفائق ، وآثارُ الأجِلَّة النُّعمانية فيه كالشقائق .

فيالَه من سيدٍ سلِم ارْتقاؤه على سُلم الوصول فبالْحَرِىِّ أن يُدْعَى بمُسلم ، وكان شهرةُ لِواء إرشادِه كنارٍ على عَلَم .

لقَّن ولدَه الذكرَ وأجازه[1] فى التلقين ، وجعل كلمةً باقيةً فى عقِبه يوم الدين .

ولله دَرُّ النَّجْل النبيل ، سَمِىِّ نبىِّ الله الخليل .

حيث بَسَط للسالكين سِماط الصَّمادِى ، فأضاف كلَّ رائح وغادِى .

بأنفاسه الأُنْسِيَّة ، ونَفَحاته القُدسيَّة .

فهو فى فنِّه [2]وحيدٌ فريد[2] ، وسُمِع طَبْلُ اشتهاره من بعيد .

ولا غَرْوَ أن سلَك المسلَكَ الأسَدّ ، فإن هذا الشِّبلَ من ذلك الأسَد .

جعلنا اللهُ من المقتبسين من أنوارهم ، والفائزين بمعالمِ آثارهم .

☆☆

= وتولى أمر الطائفة بعد وفاة أخيه عيسى ، وسافر إلى الروم مرات عديدة ، وحج فى سنة ست وأربعين وألف .

كان إبراهيم من سادات الصوفية وكبرائهم ، ورزق قبولا عظيما .

توفى سنة ثلاث وسبعين وألف ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

خلاصة الأثر ١/٤٨ ، ٤٩ .

(١) فى ا : « وأجاد » ، وهى رواية حسنة ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ج : « فريد وحيد » ، والمثبت فى : ا ، ب .

١٥٢

عبد الرحمن بن الحسام المفتى*

العلَمَ المختلَف إليه ، والعلّامة المتفق عليه .

ازْدانت به الأيام ازْدِيانَ الخدِّ بالعِذار ، وقامت مواهبُه العامَّة عما جنته[1] الليالى مقامَ الاعْتذار .

يحفُّه لطفٌ من الله تعالى مُدارِك ، فيسمُو إلى المعالى سُمُوَّ المستَبِدِّ لها من غير مُشارِك .

حتى ترامتْ الحظْوة لديه ، كعبيدِهِ الواقفين بين يديه .

إلى حيث لا يدركُه أمل ، ولا يبلغه إلّا ذو علم وعمل .

تبذُل النفوسُ أرواحَها فى رضائه ، فلو غفِل قلبٌ عن تمْريضها[2] عافتْه كلُّ أعضائه .

[3] ، وله سَدادُ رأيٍ يعضُده القضا ، وحُسام طبعٍ لا يخونه المَضا .

(*) عبد الرحمن بن حسام الدين ، المعروف بحسام زاده الرومى .
مفتى الدولة العثمانية ، وأحد العلماء الجامعين بين فنون العلم .
ولد سنة ثلاث بعد الألف .
ولازم من المولى محمد بن سعد الدين ، وأخذ الحديث عن الشيخ محمد بن أحمد الدجانى .
سافر مع أبيه إلى القدس عن طريق البحر مارا بمصر ، وإلى المدينة المنورة .
واشتغل بالتدريس فى مدارس قسطنطينية ، ثم ولى تفتيش الأوقاف ، واشتهر بالعفة ، ونمى خبره إلى السلطان مراد فاتصل به ، ثم ترقى فى المدارس إلى أن وصل إلى المدرسة السليمانية ، وولى منها قضاء حلب ، ثم قضاء الشام سنة إحدى وخمسين وألف ، وفى الشام عقدت حوله الندوات ومدحه شعراؤها بمدائح كثيرة .
ثم صار قاضى دار السلطنة ، ثم قاضيا بعسكر أناطولى ، ثم قاضيا بولاية الروم .
وأصبح مفتيا سنة خمس وستين ، ثم عزل وأعطى قضاء القدس ، ثم قضاء طرابلس ، ثم قضاء الجيزة بمصر ، وفى مصر طابت له الحياة ، وعقد مجالس التفسير .
توفى حسام زادة بمصر ، سنة إحدى وثمانين وألف .
خلاصة الأثر ٢/٣٥١ – ٣٥٧ ، وانظر الصبح المنبى ١٧ ، ١٨ .

(١) فى ب : « جنت » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) فى ب : « تحريفها » ، والمثبت فى : ا ، ج
(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

فهو ينثُر الدُّرَّ إذا أخذ القلم ، ومن يُشابِه أبَه فما ظلَم [١] .

لخطُّه جارٍ بلا مثالٍ سابقٍ ، ولم يُوجَد قبله خطٌّ لخطِّه مُطابِق .

فقد أخذ من الجِدِّ بعِنانه ، وتصرَّف بالقلم كيفما شاء فكأنَّ آيةَ السحرِ فى بَنانِه .

وقد طال إلى ديار العرب تردُّدُه ، وبارتْ بها السحبَ الهواطلَ يدُه .

فما زالت تُشكَر آلاؤه حيث حلَّتْ ركائبُه من البلاد ، وتَقِيه الأعيانُ من النوائب ، بالأنفُس النفيسة لا بمنفوس [٢] التِّلاد .

وطالما تسابقتْ إلى مدحه القرائح ، ودلَّت عليه الأقاويل بالكنايات والصَّرائح .

ثم استقرَّ آخراً بمصر مُخضَرَّ الأكناف ، متوفِّر الأنواع من أسباب العيش والأصْناف .

ولم يُخْلِ أيامَ إقامته فيها من مجالسَ يصرِف إليها أعِنَّة الأعْتنا ، وفى صُحبة أوِدَّائِه حزبٌ كأنهم ما خُلِقوا إلا للمدح والثَّنا .

ينتَشُون بغَدِه [٣] إذا ذكروا ما مرَّ لهم فى أمسِه ، ويطالعون آثارَ الربيع فلا يرَونها كآثار خَمْسِه .

إلى أن أغْمده مُنتضيه ، فالله يُعطِيه من الكرامة ما يُرْضِيه .

***

فمن شعره قوله ، يمدح النَّجْم الحلفاوِىَّ [٤] ، خطيب حلَب وعالمها [٥] :

عليك بنجْمِ الدين فالْزَمْه إنه ... سيَهْدِى إلى جِنْسِ العلوم بلا فَصْلِ

بنُورِ اسْمِه السَّامى هدَى كلَّ عارفٍ ... إلى أنه شمسُ الهداية والفضلِ

---

(١) أى لم يضع الشبه فى غير موضعه . مجمع الأمثال ٢ / ١٧٠ .

(٢) فى ب : « بمنقوش » ، والصواب فى : ا ، ج . والمنفوس : النفيس المرغوب فيه .

(٣) فى ا ، ب : « بعده » ، والمثبت فى : ج .

(٤) تقدم التعريف به ، فى الجزء الثانى صفحة ٥٥٠ .

(٥) البيتان فى خلاصة الأثر ٢ / ٣٥٢ .

قال البَدِيعيّ (١) : ولما أنشدها قلتُ بديهةً مخاطبا النَّجْم بقولي :

كفاكَ افْتخارا أيها النجمُ أنّ ذا الْ ... مآثرِ بدرَ المجدِ شمسَ ضُحَى العدلِ

حليفَ العُلَى نَجْلَ الُحسامِ المهذَّبَ الَّـ ... ـذِي عَزْمُه ما زال أمْضَى من النَّصْلِ (٢)

ومن أشرقتْ شَهْباؤُنا بعـــلومِه ... وزُحْزِح عنها ظلمـــةُ الظلم والجهلِ

حباكَ ببَيْتَيْ سُؤْددٍ بل بدُرَّتَيْ ... فَخَارٍ على أهلِ المـآثِرِ والفضلِ

❁



---

(١) كان يوسف البديعي من خواص المترجم وندماء مجلسه ، وباسمه ألف كتابيه « ذكرى حبيب » ، « الصبح المنبي عن حيثية المتنبي » . انظر خلاصة الأثر ٣/٣٥٢ ، وأبيات البديعي فيه ٢/٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٢) في ا : « نجل الحسام المهند » ، والمثبت في : ب ، ج ، والخلاصة ، وفي ج : « الذي عزه » ، والمثبت في : ا ، ب ، والخلاصة .

١٥٣

فيض الله بن أحمد القاف ، قاضى العسكر*

صدرٌ طاب فى وِرْد وصَدَر ، وصاحبُ قَدر جاء للرياسة على قَدَر .

وروضةُ فضلٍ تندَّت أوراقُها ، وسحابةُ جُود أرعادُها صادِقةٌ وأبْرَاقُها .

عنده مُجْمَل الأدب ومُفَصَّله ، ولديْه حاصلُ الكلام ومُحصَّله .

بلِسانٍ يُورِد[1] مواردَ الخيال ، فيستخرج[2] اللطائفَ من نَبْعِه السيَّال .

وهو وإن كان من الروم خَرج ، فطبعُه بالعربيَّة البَحْتة[3] امتزج .

ترنُو البلاغة عن أحْداقِه ، وتطغَى[4] الفصاحةُ بين أشْداقِه .

فإذا حاضَر فما الدرُّ إذا ارْتَصف ، وإن شعرَ فما ابن الرُّومِيّ إذا نعَت أو وصَف .

***

وله شعر من نَدِيِّ القول ومُخضَلِّه ، ولا أعدُّه إلَّا من فَيْض الله وفضلِه .

فمنه قوله ، من قصيدته التى مدح بها السلطان مراد بن سليم ، يذكر فيها فتح

(*) فى ب : « أحمد القاف » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وهو :

فيض الله بن أحمد ، المعروف بابن القاف ، الرومى .

قاضى العسكر ، وأحد فضلاء مشاهير الروم .

ولد سنة خمسين وتسعمائة .

وتولى فى ابتداء أمره قضاء حلب ، ثم قضاء الشام سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، ثم عزل عنها ، ورحل إلى الروم فتولى قضاء القلطة ، ولم يزل يترقى حتى ولى قضاء العسكرين .

توفى سنة عشرين وألف .

خلاصة الأثر ٣/٢٨٨ ـ ٢٩٢ .

(١) فى ب : « يرد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ا بعد هذا زيادة : « فى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا .

(٤) فى ب : « وتطغى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

مدينة تَبْرِيز[١]، على يد جيش أرسله السلطان المذكور .

ومستهلُّها[٢] :

لله دَرُّ جيوشِ الروم إذْ ظهروا ... على الرَّوافضِ إذْ صارت بهم عِبَرُ[٣]

كم أبْدَعوا بِدَعاً سَبًّا ومَظْلمةً ... لهم قلوبٌ يُحاكِى لِينَها الحجرُ

فالناسُ تجْأر للرحمنِ من يدِهمْ ... واللهُ يسمع منهم كلما جَأَرُوا[٤]

وعندما اقْترب الجيشُ العرمْرَمُ مِن ... تَبْرِيزَ ثم بدا فى ذاتِهمْ خَوَرُ

فشجَّعوا أنفُسا منهم قد امْتلأتْ ... جُبْناً وقد طاشتِ الأحلامُ والفِكَرُ

ظنُّوا بأن الليالى نحوَهم نظرتْ ... فأخْطأَ الظنُّ لَمَّا أخطأ النظرُ

وأمَّلوا سَحَراً من ليلِ كَرْبِهمُ ... فلم يكُن لدُجَى أوْصابِهم سَحَرُ[٥]

لمَّا رأى بَأْسَنا حُمْرُ الرُّءوسِ إذا ... فَرُّوا كما فرَّ من أُسْدِ الشَّرَى الحُمُرُ[٦]

قلوبُهم خشِيَتْ أبصارُهم عَمِيَتْ ... شاهَتْ وجوهُهمُ خوفاً وقد خسِرُوا

سَطَوْا بهم فتراهم ذَا يَفِرُّ وذا ... عانٍ أسيرٌ وذا فى التُّرْبِ مُنْعفِرُ

والنَّقعُ ليلٌ بَهِيمٌ لا نجومَ به ... تلُوح للعين إلَّا البِيضُ والسُّمُرُ

* * *

هذا من قول مسلم بن الوليد[٧] :

فى عَسْكرٍ تُشرِق الأرضُ الفضاء به ... كالليلِ أنْجُمه القُضْبانُ والأَسَلُ

---

(١) كان ذلك سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ، وكانت تبريز فى يد العجم .
خلاصة الأثر ٣/٢٨٩ ، حقائق الأخبار ١/٥٦٥ .

(٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٢٩٠ ، ٢٩١ .
(٣) فى خلاصة الأثر : « قد صارت » .

(٤) بعد هذا فى الخلاصة زيادة :

أتتْ إليهم جيوشُ الروم يقدُمها ... من بأسِها المُنذِران الخوفُ والحَذَرُ

(٥) فى ج: «وأملوا نظرا» ، والمثبت فى: ا ، ب، والخلاصة .
(٦) فى ا ، ج : «حمر الرءوس» ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة .

(٧) شرح ديوان صريع الغوانى ٢٥١ .

وللعَبَّاسِيّ ، صاحب « المعاهد » [١] ماهو أحسن منه [١] :

يعقِد النَّقْعُ فوقهـــا سُحُباً كالـ ـليلِ فيه السيوفُ أضْحتْ نجُوماَ
فمتى مارأتْ ســـوادَ شياطيـ ـنِ بُغاةِ الحروبِ عادتْ رُجوماَ [٢]

والمتنبّي [٣] :

فكأنما كُسِيَ النهارُ بهـــا دُجَى ليلٍ وأطْلعتِ الرماحُ كواكبَاَ [٤]

وقد نقلَه إلى مثال آخر ، فقال [٥] :

نَزُور الأعادِي في سماءِ عَجاجةٍ أسنَّتُها في جانبيْهـا الـكواكبُ [٦]

ولبعضهم :

نسَجتْ حوافرُها سماءً فوقهـــا جعلت أسنَّتهـــا نجومَ سمائِهاَ

ولابن المُعتزّ ، فيما يضارعه [٧] :

وعمَّ السماءَ النَّقْعُ حتى كأنه دخانٌ وأطرافُ الرماحِ شرارُ [٨]

* * *

عوداً على بدء :

فالبِيضُ في يدهم صارتْ صَوالِجةً والأرْؤُس الحُمْرُ فيما بينهم أُكَرُ

* * *

هذا البيت قد أخَذ بأطْراف اللطف والانْسِجام ، إذ فيه المقابلة مع ذكر الحُمْر في

---

(١) ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب .
والبيتان في : ريحانة الألبا ٢/٦٢ .
(٢) في الريحانة : « ومتى ما رأته » . (٣) ديوانه ١٠١ .
(٤) في ب : « وكأنما » ، والمثبت في : ا ، ج ، والديوان ، وفي الأصول : « وأطلعت الرياح » ، والمثبت في الديوان . (٥) ديوان أبي الطيب ٦٧ . (٦) في ب : « تزور الأعادي » ، وفي الديوان : «يزور الأعادي» ، والمثبت في: ا ، ج ، وفي الديوان : «أسنته في جانبيها الـكواكب» .
(٧) ديوانه ١/٢٩ . (٨) في ج : « وأطراف الرياح » ، والصواب في : ا ، ب ، والديوان .

تمثيل حال الأعاجم ، وهو أحسن عندى من قول الصَّالِحِيِّ (١) :

كأنما الخيلُ فى المَيْدان أرْجلُهـــا صَوالِجٌ ورءوس القومِ كالأُكَرِ

مع أنه توارَدَ فيه مع ابن عبد الظاهر (٢) ، فى قوله فى بعض رسائله (٣) :

« أصبح الأعداء كأنما جُزُر أجسادِهم جزائر ، (٤) أحاط بها (٤) من الدماء السيل ، ورءوسهم أُكَرٌ تلعب بها صَوالِجةُ الأيدى والرجلُ (٥) من الخيلُ » .

ومما يُناسب ذِكْرُه فى هذا المحلّ ، وهو الغاية فى بابه ، قولُ الشِّهاب فى السلطان مراد بن أحمد (٦) ، حين غزا العجَم :

غزا الفُرْسَ فى جيشٍ أطلَّ عليهمُ بما لم يُشاهَدْ فى القرونِ الأوائلِ

---

(١) شمس الدين محمد بن نجم الدين بن محمد الصالحى الهلالى .
ولد بدمشق ، سنة ست وخمسين وتسعمائة .
ورحل الى مكة فقرأ على علمائها ، وعاد الى دمشق بعد وفاة والده ، سنة أربع وستين وتسعمائة .
وكان من خلقه حب العزلة ، جمع مالا عظيما ولم يتزوج .
برع فى الفقه والتفسير والأدب ، مع ذكاء مفرط ، وحسن فهم .
وله ديوان فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، سماه « صدح الحمام فى مدح خير الأنام » .
توفى سنة اثنتى عشرة بعد الألف .
تراجم الأعيان ، لوحة ٣٣٢ ب ، خبايا الزوايا ، لوحة ٧ ب ، خلاصة الأثر ٤/٢٣٩ ، ريحانة الألبا ١/٢٧ .
والبيت فى الريحانة ١/٣٤ .

(٢) محيى الدين عبدالله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامى ، السعدى ، المصرى ، القاضى .
أديب ، مؤرخ ، له شعر جيد .
توفى سنة اثنتين وتسعين وستمائة .
فوات الوفيات ١/٤٥١ – ٤٦٣ .

(٣) هذا الفصل فى ريحانة الألبا ١/٣٤ .

(٤) فى الريحانة : « يتخللها » .

(٥) فى الريحانة : « وأرجل » .

(٦) السلطان مراد بن أحمد بن محمد العثمانى .
من أعظم سلاطين العثمانيين ، وأسطاهم ، وأقدرهم .
تولى السلطنة سنة اثنتين وثلاثين وألف .
وكان غزوه للعجم سنة أربع وأربعين .
توفى سنة تسع وأربعين وألف .
خلاصة الأثر ٤/٣٣٩ – ٣٤١ .

فخال عِـــداهم صاغَةً وصَيارِفاً ... لصَرْفِ دهاهم بالسيوفِ الشَّواغلِ (١)

فأرْؤُسُهم أبدتْ بَواتِقَ فى لَظًى ... من الحربِ شُبَّتْ من رِقاقِ العواملِ

فصَبَّ عليهم فضَّةً من سيُوفِه ... فرُدَّتْ نُضاراً من نجيعِ القواتلِ

***

كأنما السمعُ مِغْناطيسُ أنفسِهم ... فحيث مالتْ ترى الأرواحَ تَنْتَثِرُ (٢)

ذوَتْ رياضُ أياديهم فلا ثَمَرٌ ... يلوحُ فيهـــا ولا فى دَوْحِها ثَمَرُ (٣)

وللفِرارِ إلى الأقطارِ قد نفَرُوا ... وما لهم معشرٌ فيهـــا ولا نفَرُ

فأصبحوا لا تُرَى إلا مساكنُهم ... وقد خلَتْ ما بها عَيْنٌ ولا أثَرُ

وتختُ تَبْرِيزَ نادى وهْو مبتهِـجٌ ... هــذا الزمانُ الذى قد كنتُ أنتظرُ

فيامَليكاً له كلُّ الملوكِ غــدتْ ... تدِين طوعاً وتأْتى وهْى تعتذرُ

سِرْ واملِكِ الأرضَ والدنيا فأنت إذاً ... إسْكَنْدرُ العصرِ قدوافَى به الخضِرُ (٤)

فيالهـــا نعمةً آثارُ مَفخرِها ... كانتْ لدولتِـــه الغرَّاءِ تُدَّخَرُ

ظِلُّ الإلهِ مُرادُ الله قد شرُفتْ ... به المنابرُ والتِّيجانُ والسُّرُرُ (٥)

أجَــلُّ من وَطِىءَ الغَبْراءَ من ملِكٍ ... بأمْرِه سائرُ الأملاكِ تأْتمِرُ (٦)

بعزْمِه ظهَر الفتحُ الذى عجزتْ ... عنه السلاطينُ قد أفنَتْهمُ العُصُرُ (٧)

لو فاخرتْه ملوكُ الأرضِ قاطبةً ... ما نالَهم من معانِى فخرِه العُشُرُ

هل يستوى الشمسُ والمصباحُ جُنْحَ دُجًى ... ويستوى الجاريان البحرُ والنَّهَرُ

---

(١) فى ب : « لصرف دماهم » ، وهى رواية حسنة ، وفى ج : « لصرف عداهم » ، والمثبت فى : ا .

(٢) فى الخلاصة : « كأنما السمر » ، وهى الأولى . (٣) فى الخلاصة : « رياض أمانيهم » .

(٤) فى ب : « وأنت إذا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، وفى ج : « إسكندر الأرض » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة ، وفى ب : « إذ وافى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٥) فى ج : « به المنازل » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة . (٦) بعد هذا فى خلاصة الأثر البيت ٢٦ الآتى . (٧) بعد هذا فى الخلاصة البيت ٢٧ الآتى .

بدَا له فى سماء المجـــد نورُ هُـدًى   من دونِهِ النَّيِّرانِ الشمسُ والقمرُ
وأصبح المُلك محروسَ الجَنابِ وقد   وافَى به المُسْعِدانِ القَدْرُ والقَدَرُ

***

استعمال المثنى على هذا الأسلوب كثير ، وأجود ماوقع إلىّ منه قولُ الشَّنْتَرِينِى [١]، من بلدة غرب الأندلس [٢] :

يامَن يُصِيخُ إلى دَاعى السَّفَاهِ وقد   نادَى به النَّاعِيان الشَّيْبُ والكِبَرُ [٣]
إن كنتَ لاتسمعُ الذِّكْرَى ففِيمَ ثَوَى   فى رأسِك الواعِيان السمعُ والبصرُ
ليس الأصَمُّ ولا الأعمى سوى رجلٍ   لم يهْدِهِ الهادِيان العَيْنُ والأثَرُ
لا الدهرُ يبْقَى ولا الدنيا ولا الفلَكُ الْ   أعْلَى ولا النَّيِّران الشمسُ والقمرُ
ليَرْحلَنَّ عن الدنيا وإن كرِها   فِراقَها الثَّاوِيان البدوُ والحضَرُ

***

تتمّة القصيدة [٤] :

عَطفًا على عبـــدِك المَدَّاح ناظِمِها   فقلبُه من صُروفِ الدهرِ منكسِرُ [٥]
لا زال مُلكك دَوْرِيَّ السُّعُودِ فما   يُرَى له آخِرٌ فى الدهرِ يُنتظَرُ [٦]
بدولةٍ تُخلِق الأيامَ جِدَّتُهـــا   ماأزْهرتْ فى الدياجى الأنجُمُ الزُّهُرُ [٧]

☆☆☆

---

(١) يعنى أبا محمد عبدالله بن محمد بن صارة أو ابن سارة الشنترينى الأندلسى .
شاعر ماهر ، من أهل الأندلس .
توفى سنة سبع عشرة وخمسمائة .
والأبيات له فى : قلائد العقيان ٢٦٤ ، ووفيات الأعيان ٢/٢٨١ ، فى ترجمته .

(٢) شنترين : مدينة متصلة الأعمال بأعمال باجة فى غربى الأندلس . معجم البلدان ٢/٣٢٧ .

(٣) فى الأصول : « داعى السقاة » ، والمثبت فى : قلائد العقيان ، ووفيات الأعيان .

(٤) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب   (٥) هـذا البيت ساقط من : ا ، ج ، وهو فى : ب ، والخلاصة وفيها : « على العبد فيض الله ناظمه » .   (٦) فى ج ، والخلاصة : « دورى السعود فلا » والمثبت فى : ا ، ب .   (٧) فى الخلاصة : « ما لاح جنح الدياجى الأنجم الزهر » .

ولهذا الصدرِ ولد ، أجلُّ مَن دار حُبُّه فى خَلَد .

اسمه :

١٥٤

عبد الحىّ ، ويعرف بفائضى *

فائضُ الطبع متدفِّقُه ، متأرِّج روضِ الأدب مُتفتِّقُه .

سلك الوُعور من المعارف والسهول ، وفاق على حَداثةِ سِنِّه الشيوخ والكُهول .

إلّا أنه اختُرِم فى اقْتبال ، وأُصِيب للأجل بِنِبال .

وشبابه يقطُر مَا ويرِفُّ نَمَا ، ويُغازِل عيونَ الكواكب فضلا عن الكواعب إشارةً وإيما .

فكان ممن ثكِلتْه النَّجابة ، وتخلَّفتْ فى الدعاء بطول عمره الإجابة .

فلبستْ عليه الغوانى الحِداد فى الأحْداق ، وبكتْ عليه عيونُ السحب بالصَّيِّب المِغْداق .

* * *

ولم أقف له على شعر عربىّ ، غير أنى عرَّبت له بعض مُفرَدات .

فمنها قوله :

(*) عبد الحى بن فيض الله بن أحمد ، المعروف بابن القاف ، القسطنطينى المولد والمنشأ ، المعروف بفائضى.
شاعر من شعراء الروم ، وظريف من ظرفائها .
درس بمدارس متعددة ، وولى قضاء سلانيك ، سنة ست وعشرين وألف .
وكان بينه وبين الشاعر نفعى وقائع وحروب كثيرة ، وهجاه نفعى بأهاج مفرطة فى المذمة ، مذكورة فى كتابه « سهام القضا » .
توفى بقسطنطينية ، فى حدود سنة اثنتين وألف .
خلاصة الأثر ٢/٣٤٢ .

غَبْغَبُ مَن أهواه فى جِيـــدِهِ تفَّاحـــةُ التفريحِ للقلْبِ (١)

***

وقوله :

والسَّرْوُ بالثَّلْجِ غـدا مُجَلَّلاً كأنه المغَارة البيضـــاء

***

وقوله :

ياصَبـــا الروضِ أخْبرِى أنتِ للأُنْسِ مَحْـــرَمُ
هـــل بنادٍ رأيتِ من عِقْـــدِ وُدٍّ يُنَظَّمُ

***



(١) الغبغب : اللحم المتدلى تحت الحنك . القاموس (غ ب ب) .

١٥٥

كمال الدين بن أحمد طاشكبرى، قاضى العسكر *

الكمالُ وصفُه الذى يُعزَى إليه، وعينُ الله عليه وحَواليْه.

فهو لم يُشَب بنقْص، ولم يدخُل بيت مجده خَبْن ولا وَقْص (١).

فغدا الفلَك الدوّار مَطيَّةَ آمالِه، واليُمن مقْروناً بيمينه وانْتظامُ الشَّمْل معقوداً بِشماله.

وقد بلغ ماؤه عشْراً (٢) فى عشر، وتناسَب بينه وبين الفضل لَفٌّ (٣) ونَشْر.

وهو ممن إذا قال لم يترك مَقالا لقائل، وإذا أنْشا أنْسَى سَحبانَ وائل.

* * *

(٤ وله تشبُّث بالفنون الأدبية، ونظم ونثر بالتركيّة والعربية ٤).

فمن شعره العربىّ قوله، من أبيات كتبها لبعض الصدور (٥):

عاصفُ الحادثات أفْنـــانِى صَرْصَرُ الدهر بَدَّ أفْنانِى (٦)

(*) محمد بن أحمد بن مصطفى، المولى كمال الدين بن عصام الدين، المشتهر بطاشكبرى زاده.
قاضى العساكر، المجمع على فضله وبراعته.
أخذ عن والده، وعن شيخ الإسلام أبى السعود العمادى.
ودرس بمدارس قسطنطينية، ثم تولى القضاء بحلب، ثم بدمشق، ثم بحلب مرة أخرى، ثم ولى قضاء العسكرين.
كان عالما جليلا، ولم يكن فيه مما يشينه إلا الطمع.
توفى سنة ثلاثين وألف.
خلاصة الأثر ٣/٣٥٦ _ ٣٥٩.

(١) الخبن: إسقاط الحرف الثانى فى العروض، والوقص: الجمع بين الإضمار والخبن، وهو يعنى أن مجده خال من العيوب.
(٢) فى ا، ج: «عشيرا»، والمثبت فى: ب.
(٣) فى ا، ج: «إلف»، والمثبت فى: ب.
(٤) ساقط من: ب، وهو فى: ا، ج.
(٥) البيتان فى خلاصة الأثر ٣/٣٥٨، وكتبهما لشيخ الإسلام محمد بن سعد الدين.
(٦) فى الخلاصة: «بد أفنانى»، وصرصر الدهر: شدته وصروفه.

كَمَدِى آدَنِى وأَعْيـــانى ارحمـــوا سادتى وأَعْيـــانِى

***

وله من رسالة يعتذر فيها عن عَرْض أُسند إليه (١) .

إن كُنتُه (٢) ،

وما أنا فى حِفْظِ الوفا متصنِّعاً ولا أنا للزُّورِ القبيحِ مُنمِّقُ (٣)

وأنتَ فتدرى ما اقْتضتْه جِبلَّتِى فما أدَّعى إلَّا وأنت تصــدِّقُ

ولٰـكنَّ دهراً قد بُلِينا بأهله أباحوا به ثوبَ النِّفاق ونفَّقُوا

والذى يعلم سِرِّى وعَلانِيتى فى جميع حالى ، لم يصــدُر عنِّى ذلك الأمرُ ولا خطَر ببالى .

وهل (٤) يليق بى أن أُدنِّس العِرض بمثل ذلك (٥) العَرْض (٦) ، وأُحْشَر فى زُمرة الـكاذبين يوم العَرْض .

ووُدِّى أنتَ تعلمُه يقيناً صحيحاً لا يــكدَّر بالجفاء

فلا تسمعْ لما نقلَ الأعادِى وما قد نمَّقوه من افْتراء

❊

---

(١) هذا الفصل فى خلاصة الأثر ٣/٣٥٩ ، دون قوله : « إن كنته » .

(٢) فى الأصول : « كتبه » ، ولعل الصواب ما أثبته ، و « إن » هنا نافية بمعنى لا أوما .

(٣) هذا البيت وصدر الذى يليه ساقطان من : ا ، ج ، وهما فى : ب ، والخلاصة .

(٤) فى ا : « ولا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة . (٥) فى ا ، ج : « هذا » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة . (٦) لعله يعنى بالعرض هنا الـكتاب الذى يسند فيه العمل إلى من يكلفه به ؛ ذلك أن المترجم وجه ، حين كان قاضيا بدمشق ، بقعة تدريس إلى البورينى بدر الدين ، عن الشمس بن المنقار ، ولما عزل عن دمشق وتوجه إلى حلب بلغه أنه أعطى يحي بن الشمس المذكور عرضاً فى البقعة المذكورة ، فـكتب إليه البورينى كتابا عتب عليه فيــه بسبب ذلك ، وكان ذلك باطلا ، فـكتب إليــه المترجم رسالة طويلة ، هذا بعضها .

انظر خلاصة الأثر ٣/٣٥٨ .

١٥٦

محمد بن عبد الغنى ، قاضى العسكر *

نادرةُ الزمن ، ومُبْدِي الخفيِّ من الدقائق والمكتمِن .

تباهتْ أُولو المعارف من الانْتماء إليـه ، ورفْرفتْ أربابُ الشِّعْر بأجنحـة الاستفادة عليه .

فهو رأسُ مَن برَع فى فنِّه ، وشَعْشَع راحُ الأدب فى دَنِّه

وله نزَعات تقف الآراء دون تحقيق مَناطِها ، وتَعَـنَّى(1) الألبابَ فلم يهْتد بيانُها لاسْتنْباطها .

تتوقَّد نارُ فكره ، وتبتهج بين شُرب المُدام وسُكْره .

مع لُطف الشِّيَم ، الهامِية الدِّيَم .

وحُسْن الخِصال ، التى عمرتْ بها البُكَرُ والآصال .

وقد تميَّز بالرياسة ناهضاً بأعْبائها ، وحَظِىَ من السلطنة بتقْريبها واجْتبائها .

ولم يعطِّل من راحِه رَاحَه ، ولم يسكُن إلَّا إلى دَعة وراحة .

وكان يُؤْثِر الأفراحَ والقَصْف ، ويُكثر من النَّعْت للرَّاح والوَصْف .

وله غزليَّات بالتركيَّة ، يُستشْفَى بها الُخمار ، وتُتعاطَى عليها الأسْمار .

* * *

(*) محمد بن عبد الغنى بن ميرباد شاه ، المعروف بغنى زاده ، وبنادرى .

قاضى العسكر ، ومن أشهر موالى الروم فى الذكاء والفطنة ، والنظم والنثر .

ولى مناصب عديدة ، منها قضاء قسطنطينية وقضاء العسكرين .

وكان ممدحا ، إلا أنه يرمى بشرب الخمر .

وله « حاشية على تفسير البيضاوى » لم تتم .

توفى سنة ست وثلاثين وألف .

خلاصة الأثر ٤/٩ـ١١ ، ريحانة الألبا ١/٢٣١ ، ٢/٣٢٩ .

(1) فى ب : « وتفنى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وأما شعره العربيّ فلم أر له إلا هذين البيتين (١) :

قيل إن الياقوتَ أصلٌ أصيلٌ لجميعِ الجواهرِ الشَّفَّافَهْ
فلهـــذا المُكَيَّفات جميعاً هى فرعٌ والأصلُ فيـه السُّلافَهْ

***

يشير إلى ماقاله التِّيفاشِيّ (٢) فى « زهر الأفكار ، فى جواهر الأحجار » ، ناقلا عن بلينوس (٣) :

الياقوتُ حجر ذهبيّ ، وجميع الأحجار غير الأجساد الذائبة ، إنما انْعقدت وابتدت لتكون كلها (٤) ياقوتا ، كما ابتدأت الأجساد الذائبة لتكون كلها ذهبا ، فأقعدتها عن الذهبيَّة العوارض .

وكذلك الأحجارُ إنما ابتدأت فى خِلْقتها لتكون ياقوتا ، فأقْعَدَتْها عن الياقوتيَّة كثرةُ الرطوبة وقلتها ، وقلَّة اليُبْس وكثرته ، فلم تكن ياقوتا ، فصارت حجارة حمراء ، وبيضاء ، وخضراء ، وصفراء ، وغير ذلك من الألوان . انتهى

---

(١) شرف الدين أحمد بن يوسف بن أحمد التيفاشي .
رحل فى صغره إلى مصر ، وأتقن الأدب وعلوم الأوائل ، وهو من العلماء بالأحجار الكريمة .
توفى سنة إحدى وخمسين وستمائة .
الديباج المذهب ٧٤ ، وانظر حاشية الأعلام ١/٢٥٩ .
(٢) كذا فى الأصول ، واسمه : « أزهار الأفكار » .
(٣) فى ج بعد هذا زيادة : «من» ، والمثبت فى : ا ، ب . (٤) ساقط من: ا ، وهو فى: ب، ج.

١٥٧

مصطفى بن عزمى ، قاضى العسكر*

الهمامُ البَذُّ الفَرْد ، الذى اقْتنص المعارف اقْتِناص الأَسَد الوَرْد .

نفَث فى عُقَد النُّهَى بلُطْفه المصقول ، ومَلَك بحُسْن تصرُّفه لُبَّ المعقول والمنْقول .

مع لطائف تستنْطق الجماد ، وبدائع لو سمعها رَضْوَى[1] لماد .

إلا أن نَهْضه كان بشأوٍ قصيرٍ بين أقْرانه ، وذلك دليـلُ مُواربة الدهر معه وحِرانه[2] .

وربما انعطف عليه فرغم مَعْطِسُه ، فيَرْمى على غِرَّةٍ قلبَ الصواب فيُقرطِسُه[3] .

وهو كما شاءت العُلَى ، يزْداد تواضُعاً كلَّما علا[4] .

وتآليفه ساجَل بها صَوْبَ الغَمامة ، وطوَّق الدهرَ بها طَوْقَ الحمامة .

(*) مصطفى بن محمد الشهير بعزمى زاده الرومى .

قاضى العسكر ، وأشهر متأخرى العلماء بالروم ، وأغزرهم مادة فى المنطوق والمفهوم .

ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة .

وأخذ على شيخ الإسلام سعد الدين .

واشتغل بالتدريس فى مدارس كثيرة ، حتى وصل إلى السليمانية ثم الخفافية .

ثم ولى قضاء الشام ، ثم قضاء بروسه ، ثم قضاء أدرنه ، ثم قضاء دمشق .

وفى دمشق مدحه شعراؤها بقصائد كثيرة .

وانتهى به الأمر إلى قضاء قسطنطينية وقضاء العسكرين .

وله مؤلفات ؛ منهـا : « حاشية على الدرر والغرر » فى الفقه ، و « حاشيتـه على ابن مالك » ، فى الأصول .

توفى فى حدود سنة أربعين بعد الألف.

خلاصة الأثر ٤/ ٣٩٠ – ٣٩٢ ، كشف الظنون ١٨٢٥ .

(١) رضوى : جبل بالمدينة. معجم البلدان ٢/ ٧٩٠ .   (٢) فى ج : «وحرمانه» ، والمثبت فى : ا ، ب.

(٣) قرطس : أصاب الهدف .   (٤) فى ا ، ج : « حلا » ، والمثبت فى : ب .

وأنا بآثاره ونظامه ونثاره أضَنُّ بأمثالها، من الدهر بمثالها.

وإنى لأتشوّق إلى سماع مَزاياه، تشوُّقَ الصِّمَّةِ إلى ريَّاه (١)، وأبى الخطاب (٢) إلى ثُريَّاه (٣).

***

ولم أقف له من الشعر إلا على قوله (٤):

يا نفسُ عُوذِى بالكريمِ وجُودِه ... فهو الذى يُسْدِى إلينا نِعْمَتَهْ

ويُنزِّل الغيثَ الذى يروِى الرُّبَى ... من بعد ما قَنَطُوا ويَنْشُر رَحمتَهْ

***

وقوله (٥):

للهِ من رشأٍ كتائبُ لَحْظِهِ ... أهْلَ الصَّبابة غادرتْ مَأسُورَا

ولقطْعِهِ صُلْبَ القلوبِ كَرَوْضِها ... قد صار صارمُ لَحْظِهِ مكسورَا (٦)

---

(١) هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل.

شاعر إسلامى، بدوى، مقل، من شعراء الدولة الأموية.

وكان من خبره أنه لما خطب بنت عمه ريا العامرية، اشتط عليه أبوها فى المهر، فسأل أباه أن يعينه فأبى، وسأل عشيرته فأعطوه، فأتى عمه بالإبل، فقال: لا أقبلها إلا من مال أبيك.

وعاود أباه، فمنعه، فلما رأى ذلك منهما قطع عقل الإبل وأرسلها، فعاد كل بعير إلى إلافه منها، وتحمل الصمة راجعا.

فقالت ابنة عمه لما رأته راحلا: تالله مارأيت كاليوم فتى باعته عشيرته بأبعرة.

ومضى حتى لحق بالشام، فقال وقد طال مقامه واشتاق ريا، وندم على فعله:

حنَنتَ إلى ريَّا ونفسُك باعدتْ ... مَزارَك من ريَّا وشَعْبا كما معَا

سمط اللآلى ١/٤٦١، ٤٦٢.

(٢) يعنى عمر بن أبى ربيعة المخزومى. (٣) هى الثريا بنت على بن عبد الله، من بنى عبد شمس بن عبد مناف. انظر مقدمة ديوانه ٥٦. (٤) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/٣٩٢. (٥) البيتان أيضا فى خلاصة الأثر ٣/٣٩٢.

(٦) فى الخلاصة: «صلب القلوب كرخوها»، وهى الأولى.

١٥٨

السيد محمد بن محمود النقيب العلامة

عِقد[١] الخلافة النَّبَوية ، وتاج الأسرة المستمدَّة النور من الأسرة العلَويَّة .

وابن أفضل الأنام ، والمستنزِل بوجهه دَرَّ الغَمام ، وخلاصةُ نور الوحي الملتقى ما بين فاطمة الزهراء وعليٍّ الهُمام .

وإذا لم يكن علَوِيٌّ كالعلَّامة ، فى الشرف الذى كَفاه على وضْع العلامة .

فهو للشرف كالغاصِب ، وربما كان حُجَّةً[٢] للنواصب .

فأما كَرَم[٣] الطبع فكما تَقْتضيه الأرِيحيَّة ، وأما لُطف الخلُق فكأنه مُنْتَسَخٌ من أخلاق جَدِّه عليه السلام والتحيَّة .

إلى ما حَواه من البيان الفصيح واللفظ الخلُوب ، وحُسْن الأداء الذى يستدعِي حُبَّ القلوب .

تتجارَى فصاحتُه وبلاغتُه كفرسَيْ رِهان ، فالاستدلالُ بهما على فضلِه يُغنِي عن حُجَّةٍ وبرهان .

***

وله من الآثار المتلُوَّة ، ما يلُوح عليه سِيماء النبوة .

فمن زهراته الطريَّة ، وفقراته الدُّرِّيَّة .

قوله فى ديباجة رسالة وسَمها باسم السلطان مُراد ، فى تفسير آيَة[٤] : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِياماً وقُعُوداً ﴾ .

---

(١) فى ا ، ب : « عقيد » ، والمثبت فى : ج .
(٢) فى ج : « جهة » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٣) فى ج : « لطف » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٤) سورة آل عمران ١٩١ .

اللهم اهدنى بسيّارة الفكر فى سموات الذكر إلى منهج اليقين ، واسلُب غشاوة الغباوة عن عينى حتى تبصرَ مَدْرَج المتّقين .

فيما بُليت بدرايته ، وسُئلت عن روايته .

صَبيحةَ يومٍ مجموعٍ له الناس فى جامع وجوه الصالحين ، به تغنى عن النِّبْراس يستفتحون بعرَمْرَم المسلمين .

المحاصرِين حصنَ بغداد ، محاصرةَ الثواقبِ لبُروج السبع الشِّداد .

والجامع جامعٌ لمحاسن العرش المجيد ، بجواهر التَّزْيين وزواهر التَّنْجيد .

ومُرادُ الله فوقه شمسٌ طالعٌ على خطِّ الاستوا ، والأعيانُ الثابتة على الطبقات ثوابتُ السما .

والمذكِّر قد خرج على قومه من المحراب على سُنّة سيدنا زكريّا ، فأوحَى إليهم أن سَبِّحوا[1] بُكْرَة وعشيّا .

إذ تمثَّل لى روحُ الملأِ الأعلى بشرًا سويًّا ، فقام يسألنى عن أشياء خفيَّةٍ حَفِيًّا .

على سلطانٍ مُسارح[2] سَبُوح ، فكرُه ملكوتُ السُّبُّوح .

ومَدارِ صَبُوح ، ذكرُه مجالسُ الملائكة والرُّوح .

ملِكٌ ملَكَ الآفاق لطفاً وقهرا ، وسلَكَ مَسْلَكَ الاتِّفاق سِرًّا وجهرا .

وخضعتْ لجلالته وجَلادتِه الدهور ، ونَسَمتْ بنسيم سعادته غُرَرُ الشهور كالزُّهور .

عمّتْ بالأيادى يداه قبائلَ الشاكرين فضلا وجُودا ، وهمَتْ بنوادى نَداه قوافلُ الذاكرين قياماً وقعوداً وسجودا .

الذى استرقَّ رقابَ السلاطين مُراداً ومُريدا ، واستعبَد ملوكَ الماء والطين ولم يذَر مَرِيدا .

---

(١) فى ا : « سبحوه » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٢) فى ب : « سبوح » ، وفى ج : «مساوح» ، والمثبت فى : ا .

نشر رايةَ السلطنة الطنَّانة نشْر عَبـير ، وفسَّر حدْسُـهُ[1] آيةَ الدولة الدَّيانة أحْسَن تفسير .

لم يزل صدرُه مصدرَ الـكُلِّيَّات ، وضميرُه لَوْحَ المـاهيَّات .

وما برحتْ راحتُه راحةَ العباد ، وساحتُه قِبلَةَ الحاضرين[2] والْباد .

وما انفـكَّت زجاجةُ قَريحته الوقَّادة ، تُوقَد من شجرةِ التَّحقيقات العقيقيَّة ؛ وبَديهته النقَّادة ، ترتاح إلى التدقيقات المجازيَّة والحقيقية .

وما فَتِئَ قَبول قُبوله رَوْحا يُروِّح نخْلَ الفضائل برَوْح ورَيْحان ، وما خلا بَنانُ رسوله يقطِف قُطوف الفنون من الأفْنان .

ينظر إلى ثمَرِه إذا أثمر وَينْعِهِ ، ويشكر فضلَ أثَرِه ويأمر بجَمْعِهِ .

***

وكتب إلى إمام السلطان يوسف بن أبى الفتح الشامىّ[3] ، وهو بدمشق :

يا مَن عــــلا بجماله وكماله أعْـــلَى العُلَى
مِنِّى إليــــك تحيةٌ حِرْز البقا لذَوِى العُلَى

ثم يُنْهِى على رسم أُولى النُّهَى ، إلى المحلِّ الذى خَصَّه الُحسْن والبَها .

أنَّا كنا مجهِّزِين إليه قبل تاريخه كتاباً مكتوبا بأمْداد[4] الصدق والُخلَّة ، وخطاباً فيه شفاءٌ عن العلَّة والغُلَّة .

ثم قعدنا ناظرين بِم يرجعُ المرسَل ، فلم يظهر ممَّن رحَل وقفَل ، وطلَع وأفَل ، نوعُ أثرٍ من عَيْن ، ونَغْمة خبرٍ من رباب[5] وعين .

فلعل المجهَّز ضاع فى البَيْن ، وما ضاع نَشْره بين اثنتَين .

---

(١) فى ا ، ج : « حدثه » ، والمثبت فى : ب .

(٢) فى ا : « الحاضرين » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ٦٨ ، برقم ٤ .

(٤) فى ب : « بأعداد » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) بعد هذا فى ا ، ج زيادة : « ذى » ، والمثبت فى : ا ، ولم يستقم لى معناه .

وإلاَّ فالحبيبُ لا مَحالة وثيقُ الوفا ، سحيقٌ عن شَفا جُرف الجفا .

فلو وصَل لوصَل(١) ، وما قطع عُرْوة ما حصَل .

ودُمْتَ يوسُفَ الحقائق ، موفيًّا كَيْلَ(٢) الدقائق .

بين مُتْهِم ومُنْجِد ، (٣ومُشْئِم ومُعرِق٣) .

***

وكتب على رقعة رُفِعت إليـه من بعض الفضلاء ، على يد واسطة بعض خَواصّ الأفاضل ، متضمِّنة لعَتْب حصل منه :

تحضرون البيتَ ، وتحكُون الحكايةَ كَيْت وكَيْت .

قضيةُ الهجر فِرْية الواهِمَة ، والقطيعةُ من الهِجْران لا من أهل كاظِمة(٤) .

عند المُلاقاة تظهر الأمور ، ولدَى المُصافاة يحصُل شفاء الصدور .

***

وكتب على إجازة لبعض الحلبيِّين :

لمَّـا تشرفتُ بمطالعة هذا الطَّامور ، الفائقِ على هيا كل النور وقلائد الُحور .

بميامن ما احْتواه من ذِكْر الصالحين الذين تُنزَّل الرحمـة عنده وتُحصَّل به الأُجور ، اللائق كَتْبُهُ بالمسك والـكافور على النُّحور .

بل بسَواد أحْداق الُحور ، على صحائف قدُود رَبَّات الحِجال والقصور .

ذكرتُهم بالدعاء الصالح ، والثَّناء العَطِر الفائح .

---

(١) فى ا ، ج : « الوصل » ، والمثبت فى : ب .

(٢) فى ا : « كل » ، والصواب فى : ب ، ج .   (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب . ج .

(٤) كاظمة : جو على سيف البحر ، فى طريق البحرين من البصرة ، بينهـا وبين البصرة مرحلتان ، وفيها ركايا كثيرة ، وماؤها شروب ، واستسقاؤها ظاهر . معجم البلدان ٤/٢٢٨ .

وأثنيتُ على صاحبِه الفائزِ الفالحِ ، بالمَدْحِ العبِقِ الرَّوائحِ .

مُستمدًا من رُوحانيَّتِهم العالية، متيمِّنًا بحُسنِ الانتظام فى زُمْرتِهم السامية ، ومستمطِراً سحبَ هِمَّته الهامية النامية .

فقلت فيه مُقرِّظا :

حقَّقتُ أن جمالَ الدين من زُمَرٍ — حَلُّوا محلَّ سوادِ القلبِ والبصرِ

من أهلِ خِلقةِ تجريدٍ بها ادَّرعُوا — والتاجُ بيَفْتِهم تَحمِى عن الضَّررِ

من مُحتدٍ عَبْقرِىٍّ بيَفْضِهم حَدَدٌ — المُرتوِى صدرهُم من رَملةِ الصَّدَرِ (١)

المنتمِين إلى البازِ المُحقِّق فى — جوِّ العُلَى الأشهبِ العالى عن النَّظرِ

طُوبَى لمن إذ جَلَى مِرآةَ خاطرِه — بخِرْقةٍ منهم تخلُو عن الكدَرِ

جمالُ ذى العصرِ فى مَحياه دام وإذ — حلَّت شَعُوبُ جمالُ الكُتْبِ والسِّيَرِ (٢)

بين الألَى فرأوْا عينَ النظيرِ به — عينَ الفريدةِ فى عِقْدٍ من الدُّررِ (٣)

فإن له ينبح الحُسَّادُ عن حسدٍ — فلا يضُرُّ عُواءُ الكلبِ للقمرِ

* * *

وله القصيدة الثلجيَّة ، وهى مشهورة بالقُدْس ، نظَمها لمَّا كان قاضياً بها ، وعيَّن لها وقفًا وقُرَّاء يقرأونها كلَّ ليلة فى المسجد الأقصى .

ومستهلُّها :

ما الثلجُ ثجَّ على ذا الطُّورِ والحَرَمِ — نُورٌ تجلَّى به الرحمنُ ذو الكرمِ

من عهدِ مُوسى تجلَّى لا نظيرَ له — لكنَّه شاملٌ للعُرْبِ والعجَمِ

---

(١) بيفضهم حدد : أى ممنوع . (٢) شعوب : المنية . (٣) فى ب : « بين العلى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وفى الأصول : « فرأوا عن النظير به * عن الفريدة » ، ولعل الصواب ما أثبته .

من جملتها :

مِن جانبِ الرومِ ضيفٌ قد ألَمَّ بنا ... أنْجَى الخلائقَ من جَدْبٍ ومن ألَمِ

مُنَوَّرُ الوجهِ شيخٌ من محاسنِهِ الـ ... ـبِيْضا يفيضُ بوجهِ الْبانِ والعَلَمِ

تأتى سليمانَ من سُحْبٍ أريكتُه ... فالرِّيح تحملها بالخَيْلِ والحَشَمِ

تواضُعاً وجهُه فى الأرضِ محتَشِمٌ ... فمن تخطَّاه قُلْ يازَلَّةَ القَدَمِ(1)

✿



(١) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

١٥٩

محمد بن فضل الله المعروف بمعصمتى*

بحرٌ فى البلاغة زاخِر ، ومولى كله مناقب ومفاخِر .

يتسامَى به دهره ويتعالى ، ويتنافس به مادحُه ويتغالَى[1] .

فموضعُه من كرم الخِيم[2] وفضل العُلى ، موضعُ الإكليل من الرأس والعِقد من الطُّلَى .

وطبعه الروضُ إذا بَاح ، بسِرِّ نَوْره نفَسُ الصباح .

أصْلف من مِلح فى ما ، وأشَفُّ من زُجاجة عن صَهْبا .

وله بَنان تحُلُّ أقلامُه ما عقدتْه الأوهام بالأسنان ، فإذا دعا بيانَ المَقال لبّاه سحرُ البيان .

فيأتى بوَرْد خدٍّ تحت ريحان طُرَّة ، وصبح فَرْق يُسفِر عن نهار غُرَّة .

ولُطفه مع المعاشرين ، لطفُ ابن[3] العشرين .

تفتَرُّ عن ثنائه الثَّنايا ، وتحتوى على حُبِّه الضلوع والحنايا .

(*) محمد بن فضل الله الرومى ، المعروف بمعصمتى .

قاضى العسكر ، ومن أجل فضلاء الروم .

اتصل بشيخ الإسلام يحيى بن زكريا ، ولازمه ، وأخذ عنه .

ودرس بمدارس قسطنطينية ، ثم ولى قضاء الشام سنة تسع وأربعين وألف ، ثم ولى قضاء بروسه ، ثم قضاء أيوب وأزمير ، ثم قضاء قسطنطينية ، ثم قضاء سلانيك ، ثم صار قاضي العسكر بأناطولى وروم ايلى

توفى سنة ست وسبعين وألف ، ودفن بباب أدرنه من أبواب قسطنطينية .

خلاصة الأثر ٤/١١١ ــ ١١٥ ، حديقة الأفراح ١٢٤ نقلا عن النفحة.

(١) ساقط من : ا ، ب ، وهو فى : ج . (٢) الخيم : الأصل . (٣) فى ج : « أبناء » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وأنا لا أحسَب أن فى طبعه وَصْمة، وأن لا تجد منه العصمة .

وكان الدهر أغرِىَ بوَهْىِ[1] بنائِه ، لتلوُّنه تلوُّن المـاء فى إنائِه .

فلما رآه كالياقوت لا يتغــيَّر إذا أُلقِىَ فى النار ، عطَف عليه ورفع له فى الحظْوة المَنار .

فاستأْنف لَذَّاته وجِدَّها ، وأثبت مَقاماته وحَدَّها .

وتأزَّر بأثواب العُلى وتردَّى ، ولم تجد عنه السعادةُ مَحِيداً ولا مرَدًّا .

إلى أن فاجأه الموت ، وفات فى أجله الفَوْت .

فلا زالت الدِّيمةُ الوَطْفا[2] ، تُحيِّى قبراً ضمَّ منه كرماً ولُطفاً .

***

وهذه شذَرات من عِقْده ، جِئْتُ بها خالصةً من زَيْف الشعر الداعى لنَقْده .

فمنها قوله[3] :

أهــــلاً بمن فاق السِّماكَ مُحَجَّلاً ... شمسَ الضحى فى رفعةٍ وسَناءِ[4]

فـكأنَّ لى فوق الثُّرَيَّا منزلًا ... علِقتْ بسُدَّتِهِ حِبالُ رَجائِى

***

وكتب إلى أستاذى عِزَّتى[5] :

يومُـكمُ نصفُهُ تقَضَّى بنُور الْـ ... ـعِزِّ والنصفُ منه للقُرَناءِ[6]

---

(١) فى ا : « يوما » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) الوطفاء : الغزيرة المطر .

(٣) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/١١٣ . (٤) السماك : أحـد السماكين ، وهما نجمان نيران . القاموس (س م ك) .

(٥) خلاصة الأثر ٤/١١٣ ، وسماه محمدا . (٦) رواية ب ، ج :

يومكمُ نصفه تقضَّى بنومِ الـ ... ـعِزِّ والنصفُ منـــــه للأحياءِ

والمثبت فى : ا ، والخلاصة ، وفيها : « بنوم العز » .

طالعِ الدرسَ بعد كل عِشاء　　فالليالى تُعَدُّ للإحْيــــاء

* * *

وكتب إلى المفتى أبى سعيد[١] :

لا زلتَ فى فَلَك السعادةِ ساطعاً　　أنت الكفِيُّ بحاجتِى وحَسِيبى

أمَّلتُ حُظوةَ نظرةٍ من أجلِها　　أشغلتُ ساحتَكم ببَسْط كرُوبى

* * *

وكتب لبعض الصدور[٢] :

يا سراجَ التقى وبدرَ المعـــالى　　دُمْ منـــيراً وهادياً للعبادِ

كنتُ من قبلُ ألثَم اليدَ بالإجْـ　　ـلالِ والآن نالَ ذاك مِدادِى

* * *

وله من قصيدة ربيعيَّة[٣] :

زمنُ الوردِ بالرَّحيــقِ الصَّفُوقِ　　طاب حيثُ الصَّبوحُ مثلُ الغَبُوقِ[٤]

أنتَ بالغَنْـــجِ والدلالِ أنيسٌ　　ولىَ الخمرُ كالصديقِ الصَّدوقِ[٥]

* * *

وسمع قول ابن عبدِ ربِّه[٦] :

نَعَق الغرابُ فقلتُ أكذبُ طائرٍ　　إن لم يصدِّقْه رُغاء بعــيرِ[٧]

---

(١) هكذا فى الأصول، وتقدمت ترجمة أبى سعيد محمد بن أسعد ، برقم ١٤٩ فى هذا الجزء ، وفى خلاصة الأثر ٤/١١٣ : « وكتب إلى شيخ الإسلام أبى السعود فى صدر كتاب ، وهو : » .

(٢) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/١١٣ .　　(٣) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/١١٤ .

(٤) فى خلاصة الأثر :

عصرَ وردٍ عِشْ بالرَّحيق الصفوق　　دُمْ فإن الصَّبوحَ مثــلُ الغَبوقِ

(٥) فى خلاصة الأثر : « أنت بالفتح والدلال » .　　(٦) العقد الفريد ٥/٣٤٨ ، وخلاصة الأثر ٤/١١٣ ، وذكر أن المترجم قرأه في تاريخ ابن خلكان ، وهو فيه فى ترجمته ١/١٠١ .

(٧) فى العقد : « نعب الغراب » ، ورواية النفحة والخلاصة ، توافق مافى وفيات الأعيان .

فقال[١] :

وردَ النسيمُ فقلتُ أصدقُ قاصدٍ خجلتْ له عينُ النباتِ الأخْضرِ[٢]

* * *

ومما عرَّبه المَنْجَكِيُّ[٣] من كلامه :

لو فوَّقَ الحــظُّ سهماً من كِنانتِهِ وكان من خَلْفِ قافٍ لم يفُتْ غَرَضُ[٤]

* * *

وعرَّبتُ أنا من كلامه :

وأُريدُ أن أُبْدِي شــكايةَ هجرِهِ فيسُدُّ منه بكأسِ موعدِهِ فَمِي

* * *

ومنه[٥] :

مُقبِّلتي سدَّ السبيلَ شِــكايتِي على السِّرِّ من خاتمِ خاتمِ الفمِ[٦]

* * *

ومنه :

وأنفقْتُ عمرِي في تعشُّقِ فَرْعِهِ فلم أتنشَّقْ شَمَّةً من عَبِــيرِهِ

**

---

(١) خلاصة الأثر ٤/١١٣ .

(٢) في ا : « خلجت له » ، والمثبت في : ب ، ج ، ورواية عجز البيت في الخلاصة :

* إذْ كان من ألمِ الغرامِ خبيرَا *

(٣) يعني الأمير منجك بن محمد بن منجك، وقد تقدمت ترجمته في الجزء الأول ، صفحة ١٣٦ ، برقم ٧ .

(٤) قاف : جبل يقوف أثر الأرض فيستدير حولها ، كذا ذكر ياقوت . معجم البلدان ٤/١٨ .

(٥) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج . (٦) خاتم الأول من الختم ، والثانية مايتخذ في اليد، وهو يعني ضيق فم محبوبته.

— ١٦٠ —

حسين بن رستم

المعروف بباشا زاده ، نزيل مصر*

صِنْديد بطل ، ومِنْطِيقٌ غيرُ ذى خطأٍ وخَطَل .

نهجُه مستقيم ، والدهر بمثله عَقِيم .

بِشِيَمَ اقْتضاها مجدُه ، وأورثه إيّاها أبوه وجدُّه .

ومَفْخرة يتوشَّح بردائها ، ومَأْثُرة[1] يترشَّح لابْتدائها .

إلى أخلاقٍ ألطف من نعمةِ الوصال ، وأرَقّ من نَسْمة الشَّمال تُهديهـا[2] البُكور والآصال .

أقام بالقاهرة زمانا طويلا ، وأوسَع بها[3] الآمال إنعاما وتنويلا .

بين قوم حروف السؤال لديهم زوائِد ، فما لأحدٍ فى عِزِّهم[4] مُرْتجى ولا له[5] فى مصائبهم فوائِد .

(*) حسين باشا بن رستم الرومى ، المعروف بباشازاده .

ولد ببلغراد ، سنة ثمان وخمسين وتسعمائة .

وقدم إلى مصر ، فى سنة سبع وسبعين وتسعمائة ، وحج منهـا إلى بيت الله الحرام ، ثم رجع إلى البلاد الرومية ، وصار ملازما بمدرسة السلطان سليم الأول بقسطنطينية ، ثم ترك ذلك وعزم على الإقامة بمصر ، وطلب من السلطان أن يعين له من بيت المال مايكفيه ، وأنشأ بيتا على بركة الفيـل جعله محلا للوافدين عليه .

وكان فى أول أمره أخذ عن جماعة من الموالى العظام ، منهم المولى عبدالغنى ، والمولى محمد بن بستان ، والمولى أبو السعود العمادى .

توفى سنة ثلاث وعشرين وألف ، ودفن بالقرب من قبر القاضى بكار .

خلاصة الأثر ٢ / ٨٩ ، ٩٠ .

(١) فى ا : « ومآثر » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ج : « يهتديها » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٤) فى ا : « عزمه » ، وفى ب : « غـيرهم » ، والمثبت فى : ج . (٥) فى ب : « لهم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

فازْدَهتْ به المواطنُ والمَرابِـع ، وأشار إليه حتى النِّيلُ بالأصابع .

***

وله أخبارٌ نُشِرت أعلامُ إفادتِهـا فى كلِّ نادى ، وأشعارٌ لفصاحتهـا عند قُسِّ الإيادِىّ أيادِى .

فمنها قوله من قصيدة ، كتب إلى المفتى سعد الدين[(١)] ، يمدحه بها .

ومطلعها[(٢)] :

أراكَ ترُوم المجدَ ثم تُساهِلُ ... وزامِلةُ العمرِ اليسيرِ تُناقِلُ[(٣)]

ونفسُكَ زادت زَمعَها لا تَرُوعها ... وتفضُل عما خَلَّفتْك الأوائلُ[(٤)]

وقد طَفَلتْ شمسُ الحياةِ وبعد ماأخْـ ... ـتفتْ لا تراها تختفى فتُقابِلُ[(٥)]

وسُلَّتْ سيوُف الشَّيْب من غِمدها وقدْ ... تبرَّتْ لأن تَدْساخ منها الـكلاكلُ

سنابلُ أيامِ الهوى اصْفَرَّ لونُها ... وأوشك أن حلَّتْ عليها المَناجِلُ[(٦)]

وشتَّت نَبْلَ الحادثاتِ قِسيُّها ... وتُخْطىء إلَّا أن تُصِيب المَقاتلُ[(٧)]

فماذا التَّوانِي والتَّـكاسُل غافلاً ... تنامُ وشُدَّت فى الحَوالِي حبائلُ[(٨)]

---

(١) سعد الدين محمد بن حسن جان التبريزى الأصل ، القسطنطينى المولد والوفاة .

ولد بالروم ، وقرأ ودأب ، ولزم درس شيخ الإسلام أبى السعود العمادى ، وأخذ عنه ، وانتفع به.

واشتغل بالتدريس ، ثم اختاره السلطان مراد معلما لنفسه ، وأقبلت عليه الدنيا ، ولما توفى السلطان مراد ، أبقاه السلطان محمد ولده معلما لنفسه أيضا ، ثم ولاه الإفتاء .

توفى ، وهو مفت ، سنة ثمان بعد الألف ، ودفن بالقرب من أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه .

خبايا الزوايا ، لوحة ١٩٨ ب ، خلاصة الأثر ٣/٤١٨ ـ ٤٢٠ ، ريحانة الألبا ٢/٢٧٣ـ٢٧٥.

(٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . ومطلع القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٩٠ .

(٣) فى ج : « وزامره العمر » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .

والزاملة : الدابة يحمل عليها .

(٤) فى ب : « زادت ربعها » ، والمثبت فى : ا ، ج .

والزمع : القلق ، وفى ب : « وتغفل عما خلفتك » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) فى ا ، ب : « وقد طلعت » ، والمثبت فى : ج . وطفلت الشمس : دنت للغروب .

(٦) فى ب : « عليها الأناجل » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) فى ا : « وشقت شمل الحادثات » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٨) فى ج : « فماذا التوانى والتغافل كاسلا » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وحوالى الشىء : جهاته المحيطة به .

وما أنت فى دُنياك إلّا معذَّبٌ ... بِرُوحٍ يعانى غَمّه ويُماثِلُ

وجسمٍ يُهادَى بين موتٍ وسُقْمِهِ ... ولا ينْثنى عنه الأسَى والنّوازلُ

فأىُّ صفاءٍ لم يَشُبْهُ مكدِّرٌ ... وأىُّ وِصالٍ لم يُعقبه فاصلُ

إذا ما عَراكَ الهمُّ بالعُدْمِ فاعتبِرْ ... بأصدقِ قولٍ لا ترى من يُجادِلُ(١)

تباعَدْ عن الدنيا وزايِلْ نعيمَها ... فكلُّ نعيمٍ لا مَحالَةَ زائلُ(٢)

يُنادِى جميل الخلق حيًّا وميّتًا ... ألا كلُّ شىءٍ ما خَلا اللهَ باطلُ(٣)

تطول رِشاءً فى الأمانىِ وإنّه ... تُحوّلُ فيما لم يكن فيه طائلُ(٤)

فوالله خَلاّقِ البَرايا وربِّهم ... تُسَنُّ سِنُوها والشهورُ مَناصِلُ

وتَرنُو لآمالٍ بعمْرٍ نهــارُه ... قصيرٌ وقِيعانُ الأمانى أطاوِلُ

رأيت ذوى التِّيجانِ ثُلَّتْ عروشُهم ... وتنظُر فى الأركانِ يوما عَنادِلُ

وتغترُّ بالدهرِ الدَّنِىِّ وجاهِهِ ... فمَن رام بالجاهِ المُجاهاةَ جاهلُ

ولو لم تكن تَجلُو السَّرِيرةَ بالتُّقى ... صباحَكَ لَهْواً ويومَكَ هازِلُ(٥)

فلا تعتمِدْ دهرًا بُلِيتَ به فمــا ... ترى الخلق إلّا وهْو جاءٍ وراحِلُ

ومن حام فيــــه ساعةً مستمرّةً ... على ما ارْتضاه فهْو ساهٍ وغافلُ(٦)

ولا تحتظِى فيها البرايا فإنّها الدّ ... قيقُ وأنّاتُ الدّواهِى المَناخلُ

منها(٧) :

أيا نفسُ ما هذا التّنافسُ فى المُنَى ... أما تنظُرين الدهرَ ماذا يُحاوِلُ

---

(١) فى ب ، ج : « عراك الغم » ، والمثبت فى : ا . (٢) ضمن هذا البيت والذى يليه قول لبيد:

ألا كلُّ شىءٍ ماخلا اللهَ باطلُ ... وكلُّ نعيمٍ لا مَحالةَ زائلُ

وهو فى شرح ديوانه ٢٥٦ .

(٣) كذا فى الأصول : « جميل الخلق » ، ولعل الصواب : « جميع » . (٤) لعله أراد « تحاول » مكان « تحول » . (٥) فى ب : « صباحيك لهواء » ، وفى ج : « صبوحك لهواء » ، والمثبت فى : ا . (٦) فى ا : « فمن رحماء فيه » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٧) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

يُرَوِّيك من ماءٍ أُجاجٍ مكرَّرٍ   وأَرْيُكَ منه سَلْسَلٌ وهَلاهِلُ (١)

تَرُومينَ عيشًا رائقًا ومَعالِيًا   وذلك سَفْسافٌ حوَته الحسائلُ (٢)

وأَمْلَتْ لكِ الأيامُ في العصرِ بُرْهةً   تَمُرُّ بك الموتى وتجرى المحاملُ

وليلُ سبيلِ البَيْنِ أسودُ حالكٌ   وتُصْطاد أَعْمارٌ به ورآئلُ (٣)

أَتَسْرى بدخْياءِ الليالى وأُطْفِئَتْ   بتسْريحِ أَرْواحِ الذنوبِ المَشاعلُ (٤)

بنَيْتَ ديارًا قد نَبَتْ بك نَبْوةً   وتُلْهيك رَوْضاتٌ بها ومَجادِلُ

سَتَثْوِى بقاعٍ صَفْصفٍ وتحُلُّه   أو الى خيول جُلْنَ فيه المغاسلُ (٥)

عَمُوا أيها الشَّافون منها جُيودهم   ودوموا وقُوموا واستقيموا وحامِلُوا (٦)

صَباحةُ فجرِ الوصلِ أبدتْ طَلاقةً   ألا أيها الإخوانُ قوموا فناوِلُوا

كُؤوسَ رحيقٍ فاح كالمسكِ نَشْرُها   بنَشْوتِها تُنْسى الرَّدى وتُجاملُ

تُسِيحُ صَمِيمَ القلب ظَمْياءَ كُرْبةٍ   إذا أبْطأتْ فى الدَّوْرِ تلك الذَّبائلُ

تجودُ بأفنانِ الذنوبِ جوارحِى   وطَرْفى بأقْطارِ النَّداية باخلُ

أتاكِ إلٰهى صاغرًا متأسِّفًا   على ما جَناها وهْو جَدْواك سائلُ (٧)

مُقِرٌّ بما يَكْبُو ويَهْفُو وذاكرٌ   كثيرُ خطيئاتٍ أقلَّ وعائلُ

✲

---

(١) الأرى : العسل .   (٢) لعله أراد جمع الحسل ، بكسر فسكون ، وهو ولد الضب ، أو جمع الحسالة والحسيلة ، وهم سفلة الناس .   (٣) فى ا ، ب : « أغار به ورسائل » ، والمثبت فى : ج ، وهو جمعه للرأل ، ولد النعام ، ولم يرد هذا الجمع .   (٤) ليلة دخياء : مظلمة .

(٥) فى ا : « أو الى جنول » ، وفى ب : « أو الى خبول » ، والمثبت فى : ج .

(٦) فى ب : « أيهـا الثانون » ، والمثبت فى : ا ، ج . وفى ج : « وعاجلوا » .

(٧) صدر هذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

١٦١

أحمد بن زين الدين ، المعروف بمنطق*

هو وإن كان بدمشق مولدُه ومَرْباه ، وبمائها وهوائها سُقِيَ فترنَّح غصنُ رُباه .
فله من الفارسيَّة أوفرُ قِسْم ، ومن التركيَّة ما يتخيَّل أنه وإيَّاه رُوح وجسم .
ولحق بالرُّوم فصار منهم ، وإن لم يكن يفُوق على أبلغ بُلغائهم فلم يقصِّر عنهم .
فرَمَتْ له عن قَوْسِها الروم ، واتَّفقتْ على تفْضِيلِه الأعلامُ والقُروم.
وعهدى بمن يُفرِّق الرَّثَّ من السَّمِين ، ويعرف فضلَ الوَرْد على الياسَمين .
يقول: إنه فَطِنٌ يتلهَّب شرارُ عَفَارِه[1] ومَرْخِه[2]، ومُحسِن إذا نطَق بشعره، استوْقَف الطيرَ فى مِنْقاره وزَقِّ فَرْخِه .

***

وأشعارُه مُتنفَّسُ خواطرُ الشعراء ، ومن أراد مُحا كاتها فى حُسْن التَّأْدية نُبِذَ بالعراء.
وقد أوردت من شعره العربى قطعــةً تشهد له بالإحسان ، شهادةَ الروضِ الأرِيض بفضل ماء نَيْسان .

(*) المولى أحمد بن زين الدين العجمى ، المعروف بمنطق قاضى القضاة .
أديب ، شاعر ، ناثر ، عذب المنطق ، سريع الفهم ، ينظم بالعربية والفارسية والتركية ، وشعره العربى قليل .
ولد سنة ثلاث بعد الألف .
واشتغل بالتدريس فى المدرسة السليمية ، بصالحيــة دمشق ، ثم سافر إلى الروم ، وأصبح نديما للسلطان مراد ، ثم صار قاضى قضاة الشام .
خنق بقلعة دمشق ، سنة خمس وأربعين وألف ، ودفن بمقبرة الفراديس .
خلاصة الأثر ١/١٩٧ ـ ٢٠١ .

(١) العفار : شجر يتخذ منه الزناد .   (٢) المرخ : شجر سريع الورى .

وهى قوله[1] :

سقتِ الرياضَ دموعُ عينِى الجاريَهْ فبدتْ تراجعُها عيونٌ باكيَهْ[2]

وسَرَتْ لأغصانِ الوُرودِ فأصبحتْ أكمامُها منهـا قلوباً داميَهْ

دمعِى تبدَّل بالشَّرارِ وكيف لا وجحيمُ قلبى فيـه نارٌ حاميَهْ

ماذا علىَّ من الجحيمِ ولم تزلْ نارُ المحبَّةِ فى وجودِى باقيَهْ

يا سادةً لمَّا بدا سلطـانُهم ملَكَ القلوبَ من الأنام كما هيَهْ

تلْوِى غصونُ قُدودهم أيدى الصَّبا وقلوبُهم مثلُ الحجارةِ قاسيَهْ

لم يبْقَ لى ثمنٌ يُقاوِم وَصْلَكُم إلا المحبةَ والمحبـةُ غاليَهْ[3]

الجسمُ ذاب من الجفا والقلبُ رَهْـنٌ عندكم والرُّوحُ منِّى عاريَهْ[4]

مُنُّوا علىَّ بنظْرةٍ فوَحقِّهـا قسماً بمَن أبْرَى النفوسَ الفانيَهْ[5]

لو مرَّ بى مَيْتاً نسيمُ ديارِكم سرَتِ الحياةُ إلى عظامِى الباليَهْ

*

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ١/١٩٨ . (٢) فى الأصول : «فبدت تراجسها» ، والمثبت فى الخلاصة .

(٣) فى ج : « لم يبق لى يمن » والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .

(٤) فى ب : « والروح عندى عاريه » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٥) فى الخلاصة : « بمن يحيى النفوس » .

١٦٢

عطاء الله بن نوعى ، المعروف بعطائى

ضافى ذيل النباهة ، صافى ماء البَداهة .

ما أعاقه طبعٌ ، ولا جَفَّ له نَبْع .

وأنا أتحقّقه كلّما أطال أطاب ، ولم يَخْرج من خزينة رُؤيته إلا جواهرُ شفّافة ولآلٍ رِطاب .

بمُحاورات يحمرُّ لها خدود الشَّقائق من الخجل ، ومحاضرات تكاد تُخلِّص الحياة من يد الأجَل .

وله كتاب « الذيل على الشقائق النُّعمانية ، فى علماء الدولة العثمانية » .

أجاد فيه سَجْعًا وتقْفية ، ووفَّى الحُسن أكمَلَ توفية .

وكلامه فى المُقفَّى والموزون ، سَلْوة المغموم وفرحةُ المحزون .

* * *

ولم يبلغنى من شعره العربىّ إلا قوله :

ولمَّا توالتْ للزمانِ مصائبٌ لكلِّ رَذِيلٍ بالرَّذالةِ مُعْلِمِ

ترامتْ بهم أيدى المَنايا عن المُنَى إلى حيث ألقت رَحْلها أم قشْعَمِ (1)

* * *

وعرَّبتُ له بيتا ذكره فى ترجمة شيخ الإسلام زكريا(2) ، وقد وَلِيَ الإفتاء فى سنة إحدى وألف ، وهو :

فى رأسِ كل مائةٍ يجىء مَن يُجدِّدُ الدينَ بديعَ الوصفِ

ومثلُ ذا مُجدِّدٌ للدِّينِ لا يجىءُ إلا واحدًا فى الألْفِ

*

(1) أم قشعم : هى المنية والحرب والداهية الكبيرة ، وعجز هذا البيت تضمين لقول زهير بن أبى سلمى . انظر ثمار القلوب ٢٦٠ . (2) تقدمت ترجمته فى هذا الجزء ، برقم ١٤٤ .

١٦٣

ولده محمد

ابنُ أبيه ، فالأصلُ نَبِيهٌ والفرع شَبِيه .

مشىَ على أثرِه ، وضرب على مُحْكَمه فى نظمه ونثره .

إلا أنه قدَح ، وأبوه مدَح .

وتجاوز فى الأمَد ، وشفَى الحقْد والكمَد .

وهو وإن أتى بما عليه رَوْنق وحلاوة[1] ، إلّا أنه من هذا الأمر فَالِجُ ابن خَلَاوة[2] .

فالله يعفُو عنه وعنِّى، وعن كل من يتكلَّم بما لا يَعْنِينى .

***

فمن شعره قوله :

يأوِى إلى الحمّامِ فى أوطارِهم ... أهلُ المعالى عند إعْوازِ الخدَمْ

حتى إذا ما حمّلوا فوق الرِّضا ... حكمَ القضا فى بيْته يُؤْتَى الحكَمْ

***

هذا المثل مما زعمت العرب وَضْعه على ألسنة البهائم ، قالوا : إن الأرنب، التقط تمرةً فاختلسها الثعلب ، فأكلها ، فانطلقا يختصمان إلى الضَّبِّ .

---

(١) فى ب ، ج : « وطلاوة » ، والمثبت فى : ا . (٢) فالج بن خلاوة الأشجعى ، ويقال : أنا منه فالج بن خلاوة ، أى برىء ، وذلك أن فالجا قيل له يوم الرقم ، لما قتل أنيس الأسرى : أتنصر أنيسا ؟ فقال : أنا منه برىء .

فصار مثلا لكل من كان بمعزل عن أمر ، وإن كان فى الأصل اسما لذلك الرجل .

مجمع الأمثال ١ / ٣٠ ، القاموس (ف ل ج) .

ويوم الرقم لغطفان على بنى عامر ، والرقم جبال دون مكة بديار غطفان .

أيام العرب فى الجاهلية ٢٧٨ .

فقالت الأرنب : يا أبا الحِسْل .

فقال : سميعاً دعوتِ .

قالت : أتيناك لنختصم إليك .

قال : عادلا حكّمْتمُا .

قالت : فاخرُج إلينا .

قال : فى بيته يُؤْتَى الحكَم .

هذا محل المقصود منه ، وله تتمة طويلة .

* * *

ومما يناسب مَنْزَعَه فى التضمين قول بعضهم :

لنا عالم يُؤْتَى فيأتِى بحُجَّــــةٍ على ذاك من أخبار علمٍ وآياتِ

وقلنا له الإسلام يعلُو ولم يكن ليُعْلَى فقال العلم يُؤْتَى ولا يأتِى

✿✿

١٦٤

محمد بن داود المعروف برياضي*

شاعر بارع ، مُقسِمٌ لرُتبِ(١) البراعة فارع .

(٢ تُؤثِرُه أدباؤهم ٢) على غيره ، ومن أراد منهم نَهْج البلاغة سار على سَيْره .

اشتهر ذِكْرُه ، واسْتطار شرراً فكْرُه .

ونهض فنهضتْ بنهضتِه(٣) هِمَم ، وتكلَّمَ فأسمعتْ كلماتُه مَن به صَمَم .

***

وله أدب شَعْشَع به البدائع وروَّقها ، وقلدها بمحاسنه النوادرَ وطوَّقها .

فرياض أدبِه لا تعرف أزهارُها الذُّبول ، إذا ما هبَّت نَسَماتُها استخلفتْ الصَّبا والقَبُول .

فمما عرَّبته من مُفرَداته :

إذا تذكَّرتُ منه رِيقاً ... ترحَّل الصبرُ والقَرارُ

إن عزَّ وِجْدانُه بمصرٍ ... لله فى الأرض قَنْدُهارُ(٤)

ومنها هذه الرباعية :

أهْوَى قمراً فاق على الأقْمارِ ... قد قيَّد بالحسن خُطَى الأبْصارِ

لا أرغبُ فى الحياة إلّا طمعاً ... فى رُؤْيته فهْى مُنَى الأعْمارِ

(*) محمد بن داود الرومى الأطروش ، المعروف برياضى .

قاضى القضاة بالشام .

ولى قضاء الشام سنة ست وعشرين ، وكان مذموم السيرة فى قضائه ؛ لكثرة طمعه وقلة إنصافه ، ثم عزل عن قضاء الشام ورحل إلى الروم .

اختصر تاريخ ابن خلكان ، وله ديوان بالتركية ، وله أيضا « تذكرة الشعراء » .

توفى بقسطنطينية ، سنة ثمان وعشرين وألف .

خلاصة الأثر ٣/٤٦٤ .

(١) فى ا : « لرتبة » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « تؤثر آباؤه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ب ، ج : « بنهضه » ، والمثبت فى : ا . (٤) قندهار : من بلاد السند أو الهند ، مشهورة فى الفتوح . معجم البلدان ٤/١٨٣ ، ١٨٤ .

١٦٥

أُوَيس ، الشهير بويسى*

شاعر مُنْشٍ ، وناسج مُوَشٍّ .

لا يُنْدِي إلَّا أَلْجَمَ ، ولا يُناظر إلَّا أفْحَم .

اشتهر بالإحسان اشْتِهار الزهر بأُوَيْس ، ولم يُقابَل مُجارِيه ومُباريه إلا بوَيْحَ ووَيْس (١) .

أعْرَب بفنونه ، واعْترى القلبَ بفُتونه .

وآثاره مِمَّا تنفَّع الكبراء على أسْمارها ، وترْقمُ ببدائعه هالاتُ أقْمارها .

أُوتِيَ فى اللسان بَسْطة ، كما مُنِح فى اليَراع نَشْطة .

فكأنَّ المعانىَ حاضرةٌ على طرف فَمِه ، والألفاظَ مترقِّبةٌ لأن يُجْرِيَها على بَنانِه وقلمِه .

وقد ترْجم السيرةَ النبوية فأحْسن كلَّ الإحسان ، وأطاعتْه فيها الفقراتُ إطاعة القوافى لِحَسَّان .

(*) المولى أويس الرومى ، القاضى ، المعروف بويسى .

كان سريع البديهة ، حسن التأدية والتصرف .

وله تآليف حسنة ، منها « سيرة النبى صلى الله عليه وسلم » بالتركية ، وكتاب « واقعتنامه » بالتركية أيضا ، على مثال رسالة بين البديع وابن فارس ، تجدها فى يتيمة الدهر ٢٧٠/٤ ، وريحانة الألبا ٣٠٣/٢ .

واشتغل ويسى بالقضاء ، فكان قاضيا باسكوب .

توفى سنة سبع وثلاثين وألف .

خلاصة الأثر ٤٢٥/١ ـ ٤٢٨ ، وانظر ريحانة الألبا ٣٠٦/٢ .

(١) ويس : كلمة ترحم ، والويس : الفقر . القاموس (و ى س) .

فشكَر صَنِيعَه من اتَّسم بكمال النُّهى ، وأحلَّه هذا الأثَرُ من مَراقِي العِزِّ فوق فَرْقِ السُّهَا .

وله غيرُه من الآثار فى الفنون ، بما[١] يُحقِّق تمكُّنَه من الاطِّلاع للظُّنون .

* * *

ومن جَيِّد معانيه المْنقوله قولُه :

شجَرُ الخِلافِ يقول للنَّهرِ أنا مُرْتَوٍ بنوالِكَ الغَمْرِ[٢]
والنهرُ أيضــــا قائلٌ وأنا فى ظلِّ فَضْلِك دائما أجْرِى

* * *

وحللتُ من أبياته :

الباطلُ باطلٌ لا شُبْهَةَ تُنافيه ، لكنْ ربما ظهر فى صُورة الحقِّ فشكَّ المفكِّر فيه .

---

(١) فى ب : « ما » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « أنا مرتق » ، والمثبت فى : ب ، ج. والخلاف : صنف من الصفصاف . القاموس (خ ل ف) .

١٦٦

عمر المعروف بنفعى *

ابن الرُّومى بعينه فى الهجا (١) ، فكأن ذاك ما راح وهذا ما جا .

لو قَرِع إبليسُ بهجْوه لتاب ، أو رُمِىَ ماردٍ بجذْوةٍ منه لَذاب .

وكله إذا فتَّشت فيه ، وساوسُ أغراضٍ يُمليها فكره على فِيه .

فكْواتُه لا تفارق النار ، وإذا جَهِل (٢) فعلى أعْلَى (٣) المَنار .

بفكرٍ يردُّ السيفَ مُثلَّماً ، والرمحَ مُقلَّما .

ويصيِّر القمر للعمرِ هادِما ، ولا يدَع الواصفَ للعسلِ بقَىْءِ الزَّنابير نادما .

ولقد رأيتُ أهاجِيه مِرارا ، فأعرضتُ عنها تقطُّبا وازْوِرارا .

لأنَّ نحْسَها أدَّى إلى رَداه ، ومكَّن من وَريده حُسامَ عِداه .

فكان كالباحث عن (٤) حتْفِه بظُلْفه ، وترك من لا يردُّ سهامَ ملامِه وتقْرِيعه من خَلْفه .

(*) عمر المعروف بنفعى بن رومى .
أحد أعيان كتاب الدولة ، وشاعر الروم المتفوق .
ولد ببلده ويقال لها حسن قلعه سى ، ثم قدم قسطنطينية ، وتعانى الكتابة والأدب .
ولم يصل أحد إلى إجادته لفن الهجاء ، وقد جمع شعره فى الأهاجى فى ديوان ، سماه «سهام القضا» .
وكان السلطان مراد يقربه ، وتعجبه مسامرته .
قتل نفعى سنة اثنتين وأربعين وألف ، بسبب أهاجيه .
خلاصة الأثر ٣/٢٢٨ _ ٢٢٩ .

(١) عقد المحبى فى خلاصة الأثر ٣/٢٢٩ ، ٢٣٠ مقارنة بين مقتل نفعى ومقتل ابن الرومى .

(٢) فى ا ، ج : « جيهل » ، والمثبت فى : ب ، وجيهل بمعنى اجهل . انظر القاموس (ح ى ى) .

(٣) فى ا ، ب : « أهل » ، والمثبت فى : ج .

(٤) فى ب : «على» ، والمثبت فى : ا ، ج

وهو على بَذاءة لسانه ، يُجيد فى التغزُّل بحُسْن القول وإحْسانِه .

وكل معنًى مبتكَر ، لا تحُوم حولَ حِماه الفِكَر .

فمنه على ما عرَّبْتُه :

أسَرَتنى بلَحْظِ طَرفٍ ساحرٍ أوْقعتنى فيه بقَيْدِ الناظرِ

باللهِ صُنْ صائلَ الفَرْعِ ولا تُخلِّنى فى همِّ قيدٍ آخرِ [1]

☆☆☆



(١) فى ب : « صن جائل الفرع » ، وفى ج : « صن حبائل الفرع » ، والمثبت فى : ا .

١٦٧

عبد الباقى ، المعروف بوجدى

السيف القاطع ، والكاتب المُتناسب المَقاطع .
أىُّ وقارٍ فى تلطُّف ، وأُنْسٍ مع حسن تعطُّف .
إلى خُلُقٍ كما هبَّتْ صَبا نَجْد ، وطبعٍ يمْتلِى به المشْغوفُ وَجْداً على وَجْد .

* * *

وهو فى الأدب ممَّن بَعُد شأْوُه ، وله شعر يُعلَم منه مقدارُه وبَأْوُه (١) .
منه ما عرَّبْتُه :

ما تراءى لى ذلك الوجهُ إلَّا قام فيه لَوْنُ الحياءِ نِقابَا
عجباً من سَواد مِرْآةِ حَظِّى قابلتْ نُورَه فصار حِجابَا

☆☆☆

(١) البأو : الفخر والتعالى .

١٦٨

نائلى*

ربُّ فصاحةٍ وبراعة ، وفارس دَواةٍ ويَراعة .

نبغ وتفوّق ، وتصفّى كأسُ أدبِهِ وتروّق .

وراح [١] فى الحَلْبة واغتدَى ، واكْتسَى بأحْسن الحُلة وارْتدَى .

ومازالت تُعِلُّه الرياسةُ وتُنْهِله ، والدهرُ يُيسِّر أمَله الأقْصَى [٢] ويسهِّلُه .

حتى استقامتْ أسبابُه ، وتمتَّعتْ حيناً برَوْنَق أيامه أحبابُه .

على توفُّر حظُوظٍ شارِقة ، وإخْفاق [٣] سحبِ أمانٍ بارِقة .

***

وهو فى الأدب ممن استُحسِن مَنْزَعُه ، واستُعذِب من مثله مَشْرَعُه .

وطبعه فى الشعر العارِضُ إذا هَتَن ، وما أرى إلَّا أنه أراد أن يشْعُر ففَتَن .

فممَّا عرَّبْته من بدائعه قوله :

أيهـا الطالبُ شمسَ الأُفْقِ منْ   مسكنٍ عزَّتْ به وامْتنعتْ

ارْجُ قُرْبَ الوصل إن الشمسَ فى   شَرَكٍ من عارضَيْـــه وقعتْ

(*) ذكره المحبي فى خلاصة الأثر ٣/٢٢٩ ، فى ترجمة عمر المعروف بنفعي، وذكر أنه ممن تخرج بنفعى وكان له به زيادة اتصال ، وذكر الحاج الوزير بيرام باشا عليه فى هجو نفعى ، وماحدث لهما .

(١) فى ب : « وراج » ، والمثبت في : ا ، ج .   (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٣) فى ا : « وخفاق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، ويعنى بإخفاق السحب إنزال ما فيها من ماء .

١٦٩

فهيم

شابٌّ شَبَّ فى حُجور الآداب ، وتعلَّق من الشعر الغضّ بتلك الأهداب .

فجاء منه بما تستعير لُطفَه الشَّمائل ، ويرِقُّ به النسيمُ إذا سرَى بين الخمائل .

وقد تغرَّب فى عُنفوان شبابِه ، وغاص فى بَحبُوحة التفنُّن وعُبابِه .

فأرضعتْه الحُنكة بلِبانها ، وأدَّبته الدُّرْبة فى إبَّانِها .

فكان أبرعَ مَن أورد اليَراعَ فى مِحبَرة ، وهزَّ غُصنها فى روضةِ طِرسٍ مُحبَّرة .

إلَّا أنه كان لا يقتصر على سَمْت ، ولا يخلو من انحرافٍ وأَمْت [1] .

وقد نزَع إلى سلُوكٍ ورِياضة ، واستحسَن عن الزُّخرُف بالخَشِن تبدُّلَه واعتياضَه .

***

وله « ديوان » شعر موجود بأيدى الناس ، وأكثرُه غزليَّات من أدقّ رُقى الوَسْواس الخنَّاس [2] .

فمما عرَّبته منها :

عجبتُ من لَحظِ ظَلومٍ فى السَّطَا ‏ ‏ ‏ ‏ يُعلِّمُ التظلُّمَ المظلوما

✿

---

(١) الأمت : الاختلاف فى الشىء ، والضعف والوهن . القاموس (أ م ت) .

(٢) زيادة من : ج ، على ما فى : ا ، ب .

١٧٠

سليمان ، المعروف بذاق *

ظَرْف الظَّرْف ، وقوة الطَّرْف .
وزاملة النُّتَف ، وأُطْرُوفة الطُّرَف .
كُنْه الأخبار حديثا وقديما ، فلهذا اتَّخذه الكبراء جليسا ونَدِيما .
فهو على القَدح رَيْحانَة ، وفى الكأس سُلافةُ حانَة .
وكان مُولَعا بالصِّناعة ، ولديه منها [(١)] توسُّع فى البِضاعة .
فهو قَمَرِىُّ التصوير ، شمسىُّ التأثير ، ومحلُّه مابين فَلَك عُطارِد والفلَك الأثِير .

* * *

وله شعر عَذْبُ المَساغ حلوُ المَذاق ، ورتبتُه فى الأدب رتبةُ المَهرة الحُذَّاق .
فما عرَّبْتُه من كلامه :

ما أخْجَلَ الحِبَّ عَتْبُ صَدٍّ جَنَى به الطَّرْفُ وردَ خَدِّ
بل أشعلَ الحسنُ فيه جمراً قطَّر للرِّيق ماءَ وردِ

* * *

(*) سليمان البوسنوى ، المعروف بذاق .
نزيل قسطنطينية .
أحد بلغاء شعراء الروم ، وأذكيائهم .
جاب فى أول أمره البلاد ، وهو على سمة الدراويس ، ثم نادم الوزير الأعظم أحمد باشا الفاضل ، وحظى عنده ، وصار من خواصه ، وكاتب ديوانه .
ودخل آخر أمره مصر ، فقربه حاكمها أيوب باشا ، وجعله كاتب ديوانه ، وصاحب حله وعقده .
وكان شديد التولع بالكيمياء ، وصرف عليها أموالا كثيرة .
توفى بقسطنطينية ، سنة سبع وثمانين وألف .
خلاصة الأثر ٢/٢١٣ .

(١) فى أ : « من » ، والمثبت فى : ب ، ج .

قلت : هذا معنى لطيف .

ولأبى الطيِّب صالح النقرى [١] من شعراء المركز [٢] ، ماهو منه من أبيات :

أنْضجْتُ وردةَ خدِّه بتَنَفُّسِى وظَلَلْتُ أشربُ ماءها مِن فِيهِ

* * *

وحلَّيت من شعره :

كثيرا ما يغُمُّ العاشقَ فكرٌ يُتصوَّر فى خِياله ، والمعشوقُ فى شُغْلٍ عنه يمنعُه أن يَمُرَّ ببالِه .

وقِسْ على هذا الحال [٣] المعارف يُتوقَّع منهم المكروه ، وأما الأجانب فالمرء آمِنٌ مَكائدَهم من كلِّ الوُجوه .



(١) كذا ، ولم أهتد إليه . (٢) كذا فى الأصول .

(٣) فى ب : « حال » ، والمثبت فى : ا ، ع .

١٧١

نابى

هو الآن فى الأحيا ، يُوازِن بمكارمِه الصَّيِّبَ إذا حَبا وأحْيَى .
آخذٌ بأسبابِ المحاسن جملةً وتفصيلا ، ومستوعِبٌ أدوات الفضائل غريزةً وتحصيلا .

***

وأما أدبه فالربيعُ زاهٍ بفضله ، والحبيبُ مُنْعِمٌ بعد هجرِه بوصْلِه .
شقَّ الجيوبَ من الطَّرب ، وعَلَّ النفوس بما هو أحلى من الشُّهْد والضَّرَب[1] .
وشعرُ كلٍّ من عاصره بالنِّسْبة إلى شعره المُسترِق النُّهَى ، إن لم يكن أرَقَّ من السُّهَا ، فهو أخْفَى من منديل الرُّها[2] .
فمما عرَّبْتُه منه :

لا أرَى كأسَ الأمانِي دارَ نَحْوِى فى أمانِ
فهْو قد حقَّقتُ منه تابِعٌ دَوْرَ الزمانِ

✻

(١) الضرب : العسل الأبيض الغليظ .
(٢) الرها : مدينة بالجزيرة ، بين الموصل والشام . معجم البلدان ٢/ ٨٧٦ .

١٧٢

الأمير يونس المَوْصِلِيّ، المعروف بسامى

جَمُّ الأدب رائقه، سامى النظم فائقه.

رأيتُه وقد أخذ منه الكِبَرُ، واعتبرتُ منه العِبَر.

وهو يَرُوع الليثَ فى آجامِه، ويُخْجِل الغمامَ عنه انْسجامه.

وكنت عاشرتُه مدةً قليلة، وحصَلت منه على أمانٍ جليلة.

تنْسكب علىَّ فوائدُ تجاربِه كالمطر، فأرانى بفضل عِشْرته قضيْتُ من أمرِ الرحلة الوَطَر.

وكنتُ مدحتُه بأبيات، مستهلُّها:

بِرُوحِى بل بآبائى الكرامِ ... فتًى تَفْدِيه أرواحُ الأنامِ

أقول فيها:

وكم لى فيه من عِقْدِ امْتداحٍ ... على الأيامِ مُتَّسِق النِّظامِ

يرُوقُك حُسْنُه فتراه لُطْفًا ... كما حدَّثْت عن صَفْو المُدامِ

قَوافٍ ليس تكسِبُه افْتخارًا ... ولو جاءتْ بمُعجزةِ الكلامِ

ففيه تقولُ ألسنةُ المعالِى ... سَما يسْمُوا سُمُوًّا فهْو سَامِى

***

وعرَّبت من كلامه:

والروحُ منِّى فى مَضِيقٍ إن تجِدْ ... فَرَجًا أبَتْ أن نلتقِى فى المَحْشرِ

☆

١٧٣

أحمد المعروف بفصيح

حَيٌّ موجود ، لكنه منقطعٌ عن الوجود .
بشَهامة نفسٍ لها فى ذاتها تفرُّد ، ولطفِ أدب كأنه فى وَجْنة الزمان تورُّد .
وقد صحبتُه بالروم وله رُواءٌ وبِزَّة ، وغُصن كمالِه تتساقط ثمراتُه بأدْنَى هِزَّة .
ثم عَدل إلى توحُّشٍ وانقطاع ، ولله تعالى فى خَلْقه أمرٌ مُطاع .

***

وكان أنشدنى من أشعاره قطعًا فى الغزَل ، ما زلت أتمتّع بهـا فى أوقات الوَحْدة ، ولم أزَلْ .

وقد عرّبتُ منها هذا المُفْرَد :

علمتُ لمّا فكَّ عن صدرِه   كيف تشُقُّ الشمسُ جَيْبَ الصباحْ

الباب الرابع

في طرائف ظرفاء العراق والبحرين


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

في طرائف ظرفاء العراق والبحرين والعجم

أما فضلُ العراق ، فكالشمس حالةَ الإشراق .

وحسبك أنه فى جهة مَطْلِعِها الذى هو الشّرق ، وإذا قِيس بالغرب فكأنما سُوِّىَ بين القدم والفَرْق .

وشتّان بين ما تُجْلَى الشمس منه فوق مِنَصّتها ، وبين مايَشْره أفقُه الغربىُّ لابتلاع قُرصتها .

وأما أهله فهم ملائكة الأرض ، وبهم لاق من المدح المسْنونُ والفَرْض .

وشعراؤه قد هامُوا من البلاغة فى كل واد ، وجلَوا غُرَرَهم [1] فى سَوادِه [2] وأحسنُ مالاحتِ الغُرَر فى السّواد .

وقد خرج قريبا منهم جماعة أطلعوا ذُكاءَ ذَكائِهم فى أُفُقه المُشرِق ، وملأُوا ببضائع فوائدهم ونصائِع فرائدهم حقائبَ المُشْئِم والمُعْرِق .

***

(١) فى ج : « عندهم » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) يشير إلى أرض السواد من العراق .

١٧٤

عبد على بن ناصر بن رحمة الحُوَيْزِىّ *

أوحدُ من أبدَع وأغْرَب ، وشعَر فأبان عن إعْجازه وأعْرَب .

ماشئتَ من اسْتحكام المْبنَى ، وانقْياد اللفظِ الغرّ من المعنى .

وحُسن الأسلوب الذى تشبّثَ بالحشايا ، ونَصاعةِ المُقترَح الذى تبْتهج به البُكَر والعَشايا .

* * *

وشعرُه تملِكه الرِّقّة على الشّوادِن العُفْر ، ويُكسِب القدودَ خِفّةً فتكاد تسْترقص على الظُّفْر .

أرقُّ من دمعةٍ شيعيّةٍ تبْكى على ابن أبى طالبِ

فالهوى أول تميمةٍ قلّدتْه الدّاية ، والصّبابة هى التى عرَفها من البداية .

ودخل بغدادَ فتخلّق ثَمّة بأخلاقٍ عِذاب ، وكان كابن الجهْم بُعِث إلى الرُّصافة ليَرِقّ فذاب [1] .

(*) عبد على بن ناصر بن رحمة الحويزى .

أديب ، شاعر ، له براعة فى فن الموسيقى ، وله أغان كانت متداولة فى عصره .

وله « ديوان شعر » بالعربية ، كما أن له أشعارا بالتركية والفارسية .

ومن مؤلفاته: «المعول فى شرح شواهد المطول» ، «قطر الغمام فى شرح كلام الملوك ملوك الكلام» .

توفى بالبصرة ، سنة ثلاث وخمسين وألف .

أعيان الشيعة ٣٨/٥٩ ، خلاصة الأثر ٢/٤٢٧ - ٤٣٢ ، سلافة العصر ٥٤٦ - ٥٥٤ .

والحويزى ، نسبة إلى الحويزة ، وهو موضع حازه دبيس بن عفيف الأسدى ، فى أيام الطائع لله ، وهو بين واسط والبصرة وخوزستان فى وسط البطائح . معجم البلدان ٢/٣٧١ .

(١) يعنى رقة على بن الجهم بعد نزوله العراق ، وسكناه الرصافة ، حيث قال قصيدته التى أولها :

عيونُ المَهَا بين الرُّصافة والجِسْرِ جَلَبْنَ الهوى من حيثُ أدْرِى ولا أدْرِى

انظر حماسة ابن الشجرى ١٩٦ ، سمط اللآلى ١/٥٢٥ ، الكشكول ٢/١٣٧ .

ثم الْتحق بابن افراسياب [1] صاحب البصرة فألْقى عنده رَحْله وحَطّ ، والْتَمّ فى كَنَفِهِ بعد ماشَطّ .

ففَكّ من يد العُسْرة وَثاقَه ، وأخذ على الدهر باسْتقالةِ عهدِه ميثاقه .

فأقام فى ظـلّه إلى وقت زَوالِه ، ومضى فلم يَبْق بعـده فى تلك الناحية من يُعتَنى بأقْواله .

* * *

وقد أوردت من شعره مايُسكِر العقول بصَهْبائه ، ويدلّ على أنه أخـذ من بحرِ القَريض أنفَس دُرّه ووَلِـع الناسُ بحَصْبائه .

فمنه قوله ، من قصيدة يمدح بها الأمير على بن افراسياب ، ويستأذنه فى الحجّ [2] :

لمع البرقُ فى أكُفِّ السُّقاةِ ... وبدا الصبحُ فى سَنا الـكاساتِ [3]

فالبِدارَ البِدارَ حَيَّ على الرَّا ... حِ وهُبُّوا لأكمل اللذّاتِ

نارُ موسى بدَتْ فأين كليم الذّ ... اتِ يمحو بها حجابَ الصِّفاتِ

صاحَ دِيكُ الصباح ياصاحِ بالرَّ ... احِ فَواتِ الأفراحَ قبل الفَواتِ

واصطبِحْها اصْطباحَ مَن راح لا يفْ ... رقُ بين الشموسِ والذَّرّاتِ [4]

تَلْقَ فيها العقولَ مُنتقشاتٍ ... كانتقاشِ الأشخاصِ فى المِرآةِ

فهى الشَّرْبةُ التى عثَرَ الخِضْ ... رُ عليها فى عينِ ماءِ الحياةِ

وتقصَّى الإسْكندرُ البحثَ عنها ... فعدَاها وتاهَ فى الظُّلُماتِ

سكنتْ من حَضائرِ القُدْسِ حانًا ... جَلَّ عن أن يُقاسَ بالحاناتِ

نُورُ حقٍّ بنفسِه قام ما احْتا ... جَ إلى كُوَّةٍ ولا مِشْكاةِ

---

(١) على باشا بن أفراسياب ، حاكم البصرة ، كما جاء فى الخلاصة ٢/٤٢٨ .

(٢) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٢/٤٢٨ ، ٤٢٩ ، سلافة العصر ٥٤٩ — ٥٥١ .

(٣) فى السلافة : « من سنا الـكاسات » . (٤) فى السلافة : « والذارات » . وفى الخلاصة : « واصطبحنا اصطباح » .

قَبَسٌ أشعلته أيدِى التجلِّى   فأضاءتْ به جميعُ الجهاتِ

حُجبتْ بالزُّجاجِ وهْىَ عِيانٌ   كاحْتجاب البدورُ بالهالاتِ (١)

ياندِيمِى أجِـلْ لى عرائسَ سِرٍّ   بغواشِى الـكئوسِ مُحْتجِباتِ (٢)

هات راحِى ونادِ خُـذْها فإنِّى   لستُ أنْسَى يوم اللِّقا خُذْ وهاتِ

فلقـــد رُدَّ ركنُ نَحْسِى لمَّا   سعِدتْ بالحبيبِ كلُّ جِهاتِى (٣)

هى شَهْدُ الشُّهود بل راحةُ الأرْ   واحِ بل حُسْنُ طَلْعةِ الحسناتِ

ياسُقاتِى لا تصرفُوا الصِّرْفَ عَنِّى   فحياتِى فى رَشْفِها ياسُقاتِى (٤)

غيرُ بِدْعٍ مِمَّن حَساها إذا ارْتا   ح وقال: الوجودُ بعضُ هِباتِى

قام زينُ العِبادِ مِن شُربِهـــا قُطْ   بًا عليه دارتْ رَحَا البيِّناتِ (٥)

فتلاشَى بشُعْـــلةٍ فتح العَيْ   نَيْنِ منها إلى عيونِ الذَّاتِ (٦)

وخطَتْ بالجُنَيْد خُطْوةَ بَحْرٍ   غَرِقتْ فيه أكْثرُ الكائناتِ (٧)

ورمتْ بالحُسيْن حتَّى ترقَّى   بأنا الحقُّ أرْفعَ الدَّرجاتِ (٨)

---

(١) فى ب ، ج : « وهى عنان » ، والمثبت فى : ا ، والخلاصة ، والسلافة .

(٢) فى السلافة : « عرائس ستر » .   (٣) فى السلافة ، والخلاصة : « فاقد هد » ، وفى ب : « ركن نحى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . وفى ب ، ج : « كل جهات » ، والمثبت فى : ا ، والخلاصة ، والسلافة .   (٤) هذا البيت ساقط من السلافة .

(٥) فى الأصول: «من شربها قطب» ،والتصويب من: الخلاصة، والسلافة. وفى السلافة : «زين القياد» .

(٦) فى السلافة : « إلى عيون الذوات » .   (٧) أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادى .

شيخ مذهب التصوف ، وإمام الدنيا فى زمانه .

توفى سنة سبع وتسعين ومائتين .

تاريخ بغداد ٧/٢٤١ ، حلية الأولياء ١٠/٢٥٥ ، طبقات الشافعية ٢/٢٦٠ ، طبقات الشعرانى ٨٤ ، طبقات الصوفية ١٥٥ ، وفيات الأعيان ١/٣٢٣ .

وفى السلافة والخلاصة : « لجة بحر » .

(٨) أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج .

متصوف ، اختلف الناس فى أمره بين الزهادة والإلحاد .

قتل سنة تسع وثلاثمائة .

تاريخ بغداد ٨/١١٢ ، طبقات الشعرانى ١٠٧ ، طبقات الصوفية ٣٠٧ ، وفيات الأعيان ١/٤٦٢ ، ترجمة رقم ١٨١ .

أسمعتْنَا من شيخ بِسطامَ ما أعْ ظَمَ ذاتِي بالنَّفْي والإثباتِ (١)

وقُصارى خَلْعِ العذار بها نَيْ لُ مَقامٍ يُقاوِمُ المعجزاتِ

رُبَّ وَفْرٍ منها يُصِيب فتى الْ مجدِ علىٌّ العرشِ مِرآةَ السَّراةِ (٢)

فهو فى سِرِّهِ المــــنزَّهِ سِرِّى ولئِن لم يهِمْ بجوْز الفَلاةِ (٣)

حاد عن مذهبِ التقشُّفِ وانحا زَ إلى مذهب الحُماةِ الكُماةِ (٤)

وتردَّى بُرْدَ البواطِنِ والأصْ لَ خُلوصُ الأعمــالِ بالنِّيَّاتِ

فهْو فى السِّرِّ خادمُ الفقرِ عافٍ وهْو فى الجهرِ ضَيْغمُ المُلكِ عاتِ

وله فى مَراتبِ الفضــلِ ذِهْنٌ هو مفْتاحُ مُقْفَلِ المُشكِلاتِ

كتمتْه أُولَى الدهورِ وأبدتْـ ـهُ على فترةٍ من المَكْرُماتِ (٥)

فأفادتْ بمَجْدِه البَصْرةُ الفَيْـ ـحاءُ حَلْىَ المعاهِــدِ العاطلاتِ

حَلَّ من حِفْظِ نفسِه للمسا كِين سَنامَ المَراتبِ العالياتِ (٦)

أسدٌ فى ملاحمِ الحربِ غيثٌ فى النَّدَى خِضْرِمٌ بعلمِ اللغاتِ

كفُّه مُقْــــلةُ العدوِّ فلا ينْـ ـفكُّ كلٌّ عن شِيمةِ المرسَلاتِ

وكذا خَيْــــلُه وأفئدةُ الأعْـ ـداءِ سِيَّان فى وَحَى العادياتِ (٧)

---

(١) فى الخلاصة : « واستمعنا من شيخ بسطام » ، وفى السلافة : « ما أعظم شأنى » .
وشيخ بسطام ، هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى .
من شيوخ الصوفية المشهورين .
توفى سنة إحدى وستين ومائتين .
حلية الأولياء ١٠/٣٣، طبقات الشعرانى ١/٧٦ ، طبقات الصوفية ٦٧ ، وفيات الأعيان ٢/٢١٣ .
وانظر فى ضبط بسطام اللباب ١/١٢٤

(٢) فى الخلاصة: «على العلى سرى السراة» ، وفى السلافة: «تصيب فتى الا * مجد على العلى سرى السراة» .

(٣) فى الخلاصة : « أنه لم يهم » ، وفى السلافة : « وإذا لم يهم بجوز الفلاة » .

(٤) فى ا ، ب: «حاد من مذهب» ، والمثبت فى: ج ، والخلاصة ، وفى السلافة : «حاد عن ظاهر التقشف» .

(٥) فى السلافة : « كتمته الدهور حينا فأبدته » . (٦) فى السلافة : « حل من خفض نفسه المسا * كين بسنام » ، وهى أولى . (٧) فى الخلاصة : «فى رحى العاديات» ، والوحى : الإسراع .

(نفحة الريحانة ١٠/٣)

وكذا ماله وأرواحُ مَن عادا ... هُ فى كَوْنِهِنَّ فى النــــازعاتِ

إن يضعْ وقتٌ مَن سِواكَ فإنّى ... لى بعَلْياه أشرفُ الأوقاتِ

شمِلتنى منه العنـــايةُ حتّى ... مسحَتْ هِمّتى عن النَّيِّراتِ[1]

يا إمامَ الكرامِ يا صادقَ الوَعْـ ... ـدِ إذا لم يَفِ الورَى بالعِداتِ

وهُماماً تعوّد الحـــلمَ والُجو ... دَ وهاتان أكرمُ العاداتِ[2]

نِلْتُ من جُودِك العميمِ نَوالاً ... وجبَتْ فيه حِجّتى وزَكاتِى

عرف الناسُ فى حِماكَ وُقوفِى ... فأجزْنى الوقوفَ فى عرَفاتِ

ومُرادِى لكَ الثوابُ وللرّقِّ ... قضاهُ المَناسِـــكَ الواجباتِ

طَوْفُ بيتِ اللهِ الحرامِ وتقبيـ ... ـلُ ثرَى قبرِ سيِّد الـكائناتِ

لم أُفارِقْ حِمَى العَــلِيِّ لبيتٍ ... غيرِ بيتِ العَلِيِّ ذِى الدَّرجاتِ[3]

وابقَ واسلمْ على الرَّجاء مَليكاً ... طوْعُ ما تشتهى الزمانُ المُواتِى

***

قلت[4] : هذه القصيد مؤلّفة من الدُّرر النَّضِيدة ، إذا أُنْشدت بين العُذَيْب وبارِق ، تقول رُواة الغَرب يا حبّذا الشرق .

***

ووقفتُ له[5] على ضاديّة ، بها فَخَر على[5] كلُّ مَن نطَق بالضّاد ، وبلُطْف انْسِجامِها ورَوْنَق نَضارتِها ترْوِى كلَّ صاد .

وهى[6] :

قام يجْلُوها وفى الأجْفانِ غَمْضُ ... والنّدامى نُوَّمٌ بعضٌ وبعضُ

---

(١) فى الخلاصة : « سمت همتى » ، وفى السلافة : « شمخت همتى » .

(٢) فى ب : « تعود الجود والحلم » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٣) فى السلافة : « حمى على » . (٤) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٦) القصيدة فى : سلافة العصر ٥٥١ ، ٥٥٢ .

والضِّيا يرمى بها الفَجْر الضِّيا ... والخيلِ الصبحِ فى الظُّلمات رَكْضُ[1]

وكأن الليـــلَ غيمٌ مُقلِعٌ ... لَمَعانُ الكأسِ فى جَنْبَيْه وَمْضُ

فى رياضٍ نَسَجتْ فيها الصَّبا ... ولها فى زَهْرِها بَسْطٌ وقَبْضُ

ضَرَّج الوردُ بهـــا وَجْنَته ... والأقاحِى ضُحَّكٌ والآسُ غَضُّ

وكأنَّ النَّرجِسَ الغَضَّ بها ... أعْيُنُ الغِيدِ وما فيهنَّ غُمْضُ

وكأن البانَ قَدٌّ مائِسٌ ... كلُّ غصنٍ منه عِرْقٌ فيه نَبْضُ

وكأنَّ الأرْضَ ممَّا أنبتتْ ... زَهَراً جَوُّ السما والجوُّ أرْضُ[2]

* * *

أحسن ما قِيل فى معناه :

وما غرُبتْ نجومُ الأفْقِ لكنْ ... نُقِلْنَ من السماءِ إلى الرِّياضِ

* * *

مجلسٌ طُلَّ دمُ الكأسِ به ... وله ظِـــلٌّ له طولٌ وعَرْضُ

نظمتْ فيه اللآلِى حَبَباً ... حين عنْها صدَفُ الدَّنِّ يُفَضُّ[3]

بِى وبالرَّاحِ الذى أجْفانُه ... تحسِمُ البِيضَ صِحاحاً وهْى مَرْضَى[4]

كيف تَرْجُو البِيضُ نحْوى رَسْمَها ... ولها فى خدِّهـــا رَدٌّ ونَقْضُ

ما وفَتْ دَيْنِيَ منها ولَهـــا ... فى فُؤادِى أبداً نَشْرٌ ونَقْضُ[5]

ياحبيباً قد غــــدَا مُعْتزِلِى ... ليس لى عن سُنَّةِ العُشَّاقِ رَفْضُ

---

(١) رواية السلافة ، وهى أولى :

والضِّيا يرمى به الفجرُ الدجى ... والخيلِ الصبحِ فى الظَّلْماءِ رَكْضُ

(٢) فى السلافة : « نهرها جو السما » . (٣) فى ا ، ب : « نظمت فيـه الليالى » ، والمثبت فى ج : والسلافة ، وفى ب : «صدف الدر» ، وفى السلافة : «صدف الدن يفض» ، والمثبت فى: ا، ج .

(٤) هكذا ورد عجز البيت فى الأصول ، وفى السلافة : « تحسب البيض صحاحا وهى مرض» .

(٥) فى ج : « نشر وقبض » ، وفى السلافة : « نشر وقرض » ، والمثبت فى : ا ، ب .

إن يكُن قد شِيبَ دمعى بدَمِى ... حُمْرةً فالوُدُّ فى الأحْشاء مَحْضُ(١)

مُستقِرٌّ نُهِكَ العظمُ به ... بعد أن ذابَ له لحمٌ ونَحْضُ(٢)

وبقلبى عقْربُ الصُّدغِ له ... كلّما هبَّ الصَّبا نَهْشٌ وعَضّ

حمَّلت جسمىَ أعْباءَ الهوى ... وهو لا يُمكِنُه بالثوبِ نَهْضُ

***

ومن خمريّاته المشهورة(٣) :

أقَرقفٌ فى الزُّجاجِ أم ذَهبُ ... ولُؤلؤٌ ما عليه أمْ حَبَبُ(٤)

شمسُ عُلًا فوق دَنِّها شُهُبٌ ... والعَجَبُ الشمسُ فوقها الشُّهُبُ(٥)

حمراء قد عُتِّقتْ فلو نطقَتْ ... حكَتْ لِخَلْق السماء ما السببُ(٦)

إن لَهَّبَتْها السُّقاةُ فى غَسَقٍ ... يُحرِّكُ الليلَ ذلك اللَّهَبُ(٧)

وإن حَساها النَّدِيمُ مُصطبِحاً ... ألَمَّ فى الجيشِ همّةَ الطَّرَبِ(٨)

لم أدْرِ من قبلِ ذَوْبِ عَسْجَدِها ... بأن يُرَى التِّبْرُ أصلُه العِنَبُ(٩)

للهِ أيامُنا بذِى سَلَمٍ ... سقتْك أيامَ وصلِنا السحُبُ

والروضُ بالمُزْنِ يانِعٌ أنِقٌ ... والغصنُ بالرِّيحِ هزَّه الطَّرَبُ(١٠)

والنهرُ يحْتاكه الصَّبا زَرَداً ... إذا نضَتْ من بوارِقٍ قُضُبُ

فخانَنَا الدهرُ بالفِراقِ وقد ... رَثَّتْ جلابيبُ وَصْلِنا القُشُبُ

---

(١) فى السلافة : « بالأحشاء » . (٢) النحض : المكتنز من اللحم .

(٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٤٣١، ٤٣٢ ، وذكر أنه تخلص فيها إلى مدح الشريف راشد بمكة .

(٤) فى ج : « قرقف » دون همزة الاستفهام ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .

(٥) فى الخلاصة : « قرصها شهب » . (٦) فى الخلاصة : « بخلق السماء » .

(٧) فى الخلاصة : « إن لهبوها السقاة . . . يخرق الليل » . (٨) فى ا ، ب ، والخلاصة : « همه الطرب » ، والمثبت فى : ج . (٩) فى الخلاصة : « أن بها التبر أصله العنب » .

(١٠) فى ج : « يانع أنف » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .

وروضة أنف : لم ترع .

عجبتُ للدهرِ في تصرُّفهِ وكلُّ أفعالِ دهرِنا عَجَبُ
يُعانِدُ الدهرُ كلَّ ذي أدبٍ كأنما نالَكَ أمَّه الأدَبُ

***

هذان البيتان قديمان ، فكأنه ضمَّنهما .

وللخفاجيِّ ما هو أعجب من هذا[1] ؛ [2] وهو قوله [2] :

لزُناةِ الأنامِ حَدٌّ ورَجْمٌ وبِنَفْيٍ كم غرَّب الشرعُ زانِي
وزمانِي قد لجَّ في تغرِيبِي أتُرانِي قد نِكْتُ أمَّ الزمانِ

التغْريب عند أبي حنيفة منْسوخ في حَقّ البِكْر ، وعامَّةُ أهل العلم على[3] أنه ثابت ، على[4] ما رُوِيَ عن ابن عمر رضى الله عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، ضرَب وغرَّب .

***

يا عربًا باللِّوَى وكاظمةٍ لى في مَقاصِير حيِّكم أرَبُ[5]
بأهْيَفٍ كالقضيبِ إن هتَفَتْ صَباه سقتْهُ أعْيُنِى السُّكُبُ[6]
كالشمس أنوارُه وغُرَّته فماله بالظَّلام ينْتقِبُ
تسْفَح من سَفْح مُقْلتِي سُحُبٌ إذْ لاح مِن فِيه بارِق شَنِبُ
كأنما فيْضُها ووابِلُها أعاره الفَيْضَ راشِدُ النَّدْبُ

***

(١) في ا : « ذلك » ، والمثبت في : ب ، ج . (٢) زيادة من : ج ، وهو في : ا ، ب .
(٣) ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب .
(٤) ساقط من: ا ، ب ، وهو في: ج . (٥) تقدم ذكر كاظمة ، في صفحة ١١٠ من هذا الجزء.
(٦) في الخلاصة :

بأهيفٍ كالقضيب قامتُه تسْقيه دَوْمًا جفونِىَ السّكُبُ

ومن جيِّد شعره قوله يمدح الشريف راشداً [1] :

إلى مَ انتظارِى للوصالِ ولا وَصْلُ ... وحتَّى مَ لا تدْنو إلىَّ ولا أسْلُو

وبين ضُلوعى زَفْرةٌ لو تبوَّأتْ ... فؤادَكَ ما أيقنْتَ أن الهوى سَهْلُ

جميلاً بصَبٍّ زادَه النَّأْىُ سَلْوةً ... ورِفقاً بقلبٍ مسَّه بعدكَ الخَبْلُ [2]

إذا أطْرفتْ منك العيونُ بنَظْرةٍ ... فأيْسَرُ شىءٍ عند عاشقِكَ القتلُ

أمُنْعِمةٌ بالزَّوْرةِ الظبيةُ التى ... بخَلْخَالِها حِلْمٌ وفى قُرْطِها جَهْلُ

ومَن كُلَّما جرَّدْتَها من ثيابِها ... كساها ثياباً غَيْرَكَ الفاحِمُ الجَثْلُ [3]

***

هذا البيت من قصيدة المتنبِّى الفائيَّة ، أوَّلها [4] :

* لِجِنِّيَّةٍ أم غادةٍ رُفِع السِّجْفُ *

لم يغيِّر فيه إلا القافيةَ ، وهى « الوَحْف » [5] .

والوحف : الشعر الكثير الملتفّ .

والجثل : الكثير الليِّن .

***

سقى المُزْنُ أقواماً بوَعْساءِ رامةٍ ... لقد قُطِّعتْ بينى وبينهم السُّبْلُ [6]

وحَيِّى زماناً كلَّما جئتُ طارقاً ... سُلَيْمَى أجابتْنى إلى وصْلِها جُمْلُ [7]

***

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٤٣٠ ، ٤٣١ . (٢) فى خلاصة الأثر : « زاده النأى صبوة » .

(٣) فى الخلاصة : « ثيابا غيرها » . (٤) ديوان أبى الطيب ٩٦ ، وعجز البيت :

* لوَحْشيَّةٍ لا ما لوحشيَّةٍ شَنْفُ *

(٥) عجز البيت فى الديوان :

* كساها ثياباً غيرَها الشعَرُ الوَحْفُ *

(٦) الوعساء : رابية من رمل لينة . (٧) فى ا : « كلما جئت طالبا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

معناه أن[1] الحسانَ يطلُبْن وصلَه لما يرون من لَباقته .

وأخرج منه قول الأمير المَنْجَكِى[2] :

قضَيتُ حقَّ الصِّبا وفى كبدِى هوًى عليه الحِسانُ فى جَدَلِ[3]

والذى حاز قَصَبات السَّبق فى هذا العُتْبِيّ[4] ، فى قوله[5] :

رأَيْنَ الغوانِى الشيبَ لاح بمَفْرِقِى فأعْرَضْنَ عنِّى بالخدُودِ النَّواضرِ[6]

وكُنَّ إذا أبصَرْنَنِى أو سَمِعْنَ بى سَعَيْن فرقَّعْنَ الكُوَى بالمَحاجِرِ[7]

ولقد أبدع الوزير أبو محمد بن عبد الغفور الأنْدَلُسِيّ[8] ، من رُقعة :

كنت والشبابُ نَضْر الحُلَى ، قبل حُلول هذا الشَّيْب الذى عَلَا ، كريمًا على ذاتِ الطُّلَى ، لا تَعترض فىَّ لمكان القِلَّة بِلَوْلَا .

ولَمَّا طار[9] غراب الشباب بَانَ المَشِيب ، ورُحْت رَثَّ الجِلْباب بعد كل سَحْتٍ[10] قَشِيب .

سمعتُهنَّ حيناً يتبرَّمْنَ ، وحيناً[11] يترنَّمْن ، إلَّا أنهنَّ يُجَمْجِمْن[12] ولا يترحَّمْن .

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٢) تقدمت ترجمته ، فى الجزء الأول ، صفحة ١٣٦ ، برقم ٧ .

والبيت فى ديوانه ١٣٣ .

(٣) فى الديوان : « قضيت فيك الصبا » .

(٤) أبو عبد الرحمن محمد بن عبيدالله بن عمرو العتبي .

شاعر مجيد ، يروى الأخبار وأيام العرب ، وهو من فحول الشعراء المحدثين .

توفى سنة ثمان وعشرين ومائتين .

تاريخ بغداد ٢/٣٢٤ ، معجم الشعراء ٣٥٦ ، المعارف ٥٣٨ ، وفيات الأعيان ٤/٣١ .

(٥) البيتان فى معجم الشعراء ٣٥٧ ، وفيات الأعيان ٤/٣١ ، ٣٢ .

(٦) فى معجم الشعراء ، والوفيات : « لاح بعارضى » .

(٧) فى معجم الشعراء ، والوفيات : « متى أبصرتنى » .

(٨) ذكره الفتح فى القلائد ١٥٩ هكذا : « الوزير الكاتب أبو محمد بن عبد الغفور » ، وذكره ابن سعيد فى المغرب ١/٢٤١ ، باسم : « أبو محمد عبد الغفور » ، وذكره عقيب ترجمة والده أبى القاسم محمد بن عبد الغفور ، ونقل صدر ترجمة الفتح له .

ونقل الفتح عن الخريدة أنه كان كاتبا بمراكش ، سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة .

(٩) فى ب : « أطار » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(١٠) السحت : الثوب .

(١١) فى ا ، ب : « وحينها » ، والمثبت فى : ج .

(١٢) فى ا ، ج : « يجمحن » ، والمثبت فى : ب .

وبفضْل حاسَّتى ولله الحمد ما فهِمتُ الوَزْن ، فلما استقرَّيتُ لتعرُّف حُروفه السهلِ والحَزْن ، عثَر لَهَجِى فى تطلُّب تلك الضَّالَّة بلعلَّ وعسَى ، بقول الملك الضِّلِّيل[1] :

* ألِمَّا على الرَّبْعِ القديمِ بِعَسْعَسا *

ولم أزلْ بعدُ مُحدَّثا مُوَسْوَسا ، حتى سقَط بى اليقينُ على قوله ، وقد ساءنى فى صدر هذا الرأى[2] :

أرَاهُنَّ لا يُحْبِبْنَ مَن قَلَّ مالُه ... ولا مَن رأيْنَ الشيبَ فيــه وقَوَّسا

وإذا قوَّس ظهرُ المرء فقد استْحال جمالُه ، فإذاً[3] ، قاتلهُنَّ الله ، يُحْبِبْن القبيحَ ذا المال ، والفقيرَ ذا الجمال .

* * *

تتمّة القصيدة :

تَوَدُّ ولا أصْبُو وتُوفِى ولا أفِى ... وأنْأَى ولا تَنْأى وأسْلُو ولا تَسْلُو

إذِ الغُصْنُ غَضٌّ والشَّبابُ عمائه ... وجِيدُ الرِّضا من كلِّ نائبةٍ عُطْلُ[4]

ومِن خَشْيــةِ النارِ التى فوق وَجْنتِى ... تقاصَر أن يدنُو بعارِضِىَ النَّمْلُ

برُوحِىَ مَن ودَّعْتُهـــا ومدامِعِى ... كسِقْطِ جُمانٍ جُذَّ من سِمْطِه الحَبْلُ

كأن قِلاصَ المالِكيَّةِ نَوَّخَتْ ... على مَدْمعِى فارْفَضَّ مُذْ سارتِ الإبْلُ

* * *

هذا من قول المُتنبِّى[5] :

كأن العِيسَ كانتْ فوق جَفْنِى ... مُناخاتٍ فلمـــا سِرْنَ سَالا[6]

---

(١) ديوان امرىء القيس ١٠٥ ، وعجز البيت :

* كأنِّى أنادِى أو أُكلِّمُ أخْرَسا *

(٢) فى ج : « الروى » ، والمثبت فى : ا ، ب .
والبيت لامرىء القيس فى ديوانه ١٠٧ .

(٣) لعل الصواب : « فإنهن » . (٤) فى ا : « وجيد الروض » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(٥) ديوانه ١٢٨ . (٦) فى الديوان : « فلما ثرن » .

والمتنبِّي أخذَه من قول بَشَّار [1] :

كأنَّ جُفُونِي كانت العِيسُ فَوْقَها   فسارتْ وسالتْ بعدهنَّ المَدامِعُ

***

وما ضُربتْ تلكَ الخيامُ بعالِجٍ   لقَصْدٍ سوى أن لا يُصاحِبنِى العَقْلُ [2]

وحَدَبٍ كأنَّ العِيسَ فيه إذا خطتْ   تُسابِقُ ظِلاًّ أو يُسابِقُها الظِّلُّ [3]

سَئِمْنَ بنا الأنْضاء حتى كأنَّنا   حَيارَى دُجًى أو أرْضَنا معنا قَفْلُ

إذا عَرضتْ لى من بلادٍ مذلَّةٌ   فأيْسَرُ شىءٍ عندىَ الوَخْدُ والرَّحْلُ [4]

وليس اعْتِسافُ البِيدِ عن مَرْبَعِ الأذَى   بذُلٍّ ولكنَّ المُقامَ هو الذُّلُّ

ولا أنا ممَّن إن جهلتَ خِلالَه   أقامتْ به القَاماتُ والأعْيُنُ النُّجْلُ [5]

فكلُّ رياضٍ جِئْتُها لىَ مَرْتَعٌ   وكلُّ أُناسٍ أكْرَمُونى هُمُ الأهْلُ

ولى باعْتمادِ الأبْلجِ الوَجْهِ راشِدٍ   عن الشُّغْلِ فى آثارِ هذا الورَى شُغْلُ [6]

هُمامٌ رستْ للمجدِ فى جَنْبِ عَزْمِه   جِبالٌ جبالُ الأرضِ فى جَنْبِها سَهْلُ

وليثٌ هَياجٌ ماعَرِينَ جُفُونه   من الكُحْلِ إلّا والعَجاجُ لها كُحْلُ

يقوم مَقامَ الجيشِ إن غابَ جيْشُه   ويَخْلُفُ حدَّ النصلِ إن غُمِدَ النَّصْلُ [7]

زكَتْ شرَفًا أعْراقُه وفُروعُه   وطابتْ لنا منه الفضائلُ والفِعْلُ

إذا لم يكنْ فعلُ الكريمِ كأصْلِه   كريمًا فما تُغْنِى المَناسبُ والأصلُ

من النَّفرِ الغُرِّ الذين تحالَفُوا   مدَى الدهرِ لا يأتى ديارَهُمُ البُخْلُ [8]

كِرامٌ إذا رامُوا فِطامَ وَليدِهِمْ   عن الثَّدْيِ حطُّوا البُخْلَ فانفَطَمَ النَّجْلُ [9]

---

(١) ديوانه (العلوى) ١٥٤ ، و(الطاهر) ٤/١٠٢ . (٢) عالج: رملة بالبادية . معجم البلدان ٣/٥٩١ .

(٣) الحدب : الغليظ الحزن من الأرض . (٤) الوخد : ضرب من السير سريع .

(٥) فى ج : «إن جهلت ظلاله» ، والمثبت فى: ا ، ب ، والخلاصة . (٦) فى ا : « من الشغل » ، والمثبت فى: ب ، ج، والخلاصة . (٧) فى ج : «ويخلف قبل النصل» ، والمثبت فى: ا، ب، والخلاصة.

(٨) فى الخلاصة : « أن يأتى » . (٩) فى ا ، ج : « على الثـدى » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة . وفى ا : « فانفطم الطفل » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة .

ليوثٌ إذا صالُوا غُيوثٌ إذا هَمَوْا　　بُحورٌ إذا جادُوا سيوفٌ إذا سُلُّوا
وإن خطَبوا مَجْـــداً فإن سيوفَهمْ　　مُهورٌ وأطرافُ القَنا لهمُ رُسْلُ
إذا قفَلُوا تنْأَى العُلَى حيثُما نأَوْا　　وإن نزَلُوا حــلَّ الندَى أينما حَلُّوا

***

هذا معنى مُتداوَل، منه قول المُتنبّي (١):

الحسنُ يرحَــلُ كلَّما رحَلُوا　　معهم وينزِلُ حيثما نزَلُوا

***

توالتْ على كسْبِ الثناء طِباعُهم　　فأعْراضُهم حِرْمٌ وأمْوالهم حِلُّ
أمَوْلاىَ إن يَمْضُوا ففيك سَما العُلَى　　وقامتْ قَناةُ الدِّين وانْتشر العَقْلُ
وإن يكُ قد أفْضَى الزمانُ بسالمٍ　　فإنك رَوْضُ الوَبْلِ إذْ ذهَب الوَبْلُ (٢)

***

هذا معنًى تلاعَب به المُتنبِّي وكرّره، فى تفضيل البعض على الكُلّ، فأحسن وأجاد، حيث قال (٣):

فإن يكُ سيَّارُ بن مُكْرَمٍ انقضَى　　فإنك ماءُ الوردِ إن ذهَب الوَرْدُ

وقال (٤):

فإن تكُنْ تَغْلِبُ الغَلْباءُ عُنْصُرَها　　فإنَّ فى الخمرِ معنًى ليس فى العِنَبِ

وقال (٥):

فإن تَفُقِ الأنام وأنت منهمْ　　فإن المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

وقال (٦):

وما أنا منهمُ بالعَيْشِ فيهمْ　　ولكن مَعْدِنُ الذهبِ الرَّغامُ

---

(١) ديوانه ٥٦٢.　(٢) فى ا: «أفضى الزمام»، والمثبت فى: ب، ج، والخلاصة. وفى الخلاصة: «إن ذهب الوبل».　(٣) ديوانه ١٨٦.　(٤) ديوانه ٤٢٥.　(٥) ديوانه ٢٥٨.　(٦) ديوانه ٩٢.

ولبعضهم منه :

وكان أبوكَ لنــا كالْحيَا ... فولّى وأبقاكَ مثـلَ الغَدِيرِ (١)

(٢ وله أيضا ٢) :

ألَا للهِ قومٌ إن تولّوْا ... لهم نَســلٌ يُسَلّون المُصابَا

فإنهمُ الحَيَا ولّى وأبقَى ... لنا رَوْضاً وأنهاراً عِــذابَا

***

إليك ارْتمتْ فِينا قَلوصٌ كأنهـــا ... قِسِيٌّ بأسفـــارٍ كأنّهمُ نَبْلُ

***

يعنى أنحلَها السُّرَى ، بحيث صارت من الهزال كالقِسِيّ .

وأولُ من وصف النُّوق بهذا الوصف البُحْتُرِيّ ، فى قوله (٣) :

يَتَرقْرَقْنَ كالسَّرابِ فقــد خُضْـ ... ـنَ غِماراً من السَّرابِ الجارِى (٤)

كالقِسِيِّ المُعطَّفــاتِ بل الأسْـ ... ـهُمِ مَــبْرِيّةً بل الأوْتارِ

ثم تداول الشعراء هذا المعنى ، وتجاذبوا أطرافه .

فمنهم الشريف المُوسَوِيّ ، حيث قال (٥) :

هُنّ القِسِيُّ من النُّحُولِ فإن سَمَا ... طَلبٌ فهُنّ من النّجـاءِ الأسْهُمُ (٦)

وقد أخذه ابنُ قَلاقِس (٧) ، فقال (٨) :

خُوصٌ كأمْثالِ القِسِيِّ نَواحِــلاً ... فإذا سَمَا خَطْبٌ فهُنّ سِهامُ

---

(١) فى ج : « فولاك وأبقاك » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) ساقط من : ا ، ب ، وهو فى : ج .

(٣) ديوانه ٩٨٧/٢ . (٤) فى الديوان : « كالسراب وقد » . (٥) ديوانه ٧٨٠/٢ .

(٦) فى ا : « هذا القسى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والديوان .

(٧) نصر الله بن عبد الله بن عبد القوى الإسكندرى .

شاعر ، مترسل ، توفى سنة سبع وستين وخمسمائة .

الأعلام ٣٤٤/٨ ـ ٣٤٧ ، وقد جلا الأستاذ الزركلى طرفا طيبا من حياته .

(٨) ليس فى ديوانه ، وفى الديوان ٩٨ :

وتسيرُ عِيسُكَ كالقِسِيِّ عَواطِفاً ... فتصيرُ فى الأحشاءِ وهْىَ سِهامُ

وقال ابنُ خَفاجة (١) :

وقِدْماً برَتْ منّا قِسِيّاً يَدُ السُّرَى ... وفَوّق منهـا فوقَها المجـدُ أسْهُمَا

وهذا مَنْزَع عبد على .

* * *

وما زَجَر الأنضاء سَوْطى وإنّما ... إليك بلاَ سَوْقٍ تَسابقتِ الإبْلُ (٢)

يَمِينُك لا أقْصَى الزمانُ بهـا حَيًّا ... وكَهْفُك لا أوْدَى الزمانُ له ظِلُّ (٣)

وكلُّ لحاظٍ لستَ إنْسانَهـا قَذًى ... وكلُّ بلادٍ لستَ صَيِّبَها مَحْلُ

* * *

وله من أخرى فى مدحه أيضا .

أولها :

يادارَها بالشِّعب شِعب الحائلِ ... غادَاكِ مُرْفَضُّ الغَمام الهاطلِ

تبدّلتْ عن كلِّ حالٍ آنِسٍ ... من أهلِها بكلِّ ناءٍ عاطلِ (٤)

عُجْنَا بها رِكابَنا لـكى ترى ... مافعلتْ أيدِى الزمانِ الماحلِ

كأنما كلُّ هوًى قُلوبِنـا ... رُكِّبَ فى قوائمِ الرّواحلِ (٥)

والْتثمتْ جَحْفَلهـا تُرابُها ... فمُسْعِدى مُلْتَثِمُ الجحافلِ

إن مَصَح الدهرُ رُبَا رُبوعِهـا ... فليس تَمصَح الرُّبَى بهاطِلِ (٦)

وإن تَمُتْ بعـدَهم دِيارُهم ... فالنّازلون أنفس المنازلِ

للهِ عيشٌ ذهبتْ نَضْرتُه ... كأنه رَقْدةُ ظِلٍّ زائلِ

---

(١) ليس فى ديوانه

(٢) فى ب : « صوتى وإنما » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٣) فى الخلاصة : « به ظل » . (٤) فى ج : « تبدلت من » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) فى ا : « كل الهوى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) مصح الدهر رباها : محا معالمها .

وليلةٌ قضَّيْتُهـــا بعاقلِ سقَى الغمامُ ليلتِى بعاقِلِ[1]

إذِ الثُّرَيَّا لِمَمٌ نجومُهـــا كأنها تُرْسُ فَتًى مُنازِلِ

والبدرُ فى كبدِ السماءِ حائرٌ كأنه وعدُ حبيبٍ ماطِلِ

أحْيَيْتُهـــا مرتشِفا بَلابِلاً تهرُبُ عند شُرْبِها بَلابِلِى[2]

أرشِفُها حتى إذا مافرغتْ جمعتُ بين القُرطِ والخلاخِلِ

* * *

يحتمِل أن يكون جمع بينهما فى التمتُّع بالنظر فحسب ، وأن يكون جمع بينهما فى التمتُّع بالفعل ، كما يُقال فى الكناية عن الفعل : رفَع كُراعَها[3] ، وشال شِراعها ، وألْحق قُرطها بخَلْخالها .

ووقع لى فى الإحماض[4] :

ولقد ضلِلتُ عن الطريق بغادةٍ جعلَتْ رَشادِى سُخْرةً لضَلالِى

فحَنَيْتُها فعلَ المُكِبِّ لِحاجةٍ وجمعتُ بين القُرْطِ والخَلْخالِ

وإضْلال[5] الطريق ، كناية عن ابْتغاء مالم يكتُب الله .

* * *

لِلَّهْوِ ساعةٌ تمُرُّ خُلْسةً كأنها تقبيلُ ثَغْرِ راحلِ

* * *

هذا بعيْنه بيتُ المتنبِّى[6] :

لِلَّهْوِ آوِنةٌ تمُرُّ كأنها قُبَلٌ يُزَوَّدُها حبيبٌ راحلُ

---

(١) عاقل : واد لبنى أبان بن دارم ، من دون بطن الرمة . معجم البلدان ٣/٥٨٩ .

(٢) البلابل الأولى : جمع بلبلة ، وهى قناة الكوز التى يصب منها الماء ، والبلابل الثانية : جمع بلبال ، وهو البرحاء فى الصدر .

(٣) الكراع : ما دون الركبة من مقدم الساق .

(٤) الإحماض : الانتقال من الجد إلى الهزل ، والأخذ فيما يؤنس من الحدث .

(٥) فى ج : « وأضللت » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٦) ديوانه ١٦٤ .

وأصله قولُ البُحْتُرِىّ [١] :

وزمانُ السرورِ يمْضِى سريعاً ... مثلَ طِيبِ العناقِ عند الفِراقِ

***

ومن مديحها :

مُعتنِقُ الحِلْمِ اعتناقَ فَتْكِه ... مُجْتنِبَ البُخْلِ اجْتنابَ الباطلِ

إذا ارْتَدَى القَضْفاضَ قال قائلٌ ... مَن نَظَر البُحورَ فى الجداولِ

لا يلْتقِى الحربَ بغيرِ مُهجةٍ ... جليلةٍ تَدْخَر للجلائلِ

وشُذَّبٍ إن صدرتْ رايَتُها ... سلمِ الصِّفاحِ كلمِ الأناظلِ [٢]

تَرْكُض من غُبارِها بعارِضٍ ... تسْبَح من دِمائِها بوابلِ

يامُظْمِىءَ الخيلِ كأنْ ليس لها ... غيرُ دماءِ الصِّيد من مَناهلِ

ومُورِدَ البيضِ كأنَّ صوْتَها ... على العِدَى قَعْقَعةُ السَّنادلِ [٣]

تختطِفُ الهامَ بها نَواشِداً ... لا قُطِّعتْ سواعدُ الصَّياقلِ

كأنَّما حكْمتُها على الشَّوَى ... حِكْمة لُقْمانَ على المَفاصلِ [٤]

هل لَكَ فى فَخْرِكَ من مُفاخِرٍ ... هل لك فى فَضْلِك من مُفاضِلِ

وماعسى نَخْرُهم ومَمْتُهم ... كادِرٍ وقُشُّهم كباقلِ

قد قصَدوا واللهِ غيرَ قاصدٍ ... وافْتعلُوا واللهِ غيرَ فاعلِ [٥]

وخاصَمُوا مُهنَّداً ليس له ... للدِّين غيرُ النَّصرِ من حَمائلِ

رامُوا اكْتِتامَ نُورِ حَقٍّ باهرٍ ... وحاوَلُوا قَصْرَ كَمالِ طائلِ

وما سمِعْنا أو رأينا فى الدجى ... قد كُتِمتْ شَمْشَعةُ المَشاعِلِ

---

(١) ليس فى ديوانه . (٢) هكذا ورد عجز البيت فى الأصول ، ولم أعرفه .

(٣) السندل : طائر . (٤) فى ج : « على النوى ... لقمان على الفواصل » ، والمثبت فى : ا ، ب .

والشوى : الأطراف . (٥) فى ج : « خير فاعل » ، والمثبت فى : ا ، ب .

أَحَبُّ كُلَّ مَرْتَعٍ مُعْشِبُهُ ... وأَيْمَنُ الأَكُفِّ كَفٌّ باذلِ

إذا أرادَ اللهُ كَشْفَ مَنْقَبٍ ... خافٍ رَماه بِعِنادِ خاملِ

***

هذا من قَوْل أبى تَمّام (١) :

وإذا أرادَ اللهُ نَشْرَ فضيلةٍ ... طُوِيتْ أتاح لها لسانَ حَسُودِ

لولا اشْتعالُ النارِ فيما جاورتْ ... ما كان يُعرَف طِيبُ عَرْفِ العُودِ (٢)

***

لولا اشْتعالُ النَّارِ واضْطِرامُها ... ما عُرِف الرِّمْثُ من الصَّنادِلِ (٣)

فجاءهم لا سيفُ عَزْمٍ كاهِمٌ ... ولا جَوادُ هِمَّـــةٍ بناكلِ

تطعنُهم مُسْتعجِلا على القَنا ... كرَكَّ لامَيْنِ بفَرْقِ نابلِ (٤)

قد يُدرَك المجدُ بجهلِ جاهلٍ ... ويُصْحَبُ الذلُّ بعَقْلِ عاقلِ

لا عدِم الناسُ جَنَى فضيلةٍ ... منك فأنت مَعْدِنُ الفضائلِ

***

وكتب إلى القاضى تاج الدين المالكى المكّىّ (٥) ، قوله (٦) :

وحقِّ من أرْتجِى شَفاعتَهُ ... يوم تكون السماء كالمُهلِ (٧)

ما سرتُ عنكم ولى حَشًا بسِوَى ... خيالكم مُذْ نَأيْتُ فى شُغُلِ (٨)

يا تاجَ دِينِ الإخاءِ ما أنا مَنْ ... يُغْفل عنكم ركائبَ الرُّسُلِ (٩)

---

(١) ديوانه ٨٥ . (٢) زيادة من : ج ، على ما فى : ا ، ب . (٣) الرمث : شجر يشبه الغضا .

(٤) فى ب : « كَرْك لامين » ، والمثبت فى : ا ، ج ، ورك الشىء : طرح بعضه على بعض .

وفى ا ، ب : « بفرق نائل » ، والمثبت فى : ج .

(٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

وتأتى ترجمة تاج الدين المالكى ، فى الباب السادس ، برقم ٢٧١ .

(٦) الأبيات فى سلافة العصر ٥٤٧ . (٧) المهل : هو دردى الزيت ، ويقال: ما أذيب من النحاس والرصاص وما أشبه ذلك . غريب القرآن للسجستانى ٢٣٩ . (٨) فى السلافة : « ولاحشا » .

(٩) فى ج : « يغفل عنكم » ، وفى السلافة : « يعقل عنكم » ، والمثبت فى : ا ، ب .

لـكننى قد جعلتُ مُعتَمِدِى ما أثْبتته لنـــا يدُ الأزَلِ
وخُــذْ على البُعدِ ماهىَ مطَرٌ تحيّةٌ من أخيك عبدِ علِي

* * *

ومن بدائعه ميميّته المشهورة ، وهى مما يُتغنّى بها فى نَغْمة الحجاز .
ومستهلها[1] :

لِمَن العِيسُ عَشِيًّا تترامَى تركتْها شُقق البَيْن سُهاماَ[2]
كلما بَرْقَعهـــا نَشْرُ الصَّبا لبسَتْ من أحمرِ الدّمع لِثاماَ[3]
وترامَتْ خُضّعاً أعناقُهـــا كلما هَزّ لها البَرْقُ حُساماَ[4]
شَفَّها وَجْــدٌ بَراها لِلْحِمَى فهْى تَثْنِى لِرُبَى نجْدٍ زِماماَ[5]
وتَلافاهـــا نسيمٌ حامِلًا عن قُرى وَجْرَةَ أنْفاسَ الْخزامَى[6]
يا تُرَى من حملتْ لو وقَفوا ساعةً نَشْرَحُ وجداً وغَراماَ[7]
ومن الجهـــلِ أراه يقْظةً إنّنى لا أترجّـــاه مَناماَ[8]

---

(١) القصيدة فى سلافة العصر ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، والأبيات : الأول ، والثانى ، والرابع ، فى خلاصة الأثر ٢/٤٣٢ . (٢) السهام : داء يصيب الإبل . (٣) فى ب : « لبست من أحمر ساج بشاما » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة ، والخلاصة ، وفى السلافة : « كلما برقعها ريح صبا » .
(٤) فى السلافة : « كلما هزله البرق » . (٥) صدر البيت فى الخلاصة والسلافة :

* شَفَّها جَذْبُ بُراها للحِمَى *

وفى السلافة : « وهى تثنى » ، وفى الخلاصة : « فهى تصبى لربى نجد زماما » .
وبعد هذا البيت جاء بيت آخر فى الخلاصة ، هو :

فى هَواكُم آلَ نجْدٍ زاد وَجْدِى وغدا القلبُ وَلُوعاً مُسْتهاما

(٦) فى السلافة : وتلقيها نسيما حاملا * عن ثرى وجرة . . . » .
ووجرة : بين مكة والبصرة ، بينهما وبين البصرة نحو أربعين ميلا . معجم البلدان ٤/٩٠٥ .
(٧) فى السلافة : « ما على من حلت » . (٨) رواية السلافة أصح وأضبط ، وهى :

ومن الجهل ارتجائى يقْظَةً أرَباً لا أترجّاه مَنامَا

يا بَنى عُــذْرةَ هل من آخِذٍ ... بدَمِي المَسْفوحِ مَن حَلَّ الخِياما

قمرٌ لولا يُرَى بدرُ الدُّجَى ... ما حوَى البَدْرُ كمالاً وتَماما [1]

غادِرٌ لم يَرْعَ مِنِّى نَسَباً ... دون أن يَحْفظَ عَهْداً وذِماما

نَسَبٌ أيْسَرُه أنَّ الهــوى ... بين خَدَّيْه لَهِيباً وضِراما [2]

وبجِسْمِى مِن بَقايا حُبِّه ... شِبْهُ طَرْفَيْه فُتوراً وسَقاما [3]

يا نَداماىَ دَعا خَمْــرَكُما ... إن أراق الحِبُّ مِن فِيه مُداما [4]

وانْثنِى يا قُضُبَ البانِ إذا ... رَنَّحتْ خمرُ اللَّمَى ذاك القَواما [5]

وانْسَ ياروْضُ أقاحِيكَ غِنًى ... فلقدْ أبْدَى من الثَّغْرِ ابْتساما [6]

عاقَب اللهُ بأدْهَى صَمَمٍ ... أُذُنِى إن سمِعتْ فيك مَلاما

وعَمَتْ عن أن ترى ذاك البَها ... مُقْلتِى إن زارَها النومُ لِماما [7]

أنا من ينظُرُ فى شَرْعِ الهوى ... كلَّ شىءٍ ماسوى الحبِّ حَراما [8]

***

وقوله من قصيدة يُتغَنَّى بها فى السِّيكاه، ولم يُحْفَظ منها إلا قولُه [9]:

---

(١) فى السلافة: «قمر لو لم ير البدر دجى».

(٢) فى السلافة:

نسبًا أيْسَره أن الحشَا ... مثلُ خدَّيْه لهيبًا واضْطراما

(٣) فى السلافة: «ولجسمى ... شبه الطرف ..».

(٤) فى ا: «يا ندماى»، وفى السلافة: «يا نديمى دعا خمركما»، والمثبت فى: ب، ج.

(٥) فى ا: «وانثنى ياقضيب البان»، وفى السلافة: «وتثنى يا قضيب البان إذ * رنحت سكر اللمى ..»، والمثبت فى: ب، ج.

(٦) فى السلافة:

واصْغ يا روضُ أُناجيكَ إذًا ... فلقد لاح لنا الثَّغْرُ ابْتسامَا

(٧) فى السلافة: «وعشت يوم ترى ذاك البها».

(٨) فى ا: «ما سوى الحرب»، وفى السلافة: «ما سوى الموت»، والمثبت فى: ب، ج.
وتمام القصيدة بعد ذلك فى السلافة.

(٩) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/ ٤٣٢.

أمَا والهوى لولا العِـــذارُ المُنَمْنَمُ ... لَمَا اهْتَـــاجَ وَجْدِى ساجِعٌ يترنَّمُ
ولا اهْتَجَعتْ عَيْنايَ من فَيْضِ مَدْمَعِى ... قَضَى جَرْيُهُـــا أن لا يفارِقَها الدَّمُ
هو الحبُّ ما أحْـلَى مُقاساةَ خَطْبِه ... وأعْذَبَه لو كانتِ العَيْنُ تـكْتُمُ

***

ومن مقطَّعاته قولُه ، وهو أيضا مما يُتغنَّى به فى نَغْمة الحجاز [١] :

لا تطلُعِى فى قَمَـــرٍ إنَّنِى ... أخاف أن يَغلطَ أهلُ السَّفَرِ [٢]
أو طلعتْ شمسٌ فـــلا تطلِعِى ... أخاف أن تعمَى عيونُ البَشَرِ

***

وأبدعُ ماله قولُه فى راقص ، إذا تراءتْ محاسنُه للعيان ، جمدتْ له فى وجُوهِهِنَّ العيْنان ، وإن قابلتْه العِيدانُ فى يد الـكواعب ، تحركتْ أوتارُها بغير ضَوارِب ، [٣ وهو قوله ٣] :

وراقصٍ كقضِيب البانِ قامتُه ... تـكاد تذْهبُ رُوحِى فى تنقُّلِهِ
لا تستقِرُّ له فى رقْصِهِ قَدَمٌ ... كأنَّما نارُ قلبِى تحت أرْجُلِهِ [٤]

***

ألَمَّ فيه بقول السَّرِىّ الرَّفَّاء ، فى وصف جَواد [٥] :

لا يستقِرُّ كأنَّ أرْبَعَهُ ... فُرِشَ الثَّرى من تحتها جَمْرَا [٦]

ومما يلطُف قول السَّرِىّ ، فى وصْف راقص [٧] :

---

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ٢ / ٤٣٢ . (٢) سقط عجز هذا البيت وصدر الذى يليه من : ا ، وألفق بيت من صدر الأول وعجز الثانى فيها ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة. (٣) زيادة من : ج ، على ما فى : ا ، ب. والبيتان فى خلاصة الأثر ٢ / ٤٣٢ .

(٤) فى ا : « لا تستقر به » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة . (٥) ديوانه ١٢٦ ، وخلاصة الأثر ٢ / ٤٣٢ . (٦) فى ا ، ب : « من تحته » ، وفى الديوان : « فرش يطامن تحتها الجمرا » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة . (٧) لم أجد هذين البيتين له فى ديوانه ، ولا فى اليتيمة .

ترى الحركاتِ منه بلا سُكونٍ فتحسَبُها لخِفَّتِها سُكونَا
كَسَيْرِ الشمسِ ليس بمُسْتقِرٍّ وليس بمُمْكِنٍ أن يستبينَا

***

ولعَبْد عليّ (١) :

دَعِ الدنيا ولا تركَنْ إليها فزُخْرُفها سيذْهبُ عن قليلِ
وإن ضحِكتْ بوجْهِك فهْو منها كضِحْكِ السيفِ فى وَجْهِ القتيلِ

***

وله (٢) :

فِتْيةُ الكهفِ نجا كَلْبُهمْ كيف لا ينْجُو غداً كلبُ عَلِي



(١) البيتان فى سلافة العصر ٥٥٤ .
(٢) البيت له فى خلاصة الأثر ٢/ ٤٣٢ ، وذكر أنه كان يسمى نفسه كلب علي .

١٧٥

على بن خلف بن عبد المطلب المُوسَوِىّ الحُوَيْزِىّ *

هو الخلَف[١] نِعم الخلَف ، فائقٌ بمعونة الله على السَّلَف .

فمن رأى ما فى شعرِه من الصَّنْعة والإغراب ، عرف أن خَلَفاً[٢] استخْلفه على اللغة والإعراب .

فلِلّه من مَعانٍ يصُوغها ، ومَجانِى[٣] عباراتٍ يسُوغها .

يُنفِق فيها من خاطرٍ واسعٍ وفكرٍ مَلِيّ ، ويوضح مذاهبَ البلاغة حتى يُحقِّق أن نَهْج البلاغة لِعلِىّ[٤] .

وقد أثبتُّ منها ما يشهد له بالإحْسان ، ولو أنْصفه الدهرُ لرقَم به خدودَ الحِسان .

* * *

فمنه قوله ، من قصيدة ، أولها :

مَــكانَك يا وَجْدَ الفؤادِ المُعذَّبِ ... إلى أن يعودَ الحيُّ بالجِزعِ واذْهَبِ

وهيْهاتَ أن يُرجَى زوالُ مُلازمٍ ... من الوجدِ ثاوٍ فى الضَّمير مُطنِّبِ

وهَبْهم نأَوْا أو قاربوا أو تعطَّفوا ... بوَصْلٍ فما قلبى عليهم بقُلَّبِ

وإنَّ غراماً خامَر القلبَ فى الصِّبا ... متى ينْتشِق روحَ اللِّقا يتلهَّبِ

* * *

(*) ذكره ابن معصوم ، فى السلافة ٥٤٥ ، وهو فيه : « السيد على بن خلف بن مطلب بن حيدر المشعى ، « ملك الحويزة فى هذا العصر » ، وله ترجمة فى أعيان الشيعة ٤١/٢٣٨ ــ ٢٥١ ، وفيه أنه توفى سنة ١٠٥٢ ، أو سنة ١٠٥٨ هـ وهو هناك : « المشعشعى » .

(١) فى ب ، ج : « لخلف » ، والمثبت فى : ا .

(٢) يعنى أبا محرز خلف بن حيان ، الملقب بالأحمر . راوية أهل البصرة ، ومن أعلم الناس بالشعر والأدب .
توفى نحو سنة ثمانين ومائة .
بغية الوعاة ١/٥٥٤ ، سمط اللآلى ٤١٢ ، مراتب النحويين ٤٧ ، معجم الأدباء ١١/٦٦ .

(٣) فى الأصول : « ومجان » .

(٤) فى ج : « العلى » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وقوله :

أيها الظَّاعِنونَ عنِّى بلُبِّى ... فى أمانٍ من الإله ورحْبِ (١)

باب حتى انثنى بتشتيت صَحْبِى ... ما كفَى الدهرَ سَعْيُه بنوى الأحْ

لستُ أنسَى أيّامَنا بلِوَى الجزْ ... عِ وعيْشِى منه بوَصْلٍ وقُرْبِ

حيثُ وادِى تِهامـــةَ لِى دا ... رٌ ومحَلٌّ وشِعْبُ رَامَةَ شِعْبِى

وأخٌ لو بَعُدتُ عنه بأصْـــلِى ... قد دَنَا من حِماه قلبى ولُبِّى

لو دَعانِى من البِعـادِ لخطْبٍ ... كنتُ فيما دعا إليه مُلبِّى (٢)

فعزيزٌ عليـــه بفَقدِ شخصِى ... وعزيزٌ أن لا أراه بسِرْبِى

صاحبٌ إن شكَوْتُه داءَ خَطْبٍ ... كان ممَّا أصابه داءَ خَطْبِ

***

وقوله :

إنْ سُرَّ وَاشِينا بفُرْقتِنا ... إذْ ساءه ما كان فى القُربِ

ظَنًّا بأن البُعدَ صاحبُـــه ... ينجُو من الأشْجانِ والُحبِّ (٣)

لا سُرَّ وَاشِينا فإنَّك قد ... حُوِّلْتَ من عيْنِى إلى قلبِى

***

وقوله ، وهو بأصْبَهان :

طارحُـــونِى صَبابتِى والجوَى ... بمَقالٍ يُشْجِى القلوبَ ويُصْبِى

هذه أصْبَهان ما تشْتهِى الأنْ ... فُسُ فيها وكلُّ نُزهةِ صَبِّ

وإذا ما دَعاكَ للغَىِّ داعٍ ... كنتَ فيما دَعاكَ غيْرَ مُلبِّ

---

(١) فى ا : « من الله ورحب » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) حقه : « إليه ملبيا » ، واضطرت القافية الشاعر إلى ترك النصب .

(٣) فى ج : « من الأحزان والحب » ، والمثبت فى : ا ، ب .

قلتُ قد صح ما تقولون عندى يا صِحابى لو كان عندىَ قلْبى

* * *

وقوله :

وذِى هَيَفٍ خاطبْتُه فأجابنِى بأطْيبَ من ماء الحياةِ وأعْذَبِ

يحدِّث حتى لو حكَى الدهرَ كلَّه أقولُ له أوْجَزْتَ فى القولِ فاطْنِبِ

* * *

وقوله :

يا نسيماً هبَّ من وادِى قُباً خَبِّرينِى كيف حالُ الغُرَبا [1]

كم سألْنا الدهرَ أن يجمعَنا مثلَما كنَّا عليـــه فأبَى

* * *

وقوله :

أحِنُّ إلى ذاك الزمانِ وإنمــا حَنينِى لِمَن زان الزمانَ بقُرْبِهِ

وأهْوَى الحِمَى لا أنَّنى عاشقُ الحِمَى ولـكنَّنى مُغْرًى بسُـكان شِعْبِهِ

فآهًا لوَجْدِى كيف يبْقَى رَسِيسُه وآهًا لصَبْرِى كيف يقْضِى بنَحْبِهِ [2]

* * *

وقوله :

إن جئتَ سُكَّان الأراكِ فعرِّجِ منهم على الظَّبْىِ الأغَنِّ الأدْعَجِ [3]

وإذا أتيْتَ رَبَارِباً برُبَى الحِمَى فاقْرَ السلامَ رَبِيبَ ذاك الهوْدَجِ [4]

---

(١) قبا : قرية على ميلين من المدينة ، على يسار القاصد إلى مكة . معجم البلدان ٤/٢٣ .

(٢) فى ا : « فآه لوجدى » ، وفى ب : « فآوجدى » ، والمثبت فى : ج .
ورسيسه : بقيته وأثره .

(٣) فى ا ، ج : « نخرج » ، والمثبت فى : ب . (٤) الربرب : القطيع من بقر الوحش .

واسْتَفْتِه كيف اسْتحلَّ دِماءَنا ... فقضَتْ لواحِظُه ولم تتحرَّج

للهِ وقفتُنا وقد صاحُوا النَّوى ... فدعوْت يا حادِى المَطِىِّ بهم عُجِ

كم شمس خِدْرٍ يوم ذاك تبرَّجتْ ... وهى التى للنَّجْم لم تتـبرَّجِ

وَدَّ الهلالُ وما رآهـا أنَّه ... منها مكانُ سِوارِها والدُّمْلُجِ (١)

ومُعـذِّلٍ لى بالغرامِ أجبْتُه ... يا عاذِلِى أين الخلِيُّ من الشَّجِى (٢)

هـلاَّ عُزِلتَ وما دخلتَ بضِيقةٍ ... فالآن قُلْ لى كيف وَجْهُ المَخْرَجِ

* * *

قلت : هـذه الأبياتُ الجِيميَّة كأن كلَّ جيمٍ منها عَطْفَةُ صُدْغٍ مُزَرَّد ، ونقطتها خالٌ فى كُرْسِيِّ خدٍّ مُورَّد .

* * *



وله :

يا مَجْمعَ الأزهـارِ والوَرْدِ ... لا كان هـذا آخرَ العهدِ

حَيَّتْ طُلُولَكَ كلُّ غاديةٍ ... وجَبَ الثناءُ لها على الرَّنْدِ (٣)

للهِ ليلتُنا عليـك وقد ... مزَجَ السرورُ الهَزْلَ بالجِدِّ

والزَّهرُ يبسَم كلَّما هَمَلتْ ... عينُ السحابِ بواكِفِ العِهْدِ (٤)

ونَسيمُك المُعتـلُّ صَحَّ به ... جسمِى من الآلامِ والجُهْدِ

أهْلاً به من زائرٍ طرَقتْ ... أنفاسُه بالعنـبرِ الوَرْدِ

ما زال يحْكينا ويُسنِد ما ... يحْكيه عمَّن حَـلَّ فى نَجْدِ

لا عن قِـلًى فارقتُ زهرَكَ يا ... خيرَ الرِّياضِ ولم يكنْ وُدِّى

---

(١) الدملج : حلى يلبس فى المعصم .

(٢) فى ج : «فى الغرام» ، والمثبت فى : ا ، ب . (٣) فى ج : «خير غادية» ، والمثبت فى :ا،ب.

(٤) العهد : أول مطر الربيع .

إن كانَ حَيِّي بالسرورِ فقد ... أبقَى بقلبي لاعِجَ الوجدِ

فكأنَّ أحمرَه بأصفرِه ... دمعي غداةَ نأيْتَ في خَدِّي

***

وله [١] :

بشَّرْتَ بالخير يا بَشيرِي ... جئتَ على الوَفْقِ من ضميرِي

لو أحدٌ طار من سُرورٍ ... لطِرْتُ من شدَّةِ السرورِ [٢]

قد قالتُ بدرُ الكمال وافَى ... بعد اختفاء عن الظهورِ

أجَلْ هو البدرُ في عُلاهُ ... فذاك مِن عادةِ البُدورِ

فإن تخَفَّى فلا لنقصٍ ... وإن بدا ليس بالتَّكبيرِ

فهْو على الخافقيْن يبْغِي ... بفِعْلِه طاعةَ القديرِ

سمَحْتَ يا دهرُ بالأماني ... أحْسنْتَ يا أحسنَ الدهورِ

***

وزارَه الحشريّ [٣] الشاميّ فلم يجِدْه ثم زاره هو فلم يجده أيضا ، فأنشد على الفَوْر :

ما احْتيالِي على مُعاكسةِ الدهْـ ... ـرِ وما زال دهرُ مِثْلِي غَرُورا

زُرْتَنِي يا أخِي وزرتُ فما سا ... مَح أن ألْقاك زائراً ومَزُورَا

فعسَى تعْذُر المحِبَّ كما كنْـ ... ـتَ لديْه بمثلِها مَعْذُورَا [٤]

***

(١) البيتان الأولان في سلافة العصر ٥٤٥ ، وقدم لهما ابن معصوم بقوله : «أخبرني بعض الوافدين من تلك الديار ، قال : كانت بينه وبين السيد حسين الشهير بخليفة سلطان رابطة محبة ، فلما بلغه أنه ولي الوزارة لسلطان العجم ، أنشد بديهة قوله» . (٢) في ا : «لو أحداً» ، وفي : ج «لو أحدا ستطار» ، والمثبت في : ب ، والسلافة.

(٣) محمد بن على بن محمود الحشرى ، تقدمت ترجمته في الجزء الثانى ، صفحة ٣٤٦ ، برقم ١٠٢ .

(٤) في ج : «فإذا تعذر» ، والمثبت في : ا ، ب .

ومن مقاطيعه قوله :

سحقْنَا عقـــودَ الدُّرِّ عند عِناقِنا وكادتْ عقُودُ الدرِّ أن تَصْدَعَ الصَّدْرَا

فلم أدْرِ من يشــكو أذُّ عُقودِها أم الصـــدرُ مما نالَه يشتكى الدُّرَّا[١]

***

سَحْق العُقود من مخترعات ابن هِنْدُو[٢] فى قوله[٣] :

ولَّمـا أن تعانَقْنا سحَقْنَا عقودَ الدُّرِّ من ضِيق العناقِ

ومثله ذَوْبُ حَصَا الياقوت فى قول أبى الجوائز[٤] :

واعتنقْنا ضَماً يذوب حَصَا اليَا قوتِ منه وتطمئنُّ النُّهودُ

وقال فيها الباخَرْزِىّ[٥] : ذَوْب تتداوَب فيه الأمانى ، وسَحْق[٦] تتساحَق عليه الغَوانِى .

***

ومن بدائعه قوله :

أيا أختَ الظِّباء وبنتَ بدرِ السَّـ ـماء وضَرَّةَ الشمسِ المُنـــيرَهْ

عشيرتُك النجومُ فمن يُدانِى عُلاكِ وأنتِ فى سَعْدِ العَشِيرَهْ

ومن عجَب أسَرْتِ القلبَ قسْراً وأنت لحجْلِكِ الزَّاهِى أسِيرَهْ

***

وقوله فى صفة جواد أغرّ :

ومُطَهَّمٍ كالليــلِ حين ركبْتُهُ فكأنَّ بدراً فوق ليلٍ أسْفَعِ[٧]

---

(١) فى ج : « من أشكو » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) تقدم التعريف بابن هندو ، فى الجزء الأول ، صفحة ١٧٨ . (٣) دمية القصر (تحقيق) ١/٣٤٥ .

(٤) تقدم التعريف بأبى الجوائز الواسطى ، فى الجزء الثانى ، صفحة ٣٦٦ .

والبيت فى دمية القصر (تحقيق) ١/٣٤٤ .

(٥) قول الباخرزى هذا تعليق على قول أبى الجوائز ، وقول ابن هندو ، وأوله : « فالأول ذوب ... » ، دمية القصر (تحقيق) ١/٣٤٥ . (٦) فى الدمية : « والثانى سحق » .

(٧) الأسفع : ما كان أسود إلى حمرة .

جاء الصباحُ يُرِيد مَسْحَ جبينهِ　　فى كفِّهِ فهفا ومَسَّ بأُصْبُعِ

＊＊＊

هذا عند التأمُّل أوضحُ فى التشبيه ، من قول ابن نُباتة [1] :

＊ وكأنّما لَطَمَ الصباحُ جَبِينَهُ [2] ＊

＊＊＊

وله :

ذُقْنا الفِراقَ ووَصْلَكم ووَداعكُمْ　　فإذا الحَلاوةُ بالمرارةِ لا تَفِي

حلَفَ الزمانُ بأن يَفِي بوصالِكم　　وثَنَى فكان يمينُه أن لا يَفِي

يامَن دَنا وثَنَى عِنانَ وِصالهِ　　حُوشِيتَ من زَفَراتِ قلبِي المُدْنَفِ

فلئن وجدتُمْ فى البحارِ مُلوحةً　　ماذاكَ إلا مِن دموعِي الذُّرَّفِ

＊＊＊

وله :

برُوحِي التى لم تُبْقِ مِنِّى بَقِيَّةً　　فيَعرِفُ صوتى إن تكلَّمْتُ عارِفُ

نَحَلْتُ فلو أنِّى طَرَقْتُ دِيارَها　　لقالتْ خيالٌ زار أم هو هاتِفُ

＊＊＊

وله من قصيدة ، مطلعها :

عسى وجَفَاتِ اليَعْمَلاتِ الأيانِقِ　　تُبلِّغنى وادِي العُذَيْب وبارِقِ [3]

فيَهدأَ قلبٌ خافِقٌ من زِيالِهمْ　　وإن كان فى غير الهوى غيرَ خافِقِ [4]

لئن راعَنِي ما اسْوَدَّ من يوم بَيْنِهمْ　　فما راعَهم إلَّا بياضُ مَفارِقِي

فهل بِوَمِيضِ البرقِ عَوْنٌ لناظرٍ　　على البُعد ليلا عن يَمِين الأبارِقِ

(١) حاولت جهد الطاقة، فلم أوفق للعثور عليه فى ديوانه.

(٢) فى ج : « نظم الصباح » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) فى ا ، ب : « عسى وجنات » ، والمثبت فى : ج .　　(٤) الزيال : الفراق .

وهل بهبوط الواديَيْن مُعرَّسٌ ... وهل بنسيم الرِّيح رَوْحٌ لعاشقِ

نعمْ إنْ تزُرْ تلك الديارَ تجدْ بها ... لُبانةَ مُشتاقٍ وحنّةَ عاشقِ (١)

بحيث الحصا كاللُّؤلُؤِ الرَّطْبِ بهجةً ... وطِيبُ ثَراها فاق مِسْكَ العوابقِ (٢)

ديارٌ إذا ما الصَّبُّ زار خِباءها ... رأيتَ عجيباً من مَشُوقٍ وشائقِ

ولكنَّها محفوفةٌ بضَراغِمٍ ... أتَوْا من مُرورِ الرِّيح فى زِيِّ طارقِ

فلو قدَّرُوا أن لا يُرَى النجمُ عندَهم ... رَمَوْا كلَّ نجْمٍ فى السماء بخارقِ

ولولا شُروطُ الحبِّ زُرْتَ خيامَهم ... زيارةَ غازٍ لا زيارةَ وامِقِ

على كلِّ مقْدُودٍ من الليلِ جِسْمُه ... يُعاجِلُ رَجْعَ الطَّرْفِ حين التَّسابُقِ

ولا عجَبٌ لو راح للرِّيح لاحِقاً ... إذا كان يُعْزَى للوجيهِ ولاحِقِ (٣)

فلو رام سارى البرقِ يسْرِى خيالَه ... لَقال اتَّئِدْ يابرقُ لستَ مُرافِقِي (٤)

من اللَّاءِ لم تعرف سوى الكَرِّ غارةً ... إذا امتلأتْ رُحْبُ الفَلا بالفَيالِقِ (٥)

يُجشِّمها مَن هوَّن الموتَ عنده ... طِلابُ المَعالِي واحتمالُ الحقائقِ

تحمَّل أعباءَ الخُطوب وإنَّها ... تميدُ لها صُمُّ الشِّدادِ الشَّواهِقِ

وإن احتمالَ الخَطْب فى كلِّ حادثٍ ... طرائقُ آبائى وبعضُ طَرائقِى

فما عُذْرُ من عادتْ جَرائمُ أصْلِه ... إلى كاظِمٍ للغَيْظ من بعد صادقِ (٦)

وهذا أبى الدَّانِى الذى سار ذِكْرُه ... مَسيرَ ذُكَا فى غَرْبِها والمَشارِقِ (٧)

* * *

---

(١) فى ب : «لبانة مشتاق» ، والمثبت فى : ا، ج. (٢) فى ج : «مسك العواتق» ، والمثبت فى : ا، ب.

(٣) الوجيه ولاحق : من فحول جياد العرب . انظر أنساب الخيل . (٤) فى ا : « لقال ابتدأ » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ا ، ب : « رحب الفلا بالضيالق » ، والمثبت فى : ج .

(٦) فى ج : « جرائم أصله » ، والمثبت فى : ا ، ب .

ويعنى بكاظم الإمام موسى بن جعفر الكاظم ، وبصادق الإمام جعفر بن محمد الصادق .

(٧) ذكاء : الشمس .

وله من أخرى ، أولها :

أسَليلةَ القمرين دعوةَ وامِقٍ ماذا ترَيْنَ بمُسْتهامٍ عاشقِ
قد كان يطمعُ في وِصالِك يَقْظةً والآن يقنَع بالخيالِ الطّارقِ
يرضَى بوُدٍّ مُنافقٍ ومُماذقٍ مَن لم يجدْ وصلَ الصديقِ الصادقِ
هلاَّ صَدَدْتِ وشعرُ رأسِي أسْودٌ أيّام أرْهُف في ثياب مُراهِقِ
فترَيْنَ من شَغَفِ الحِسانِ بطَلْعتِي ذُلَّ المَشُوقِ بجَنْبِ عِزِّ الشائقِ (١)
أنَسِيتِ لَيْلاتِ العَقيقِ مَبِيتَنا والسّاعِدان حَمائِلي في عاتِقِي
وحديثَنا عمّا تجُنُّ صُدورُنا كاللُّؤلُؤ المتناظِمِ المُتناسِقِ
في حيثُ رُمّانُ النُّهودِ لغامِزٍ حِلٌّ ومَيّادُ القُدودِ مُعانِقِي
وتضوع من أرْياقِنا عِطْرِيَّةُ النَّفَحاتِ كالمِسكِ الفَتيقِ الفائقِ (٢)
فَيَرى بنا مِن شَوقِنا وعَفافِنا حَجماتُ ذِي نُسْكٍ ونظرةُ فاسقِ

***

منها :

غَدْرُ الأنام مُعَنْعَنٌ عن دهرِهِمْ يُخْفِي العداوةَ في ثيابِ مُنافِقِ
ولوَ أنَّني رمتُ السُّلُوَّ لخانني قلبٌ على السُّلْوانِ غيرُ مُوافِقِ

***

ومن محاسنه قوله :

بعيشِك خَبِّرْني إذا ذُكِر الحِمَى أدَمعِيَ أجْرِى أم جُفوني أم الوَدْقُ (٣)
إذا طلع الرُّكْبانُ منه اعْترضْتُهم وأسألُهم بالرِّفْقِ لو عطَف الرِّفْقُ (٤)

---

(١) في ج : « شغف الحسان لطلعتي » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) في ب : « الفتيق لفاتق » ، وفي ج : « الفتيق لناشق » ، والمثبت في : ا .

(٣) الودق : المطر .

(٤) الرفق الثانية بمعنى الرفقة .

ألا فاصدُقونِي عن عُرَيبٍ تركتُهم ... به هل رَعَوْا عهدِي وإن ساءنى الصِّدْقُ
وأنشَق من تِلقائِه كلَّ ناسِمٍ ... يُعِلُّ ويشفى من لطافتِه النَّشْقُ
وفى مَضْحَك البرقِ التِّهامىّ جِيرةٌ ... بكَتْهم جُفونِي كلّما ضحك البَرْقُ
ويُذكِي لهيبَ القلبِ وُرْقٌ ترنَّمتْ ... ولو علمتْ مابى بكتْ شَجْوَها الوُرْقُ
تنُوح ولا تبْكِي وأندُب باكِيًا ... أجَلْ بين إعْوالِي ورَنَّتِها فَرْقُ
فياليْتنى بُدِّلت نُطْقِي بصَمْتِها ... وكان لها منِّى الفصاحةُ والنُّطْقُ

***

وله :

أُبْدِي السُّلُوَّ لعاذِلِي وبوادرُ الْ ... أنفاسِ تخْصِمنى بأنِّى وامِقُ(١)
وإذا سترْتُ هواكُمُ عن عاشِقٍ ... نادى علىَّ الدمعُ هذا عاشقُ

***

وخرج الشّاه صَفِىّ إلى الصيد ، وتخلَّف هو ؛ لألَمٍ ألَمَّ به ، فكتب إليه :

ألَمٌ ألَمَّ فعاقَنِي ... عن خدْمةِ الشاهِ الأجَلِّ
وأوَدُّ لو أسعَى على ... عَيْنِى لخدْمتِه ومَن لِي
فو حقِّه ما إن أصُو ... نُ النفسَ إلّا للْمَحلِّ
هو بَذْلُها وقتَ الهيا ... جِ له وذا جُهْدُ المُقِلِّ

***

وقال ، وهو فى مازَنْدَران(٢) :

إن حالتِ الأطْوارُ من دونِكمْ ... يا ساكِنِي قلبى والثلجُ حالْ(٣)

---

(١) خصمه : غلبه فى الخصومة . (٢) مازندران : اسم لولاية طبرستان ، يقول ياقوت : وما أظن هذا إلا اسما محدثا لها ؛ فإنى لم أره مذكورا فى كتب الأوائل . معجم البلدان ٤/٣٩٢ .

(٣) فى ج : « حالت الأهواء » ، والمثبت فى : ا ، ب .

فَحَسْبُكُمْ ما حالَ عن وُدِّه والحمدُ للهِ على كلِّ حالْ

***

ومن جَيِّده[١] قوله :

وأطْوَلُ سَقْيٍ من هِلالٍ سطا ببانةٍ تخطُر أو لَحْظِ رِيمْ
أعْرَضَ إذْ عَرَّضَنِي للضَّنا كأنمــا أقْسَم أن لا يَرِيمْ
لو لم يظُنَّ الريحَ جسمِي لَمَا مالَ إذا ما صافَحتْه النسيمْ

***

وقوله[٢] :

سرَتْ نَسْمةٌ برّدتْ غُلّتِي فَهاد لهــا المُدنَفُ المُغرَمُ
وحَيَّيْتُها بانْتشاقٍ لهــا لَوَ انَّ نسيمَ الصَّبا يفهمُ

***

وقوله من قصيدة :

دَعْنِي ولا تقُلِ الغرامُ جنونُ رَشَدِي بأنِّي فى الهوى مفتونُ
قَيْسٌ بأنْمُـلِهِ يخطُّ على الثرَى وأنا بدَمعى والجنُون فُنونُ
إن كنتَ تعجبُ من حديثِ مُرَقَّشٍ فاسْمَــعْ حديثِي والحديثُ شجونُ
أنا مَن علمت فمُذْ تعرَّضْتُ الهوى حكمتْ بلُبِّي أعينٌ وجفونُ[٣]
للهِ ما فتكَتْ بنـــا ألحاظُها يوم اللِّوَى تلك الظِّباءُ العِينُ

***

وقوله فى الشمعة :

قلتُ ليلا لصاحِبِي ما ترَى الشَّمْـ ـعَةَ تبكى مهما نظَرْتَ إليهــا
قال هذا البكاءُ ليس علينـــا كلُّ دمعٍ يسيلُ منهـــا عليهــا

❁

(١) فى ج : « جيد شعره » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .
(٣) جاء هذا البيت بعد قوله : « والجنون فنون » السابق فى : ب ، والمثبت فى : ا ، ج .

١٧٦
السيد حسين بن كمال الدين الأَبْزَر الحِلّيّ *

هذا السيِّد في الحِلَّة، مُتزيِّن من الأدب بأجمل الحُلَّة (١).

أجمعَ أهلُ بلدتِه، على أنه أشْعر أهلِ جِلْدتِه، والرائدُ لا يكذبُ أهلَه، وهو أدْرَى بشِمار حِلَّته.

***

فمن شعره قوله؛ مُذيِّلا لبيْتِ المُتنبِّي، وأجاد (٢):

أتى الزمانَ بَنُوه في شَبيبته ... فسرَّهُم وأتيْنــاه على الهَرَمِ
وهم على كلِّ حالٍ أدركوا هَرَمًا ... ونحن جئْنَاه بعـد الموت والعَدَمِ

وبيت المتنبِّي مَنْزَعه قديم.

منه قول أبي تمّام (٣):

نظرتُ في السِّيَرَ اللَّاتِي مضَتْ فإذا ... وجدتُها أكلَتْ باكُورةَ الأُمَمِ (٤)

ابن السماح:

صفَا الدهرُ مِن قبلي ودِرْدِيُّه أتى ... فلم يصْفُ لي مذ جئتُ بعدهمُ عُمْرُ
فجاءوا إلى الدنيــا وعصرُهم مضَى ... وجئتُ وعصرِي من تأخُّرِه عَصْرُ

(*) ذكره ابن معصوم، في السلافة ٥٤٥، ٥٤٦، باسم: «السيد حسين بن كمال الدين بن الأبزر الحسيني الحلي»، وقال في ضبط الأبزر: «والأبزر، بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة وضم الزاى وبعدها راء مهملة،هكذا ينطق به،ولا أعرف معناه»،وهو مترجم أيضا في أعيان الشيعة ٢٧/ ١٢٠–١٢٢، نقلا عن السلافة.

وضبطت «الأبزر» في ب ضبط قلم بفتح الهمزة وضم الباء وفتح الزاى وضم الراء.

(١) في ج: «حلة»، والمثبت في: ا، ب.

(٢) ديوان أبي الطيب ٥١٣، وسلافة العصر ٥٤٦.

(٣) ديوان أبي تمام ٢٧٠.

(٤) في الديوان: «أيامه أكلت».

أبو جعفر المحدث :

لَقِيَ النـــاسُ قَبْلَنا غُرَّةَ الدهْـ ـرِ ولم نَلْقَ منـــه إلا الذُّنابَا

المَعَرّى[١] :

تمتَّـــع أبكارُ الزمان بأيْدِه وجِئْنا بوَهْنٍ بعد ما خَرِفَ الدهرُ

فليت الفتى كالبـــدرِ جُدِّد عمرُه يعود هلالًا كلما فَنِيَ الشهرُ

كأنما الدهرُ ماءٌ كان وارِدَه أهلُ العصور وما أبْقَوْا سوى العَكِرِ[٢]

وذكر الحافظ الحِجارِيّ[٣] فى « المُسهِب » ، أنه سأل عمه أبا محمـــد عبد الله ابن إبراهيم[٤] ؛ عن أفضل من لقِيَ (٥ من الأجواد فى عهد ملوك الأندلس ٥) .

فقال : يا ابنَ أخى ، لم يُقدَّر أن يُقْضَى لى طُروقُهم[٦] فى شَباب أمرِهم ، وعُنْفُوان رَغْبتهم فى المكارم ، ولكن اجتمعتُ بهم وأمرُهم قد هرِم ، وساءت بتغْيير[٧] الأحوالِ ظُنونُهم ، ومَلُّوا الشكرَ ، وضَجُّوا[٨] من المروءة ، وشغلتْهم (٩ المِحن والفِتَن ٩) فلم يَبْقَ فيهم فضلٌ للإفضال ، وكانوا كما قال أبو الطيِّب :

أَتَى الزمانَ ... إلخ .

---

(١) لزوم ما لا يلزم ١/٢٤٦ . (٢) لزوم ما لا يلزم ١/٣١٥ . وروايته : « كأنما الخير » .

(٣) بعض هذا الفصل فى السلافة ٥٤٦ ، وذكره للدلالة على أن المترجم لم يخترع هذا المعنى . وفى الأصول والسلافة : « الحجازى » ، وهو خطأ ، والحجارى : نسبة إلى وادى الحجارة بالأندلس ، وصاحب النسبة هو أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الكندى ، من مؤرخى الأندلس ، وكتابه يسمى « المسهب فى أخبار أهل المغرب » .

توفى الحجارى سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

كشف الظنون ١٦٨٥ ، المغرب فى حلى المغرب ٢/٣٥ .

(٤) الحجارى أيضا ، وترجمة فى المغرب ٢/٣٤ . (٥) فى السلافة : « من أجواد حلبة عصره ، وهم المعتمد بن عباد ، ومنه [كذا] فى طبقته » . (٦) فى السلافة : « الاتصال بهم » .

(٧) فى السلافة : « بتغير » . (٨) فى السلافة : « وضجروا » .

(٩) فى ب : « الفتن والمحن » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة .

وإن يكن[١] أتاه على الهَرَم ، فإنا أتيناه وهو فى سِياق الموت[٢] ، ومع هذا فإن الوزير أبا بكر بن عبد العزيز[٣] كان يُحمِّل نفسَه ما لا يحمِله الزمان ، ويبتسم فى موضع القُطوب، فيُظهِر الرِّضا فى حال[٤] الغضب ، ويجتهد ألّا ينصرف عنه أحدٌ غيرَ راضٍ ، فإن لم يستطع الفعلَ عوّض عنه القول .

قلت له : فالمُعتمِد بن عبّاد كيف رأيته ؟

فقال : قصدتُه وهو مع أمير المسلمين يوسف بن تَاشْفِين ، فى غزوته للنَّصارى المشهورة ، فرفعتُ له قصيدةً ، منها :

ياليت شعرِى ماذا يرْتضِيه لِمَن ... ناداه يامَوْئِلِى فى جَحْفَلِ النادِى

فلما انتهيْتُ إلى هذا البيت ، قال : أمّا ما أرْتضيه لك فلستُ أقدِر فى هذا الوقت عليه ، ولكن خُذْ ما ارْتَضَى لك الزمان .

وأمر خادما له فأعطانى ما أعيش فى فائدته إلى الآن ، فإنى انصرفتُ به إلى المَرِيَّة[٥] ، وكان[٦] بها سُكناه[٦] ، والتجارةُ بها ؛ لكونها مِيناء لمراكب التّجّار ، من مسلم وكافر ، فاتَّجَرْت فيها ، فكان إبْقاء ماءِ وجهى على يديه .

٭٭٭

---

(١) فى السلافة أن هذا من مقول الحجارى ، وليس من مقول عمه .

(٢) فى ب : « المنون » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة .

وهذا آخر ما جاء فى السلافة عن المسهب ، وجاء فيها بعد ذلك : « ولا خفاء فى أن هـذا هو المعنى الذى نظمه السيد المذكور بعينه ، على أنه فى المعانى التى تتبادر إلى الأذهان ، بل هو من البديهيات لأهل كل زمان بعد ذلك الزمان ، والله أعلم » .

(٣) ترجمته فى قلائد العقيان ١٦٢ ، وله أخبار فى المغرب فى حلى المغرب ٢/٣٤،٣٠٠،٣٠١،٣٩٧ .

(٤) فى ب : « حالة » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) المرية : مدينة كبيرة ، من كورة البيرة ، من أعمال الأندلس . معجم البلدان ٤/٥١٧

(٦) فى ا ، ب : « به سكناها » ، والمثبت فى : ج .

١٧٧

عيسى بن حسن بن شجاع النَّجَفِيّ *

رَوْح فى قالَب إنسان مُصوَّر ، اقْتطف القولَ مِن غُصنه عندما تنوَّر .

مِرآةُ ذهنِه انطبعتْ فيها صُوَر المَحاسن ، وماء رُؤْيته جرَى فى حدائق الأدب وهو غير آسِن .

تتمتَّع بحسن مَنْظره النُّظَّار ، وأراه ماتحلَّى بهـذا الشِّعار ، إلَّا لـكثرة ماحلى (١) عليه من الأنْظار .

وله صمادةُ فـكر ، لا تُوَلِّد غير معنًى (٢) بِـكْر .

قرائحُ بِكْرٍ ولَّدت بنتَ فِكْرةٍ ... يطيشُ لها رأىٌ ويذكُو بهـا فكرُ

ولو لم تـكنْ أنفاسُه عِيسَوِيَّةً ... لمـــا قلَّدته من قريحتِه بِـكْرُ

قال ابن معصوم فى ترجمته (٣) : رحل إلى الهند ، ومدح الوالد ، وحصل بينهما مراسلات طويلة ، ولمَّا حصل من أمله على مُراده ، وقضى أرَبه من انْتجاع مُراده ، ثنَى عِنانه للقصْد إلى أوطانه وبلاده ، فركب البحر قاصداً وطنه عن يقين ، فحال بينهما الموجُ فـكان من الْمُغرَقين .

* * *

ومن شعره قوله يمدح النِّظام والدَ ابن مَعْصوم المذكور (٤) :

بقلبىَ من عينٍ سِهامٌ ثَواقِبُ ... تسدِّدها كحلاه والقوسُ حاجبُ

(*) ترجمه ابن معصوم فى السلافة ٥٦٧ ـ ٥٧٠ ، وذكر أنه وفد على والده بالهند ، وحصل منه على مراده ، وركب البحر راجعاً إلى وطنه ، فغرق .

وفى السلافة : « عيسى بن حسين » .

(١) لعل الصواب : «حل» . (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . (٣) السلافة ٥٦٧ ، وتصرف المحبي فى عبارة ابن معصوم . (٤) القصيدة فى سلافة العصر ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، وتأتى ترجمة النظام ابن معصوم ، فى الباب السادس ، برقم ٢٨٨ .

لنـــا حاجبٌ عن كلِّ سهمٍ يردُّه ... وليس لسهمِ الحبِّ واللهِ حاجبُ(١)

سقيمةُ أجفانٍ وكَشْحٍ ومَوْعِدٍ ... أرى السقمَ تبري وهْيَ فيـه تُغالبُ

أُغالِبُ أسْقامِي وأسقامَها لهـــا ... ومن غالَبَ الأسقـامَ فالسقْمُ غالبُ(٢)

إذا برزَتْ فالناسُ فيهـــا ثلاثةٌ ... طعينٌ ومضروبٌ وساهٍ يُراقبُ

ولم يُرَ عسَّالٌ سوى قَدِّ بانَةٍ ... وليس لها إلَّا الجفونُ قواضِبُ

وإن أسفرتْ ليلاً جلَى الليلَ وجْهُها ... وخَرَّت له خَوْفَ الكُسوفِ الكواكبُ(٣)

وإن طلعتْ يوماً فللشَّمسِ ضَرَّةٌ ... عليها من الجَعْدِ الأَثيثِ غياهِبُ

ومِن عَجَبٍ للشمس والبـدْرِ مَغْرِبٌ ... وليلَى لهـا كلُّ القلوبِ مَغاربُ(٤)

إذا ما النَّوَى زَمَّتْ رِكابَ أحبَّتي ... فللشوقِ فى قلبي تجُول رَكائبُ(٥)

ولُبِّيَ مَسْلوبٌ وجسمِيَ واهِنٌ ... ودمعيَ مسكوبٌ وقلبيَ واجِبُ

وما العيشُ إلَّا والحبيبُ مُواصِـلٌ ... وما الحَتْفُ إلَّا أن تصُـدَّ الحبائبُ

لكَ اللهُ من قلبٍ أصابَكَ سَهْمُها ... ومن كبدٍ فيها الظِّباءُ لَواعِبُ(٦)

ومن جسدٍ قد أسْقمتْـه يدُ الهوى ... ومَعْ سُقْمِه للحبِّ فيـــه مَلاعبُ

عليـه لأنواعِ الخطوب تناوُبٌ ... فإن فاتَه خَطْبٌ عرَتْه نَوائبُ

تعوَّدْتُهـــا كالإلْفِ حتى لوَ انَّني ... تفقَّدْتُهـــا حلَّتْ لدىَّ مصائبُ

طويتُ على شكْوَى الزمانِ ضمائرِي ... وأغْضيتُ عنه باسماً وهْو قاطبُ

ولو أنني يوماً نبذْتُ أقلَّهـــا ... لضاقتْ بهـــا ذَرْعاً علىَّ المَعائبُ(٧)

وإنِّي على مُرِّ الزمان لصابرٌ ... وإن ساءنى دهرٌ فما أنا عاتبُ

---

(١) فى السلافة : « من كل سهم » .

(٢) لم يرد هذا البيت فى السلافة . (٣) فى السلافة : « وإن أسفرت ليلى ... وخرت لها ... » ، وفى ب : « وخرت لها » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى السلافة : « للبدر والشمس .. وليلى بها .. » . (٥) فى السلافة : « تحول ركائب » .

(٦) فى السلافة : « أصابك سهمها ... منها الظباء ... » . (٧) فى السلافة : « على المعائب » .

وللصَّبْرُ أحلَى من شماتةِ حاسدٍ وقولِ خليلٍ مَلَّ شكواكَ صاحبُ (١)

ولم أخْشَ ضَنْكاً من حياةٍ لأنني سَروبٌ وإن سُدَّتْ علَىَّ المَساربُ (٢)

مُبشِّرُ آمالِي مُسكِّنُ رَوْعتِي بأنِّي إلى البحرِ الزُّلالِ لَذاهِبُ

تطالبنى فى كلِّ حينٍ يمرُّ بِي مَديحَك نفسِي والفؤاد يُجاذِبُ (٣)

لأنك يانَجْلَ الرسُولِ هوًى لهــا كذا كلُّ نفسٍ فى هَواها تُطالِبُ

منها (٤) :

لقد طِبْتَ فَرْعاً حيث طبتَ أَرُومةً نعم طيِّبٌ حيث الأصولُ أطايبُ

فللوردِ ماء الوردِ فَرْعٌ يزينُــه ولِلَّيث شِبْلُ الليثِ مِثْــلٌ يُقارِبُ

فأنت لهـا ابنٌ وأنتَ لهـــا أبٌ وأنت لهـا صِنوٌ وأنت أقاربُ (٥)

عشِقتَ العُــلَى طفلاً ولم يك عاشقاً سِواكَ وشِبْهُ الشيءِ للشيء جاذبُ

كذاكَ عشِقْتَ العلمَ والجودَ والتُّقَى وللناس فيما يعشقون مذاهبُ

منها فى الختام :

ولا زِلْتَ فى روضٍ من العيش ناضرٍ إلى دارِكَ العَلْيا تؤُوب الرغائبُ (٦)

⁂

---

(١) فى ب : « وقول خليلى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . (٢) فى السلافة : « شروب وإن سدت » . (٣) فى ب : « والفؤاد يجاوب » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة .

(٤) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، ويعضده ما فى السلافة . (٥) فى السلافة : « وأنت الأقارب » ، وهذا البيت يأتى فى السلافة بعد البيت التالى . (٦) فى ج : « فلا زلت » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والسلافة .

شعراء البَحْرين

هى من البلاد التى هى مَعْدِن السَّخا ، ومطلَع المكارم ، فى الشِّدَّة والرَّخا . أطْرافها منازلُ الأشْراف ، وأكثر الحُلْيِ فى الأطراف [(1)] .

فمنهم :

(1) فى ج : « أطرفها » والمثبت فى : ا ، ب .

١٧٨

السيد عبد الرَّضِىّ بن عبد الصمد الوَلِىّ*

الرَّضِىُّ الشِّيمة ، المرتقَى الجرثومة .

المُتكافِئُ الشرف ، المتَمادل الطُّرَف والطَّرَف (١) .

مَجْمَع البَحرَيْن ، بحرِ العمل وبحرِ العلم ، ومقلَّد النحْرَين ، نحرِ الكمال ونحرِ الحِلم .

إلى أدبٍ أوقعَ من حلاوةِ الرِّضا ، وشعرٍ ما ناله الرَّضِىّ ولا المُرتَضَى .

***

فمنه قوله (٢) :

بات يسْقينى من الثَّغْرِ مُداما ... ذُو جمالٍ يُخْجِل البدرَ التَّماما

حَلَّل الوصلَ وقد كان يَرَى ... وَصْلَ مَن يشْتاقه شيئاً حَراما

ويَرَى سَفْكَ دمِ العشاقِ فَرْضاً ... فى هَواه أو يمُوتون غَراما (٣)

زارَنى وَهْناً ولا أعرف لِى ... منه مِيعاداً فأدركتُ المَراما (٤)

جاء فى حُـلَّةٍ من سُنْدُسٍ ... ثمِلَ الأعْطافِ سُكْراً يتَرامَى

فاعْترتْنى دَهشةٌ من حسنِه ... حين أرْخَى لى عن الوجهِ اللِّثاما

***

(*) ترجمه ابن معصوم ، فى السلافة ٥٢٥ ـ ٥٢٧ ، ومحسن الأمين فى أعيان الشيعة ٣٨ / ٢٦ ، وهو فيهما : « عبد الرضا » .

(١) فى ا : « الظرف » ، والمثبت فى : ب ، ج

(٢) القصيدة فى سلافة العصر ٥٢٥ ، ٥٢٦ .

(٣) فى السلافة : « فى هواه ويموتون غراما » .

(٤) لم يرد هذا البيت فى السلافة .

منها[١] :

ليـــلةٌ كانت كإبْهامِ القَطَا ... أو كرَجْعِ الطَّرْفِ قِصَراً وانصِراماَ

حيثُ كان العيشُ غَضًّا والصِّبا ... مَجْمَعَ اللَّذَّاتِ والدهرُ غُلاماَ[٢]

يا حَمـــاماً ناح فى أيْـكَتِهِ ... صادِحاً ما كنتَ لى إلَّا حِماماَ

تنـــدُبُ الإلْفَ ولا تَذْرِي دَماً ... ودُموعِى تُشْبِهِ الغيثَ انْسِجاماَ

❁



(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، ويشهد له ما فى السلافة .

(٢) فى السلافة : حين كان » .

١٧٩

السيد علَوِىّ بن إسماعيل*

من خُلَّص الأسرة العلَوية ، الضّارِبين خيامَهم فى المنازل العُلْويّة .

له فى هجَر(١) ذِكْرٌ لم يعرِف الهُجْر ، وفضائلُ توضَّحت مثلَما توضَّح الفجْر .

أطْلعتْه السيادةُ من شَرْقها ، فوضعتْه تاجاً فوق فَرْقِها .

وهو فى الكمال مخلوق على أحسن فِطْرة ، والبَحْران عنده لا يتجاوَزان قَطْرة .

***

وقد رأيتُ له فى النَّسِيب ثلاثة عشر بيتاً ، تُحْيِي الطَّرَب إذا كان مَيْتاً .

فأثبتُّها وأنا مُسْتطار فَرَحاً ، وأهزُّ(٢) عِطفِي بحُسْن انْسجامها مرَحاً .

وهى قوله(٣) :

بنفسِي أُفَدِّي وقلَّ الفِــــدا ... غزالاً بوادِي النَّقا أغْيَدَا

مَليِحا إذا فُضَّ عن وجهِــــه ... نِقابُ الحيا خِلْتَ بدراً بَدَا(٤)

غزالاً ولـكنْ إذا ما نَصبْـ ... ـت شِراكاً لأصطادَه استأْسَدَا

سقيمُ اللَّواحــظِ مكحولُها ... ولم يعرف المِيــلَ والإثْمِدَا

رشيقُ القَــوامِ إذا هزَّه ... رأيتَ الغصونَ له سُجَّدَا

له رِيقَــةٌ طعمُها سُكَّرٌ ... يُجَلِّى الصَّدَا ويُرَوِّى الصَّدَى(٥)

(*) ترجمه ابن معصوم ، فى سلافة العصر ٥٢٧، ٥٢٨ ، ومحسن الأمين ، فى أعيان الشيعة ٤١/٣٢ ، نقلا عن السلافة .

(١) هجر : قاعدة البحرين . معجم البلدان ٤/٩٥٣ .

(٢) فى ج : « وأهنى » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) القصيدة فى سلافة العصر ٥٢٧ ، ٥٢٨ .

(٤) فى السلافة : « إذا نض عن وجهه » .

(٥) فى السلافة : « يجلى الصداء » .

والصدا الأولى : الصدأ ، والثانية : العطش .

ولَحْـــظٌ كعَضْبٍ ولـكنَّه ... يشُقُّ القلوبَ وما جُرِّدَا

تفرَّد بالُحسْن دون المَــــلَا ... فسبحانَ مَوْلًى له أفْرَدَا

نأى بعدُ فهو لغـــيرِى ولِى ... قريبُ المَزارِ بعيدُ المَدَى[1]

رعَى اللهُ أيامَنا الماضيات ... وعيشُ الفَتاء به أرْغدَا[2]

وصَبَّ على تُرْبِ تلك الرُّبوعِ ... مُثْعَنْجِراً مُبْرِقا مُرْعِدَا[3]

إلى حيثُ أخْفَتْ صُروفُ الزمانِ ... وشَمْلُ الوِصالِ بها بُدِّدَا[4]

وأضْحَتْ قِفاراً وليس بِهنَّ ... من ذلك الجَمْعِ إلا الصَّدَى

إذا قلتُ أين حبيبى غَــــدَا ... يُجيب بأيْنَ حبيبى غَدَا

❊



---

(١) فى السلافة ، وهو خطأ : « نایٌ بعد » .
(٢) فى ب : « وعيش الفنى » ، وفى ج : « وعيش الفنا » ، وفى السلافة : « وعيش الغناء » ، والمثبت فى : ا .
(٣) المُثعنجر : السائل من ماء أو دمع . القاموس (ث ع ج ر) .
(٤) فى السلافة : « إلى حيث أخنت » .

١٨٠

السيد محمد بن عبد الحسين بن إبراهيم بن أبى شَبابَة *

جمالُ هـــذا البيت وجُمــلة مَفاخِره ، وفَذْلَكة حسابه المَنُوطة به أحسابُ أوائله وأواخره .

تـكوّنتْ بالبَحْرين جوهرةُ ذاته ، وبها كانت أوطانُه وأوطارُ لَذّاته .

ولمّا حُلّتْ بيد الشباب تمائمُه ، وصدَحتْ فى أفنان الفُتوّة حمائمُه .

تنقّل فى البلاد فأحرز الطارِف من الـكمال والتِّلاد .

كما تنقّل الدُّرُّ من البحرِ ، فعَلَا على التّاج والنَّحْر .

ثم أقام آخِراً بأصْبَهان ، وبها انتقل من دار العَياء[1] والامْتهان .

***

فمن شعره قوله ، من قصيدة يمدح بها النّظامَ ابنَ مَعْصوم ، وهو بالهند .

ومطلعها[2] :

أرى علَمـــا ما زال يخفُق بالنّصْرِ ... به فوق أوْجِ المجد تعلُو يدُ الفَخْرِ[3]

مضَى العمرُ لا دنيا بلغتُ بهـــا المُنَى ... ولا عملاً أرْجُو به الفوزَ فى الحشرِ[4]

ولا كَسْبُ علمٍ فى القيامةِ شـــافعٍ ... ولا ظفِرت كفِّى بمُغْنٍ من الوَفْرِ

(*) ترجمه ابن معصوم ، فى سلافة العصر ٥٠٥-٥١٣ ، باسم : « السيد أبو عبدالله محمد بن عبد الله الحسينى بن إبراهيم بن شبابة البحرانى » .

وذكر أنه دخل الهند ، واجتمع بوالده النظام ابن معصوم ومدحه ، فأكرمه وذكره عن سلطانها ، فأفاده مواهب جليــلة ، ثم ارتحل إلى العجم ، وترقى هناك حتى وصل إلى مشيخة الإسلام ، ثم قال : « وهو اليوم نازل بأصبهان » .

(١) فى ج : « الفناء » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) القصيدة فى سلافة العصر ٥٠٧ ، ٥٠٨ .

(٣) فى ا : «فوق أيدى المجد» ، والمثبت فى: ب، ج ، والسلافة ، وفى ب، ج : «تعلو يد النجر » ، والمثبت فى : ا ، والسلافة .

(٤) فى السلافة : « ولا عمل » ، وهى أولى .

وأصبحتُ بعد الدَّرْسِ فى الهند تاجراً ... وإن لم أفُزْ منها بفائدة التَّجْرِ (١)

طوَيتُ دوَاوينَ الفضائل والتقى ... وصرتُ إلى طَىِّ الأمانىِّ والنَّشْرِ

وسوّدت بالأوْزارِ بيضَ صحائفى ... وبيّضْت سودَ الشِّعر فى طلَب الصُّفْرِ

وبعتُ نَفِيسَ الدِّين والعمرِ صَفْقةً ... فياليت شِعرى ما الذى بهما أشْرِى (٢)

إذا جَنَّنى الليـلُ البَهِيمُ تفجَّرتْ ... علىَّ عيونُ الهمِّ فيهـا إلى الفجْرِ

تفرّقتِ الأهْواء منِّى فبعضُهـا ... بِشِيرازَ دارِ العلمِ والبعضُ فى الفِكْرِ (٣)

وبالبَصْرة الرَّعْناء بعضٌ وبعضُها الْ ... قَوِىُّ ببَيْتِ اللهِ والرُّكْنِ والحِجْرِ (٤)

فما لى وللهند التى مُذ دخلتُهـا ... تَحتْ رَسْمَ طاعاتِى سيولٌ من الوِزْرِ (٥)

ولو أن جِبْرائيلَ رام سُكونَها ... لأعْجزه فيهـا البقاء على الطُّهْرِ

لئن صِيدَ أصحابُ الحِمَى فى شِباكِها ... فقد تأخذُ العقلَ المقاديرُ بالقَهْرِ (٦)

وقد تُذهب العقـلَ المطامعُ ثم لا ... يَعُود وقد عادتْ لَمِيسُ إلى العِتْرِ

***

هـذا تلْميح إلى المَثَل المشهور ، وهو قولهم (٧) : « عادت إلى عِتْرها لَمِيسُ » .

(٨ أى رجعت إلى أصلها ٨) .

والعِتْر ، بكسر المهملة وسكون المثناة من فوق : الأَصْل .

ولَمِيس : اسم امرأة .

يُضرَب لمن رجَع إلى خُلُق كان قد تركه .

---

(١) فى السلافة : « فأصبحت . . . . بفائدة البحر » .

(٢) فى ج : « ما الذى ربما أشرى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والسلافة .

(٣) فى السلافة : « بشير ازدراء العلم » . (٤) فى ا : «وفى البصرة الرعناء» ، وفى السلافة : « وبالبصرة الفيحاء » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى السلافة : « فما لى إلى الهند » .

(٦) فى ا : « لئن صدت » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة . وفى السلافة : « بشباكها » .

(٧) مجمع الأمثال ١/٣٠٥ . وهذا الفصل منقول عن السلافة ٥٠٧ . (٨) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، والسلافة .

وليس هذا (١) المثل بعينه حتى يُعترض بأن الأمثال لا تُغيَّر (٢) .

* * *

مضتْ فى حروبِ الدهر غايةُ قوّتى ... فأصبحتُ ذا ضَعْفٍ عن الكَرِّ والفرِّ (٣)

إلى مَ بأرضِ الهندِ أَذْهب لَذَّتى ... ونَضْرةَ عَيْشٍ فى محاولة النَّضْرِ (٤)

وقد قنِعتْ نفسِى بأوْبَةِ غائبٍ ... إلى أهــــلِهِ يوماً ولو بيَدٍ صِفْرِ

إذا لم تــكنْ فى الهنـدِ أصنافُ نعمْةٍ ... ففى هَجَرٍ أحْظَى بصِنْفٍ من التَّمْرِ

على أنَّ لى فيهـــا حُماةً عهدتُهمْ ... بُناةَ المعــــالى بالمُثقَّفة السُّمْرِ

إذا ما أصاب الدهرُ أكْنافَ عِزِّهمْ ... رأيتَ لهم غاراتِ تَغْلِبَ فى بَكْرِ

ولى والدٌ فيهــــا إذا ما رأيته ... رأيتَ به الخنْساء تبْكى على صَخْرِ

ولـكنَّنى أُنْسِيتُ فى الهند ذِكْرَهم ... بإحْسانِ مَن يُسْلِى عن الوالد البَرِّ

إذا أذْعرَتْنى فى الزّمانِ صُرُوفُه ... وجدتُ لديه الأمْنَ من ذلك الذُّعْرِ (٥)

وفى بيتـه فى كلِّ يومٍ وليــلةٍ ... أرى العِيدَ مقْروناً إلى ليـلةِ القَدْرِ

ولا يُدْرِكُ المُطْرِى نِهايةَ مَدْحِه ... ولو أنَّه قد مُدَّ من عُمُرِ النَّسْرِ (٦)

وفى كُلِّ مِضْمارٍ لدَى كلِّ غايةٍ ... من الشرفِ الأوْلَى له سابِقٌ يجرى (٧)

إذا مابدتْ فى أول الصبحِ نِقْمةٌ ... ترى فَرَجاً قد جاء فى آخر العَصْرِ (٨)

فقُل لى أبَيْتَ اللَّعْنَ إن عَزَّ مَقْطَعٌ ... أأصبِرُ أم أحْتاجُ للأوْجُهِ الغُرِّ (٩)

---

(١) فى ج والسلافة : « هو » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) لم يغير فى المثل شىء ، وإنما هو تقديم وتأخير ، فقد جاء فى مجمع الأمثال : «عادت لعترها لميس» .

(٣) فى ج : « من الكر والفر » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والسلافة .

(٤) فى ج : «أذهبت لذتى» ، والمثبت فى : ا ، ب ، والسلافة. (٥) فى السلافة : «إذا ذعرتنى» .

(٦) فى ب : «ولم يدرك» ، وفى ج : « نهاية دوحه » ، والمثبت فى : ا ، والسلافة .

(٧) فى السلافة : « من الشرف المنصان لى سابق يجرى » . (٨) فى ج : «فى أول العصر» ، والمثبت فى : ا ، ب ، والسلافة . (٩) فى السلافة ، وهو خطأ : « أبيت اللعن اذعن مفضع » ، وفى الأصول : «للأوجه الفبر» ، والمثبت فى السلافة

إذاً لا علَتْ فى المجـــد أقدامُ هِمَّتى ... وإن كان شعرى فيك من أنفَسِ الشعرِ [١]

وإنِّى لأرْجو من جَميلِك عَزْمةً ... تُبلِّغنى الأوطانَ فى آخرِ العُمرِ [٢]

تَقَرُّ عيونًا بالعراقِ سَخِينَـــةً ... وتُبرِدُ أكْباداً أحَرَّ من الجمرِ

وتُؤنس أطفالًا صِغاراً تركْتُهم ... لفُرْقتِهم مازال دمعى كالقَطْرِ

وعيْشى بهم قد كان حُلْواً وبعدهم ... وجدتُ لذيذَ العيشِ كالعَلْقَمِ المُرِّ [٣]

إذا ماراَوْنى مقبِلاً ورأيتُهم ... تقول أيومُ القَرِّ أم ليلةُ النَّفْرِ

وما زلتُ مُشتاقًا إليهم وعاجزاً ... كما اشْتاقَ مَقْصوصُ الجناحِ إلى الوَكْرِ

ولـكنَّما حسبِى وُجودُك سالمًا ... ولو أننى أصبحتُ فى بلدٍ قَفْرِ

فمَن كان موصولًا بحَبْلِ وَلائِكم ... فليس بمُحْتاجٍ إلى صِـــلةِ البِرِّ

***

وله من قصيدة، على لسان أهلِ الحال، وأجاد فيها.

ومستهلها [٤]:

لَعَمْرى لقـد ضَلَّ الدليلُ عن القَصْدِ ... وما لاح لى برقٌ يدلُّ على نَجْدِ

فبِتُّ بلَيْـــلٍ لا ينام ومُهجةٍ ... تقلَّب فى نارٍ من الهمِّ والوجْـدِ

وقلتُ عسى أن أهتـدِى لسَبيلِها ... بنَفْحة طيبٍ من عَرارٍ ومن رَنْدِ

فلما أتيتُ الدَّيْرَ أبصرتُ راهبًا ... به ثَمِلٌ من خَمْرةِ الحبِّ والوُدِّ

فقلتُ له أين الطريقُ إلى الحِمَى ... وهل خَبَرٌ من جِيرةِ العَلَمِ الفَرْدِ [٥]

فقال وقد أعْلَى من القلبِ زَفْرةً ... وفاضتْ سيولُ الدمعِ منه على الخدِّ [٦]

لَعلَّك يامسكينُ ترجُـــو وِصالَهم ... وهيْهات لو أتلفْتَ نفسَك بالـكَدِّ [٧]

---

(١) فى السلافة: «ولو كان شعرى».

(٢) فى السلافة: «فى مدة العمر».

(٣) فى الأصول: «وعيش»، والمثبت فى السلافة.

(٤) زيادة من: ب، على ما فى: ا، ج.

(٥) فى ب: «وهل خبرة»، والمثبت فى: ا، ج، والسلافة.

(٦) فى ج: «عيون الدمع»، والمثبت فى: ا، ب، والسلافة.

(٧) فى السلافة: «لو أبلغت نفسك».

إذا زُمْرةُ العُشّاقِ فى مجلِس الهوى نَشاوَى غَرامٍ من كُهولٍ ومن مُرْدِ
ألم ترَ أنّا من مُدامةِ شَوْقِهِمْ سُكارَى ولم نبلُغْ إلى ذلك الحَدِّ
فكم ذهبتْ من مُهْجةٍ فى طريقِهِمْ وما وصلتْ إلّا إلى غايةِ البُعْدِ
فقلتُ أأدْنُو قال مِن كلِّ مِحْنةٍ فقلتُ أأرجُو قال شيئاً من الصَّدِّ

* * *

هذا البيت فيه المُراجعة ، وهى كثيرة فى كلامهم .

* * *

ألم ترَنا صَرْعَى بدهشةِ حبِّهِمْ نُقلِّب فوق التُّربِ خَدًّا إلى خَدِّ
فكم طامعٍ فى حبِّهم مات غُصَّةً وقد كان يرضَى بالمُحالِ من الوَعْدِ



١٨١

ولده السيد عبد الله *

عَرْف ذلك الطَّيب ، وأَرِيجُه الذى يذْكُو [١] ويَطِيب .
تحلَّى بالأدب من منذ ترعْرَع ، وارْتوَى منه بكأس مُترَع .
فاسْتباحَ جَنِيَّ قِطافِهِ ، واسْتماح رَوِيَّ نِطافه .

***

وقد وقفتُ له على أشعارٍ باهتِ الطِّراز المُعْلَم ببَذْرقة التَّطْرِيز ، وجرتْ جداولُها لطالبِ الأدب بمُذاب اللُّجَيْن والإبْرِيز .

فدونك منها ماتسْتجِيده ، وتعلَمَ منه أنه مُحْسِنُ القول ومجيدُه [٢] .

فمنه قوله ، من قصيدة أولها [٣] :

أغارَ فى تِيهِهِ وأَنْجَدْ	فصوَّب الفكرَ بى وصَعَّدْ [٤]
وجَدَّ فى مَطْلَب التَّجنِّى	فجَذَّ حبلَ الوِدادِ بالصَّدّ
أتيتُ أشكُو إليه وَجْدِى	فصدَّ كِبراً وصعَّر الخَدّ
سَما به عُجْبُه فأضْحَى	يضِنُّ عند السلامِ بالرَّدّ
ظَبْىٌ بديعُ الجمالِ أحْوَى	أغرُّ حُلْوُ الدَّلالِ أغْيَدْ [٥]
مُهفْهَفٌ تخضع العوالِى	إذا تثنَّى ورَنَّحَ القَدّ
مُجاذِبٌ رِدْفُه لخصْرٍ	دَقَّ فخِفْنا عليه ينقَدّ

(*) ترجمه ابن معصوم فى السلافة ٥١٣ ــ ٥٢٢ ، وذكر أنه صحب والده النظام ، وكان ممن خدمه ، ثم حدثت منه هفوات ، دفعته إلى توديعه ، والانصراف عن حضرته .

(١) فى ا ، ب : «يذكى» ، والمثبت فى : ج . (٢) فى ا ، ج : «مجيده» ، دون واو العطف ، والمثبت فى : ب . (٣) القصيدة فى سلافة العصر ٥١٦ــ٥١٨ ، وهى فى مدح النظام ابن معصوم . (٤) فى السلافة : « وأصعد » . (٥) الأحوى : من كانت به حمرة إلى سواد .

ذُو مَبْسَمٍ بالرُّضابِ حَالٍ   مِن حولِهِ اللُّؤلُؤُ المُنضَّدْ
كم باتَ يرْوِي لنا قديمَ الـ   ـحديثِ نَقْلاً عن المُبَرِّدْ
فنَالَ منَّا المُدامُ منـــه   مالم تنَلْه مُدامُ صَرْخَدْ (١)
بدرٌ تَغارُ النجومُ منـــه   إذا سَنَا وجهِه توَقّدْ
أحـــلَّ قتْلَ الأنامِ عَمْداً   ولا قِصاصاً يَرى ولا حَدّ

* * *

منها :

مالاحَ يوماً لعاشقِيــــهِ   إلاَّ وخرُّوا لديه سُجّدْ (٢)
كلُّ عَمِيـــدٍ به عَمِيدٌ   وكل مَوْلًى له مُعَبَّدْ
أُطلِقَ حُبِّي له فأمسَى   قلبِي به واجباً تقَيّدْ (٣)
هوَيْتُه عامِــــداً لمعْنًى   منه أتى بالجمـــالِ مُفْرَدْ
ولستُ أبغِي به بديلاً   وإن تجافَى قِلًى وإن صَدّ
ما زلتُ شوقاً إليه أصْبُو   وعهد وُدِّي له يُجـــدَّدْ
كما صَبَا للنَّدى ارْتياحاً   سيدُنا ابنُ النبيِّ أحمدْ
أرْفَعُ من ترفعُ المَعالِي   طَوراً إلى مجدِه وتُسْنَدْ (٤)
كم جمعتْ للسكرامِ شَمْلاً   يَدٌ له مالُهـــا مُبدَّدْ
وكم أقالتْ عِثارَ قَيْلٍ   أطاحَه دهرُه وأقعَدْ (٥)

(١) صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران ، من أعمال دمشق ، وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة ، ينسب إليها الخمر . معجم البلدان ٣/٣٨٠ .

وفى السلافة : « المدام مما قد لم تنله . . . » .

(٢) فى السلافة : « ماهل يوما » .   (٣) فى السلافة : « واجبا مقيد » .

(٤) لعل الصواب : « طودا إلى مجده » ، وفى السلافة : « طرا إلى مجده » .

(٥) القيل : الملك من ملوك حمير ، والرئيس .

وفى الأصول : « أطاعه دهره » ، والمثبت فى السلافة .

منها :

أبا عليٍّ فِداكَ نفسى ... وما حوَتْه يَدایَ من يَدْ

منها :

وأبْق بقاء الدهورِ ما إنْ ... أضاء برقٌ ولاح فَرْقَدْ

***

وله من قصيدة(١) أخرى ، مستهلها(٢) :

ما نضَتْ ليــــلةَ المَزارِ الإزارَ ... هندُ إلا لتهتِكَ الأسْتارَا(٣)

طرَقتْنا ولاتَ حين طُروقٍ ... حبَّذا زائرٌ إذا النجمُ غارَا

رَقَّ بعد الصُّدودِ عَطفًا لِرقٍّ ... ورعَى حُرمةَ العهودِ فزارَا(٤)

قابلتْنا بطَلْعةٍ قد أرتْنا الشَّ ... مسَ ليــــلاً فأوهمتْنا النهارَا

طَفْلةٌ تخلِبُ العقولَ بطَرْفٍ ... وبدَلٍّ تستعبِدُ الأحْرارَا(٥)

دُميةٌ لو تصوَّرتْ لِمجوسٍ ... تخذُوها إلهاً وعافوا النَّارَا

ناهدٌ تسلُبُ النفوسَ بطَرْفٍ ... غَنِجٍ زادَه الفُتورُ احْوِرارَا

ذاتُ خدٍّ جلَى لنا الوردَ غضًّا ... وشَتيتٍ جلَى علينا العُقارَا(٦)

وفمٍ مثل خاتمٍ من عَقيقٍ ... عمَّ الدُّرَّ فى نَواحِيه دَارَا

ولِحاظٍ تسْبى العقولَ وخَصْرٍ ... زادَه باسطُ الجمال اخْتصارَا(٧)

وإذا ما ترَنَّح القَــــدُّ منها ... قلتُ قد هزَّ ذابلاً خَطَّارَا(٨)

---

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .
(٢) القصيدة فى سلافة العصر ٥١٤ ، ٥١٥ ، وهى أيضا فى مدح النظام ابن معصوم .
(٣) فى السلافة : « ماترت ليلة المزار » .
(٤) فى السلافة : « عطفا برق » .
(٥) الطفلة : الناعمة الرخصة .
(٦) فى ج : « لنا الورد خدا » ، وفى السلافة : « لنا الورد غصنا » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٧) فى ا : « تسبى القلوب » ، وفى السلافة : « تصمى القلوب » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٨) فى ب : « وابلا خطارا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة .

غادةٌ لَذَّ لى بها هَتْكُ سِتْرِى　　فى طريق الهوى وخَلْعِى العِذارَا

وعجيبٌ مِمَّن توغَّـــل أمْراً　　فى الهوى أن يروم منه اسْتِتارَا (١)

أيُسَرُّ الهوى وشأنُ دموعِ الصَّـ　　ـبِّ بالصَّبِّ تظهِر الأسْرارَا (٢)

والذى عقلُه غدا بيَدِ الغِيـ　　ـدِ أسيراً لا يستبدُّ اختيارَا

كيف أرجو من الخطُوب خَلاصاً　　بعـــدما أنْشَبَتْ بِىَ الأظفارَا

أرْهَفَتْ إذ عدَتْ علىَّ نِصالاً　　ليس ينْبو فِرِنْدُها وشِفارَا

قصَدتْ أن تسُومنِى الخسْفَ ظُلْماً　　والبَرِىُّ الأبىُّ يأْبَى الصَّغارَا (٣)

ما درَتْ أننى رُفِعتُ مقاماً　　بحِمَى أحمدٍ وزِدْتُ اعْتبارَا

وهو أسْمَى فى رُتْبةِ المجد من أن　　يُدرِكَ الضَّيْمُ لَمْحةً منه جارَا

سيِّدٌ ساد فى البريَّةِ نُبْلاً　　وزكا عُنْصُراً وطاب نِجارَا

ماجدٌ نال رُتبةً فى المعالى　　لم ينَلْها من قبلُ كِسرَى ودارَا

أرْيَحِىٌّ إذا أراحَ لنيْـــلٍ　　أرْسلتْ سُحْبُ راحِه الأمْطارَا

۞

---

(١) فى ا : « أن يلوم منه استتارا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة .

(٢) الصب الأولى : المتيم بالعشق ، والثانية من صب الدمع والماء : إذا أساله .

(٣) فى ب : « والأبى الأبى يأبى الصغارا » ، وفى السلافة : «والسرى الأبى» ، والمثبت فى : ا ، ج .

١٨٢

السيد عبدالله بن الحسين *

أرْبَى على الخلَّص من عُتاة فَنِّ الأدب ، فكان أجلَّ من جَدَّ في تحْصيله ودأب .

رأيت له شعْرا يُنْسِي محاسنَ التقدُّم [١] ، ويترك المجترِي على معارَضته بغَبْن التَّندُّم [٢] .

فلو مُنِحَه ابنُ الحسين [٣] لمَا تنبَّأ عُجْبا بالقريض بل كان تألَّه ، أو سمعه أبو تمَّام لاتخذه تميمةً لعَوْد عقْله الذي تدلَّه به وتولَّه .

* * *

وها أنا ذا أتْلُو عليك منه قطعةً تستنْزِل الثُّريَّا ، وتُغْنيك عن اجْتلاء زهَرات الروضة الرَّيَّا .

وهي قوله في الغزل [٤] :

أتتْ تحمل الإبريقَ شمسُ الضحى وَهْنَا	ولو سَمَحَتْ بالرِّيق كان لهـا أهْنَا
حَكاها قَضِيبُ الخيْزُرَانِ لأنه	يُشارِكها في اللِّين واللفظِ والمعنَى [٥]
تُريني الضُّحَى والليلُ ساجٍ وما الضحى	وطلْعتُها من نُورِ طلعتِه أسْنَى [٦]
مُهَفْهَفةُ الأعْطافِ حَوْراء خِلْتُها	من الحورِ إلا أنَّ مُقْلَتَها وَسْنَا [٧]
لها كَفَلٌ كالدِّعْصِ مِلْءُ إزارِها	وقَدٌّ إذا ماسَتْ به تُخْجِل الغُصْنَا [٨]

(*) ترجمه ابن معصوم ، في سلافة العصر ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، وذكر أنه صحبه .

(١) في ج : « المتقدم » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) في ج : « المتندم » ، والمثبت في : ا ، ب .

(٣) يعني أبا الطيب المتنبي . (٤) القصيدة في السلافة ٥٢٩ .

(٥) في السلافة : « في الاسم والوصف والمعنى » . (٦) في السلافة : « ترينا الضحى ... وتلعتها من نور ... » .

(٧) في السلافة : « حور وخلتها .. » . (٨) الدعص : الكثيب من الرمل .

عليها بُرودُ الأُرْجُوانِ كأنها شَقائقُ أو من وَجْنتَيْها غدَا يُجْنَى (١)

ولا عَيْبَ فيها غَـيرَ أنَّ مَليكَها بَراها بخُلْقٍ يُعْقِب الحُسْنَ بالحُسْنَى

تقوم تُعاطِينا سُلافةَ ثَغرِها على وَجَـلٍ نِلْنا به المَنَّ والأمْنَا

هى الرُّوحُ والرَّيحان والرَّاحُ والمُنى علينا بها مُعْطِى المَواهب قد منَّا (٢)

قصَرتُ عليها مَحْضَ وُدِّى فلم يكنْ سواها له فى القلبِ رَبْعٌ ولا مَغْنَى





(١) فى السلافة : « غدت تجنى » .

(٢) فى ا ، ب : « علينا به » ، والمثبت فى : ج ، وفى السلافة : « عليها بها » .

١٨٣

السيد داود بن شافيز*

سيِّد شَهْم ، للآمال منه نصيبٌ وسَهم .

استوْطَنَ فى السيادة نَجْداً ، وتوسَّد الجَوْزاء مجداً .

* * *

وله فى الشعر بدائعُ كثيرةُ العيون ، لم يتحمَّل لأجلها فكرُه الصَّقِيل مِنَّةَ القُيون .

فقد أَلَانَ اللهُ لطبْعِه الحَدِيدِ الكلام ، كما أَلَانَ الحدِيدَ لداود عليه السلام .

وقد أوردتُ له ما لا يرى العِيانُ مثلَه ، ومن طمِع فى لَحاقِه فيُوشك أن يصير فى العالم مُثْلَة .

فمنه قوله فى الغزل[1] :

أنا واللهِ المُعَنَّى ... بالهوَى شوقِىَ أعرَبْ[2]

كلَّما غَنَّى الهوَى لى ... أَرْقَصَ القلبَ وأطْرَبْ

وغَدا يسْقيه كاسا ... تِ صَباباتٍ فيشْرَبْ

فالذى يطمَع فى سَلْـ ... ـبِ هوى قلبىَ أشْعَبْ

قلتُ للمحبوبِ حتّى ... مَ الهوى للقلبِ ينْهَبْ

وبمَيْدان الصِّبا والـ ... ـلَّهوِ ساهٍ أنتَ تلعبْ

قال ما ذنبى إذا شا ... هدت خدًّا قد تلهَّبْ[3]

(*) ترجمه ابن معصوم ، فى السلافة ٥٢٩ – ٥٣٢ ، وسماه : « داود بن أبى شافين البحرانى » .

(١) القصيدة فى السلافة ٥٣٠ .

(٢) فى السلافة : « أنا والله المعانى » .

(٣) فى السلافة : « إذا شاهدت نارا لخد تلهب » .

فهوَى قلبُـــك فيها ذاهباً فى كلِّ مَذْهَبْ

قلتُ هَبْ أن الهوى هَــبَّ فألْقاه بِهَبْهَبْ [١]

أفلا تُنقِــذ مَن بِهْ واكَ من نارٍ تلَهَّبْ

***

وقوله [٢] :

طال فى الحبِّ غرامِى إذْ رمى المُهجــةَ رامِ

فأصابَ القلبَ مجرُو حاً بمَسْموم السِّهـامِ

والهوى فوقى وتحتى وورائِى وأمامِى

ويمينى ويَســارى وهْـو لا شكَّ إمامِى

قائداً قلبى إلى نا رِ هَـــوانٍ وهُيامِ

قلتُ المحبــوبِ حتى مَ بنيرانِ الغَرامِ [٣]

من ضَريعِ الشوقِ والأحْ زانِ أكْلِى وطَعامِى [٤]

وشَرابِى من حَميم الْ هجرِ أغْرَى بى حِمامِى

لا تُغَــنِّى فى أرَاكِ الْ وصلِ فى زَفِّ حَمامِ [٥]

قال قِفْ واصبرْ على بَلْوَى الهوى صَبْرَ الكرامِ

فعسَى تحظَى بجنَّا تِ وِصالِى وسَــلامِى

✲

---

(١) فى السلافة : « فألقاه بهب هب » ، والهبهب : الإسراع ، والانتباه من النوم ، والزجر .

(٢) القصيدة فى سلافة العصر ٥٣٠ (٣) فى السلافة : « حتى م نيران الغرام » .

(٤) الضريع : نبت بالحجاز ، يقال لرطبه الشبرق . غريب القرآن للسجستانى ١٦٦ .

(٥) فى ا ، ب ، والسلافة : « فى وقت حمام » ، والمثبت فى : ج .

والزف : الإسراع ، وأن يرى الطائر بنفسه أو يبسط جناحيه .

١٨٤

السيد ناصر بن سليمان القَارُونِى *

الخطيبُ النَّصِيح ، والشاعر الفصِيح .

قضَى فأرْضَى ، ونضَى فأمْضَى .

وفرّع وأصّل ، وأجْمل وفصّل .

وذهَب فى البَراعة كلَّ مَذْهب ، وارْتدَى من النَّباهة بكلِّ رداء مُذْهَب .

فنظْمُه حظُّ الزمان ، بل هو حظُّ الأمَان .

وسجعُ الحمام ، بل سَفْح الغَمام .

ورِيقُ النحل ، بل الخِصْب بعد المَحْل .

***

وقد ذ كرتُ له ماتُحِلُّه قلبا ، وتضُمُّ عليه شِغافا [1] وخِلْبا [2] .

فمنه قوله [3] :

أيامَن يُغالِى فى القريبِ ويشْترِى ... قرابةَ إنْسانٍ بألفٍ أباعِدِ

تعالَ فإنِّى ليْتنِى لا قَرِيبَ لى ... أبِيعُك منهم كلَّ ألفٍ بواحِدِ

***

وقوله من مرثيّة [4] :

أيها النائمونَ والدهرُ يَقْظا ... نُ أصاحونَ أنتمُ أم سُكارَى

(*) فى الأصول : « القاروبى » ، وهو خطأ ، فقد ترجمه ابن معصوم ، فى سلافة العصر ٥٢٢-٥٢٥ ، ومحسن الأمين ، فى أعيان الشيعة ٤٩/١١٨ ، وذكرا أنه « القارونى » ، وفى ترجمته فى السلافة ما يشهد بهذا ، فقد مدح قومه شاعرُ البحرين جعفر بن محمد الخطى ، فقال :

آلَ قارونَ لا كَبَا بكمُ الدّهْ ... رُ ولا زلتمُ رءوس الرءوسِ

(١) فى ب : « شغفا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) الخلب : حجاب الكبد .

(٣) البيتان فى سلافة العصر ٥٢٣ .

(٤) الأبيات ضمن قصيدة له فى السلافة ٥٢٤ ، يرثى بها نجم ابن على بن حوز السارى البحرانى .

طالَما نِمتُمُ فهُبُّوا من النو ... مِ فداعِي المَنونِ يدعُو جِهارًا[1]

هو داعٍ إذا أهابَ بمَن فى ... رأسِه نَشْوةٌ أطار الخُمارا

هـو داعٍ يُجيبه مَن دعاه ... كارهًا للّقـــــاء أو مُختارا

هو ذا منزلُ الملوكِ برَغْمٍ ... لِرَغامٍ من الصَّياصِي اقتسارا

هو هذا مُكَسِّرٌ عَظْمَ كِسرى ... ومُدِيرٌ رحَى المَنونِ بِدارا

فبِداراً ليومِ عَيْشٍ عزيزٍ ... قبل أن يُذيع الرحيلُ بِدارا[2]

وانْتهازاً لفُرصةٍ ليس تبْقَى ... قبل أن تُسلَبُوا عليها الخِيارا

❊





(١) فى ا ، ب : « يدعى جهارا » ، والمثبت فى : ج ، والسلافة .
(٢) لم يرد هذا البيت فى السلافة .

١٨٥

السيد أحمد بن عبد الصمد *

أحدُ من اجْتنَى طَرِيَّ القوْل واختصَر ، إلا أن طريقَه إلى الأدب مُختصَر .

* * *

له من الشعر بَيْتان ، على [1] جَوْدة طبْعِه بيِّنان .

لم يسمَع له غيرهما قَطّ ، مَن برَى قلماً وقَطّ .

وهما قوله [2] :

لا بلَّغتْنِى إلى العَلْيــاء مَعْرفتى ⁂ ولادَعتْنِى المُلاَ يوماً لها وَلدَا [3]

إن لم أُمِرَّ على الأعْداء مَشْرَبَهم ⁂ مَرارةً ليس يصْفُو بعدها أبدَا [4]

(*) ترجمه ابن معصوم ، فى سلافة العصر ٥٢٧ ، وذكر أنه أخو عبد الرضى ، المتقدم برقم ١٧٨ .

(١) فى ا : « له » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) البيتان فى السلافة ٥٢٧ .

(٣) فى السلافة : « ولا ادعتنى » .

(٤) فى السلافة : « ليس يحلو بعدها أبدا » .

١٨٦

ماجد بن هاشم بن المرتضَى بن على بن ماجد *

خطيبُ شِيراز وإمامُها ، ورئيسُها المُشار إليه وهُمامها .

ماجد جَدَّ فوجَد ، وارتقى مثلَما ارْتَقى له أبٌ وجَدّ .

نَسَبٌ من النبيِّ مُبْتدِى ، وحسَبٌ ببُرْد النَّباهة مُرْتدِى .

وقد شفَع شرفَ النَّسَب بمَزِيَّة الكمال ، وقرَن إلى صِدْق الأقْوالَ فضلَ الأعمال .

وراءَ ذلك أدبٌ بلَغ به الأرَب ، وملأ دَلْوه منه إلى عَقْد الكَرَب [1] .

* * *

فمن شعره الذى تقف دونه الأطماع ، وتشنَّف به على السَّماع الأسْماع .

قوله فى مليح قارِئ [2] :

وتالٍ لِآيِ الذِّكْرِ قد وقفتْ بنــا ... تلاوتُه بين الضَّلالة والرُّشْدِ [3]

بلفظٍ يسُوق الزاهدين إلى الخنَا ... ومعنًى يشُوق العاشقين إلى الزهدِ [4]

* * *

(*) أبو على ماجد بن هاشم بن على بن المرتضى بن على بن ماجد الحسينى البحرانى .
من أجل فضلاء البحرين وأدبائها .
ولد ونشأ بالبحرين ، وأضر وهو صغير .
ولى القضاء بالبحرين ، ثم انتقل منها إلى شيراز ، وتقلد بها الإمامة والخطابة .
توفى بشيراز ، سنة ثمان وعشرين وألف .
سلافة العصر ٥٠٠ ــ ٥٠٤ ، خلاصة الأثر ٣/٣٠٧ ، ٣٠٨ ، نقلا عن السلافة .

(١) الكرب : الحبل يشد فى وسط العراقى ليلى الماء ، فلا يعفن الحبل الكبير . القاموس (ك ر ب) .
وهذا مثل يضرب لمن يبالغ فيما يلى من الأمر . مجمع الأمثال ٢/٢٥٤ .

(٢) البيتان فى: سلافة العصر ٥٠٣ ، خلاصة الأثر ٣/٣٠٨ . (٣) فى ب : « وقال لأى الذكر » ، وفى السلافة : « وقار » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة . (٤) فى السلافة : « ومعنى يسوق العاشقين إلى هند » .

وقوله (١) :

وذى هَيَفٍ ما الوردُ يوماً ببالغٍ حُلَى وَجْنتَيْه فى احمرارٍ ولا نَشْرِ (٢)

برِئْنا من العَلْياء إن سِيمَ وصلُه عائينا بمـا فوق النفوسِ ولا نَشْرِى

***

وقوله متغزلا (٣) :

حسناء ساءتْ صَنِيعاً فى مُتَيَّمِهـا ياليتَهـا شفَعت حُسْناً بإحْسانِ

دَنَتْ إليه وما أَدْنتْ مَودَّتَهـا فما انتفاعُ امرىء بالباخِلِ الدَّانِى (٤)

*



(١) البيتان فى : سلافة العصر ٥٠٣ ، خلاصة الأثر ٣٠٨/٣ .

(٢) فى السلافة : « مدى وجنتيه » ، وفى الخلاصة : « صدى وجنتيه » .

(٣) البيتان فى: سلافة العصر ٥٠٣ ، خلاصة الأثر ٣٠٨/٣ . (٤) فى الأصول : «دنت إليها» ، وفى السلافة : « دنت إلينـا » ، والمثبت فى الخلاصة ، وفى ج : « بالبـاطل الدانى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

١٨٧

جعفر أبو البَحْر بن محمد الخَطِّيّ العَبْدِيّ *

أحدُ بنى عبد قَيْس

الخطُّ والحظُّ للخَطِّيّ ، وهذا من الجِناس الخَطِّيّ .

فآثار قلمه زينةُ الصحائف ، وأخبار أدبه حِلْية التّحائف .

وهو أحد الجِلَّة المَشاهير ، وأوحد[1] أولئك الجماهير .

وله فى البَحْرين حـديثٌ فاح أرِيجُه ، وتدفَّق بالثَّناء نهرُه وخليجُـه ، فأنشد لسانُ مَجده :

* وهل يُنْبِتُ الخَطِّيّ إلّا وشِيجُه[2] *

فـكم زُمّت إليه المَطيّة ، ورُكِزت على رِماحه الخَطِّيّة .

***

وقد أثبتُّ له مايسمُو على النَّيِّرين ، ويحسُد اتِّساقه مايخرج من بين البَحْرين .

فمنه قوله[3] :

عاطِنِيها قبل ابتسام الصباحِ فهْى تُغنيك عن سَنا المِصباحِ

(*) أبو البحر جعفر بن محمد بن حسن الخطى ، البحرانى ، العبدى ، نسبة إلى بنى عبد القيس .

شاعر فصيح ، مولده فى البحرين ، ورحل إلى أصبهان فاجتمع بالشيخ بهاء الدين العاملى واستوطن فارس .

وكانت بينـه وبين الشريف ماجد بن هاشم البحرانى ، الذى تقـدمت ترجمتـه مطارحات ومحاورات فى الأدب .

توفى سنة ثمان وعشرين وألف .

أعيان الشيعة ١٦/١٤١ـ٢١٠ ، خلاصة الأثر ١/٤٨٣ـ٤٨٥ ، سلافة العصر ٥٣٢ـ٥٤٥ .

(١) فى ب ، ج : « وواحد » ، والمثبت فى : ا .   (٢) صدر بيت لزهير بن أبى سلمى ، عجزه :

* وتُغرَسُ إلّا فى مَنابِتِها النَّخْلُ *

والخطى : الرماح، نسبة إلى الخط ، وهى جزيرة بالبحرين ترفأ إليها سفن الرماح، والوشيج : القنا . شرح ديوان زهير ١١٥ .

(٣) القصيدة فى : سلافة العصر ٥٤٠، ٥٤١ ، وصدر البيت الأول منها فى خلاصة الأثر ١/٤٨٥ .

أنتَ تدرِى أنَّ المُدامةَ نارٌ ... فاقْتدِحْها بالصَّبِّ فى الأقداحِ

فهْى تمحُو بضَوئِها صِبْغةَ اللَّيْـ ... ـلِ فيغدُو وجهُ الدجَى وهْو ضاحِ [1]

وإذا ما أحاط بِى وفْدُ همٍّ ... مُهدِيًا لى طرائفَ الأتْراحِ [2]

فارْسِلَنْها وَرْدِيَّةً كدَمِ الظَّبْـ ... ـيِ أسالَتْه مُدْيَةُ الذَّبَّاحِ [3]

فهْى تُقْصِى إمَّا دنَتْ وارِدَ الهمِّ ... وتُدْنِى شوارِدَ الأفْراحِ [4]

ألْحَفَتْ فى السؤالِ هل من فَكاكٍ ... لأسيرٍ ما إنْ له من بَراحِ [5]

مَزَجُوها فقيَّدوها فلو تُتْـ ... ـرَكُ صِرْفًا طارتْ بغير جَناحِ

ياخليليِ ولا أرَى لى من النا ... سِ خليلاً إلَّا فتًى غيرَ صاحِ

يتلقَّى عَذْلَ العَذُولِ بهَيْنا ... تَ ويحْثُو فى أوْجُه النُّصَّاحِ [6]

ألِفَ الرَّاحَ فهْو بين اغتباقٍ ... لا يُنادَى وليدُه واصْطباحِ

رُحْ على الرَّاسِ بى فليس على الأجْـ ... ـسامِ عَيْبٌ فى السَّعْيِ للأرواحِ [7]

واسْقِنيها صِرفًا فللنَّارِ نأتْ ... جانبًا عن وِصالِ ماءٍ قَراحِ [8]

خيرُ مايُشرَب المُدامُ عليه ... وجهُ خَوْدٍ من الكَعابِ رَداحِ [9]

ذاتُ قدٍّ تثْنِى الغصونُ عليها ... حين يهْفو بها نسيمُ الصباحِ [10]

فوقه طُرَّةٌ تُظِلُّ مُحيًّا ... جائلاً ماؤُه مُضِىءِ النَّواحِي

---

(١) فى السلافة : « فيغدو بها الدجى وهو ضاح » . (٢) فى السلافة خطأ : « وإذا ما أخاط بى وقدم * مهديا إلى . . . » . (٣) فى الأصول : « فأرسلها » ، والمثبت فى السلافة ، وفيها : « كدم الكبش » . (٤) فى السلافة : « إذا دنت » . (٥) فى السلافة : « ما إن له من سراح » .

(٦) فى ج : « ويحنو » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والسلافة . (٧) فى السلافة : « رح على الراح » .

(٨) فى ج : « فللنار أنات » ، وفى السلافة : « فللنار انأى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ا ، ب : « ماء القراح » ، والمثبت فى : ج ، والسلافة . (٩) فى ب : « من الكعاب الرداح » ، وفى السلافة . « من الحسان قراح » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(١٠) فى ب : « الغصون إليها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة ، وفيها : « حين تجفو به نسيم الرياح » .

فهى من نُورِ وجهِها وظلامِ الشَّـ ... مرِ فى حالتىْ مَساً وصَباحِ [١]
وثغورٌ يُخَلْنَ فى بارد الظَّلْـ ... مِ حَباباً يطفُو على وجهِ راحِ [٢]
ماترى الدهرَ كيف رقَّتْ لياليـ ... ـه فشقَّتْ عن أوْجُه الأفراحِ [٣]

***

ولمَّا دخل بأصْبَهان ، اجتمع بالبهاء الحارِثىّ [٤] ، وعرض عليه أدبه ، فاقترح عليه مُعارضةَ قصيدته التى مطلعها [٥] :

سرَى البرقُ من نَجْدٍ فهيَّج تَذْكارِى ... عهوداً بحُزْوَى والعُـذَيبِ وذى قارِ

فعارضها بقصيدة طَنَّانة ، أولها :

هى الدارُ تستَسقِيك مَدْمَعَها الجارِى ... فسَقْياً فخيرُ الدمعِ ما كان للدَّارِ [٦]
ولا تستَضِـعْ دمْعاً تُريق مَصُونَه ... لعِزَّته مابين نَوْءٍ وأحْجـارِ [٧]
فأنت امرؤٌ بالأمسِ قد كنتَ جارَها ... وللجارِ حقٌّ قد علمتَ على الجارِ [٨]
عشوتَ على اللَّذَّاتِ فيهـا على سَنَا ... سَناءِ شموسٍ مايِفِبْن وأقْمارِ [٩]
فأصبحتَ قد أنفقْتَ طَيِّبَ مامضَى ... من العمرِ فيها بين عُونٍ وأبْـكارِ [١٠]
نواصِـعُ بِيضٌ لو أفَضْن على الدجى ... سَناهُنَّ لاستْغنى عن الأنْجُمِ السارِى [١١]
خرائدُ يقْصرن الأصولَ بأوْجُـهٍ ... تغَصُّ بأمْواهِ النَّضارةِ أحْرارِ [١٢]

---

(١) فى ب : « فهو من نُور » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . (٢) الظلم : بريق الثغر .
(٣) فى ب ، ج : « كيف رفت » ، والمثبت فى : ا ، والسلافة . (٤) تقدمت ترجمته فى الجزء الثانى ، صفحة ٢٩١ ، برقم ٩٤ . (٥) ذكر المصنف هذا أيضا فى خلاصة الأثر ١/٤٨٣ ، ٤٨٤ ، وابن معصوم فى السلافة ٥٣٢ ـ ٥٣٤ . (٦) فى خلاصة الأثر : « وخير الدمع » .
(٧) فى سلافة العصر : « ولا تستطع دمعا تريق عيونه » ، وفى الخلاصة : « ما بين نوّ وأحجار » .
(٨) فى السلافة : « قد كنت بالأمس جارها » . (٩) فى السلافة : « إلى اللذات » .
(١٠) فى ا : « أنفقت خير ما مضى » ، وفى الخلاصة ، والسلافة : « أطيب ما مضى » ، والمثبت فى : ب ، ج . وفى السلافة : «فيما بين عون» . (١١) فى الخلاصة : «عن الكوكب السارى » .
(١٢) فى ا : « يقصرن النجوم » ، وهى رواية حسنة ، وفى الخلاصة : « يبصرن الأصول » ، وفى السلافة : « ينصرن الأصول » ، والمثبت فى : ب ، ج .

مَعاطيرُ لم تُغمَس يدٌ في لَطِيمةٍ ... لهُنَّ ولا استَعْقَبن جَوْنةَ عطَّارِ (١)

أبحنكَ ممنوعَ الوصالِ نوازلاً ... على حُكمِ ناهٍ كيف شاء وأمَّارِ

إذا بتَّ تستسْقِي الثغورَ مُدامةً ... أتتكَ فحيَّتكَ الخدودُ بأزْهارِ (٢)

أموسمَ لذَّاتي وسُوقَ مآربي ... ومَجْنَى لُباناتي ومَنْهب أوْطارِي (٣)

سقتْك برغْمِ المُزْنِ أخْلافُ مُزْنةٍ ... تلُفُّ إذا جاشتْ سُهولاً بأوْعارِ (٤)

وفجٍّ كما شاء المجالُ حشَوْتَه ... بعَزْمةِ هَوَّالٍ على الهولِ كرَّارِ (٥)

تمرَّس بالأسْفارِ حتى تركْنَه ... لدِقَّته كالقِدْحِ أرْهفَه البَارِي (٦)

إلى ماجدٍ يُعْزَى إذا انْتسب الورَى ... إلى مَعْشرٍ بِيضٍ أماجِدَ أخْيارِ

ومُضطلِعٍ بالفضْلِ زَرَّ قميصَه ... على كَنْزِ آثارٍ وعَيْبَةِ أسْرارِ

سَمِيِّ النبيِّ المصطفَى وأمينِهِ ... على الدِّين في إيرادِ حُكْمٍ وإصْدارِ

به قام بعد المَيْلِ وانتصبتْ به ... دعائمُ قد كانت على جُرُفٍ هارِ

فلما أناخَتْ بي على باب داره ... مَطايايَ لم أذمُمْ مَغبَّةَ أسْفارِي

نزلتُ بمَغْشِيِّ الرُّواقَيْن دارُه ... مَثابةُ طُوَّافٍ وكعبةُ زُوَّارِ (٧)

فكان نُزولي إذ نزلتُ بمُغْدِقٍ ... على المجد فضلَ البِرِّ عارٍ من العارِ (٨)

أساغ على رَغم الحواسدِ مَشرَبِي ... وأعْذَبَ ورْدَ العيشِ لي بعد إمْرارِ

وأنقذني من قبْضةِ الدهرِ بعد ما ... ألَحَّ بأنْيابٍ عليَّ وأظفارِ

جُهِلتُ على معروفِ فَضْلي فلم يكنْ ... سواهُ من الأقوامِ يعرف مِقْدارِي

***

(١) في السلافة : « لم تغمس يدا » ، وفي الخلاصة : « ولا استعبقن جونة عطار » .

(٢) في ب : « فحيتك الثغور » ، والمثبت في : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

(٣) في ب : «ونهب أوطارى» ، وفي الخلاصة: «ومنهب أوطارى» ، والمثبت في: ا ، ج، والسلافة .

(٤) في الخلاصة ، والسلافة : « برغم المحل » ، وهو أولى .

(٥) في الخلاصة ، والسلافة : « بعزمة عواد » ، وهو أولى . وفي الخلاصة « كما شاء المجال خشوبه » .

(٦) في السلافة : « حتى تركته * بدقته » .

(٧) هذا البيت لم يرد في السلافة .

(٨) في السلافة : « فضل البرد » .

ولما انتهى إلى هذا البيت فى الإنشاد ، قال ، وأشار إلى جماعة من سادات البَحْرين : وهؤلاء يعرفون مقدارَك إن شاء الله تعالى .

***

على أنه لم يَبْقَ فيما أظنُّه ... من الأرضِ شِبْرٌ لم تُطَبِّقْه أخْبارِى

ولا غَرْوَ فالإكْسِير أكبرُ شُهْرَةً ... وما زال من جهلٍ به تحت أسْتارِ [1]

متى بَلَّ لى كفٌّ فلستُ بآسِفٍ ... على درهمٍ إن لم يَنَلْه ودينارِ

فيا ابنَ الأُلى أثْنَى الوَصِىّ عليهمُ ... بما ليس تَثْنِى وجهَه يدُ إنْكارِ

بصِفِّين إذ لم يُلْفِ من أوْليائه ... وقد عَضَّ نابٌ للورَى غيرَ فرّارِ [2]

وأبْصر منهم جِنَّ حَرْبٍ تهافتُوا ... على النارِ إسْراعَ الفَراشِ إلى النارِ [3]

سِراعاً إلى داعِى الحروب يرَوْنَها ... على شُرْبِها الأعمارَ موردَ أعْمارِ [4]

أطارُا غُمودَ البيض واتّكلُوا على ... مَفارِق قومٍ فارَقُوا الحقَّ كُفّارِ [5]

وأرْسَوْا وقد لاثُوا على الرُّكَبِ الحُبَى ... بُروكا كهَدْيٍ أبرَكوه لجَزّارِ [6]

فقال وقد طابتْ هنالك نفسُه ... رِضاً وأقرُّوا عينَه أىَّ إقْرارِ

فلو كنتُ بوّاباً على بابِ جَنّةٍ ... كما أفصحتْ عنه صَحِيحاتُ آثارِ [7]

***

يُشِير إلى هَمْدان ، وهى قبيلة من اليمن ، ينتهى إليهم نسبُ الممدوح ، وكانوا قد أبْلَوْا يوم صِفِّين بلاءً حسنا ، فرُوِىَ أنهم فى بعض أيامِها حين اسْتحَرّ [8] القتلُ ،

---

(١) الإكسير : الكيمياء . القاموس (ك س ر) . (٢) فى السلافة : « وقد عض نابا » .

(٣) فى السلافة : « حرب جن » ، وفى الخلاصة ، والسلافة : « على الموت إسراع » .

(٤) فى ج : « سروعا إلى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة ، والسلافة ، وفى ب : « إلى دار الحروب » ، وفى الخلاصة : « إلى دعوى المنون » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة .

(٥) فى السلافة : « فارقوا الحق فجار » . (٦) فى الأصول ، والسلافة : « على الركب الجثى » ، والمثبت فى الخلاصة . (٧) فى الخلاصة : « صحيحات أخبار » .

(٨) فى الأصول ، والخلاصة : « استجر » ، وفى السلافة : « استحق » ، ولعل الصواب ما أثبته .

ورأَوا فِرارَ الناس [١]عمدوا إلى غمُود[١] سيوفِهم فكسروها ، وعَقَلوا أنفُسَهم بعَمائِمهم ، وجَثَوا للرُّكَب ، وبرَكوا للقتْل ، فقال فيهم أميرُ المؤمنين ، كرَّم الله وجهه[٢] :

لهَمْدان أخلاقٌ ودِينٌ يَزِينُها ... وبأسٌ إذا لاقَوْا وحُسْنُ كلامِ[٣]

فلو كنتُ بوّابًا على بابِ جَنَّةٍ ... لقلتُ لهَمْدان ادْخُلوا بسلامِ[٤]

وقال فيهم يوم الجَمل : لو تمّت عِدَّتُهم ألفًا لعُبد الله حقّ عبادته .

وكان إذا رآهم تمثَّل بقول الشاعر[٥] :

ناديتُ هَمْدان والأبوابُ مُغلقةٌ ... ومثلُ هَمْدان سَنَّى فتحةَ البابِ

كالهُنْدُوانِيِّ لم تُفْلَل مَضارِبُه ... وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وَجّابِ

ذكره ابنُ عبدِ ربِّه فى « العقد » .

وهَمْدان بسكُون الميم ، وبعدها دال مهملة ، وأمّا همَذان ، بفتح الميم والذال المعجمة ، فبلد من بلاد العجم ، وهى أول عِراق العجم ، وإليها نُسِب بديعُ الزمان الهمَذانِيّ ، صاحب « المقامات » التى اقتفَى الحرِيرِىُّ أثرَه فيها .

***

ومن شعر صاحب الترجمة ، قولُه من قصيدة يمدح بها وزيرَ البَحْرين محمودَ[٦] بن نور الدين ، وهى أولُ قصيدة أثبَتَها فى المدح ، وأنشدها يوم عيد الفطر[٧] :

ماذا يُفيدُك من سُؤالِ الأرْبُعِ ... وهى التى إن خُوطِبَتْ لم تسمعِ

---

(١) فى السلافة : « أغمدوا » ، وفى ج : « عمدوا إلى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .

(٢) العقد الفريد ٣/٣٩٠، ٤/٣٣٩ ، وديوان أمير المؤمنين ١٥١ ، والخلاصة ١/٤٨٥ ، والسلافة ٥٣٤ .

(٣) فى العقد : « ودين يزينهم » ، وفى الديوان : « لهمدان أخلاق كرام تزينها » .

(٤) فى الديوان : « إذا كنت بوابا » . (٥) العقد الفريد ٣/٣٩٠ ، الخلاصة ١/٤٨٥ ، السلافة ٥٣٤ .

(٦) فى السلافة ٥٣٥ : « ركن الدين محمد » . (٧) القصيدة فى السلافة ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، وذكر ابن معصوم أنه أنشدها يوم عيد الفطر للسنة الحادية بعد الألف .

سَفَهٌ وقوفُك فى رُسومٍ رَثَّةٍ عَجْماء لا تدرِى الكلامَ ولا تعِى

فذَرِ الوقوفَ على مَحانِى منزلٍ عافٍ لمُختلِف الرِّياح الأربَعِ [1]

وامْسِكْ عِنانَ الدمعِ عن حَوْبائِهِ فى دِمْنةٍ لم تَحْمَدْنك ومَرْبَعِ [2]

اللهُ جارُك هل رأيتَ منازلاً عطِلتْ فحلَّتْها عقودُ الأدْمُعِ

واسْتَبْقِ قلبَك لا تَعيشُ بغَيْرِهِ وشعاعَ نفس إن يَغِبْ لم يَطلُعِ

واصرِفْ بصِرْفِ الرَّاحِ همَّك إنها مهما تفرَّق من سرورِك تجمعِ

كَرْميَّةٌ تذَرُ البَخيلَ كأنما نزَل ابن مَامَةَ من يدَيْه بأُصْبُعِ

فهى التى آلتْ أليَّةَ صادقٍ أن لا تُجاوِرها الهمومُ بمَوْضعِ

مع كلِّ ساحرةِ اللَّحاظِ كأنها ترْنُو بناظِرَتَىْ مَهاةٍ مُرْضِعِ [3]

وكأنما تَثْنِى على شمسِ الضحى إمَّا هى انتقبَتْ حواشِى البُرْقُعِ

***

إمَّا مركبة من إن الشرطيَّة ، وما الزائدة ، وأُدغمت النونُ فى الميم .

***

وكأنما وُضِع البُرَى منهـا على عُشَرٍ تعاوَره الحَيا أو خِرْوَعِ [4]

***

البُرَى هنا جمع بُرَة ، وهى الخَلْخَال .

والبيت وصفٌ لها بالطُّول وتَمام الخَلْق .

وتعاوُره الحَيا تأكيدٌ وتحسين لهذا الوصف .

***

---

(١) فى السلافة : «على محانى منزل» . (٢) فى السلافة: « عن جريانه » ، وفى ب: « فى دمنة لا تحمدنك ومرتع » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . (٣) فى ب : « مع كل حاسرة اللحاظ » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . (٤) العشر، كصرد : شجر فيه حراق، لم يقتدح الناس فى أجود منه ، ويحشى فى المخاد . القاموس (ع ش ر) .

يامَن يفِرُّ من الخطوب وصَرْفِها ... أنَّى رآه يفِرُّ عنهــا يتْبعِ[1]

لُذْ بالوزير ابنِ الوزير فإنمــا ... تأْوِى إلى الـكَنَفِ الأعزِّ الأمْنَعِ[2]

ملِكٌ رَقَى دَرَجَ الفخارِ فلم يدَعْ ... فيها لِراقٍ بعــده من مَطْمَعِ[3]

وتناولَتْ كفَّاه أشْرفَ رتبةٍ ... لو قام يلْمِسُها السُّهَا لم يسْطَعِ

أنْدَى من الغيْثِ المُلِثِّ إذا اجْتُدِى ... أحْمَى من الليثِ الهِزَبْرِ إذا دُعِى[4]

التَّارِكُ الأبطالَ صَرْعَى فى الوغَى ... فكأنهم أعجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِ

***

« منقع » من الاكتفاء[5] ، وله معنًى بدون الاكتفا ؛ بأن يكون مأخوذاً من أقْعَى فرسَه ، إذا ردَّهُ القَهْقَرَى ، فيُزاد ياء ، أو من أنقع الميت ، أى دفَنه ، والمراد دَفْنُها بعشيَّة القتال .

***

يذَرُ الجماجمَ فى المَكَرِّ سَوَاقِطاً ... سَقْطَ الثِّمارِ من المَهبِّ الزَّعْزَعِ[6]

أفْدِيه وهْــو على أغَرَّ مُحجَّلٍ ... ظامِى الفُصوصِ سليمِ سَيْرِ الأكْرُعِ[7]

***

الفصوص : جمع فَصّ ، وهو مُلتقَى كل عظمَيْن .

---

(١) فى السلافة « إنى أراه » .

(٢) فى السلافة :

لُذْ بالوزير فإنما تأْوِى إلى الـ ... كَنَفِ الأعزِّ الأمْنَعِ ابنِ الأمْنعِ

(٣) فى ب : « لراق بعدها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة .

(٤) فى ب : « من الليث الملث إذا انتدى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة .

والملث : المتتابع .

(٥) أى « منقعر » .

(٦) فى السلافة خطأً : « من المحب الزعزع » .

وريح زعزع : شديدة .

(٧) فى السلافة : « سير الأكرع » .

والأكرع : مقدم الساقين .

وظامى الفصوص ، كناية عن لطافة مَفاصِلِه .

***

نَهْدِ المَراكل والَّلبانِ بعيدِ ما ... وُضِعِ العِنانُ به عَصِيٍّ طَيِّعِ [1]

فكأنه لمَّا استقام تَليلُه ... مُضْغٍ تلقَّفَ نَبْأةً من بُرْقُعِ [2]

فى جَحْفَلٍ كاليَمِّ إلَّا أنه ... لا ماءَ فيه غيرُ لَمْعِ الأذْرُعِ [3]

حتى ترجَّل للصلاةِ ولم نجِدْ ... أسداً يُصلِّى قَبْلَه فى مَجْمَعِ

بَيْناه أفْتَكُ فاتكٍ أبصرْتَه ... فى النُّسْكِ أخشعُ خاشعٍ مُتخشِّعِ

***

لو قال : أخشع خاشع متورِّع . لكان أنسبَ بأفْتك فاتك .

***

حُيِّيتَ يا كسرى الملوكِ تحيةً ... تُرْبِى على كسرَى المُلوكِ وتُبَّعِ

يا ابنَ الأُلَى جعلوا مراكزَ سُمْرِهِمْ ... حَبَّ القُلوبِ بكل يومٍ مُفْظِعِ

واستبْدلُوا لِلْبِيضِ من أغْمادِها ... فى الحرب هامةَ كلِّ ليثٍ أرْوعِ

النازلين من العُلَى فى رتبةٍ ... هامُ السُّها منها بأدْنَى موضعِ

ما حدَّثتْ نفسُ امرئٍ ببُلوغِها ... إلَّا ومات بغُلَّةٍ لم تُنقَعِ

وإليك من عُرْبِ الكلامِ خريدةً ... جاءتْك مُسْفِرةً ولم تتبرْقَعِ

---

(١) المراكل : ما تصيبه رجلك من الدابة إذا ركلتها .
والَّلبان : الصدر .

(٢) فى السلافة : « استقام تليه » .
والتليل : العنق .
وفى الأصول : « مصنع تلقف » ، وفى السلافة : « مضع تلقف نباة » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٣) فى الأصول : « لم الأذرع » ، والمثبت فى السلافة .

عذراءُ أوّلُ ما جَناه لنـــاظرٍ نَظْمِي وأولُ ما تلاه لِمَسْمَعِ [١]

مِن شاعرٍ ذَرِبِ اللسانِ مُفَوَّهٍ طَبٍّ بتَرْكيب القوافِي مِصْقَعِ

فاضْمُمْ عليه يديك تَحْظَ بآخرٍ أذْكَى من المتقدِّمين وأبْرَعِ [٢]

فَليُسْمِعَنَّك إن بَقِي لك بعدها ما يستبين لديْه ذُلُّ الأشْجَعِ [٣]

***

قلت : لله دَرُّه من فارس مَجال هو على تناول المعانى أشْجَع من أشْجَع [٤] ، وخطيبُ حَفْل كلماتُه أفيَد من قائل أما بعد وأنْجَع .

*

وقد انتهى ذكرُ أهل البَحْرين الذين ارتفع قدرهم وسما ، وروَتْ غُرَرُهم فى رياض آدابِها حديثَ النُّعْمان عن ماء السما .

وهنا أذكرُ مَن نَجم من بلاد العجَم ممَّن وقع عليهم الاتِّفاق ، وانْهلَّتْ فوائدُهم كالسحاب الدفَّاق .

---

(١) فى السلافة : « أول ما جلاه لناظر » ، وهى أولى . (٢) فى ب : « فاضمم يديك عليه » ، وفى السلافة : « فاضمم عليه يديك تحظ بأحظ » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) فى ب : «ذل الأخشم» ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . (٤) يعنى أشجع بن عمرو السلمى . شاعر مدح البرامكة والرشيد ، وبقى إلى ما بعد وفاة الرشيد ورثاه .
تاريخ بغداد ٧/٤٥ ، معاهد التنصيص ٢/١٣٣ .

فمنهم :

١٨٨

الحكيم أبو الحسين بن إبراهيم الطَّبيب الشُّيرازِىّ *

فارسُ حكماء الشرق ، المستوفِى فى السَّبْق شَوطَ البَرْق .

بلَغ وهو شاب مَبْلَغ الشيخ فقُضِىَ له بالرياسة ، وبرَع فى صِناعة الطب براعة حكمتْ له بالاستيلاء على النَّباهة والكَياسة .

إلى أدب يتخيَّله الفكرُ فيُشْفَى به عليلُه ، وينْطبع فى الطبع فيُشْحَذُ به كَلِيلُه .

وحُسْن طلعةٍ تتعشَّقها الصُّوَر ، ولطفِ علاجٍ لم يبْقَ معه ما تشْتكيه مرْضَى العيون إلَّا الحوَر .

***

وقد وقفتُ له على شعر ألَذَّ من العافية للسَّقيم ، وألْطف من بُشْرى الولدِ الكريم للشيخ العَقِيم .

فأثبتُّ منه ما هو غايةٌ فى حسنِ الأُسلوب ، وكأنما هو دواء لأمراض القلوب .

فمنه قوله :

كشف الصبحُ اللِّثــــاما وجلَى عنَّا الظــــلاما

فأجِــلْ لى الكأْسَ ونَبِّــ ـهْ أيهــا السَّاقِى النُّدامَى

عَلَّنـــا نقضِى كما رُمْـ ـنا من الأُنْسِ المَراما[1]

ما ترى الوُرْقَ على الأيْـ ـكِ يُجاوِبْنَ الحَمــاما

(*) ترجمه ابن معصوم فى السلافة ٤٩٢ ، وفى المطبوع منها سقط ذهب ببقية ترجمة أبى الحسين ، وصدر من ترجمة الشوشترى الآتية .

(١) فى ا : « على نقضى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وزُهورَ الروضِ أصْبحْـ   نَ يفتِّقْنَ الكِماما
والحَيا يبكي عليهنَّ   فيضحكْنَ ابتساما
ووميضَ البرْقِ قد سلَّ   على الأُفْقِ الحُساما
وحبيبَ النفسِ قد لا   حَ لنا بدْراً تِماما
أيُّ عُذْرٍ لك إنْ لم   تصلِ الراحَ مُداما
فاغْنَمِ الأُنْسَ وباينْ   مَن لَحَى فيه ولاما

* * *

وهى عَرُوض أبيات[1] بَلَدِيِّه الشيخ سَعْدِي ، صاحب « الكلستان » ، وهى :

يانديمي قُمْ بليلٍ   واسقِني واسْقِ النُّدامى
خَلِّني أسهرُ ليلِي   ودَعِ الناسَ نياما
أسْقِياني وهديرُ الرَّ   عدِ قد أبكَى الغَماما
فى أوانٍ كشفَ الوَرْ   دُ عنِ الوجهِ لِثاما
أيها المُصْغِي إلى الزُّهَّا   دِ دَعْ عنك الكلاما
قُمْ بها من قبلِ أن يجْ   علكَ الدهرُ عِظاما
قُل لِمَن عيَّرَ أهلَ الْـ   حُبِّ فى الحبِّ ولاما
لا عرفتَ الحبَّ هيْها   تَ ولا ذُقْتَ غراما
لا تلُمْني فى غُلامٍ   أوْدَعَ القلبَ سَقاما
فِداء الحبِّ كم من   سيِّدٍ أضحى غُلاما

* * *

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

ومن رقيق شعره قوله في الغزل[١] :

مَن أوْدَعَ الشُّهْدَ والسُّلافَ فَمَهْ   والجوهرَ الفَرْدَ فيه من قَسَمَهْ
وواوُ صُدْغَيْه فوق عارضِهِ   ياليت شِعْرِى بالمِسْك من رَقَمَهْ
ووافرُ الحُسْنِ والجمالِ به   من دون كلِّ الحسانِ مَن رَسَمَهْ
وخَدُّه الوردُ فى تضرُّجِهِ   ما ضَرَّه لو مُحِبُّه لَثَمَهْ
دمِى ودَمْعِى بلَحْظِه سُفِكَا   فلا شفَا منه رَبُّه سَقَمَهْ
كم من قتيلٍ بسيفِ مُقْلتِه   لم يَخْشَ ثارًا لمَّا أباح دَمَهْ
كتمتُ حُبِّى عن الوُشاةِ فما   ظَنَّ به كاشحٌ ولا عَلِمَهْ
وكم مُحِبٍّ أعْيَتْ مذاهبُه   أذاع سرَّ الهوى وما كَتَمَهْ

***

وقوله، وأجاد[٢] فى الجناس[٣] :

قضَى وَجْدًا بحُبِّ أُهَيْلِ رَامَهْ   وما نال الذى فى الحبِّ رَامَهْ
مُحِبٌّ لم يُطِعْ فيهم عَذُولًا   ولا قبلتْ مَسامعُه المَلامَهْ
نَهاهُ عن الهوى لَاحِيه سِرًّا   فقال له جِهارًا فى المَلامَهْ
فقولوا يا أُهَيْلَ الوُدِّ قولُوا   على مَ هجرتُمُ المُضْنَى على مَهْ
وقد أمسَى بهجرِكُمُ قتيلًا   وحُبُّكُمُ له أضْحَى علامَهْ

(١) القصيدة فى : سلافة العصر ٥٩٢ (٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، والسلافة .
(٣) هذه المقدمة فقط فى السلافة المطبوعة ، مما يدل على السقط فيها .

١٨٩

المنلا فرج الله الشُّشْتَرِىّ *

أحدُ شعرائهم المُفلِقين، وأوْحد لُطفائهم الدَّقِّين.

شعرُه[1] نظَم الإحسانَ فى لَبَّة القَرِيض، وأسمع فيه ماهو أطْرَفُ من نَغَم مَعْبَد والغَرِيض[2].

وشعره فى الصَّنعة بُرْدٌ مَرْوِىّ[3]، وفى العُذوبة حديث للشباب[4] مَرْوِىّ.

فما انتخبْتُه من شَهِيِّه، وألْمعْتُ به من بَهِيِّه.

قوله من قصيدة، مستهلها[5]:

مابين دِجْلَةَ والفُراتِ مَرَاتِعٌ ... هى للنفوسِ معارجٌ وسَماء

ومنازلٌ هى للقلوب منازِلٌ ... لا جاوزَتْهــــا دِيمَةٌ هَطْلاء

لا الجِزْعُ يُسْلِينى ولا وادى الغَضا ... عنها ولا نَجْدٌ ولا الدَّهْناء

لا رامَةٌ رَوْمِى ولا حُزْوَى ولا ... وادى النَّقا والخَيْفُ والخَلْصاء[6]

سَقَتِ الفُوادِى رَوْضَها وفَلاتَها ... ورعَتْ بمَرْعاها مَهاً وظِباء

(*) ترجمه ابن معصوم فى السلافة ٤٩٣، وجاء اسمه فى فهرست الكتاب أمام صفحة ٤٩٢، وقد سقط صدر الترجمة من السلافة المطبوعة.

وجاء اسمه فى السلافة «فرج الله الشوشترى»، والمثبت فى الأصول.

وشوشتر، هو الاسم الفارسى، الذى عرب إلى تستر، وتستر: أعظم مدينة بخوزستان. انظر معجم البلدان ١/٨٤٧، ٨٤٨.

(١) زيادة من: ب، على ما فى: ا، ج. (٢) تقدم ذكر معبد بن وهب المدنى فى أكثر من موضع، والغريض هو عبدالملك، ولقب الغريض لجماله، وهو من أشهر المغنين فى أيام الدولة الأموية، توفى فى العقد الأخير للمائة الأولى. الأغانى ٢/٣٥٩. (٣) لعل هذا نسبة إلى مرو، والنسبة إليها كما هو معروف مروزى. انظر اللباب ٣/١٢٧. (٤) فى ا، ج: «عهد للشباب»، والمثبت فى: ب.

(٥) القصيدة فى السلافة ٤٩٣، ٤٩٤، وسقط من المطبوعة فيها من أولها إلى آخر قوله: «للغانيات بها الغداة ثواء». (٦) الخلصاء: بلد بالدهناء معروف، وقيل: أرض بالبادية فيها عين. معجم البلدان ٢/٤٦٠.

أصْبُو إلى سُكانها طولَ المدَى ... لم تُلْهِنِى خَوْدٌ ولا هَيْفاء

إنَّ الأماكِنَ تُسْتحَبُّ لأهلِها ... أنا عُرْوةٌ وجميعُهم عفْراء[1]

بِهِمُ أُشَبِّب لا بعاتكةٍ وكم ... فى مُهْجتِى من بينهم بُرَحاء

أسماؤهم ملأتْ خُروقَ مَسامعِى ... لا مَىٌّ تسْكنها ولا أسْماء

للنَّازلين على الفُراتِ مَواطِنٌ ... لهمُ بِهنَّ عن الخيامِ غَناء

وبِسُوحِهِنَّ مراتعٌ وملاعبٌ ... الليلُ فيها والنهارُ سواء

***

قد تلطَّف فى هذا ، ومرادُه أنها لشدَّة اعْتدالها تساوَى فيها الليل والنهار[2] ، كما يكون ذلك فى البلاد التى فى خَطِّ الاسْتواء ، أو فى[3] الرَّبيعيْن اللذين هما أعدل الأزمنة .

ووقع لى من قصيدة :

قد لاح فى خَدِّه العِذارُ ... فاعتدلَ الليلُ والنَّهارُ

***

مُستوطنُ الآمال غاياتُ المُنَى ... للغانياتِ بها الغَداةَ ثُواء

يرْتعْنَ بين ضلوعِنا فكأنَّما ... أرْباعُها الألْبابُ والأحْشاء

آرامُ أُنْسٍ للنفوسِ أوانِسٌ ... داءٌ ولكنْ للعيون دواء

يُصْغِى إليهِنَّ الجليسُ فينْثنِى ... وهناكَ لا خمرٌ ولا صهْباء[4]

حلَّ الربيعُ متى حَلَلْنَ بمنزلٍ ... فكأنهنَّ عوارضٌ وحياء

وإذا ارْتحلْنَ ترى الديارَ كأنها ... من فَقْدِهنَّ سباسبٌ قَفْراء

---

(١) يعنى عروة بن حزام الضبى، وابنة عمه عفراء ، انظر أخبارهما فى تزيين الأسواق ٧٠ .

(٢) فى ب ، ج : « مع النهار » ، والمثبت فى : ا . (٣) فى ب : « وفى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى سلافة العصر : « يصغى إليهن الجليس فينتشى » .

كم من مناهلَ للفُراتِ ورَدْنَها ... وصَدَرْنَ وهْي لِعَوْدِهِنَّ ظِماء

لا تعجبَنْ إن لم يَفِينَ بمَوْعدٍ ... إن الغَوانِيَ مالهُنَّ وَفاء

سُكانُ تلكَ الأرضِ كلُّهم لهم ... عندي هوًى وصداقةٌ وإخاء

إن يسلِبوا عنِّى السرورَ ببَيْنِهِمْ ... فلِمُهْجَتِي بحديثِهم سَرَّاء

فهُم مَناطُ مَساءتى ومسرَّتِي ... وهمُ لقلبِي شِدَّةٌ ورخاء (١)

أكبادُنا نارُ الغضا من بعدهمْ ... تذْكِي الأسَى وجفونُنا أنْواء

الظَّاعِنون القاطنونَ قلوبَنا ... هم واصِلين وقاطِعين سواء (٢)

وإذا المَحبَّةُ فى الصدورِ تمكَّنتْ ... فقد استوَى الإبْعادُ والإدْناء

ألقتْنِيَ الأيامُ من أرضٍ إلى ... أرضٍ لها أرضُ العراقِ سَماء

شتَّان مابيْني وبين مَزارِهِمْ ... هيهات أينَ الهندُ والزَّوْراء (٣)

كيف احتيالِي فى الوُصولِ إليهمُ ... إن الوصولَ إليهمُ لَرَجاء

لا تركبَنْ ظهرَ الرجاءِ مَطيَّةً ... إن الرجاءَ مَطِيَّةٌ عَوْجاء (٤)

وكواذِبُ الآمالِ لا تُهْدَى بها ... دَعْها فتلك هدايةٌ عَمْياء (٥)

ياساكِنِي دارِ السلامِ عليكمُ ... منِى السلامُ ورحمةٌ ودعاء

أينَ الغَرِيُّ وأهلُه وضجِيعُه ... رُوحِي له ولِما حَواه فِداء (٦)

***

ومن مديحها قوله :

الأحمدُ المحمودُ كلُّ فِعالِهِ ... ماشاءه وقضى به فقَضاء (٧)

---

(١) فى ب ، ج : « مناطمسرتىومساءتى » ، والمثبت فى : ا ، وسلافة العصر . (٢) فى ا : « هم واصلون وقاطعون سواء » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسلافة العصر . (٣) يعنى بالزوراء بغداد .

(٤) فى السلافة ، وهو أولى : « مطية عرجاء » . (٥) فى ا ، ج : « لا تهدى بها » ، والمثبت فى : ب ، والسلافة : وفى ب ، والسلافة « هدية عمياء » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٦) فى السلافة : « أين العزاء » ، وهو خطأ ، وتقدم ذكر الغرى ، فى أكثر من موضع .

(٧) بعده فى سلافة العصر :

ما للعقولِ وفوق ساحةِ وصْفِه ... قد ضلتِ الأفهامُ والآراء

فله يدٌ وله أناملُ فِعْلُهـــا الْ ... إحسانُ والإنعامُ والإعطاء [١]

لا كالبحارِ تظلُّ تجمع ماءها ... بل كالجبالِ يسيلُ عنها الماء [٢]

مالَ الخلائقُ حيث مالَ كأنه ... شمسُ السَّما وكأنهم حِرْباء

***

يعنى أنهم يتلوَّنُون معه ، ولا يستقرون من الطيش على حال ، كما تتلوَّن الحِرْباء ألوانًا مع الشمس .

والحرباء [٣] دُوَيبَّة تُسمَّى أم حُبَيْن ، وتُكنَى أبا قُرَّة .

ويقال حِرْباء الهَجِير لما ذكر ، وحِرْباء تَنْضُب ، [٤] كما يقال ذِئْبُ غَضا ، وهو شجر يُتَّخَذ منه السهام ، جمع تَنْضُبَة [٤] .

وفى « شفاء الغليل [٥] » للشهاب : الحرباء ، جنس من العَظـاء [٦] ، مُعرَّب حوربا [٧] ، أى حافظ الشمس ؛ لأنه يراقبها ويدور معها .

وفى المثل [٨] : أحْزَم من حِرْبا ، لأنه مع تقلُّبه فى الشمس لا يُرسِل يده من غُصن حتى يُمسِك آخر .

وإياه عَنَى التَّمِيمِيّ [٩] فى قوله [١٠] :

لنا صديقٌ له فى الغانياتِ هَوًى ... وأيْرُه لا يزال الدهرَ طَرَّاقَا

كأنما هو حِرْباءُ الهَجيرِ ضُحًى ... لا يُرسِل الساقَ إلا مُمْسِكا ساقَا

---

(١) فى السلافة : « الإنعام والإحسان » تقديم وتأخير .

(٢) بعد هذا أبيات أخرى فى السلافة تركها المحبى .

(٣) هذا فصل منقول عن ريحانة الألبا ٢/ ٣٠ . (٤) ساقط من : ج، وهو فى : ا، ب ، وريحانة الألبا .

(٥) شفاء الغليل ٧٨ . (٦) فى شفاء الغليل : « العظاية » ، والعظاية : دويبة كسام أبرص ، وجمعه عظايا . القاموس (ع ظ ى) . (٧) فى الأصول : « خوربا » ، والمثبت فى شفاء الغليل .

(٨) هذا النقل عن الريحانة ٢/ ٣٠ لا عن شفاء الغليل . (٩) يعنى تقى الدين التميمى ، وتقدم التعريف به ، فى صفحة ٦٠ . (١٠) البيتان فى ريحانة الألبا ٢/ ٢٩ ، وخلاصة الأثر ١/ ٤٨٠ .

وهو تضمين، من قول بعض شعراء الجاهلية[1] :

أنَّى أُتيحَ له حِرْباءُ تنضُبَةٍ   لا يُرسِلُ الساقَ إلَّا مُمْسِكاً ساقَا

وضرَبه بعضُ العرب مثلا للألَدِّ الخِصام، الذى كلما انقضتْ له حُجَّة أقام أُخرى.

وضربه ابنُ الرُّومِيّ مثلا للقبيح[2].

ويضرب به المثل فى كثير التقلُّب.

* * *

عادتْ عصافيراً بُزاةُ زمانِهِ   وتصاغرتْ بجلالِهِ الكُبَراءُ

منها :

حسْبِي سُمُوًّا إن تكن بي عارفًا   ماضَرَّنِى أن يُنكِرَ الضعفاءُ[3]

لا غَرْوَ إن لم تُفْصِحِ الأيامُ بى   الدهرُ ابنُ عَطا وإنِّى الرَّاءُ[4]

وبذا جرَى طبعُ الزمانِ وأهلِهِ   دُفِنَ الكمالُ وأهلهُ أحياءُ[5]

---

(١) البيت لأبى دؤاد الإيادى، وهو فى ديوانه (دراسات فى الأدب العربى) ٣٢٦، واللسان (حرب) ١/٣٠٧ منسوبا إلى أبى دؤاد أيضا . قال ابن برى: هكذا أنشده الجوهرى، وصواب إنشاده : « أنى أتيح لها » لأنه وصف ظعنا ساقها، وأزعجها سائق مجد، فتعجب كيف أتيح لها هذا السائق المجد الحازم، وهذا مثل يضرب للرجل الحازم؛ لأن الحرباء لاتفارق الغصن الأول حتى تثبت على الغصن الآخر.

والبيت أيضا فى الصحاح (ح ر ب) ١/١٠٩، واللسان (ن ض ب) ١/٧٦٤، (س و ق) ١٠/١٦٩، وريحانة الألبا ٢/٣٠ والنقل عنها، وخلاصة الأثر ١/٤٨٠، بدون نسبة.

(٢) فى الريحانة ٢/٣١ : « للقبح ».

وذلك قول ابن الرومى فى قينة ورقيبها :

ما بالُها قد حُسِّنتْ ورقيبُها   أبدًا قبيحٌ قُبِّحَ الرُّقباءُ

ما ذاكَ إلَّا أنها شمسُ الضحى   أبدا يكون رقيبَها الحِرْباءُ

ديوانه (سليم) ١/١٣، ١٤.

(٣) فى ا، ج، والسلافة : « ما ضر أن ينكرنى الضعفاء »، والمثبت فى : ب.

(٤) فى ب : « وأنت الراء »، وفى السلافة : « وإنى راء »، والمثبت فى : ا، ج.

(٥) فى ا : « دفن الزمان »، وفى ب، ج : « دفن الأنام »، وفى ب : « دفن الأنام وأهله الأحياء »، والمثبت فى السلافة.

هب لى قُصوري واغفِرَنْ ذنبي فما ... أنا منه فى هذا الهُذاء بُراء[1]

ما الجود مخصوصاً ببَذْلِ المُقتنَى ... بل منه عندي العفْوُ والإغْضاء[2]

هذا مديح من خُلوصِ عقيدةٍ ... معلومةٍ وتحيّةٌ وثَنـاء[3]

***

قوله[4] : « الدهر ابنُ عطا وإلى الراء » يريد واصلَ بن عطاء المعتزلىّ ، وذلك أنه كان ألثغَ قبيحَ اللُّثغة فى الراء ، وكان يُخْلِص كلامَه من الراء ، ولا يُفطَن لذلك ؛ لاقْتداره على الكلام ، وسهولة ألفاظه ، ففى ذلك يقول أبو الطُّروق[5] الضّبّىّ[6] :

عليمٌ بإبْدالِ الحروفِ وقامِـعٌ ... لـكلِّ خطيبٍ يغلبُ الحقَّ باطلُهْ[7]

وقال فيه أيضا[8] :

ويجعل البُرَّ قَمْحاً فى تصرُّفِه ... وخالف الرّاءَ حتى احتال للشِّعَرِ[9]

ولم يُطِق مَطَرا والقولُ يُعجِـلُه ... فعاد بالغَيْث إشْفاقاً من المطرِ[10]

ومما يُحكى عنه ، وقد ذكر بشارَ بن بُرْد[11] : أما لهـذا الأعمى المكتنِي[12]

---

(١) الهذاء : اسم من الهذيان . (٢) فى السلافة : « ما الجود مخصوص » .

(٣) فى ب : «هذى مدائح» ، والمثبت فى : ا ، ج ، والسلافة . (٤) صدر هذا الفصل حتى قوله : « ولا يفطن لذلك » ، فى السلافة ٤٩٤ . (٥) فى ا : « الطرق » ، والصواب فى : ب ، ج ، وهو شاعر معتزلى ، ذكره ابن خلكان ، فى ترجمة واصل بن عطاء ٥/٦٠ ، والمرزبانى فى باب ذكر من غلبت كنيته على اسمه ، معجم الشعراء ٥١١ . (٦) البيت فى البيان والتبيين ١/١٥ ، والكامل للمبرد ٣/١٩٣ ، بدون نسبة ، ووفيات الأعيان ٥/٦٠ . (٧) فى ب : « يبطل الحق » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والمصادر السابقة . (٨) قوله هذا معناه أن البيتين لأبى الطروق الضبى أيضا ، وهو خطأ ، فقد ذكر المبرد ٣/١٩٤ ، والجاحظ ١/٢١ ، وابن خلكان ٥/٦٠ ، أن هذا الشعر لآخر .

(٩) فى البيان والتبيين : « وجانب الراء » . (١٠) فى البيان ، والكامل : « فعاذ بالغيث » ، وفى الأصول : « على المطر » ، والمثبت فى المصادر السابقة . (١١) هذا أيضا ، فى البيان والتبيين ١/١٦، ١٧، والكامل ٣/١٩٤، ووفيات الأعيان ٥/٦٠ .

(١٢) فى البيان : « المكنى » .

بأبى مُعاذ من يقتله : أما والله لولا أن الغِيلَة خُلُق (١) من أخلاق (١) الغالية ، لبعثتُ إليه من يَبْعَج بطنَه على مضجعِه ، ثم لا يكون إلا سَدُوسيًّا أو عُقَيليًّا .

فقال : هـذا الأعمى ، ولم يقل : بشَّارا ، ولا ابنَ بُرْد ، ولا الضَّرير .

وقال : من أخلاق الغالية ، ولم يقل المُغيريَّة(٢) ، ولا المَنْصُوريَّة(٢) .

وقال : لَبَعَثتُ ، ولم يقل : لأرسلتُ .

وقال : على مَضْجعِه ، ولم يقل : على مَرقدِه ، ولا على فِراشِه .

وقال : يَبْعَج بَطْنَه ، ولم يقل : يَبْقَر .

وذكر بنى عُقَيل ؛ لأن بشَّارا كان يتوالَى إليهم .

وذكر بنى سَدُوس ؛ لأنه كان نازلًا فيهم .

وكُلِّف تأديةَ هـذه العبارة ، وهى : أمرَ أميرُ الأمراء أن يُحفَر بئرٌ على قارعة الطريق ؛ ليشربَ منه الواردُ والصادِر .

فقال : حكَم حاكمُ الحكام أن يُنْبَش جُبٌّ على الجادَّة ؛ ليستقِىَ منه الصادِى والغادِى .

واستعمل(٣) الشعراء إسْقاط الراء فى أشعارهم .

فمنه قول أبى محمد الخازن(٤) ، من قصيدة يمدح بها الصاحب بن عبَّاد(٥) :

نعَم تجنَّبَ لا يوم العطاء كما تجنَّب ابنُ عطاء لَثْغةَ الرَّاء

---

(١) فى البيان : «سجية من سجايا» .

(٢) المغيرية والمنصورية : فرقتان من غلاة الشيعة . انظر حاشية البيان ١/١٧ .

(٣) هذا فى سلافة العصر ٤٩٤ ، ووفيات الأعيان ٥/٦١ .

(٤) أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن ، من رجال اليتيمة ، ترجمه الثعالبى ، وذكر أنه من حسنات أصبهان ، ومن خواص الصاحب ومشاهير صنائعه وخازن كتبه ، كما ذكر أنه غاضب الصاحب ، وترامت به بلدان العراق والشام والحجاز بضع سنين ، ثم عاد إليه .

يتيمة الدهر ٣/٣٢٥ ـ ٣٣٩ .

(٥) البيت فى : سلافة العصر ٤٩٥ ، وفيات الأعيان ٥/٦١ .

وقال آخر ، فى محبوب له أَلْثَغ[١] :

أجعلتَ وصلِي الراءَ لم تنطِقْ بها وقطعْتنى حتى كأنَّك واصلُ[٢]

***

وللمترجم[٣] فى مليح أَلْثَغ فى الرَّاء :

أعِدْ لثْغةً لو أنَّ واصلَ حاضرٌ فيسْمَعها لم يهجُرِ الراءَ واصلُ[٤]



---

(١) سلافة العصر ٤٩٥ ، وفيات الأعيان ٥/٦١ ، وهذه المقدمة فيهما للبيت التالى .

(٢) فى السلافة : «لم تنطق به . . كأنى واصل» ، وفى الوفيات : «لم تنطق به ... كأنك واصل» .

(٣) كذا فى أصول النفحة ، والبيت قديم ، ذكره ابن خلكان فى الوفيات ٥/٦١ ، وهو أيضا فى السلافة ٤٩٥ ، وجعل ابن معصوم قبله قوله : « وقال آخر فى محبوب يلثغ بالراء » .

(٤) جاء عجز البيت فى السلافة ، والوفيات : « ليسمعها ما أسقط الراء واصل » .

١٩٠

عرفى الشِّيرازِى*

هو فى أدباء فارِس ، لدُرّ الـكَلِم فى روض الطُّوس غارِس .
وكان دخل الهند فجاس خِلالَه ، وملأ بلادَه جَلالَة .
وحلَّ به مَحَلَّ الماءِ من الصَّدْيان ، والرُّوح من جسد الجبَان .
فنشل ما فى كِنانتِهِ من المكْنونات ، ونثر ما فى ذخائِرِه[1] من المخْزونات .
وبها دَعاه اللهُ إليه ، فلا زالت سحائب الرحمات[2] مُنْهلةً عليه .

***

ولم أقِف له على شعر عربىّ تنقُله الرُّواة ، فعرَّبتُ مُفْرَدات جعلتُها حُلَى[3] الأسماع والأفْواه .

فمنها :

كلُّ عَزْمٍ حوَى الأنامَ هَبـاءٌ ... عند عَزْم العلَّامةِ الأستاذِ
لو يكن كفُّه وحاشاه ثَمَّماً ... جذَب النارَ من حشَا الفُولاذِ

***

ومنها :

وَيلاىَ قد وُجِدتُ بعد ما أمْحَتْ ... مراسِمُ الشَّبيبةِ المـأْهولَهْ
فصرتُ شيخاً هَرِماً من قبل أن ... أُعايِنَ الشبابَ والكُهولَهْ

***

من هذا :

وأرجُو أن يُعِيـــدُوا شبابى ... زمانٌ غادَر الوِلْدانَ شِيباً

☆☆☆

(١) فى ب : «خزائنه» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : «الرحمن» ، والمثبت فى : ب، ج .
(٣) فى ا ، ج : «على» ، والمثبت فى : ب .

(نفحة الريحانة ١٥/٣)

١٩١
طالب الآمُلِيّ *

شاعرٌ مَرامِيه مُصْمِية ٌ لأغْراضها ، وجواهرُ كلماتِه خلُصت من شائِبَة أعراضها . قِبْلة النفوس من جميع الجهات ، فكل قضاياه إلى الصواب مُوجَّهات .

***

وقد عرَّبتُ له :

لَوَ أنَّ الجـــاهَ مخصوصٌ   بأهل الجودِ والـكرَمِ
لَخصَّ المسكُ بالغزلا   نِ حول البيْتِ والحَرَمِ



(*) نسبة إلى آمل طبرستان ، أو آمل جيحون . اللباب ١/١٦ .

١٩٢

صـــائب

واحدٌ معدودٌ بألف ، جميع مَن تقدَّمه من شعرائهم مُتأخِّر مع الخلْف .

لا يُوتر إلّا رَشْق رَشْق صائب ، وأشعارُه عندهم أكاليلُ على الجِباه وعصائب .

رفعتْه ملوكُ أوانِه ، وباهتْ أهلَ دَواوِينها بديوانه .

وأوْسعتْه رَعْيا ، وأحسنتْ فيه رأيا .

تُحيِّيه الأقلامُ تحيةَ كسرى ، وتقِف الآراء دون مَداه حَسْرَى .

وقد تلاعَب بالمعانى تلاعُب(١) الصَّبا بالْبانَة(١) ، والصِّبا بالعاشق ذِى اللُّبانة .

فكأنّما قلمُه مِزْمارٌ ينفُخ الأهواء فى يَراعتِه ، وعزيمةٌ تُنطِق مَجْنونَ الوجدِ من ساعته .

***

وقد أوردتُ من مُعرَّباته ما تطيشُ عند تخيُّله الأذهان ، وتبطلُ فيه رُقَى الهند وتَزاويق الكُهّان .

فمنه :

مَن لى بمَن ألقاه من إعْجابه بتَتابُع الأنفاسِ دَلًّا يَحْدِثُ

لولا فَتاتِى عند كلِّ دقيقةٍ لحسِبْتنى إن قلتُ آهًا ألْهثُ

***

ومنها :

ما المُلْكُ بالمالِ ولا بالخيلِ ولا بالدَّرَقِ

إسكندرُ الدهر فتًى يملِكُ سَدَّ الرَّمَقِ

☆☆

(١) فى ا : « الصبي بالبانة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

﴿ فصـــــل ﴾

جعلتُه للمعرَّبات قديماً وحديثاً

فمن ذلك ما ذكره[1] الباخَرْزِيّ في « دميته » للـكافي العُمانِيّ[2] :

وصحراءَ ردَّتْها الظِّباءُ حفائراً ... بأظْلافِها أحْسِنْ بها من حفائرِ

فهبَّتْ رياحٌ للصَّبا فطَمَّمْنَها ... بمسكٍ فعادتْ نُزْهةً للنواظِرِ

***

أبو عليّ العُثْمانِيّ[3] :

غدرتَ يا من وجهُـــه ... قد غدَّر المعْمُودَا

يحسُــدكَ الصَّباحُ مذْ ... أريْتَه الخـــدودَا[4]

تخطُر في خــدودِه البيـ ... ـضِ خـــدوداً سُودَا

***

وله[5] :

مُذ قرصْتُ الصُّدغَ فَوْ ... قَ عارضٍ كالبـــدرِ

نقضْتُ ألفَ توبةٍ ... هتكتُ ألفَ سِـــترِ

---

(١) في ا : « ذكر » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٢) هو أبو علي أبزون بن مهنبرد المجوسي العماني الشاعر ، من شعراء الدميـة ، ترجمـه الباخرزى ، في دمية القصر (تحقيق) ١/٩٨ ــ ١٠٥ ، وذكره ياقوت في معجم البلدان ٢/٥٤ ، ٣/٧١٩ .

والبيتان في الدمية ١/١٠١ ، ١٠٢ ، وذكر أنه منقول من الفارسية .

(٣) ترجمه الباخرزى في الدمية ، لوحة ٢٠٨ ب ، وسماه « أبوعلي الحسن بن عبدالله العثماني » ، وجاء اسمه في المطبوعة من الدمية (الطباخ) ٢٠٢ : « أبو الحسن علي بن عبدالله العثماني » .

والأبيات في المخطوطة لوحة ٢١٠ ب ، ولم ترد في المطبوعة .

(٤) في الدمية : « أريتها الخدودا » .

(٥) الأبيات في الدمية (الطباخ) ٢٠٢ ، والمخطوطة لوحة ٢١٠ ب .

حسنُك باقٍ حالةَ الصّـ ـحْوِ وحالَ السُّـــكْرِ
فى الصحوِ أبْهَى أنت أم فى السُّــكر لستُ أدرِى

***

وله[1] :

تحجّبُ فى وقتِ الحجابِ فلا تُرَى وتنبُتُ فى وقتِ اللّقاءِ من الأرضِ
وتُصْـــبي المَوالِيَ ثم تبغِي مُرادَهمْ وذا غايةٌ فى الظَّرفِ والخُلُقِ المُرضِي

***

أبو محمد عبد الله الحَمْدانِىّ[2] :

لولا امْتِساكِى بصُدْغَيْها على عجَلٍ حُمِلتُ يوم النَّوَى فى عَبْرتِى غرَقَا
تعلُّقًا كاشْتعالِ النــــارِ فى شمعٍ فلا أفُكُّ يداً أو تضربَ العُنُقَا

***

قال الباخَرْزِىّ : قلت ، قد أخطأ حيث قال : « أو تضرب العنق » ؛ لأن ضربَ العُنُق ليس بعِلَّة لانفِكاكِ النار عن[3] الشمع ، بل يزيدُ ذلك فى العِلاقة ، والصواب ما قال والدى :

علِقتُ بها كالنارِ بالشمعِ فهْى لا تــكُفُّ يداً عنه ولو حُزَّ رأسُها

ولوالدى فيما يقرُب من هــذا المعنى ، وكلهم قصَدوا نقلَ المعنى على سبيل الترجمة من الفارسيَّة :

علِقتُ بها كاللّظَى بالشموع تُمَيَّـــــزُ عنها بإطْفائِها

***

(١) البيتان فى الدمية (الطباخ) ٢٠٢ ، والمخطوطة لوحة ٢١٠ ب .

(٢) لم أجده فى المطبوعة من الدمية ، والمخطوطة التى بين يدى رديئة ، بحثت فيها جهد الطاقة فلم أجده.

(٣) فى ب ، ج : «من» ، والمثبت فى : ا .

أبو نصر البكسارغى(١) :

بِمَنْ شَغَفُ الرّاحِ مُصْفَرّةً تُراها عَراها الذى قد عَرانِى
هَبِ المِسْكَ سَوّغها عَرْفَه فأنّى لهـــا صِبْغَةَ الزّعْفرانِ

***

مثل مُتَرْجَم :

قالوا إذا جَمَلٌ حانتْ منيّتُه أطاف بالبئْرِ حتى يهلِكَ الجمل(٢)،

***

وللطُّغْرائِى(٣) :

إنِّى وإيّاكَ والأعـداءَ تَنْصُرُهمْ وأنتَ منِّى على ما فيك من دَخَلِ(٤)
مثلُ الغُرابِ رأى نَصْلاً تركّب فى قِدْحٍ لطيفٍ قويمِ الحـدِّ مُعْتدِلِ
فقال لا بأسَ إنْ لم يأتِه مَدَدِى متى يكونُ له عَوْنٌ على العملِ(٥)
فألبسَ القِدْحَ وَحْفًا من قوادمِه مَن ذا أَلُوم وحَتْفى كان من قِبَلِى(٦)

***

(١) فى ج : « البكسارى » ، والمثبت فى : ا ، ب .
وقد ترجمه الباخرزى ، فى الدمية لوحة ٢٧١ ، وهو فيها : « أبو نصر منصور بن عبدالله البكسارغى » .
والبيتان فيها ، لوحة ٢٧١ ب .
(٢) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٣٣٧ ، وقبله بيت آخر ، وطراز المجالس ١٢٦ .
(٣) الأبيات فى طراز المجالس ١٩٩ . (٤) فى الأصول : « والأعداء تبصرهم » ، والمثبت فى طراز المجالس . (٥) البيت فى طراز المجالس :

فقال لا بأسَ إن لم يأتِه مَدَدٌ مِنّى يكون له عَوْنًا على العملِ

(٦) كذا جاء البيت فى النفحة ، وهو ملفق من ثلاثة أبيات ، جاءت هكذا فى طراز المجالس :

فألبَسَ القِـدْحَ وَحْفًا من قوادمِه لمّا تَطايَرَ رامٍ من بنى ثُعَلِ
رَماه رَشْقًا فلم يُخطِئْ مَقاتلَهُ فخرّ مُنتكِسًا من ذِرْوةِ الجبلِ
فقال والسهمُ تحذوه قوادمُه مَن ذا أَلُومُ وحَتْفِى جاء من قِبَلِى

قال الشِّهاب ، فى « طِرازه »[1] : قلتُ ، هـذا نظمٌ لما فى بعض الكتب الفارسيَّة ، ذكر بعضُهم أن غصون الأشجارِ رأت فأساً مُلْقَاةً فى الرياض ، فقالت : ما تفعل هذه هنا ؟

فأجاب بعضُها بأنها لا تضُرُّ ما لم يدخُل فى استِها شىء مِنِّى[2] .

[3] وقد نظَمه الشهاب ، فقال :

كلُّ شىءٍ له زوالٌ ونقْصُ هو من جنة القريبِ يُصِيبُ[4]
لا يضُرُّ الأشجارَ فأسٌ إذا لمْ يكُ فيها من الرياضِ قضيبُ[3]

* * *

أحمد بن محمد بن يزيد[5] ، شاعر مرْو .

من مُعرَّباته[6] :

إذا وضعتَ على الرأسِ التُّرابَ فضَعْ من أعْظَمِ التَّلِّ إن التلَّ فيه نفعْ[7]

* * *

إذا المـــاءُ فوق غريقٍ طَماَ فقابُ قنـــاةٍ وألفٌ سوَا

* * *

إذا لم تُطِق أن ترْتقِى ذِرْوَةَ الجبَلْ لعَجْزٍ فقِفْ فى سَفْحِه هكذا المثَلْ

* * *

فى كلِّ مستحسَنٍ عيبٌ بلا رَيْبِ مايسلَم الذهبُ الإبْرِيزُ من عَيْبِ

* * *

---

(١) الموضع السابق .

(٢) فى طراز المجالس : « منا » . (٣) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٤) فى ب : « هو من جنه » ، والمثبت فى : ا ، ولم يستقم لى معناه . (٥) هو من تراجم اليتيمة ٤/٨٧ ـ ٩٠ ، وذكر الثعالبى أنه ظريف ، كثير الملح والأمثال .

(٦) هذه المعربات فى اليتيمة ٤/٨٨ ، ٨٩ . (٧) فى اليتيمة : «من أعظم التل إن النفع منه يقع» .

إذا حاكمٌ بالأمرِ كان له خُــبْرُ فقد تَمَّ ثُلثاه ولم يصعُبِ الأمْرُ

***

ما كنتُ لو أُكْرِمتُ أسْتعصِى لا يهرُب الـكلبُ من القُرْصِ

***

طَلَبُ الأعْظُمِ من بيت الـكلابِ كطِلاب الماء فى لَمْعِ السَّرابِ

***

ادَّعَى الثعلبُ شيئًا وطَلَبْ قيل هل من شاهدٍ قال الذَّنَبْ

***

من مثْل الفُرْسِ سار فى النَّاسِ التِّين يُسْقَى بعِــــلَّة الآسِ

***

هذا مَرْوِيٌّ عن كسرى ، وقد نظَمه أبو نُواس فى قوله (١) :

صرتُ كالتِّين يشربُ المــاءَ فيها قال كسرَى بعِـلَّة الرَّيْحانِ (٢)

وهو كثيرٌ فى العربية ، يقولون : بعِلَّة الزَّرْع يشرَب القَرْع (٣) ، وبعِـلَّة الوَرْد يشرب العُلَّيْق .

وفى معناه : بعِلَّة الوَرَشان (٤) يأكُلُ الرُّطَبَ المُشانَ (٥) .

---

(١) ديوانه ٣٩٥ ، والتمثيل والمحاضرة ٢٧٣ . (٢) فى الديوان : « قال كرخى » .

(٣) هو أيضا فى : التمثيل والمحاضرة ٢٧٣ ، ومجمع الأمثال ١/٨٠ ، وهو فيه من أمثال المولدين .

(٤) الورشان : طائر ، وهو ساق حر ، لحمه أخف من الحمام . القاموس (و ر ش) .

(٥) هكذا جاء المثل فى التنفحة ، ومعجم البلدان ٤/٥٣٦ ، وذكر ياقوت أن المشان بلدة قريبة من البصرة ، كثيرة التمر والرطب والفواكه ، قال : وما أبعد أن يكون بالضم ؛ لأن الرطب المشان ضرب منه طيب فيه ، جرى به المثل .

وجاء المثل فى القاموس (و ر ش) ، ومجمع الأمثال ١/٦١ : « بعلَّة الوَرَشان يأكُلُ رُطَبَ المُشان » ، بالضم ، والكسر ، وفى مجمع الأمثال التنبيه على أنه بالإضافة ، وفيه لا تقل « الرطب المشان » ، وذكر أنه نوع من التمر يقولون إنه يشبه الفار شكلا .

وهذا مثل يضرب لمن يظهر شيئا والمراد منه شىء آخر .

المَشان ، بالفتح : بلَد الحريرىّ [١] .

وبِعِلّة الدّايَة يُقبِّل [٢] الصَّبِىّ .

* * *

تـكلّف إخْفاءَ لِما فيــه من عرَجْ ‏ ‏ ‏ ‏ وليس له فيما تـكلّفه فَرَجْ [٣]

* * *

ولأحمد بن محمد ، أبى الفضل [٤] السُّكَّرِىّ المَرْوَزِىّ مُزْدوَجة ، ترجم فيها أمثالَ الفُرس .

منها :

مَن رام طَمْسَ الشمسِ جَهْلاً أخْطَا ‏ ‏ ‏ ‏ الشمسُ بالتَّطْيِين لا تُغطَّى

* * *

أحسنُ مافى صفةِ الليــل وُجِدْ ‏ ‏ ‏ ‏ الليلُ حُبْلَى ليس يُدْرَى ماتلِدْ [٥]

* * *

من مثَلِ الفُرسِ ذوِى الأبْصــارِ ‏ ‏ ‏ ‏ الثوبُ رَهْنٌ فى يَدِ القصَّارِ

* * *

نال الحمارُ بالسُّقوطِ فى الوحَــلْ ‏ ‏ ‏ ‏ ما كان يهْوَى ونجا من العملْ [٦]

* * *

نحنُ على الشرطِ القــديمِ المُشْترَطْ ‏ ‏ ‏ ‏ لا الزِّقُّ مُنشَقٌّ ولا العينُ سقَطْ [٧]

* * *

---

(١) القاسم بن على ، صاحب المقامات . ‏ ‏ ‏ ‏ (٢) فى مجمع الأمثال ١/٨٠ : « يقتل » .

(٣) فى اليتيمة : « تبختر إخفاء » . ‏ ‏ ‏ ‏ (٤) هذه كنيته وليست كنية أبيه ، وهو الذى ذكره المؤلف سابقا ، وذكر معرباته ، وكأنما اختلط الأمر عليه ، فأورده مرة على أنه شاعر مرو ، ومرة أخرى باسمه وكنيته ولقبه .

والمزدوجة فى اليتيمة أيضا ٤/٨٨ .

(٥) فى اليتيمة : « ما يلد » . ‏ ‏ ‏ ‏ (٦) فى ب : «فى السقوط فى الوحل» ، والمثبت فى : ا ، ج ، واليتيمة . وفى ا : « ونجا من عمل » ، والمثبت فى : ب ، ج ، واليتيمة .

(٧) فى ا : « الشرط القويم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، واليتيمة ، وفى اليتيمة : «ولا العير سقط» ، ولعلها الصواب .

فى المثـــــــلِ السائرِ للحمارِ   قد ينْعَق الحمـــــــارُ للبَيْطارِ

***

العَنْزُ لا يسمَنُ إلا بالعلَفْ   لا يسمَن العنزُ بقولِ ذِى طُرَفْ [1]

***

البحرُ غَمْرُ المــــــاءِ فى العِيانِ   والكلبُ يرْوَى منــــه باللِّسانِ

***

لا تكُ من نُصْحِىَ فى ارْتيـــابِ   مابِعتُك الهِرَّةَ فى الجرابِ

***

مَن لم يكنْ فى بَيْتِه طعامُ   فما له فى مَحْفِـــــلٍ مُقامُ

***

كان يُقـــــالُ مَن أتى خُوانَا   من غـــيرِ أن يُدْعَى إليه هانَا

***

ومما يتعيَّن إلحاقُه هنا ، ماذكره أبو هلال [2] ، من أن فى الفارسيَّة أمثالًا فى معنى أمثال العربية ، وأمثالًا تخالفها .

فمن الثانى قولهم : « نه شاه أشنانه رودهم دوده » ، والعرب تقول : جاوِرْ مِلِكاً أو بحراً . انتهى [3] .

قال الشِّهاب : أقول ، لا مخالفةَ بينهما ، فإن معنى المثل الفارسىّ : لا تقرَب من السلطان وتصاحبْه ، ولا تجعلْ دارَك ملاصقةً للبحر ؛ فإن الملوكَ لاوفاءَ لهم ، والبحر قد يُغرِق مُلاصِقَه .

---

(١) فى اليتيمة : « بقول ذى لطف » . (٢) فى الأصول « ابن هلال » ، وقد نبهت سابقا إلى اطراد هذه التسمية له عند الخفاجى . انظر الجزء الأول ، صفحة ٢٠١ .

والعسكرى يذكر هذا فى جمهرة الأمثال ١/٢٠٤ ، وعبارته فيه : « وقد اتفقت العرب والفرس فى جميع أمثالها إلا فى هذا المثل ، فإن العرب قالت : جاور بحرا أو ملكا ، وقالت الفرس : نه شاه أشنا ونه رود همذوره ، والمعنى لا الملك معرفة،ولا البحر جار ، أى لاتتعرف إلى الملك ، ولا تجاور البحر » .

(٣) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا .

ومعنى كلام العرب : لا تسكُن غير بلدٍ لها سلطان يُغْدِق على أهلها ، أو عند بحرٍ تأْتيه السفن بالتجارة والأَرْزاق .

وبينهما فرق .

ومعنى هم دوده الاتّحاد فى السُّكْنَى .

***

وقد تقدَّم فى هذا الكتاب مُعرَّبات نَصَّيْتُ عليها فى مَحالِّها ، وسيأْتى منها جانبٌ فى تراجم متفرِّقة أنُصُّ عليها إن شاء الله تعالى .

ومن أحاسنها قولُ الحسن البُورِينِيّ [(١)] ، معرِّبًا بيتًا لوَحْشِيّ [(٢)] :

أيا قمر قد بِتُّ فى ليــــلِ هجرِه ... أراقبُ أسْرابَ الكواكبِ حَيْرانَا [(٣)]

خَبأْتُك فى عينِي لتخفَى عن الورَى ... وما كنتُ أدرِى أن للعيْنِ إنْسانَا [(٤)]

***

وزاد فيه الخفاجِيّ ، فحسَّنه حيث قال [(٥)] :

خَبأْتُك فى العين خوفَ الوُشاةِ ... وكم شرَّفَ الدارَ سُكَّانُها

---

(١) حسن بن محمد بن محمد ، بدر الدين البورينى الشافعى .
ولد فى قرية صفورية ، سنة ثلاث وستين وتسعمائة ، وهاجر مع أبيه إلى دمشق ، ثم ارتحل معه إلى بيت المقدس .
واشتغل بالتدريس والوعظ ، بمدارس الشام ومساجدها .
وكان عالما محققا ، ذكى الطبع ، فصيح العبارة ، طلق اللسان ، متين الحفظ ، حسن الفهم ، عذب المفاكهة .
وقد جمع « ديوانا » من شعره .
توفى بدمشق ، سنة أربع وعشرين وألف .
خبايا الزوايا ، لوحة ١٤ ا ، خلاصة الأثر ٢ / ٥١ ، ديوان الإسلام ، لوحة ٢١ ب ، ريحانة الألبا ١ / ٤٢ .

(٢) البيتان فى : خلاصة الأثر ٢ / ٥٨ ، والثانى فى : ريحانة الألبا ١ / ٥٠ . (٣) فى الخلاصة : « أيا قمرا . . . . أراقب سيار الكواكب » . (٤) فى الريحانة جاء عجز البيت هكذا : « لذلك قالوا إن فى العين إنسانا » . (٥) البيتان فى : خلاصة الأثر ٢ / ٥٨ ، ريحانة الألبا ١ / ٥٠ .

ومن غَـيْرةٍ خِفْتُ أن يفطنُوا إذا قيل فى العينِ إنْسانُها

***

ولمحمد بن المُنْلا الحلبىّ[١] رباعيَّة :

فى الليلِ والنهار حرِّى كبدِى مقتولُ ضَنًى بجائرٍ ليس يدِى
تَرشُّ عينِى جواهرَ الدَّمعِ على لُقياه تظُنُّ أنهــا طَوْعُ يدِى

***

ومثله للقاسِمِىّ[٢] :

لُقْياكَ سرورُ قلبىَ المَحزُونِ والوحشةُ من نَواكَ لا تعْدونِى[٣]
ياوَيْحَ عيونِى خشِيَتْ شِقْوتهــا منِّى فأتتْ بدُرِّها ترشِينِى

***

ولبعضهم :

وكنتُ لدَى الصِّبا غصْناً وقَدِّى حكى ألِفَ ابنِ مُقْلةَ فى الكتابِ
فصرتُ الآن مُنحنياً كأنِّى أُفتِّش فى التُّرابِ على شبابِى

***

ومن أبدع البدائع تعريبٌ وقع لجدِّى القاضى مُحبِّ الدِّين[٤] ، وهو :

حكَتْ قامتِى لاماً وقامةُ مُنْيَتِى حكَتْ ألِفاً للوصلِ قلتُ مُسائِلاً

---

(١) ترجمته فى ريحانة الألبا ١/٩٧ ، والبيتان فيه ١/٩٨ ، وفيه : « ترشى عينى » .

(٢) محمد بن أحمد بن قاسم ، الشهير بالقاسمى الحلبى .
نادرة الزمان ، وفريدة العصر .
كانت ولادته بحلب ، ثم قدم الروم ، وصار بها من كبار المدرسين ، ثم كف بصره فتقاعد برزق عين له من قبل السلطان .
مات بالروم ، ودفن بدار الخلافة ، سنة أربع وخمسين وألف .
إعلام النبلاء ٦/٢٧٥ ، خبايا الزوايا ، لوحة ٢٥ ب ، ريحانة الألبا ١/٧٨ .
والبيتان فى الريحانة ١/٩٩ .

(٣) فى الريحانة : « من هواك لا تعدونى » .

(٤) تقدم ذكره فى الجزء الثانى ، صفحة ١٨٢ .

إذا اجْتمعتْ لامِى مع الألِف التى حكَتْكَ قَواماً مايصيرُ فقال لَا[١]

***

وللشهاب الخفَاجىّ[٢] :

للرَّوْضِ أتى حبيبُ قلبى العانِى فاهْتزَّ لفَرْحةٍ قضيبُ البانِ
لو كان لِسَرْوِ رَوضِنا ساقانِ ما فارق غُصْن قــدِّه الفَتانِ

***

واستعمله ثانيا فى نَبويَّة ، [٣ فأجاد حيث قال ٣] :

قد مشَتْ نَحْوه على فَرْدِ ساقٍ شجرٌ حَثَّها له استــدعاء
لو حَبَاها ساقَين رَبُّ البَرايَا لم تـكنْ للفِراقِ قــطُّ تشاء

***

وللسيِّد علىّ بن مَعصوم[٤] :

سقَى صَوْبُ الغَمامِ عَرِيش كَرْمٍ جَنَيْنا من جَناه العَذْبِ أُنْسَا
فأمسَى عاصِــرُ المُنقودِ منه يُكسِّر أنجُماً ويصوغُ شَمْسَا

***

وللسيِّد محمد بن حَيْدر[٥] :

إذا اصْطنعْتَ أمْراً فاحْفَظْ له أبداً شَرْطَ الصَّنيعة واجْهَدْ فى مَنافعِهِ
فالماء فى صَوْنِهِ الأخشابَ عن غَرقٍ رعَى لها حيثُ كانتْ من صَنائِعِهِ

***

(١) بعد هذا فى ب فراغ بقدر عشرة سطور ، والـكلام متصل فى : ا ، ج . (٢) زيادة من : ج ، على ماق : ا ، ب . (٣) فى ج : « فقال » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٤) صاحب السلافة ، وتأتى ترجمته إن شاء الله ، فى الباب السادس، برقم ٢٨٩ .

(٥) تأتى ترجمته ، فى الباب السادس برقم ٣٠٢ .

ولى[١] :

إذا كان الهــــوى لى تُرْجُمانًا ... يُعــبِّرُ عن خَفِيَّاتِ الغرامِ

فأقْنَعُ بالإشارةِ من حبيبى ... فما فيــــــه مَحلٌّ للــكلامِ

***

ولى :

قد هَوَّلَ الواعـــظُ فى درسِهِ ... أمْرَ الورى فى مَوْقفِ الحَشْرِ [٢]

وهْو إذا حقَّقتَ ألْفَيْتَهُ ... كنايةً عن مَضَضِ الهَجْرِ [٣]

***



(١) فى ب : « وله » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « قد هطل الواعظ » والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) فى ا : « من مضض الهجر » ، والمثبت فى : ب ، ج .

الباب الخامس

في لطائف لطفاء اليمن


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الخامس
في لطائف لطفاء اليمن

حِليَةُ الأرض ونقشُ فَصِّ الأماني ، الواصلون في الرَّوْع خُطومَهم بِكُلِّ رقيقِ الشَّفْرتَيْن يمانِي .

ما منهم إلّا كتب المُسْنَد[1] ، وحدَّث عن العَلْياء وأسْنَد .

وإذا طاوَل المَدى جيادُ الشِّعر في المَيْدان ، مَسحُوا منه بغُرَّة أبْلَقَ ليس له في حَوْمة السَّبْق من مُدان .

وخصوصا أئمَّتُهم الذين اعتلَى بهم بيتٌ للإسلام ومَنار ، وكاد[2] يُضِيءُ بهم ولو لم تَمْسَسْه نار .

طالُوا بُسوقًا، وأحْرزوا الحمدَ مُطَّرِداً مَنسوقًا .

وهم من منذ كان عليهم احْتواؤُه ، تُنوسِيتْ بهم أقْياله وأذْواؤُه .

***

---

(١) المسند : الخط المعروف .

(٢) في ا : « وكان » ، والمثبت في : ب ، ج .

ذكر بنى القاسم الأئمة

دعاةُ هذا الإقليم ورُعاته ، الذين حفِظوه بعَوْن الله من نـَـكَباته ورَوْعاته .

وهم الحسن ، والحسين ، ومحمد ، وأحمد ، وإسماعيل ، الإخوة البدور ، الذين أقرُّوا العيونَ وشرَحوا الصُّدور .

الراسخون علوماً ، الباذِخون حُلوماً .

سَمَوْا لِلمعـــالى وهمْ صِبْيةٌ وسادُوا وجادُوا وهم فى المُهودْ[1]

ونالُوا بجِدِّهمُ جَـــدَّهُمْ فإن الجدودَ عُلًا للجدُودْ[2]

تبَخْبَحتْ[3] أطْرافُهم فى رَوضة الرِّسالة ، وتهدَّلتْ أغصانُهم على نَبْعة البَسالة .

وقد سخَّر اللهُ لهم الفصاحةَ حتى انقادتْ فى أعِنَّتهم ، ووهبَهم البراعةَ حتى عُرِفتْ فى أجِنَّتهم .

* * *

فأكبرهم :

---

(١) فى ا : « سعوا للمعالى » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) فى ب : « دعا للجـدود » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٣) فى ا : « تبجحت » ، والمثبت فى : ب ، ج .

١٩٣

الحسن *

الحَسن الرَّوِيَّة والرُّوَا ، الذى وسِع جودُه عامَّةَ الورَى .

فاستعاروا فى مدحِه الزَّهْر من لفْظه والبُرْد من صَنْعائِه ، متخيِّرين المسكَ من ثنائِه ، وعَرْفَ القولِ من دعائه .

لئن حاز جُوداً لا تفـارقُه يَدٌ فقد حاز شُـكراً لا يُفارقُه فَمُ

وهو الذى مهَّد البلاد ، وأحْـكَم أمرَ[1] الطَّارِف فى مجدِهم والتِّلاد .

بجِدٍّ لو تعرَّف إليه الجمادُ لنطَقَ مُتـكلِّما[2] ، أو تظلَّمَ إليه النهارُ من الليل لم يدَع شيئًا مُظلِما .

وفضلٍ استعدَّ له واعتدَّ[3] ، ورأْى امتدَّ به ساعِدُه واشتدّ .

يهُزُّ للمدح عِطفًا ، وينْسابُ مع الماء رِقَّةً ولُطفًا .

ومع هذا فهو فى الحرب الليثُ الهَصُور ، والشُّجاعُ الكَرَّار فلا يحُوم حولَه التَّراخِى والقُصور .

(*) السيد حسن بن الإمام القاسم بن محمد بن على الحسنى الزيدى .

من ملوك اليمن ، وهو الذى فتحها ، وأخذها من الأتراك .

وكان صاحب شجاعة ، وسياسة ، وتدبير عظيم .

واختط مدينة عظيمة بجبل ضوران .

توفى سنة ثمان وأربعين وألف ، وكانت مدة إمارته بعد خروجه من صنعاء خمسة عشر عاما ، ودفن بضوران إلى جانب مسجده .

خلاصة الأثر ٢ / ٣٩ ، ٤٠ .

(١) فى ا : « الأمر » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « تـكلما » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ا : « وأعد » ، والمثبت فى : ب ، ج .

إذا مضَتْ فى الأعداء بَواترُه ، تقدَّمَتْها فى الظَّفَر بَوادِرُه .

أنْهضه اللهُ بطاعتِه ، وزاد فى قُوَّتِه واسْتطاعتِه .

فاسْتخلص اليَمَن من قوم ٍ فتَكُوا فيه وعاثُوا ، وطَغَوا على أهلِه حتى اسْتغاثُوا من شَرِّهم فلم يُغاثُوا .

وقَبَض على أُناسٍ كانوا ممَّن توغَّل فى حَرْبه ، ثم أطْلقهم محتَسِباً بالعفْو عنهم عند ربِّه .

وذلك بعد حروبٍ كاد يعلَق بشَرِّها ذِمامُه ، ويُرْشَق إليه منها حِمامُه .

حتى اسْتقام له الأمر ، وخَمَد ذلك الجَمْر .

وتمّ له من المُراد ما اقْترحه ، ومن الزِّناد ما اقْتدحه .

فتمهَّدتْ له أخْيافُ[1] الهِمَم ، وخضعت له عوالِى القِمَم .

فقام الناسُ إلى مُشايعتِه ، والتَّفَيُّوَ بظلِّ مُتابعته .

فعاملَهم أحسنَ مُعاملة ، وأعطاهم مُحاملةً عِوَضَ مُجامَلة .

ولمَّا بان هُدُوُّه ، وبان حاسدُه وعدُوُّه .

عمدَ إلى الجبل المسمى بضُوران[2] ، فاختَطَّ به مدينةً أبْدَعها مَساكِنا وأوطانا ، ودَبَّجها رياضاً وغِيطانا .

واتخذ بها مساجدَ يتقرّب بها المُتقرِّب ، ورِباطاتٍ يأْوِى إلى ساحتِها المُتغرِّب .

فوقعتْ فى ذلك الموضع موقعَ العَرُوس من مَنَصَّتِها ، واقتطعتْ من الأفُق

---

(١) فى ا : « أطياف » ، والمثبت فى : ب ، ج.
والأخياف : المختلفون .

(٢) ضوران : اسم جبل فى اليمن ، فوقه حصن من حصون اليمن لبنى الهرش . معجم البلدان ٣/٤٨٢.
وضوران فى معجم البلدان بفتح الضاد ، ضبط قلم ، والضبط المثبت من خلاصة الأثر ٢/٤٠ ، ضبط عبارة .

السَّامِي [1] بمِقْدار حِصَّتِها .

وله غيرُها ممَّا يدلُّ على رأْيِهِ الصائب ، وقوةِ فكْره التي يفُلُّ به جيشَ المَصائب .

وكل ذلك يشهد له بأنه أخَذ الأمرَ بزِمامِهِ ، وناداه الصوابُ من خلفِه كما ناداه من أمامه .

وبالجملة فهو حظُّ الزمن ، والملِكُ الذى تمَّ به يُمْنُ اليمن .

☆☆☆



(١) فى ا : « الشامى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

١٩٤

وأما أخوه :

الحسين*

فهو صِنْوُه فى الإخا ، وعَدِيله فى الشِّدَّة والرَّخا .

كوكبُ رياستِه الزَّهْرا ، التى تجمَّل بها أولادَه الزَّهرا ، وأطْلَع فى سماء سنائها ، ورياض عَلائها ، زُهْراً مُضيئة وزَهْرا .

شموسُ السَّعادة مِن وجهِه مُشرِقة ، وعيونُ طوارقِ الغِيَر عنه مُطرِقة .

وكان له لفظٌ نشَر به من الوَشْيِ الصَّنْعانى حُللاً وأبْرادا ، وخَطٌّ أهْدَى للشمسِ من ضيائِه إشْراقًا ورَادا[1] .

وآثار أقلامُه لوائحُ بَوادِى ، لم يتَنحْنَح بمثلها شادٍ بمفازةٍ أو حَادٍ بوَادِى .

* * *

فمن شعره قولُه فى الغزل[2] :

مولاىَ جُدْ بوِصالِ صَبٍّ مُدْنَفِ   وتَلافِه قبـــــلَ التَّلافِ بمَوْقفِ

وارحمْ فُدِيتَ قتيلَ سيفٍ مُرْهَفٍ   من مُقلتَيْكَ طعين قَدٍّ مُرْهَفِ

(*) الحسين بن الإمام القاسم بن محمد بن على الحسنى ، الزيدى .

أخذ عن والده الإمام المنصور القاسم،ولازمه حتى برع وترعرع ، وأخذ عن الإمام العلامة لطف الله ابن محمـد بن الغياث الظفرى ، وعن عبد الله المهلا ، جـد القاضى الحسين المهلا ، وافى كثيرا من شيوخ عصره .

وله مؤلفات ، منها : « غاية السول فى علم الأصول » ، و « شرح هداية العقول » .

كان عالما محققا ، يكتب الخط الحسن .

توفى سنة خمسين وألف ، بمدينة ذمار ، وبها دفن .

حديقة الأفراح ٨ ، خلاصة الأثر ٢/١٠٤ ، ١٠٥ .

(١) رأد الضحى : ارتفاعه . القاموس (ر أ د) ، وسهل الهمزة للسجع .

(٢) القصيدة فى : حديقة الأفراح ٨ ، ٩ ، خلاصة الأثر ٢/١٠٤ ، ١٠٥ .

فامْنُنْ بحقِّك يا حبيبُ بزَوْرةٍ ... تُحْيي بها القلبَ القَرِيحَ فيشْتَفِي (١)

أعلمتَ أن الصدَّ أتلف مُهجتي ... والصدُّ للعشَّاقِ أعظمُ مُتْلِفِ (٢)

عجبًا لِعطْفِك كيف رُنِّحَ وانْثَنَى ... مُتـأوِّدًا وعلىَّ لم يتعطَّفِ

أنا عبدُك المَلْهوفُ فارْثَ لذلَّتِي ... وارْفُق فَدَيْتُك بى لطُولِ تلهُّفِي (٣)

عرَّفْتني بهَواك ثم هجرْتَني ... ياليْتنى بهَواك لم أتعرَّفِ

يا مُهجتِي ذُوبى ويا رُوحِي اذهبى ... من صَدِّه عنِّى ويا عينُ اذْرِفِي

هل من مُعينٍ لى على طُولِ البُكا ... أو راحِمٍ أو ناصِرى أو مُنْصِفِ (٤)

وإليك عاذِلُ عن مَلامـةِ مُغْرَمٍ ... لا يَرْعوِى عن ما يرومُ ولا يفِى

حاشاىَ أن أسْلُو وأنْسَى عهدَ مَن ... أحبَبْتُه إنِّى أنا الخِـلُّ الوَفِى

قُل ما تشاء فإننى يا عـاذلى ... لا أنْتهِى لا أنْثنِى عن مُتْلِفِى

أنا عبدُه لا أكْتفِى عن مالكِى ... والعبْـد عن مُلّاكه لا يكْتفِى

يا قلبَـه القاسِى أما ترْثِى لمن ... قاسَى هَواكَ جوًى وطولَ تأسُّفِ (٥)

اعْطِف على قلبٍ سابَتْ فؤادَه ... واسْتَبْقِ منه بالنَّبىِّ الأشرفِ (٦)

❊

(١) فى حديقة الأفراح : « وامنن . . . ويشتفى » ، وفى ا : « القلب الجريح » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والحديقة ، والخلاصة .

(٢) صدر البيت فى حديقة الأفراح : « مولاى إن الصد أتلف مهجتى » . (٣) فى حديقة الأفراح : « بطول تلهفى » . (٤) فى حديقة الأفراح : « أو راحم أو ناصر أو منصف » .

(٥) فى حديقة الأفراح : « قاسى جوى ونوى وطول تأسف » . (٦) فى حديقة الأفراح : « اعطف على صب أذبت فؤاده » .

١٩٥

الإمام محمد بن القاسم *

الذى قام بالإمامة (١) ، وتتوّج بتلك العِمامة .

وألزمتْ له الناسُ هذا التّنويه ، ولم يُحْجِم نفسَه فى هذا الأمر عمّا تنْويه .

فأصبح وهو مجتمعُ الكلمة فى اليَمن كلِّها ، القائم بأعْباء الأمور دِقّها وجِلِّها .

تكفّلتْ بِغِنَى الرّاجين مَنائحُه ، وأحْصِيت السيّارةُ ولم تُحْصَ مدائحُه .

وكان له قوةُ حَدْسٍ تكاد ترُدُّ (٢) النارَ إلى الزّنْد ، وحسنُ سياسةٍ تُثْنِى الناسُ عليها ثناءَ النسيم على الرّنْد (٣) .

ولمّا دَعاه الدّاعِى الذى لا بُدّ عن إجابتِه ، ورماه قوسُ القضاء بالسهم الذى لا يَحِيد عن إصابته .

تقسّمت الكلمةُ المُجتمعةُ بين أحمد وإسماعيل الأخوَيْن ، ومحمدِ ابن أخيهما الحسن (٤) المتقدم آنِفاً فتفرّق القوم فِرَقا ، وسلكُوا من التشعُّب طُرَقا .

وجرتْ بينهم حروبٌ (٥) للظُّهور قاصِمة ، ولِعُرَى الحَزْم فاصِمة .

حتى ضاقتْ اليمنُ بأهلها ذَرْعا ، وخامَرتْها النوائبُ أصلاً وفَرْعاً .

(*) الإمام محمد المؤيد بالله ابن الإمام القاسم بن محمد بن على الحسنى اليمنى .
كان إماما جليلا ، مفننا فى كثير من العلوم ، قائما بأعباء الامامة .
اجتمعت كلمة اليمن اليه ، وأخرج الأتراك بأسرهم ، وقام بنصرته إخوته .
مكث فى الإمامة نحو سبع وعشرين سنة .
وتوفى سنة أربع وخمسين وألف ، فى شهارة ، ودفن بها عند قبر والده .
خلاصة الأثر ٤/١٢٢ ، ١٢٣ .

(١) فى ا : « به الإمامة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ا : « ترى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٤) ذكر المحبى أمر هذه الفتنة ، فى خلاصة الأثر ٤/١٢٢ ، ١٢٣ فى آخر ترجمة محمد بن القاسم ، المتقدم ذكره . (٥) فى ب : « صروف » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وإسماعيلُ محتسب فى دَفْع [1] تلك الغُمّـة ، مُتوكِّل على الله فى تَلافِى [1] أمرِ الأمَّة .

وهو عالمٌ أن القلوبَ معَه ، والـكلمةَ عليه مجتمِعة .

وأن الإمامةَ تسْعَى له باتِّفاق ، وتتجاذَب به أطْرافُها من بين تلك الرِّفاق .

حتى صار علمُه يقينا ، واستسْلم له القومُ قائلين : نحنُ من شِيعتِك مابَقِينا .

عِلْماً منهم أنّ ماهم فيه أمرٌ محْظور ، تقدَّم فيه بتسْويلِ الأنفُس حَدٌّ محْذور .

فأصبح فى تلك الدائرة قُطْبا وهم فَلَك ،وناداه الدهرُ إن لم تـكنْ لهم الإمامةُ فَلَك.

فلَقِيتْ به الولايةُ حظًّا ، وأدارتْ كيف شاءتْ فى الرفاهية لحَظاً .

واطمأنّتْ أدانِيها وقاصِيها ، وابتهجتْ أسِرّتُها ونَواصِيها .

***

وإسماعيـل [2] هذا هو الإمام المُجَلِّى ، يقتدى به المُصَلِّى وغيرُه فى مَيْدان السِّباق ،

وإذا جرى ذكره فى البراعة استخدمها له القول بالمُوجب بنَوْعيِ المُطابقة والطِّباق .

ولئن كان من بين أخوته الأوّلَ الأصغر ، فيفْديه العالَمَ الأكثر من أصغرِ العالم والأكبر .

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٢) الإمام إسماعيل بن القاسم بن محمد بن على الحسنى الزيدى .

ولد سنة تسع عشرة بعد الألف.

وجد بالاشتغال فى العلوم الشرعية والآلية ، وأخذ على كثير من علماء الشافعية والزيدية .

تولى أمر اليمن بعد وفاة أخيه محمد المؤيد ، وخلع أخيه الإمام أحمد ، سنة خمس وخمسين وألف ، وسار فى الناس سيرة حسنة ، وعظمت حرمته ، ورهبت سطوته ، ودانت له الأقاليم.

وله تآليف رائقة ، منهـا « شرح جامع الأصول » لابن الأثير ، و « العقيـدة الصحيحـة فى الدين النصيحة » .

توفى سنة سبع وثمانين وألف .

خلاصة الأثر ١/٤١١ ، ٤١٦ .

فهو أصلٌ نالتْ به قبائلُه من الشرف الأَرَب ، كما أن إسماعيل أصلٌ تفرّعت منه قبائلُ العرب .

مَدّ إلى جرّ المَجرّة باعا ، واتّخذ له فوق الأثيرِ منازلًا ورِباعاً .

لم يدُرْ على مثله لِنادٍ نِطاق ، ولم يرَ الدهرُ نَظِيرَه ولو شمّر عن ساقِهِ ما أطاق .

تهابُه النفوسُ إذا رمقتْه أبصارُها ، وتلْجأُ إليه الرياحُ إذا أرهقها إعصارُها .

فلو دعاَ السهمَ فى الهواء لرجَع من ساعتِه ، أو نادى الدهرَ الأبِيّ لَما أمكنهالتخلّفُ من طاعتِه .

يسافِر رأيُه وهو دَانٍ غيرُ نازح ، ويمضِى تدبيرُه وهو ثاوٍ غيرُ بارح .

وهو فى العِلمِ فَرْدٌ لم يختلف فيه اثنان ، وجامِعيّةُ فنونٍ [1] ذاتُ أصول وأفْنان .

***

وله شعر كقَدْره فوق أن يُقال جليل ، وكثيرُ المدح فى جَنْب مَعاليه قليل .

كما قال القائل :

كلامُ الإمامِ إمامُ الكلامِ ... وفُوه بِفُوه بحُرّ النّظامِ [2]

مِزاجُ مَعانِيه فى نَظْمِها ... مِزاجُ المُدامِ بماء الغَمامِ

***

فمن شعره قوله ، من قصيدة أولها [3] :

فى المُهجةِ أضْحَى معهدُهُ ... فلذَا فى الغَيْبة تشهدُهُ

فتّانُ الحسنِ يُمنّعهُ ... فِتْيان الصَّبْوةِ أعْبُدُهُ

معسولُ الثّغرِ مُفلّجُه ... عَسّال القدّ مُعربِدُهُ

وافَى من بعدِ تجنُّبِه ... ووفَى بالزّورةِ موعدُهُ

---

(١) فى ب : « فنونه » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « بحسن النظام » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) الأبيات فى خلاصة الأثر ١ / ٤١٣ .

وسرَى كالبدرِ فسُرَّ بِهِ   مسلوبُ كَرًى لا يرقُدُهُ

***

وكتب إلى القاضى محمد بن إبراهيم السَّحُولِىّ (١) :

عجباً ما للأخِلَّه   أعرضُوا من غير عِلَّهْ
وتجافَوا عن كئيبٍ   هائمِ القلب مُوَلَّهْ
مستهامٍ عذَّبتْهُ   من غزالِ الرَّملِ مُقلَهْ
ذُو قَوامٍ مثلُ غصنِ الْ   بانِ قد حُدَّ برَمْلَهْ (٢)
ومُحَيًّا أوْرَثَ الأنْـ   جُمَ والأقمارَ خَجْلَهْ
عَبْلةُ الساقِ رَداحٌ   دُونَها فى الحسنِ عَبلَهْ (٣)
غادةٌ عادتُها للصَّـ   بِّ أن تُكثِرَ مَطْلَهْ
جعلتْ هجْرَ المُعَنَّى   فى الهوى دِيناً ومِلَّهْ
حرَّمتْ من وصلِه ما   خالقُ الخلقِ أحَلَّهْ
وأحلَّتْ قتْلَه واللّـ   ـهُ قد حرَّم قتلَهْ
ياتُرَى فى أىِّ يومٍ   يصِلُ المحبوبُ حَبْلَهْ
وبه فى طِيبِ عيشٍ   يجْمَعُ الرحمنُ شَمْلَهْ
وترى العاذلَ فيهِ   تاركاً فى الحبِّ عَذْلَهْ (٤)
ويعودُ الصبُّ للمعْـ   هُودِ من دون تَعِلَّهْ (٥)

---

(١) هذه المقدمة كلها ساقطة من : ج ، وهى فى : ا ، ب . وتأتى ترجمة السحولى برقم ٢٣٣ .

والسحولى : نسبة إلى سحول ، بفتح السين وضم الحاء : قرية باليمن . اللباب ١/٥٣٤ ، وانظر المصباح المنير (س ح ل) .

وذكر ياقوت أن سحول ، بضم السين والحاء ، وقال إنها قبيلة من اليمن . معجم البلدان ٣/٥٠ .

والقصيدة فى خلاصة الأثر ١/٤١٣ ، ٤١٤ ، وفى الخلاصة أن هذه القصيدة للسحولى ، وهو خطأ يوضحه ما فى القصيدة من إشارة إلى نجل إبراهيم ، فى البيت الرابع والعشرين .

(٢) فى الخلاصة : « قد حل برمله » .   (٣) الرداح : الثقيلة الأوراك .

(٤) فى الخلاصة : « ويرى العاذل » .   (٥) فى الخلاصة : « من غير تعله » .

فهمُ قومٌ سُراةٌ أَرْيَحِيُّونَ أجِـلَّهْ
ولهم فى القلبِ وُدٌّ لا يرُوم الغـيرُ نَقْلَهْ
غـيرَ أن الدهرَ أَبْقَى منهم يَبْـلُهُ عَقْـلَهْ (١)
صيَّرَ التشْهيرُ فى وضْ ـلهمُ المطلوبَ غفْلَهْ (٢)
سَدَّ دُونَ الضَّاحِكِ السَّ ـعدِ طريقاً منـه سَهْلَهْ (٣)
فتناسَوْا عهـدَ صَبٍّ ذاهِلِ اللُّبِّ مُدَلَّهْ (٤)
وجَفَوْه فرسومُ الْ ـوُدِّ منهمْ مُضْمَحِـلَّهْ
فمتى فى الدهرِ نَلْقَى شيْخَه بدرَ الأَهِلَّهْ (٥)
عَـلَّه يشكو إليـه سَطْوةَ الدهرِ وفعْلَهْ (٦)
نَجْلُ إبراهيمَ عِزُّ الدِّ ـين محمودُ الجِبِـلَّهْ
أعظمُ الأخْيـارِ قِيلاً أكرمُ الأحرارِ خُـلَّهْ (٧)
أحسنُ الناسِ خِصالاً قاربَ الأكياسُ مِثْلَهْ (٨)
وهْـو للطالبِ عِلْماً عَلَمٌ زاهٍ وقِبْـلَهْ
ياجمالَ الدِّين مَن حا زَ خصالَ الفضـلِ جُمْلَهْ
هاكَ نظماً من مُحِبٍّ لا يرَى غـيرَك أهْلَهْ

(١) فى الخلاصة :

غيرَ أنَّ الدهرَ أبْدَى منهمُ للصَّبِّ غفْلَهْ

(٢) هذا البيت لم يرد فى خلاصة الأثر . (٣) فى الخلاصة : « الضاحك الثغر » .

(٤) فى ا : « ذاهب اللب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة . (٥) فى ا خطأ : « بدر الأهلة بدر الأهلة » ، وفى الخلاصة : « شيخنا بدر الأهلة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٦) فى خلاصة الأثر : « علنا نشكو » . (٧) فى الأصول : « أكرم الأسرار خله » ، والمثبت فى الخلاصة ، وفيهـا : « أعظم الأخيار نبلا » . (٨) فى ب : « قارئ الأكياس مثـله » ، وفى ج : « قارن الأكياس مثله » ، وفى الخلاصة : « لم نرى فى الناس مثله » ، والمثبت فى : ا .

أَوْجَــدتْه فِـكرةٌ قد   كَرَّرتْها أيُّ شُغْلَهْ (١)
يرْتجِي منك قبــولًا   لِنظامٍ جاء قَبْــلَهْ
مُسبِلاً من دُونِه سِتْـ   ـراً عن العيْبِ وكِلَّهْ (٢)
دُمْتَ في أرْغَــدِ عيشٍ   راقياً أعْــلَى مَحلَّهْ

***

فأجابه بقوله (٣) :

سامِحُوا المملوكَ لِلّهْ   واصْفَحُوا عن كلِّ زَلَّهْ
عَفْوُكم عنّا دواءٌ   نافعٌ من كلِّ عِــلَّهْ
والرِّضَا منكم زُلالٌ   ناقِعٌ من كل غُلَّهْ (٤)
ووَلاكم لي أمانٌ   ببَراهِــينِ الأدلَّهْ (٥)
حبُّكم شَرْعِي ودِيني   وهْو عندي خــيرُ مِلَّهْ
وهْــو لي خُلْقٌ قديمٌ   وطِباعٌ وجِبِــلَّهْ (٦)
ولقــد مازَج رُوحِي   وسوادَ القلبِ حَــلَّهْ
مَدَنِيُّ العيشِ إذا القلْـ   ـبُ ثَنــاه ساه وصلَهْ (٧)
لا ولَا وَلْهِي الحبُّ   بمَن مثْــلِيَ وَلَّهْ
قمرُ الحسنِ وللحُسْـ   ـنِ بدورٌ وأهِــلَّهْ
لو رآه البــدرُ أعْلا   هُ مَحَــلاً وأجَلَّهْ (٨)
ضرب الحسنُ عليــه   قُبَّةً تزْهُو وكِلَّهْ (٩)

---

(١) في خلاصة الأثر : « كدرتها أي شغله » . (٢) الكلة : الستر الرقيق .

(٣) هذا الجواب في خلاصة الأثر ١/٤١٤–٤١٦ . (٤) في خلاصة الأثر: «مبرد من كل غله» .

(٥) في الخلاصة : « ودكم عندي أمان » . (٦) في خلاصة الأثر : « خلق كريم » .

(٧) سقط هذا البيت والذي يليه من الخلاصة . وكذا جاء هذا البيت في الأصول .

(٨) في خلاصة الأثر: «مقاما وأجله» . (٩) في ب ، ج : «قبة ترمى» ، والمثبت في:ا،والخلاصة.

وراَه الحسْنُ قد حا   زَ بديعَ الحسنِ كُلَّهْ (١)
فوَحَى فى الخدِّ خوفَ الْ   عينِ حَصَّنْتُك باللّهْ (٢)
يالَقومِى فى كثيرِ الْ   حُسْنِ حَظِّى ما أقلّهْ
يارسولِى قُلْ له باللّ   هِ إن أحسنتَ قُلْ لَهْ
كَىْ يُقضى الصَّبُّ عُمْراً   فَعَسَاهُ ولعَلَّهْ (٣)
إن يكنْ لا يرتجِى الْوَ   لَ من الوصلِ فطَلَّهْ
وعلى الحسنِ زكاةٌ   وردَتْ فيها أدِلّهْ (٤)
وهْو مسكينٌ فمنْعُ الصَّ   رْفِ فيه مَن أحَلَّهْ
لستُ أشكو الجوْرَ إلّا   للأجلِّ ابنِ الأجلّهْ
مَن له كثْرَةُ أوْصا   فِ العُلَى من غير عِلّهْ (٥)
من رقَى فى المجدِ والفخْ   رِ إلى أعْلَى محلّهْ
ونَضا مُنْصُلَ عَزْمٍ   مُرهَفَ الحدِّ وسَلَّهْ
وسعَى فى طلبِ العَلْ   ياءِ من غير تعِلّهْ
وسماَ فى نَيْلِهِ الفضْ   لَ إلى أرْفَعِ قُلَّهْ
ما أحلَّ اللّهُ شخصاً   فى العُلَى حيث أحَلَّهْ
ياسليلَ العِزِّ يامَن   رَدَّ عاديه المُدِلَّهْ (٦)

---

(١) لم يرد هذا البيت والذى يليه فى الخلاصة .

(٢) وحي الكتاب : كتبه ، ووحي إليه : كلمه سرا أو كلمه بما يخفيه .

(٣) فى : ب ، ج « كم يقضى » ، والمثبت فى : ا ، والخلاصة .

(٤) فى الخلاصة : «فيها الأدله» .   (٥) فى الأصول: «كثرت أوصاف» ، والمثبت فى خلاصة الأثر.

(٦) فى خلاصة الأثر :

ياسليلَ العِزِّ يامَن   لأعاديه المـذَلَّهْ

وصَــلُ الملوكَ وَصْلٌ   منكمُ أعْـــلَى محِلَّهْ
وكَســاهُ بُرْدَ فخرٍ   زانَهُ بين الأخِــلَّهْ
عِقْـــدُ نظمٍ خِلْتُه وَرْ   دًا كَســاه الصبحُ طَلَّهْ
أو هــو الدُّرُّ تَهادا   هُ الغـــوانِي للأَكِلَّهْ
وتَوَدُّ الغِيــدُ لو أنَّ   لهـــا منه أشِلَّهْ [1]
بل هو الفضــلُ أدام اللَّـ   ـهُ للعــالَمِ ظِلَّهْ
فيــه إعْزازٌ لقَدْرِي   ولنظْمِي فيــه ذِلَّهْ
فاقبلُوا مــنِّي جواباً   جاء في ضَعفٍ وقِلَّهْ
طال تقصــيراً ولــكنْ   سامِحُــوا الملوكَ لِلَّهْ

***

قوله [2] : « لله » بحذف الألف بعد اللام ، لغة ، على مانقله الإسْنَوِيّ حكاية عن ابن الصَّلاح عن الزَّجَّاجِيّ ، فلا لحنَ فيه ، كما قال البَيْضاوِيّ .

وفي « التيسير » أنه لغة جائزة في الوقف دون الوصل ، والأفصح إثباتُها وإن تملَّح به المولَّدُون في أشعارهم كثيراً ، كقوله :

أيهــا المستبيحُ قتْلِي خَفِ اللهْ   وانْهَ عينيْك للدِّما مُستحِلَّهْ

***

ومن شعر الإمام قوله [3] :

وشادنٍ أجْرَى دموعِي دَماً   سفْحاً على الخدَّيْن لا يَرْقَا [4]

---

(١) الأشلة : جمع الشليل ، وهو غلالة تلبس تحت الدرع .

(٢) من هنا إلى قوله « مستحلة » الآتي ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .

(٣) البيتان في خلاصة الأثر ١/٤١٦ .   (٤) يرقا : من رقأ الدمع ، إذا انقطع .

أخافُ مُسْوَدُّ عِـــذارِى به يَبْيَضُّ من خُلّقتــــه الزَّرْقا

***

وقوله :

ياشادِناً قد فاق فى حُسْنِه وعَزَّ عن شِبْهٍ وأمْثالِ

لأنتَ فى قلبِى وفى ناظرِى ألَذُّ من نَوْمـــةِ شَوَّالِ

***



١٩٦

والده السيد على*

هو تورُّد فى خدِّ الدهر ، وبشْرٌ فى وجه الزَّهر .

له عيونُ آثار أزْهَى من الْخدود إذا اعْتراها الخجَل ، ومحاسنُ أشعار تستوقفُ صاحبَ المُهِمّ وهو فى غاية العجَل .

وهناك اللطائفُ مأمونةً من النظائر والأشْباه ، لا يعارِض فى قيامها بجوامِعها النظرُ والاشْتباه .

إلى ألفاظٍ كأنها لآلئُ فى دَرْج ، أو كواكبُ فى بُرْج .

ومعانٍ كأنها راحٌ فى زجاج ، أو رُوح فى جسم معتدِل له المِزاج .

* * *

فمن بدائعها التى تُزْرِى بالعذارَى تبرَّجتْ فى الْحلْىِ والْحلَل ، إذا لاحتْ من وراء سَجْفِها تغبِطُها على الْحسن أقمارُ الكِلَل .

قوله من قصيدة يمدح بها أخاه الحسن(١) :

(*) السيد على بن إسماعيل بن القاسم بن محمد بن على الحسنى الزيدى .

ولد سنة خمسين وألف .

قرأ واشتغل على عدد من الأعيان ، ولازم حضرة والده التى كانت محط الرحال .

حج سنة سبعين وألف ، وقلده والده أعمال بلاد ضوران وما حولها ، ثم تولى أعمال ابن عمه السيد محمد بن الحسن بن القاسم بعد وفاته ، وحين تولى الإمامة الإمام أحمد بن الحسن ، أقره على ما كان بيده فى حياة والده ، وفوض إليه جميع الأعمال اليمنية .

توفى السيد على سنة ست وتسعين وألف بتعز ، ودفن بها .

حديقة الأفراح ١٤ ـ ١٦ ، خلاصة الأثر ٣/١٤٨ ـ ١٥٠ ، وذكر صاحب حديقة الأفراح له لامية لم يذكرها المحبى .

(١) القصيدة فى حديقة الأفراح ١٤ ، ١٥ ، وذكر أنه كان إذ ذاك بصنعاء اليمن ، خلاصة الأثر ٣/١٤٨ ، ١٤٩ .

أكذا المُشتاقُ يُؤرِّقُهُ ... تغريدُ الوُرْقِ ويُقلقُهُ (١)

وإذا ما لاحَ على إضَمٍ ... بَرْقٌ أشجاه تألُّقُهُ

يُخفِي الأشواقَ فيُظهِرُها ... دمعٌ في الخدِّ يُرقرِقُهُ

آهٍ يا برقُ أما خَبَرٌ ... عن أهلِ الغَوْرِ تُحقِّقُهُ

فيُزيلُ جوًى لأسيرِ هوًى ... مُضنًى قد طال تشوُّقُهُ (٢)

رِيمُ الهيجاءِ ورَبْرَبِها ... خمريُّ الثَّغرِ مُعتَّقُهُ

ممشوقُ القَدِّ له كَفَلٌ ... يتشكَّى العِطْفَ مُمَنْطَقُهُ (٣)

مُغْرًى بالعَذْلِ لعاشقِهِ ... وبدِرْعِ الصبرِ يُمزِّقُهُ

يا رِيمَ السَّفحِ على مَ تُرَى ... تُرْضِي الواشي وتُصدِّقُهُ

رِفقًا بالصبِّ فإنَّ له ... قلبًا بهواك تعلُّقُهُ

فعسى بالوصلِ تجودُ ولو ... في الليلِ خيالُك يطرُقُهُ

أو ما ترثي لشَجٍ قد زا ... دَ بطولِ الهجرِ تحرُّقُهُ

وأراد الصدَّ سيُخرِجُهُ ... من أسْرِ الحبِّ ويُطلِقُهُ (٤)

فله نفسٌ تأبَى كرمًا ... يأتيهِ النَّقْصُ ويلحقُهُ

ولِذاك سلَتْ بتذكُّرِها ... لأخٍ بالمجدِ تخلُّقُهُ

شرَفُ الإسلامِ وبهجتُهُ ... وختامُ الجودِ ومُغدِقُهُ (٥)

وعِمادُ المُلكِ ومَفخَرُهُ ... وسَنامُ الدِّينِ ومَفرِقُهُ

من دون عُلاه لرائدِهِ ... بُرْجُ الجوْزاءِ ومَشرِقُهُ (٦)

---

(١) في ا : « تغريد الدمع » ، والمثبت في : ب ، ج ، والحديقة ، والخلاصة .

(٢) في الحديقة : « فيزول جوى » . (٣) في الخلاصة : « يتشكى الضعف » ، وهو أولى .

(٤) في ب : « وأراد الصب » ، وفي الخلاصة : «وأراه الصد» ، والمثبت في : ا ، ج ، والحديقة.

(٥) في حديقة الأفراح : « هتان الجود » . (٦) في حديقة الأفراح : « علاه لرائمها » ، وفي الخلاصة : « علاه لرائمه » .

حِلْمٌ كالطَّوْد لنائلِه جُود كالبحرِ تدفُّقُهُ(١)
اسمعْ مولاىَ نظامَ أخٍ قد زاد بمدْحِك رَوْنَقُهُ
وُدُّك قد صار يكلِّفُهُ بمقالِ الشعرِ ويُنْطِقُهُ(٢)
فاحفظْ وُدِّى لا تُصْغِ لما يُمْلِى الواشِى ويُنمِّقُهُ

***

وقوله ، من قصيدة أولها(٣) :

جَدَّ بى الشوقُ إلى الظَّبْيِ اللَّعُوبِ فتصابيْتُ به وقتَ المَشِيبِ
رَشَأٌ مُدْمِنُ هجرِى لم يزَلْ قلبىَ المُشتاقُ منه فى وُجوبِ
يا أخِلَّاىَ بهاتِيكَ الرُّبَى وأُصَيْحابى بذَيَّاكَ الكَثِيبِ
مُذ نأيْتم قد جفَا جَفْنِي الكَرَى وفؤادى والتَّسلِّى فى حروبِ
خانَنِى صبرى وأوْهَى جَلَدِى حبُّ ذاتِ الدَّلِّ والثغرِ الشَّنِيبِ
آهِ كم أكْتُمُ فى القلبِ الجوَى وإلى مَ الصبرُ عن لُقْيا الحبيبِ
ترجُ لى يا عاذِلى كَتْمَ الهوَى إنَّ كِتْمانَ الهوى داءُ القلوبِ(٤)
فاطَّرِحْ لَوْمِى فإنِّى مُغْرَمٌ وأشِعْ ما شئتَ عنِّى يا رقيبى
أنا من قومٍ إذا ما غضِبُوا أطعموا الأرْماحَ حَبَّاتِ القلوبِ
وهمُ فى السِّلْمِ كالماء صَفَا لصديقٍ وحميمٍ وقريبِ
فهمُ فَخْرِى وفيهم قُدوتى وبهم نلتُ من العَلْيا نصِيبى(٥)
وبفضلِ اللهِ ربِّى لم أزلْ فى مَراقِى العزِّ والعيشِ الرَّطِيبِ

---

(١) البيت فى حديقة الأفراح :

حِلْمٌ كالطَّود يزَيِّنُهُ كرمٌ كالبحرِ تدفُّقُهُ

(٢) فى خلاصة الأثر : «ود قد صار» . (٣) الأبيات الستة الأخيرة فى حديقة الأفراح ١٥، ١٦ .
(٤) كذا فى الأصول « ترج » لضرورة الوزن . (٥) فى حديقة الأفراح : « فيهم فخرى » .

ليس لى إلّا المعــالِى أربٌ فعلى كاهلِها صار رُكوبى[1]
إن دعا داعٍ إلى غــيرِ العُلَى لا ترانِى لدُعاه من مُجيبِ

* * *

وله مضمنا بيت ابنِ لُؤلُؤ الذّهبىّ[2] :

صَبٌّ يــكاد يذوبُ من حَرِّ الجوَى لولا انْهمالُ جفونِه بالأدْمُــعِ
وإذا تنفَّستِ الصَّبا ذكَرَ الصِّبَا ولياليًا مرَّتْ بوادى الأجْرَعِ
آهٍ على ذاكَ الزمــانِ وطِيبِه حيثُ الغضا سكَنِى ومَن أهْوَى معِى
وليــاليًا مرَّتْ فيالِلّه ما أحْلَى وأملحَها فهل من مَرْجَعِ[3]
أحمامــةَ الوادِى بشرقِىِّ الغَضَا إن كنتِ مُسعِدةَ الكئيبِ فرجِّعى[4]
إنَّا تقاسمْنــا الغَضا فغُصونُه فى راحتَيْكِ وجَمْرُه فى أضْلُعِى

* * *

وله ، من قصيدة مطلعها :

أيــكتُم ما به الصَّبُّ المَشوقُ وقد لاحتْ له وَهْنًا بُروقُ
وهل يُخفِى الغرامَ أخو وُلوعٍ يُؤرِّق جَفْنَه البرقُ الخَفُوقُ
ويسلُو عن أُهَيل الجزْعِ صَبٌّ جرَى من جفْنِ عيْنَيْه العَقيقُ
إليكَ إليكَ عنِّى يا عَــذُولِى فلستُ من الصَّبابةِ أسْتفيقُ[5]
فلى قلبٌ إلى بَاناتِ حُزْوَى طَروبٌ لا يَمَلُّ ولا يفيــقُ

---

(١) فى الأصول : « فعلى كاهلى » ، والمثبت فى حديقة الأفراح .
(٢) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ٤٤٠ .
وكذا ذكر المصنف أنه بيت واحد بينها ذكر الأبيات فى الخلاصة ٣/١٤٩ ، ثم قال : « إلى أن ختمها ببيتى الذهبى ، على جهة التضمين » ، وأورد البيتين الأخيرين مستقلين .
(٣) فى ب : «فهل من مرجعى» ، والمثبت فى: ا ، ج ، والخلاصة . (٤) فى ج: «بسكان الغضا» ، والمثبت فى: ا ، ب ، والخلاصة ، وفى ب : «مسعدة بعيشك رجعى» ، والمثبت فى: ا ، ج ، والخلاصة.
(٥) بين هذا البيت والذى بعده تقديم وتأخير فى : ج ، والمثبت فى : ا ، ب .

فإن سَمُومَها عنــدى نسيمٌ　　رَحِيقٌ فى رحيقٍ فى رحيقٍ[1]

فلو ذُقْتَ الهوى وسلكْتَ فيه　　لما ضَلَّتْ إليه بكَ الطَّرِيقُ

بعيْشِك هل ترى زمَنى بِسَلْعٍ　　يعود وذلك العيشُ الأنيقُ[2]

ويمنحنى أُصَيْحابِى بوصْلٍ　　ويرجع بعد فُرْقتِه الرَّفيقُ

فهـــا قلْبى أسيرٌ فى هواهمْ　　وها دمعِى لبَيْنِهِمُ طليقُ

***

وقد عارضه فى هذه الأبيات جماعةٌ من أهل اليمن .

***

وكتب إلى والده هذه القصيدة ، يحثُّه فيها على الجهاد ، لما أُحْصِر الركبُ اليمانىّ ، وصُدَّ عن مكَّة ، فى سنة ثلاث وثمانين وألف :

لَعمرُكَ ليس يُدرَكُ بالتَّوانِى　　ولا بالعجزِ غاياتُ الأمانِى

فمــا نيلُ المعالِى قطُّ إلَّا　　بِبِيضِ الهند والسُّمْرِ اللِّدانِ

وحَزْمٍ دونه الشُّمُّ الرَّواسِى　　وعَزْمٍ لم يكنْ أبدًا يُوانِى

ونفسٍ كلَّمـــا جشَأتْ أرتْه　　قرى نَعْمان ميلا من عُمانِ[3]

تخُوض إلى المعالى كلَّ هَوْلٍ　　وليس لها عن العَلْياء ثَانِ

لهـــا ثقــةٌ بربِّ العرشِ حقًّا　　به الأقْصَى تَراه وهْو دانِ

أميرَ المؤمنين وخيرَ مَلْكٍ　　تبوَّأَ فى العُلَى أعْلَى مكانِ

وتاجَ بَنِى النبىِّ ومُنْتقاهم　　وأكرمَ مُعْتلٍ ظهرَ الحصانِ

---

(١) فى ا ، ورد البيت كله هكذا : «فإن سمومها عندى رحيق» ، ولم يرد البيت فى ج ، وهو ف: ب.

(٢) سلع : جبل بسوق المدينة ، ومواضع أخرى . انظر معجم البلدان ٣/١١٧ ، ١١٨ .

(٣) نعمان : مواضع ، أبعـدها عن عمان واد قريب من الفرات على أرض الشام ، قريب من الرحبة ، ونعمان : حصن من حصون زبيد ، وهو أيضا : حصن فى جبل وصاب باليمن من أعمـال زبيـد أيضا . معجم البلدان ٤/٧٩٥ ، ٧٩٦ .

أترْضَى أن نرى فى الدهرِ هُونًا ... ويتْبُو رُكنه فى ذَا الأوانِ (١)

ويُمنَـع وفدُ بيت اللهِ منه ... ويُضحِي الخوفُ فينا كالأمانِ

ويملكُه العُلوجُ ويمْنعوه ... ويُصْرَف عنه ذا الوفدُ اليمانِي

وأنتَ خليفةُ الرحمنِ فينــا ... وأنتَ حُسامُه فى ذا الزمانِ

ونحن بنُو البَتُولِ ونَجْل طٰه ... وفينــــا أُنْزِلتْ آيُ القُرانِ

ونحنُ به لَعَمْرُ اللهِ أوْلَى ... ونحن الشائدون به المَبانِي

فلا تركبْ بنا ظهرَ الهُوَيْنا ... ولا تجنَحْ إلى ظلِّ الأمانِ

وحولَك من بنى المَنصورِ أُسْدٌ ... علَوْا فى المجدِ هامَ الزِّبْرِقانِ (٢)

ومن أبْناء حَيْـــدرةٍ كُماةٌ ... لهم فى المَكْرُمات أجــلُّ شانِ

وإنَّ لدَيْك من عَــدْنانَ حتمًا ... ومن قَحْطان فرسانُ الطِّعانِ

ليوثٌ إن دعوتهمُ أجابوا ... بكلِّ سَمَيْدَعٍ رَحْبِ الجنانِ (٣)

فشاوِرْهم ولاطِفْهم وأحْسِنْ ... إليهم بالعطــــاءِ وباللِّسانِ

ولا تجعلْ كتابَك للأعادِي ... سوى السيفِ المُهنَّدِ والسِّنانِ

فأرْسِلْ نحوَ من ناوَاكَ جيشًا ... أوائلُه بأرضِ القَيْرُوَانِ (٤)

تسيرُ جِيادُه فى كلِّ قُطْرٍ ... إلى الأعداء مِرْحاب العِنانِ

فتعــلُو هامَ مَن ناوَاكَ قَسْراً ... وتُرْغِم بالمَواضِي كلَّ شانِ

فإنَّ اللهَ ربَّك قد توالتْ ... عوائدُه بعــاداتٍ حِسانِ

وعَوَّدَك الجميلَ بكلِّ خيرٍ ... وقد شاهدْتَ ذلك بالعِيانِ

❊

(١) فى ا : « وينبو ركنه » ، وفى ب ، ج : « ويقبو ركنه » ، ولعل الصواب ما أثبته .
وتبا يقبو : غزا وغنم . القاموس (ت ب و) .

(٢) الزبرقان : القمر . القاموس (ز ب ر ق) . (٣) السميدع : الشجاع .

(٤) القيروان : مدينة عظيمة بإفريقية . معجم البلدان ٤/٢١٢ .

١٩٧

السيد الحسين بن الحسن

ابن القاسم

من تحائف الزمان وحسناتِه ، وكأنه غُرّة (١ فى جبينه ١) أو خالٌ فى وَجَناته .

ذو كمال فى الأدب أحْرزَه ، وإبْرِيز أدبٍ على مِحَكِّ (٢ الانتقاء و ٢) الانتقاد أبْرَزَه .

* * *

وله شعر بلغَنى منه بيْتان، هما فى ديوان الإجادة مُثْبتان.

وهما قوله :

فى أفْرَقِ الثّغْرِ كم أُقاسِى ... من عاذلٍ بالمَلامِ أفْرَقْ

يلُوم جهـــلاً على حبيبٍ ... أذوبُ فى حبِّـــه وأفْرَقْ

*

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٢) ساقط من : ب ، ج ، وهو فى : ا .

١٩٨

السيد الحسن بن الحسين بن القاسم

هذا الحسَن ، مُنشِىء القول الحسَن ، ومُبدِى الفصاحة واللَّسَن .

قلبُه قالَب للمعانى قابِل ، وطَلٌّ فضله عند الفضلاء وَابِل .

تروّت الأفكارُ بمُنهَلٍّ أدبِه وسَكُوبه ، وانتعشتْ الخواطرُ برَوْح زِقِّه المُملى وكُوبِه .

***

له أشعار هى فى بهجة الألفاظ ورَوْنق المعانى ، راحةُ المُعَنَّى وسَلوة المعانى .

فمنها ما كتبه إلى القاضى الحسين المُهلاَّ (١) ، وأصْحَبه رسالةً من مؤلَّفاته :

هل فى رُبوعٍ بجَرْعاء الحمى طَلَلُ   يحُلُّه مَن له فى حَيِّــــه شُغُلُ

وهل لمَن لم ينَلْ فى الدهرِ بُغْيَتَــه   من آل ليلَى وصالٌ ليس ينْفصلُ

ياجِيرةً طاب بين الناسِ ذِكرُهمُ   لأجْلِكم تعبتْ مابيننا الرُّسُلُ (٢)

فعامِلونا بقَدْر الوُدِّ إنَّ لنـــا   بشأنِكم هِمَّةً دانتْ لهـــا الأُوَلُ

وما انْتفاعُ أخِى الدنيا بعَزْمتِــه   إذا تحوَّلَتِ الأحوالُ والدُّوَلُ (٣)

فإن تقاعَد كان العجزُ غايتَه   وإن تقاعَس أضْحى غايةَ الأسَلِ

سيّدنا الذى مُقدِّمات قياسِه بديهيَّةُ الإنتاج ، وموضوعُ محمولِه بحَدِّه الأوسط ظاهرُ الانْدراج .

تمثيل استقرائه حجةٌ يقينيَّة ، وترتيب دلائله أشكالُه (٤) اقترانيَّة .

---

(١) فى ا : « المهلاط » ، والصواب فى : ب ، ج ، وتأتى ترجمته برقم ٢١٦ .

(٢) فى ب ، ج : « بين الخلق ذكركم » ، والمثبت فى : ا .   (٣) فى ا: « الأحوال والحول » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

شَرْطيَّاتُه الاتِّفاقيَّة لُزوميَّة ، وافتراضُ عكْسِه مُسقط لعُقْم الجزئيَّة .

وكيف لا ، وقد أشرقتْ به مدارسُ العلم وشرُفتْ ، وعمرتْ أركانُها بِمَشِيد أفْكاره وما اندرستْ .

فهو شرفُ الدِّين والشَّرفُ أجْلَى حدود الفلَك ، بل خُلاصة اليقين واليقينُ أقْوَى أوصافِ الملَك .

فأنهارُ علومه لا ينْضُب ماؤُها ولا يفِيظ [١] ، الحسين بن الناصر بن عبد الحفيظ .

حفظه [٢] الله بالمُعقِّبات من أمره ، ولَحظه بعيْن العناية فى سرِّه وجَهْرِه .

أُهدِى إليه من السلام أتَمَّه ، ومن الإكرام والإنعام أوْفَره وأعَمَّه .

وإنه ورَد إلىَّ ما أنْتجه طبعُه السليم ، وفكرُه المستقيم ، من فوائد ذلك الشكلِ الكريم .

فحملنى على وضع هذه الرسالة مُجاراةً لسوابق الأفاضل ، ومُباراةً لسهام المُناضِل .

فإن جاءتْ مقبولةً فذلك ما كنت أبْغِى ، وإن عادت مَردودةً فمَّا أطَّرِح وأُلْغِى .

☆☆☆

(١) فاظ يفيظ : مات .

(٢) فى ا : « أحفظ » ، والمثبت فى : ب ، ج .

١٩٩

السيد إسماعيل بن محمد بن الحسن بن القاسم *

غُصْن من تلك الجَنَّة ، وخَال فى تلك الوَجْنة .

إن عُدَّت الأفاضل كان أوْلى من عُقِدت عليه الخناصِر ، وإن ذُكِرت الأماجدُ كان أحْرَى بأن تبتهج بفِطْرته العناصِر .

وهو أديب غاية فى طُول الباع ، لو صوَّر نفسَه لم يزدْهـا على ما فيه من كرَم الطِّباع .

* * *

وله شعر إذا تَلاه المشغوفُ[1] تفقَّد قلبَه هل طار عن جسده ، وإذا سمعَه الحسُود تمنَّى لو كان كلُّ حسَدٍ مُنضمًّا إلى حسَده .

صفَّى القولَ فيه[2] ورَوَّقه ، ودعا به القلبَ إلى الغرام وشَوَّقه .

فلو خُوطِبت به الصُّمُّ لم تحتجْ أذنُها إلى إذنٍ فى اسْتماعه ، أو استُنْزِل به العُصْم سارعت إلى التأنُّس بغرائبِ إلْماعِه .

وها أنا أتلُو عليك منه ما يغـازِل العيونَ النُّعْس ، وتشْتهِى لو مازَجتْ سُلافةَ لُطفِه الشِّفاهُ اللُّعْس .

(*) السيد إسماعيل بن محمد بن الحسن بن القاسم الحسنى الزيدى .

كان فصيحا بليغا ، حسن الأدب ، نقى الطبع .

وله مؤلف سماه « سمط اللآل فى شعراء الآل » ، ترجم فيه لكل من شعر من العلوية .

توفى سنة ثمان أو تسع وسبعين وألف ، وكانت سنه بين الثلاثين والأربعين ، وكانت وفاته بمذيخرة .

البدر الطالع ١/١٥٥ ، وانظر حاشيته ، خلاصة الأثر ١/٤١٦ ـ ٤١٨ .

(١) فى ب : « الملهوف » ، والمثبت فى : ا ، ج .　　(٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

فمنه قوله ، من قصيدة[1] :

أترَى السَّأْبَ للقلوب الشجيّةْ لسَواجِي لحاظِها كالسَّجِيَّهْ[2]

أم رمَى غيرَ عامدٍ أسْهُمَ الهُدْ بِ ولم يَدْرِ أن قلبي الرَّمِيَّهْ

فعلت بِيَ اللِّحاظُ شرَّفها اللّـ ـهُ تعالَى ما تفعلُ المَشْرَفِيَّهْ[3]

عرَّفتْني أسْحارَ بابلَ هارو تَ فكانتْ عندي هي البابليَّهْ

نصبتْ لي أشْراكَ هُدْبٍ فهلّاً شافعِي واحدٌ من الزَّيْدِيَّهْ[4]

أنا شِيعيُّها وبالنَّصْبِ جرَّتْـ ـنِي إلى أن وقعتُ في المالكيَّهْ

ملَكتْني عيناً وقلباً وحتى ملَكَتْني قولًا وفعلاً ونيَّهْ

ما نويْتُ الطُّموحَ للغيرِ إلّا حجّبتْني الحواجبُ النُّونيَّهْ

وبنار الأخْدُودِ ذاب فؤادي من خُدودٍ نَدِيَّةٍ عَنْدَمِيَّهْ

أيُّ نارٍ لها اتّقادٌ بماءٍ غيرُ نارٍ على الخدُودِ النَّدِيَّهْ

يالهـا فتنةً لهـا قدَّرَ اللّـ ـهُ فسادتْ عُشّاقُها قدَرِيَّهْ

لا يرَوْن السُّلْوانَ ممّا يُطيقو نَ ولا يدْفعون هذي البليَّهْ

حقّق الجبْرُ باعْتزالِهم اللَّوْ مَ فراحُوا لفِعْلِهم رافضيَّهْ

فهمُ يَفْرَقُون من كلِّ شيءٍ أبداً في صَباحِهم والعشيَّهْ

مثْلَما يفرَق الشجاعُ إذا لا قَى إمامَ العصابةِ الحسَنيَّهْ[5]

الإمامُ القوَّامُ لله بالحقِّ بإجماعِ العِتْرةِ النبويَّهْ[6]

الأغرُّ الأبرُّ عِزّ الهدَى الها دِي البرايا إلى الصِّراط السَّويَّهْ[7]

---

(١) القصيدة في خلاصة الأثر ١/٤١٧ ـ ٤١٨ .   (٢) في الخلاصة : « لسواجي ألحاظها » .

(٣) في ب ، ج ، والخلاصة : « فعلت بي الألحاظ » ، والمثبت في : ا .

(٤) يشير إلى الشافعية والزيدية ، وما بينهما في اليمن .

(٥) في الخلاصة : « العصابة الهاشمية » .   (٦) في الخلاصة : « بإجماع الجماعة النبوية » .

(٧) في الخلاصة : « إلى الطريق السوية » .

المُفيدُ المُبيد شمـــلَ الأعادِى ... بالمواضِي وبالقَنــا السَّمْهَرِيَّهْ

خيرُ مَن هزَّ صارماً يوم رَوْعٍ ... وعَلَا صهوةَ الجيادِ العَلِيَّهْ

والذى قاد شارداتِ المَعالى ... بالعَوالِى والهِمَّةِ العــلَوِيَّهْ(١)

والذَّكِىّ الذى يُحلُّ من الإشْكا ... لِ ما يُفْحِم الفحولَ الذَّكِيَّهْ

والجوادُ الذى يسُوق إلى العا ... فِين سُحْباً من اللُّهَى عَسْجَدِيَّهْ

والمَليك الذى يُدبِّر أعْمــا ... لَ نِظامِ الشريعــةِ الأحمدِيَّهْ

لم يزلْ فى الأمورِ يَمْضِى برأْيٍ ... هو أضْوَا من الشموسِ المُضِيَّهْ

أحلمُ الناسِ أعلمُ الناسِ أذْكا ... هُمْ مَقاماً ومَحْتِدًا وطَوِيَّهْ

أيها الأوحدُ الذى ما رأينا ... لعُــلاه مُماثِلاً فى البرِيَّهْ(٢)

والذى مَن أطاع ذا العرشِ جازا ... هُ فدانَتْ له الرِّقابُ العَصِيَّهْ

والذى طاب نَشْرُ ذِكْراه حتى ... طاب منه أقْصَى الجهاتِ القَصِيَّهْ

ها كَها بنتَ ليــلةٍ حَبَّرتْها ... مع شُغْلٍ سَلِيقةٌ هاشِمِيَّهْ(٣)

دُرُّها تخجَل اليواقيتُ منه ... ودَرارِى الكواكبِ العَلوِيَّهْ

فاقبَلِ النَّزْرَ من خطابِيَ واعذُرْ ... عن خطابٍ جَلِيَّةٍ وخَفِيَّهْ(٤)

إنما يحسُن النِّظامُ ويزْكُو ... حين تزْكُو العوارضُ النفسيَّهْ

غيرُ خافٍ على أبى الفضلِ أنّ الضَّ ... يْمَ تأبَى منه النفوسُ الأبيَّهْ

وابقَ ما مالتِ الغصونُ على الرَّوْ ... ضِ وغنَّت بأيْكِها قُمْرِيَّهْ(٥)

***

---

(١) فى الأصول: « بالمعالى والهمة »، والمثبت فى الخلاصة.

(٢) لم يرد هذا البيت والذى يليه فى خلاصة الأثر. (٣) فى خلاصة الأثر: « سليقة حسنيه »

(٤) فى الخلاصة: «فى خطاب». (٥) فى ا: «على الأرض وغنت»، والمثبت فى: ب، ج، والخلاصة.
وفى الخلاصة بعد هذا بيتان فى الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم.

وله القصيدة التى رثى بها والده[1] ، وأخاه يحيى[2] ، ومطلعها[3] :

هل أقال الموتُ ذا حَـــذرَة ... ســــاعةً عند انتهاء عُمُرِهْ

أو تراخَى عن كَحِيلٍ رنَا ... فاق كلَّ الغِيدِ فى حَوَرِهْ

أو رثى يوما لمُرضِعَـــــةٍ ... طِفلَهـــا ما دبَّ فى حُجَرِهْ

أو تراهُ هائباً ملِـكاً ... صـــائلاً قد عزَّ فى نَفَرِهْ

أو تناسَى من له نظَرٌ ... تصـــدرُ الأشياء عن نظَرِهْ

أو تحامَى رُوحَ سيدنا ... مصطفَى الرحمنِ فى بَشَرِهْ

وأبى السِّبْطيْن حَيْـــدرةٍ ... وكبارِ الآلِ من عِـــتْرِهْ

بل دَهَى مَن كان منتظِراً ... قُرْبَه أو غـــيرَ منتظِرِهْ

وسقاه كأسَ سَطْوتِه ... مُدْهَقاً من كَفِّ مُقْتدِرِهْ[4]

ما ترَى عزَّ الأنامِ ثوَى ... حفرةً إذْ آبَ من سفرِهْ

لم يقِم فى قصرِه زمناً ... غيرَ وقتٍ زاد فى قِصَرِهْ

بعـــد ما قد كان عزَّتُه ... تُرشِد السَّارى إلى وَطَرِهْ

---

(١) محمد بن الحسن بن القاسم الحسنى الزيدى .

ولد سنة عشر بعد الألف .

ولى صعدة ونواحيها ، وهو صغير ، فحمدت سيرته ، وقرأ فى أثناء هذه المدة على مشايخ عصره ، مثل القاضى أحمد بن يحيى بن حابس ، والفقيه صديق بن رسام السوادى ، ثم ولى ولايات عظمى باليمن ، واستمر أمره فى نمو وازدياد من حدود سنة أربع وخمسين إلى سنة تسع وسبعين .

وله مؤلفات منها ؛ « سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد » ، وشرح « مرقاة الوصول إلى علم الأصول » لجده الإمام القاسم ، سماه « التسهيل » .

توفى سنة تسع وسبعين وألف .

البدر الطالع ٢/١٥٩ ، ١٦٠ ، خلاصة الأثر ٣/٤٢٨ _ ٤٣٢ .

(٢) ذكر المحبى فى الخلاصة ٣/٤٣٠ أن يحيى اختاره الله إلى جواره بعد والده ، وكان قد ناهز الأشد، ومهر فى علم الطب خصوصاً .

(٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٤٣٠ ، ٤٣١ ، ومطلعها فى البدر الطالع ٢/١٦٠ .

(٤) كأس دهاق : ملیئة .

وندَى كَفَّيْه مُنْهمِراً مُذْهِلاً للرّوض عن مَطَرِهْ
كان طَوْداً لا يُحرِّكُه أىُّ خَطْب جدَّ فى خَطَرِهْ
كان بحراً طال ما الْتقط الطَّا لبُ المُحْتاجُ من دُرَرِهْ
شاد رُكْنَ الدِّين ملتمساً لرِضَى الرحمنِ عن صِغَرِهْ[1]
وحوَى الدنيـا ودَيْدَنُه طَلَبُ الأُخرى إلى كِبَرِهْ
فسقَى الرحمنُ تُربتَه صَيِّباً ينْهَلُّ فى سَحَـــرِهْ
وعمـــادَ الدِّين أزْعَجه بعـدَه يغْدُو على أثَرِهْ[2]
لم ينَلْ فى العمرِ بُغيتَه لا ولا أفْضَى إلى وَطَرِهْ
لم يذُقْ فى دهرِه أبداً صَفْوَ عيْشٍ صِينَ عن كَدَرِهْ
ما أراه الدهرُ مَطْلبَه ليْتَه أخْلاه من غِـــيَرِهْ
رحم الرحمنُ مَصرعَه ووَقاه الحرَّ من سَقَرِهْ
كيف أنْسَى شمسَ مَفْخَرِنا أو أرى السُّلْوانَ عن قَمَرِهْ[3]
فهُما قد أضْرَما لهَباً فى فؤادِى طار من شَرَرِهْ
وأسالا مَدْمَعاً بَخِلتْ أعْيُنى دهـــراً بمُنهَمِرِهْ[4]
غيرَ أن الصـــبرَ شِيمةُ مَن صوَّب الرحمنُ فى قدرِهْ
لينـــالَ الأجرَ منه إذا ذاق طعمَ الصَّابِ من صَبِرِهْ
نسألُ الرحمَن خاتِمـــةً برضَى الرحمنِ فى صَدَرِهْ

☆☆☆

---

(١) فى الخلاصة : « من صفره » . (٢) يعنى أخاه يحيى .
(٣) فى خلاصة الأثر : « وأرى السلوان » . (٤) بعد هذا فى خلاصة الأثر زيادة :

لا أَفِى يومًا بحقِّهما لو أسلْتُ الرُّوح عن قطرِهِ

ذكر آل الامام شمس الدين بن شرف الدين بن شمس الدين
أصحـــاب كَوْكَبان[1]

هؤلاء القوم شَرفهم لا يُدانيه شرَف ، ولا يُتصوَّر فى المُغالاة بوصْفه سَرَف .
كواكبُ مجدٍ مأمونةٌ من الطَّمْس ، فهُم[2] شمسُ الشَّرَف وشَرَف الشمس .
وبيتُهم فى الرِّياسة نطقتْ بفضْله السُّوَر ، وأرَّختْ أيَّامَه الكتبُ والسِّيَر .
تألَّفتْ أجزاؤه من أوْتادِ البسالة وأسْبابِها ، وتخلَّفت لعُلوِّه السبعُ السَّيَّارةُ فما ظنُّك بالسبْع المُعلَّقات وأرْبابِها .
لا يدخلُه الزِّحاف إلا إلى الأعداء فى معارك الحرب ، ولا يعترضُه التَّقْطيع إلا فى عُروض المُناوِين له بالطَّعْن والضَّرْب .
ماخرَج منه إلا سيِّدٌ جَمٌّ الشِّيَم ، فضائله يقِلُّ عندها قطراتُ الدِّيَم .
أُعيذُهم من صُروف دهرِهم ، فإنه فى الكرام مُتَّهم .
وقد أوسعتُ لذِكْر أشعارِهم مَجالا ، لخيرُ الشعرِ أشرفُه رِجالا .

---

(١) ذكر الشوكانى ، فى البدر الطالع ١/ ١٢٣ ـ ١٢٦ مبايعة الناس لجدهم الإمام المهدى أحمد بن يحيى ابن المرتضى الحسنى ، بعد موت الإمام الناصر ، سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة بصنعاء ، وما جرى بعد ذلك من الحروب ، وانصراف الامام المهدى عن هذا الأمر فى آخر عمره ، وتفرغه للتأليف حتى وافاه الأجل ، سنة أربعين وثمانمائة .

وكوكبان : جبل قرب صنعاء . معجم البلدان ٤/ ٣٢٧ .

(٢) فى ا ، ج : « فيهم » ، والمثبت فى : ب .

فمنهم :

٢٠٠

السيد عبد الله بن الإمام شرف الدين بن الإمام شمس الدين
المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المُرْتضَى*

من سادات هذه الأسرة ، المعقودة فضائلُهم أكاليلَ على الأسِرَّة .

عُرِف الكرَم في خِلْقته ، حين لَفَّتْه قابِلتُه في خِرْقته .

فهو باحَةُ نوالٍ ، مُباحة للسُّؤَّال ، وراحةُ جُود في كَدِّها [1] راحةَ المَنْجُود [2] .

مع فضلٍ ارْتدَى بضَافِي بُرْدِه ، وأدبٍ ارْتَوَى بصافي وِرْدِه .

* * *

وقد وافيْتُك [3] من شعره بما يَنْشرح به الصدر ، ويُعرِّفك أنه كصاحبِه عالِي القَدْر .

فمنه قوله [4] :

ناصيةُ الخيرِ في يد الأدبِ ... وسِرُّه في قرائحِ العربِ [5]

(*) السيد عبدالله بن شرف الدين بن شمس الدين أحمد بن يحيى بن المرتضى الحسني .
مولده سنة ثلاث عشرة وتسعمائة وقيل سنة ثماني عشرة وتسعمائة .
يقول عنه الشوكاني : « وله في الأدب يد طولى ، وشعره فائق منسجم ، جزل اللفظ ، رائق المعنى . . وبينه وبين ولده محمد . . مطارحات أدبية » .
وله مؤلفات ؛ منها : « كتاب تراجم افضلاء الزيدية » ، و « كسر الناموس » كتاب اعترض به على القاموس .
توفي سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ، وقبره بمدينة ثلا .
البدر الطالع ١/٣٨٣ ، ٣٨٤ .

(١) في ا : « كدرها » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٢) المنجود : المغموم أو الهالك .
(٣) في ا : « وافيت » ، والمثبت في : ب ، ج .
(٤) الأبيات في البدر الطالع ١/٣٨٣ .
(٥) في الأصول : « في قرائع الأدب » ، والتصويب عن البدر الطالع .

فاعكُفْ على النحوِ والبلاغةِ والآ   دابِ تَظْفَرْ بأرْفعِ الرُّتبِ
وتعرفِ القَصْدَ في الكتابِ وفي السُّ   نَّةِ من وَحْيِ خيْرِ كلِّ نَبِي
بِقَدْرِ عقْـــلِ الفتى تأدُّبُه   وصورةُ العقلِ صورةُ الأدبِ

***

وقوله [١] :

صَحا القلبُ عن سَلْمَى وما كادَ أن يصحُو   وبَان له في عَـذْلِ عاذلِه النُّصْحُ [٢]
ولا غَرْوَ في أن يَسْتبين رشادَه   وقد بَان في دَيْجورِ عارِضه الصُّبْحُ
شموسُ نهارٍ قد تجلَّتْ لناظرِي   وأضْحَتْ لليلِ الغَيِّ في خَلَدِي تمْحُو
إذا كان رأسُ المالِ من عمرِيَ انقضَى   ضَياعاً فأنَّى بعـــده يحصُل الرِّبْحُ
شبابٌ تقضَّى في شبابٍ وغِــرَّةٍ   وشيْخوخةٌ جاءتْ على إثْرِه تنحُو

***

ومن مَقاطيعه قوله [٣] :

سقَتْني رُضابَ الثَّغرِ من دُرِّ مَبْسَمٍ   برِقَّتِه واللهِ قد ملَكَتْ رِقِّي
ونحنُ بروضٍ قد جرى المــاء تحتَه   فساقيـــةٌ تجْرِي وجاريةٌ تَسْقِي

✡

(١) الأبيات في البدر الطالع ١/٣٨٣ .   (٢) في الأصول : «وبان له في العذل عاذله» ، والتصويب عن البدر الطالع .   (٣) البيتان في البدر الطالع ١/٣٨٤ .

٢٠١

ولده عز الإسلام محمد بن عبد الله بن شرف الدين*

هو فى كرَم العُنصر ، واحدُ الأزْمنة والأعْصُر .

إذا رام مَسْعاةً[1] أدْركَها قبل ارْتدادِ طَرْف ، وإن سامَ مَنْقَبةً ملكَها بغير إنْضاء ضامِرٍ وحَرْف[2] .

فماء الفصاحة لا يجْرى فى غير نادِيه ، ويَنابيعُه لا تتدفَّق إلَّا مِن أياديه .

كم حبَّر الطُّروس ففضَحت أزْهارَ الرِّياض ، وجلَتْ على الأبصار فلم تَرَ أحسنَ من ذلك السَّواد والبَياض .

دُرَرٌ تناثَرُ من بديعِ كلامِه ... مُسْتغرِقٌ جُمَــلَ المديحِ بوَصْفِهِ

لا تعجبُــوا من نَثْرِ أقلامٍ له ... دُرَراً وقد غاصتْ بلُجَّــةِ كَفِّهِ

* * *

وقد أثبتُّ من آثاره ما امْتزج بالبراعـة امْتزاجا ، وصار كلٌّ منهما لصاحبه غذاء ومِزاجا .

فمن ذلك ما كتبه[3] إلى والده[3] :

مطالَعَةُ المملوك طليعةُ بالِه ، ولسانُ حالِه ، وتَرْجُمان بَلْباله[4] .

(*) عز الاسلام محمد بن عبدالله بن شرف الدين الحسنى .

من أعيان ملوك كوكبان المشهورين بالفضل .

نشأ فى حجر الإمامة والخلافة ، وبذل أقصى جهده فى طلب العلم ، حتى فاق فيه .

وشعره فى غاية الرقة والانسجام ، وقد جمع « ديوان شعره » السيد عيسى بن لطف الله بن المطهر .

توفى سنة عشر بعد الألف ، وذكر الشوكانى أنه توفى سنة ست عشرة وألف .

البدر الطالع ٢/١٩٤ ـ ١٩٦ ، خلاصة الأثر ٤/٢٠ ـ ٢٤ .

(١) فى ب : « سعادة » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) الحرف : الناقة الضامرة .

(٣) فى ب : « لوالده » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) البلبال : الصدر أو وساوسه .

وحديث سِرِّه ، وبَيان خَبيئة صدرِه .

ومُظهِر غليل بُرَحائِه ، ومصدَر دخيل [1] دائِه .

عَبْرة أجرتْها عينُ جَفانِه ، في عِبارة لسانه ، وزَفْرة صعَّدتْها [2] لَوْعةُ أشجانه ، في إشارة بَنانِه .

مُهْجةٌ أهدتْها في أثناء سلامِه ، لِهَبّة أُوامِه ، وحُشاشةٌ أسالتْها نارُ غرامه ، في لسان أقْلامِه ،

هي نفسٌ أودَعْتها نفَس الشَّوْ ... قِ وقلبي تجْرِى به الأقْلامُ

وهي دمعٌ يفيضُ من لوعةِ البَيْـ ... ـنِ ومن أدْمُعِ المَشُوقِ كلامُ

بل هي رَجْعُ صَدًى أو وَسْواس الشوق والنُّزُوع ، ومجرَى الزَّفَرات المُردَّدَة [3] من وَهَجِ الضُّلوعِ .

بُرهان ما أَكَنَّ من الداءِ الدَّفِين ، وعُنوان ما أجَنَّ من كَلَف الفُؤاد الحزين ،

وهْي مرآةُ صفاتي إنَّمـا ... أتراءى لك في مِرْآتِها

وإذا ماشاهدتَهـا مُقْلة ... شاهدتْ نفساً على عِلاَّتِها

مرآةُ نفسٍ رقَّت وَجْداً وكآبة ، ولم تدعْ منها صَبابةُ الفِراق غيرَ صُبابة [4] .

فلو أنها عرَض لـكان جوًى في فؤاد مهجور ، أو لوعةً في ترائِب مصْدور .

ولو كان قلباً لثوَى في جوانح عاشق ، أو دمعاً لما جرَى إلَّا من محاجِر وامِق .

ولو أنه جِرْم لـكان ياقوتةَ راح ، أو جَوْهر لَما كان إلَّا من جواهر الأرْواح ،

رقَّ قلبِي ومَـدْمعِي ... من جَوَى البَيْن والنوَى

واستوَى قلبيَ المشو ... قُ وشِلْوِي من الجوَى [5]

---

(١) ساقط من : ب ، وهو ف : ا ، ج . (٢) في ا : « صعدها » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٣) في ا : « المردودة » ، وفي ج : « المرددات » ، والمثبت في : ب .

(٤) الصبابة : البقية . (٥) في ب : « وشاوى » ، وفي ج : « وسلوى » ، والمثبت في : ا .
والشلو : العضو .

أنا صَبٌّ على الصَّبـــا بةِ قلبي قد انْطوَى
ساهــرُ العيْن مُقْلتي تُوهِن الصَّبْرَ والقُوَى
لم يُشْقِني لِوَا الْعَقِيـ قِ ولا جِـيرةُ اللِّوَى
لا ولا غرَّنى الصَّبا بالحديثِ الذى رَوَى
ما شجانِي هوَى الغـزا لِ ولا البدرُ لى هوَى
ليس بى ذابِلُ القَوا مِ إذا مال واسْتوَى
لستُ أنْوِى هوَى المِلا حِ وللمـرءِ ما نوَى
إنمـا دائِيَ الذى قد تمـادَى فـلا دوَا
وغليـلِى الذى إذا بَـلَّه الماءُ ما ارْتوَى
من فِراقِ لـكَعْبةِ الْـ عِلْمِ والحِـلْمِ لا سِوَى
أرْوَعٌ يبهر الورَى حسَن السَّمْتِ والرُّوا
ألمعِيٌّ به يقـو مُ من الأمرِ ما الْتوَى
سيدٌ راح والفَخـا رُ على رأسِـه لِوَا
بدرُ عـلمٍ يلوح فى أُفْقِ حِلْمٍ فلا هَوَى
قلبُه طَوْدُ حـكمةٍ لا كمن قلبُه هوَى

ذاك شمسُ الفضـل المُسْتوِى على عرش الـكمال، وقمرُ الفخر السَّابح فى بحر[1] السُّؤدد والفِعال.

مركزُ السماحة والحماسة، وقُدْوة الملوك السَّاسة.

فتًى من طِينةِ المجدِ وما السؤددُ بالعَدِّ
جواهرُ مجدِه انْتظمتْ نظامَ جواهرِ العِقْـدِ

---

(١) فى الأصول: « نحر »، ولعل الصواب ما أثبتناه.

كريمٌ عَرْفُ رَيَّاه يفوح بنفحــةِ النَّدِّ
مَساعيــه مُشنَّفةٌ يواقيتٌ من المجدِ
فمن حَيِّي بعِشْرتِه غدا بالكوكب السَّعْدِ

ذِكْره أطيبُ من نفَس الحبيب ، ورُوحه أخَفُّ من تغيُّب الرقيب .
ومُفاكهتُه أشهى من رَشْف الثَّغْر الشَّنيب ، وأخلاقُه أوسعُ من الفِناء الرَّحيب .

رحيبُ فِناء الصدرِ ليس بِضَيِّقٍ ولا حرَجٌ لكنْ يُميد كما يُبْدِي
ففيه مَجالٌ للتَّواضُع والعُلَى وفيه نصيبٌ للفُكاهة والجِدِّ

نُورُ العِتْرة ونحرُها ، ومِلاكُ الأُمَّة وسِرُّها ، وسيِّد الأُسرة بأسْرِها ابنُ بَجْدتها ،وأبو عُذْرتها .
الطَّبُّ الأَبّ ، السَّرِيّ النَّدْب ، الواضِع الهِناء[1] مواضع النَّقْب[1] .
النَّدْس[2] المهذَّب ، الحُوَّل القُلَّب .
عُذَيقها المُرَجَّب[3] ، وحجرها المُأَوَّب[4] .
جَنَّة الدهر ، ودُرَّة تِقْصارة[5] الفخر .
الرُّحْلة[6] ، العلامة ، الشهير .
مصباح زَيْت النُّبُوَّة ، وسيد أرباب الفُتُوَّة .
حَسَبه صميم ، ونسَبه كريم .

---

(١) الهناء : القطران ، والنقب : الجرب ، ومن يضع الهناء مواضع النقب ، عارف بالأمور ، مسدد فيها.
(٢) الندس : الفهم . (٣) ترجيب النخلة : ضم أعذاقها إلى سعفاتها ، أو وضع الشوك حولها لئلا يصل إليها آكل . يعنى أنه ممتنع . (٤) فى ج : « المؤرب » ، والصواب فى : ا ، ب . والأوب : المدور ، والمقور الململم ، وهو مثل قوله السابق « عذيقها المرجب » .
(٥) التقصارة : القلادة . (٦) الرحلة ، بالضم : الذى يرتحل إليه . المصباح المنير (ر ح ل) .

وآباؤه أهِلّةُ المَحامد، وأقمار المَشاهد، وشجاً فؤاد الحاسد.

فهم المُجَلُّون فى حَلْبة العَلْيا، والفائزون بالفَذِّ والتَّوْأم من أزْلام الدِّين والدنيا، والمُحلِّقون فى فضاء العزّ غايةَ القُصْوَى.

قومٌ غَذَتْهم لِبانُ العزِّ والكرمِ	مَشُوبةً بسُهادِ الحُكْمِ والحِكَمِ
بِيضٌ بَهالِيلُ يُسْتسْقَى الغَمامُ بهمْ	فى المَحْلِ إن ضَنَّ يوما هاطلُ الدِّيَمِ
تَبوَّءوا بيتَ مجدٍ مَن يلُوذ به	فإنَّه من صُروفِ الدهر فى حَرَمِ
لا يدفعُ الخطْبُ يوماً بحرَ ساحتِه	ولا يمرُّ لديْه غيرَ مُبْتسِمِ
ولا يُدِيرُ إليه عينَ حادثةٍ	ولا يمدُّ عليه كفَّ مُهتضِمِ
أُسْدٌ إذا لَمعتْ فى جُنْح مُعترَكٍ	سيوفُها أمْطَرتْها من عَبيطِ دمِ (١)
مُدَرَّعون دِلاصاً من شجاعتِهم	مُقَلَّدون بأسْيافٍ من الهِمَمِ (٢)
قد أُلبِسوا فى دُروعِ الفخرِ أرْدِيةً	تُجيرُها كرمُ الأخلاقِ والشِّيَمِ
كادتْ تخِرُّ نُجومُ الأُفْقِ ساجدةً	لهم وقد طلَعوا من مشرقِ الكَرَمِ
يفُوح عَرْفُ المَعالى إن ذكرْتَهمُ	ويعْبَقُ الأُفْقُ مِسْكاً من حديثِ فَمِ

أولئك أُرُومة سيدِ الأسرة، وجُرْثومة سُرَّة السُّرَّة، من علماء العِتْرة.

غُرَّةُ أبناءِ البَطِين(٣)، وناظُورة(٤) أهل بيت الأمين، محيي الدين، المفضّل عبد الله بن أمير المؤمنين، شرف الدين، بن شمس الدين، بن أمير المؤمنين المهدى لدين الله، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

سلسلةٌ من ذهبٍ مَنُوطـــةٌ بالشُّهبِ

---

(١) فى ا: « سيوفها أمطرت »، والمثبت فى: ب، ج.
ودم عبيط: طرى خالص.

(٢) الدلاص: الدرع الملساء اللينة. (٣) البطين: بلدة ببلاد اليمن. القاموس (ب ط ن).

(٤) الناظور: سيد القوم المنظور إليه.

ونِسْبـــةٌ تردَّدتْ بين وَصِيٍّ ونَبِى
سبحانَ مَن قدَّسها عن سيِّئاتِ النسَبِ

لا برِح نسبُه تميمةً فى أجياد الحسَب ، ولا انفكَّ حسبه عِقداً فى لَبَّات[1] المَكارِم والأدب .

وأدبُه حِليةٌ لِعاطِل الأدب ، وجمالاً لشَرف الأسْماء والنَّسب .

ولا برِحت أرْدِيةُ العلياء مُحبَّرةً بمَساعِيه ، ورَيْطةُ الفضلِ مُعْلَمةً بأيادِيه ، وركابُ الفضائل والفواضِل معكوفةً بنادِيه .

ولا فتِئ عاكفاً تحت سُرادِق الكرَم ، واقفاً فى رُواقٍ من حُسْن الشمائل والشِّيَم تخفُق عليه أعلامُ العِلم ، وتُنشَر أمامه ألويةُ الحِلم .

ماطلَع نجمٌ فى بُرْجه ، وتجمَ طالِعٌ فى مَرْجِه .

دام فى روضةِ النعيمِ تغنِّيه على أيْكةِ الهنا أفراحُ
لا خَلا من هلالِه فَلَكُ المجْدِ ولا غاب نجمُه الوضَّاحُ
فلجِيدِ العَلْياء منه عقودٌ ولِعطْف الفخار منه وِشاحُ

فلا أصابتْه عينُ الكمال ، ولا سُلِب الدهرُ[2] بفَقْده ثوبَ الجمال .

ولا برِح كعبةً للجود ، وعِصْمةً للمَنْجُود ، ونُوراً يلُوح فى أبْناء الوجود .

أما بعد ؛

فإنها لما فاحَت نسماتُ الأشواق ، ودارت على كُئوسها دوْر الرِّفاق .

قدَّمتُ كتابى إلى الحضْرة ، يُنهِى إلى مولاى أن شوقى إلى مَرآهُ البهِىّ ، ومُحيَّاه السَّنِىّ ، شوقُ الغريب إلى الوطن ، والنازِح إلى السَّكَن .

---

(١) فى ا : « لبان » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٢) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

والمهجور إلى العِتاق ، والممنوع عن الكاس الدِّهاق[(١)] .

والصَّدْيان إلى الماء القَراح ، والحَيْران إلى تبلُّج الصباح .

ويحدِّثه أنى من بَيْنِه فقيدُ الجَلَد ، عميد الخَلَد ، جديدُ الكمَد ، بالى الصبرِ والجَدّ .

يهزُّنى إليه الأصيل ، ويُبْكينى مَباسمُ البرق الكليل ، ويشجُونى نَوْحُ الحمام على الهديل .

وأنّى لا أزال من فِراقه مُتلفِّعا بأبْراد الضَّنَى ، مُتعلِّقا بأذيال المُنَى ، لا يجمعُنى والسُّلْوان فِنَاً ، ولا يفرِّق بينى وبين الأسَف إلّا القُرْب واللِّقا .

ما بِدْعــــةٌ إن جرَّ حَيْنِى جَزَعِى وأجْرى المُقلتَيْنِ
أمسيْتُ فى الليـــلِ البهيـ ـم أعضُّ أطْرافَ اليديْنِ
طال النَّوَى والليـــلُ طا لَ وبِتُّ أرْعَى الفَرْقَدينِ
ولقد شجانِى ما شجا قلبى هَديلُ حمامتيْنِ
يتناوَحـــان فيُفْرِحا نِ جوانِحِى بالنَّغْمتيْنِ
ما ناحَتــــا إلّا ومِلْ تُ تمايُلَ الرُّمْحِ الرُّدَيْنِى
أبكَى بُكاؤُهما العيو نَ وما أسالَا عَيْنَ بَيْنِى[(٢)]
جَمـــدت عيونُهما فقُلْ تُ إليكُما عَبَراتِ عَيْنِى
وسمحْتُ بالدمــعِ الغزيـ ـرِ وبُحْتُ بالسرِّ المصونِ[(٣)]
لم يُبْكِنِى سَفْــحُ العُذَيْـ ـبِ ولا رُسومُ الرَّقْمتَيْنِ[(٤)]

---

(١) الدهاق : الممتلئة .

(٢) فى ا : « وما أسالا عين بين » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٣) كذا بالأصول .

(٤) تقدم ذكر العذيب . والرقمتان : قريتان بين البصرة والنباج . معجم البلدان ٢/ ٨٠١ .

لـكنْ فِراقُ مُهذَّب الْ أخلاقِ هَيْنِ الطبعِ لَـيْنِ
لِفراق عبـدِ الله هِمْ تُ تشوُّقاً وهمَتْ عُيونِي[١]

ولعَمْرى لولا عِلمى أن رأفةَ سيدى بولدِه ، وعَطفَه على بِضْعة جَسَده ، وفِلْذة كبده ، قد فضَل كلَّ برٍّ مألوف ، وأربَى على عَطْفِ كلِّ أبٍ عَطُوف .

لأرْخَيْت عِنان القلم فى ميادين الشـكْوَى ، ونشرتُ دفِينَ الألم الذى عليه قد أطْوِى .

لـكنّى زمَمْتُ جُناحَه ، وكسرتُ جَناحه، وحظرت[٢] عليه مَسرَحَه ومَراحَه .

فرَقاً أن[٣] تألَم نفسُ سيدى[٤] ومولاى ، وإشفاقا أن[٥] يلتَـاح[٦] قلبُه من حَرِّ ّاى .

وأمرتُه أن يرِدَ فِناء سيدى[٤] مسروراً فرِحا ، وأن يسحبَ ذيـلَه فى ساحته مرِحا .

وينشرَ طلاقةً وبِشْرا ، ويفترّ بمَبْسمِ خَرِيدة عَذْرا .

مُلْتثِماً للأرض بين يديْه ، قاضياً بعضَ ما يجبُ من الثَّناء عليه .

إذ ليس بمُمْكِنٍ أداء الثناء بوجهِه ، ولا بلوغُ غايتِه وكُنْهِه .

هيهات ، هيهات ، ذلك أعزُّ من بَيْض الأنُوق[٧] ، وأبعد من العَيُّوق[٨] ، والأبلَق العَقُوق[٩] .

---

(١) كذا بالأصول . (٢) فى الأصول : « وحضرت » ، ولعل الصواب ما أثبته .
(٣) بعد هذا فى ب زيادة : « لم » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .
(٥) ساقط من : ا ، وهو فى ب . (٦) فى ا : « يرد فاح » ، والمثبت فى ب .
والتاح : عطش .
(٧) الأنوق : الرخم الذكر ، وإنما البيضة من الأنثى ، والعرب تضرب المثل ببيض الأنوق فى الشئ الذى لا يوجد . ثمار القلوب ٤٩٤ . (٨) العيوق : نجم أحمر مضئ فى طرف المجرة ، يضرب به المثل فى البعد أيضا . (٩) الأبلق : الذكر ، والعقوق الحامل ، وطلبه طلب ما لا يمكن .
القاموس (ب ل ق) ، وانظر ثمار القلوب ٤٩٤ .

غيرَ أن الحياء من عظمة تلك العَقوة[1] ، والجلالَ لأبَّهة تلك الرَّبْوة .

قد كسرتْ من نشاطِه ، لمّا ضربه بسياطِه .

فلم يقدِم إلا مَدهوشا فشِلا ، مُنوِّصا[2] ناصيتَه خَجِلا[3] .

فها هو قد قدِم ذلك النَّدِيّ ، وهو أحْيَى[4] من هَدِيّ[5] .

ها قد أتى يسحبُ أذْيالَ الخجَــلْ

يبسُط كفًّا للرجاء والأمَــلْ

يسأل خـيرَ الناس طُرًّا عن كَمَلْ[6]

إسْبـالَ أذيالِ التَّغاضِي والـكَلَلْ

عمّا حوَتْ من خطأٍ ومن خَطَلْ

فليصرفْ سيدى عن ذنبه صَفْحا ، ويضربْ عن[7] تَبِعاته عَفْوا وصَفْحا .

فقد جاء مُتلفِّعا بالمَعاذِير ، معترِفا بالقصور لا بالتقْصير .

وسيدى أكرمُ شِنْشِنةَ[8] ، وأوْلَى من ستر سيِّئة ونشر حسَنة .

فلعلّ سيدى أن تُغمِض عيناه على قَذَى التَّغاضى ، ويلاحظَ بعَيْن مُحِبٍّ راضى .

فإن الرضَى عيونُه عن العيوب حسيره ، كما أن عيونَ[9] السُّخْط بالعيوب بَصِيرَة .

والـكريم من أقال عثَراتِ الـكِرام ، واللئيمُ على هَفوات المُقترِفين نِمام .

والإنسان إلى شاكِلته يجْمَح ، وكلُّ إناء بالذى فيه ينْضَح .

ما كريمٌ من لا يُقِيل عِثاراً لـكريمٍ ويستُر العَوْراء

---

(١) العقوة : الشجرة ، وما حول الدار ، والمحلة .

(٢) فى ب ، ج : « مصونا » ، والمثبت فى : ا ، ونوص ناصيته : حركها .

(٣) فى الأصول: «حجلا» ، ولعل الصواب ما أثبته . (٤) فى ج : « أحى » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) الهدى : العروس تهدى لزوجها . (٦) الـكمل : الـكامل .

(٧) فى ب : « من » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٨) الشنشنة : الطبيعة .

(٩) فى ب ، ج : « عين » ، والمثبت فى : ا .

إنمـا الحرُّ من يجرُّ على الزَّلا ت ذيلاً منـه ويغضى حياء

وأنا أسألُ الله أن يجمعَ الشَّمـل عن كثَب ، ويبلّغنـا أقصى الأُمنيَّة وقُصارَى الأرَب .

وأن يُهدِيَ إلى حضرة [1] سيدى سلاما لذيذَ الوُرود ، رقيقَ البُرود ، ألطفَ من ورد الخدود ، وأحسنَ من رُمّان النُّهود .

وأعْذبَ من ماء البارِق ، وأرَقَّ من فؤاد العاشِق .

وأوْضَا من نَوْر غَيْضة ، وأبْهَى من بَيْضةٍ فى رَوضة .

وأبْهَج من خريدةٍ مُشنَّفة ، فى حِبَرات مُفوَّفة .

وأنضرَ من الدُّهْم المنوفة ، والنَّمارِق المُزَخْرفة .

وأحْلَى من رَشْف الثغور ، [2] وأسْنَى من الدُّرَر فى نُحور الحور [2] .

سلامٌ لو تصوَّر لـكان مِسْـكا نافِحاً ، ونوراً لائحاً .

ولو كان نُوراً لـكان إيماناً فى قلوب الصالحين ، وبَقِينا فى سرائرِ القوم المُفْلحين .

سلامٌ له لَذَّةُ الوارداتِ يرِدْنَ على المؤمِن المُحسِنِ
فلَو لاح كان سَناً يسْتكِنُّ القلوبَ ويعلُو على الأعْيُنِ
ولو كان نُوراً لـكان اليقيـ نَ فى سِرِّ كلِّ فتًى مُوقِنِ

سلامٌ يفُوح من مَقْعَد صِدْقٍ قُدْسِى ، ويلُوح من فوقه عَرْشُ كُرسِى .

تهبط به السكينة ، بأسْرارِه المَصُونة .

وتُنزِّل به الملائـكةُ والرُّوح ، إلى تلك الرَّبَوات والسُّوح .

---

(١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٢) فى ا : « وأنى من درر فى بحور الحور » ، وفى ب : « وأسنى من درر فى بحور الحور » ، والمثبت فى : ج .

وتعتنى بتلك النفس التى سمَتْ على النفوس [١] ، بتقديرٍ من الملك القُدُّوس .
ويُحَيّي بها عن الحىّ القيُّوم ، بختام الرَّحيق المختوم .
ورحمةُ الله سبحانه ، تشفع رُوحه وريحانه .
وليعلمْ سيدى أنى قد أعفيتُ فواصلَها ، وعرّيْتُ فِقرها عن تفصيلها .
بشِعْر ليس من قريحتى ، وبنات فِكْرتى .
وذلك أسْتَرُ لثنائها ، وأخْفَى لذمائها [٢] .
فعسانى لو أودعتُها نتائجَ قرائح البُلغا ، وأفكارَ الفُصحا .
وسَوائحَ رَوِيَّاتهم ، وشواردَ بَداهتهم .
لأكونَ كمَن نصَب مناراً على عَيْبها ، وأقام دليلاً على بَهْرجها وزيفها .
أو كمن قلَّد شَوْهاء بعُقود الدُّرّ المَصُون ، ووشَّحها بأوْشِحة الإبْرِيز المُفصَّل باللُّؤلُؤ المكْنون .
وألبسها أرْجُوانيّات الإبْرِيسَم [٣] ، وحِبَرات الوَشْى المُعْلَم .
وأكون كمَن نظَم حَصاةً إلى شَذْرة ، وأضاف فَحْمةً إلى دُرَّة .
ومن المعلوم أن الطبعَ للتطبُّع يقْهر ، وأن فضلَ الضِّدِّ عند ضِدِّه يظهر .
وخَسِر مَن بَدَّل دينارَ غيره بفَلْسِه ، والإنسانُ له بصيرةٌ على نفسه .
أوضحتُ ذلك لمولاى كى ينسب عند افتقادها إلى سواى بَهْرَجها وزَيْفَها ، أو يعزُوَ إلى غيرى خَطَلَها وحَيْفَها .

فالسَّفيه جِدُّ السَّفيه ، من يرمِى بريئاً بعيبٍ هو فيه .
والأملُ طامح ، أن يحملَها سيدى على كاهل التَّسامُح ، ويُقلَّها على خطوات

---

(١) فى ا : « النفس » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٢) الذماء : البقية من الشىء .
(٣) الإبريسم : الحرير .

التَّغاضِي ، ويمْشِي بها فى جادَّة التَّجاوُز ، ويسلكَ بها سبيلَ التَّصفُّح [1] عما تضمَّنتْه من العيوب .

فسيدى قُدوةُ أرباب العفو ، وإمامُ أهل التَّجاوُز ، وقِبْلة ذوِى السماح ودليلُ أُلِى الفضل للفضل .

بعد السلام . وهو فى كنَف رعايةِ الله ، وفِناء حِياطتِه ، وظِلالِ حفظه .

* * *

فأجابه والده بكتاب ، صدَّره بهذه الأبيات :

رجوعُ شبابٍ أو وُرودُ كتابِ ... أزالَا خُطوباً للنَّوى بخطابِ [2]

وأبْدَلَ ذِهنِى قُوَّةً وأعادَ لى ... وقد كنتُ شيخاً عُنْفُوانَ شبابِى

صدورٌ بها شَرْحُ الصدورِ وجدْتُها ... طَلاسِمَ قد جاءتْ بكلِّ عُجابِ

تعلَّقْتُها عنـد الكروبِ تَميمةً ... لتفريجِ همٍّ أو لنَيْـلِ طِلابِ

وماذاكَ نَفْثُ السحرِ إذْ هو باطلٌ ... وهـذِى أتتْ مَلْأَى بكلِّ صوابِ

فأنَّى تُرى لى فى الإجابةِ مَسْلَكاً ... يُناسِبهـا إن رُمْتُ رَدَّ جوابِ

فبَسْطاً لعُذْرِى أيهـا الولدُ الذى ... بخفضِ جَنابِى عنـه رَفْع جَنابِى [3]

روضةُ بلاغة أنِيقة ، وحديقةُ فصاحةٍ غَدِيقة .

رشَفتْ سماءَ المعالى أرضُ ألفاظِها فزَكا نباتُها ، وهَبّتْها لواقحُ البيان ، فنُتِجتْ فى أحسنِ الصُّورِ أبْناؤُها وبَنَاتُها .

وتبختَر فيها بديعُ زُخْرُفِ أنْوارِه ، فاهتزَّتْ وربَتْ بزاهِي زَوَاهِرِ مَكْنوناتِ أسْرارِه

فأوراقُها من أوراق الجنَّة ، وأزهارُها ضاحكةٌ مُفْتَرَّةٌ مُفْتَنَّة .

تفترُّ عن كل ثغرٍ بديع ، وكلٌّ فصولها دائمةُ الفواكِه دانيةُ القُطوف فـكل فصلٍ منها ربيع .

---

(١) فى ا : «الصفح» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ب ، ج : «للنوى بخطاب» ، والمثبت فى : ا .

(٣) فى ب : « عند رفع جنابه » ، وفى : ا ، ج : « عند رفع جنابى » ، ولعل الصواب ما أثبته .

يتبارَى فرسانُ نفائس المعانى على مُضْمَرات مَراكِيب مَراكبِها مَن يكون المُجَلِّى والسابِق ، ويتنافس مَنظومُها والمنثورُ فى السَّبْق إلى مابين العُذَيب وبارِق ، فكلها مُجَلِّ [١] هناك لا مُصَلٍّ ولا لاحِق .

فِقَرٌ تبالغَتْ [٢] فى البلاغة إلى أن غدَت الفرائدُ فى أساليبِها خَوارِق ، مُوشَّحة بسُموط نَظْم لها من نفسها مَعْبَد ومُخارِق [٣] .

فرائضُ لم تَرْضَ هِمَّةُ مُنْشِئِها بين أبْكارِها إلّا ماهو مُبتَكَرها ، وأبتْ قَرِيحةُ التَّزْيين بعَوادى العوادِى فما حَلا لذَوْقه مُكرَّرها .

فبَرزت للجَنان جِنان ، حُورُها عِينٌ لم يطْمِثْهُنّ إنسٌ قبلهم ولا جانّ .

فلا ينفكُّ المُتنعِّم بها فى كل آن ، هو فى شأن ، حتى ينتهى منها إلى مالا عينٌ رأتْ ولا أذُن سمعتْ ولا خطَر على الأذْهان .

ولِمَ لا تكون كذلك ؟ ومُنْشِئها ذو اليد البيضاء فى مُعجزات البلاغة ، الذى آنَسَ من جانب الطُّور نارًا ، والضاربُ بقلمه بحرَها فانفلَق فلم يقبل الدُّرَّ إلّا كِبارا .

فلذلك رجَع وهو من نَفْثةِ سِحْرِها الكريم الكَلِيم ، فأصبح وعصا حُجَّتِه تلْقَف ماصنَع كلُّ سَحّار عليم .

حتى ألْقَى سحرَتُها سُجَّداً مؤمنين برَبِّ حديثِها القديم ، قد رأَوْا من آياتِه عجَباً من أسْرار كهفِه والرَّقيم .

لا بل هو قاموسُ البلاغة خاتِمهم الأحمد المُحمَّد ، كيف لا يكون كذلك ؟ وهو من العِتْرة الطاهرة المُحمَّديَّة ابنُ عبد الله محمد .

---

(١) فى ج : « محل » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ب : « فقر بتالف » ، وفى ا : « فقر تألفت فقر تبالغت » ، والمثبت فى : ج . (٣) تقدم ذكر معبد ، أما مخارق ، فهو مخارق بن يحيى الجزار ، من أحسن المغنين فى الدولة العباسية ، كان الرشيد يطرب له ويجزل عطاءه ، وكذلك المأمون ، توفى سنة إحدى وثلاثين ومائتين .
الأغانى ٣/٧١ ، ٧٢ ، النجوم الزاهرة ٢/٢٦٠ .

فعليه من السلام ، أسْنَى سلامِ السلام .

ومن[1] الإكرام ، إكْرامُ ذى الجلال والإكرام .

ومن التحيّات أحْيي تحيّات الحيِّ القيُّوم ، ومن الرحمة رحمةُ الرحمن الرحيم المُدّخَرة لذلك اليوم المَعْلوم .

ومن البَرَكات أنْمَى بَركات وأدْومُها وأزكاها ، وأطيبُ الطّيِّبات وأذْكاها .

وبعد :

فإن الوَلَد الفَذَّ البَذّ ، المُتخلِّق من أطْيب الخلال بما طاب وعذُب ولذَّ .

نوَّر مصابيحَ زُجاجاتِ القلوب ، وروّح الأرواح ، وهزَّ مَعاطِف الأعْطاف ، ورنّح أغصانَ الأشْباح ، وسرَّ سرائِر أسْرار نَفِيس الأنفُس بِرَوْح رَيْحان الارْتياح .

وشرَح صُدورَ[2] الصدور ، بنفائسِ عرائسِ حُور تلك المعانى المَقْصُورات من الإعجاز فى[3] القُصور .

التى اقْتعدت مَقاعدَ الصِّدق من سطور تلك الصدور ، التى كلُّ مواضع مُفرَداتها ومُركَّباتها من المنظوم والمنْثور .

بِمِلاك مغانيها العزيزة ، فى مَقاعد أعجاز العزيزة كلّها صُدور .

فهى سماواتُ فضل دارتْ أفلاكُ نحْرها بدرارِى أنوارِ فصلِ الخطاب ، وأرْدانُ مَنِيع رفيع قيِّمُها بمصباح السّليقة العربية التى اخْتارها اللهُ لأفضل نَبِيّ وأجلِّ كتاب .

فلا برِحت قريحتُه السَّمْحة السليمة عُذَيْبَ بارِق نَضّاح ينابيع الأدب ، ولا انفكّت بِحُلّته حُسْنَ رِداءِ[4] لَواحِق[5] آداب مَن تأدّب .

---

(١) فى ا : « وهو من » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٤) فى ا : « روا » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) فى ب : « الوامق » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ذلك أنها أخذت بجميع مجامع أحاسنِ أجْناس القَول وفُصولِه ،ولم تدعْ نوعاً من إحسانِ الإحسان إلّا وأحاطتْ بذاتيّه وعرَضيّه مَقْطوعِه ومَوصُولِه .

ولا غادرتْ بَهيجَ زُخْرُف بديعٍ ، إلّا وسحبَتْ فواضِلَ حِبَرِ حُسْنِه فى مَيادين إيجاز الإعجاز وتطْويله .

مُحيطةً بفُنون الافْتِنان فلذلك انتظمتْ فى أساليب الحُسْن، كلّ فنٍّ مُفْعمة[1] بلطيف الإدْماج[2] المُشِيد بلطيف طريقهِ إلى اسْتيعاب كلّ معنًى حسَن .

لم تترك طريقاً من البلاغة إلّا طرَقتْه ، ولامعنًى ذا أسلوبٍ من البلاغة إلاّ خرَقتْه .

فلم تدَعْ لمتكلّمٍ فى قَوْس المعانى مِنزَعا ، ولا أبْقتْ لِمنْطيقٍ[3] من مواقع الإحسان موقِعا .

فبماذا يجئُ مَن حاول الجوابَ للقَول الجامع،وقد أخذ من جميع طُرق المحاسِن بالجامع.

إلّا عسى[4] بالإعادة تملّى ما حَوتْه من اللفظ والمعنى ، والقنوع[5] بهنات السَّرقات ومَن ذا بالسرقات اسْتغنَى .

ولو شاء مُوَشّيها لترَكَ للإجابة طريقةً، ووسّع بمخاطبته فى الإشْفاء لمطارحته طَريقَه .

فكم أرَدْتُ ذلك فتبيَّن بُعد المُناسبة بين بيانِه وبَيانِى ، وكنتُ كلّما حاولتُ ذلك يضِيق صدرى ولا ينطلِق لِسانى .

فلم أرَ فى شَرْح البلاغة مُجيزا ، إلّا أن أقابِل بجَديد فكْرى من ذِهن مُنشِئها ذهباً إبْرِيزا .

لكنّ لُزوم[6] الإجابة ، أوْجَبها مع الإصابة وغيرِ الإصابة .

فلو اسْتوى الابْتداء والجوابُ فى حُسْن المخاطبة ، وأن لا يتفاوَتا فى كَمال المُناسبة .

---

(١) فى ا ، ب : «منعمة» ، والمثبت فى : ج . (٢) فى ب : «الادباج» ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ا : « لمنطق » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ب : « عي » ، والمثبت فى : ا ، ج.

(٥) فى ا : «والتنوع» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) فى ا : «وجوب» ، والمثبت فى : ب ، ج .

سُمِّىَ رجعُ صَدًى جواباً ولا عُدَّت حَرَكاتُ الجواب وغَمزاتُ العُيون بين الأحباب خِطاباً .

لكنَّ ذلك عجزٌ ملأ حوضَ سِرِّى سرورًا حتى قال قَطْنِى[1] ، فلم أفْرَع على مافاتنى من الإحسان سِنِّى .

إذا كان فخرًا مِمَّن يقول أنت[2] شَجَرِى ، وأقول له أنت ثَمَرِى .

فغيرُ بديعٍ أن تفضُل الثَّمرةُ الشجرةَ .

فليجْعلِ الولدُ أكثَر منه بِرَّه أن يعذِر فى الإساءةِ أباه ، فضْلاً عن الإحسان فإنَّه أباه[3] .

ولكنه أعاد الفرحُ به شبابَ السرور ، وشَبَّ[4] نارَ الحياةِ فى القلب[5] فشبَّت[6] فى شَبَحِ[7] الرُّوح والحُبور .

فلا برِحت عِزَّتُك[8] فى العلوم النُّون ، ولسانُك فى البيان القَلَم ، وصدرُك اللَّوحَ وما يسطُرون .

والله سبحانه أسأل أن يجعلَك مِمَّن هو على خُلُق عظيم ، وأجرٍ غيرِ مَمْنُون .

وألَّا يقطعَ عنَّا وعنك المُرغِّبات بمعقِّبات رعايتِه ، إنه حميدٌ مَجِيد ، صَبُور رَشِيد .

وسلامٌ على المرسلين ، وعلينا وعليك وعلى من لَدَيْك .

وقد سَرَّ أباك ما حقَّقتَ فى كتابك الأخير ، مما أنعم الله به عليك وعلى الوالد[9]

---

(١) قطنى : حسبى . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٣) لعله من الفعل : « أبى » ، أو أنه من الأسماء الخمسة ، ونصبه ليتم له كمال التسجيع .

(٤) فى ب : « وبث » ، والمثبت فى : ا ، ج (٥) فى ا : « القلوب » ، والمثبت فى : ب ، ج

(٦) فى ب : « فنبت » ، والمثبت فى : ا ، ج (٧) فى ج : « سبح » ، والمثبت فى : ا ، ب

(٨) فى ا : « عزتك » ، والمثبت فى : ب ، ج (٩) فى ج : « الوليد » ، والمثبت فى : ا ، ب

العَلَّامة لُقْمان بن أحمد ، من خَتْم ذلك الكتاب النَّبيل ، الكاشفِ لخرائدِ نُكَت القرآن وبَيان[1] بيانِ[2] التَّنْزيل ، والتَّلذُّذ بعرائس بدائع دَقيقه والجَليل .

فلْيَهْنِكم تلك النِّعَم الكاملة ، ونسألُه أن يُدِيم لكم ما خوّلكم من تلك الفواضِل الفاضلة .

والسلام .

***

ومن شعر صاحب الترجمة ، قوله فى قصيدة ، مستهلها[3] :

يا راقدَ الليلِ لم يشعُرْ بمَن سهِرا ... أسْهرْتَ عيني فعيْني لا تذُوق كَرَى

تنامُ عنِّي وأجْفانى مُؤرَّقةٌ ... عَبْراء ما مَرّها نومٌ ولا عَبرَا

سلبْتَ عقلى وأوْدعْتَ الهوى كبدِي ... يا مُنْيتِي وملكتَ السمعَ والبصرَا

فأنْثني واضعاً كفًّا على كبدٍ ... حرّى وكفًّا يكفُّ الدمعَ حين جرَى

يُدْنِي لىَ الوهمُ غُصناً منك أعشقُه ... حتى أكادُ أناجِيه إذا خطرَا[4]

وأرفع الكفَّ أشكُو ما أكابِدُه ... أقولُ أنت بحالِي يا عليمُ ترَى

أدعو إذا جَنَّنِي ليلٌ ولى مُقَلٌ ... تفِيضُ دمعاً وقلبٌ ذابَ واسْتعرَا

لا وَاخَذ اللهُ مَن أهوَى بجفْوتِهِ ... ولا مَلَا مثلَ قلبي قلبَه شرَرَا

ولا تَناهُ الهوى وَجْداً ولا اكْتحلتْ ... عَيْناه مثلَ عُيونى فى الدُّجَى سهرَا

رَقَّ النَّسيمُ لتَبْرِيح الصَّبابة لى ... لمَّا انْثنَى ذيلُه من أدْمُعِي خَضِرَا

والبرقُ شقَّ جُيوبَ السُّحْب عن كبِدِي ... والرعدُ حَنَّ وأبكَى دمعِيَ المطرَا

يا صاحبِي إن لى سِرًّا أكاتِمُه ... أخْفيْتُه من نسيمِ الرِّيح حين سرَى

(١) فى ب : « والبيان » ، والمثبت فى : ا ، ج

(٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب

(٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٤/٢١ ، ٢٢

(٤) فى ا : « أكاد أناديه » والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

إن كنتَ تضمنُ لى ألّا تبوحَ به ... سمعتَ مِن سرِّىَ المكنونِ ما استترا[(١)]

شُوَيْدِنُ الحِلَّةِ الفَيْحاءِ أرْشَقَنى ... من لحظهِ بسهامٍ رَاشَها وبرَا[(٢)]

رَمانِيَ الرَّمْيةَ الأُولَى فقلتُ بلا ... عَمْدٍ رَمانِي فأصْمانى وما شعرَا

وحين فوَّق لى سَهْمَيْه ثانيةً ... بكيْتُ نفسِيَ واستبْكيتُ مَن حضرَا

***

هذا من قول مِهْيار[(٣)] :

رمَى الرَّمْيَة الأُولَى فقلتُ مُجرِّبٌ ... وكرَّرها أخرى فأحسستُ بالشرِّ[(٤)]

***

بكيتُ نفسى لعِلْمى أن مُقْلتَه ... لا بُدَّ تقتُلنى ظُلْماً وسوف ترَى

مُمَنَّعُ الوصلِ لا يُرْجَى تواصُلُه ... لو زَاره الصَّبُّ فى طَيْفٍ لما صَدَرَا

لا تَستطيع صَبا نَجْدٍ إذا خطرتْ ... تُهدِى إلى الصَّبِّ من أكْنافِه خبَرا[(٥)]

رَبيبُ مُلْكٍ كأنَّ اللهَ صوَّره ... ملَكاً وخيَّره بين الورى الصُّوَرَا[(٦)]

مُهَفْهَفُ القدِّ لا يُطفِى لَظَى كبدِى ... إلَّا ارْتشافى لَماه الباردَ العطِرَا[(٧)]

أغنُّ يكسِر جَفْنَيْه على حَوَرٍ ... يُذيبُ نفسِى ونفسى تعشقُ الحَوَرَا

بدرٌ على غُصنِ بانٍ فى مَحبّتهِ ... أكاد أعشق غُصْنَ البانِ والقمرَا

أُقبِّل الدُّرَّ من عِشْقِى لِمَبْسِمِه ... لمَّا رأيتُ ثنايا ثَغْرِه دُرَرَا

وأدْنِى البانةَ الغَنَّا إلى كبدِى ... لمَّا حكتْ قدَّه الميَّالَ إذْ خطَرَا[(٨)]

---

(١) فى ب : « أن لا أبوح به » والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٢) فى خلاصة الأثر : « غزيل الحلة » . (٣) ديوانه ٤/٧٥ ، وخلاصة الأثر ٤/٢١ .

(٤) فى الديوان : « رمى اللحظة الأولى » .

(٥) فى ا : « تهدى من الصبر الكنانة الخبرا » ، والصواب فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٦) فى ب : « بين الورى صورا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (٧) فى الأصول : « إلا ارتشاف » ، والصواب فى خلاصة الأثر . (٨) فى خلاصة الأثر : « أقرب البانة » .

عليه كلُّ هـــلالٍ ينحني أسفاً ... وكلُّ بدرٍ حيَاً من وجهـــه استترا

والنَّرجسُ الغضُّ غضَّ الطَّرف حين رنَا ... واحمرَّ وردُ الرُّبَى من خدِّه خفرَا[1]

ذكرْته حين فاحتْ لى مُعنْبرة ... ريحُ الصَّبا وسرَى لى سِرُّها سَحرَا

يا أيُّهـــا القمرُ السَّارِى إذا خطَرتْ ... إليك عَيْناه واستحْلَى بك السَّمرَا

أبلِغْه يا بدرُ قُل مُضناك أوْدَعنِي ... أهدِى إليك سلاماً طَيِّباً عطِرَا[2]

يُمْسِي سَمِيرِى ويبــكى من صَبابتِهِ ... شوقاً إليك ويرْعَى الأنجُمَ الزُّهرَا

عسى أخـــوك إذا أخبرتَه خبَرِى ... يرْثِى لحالِى فحالى شَجْوُ مَن نظرَا

***

وقوله[3] :

يا طلعةَ البدرِ فى دَيْجـورِ أغلاسِ ... ويا هلالاً على غُصْنٍ من الآسِ[4]

يا من كتمتُ الهوى صوْناً له فإذا ... فَاهُوا بذكْرِ اسْمِه غالطتُ جُلَّاسِي

يا مَن إذا ضُرِبت فى حُبِّه عُنُقِى ... ما مالَ إلَّا إليه مُسرِعاً رَاسِى[5]

يا مُنْية القلبِ ما عنِّى أتاك فقد ... أوْحَشْتنِى يا حبيبِى بعــد إيناسِ

فقد أتانى حـديثٌ منك أدَّبنِى ... وزاد واللهِ فى وَهْمِى ووَسْواسِى[6]

أذاب نفسِيَ ممَّا جاء منـــك فلو ... لا أدمُعِى أحرقتْنى نارُ أنفاسى

وحين عاينْتُ صبْرِى عنك مُمتنِعاً ... وبِتُّ أضربُ أخماساً بأسْــداسِ

كتبتُ والدمعُ يمحُو ما تخُطُّ يدى ... حتى بكتْ لىَ أقلامِى وقِرطاسِى

---

(١) فى خلاصة الأثر : « من خده خضرا » . (٢) فى ا : « بلغه يا بدر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٤/٢٣ (٤) فى الأصول : « ياهلال » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٥) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٦) فى خلاصة الأثر :

فقد أتانى حديثٌ منك آربنى ... وزَادَ واللهِ من همِّى وَوَسْوَاسى

فاعطِفْ على مُسْتهامٍ عاشقٍ دَنِفٍ ... بين الرجاء لطَيْفٍ منك والْيأسِ

ماذا الصـدودُ الذى ما كنتُ آلَفُهُ ... متى يلين لما بى قلبُـــك القاسِى

لو أنَّ لى ساعةً أشـكو إليك بها ... حالى وقد نام حُسَّادِى وحُرَّاسِى[1]

مالى أُمَلِّك نفسِى مَن يُعذِّبها ... بالصَّدِّ عنِّى ومالى أذكُرُ النَّاسِى

يا ناسُ هل لى مُجيرٌ من هوَى رَشأٍ ... مُهَفْهفٍ كقَضِيب الْبانِ مَيَّاسِ

أذاب قلبِى وسَلَّ النومَ عن مُقَلِى ... بفاتنٍ فاتِرِ الأجْفــانِ نعَّاسِ

مَن لى بزَوْرَتِه جُنْحَ الظلامِ وقد ... غاب الرَّقيبُ ونامَتْ أعيُنُ الناسِ

أُمسِى أُعانِقُهُ ضَمًّا إلى كبدِى ... ما فى العِناق وما فى الضَّمِّ من باسِ

وأَنْثنى عند رَشْفِى خمْرَ مَبْسَمِه ... سُكْراً وأسكَر من ماريقةِ الكاسِ[2]

عسى الذى قد قضَى بالحُبِّ يجمعنا ... يا طَلْعة البدرِ فى دَيْجورِ أغْلاسِ[3]

***

وقوله[4] :

أفدِى التى بِتُّ أبُلُّ الجـوَى ... من رِيقها باللَّـثْمِ والمَصِّ

قالوا لهــا لمَّا رأَوْا خدَّها ... وفيــه أثرُ العَضِّ والقرْصِ

ماذا بخَدَّيْك فقالتْ لهم ... نِمْتُ ولم أشعُر على خِرْصِى[5]

يا حُسْنَ خَدَّيْهــا وعَضِّى على ... ناعِمِ كَفٍّ تَرِفٍ رَخْصِ[6]

---

(١) فى الخلاصة : « أشكو عليك بها » . وعجز هذا البيت وصدر الذى يليه ساقطان من : ب ، وهما فى : ا ، ج ، والخلاصة . (٢) فى الخلاصة : « شكرا وأسكر » ، وفى الأصول : « من ماريقه الكاس » ، وفى الخلاصة : « من ماريقه الـكاسى » ، ولعل الصواب ما أثبته ، يعنى من ماء ريقة الـكاس .

(٣) فى ب : « فى ديجور أغلاسى » ، والمثبت فى ا ، ج ، والخلاصة .

(٤) الأبيات فى البدر الطالع ٢/١٩٤ . (٥) فى ا ، والبدر الطالع : « على خرس » ، وفى ج : « على ضرسى » والمثبت فى : ب ، والخرص : الحلقة من الذهب أو الفضة . (٦) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، والبدر الطالع .

كَفَصٍّ ياقـــوتٍ على دُرَّةٍ آهٍ على الدُّرَّةِ والفَصِّ

***

وكتب إلى ولد عمه عز الدين محمد بن شمس الدين بن شرف الدين ، يعاتبه لـكلامٍ بلَغـــه عنه :

أعاتبُـــه وهْو المليكُ المكرَّمُ وقبل افْتتاحى للعِتاب أُســـلِّمُ

ســـلامٌ على أخلاقِك الغُرِّ كلَّما تألَّق عُـــلْوِىُّ السَّنَا المُتبسِّمُ

سلامٌ كزَهْر الروضِ صافحه الصَّبا وراح برَيَّا نَشْرِه يتنسَّمُ

كماءِ الصَّبا يجْرِى بخَدِّ خَرِيدةٍ فيزْهو بهـــا وردُ الخدودِ المُنعَّمُ

سلامٌ كأنْفاسِ الحبيب اعتنَقْتُه ففـــاح به ثَغرٌ شَهِىٌّ ومَبْسَمُ

على حَضْرة المَلْك الأَعزِّ الذى له على صَهواتِ النجْمِ خِيمٌ مُخيِّمُ(١)

له شرَفٌ يهوَى الدَّرارِى لوَانَّها له شرَفٌ والشَّأْوُ أعلَى وأعظمُ

وبيتُ عُلًا فيه زُرارةُ ما احْتَبَى ولا نَهْشَلٌ فيه شَمُوخٌ مُعجَّمُ(٢)

ولـكنه بُنْيان مجـــدٍ يشِيدُه إمامٌ مُحِقٌّ أو مَلِيكٌ مُعظَّمُ

قواعدُ مجـــدٍ للفَخار قديمةٌ تأخَّر عن أدْنَى مَداها المُقدَّمُ

ليحْيَى أميرِ المؤمنين أساسُهـــا وفيها لشمسِ الدين مَثْوًى ومَلْزَمُ

وقَفَّاهما فى رَفْعِ بيتٍ عُلاها فتًى وصفُه فى المَعْلوات له سَمٌ(٣)

مَلِيكٌ له تعنُو المـــلوكُ مَهابةً فيَقْضِى عليهم ما يشاه ويحـــكُمُ

***

(١) فى ج : « الملك الأغر » ، والمثبت فى : ا ، ب . وفى ا : « على صهوات النجم حتم محتم » ، والمثبت فى : ب ، ج .
والخيم : الأصل .

(٢) فى ج : « زرارة ما اجتنى » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) السم : لغة فى الاسم ، والعلامة . القاموس (س م ا) .

منها :

صَبا قلبُه بالمجدِ والمجــــدُ دُمْيَةٌ   وما مهرُها إلّا بمُعْتَرَكٍ دمُ
ومَن عَشِق العَلْياء شاق فُؤادَه   حسامٌ وخَطِّىٌّ وطِرْفٌ يُحَمْحِمُ

منها :

أمولاىَ ياخــيرَ الأنامِ نداءَ مَن   مَــــودَّته ماعاش لا تتصرَّمُ
نداءَ أخٍ مازال يَسْــدِى لسانُه   عليك ثناءً كالمبيــدِ ويُلْحِمُ (١)
ثناءً يُعير الروضَ وهْو مُفوَّفٌ   ويَخْجل منــه الدُّرُّ وهْو مُنظَّمُ
ويفتَرُّ عن زهرِ الفَرادِيس زهرُها   وباكَرها دمعٌ من المُزْنِ مُنجِمُ (٢)
كأجْنحــةِ الطاوُوسِ حُسْناً وبَهْجةً   يدُلُّ له روضُ الربيعِ المُنمْنَمُ
ثناءَ فتًى شاقتْــه منك شمائلٌ   حلَتْ فيــه شُهْداً ثمّلتْ فهى عَنْدَمُ
وطابتْ ففاحتْ عَنْبراً وتنفَّستْ   عَبيراً فكادتْ فى الوجوهِ تَنَسَّمُ
فما بالُها فى وجهِ وُدِّىَ قَطَّبتْ   وكاد مُحيًّا بِشْرِهـــا يتجهَّمُ
وفيما أتانى عنك قلبِى بسيْفِــه   كَليمٌ وبعضُ القولِ كالسيفِ يَكْلِمُ
تبِيتُ له فى القلبِ مِــنِّى قوارِصٌ   تُؤرِّقنى والنــاسُ حَــولِىَ نُوَّمُ
يهيمُ ببحْرِ الفكرِ منذ سمعتُــه   فؤادى إذا السُّمَّار نامُوا وهَوَّمُوا (٣)
أقول أخى قد أصبح اليومَ واجِــداً   ووَجْد أخى يُشْجِى فؤادى ويُؤلِمُ (٤)
وكيف يظُنُّ السوءَ فىَّ لِنَيْربٍ   نَماها إليــه شيخُ سَوْءٍ مُذمَّمُ (٥)
وماذا الذى إن كان حقًّا كلامُه   سيخــويه كفِّى ساءَ مايتوهَّمُ
فتبَّتْ يَداه كيف يعزُو إلىَّ فى   مَقامِك أمْراً ليس لى فيه مُلْزِمُ
وبعضُ مُعــاداةِ المُعادِين غِبْطةٌ   بَلَى عِلّةٌ يَنْحَى عليهــا فتُحْسَمُ (٦)

---

(١) سدى الثوب : أقام سداه . وألحم الثوب : نسجه .   (٢) أنجم : ظهر وطلع .
(٣) هوم : هز رأسه للنعاس أو نام قليلا .   (٤) فى ا : «يشجى فؤادى ويكلم» ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٥) النيرب : النميمة .   (٦) فى ا : «ينحى عليها فتحيم» ، وفى ب : «ينحى عليها فتحم» ، والمثبت فى : ج .

كآدمَ إذْ عاداه إبليسُ عامـــداً ... وليس له ذَنْـــبٌ عليه ولا دَمُ
سعَى بيَ واشٍ لا سعتْ قـــدمٌ به ... فزَخْرَف أقوالًا وقال وقُلْتمُ
أمَا قسماً بالمُستجِنِّ بطَيْبـــةٍ ... وحِلْفِى عن حِنْثٍ أبرُّ وأكْرمُ
لئن كان قد بُلِّغْتَ عـــنِّى جنايةً ... لَمُبْلغُك الواشِي أغشُّ وأظلمُ
فرِفقاً ورَعْيـــا للإخاء فإننى ... أخوكَ الذى يَلْوِى عليك ويرْأمُ
يصُون ويرْعَى سالفاتِ عوارفٍ ... ويُنْبِئُ عن مَكنُونهـــا ويُترْجِمُ
فيامِلِـكاً قد جاءنى عنك أنه ... تَمُرُّ بسمْعِي وهْو صابٌ وعَلْقَمُ (١)
يقـــول فلان أنتم تعلمونَه ... وهل علِموا إلَّا الذى أنت تعلمُ
وهـــل ذَمَّنِي إلا الحسودُ فإنه ... لَيعْلَمَ مايُشْجيه عـــنِّى ويُرْغِمُ
ولو جاز إطْرائِي لنفسى سمعتَـــه ... ولـكنَّ مدحَ النفسِ للنفس يحرُمُ (٢)
عليك فسَلْ عن شِيمتِى غـيرَ حاسدٍ ... يبُثُّ جميـــلَ الذِّكرِ لا يتلوَّمُ
يقُل هولا جَعْـــدٌ على الوَفْرِ كفُّه ... إذا نالَه من بَذْلِه يتبرَّمُ (٣)
ولا ضَرِعٌ إن فاقةٌ فوَّقتْ له ... سهاماً وللنُّعْمَى وللبُؤسِ أسْهُمُ
ولا هو إن نال الغِنَى قصَر الغنى ... على نفسِه بل وَفْرُه مُتقسَّمُ
ولا هو مَن إن راح عُطْلاً من الثَّرَى ... يرُحْ وهْو عُطْلٌ من حُلَى الفضلِ مُعْدِمُ
يـكُفُّ جِماحَ القولِ لا عن فَهاهـةٍ ... وإن قال لا عِيٌّ ولا هو مُفْحَمُ (٤)
ويأْتلِقُ النادِي بسِحْـــرِ بيانِه ... كأنَّ سَناه فى دُجَى الخطِّ أنْجُمُ (٥)
وتهْوِى الغَوانِي أن مَنْظومَ فـكرِه ... ومَنْثورَه فى حَلْيِهِنَّ يُنظَّمُ (٦)

---

(١) فى ا : « جاءنى عنك آفة » ، وفى ب : « جاءنى عنك آنه » ، والمثبت فى : ج .

(٢) فى ب : « ولو جاز إطرابى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) يقل : كذا ، كأنه فى جواب الأمر السابق « فسل » . (٤) فى ب : « ولا هو معجم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) فى ا : « ويتألق النادى » ، وفى ج : « ويأتلف النادى » ، والمثبت فى : ب .

(٦) فى ب : « وتهوى الأغانى » ، والصواب فى : ا ، ج .

طَغَى قلمى فاصفَحْ فإنك هِجْتَــهُ بمَأْلُكَةٍ فيها علىَّ تحكُّمُ (١)
تجنّيْتَ لى ذنباً لتعـــذِر جانياً كذِى العُرِّ إذ يَكْوِى صَحِيحاً ويسلَمُ (٢)
فلا غَرْوَ أن فار الإناءُ بمائِهِ ومِن تحتِــه نارُ الغضا تتضرّمُ
وإنّ كآلِى مُنْتَمٍ ونقيصَتِى إليك وإن أثْلَم فإنّك تثلَمُ
فعِرْضُ أخِى عِرْضِى وعِرضِىَ عِرْضُه ولى لحمُه لحمٌ ولى دمُه دمُ
أمولاىَ يامن خُلْقُــه الروضُ ناضِراً برَوْح له يرْتاح من يتوسَّمُ
أُعِيــذُ كمالًا حُزْتَ خَصْلَ رِهانِهِ فجاوزْتَ شأْواً دونه النجمُ يُحْجِمُ (٣)
وحِلْماً تزول الرّاسياتُ وركنُه شديدُ المَبانى لا كمَن يتحلّمُ (٤)
وقلباً ذَكِيًّا مُشْرَباً ألْمعيَّــةً إياسٌ لديها أغْلف القلب أفْدَمُ (٥)
أعيــذك أن يُصْغِى إلى قول كاشِحٍ يُحبِّرُ زُوراً وَشْيَــه ويُسهِّمُ (٦)
يُوافيك فى بُرْدِ التَّملّقِ كاذباً وتحسَب غُفْلاً بُرْدَه وهو أرْقَمُ
وكيف وأنت الفحـــلُ جازِ مِحالُه عليك لعَمْرِى أنت أذْكَى وأحْلَمُ (٧)
وهل فى قَضايا العقــلِ مولاىَ أنه لديك يُصدَّى صارمِى ويُكَهَّمُ (٨)
أخِى إن كَفَفْتَ الخيرَ فالشَّرَّ كُفَّه كَفافًا فكُن إن الكَفافَ لَمغْنَمُ

(١) المألكة : الرسالة .

(٢) العر : الجرب . وأصل المثل قول النابغة :

لكلَّفْتنِي ذنبَ امرىءٍ وتركتَه كذِى العُرِّ يُكْوَى غيرُه وهو راتِعُ

انظر التمثيل والمحاضرة ٤٨ .

(٣) الخصل : الخطر الذى يخاطر عليه فى الرهان . (٤) فى ب : «لا كمن يتحكم» ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٥) الفدم : العيي الحصر عن الكلام . (٦) هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج . وفى ج : « يحبر وشيا » ، والمثبت فى : ا . (٧) فى ب : « جال محاله » ، والمثبت فى : ا ، ج .

والمحال : الكيد وروم الأمر بالحيل .

(٨) سقط من ج قوله : « يا العقل « إنه » .

وسيف كهام : لا يقطع .

فرِفقًا بنفسٍ من مقالِكَ أوشكَتْ ... تذُوب وكادت حسرةً تتصرّمُ [1]

أقول إذا جاشَتْ عليه وأرْزمَتْ ... وعادتُها من جَفْوةِ الخِلِّ تُرْزِمُ [2]

هنيئًا مَرِيئًا غيرَ داءٍ مُخامرٍ ... لمولاىَ منِّى مايحِلُّ ويحرُمُ

أمولاىَ من يُرْضِيك كُلُّ خِلالِه ... وأىُّ فتًى فى الناسِ قِدْحٌ مُقوّمُ [3]

كفَى المرء نُبْلًا أن تُعَدَّ ذنوبُه ... فتُحصَى ومَن ذا من أذَى الناسِ يسلمُ

وإنّى على ما كان مُثْنٍ وشاكرٌ ... مدَى الدهر لا أشكو ولا أتظلّمُ

ولستُ بناسٍ ذِكْرَ أخلاقِك التى ... بها أنا مهما عِشتُ مُغْرًى ومُغْرَمُ [4]

فلا تحسَبَنِّى صادِقًا للثناءِ إنْ ... ثَناكَ من الواشِين ظَنٌّ مُرَجَّمُ [5]

وحقِّك إنِّى ماحيِيتُ لَوامِقٌ ... شمائلَك الحسنَى مُحِبٌّ مُتيَّمُ

وهل يقلَع الإنسانُ مُقْلَةَ نفسِه ... وإن يأْتِ من عَوْرائها لا يُهوِّمُ

وليس انتزاحى عن جَنابِك جاحِدًا ... عوارفَ يدرِى حقَّها اللحمُ والدمُ

ولكنَّ إخوانًا أبَوْا لى فِراقَهمْ ... فطاوعْتُهم والقلبُ بالشوقِ مُفْعَمُ

ولا صارفًا وُدِّى لغيرِك صادِقًا ... به عنك يأْبَى لى الوفا والتكرُّمُ [6]

فؤادَك أبْغِى أن يكون مَكانَتِى ... به حيث لا يرضَى وُشاةٌ ولُوَّمُ

إذا صَحَّ لى من قلبِك الوُدُّ وحدَه ... ظَفِرتُ فلا آسَى ولا أتندَّمُ

ومالى إلى ماءٍ سوى النِّيلِ حاجةٌ ... ولو أنه أستغفرُ اللهَ زَمْزَمُ

***

---

(١) فى ج : « بنفس من مقال قد اشتكت » ، والصواب فى : ا ، ب .

(٢) فى ب : « إذا جاشت عليه وأوربت » ، والمثبت فى : ا ، ج .

أرزم الرعد : اشتد صوته .

(٣) القدح : السهم قبل أن ينصل ويراش .

(٤) فى ا : « مهما شئت مغرى » ، وفى ب : « مهما عشت صب » ، والمثبت فى : ج .

(٥) فى ب ، ج : « فلا تحسبنى صادقا » ، والمثبت فى : ا .

(٦) فى ب ، ج : « لغيرك صادقا » ، والمثبت فى : ا .

ومما يحسُن من شعْره ، قوله (١) :

نفسِى الفـــداء لشادِنٍ ... مُرِّ الجفَا حــلوِ المَراشِفْ
قاسِى الفـــؤادِ أعار أغْـ ... ـصانَ النَّقا لِينَ المَعاطِفْ (٢)
لِهبتْ بنارِ صُـــدودِهِ ... كبدِى ودمعُ العينِ ذارِفْ (٣)
ومُمَنَّعٍ كالغُصنِ دُو ... نِ لِقـــائِه خوضُ المَتالِفْ
مِن وَصْـــلِهِ وصُدودِهِ ... أنا دائمـــا راجٍ وخائفْ
فعَلتْ بنـــا ألحاظُه ... ماتفعلُ الأسَلُ الرَّواعِفْ (٤)
مُتجاهِـــلٌ عمَّا يُقا ... سِى فيـــه قلبِى وهْو عارِفْ

* * *

وقوله (٥) :

نَسَماتُ النسيمِ من نَعْمانِ ... وابْتسامُ الوَميضِ بالَّلمَعانِ (٦)
سَعَّرا نارَ مُهْجتى وأثارَا ... شَجْوَ قلبِى وهَيَّجا أشْجانِى
ذَكَّرانى بعَصْرِ وصلٍ تقضَّى ... آهِ لَهْفِى لفَوْتِ ماذكَّرانِى
هاشَبابِى مضَى وما نلتُ وصلاً ... أين منِّى شبابُ عمرٍ ثانِى
ياخليلَىَّ خلِّيـــانِى فمـــا بى ... من غرامٍ أذاب قلبِى كَفانِى
ماتحلاَّ باللَّوْمِ عِقْدَ عهودِى ... فاعذِرانى باللهِ أو فاعْذِلانى (٧)
فبسمعِى من ذلك اللومِ وَقْرٌ ... قد أجبْتُ الغرامَ لَمّـــا دعانِى

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٢٣، ٢٤ .

(٢) فى ا : « أعار غزلان النقا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٣) فى ا : « لعبت بنار صدوده » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

ولهبت النار : اشتعلت خالصة من الدخان .

(٤) فى خلاصة الأثر : « ما تفعل الأسد الرواعف » .

(٥) القصيدة فى خلاصة الأثر ٤/٢٢ ، ٢٣ . (٦) نعمان مواضع ، منها نعمان الأراك . معجم البلدان ٤/٧٩٥ . (٧) فى ا : « تحل » ، وفى ب : « ما تحلى » وفى ج : « ماتجلى » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

قسَماً بالحطيم والحِجْر والبَيْـ ـتِ العظيمِ المُقبَّـلِ الأرْكانِ
وبمَن حلَّ عِقْدَ عهدى ومن قد حَـلَّ منِّى هواه كلَّ مكانِ
وبِعصْر الشبابِ عُـذْر التَّصابِى وعفافِى إذا وصلتُ الفوانِى
وبِعصْيانىَ المَـلامَ مُطيعاً لغرامِى وهـذه أيْمانِى
إننى قد حملتُ من مُثقلاتِ الصَّـدِّ مالا يُطيقُـه الثقَلانِ
يامُريدَ السُّلُوِّ لى كُفَّ عنِّى فمِنَ الحبِّ ليس يُثْنَى عِنانِى (١)
أنا حِلْفُ الهوى رضيعُ الصَّبابا تِ حِلْفُ الغرامِ والأشجانِ (٢)
بين قلبى وسَلْوتِى مثـلُ ما بَيْـنَ حِسانِ الوُجوهِ والإحْسانِ
فاسْترِحْ عاذِلى ودَعْنِى أُعانِى من تباريحِ لَوْعتِى ما أُعانِى
لا تلُمْنِى ومثـلَ نفسِك عامِلْـنِى فإن الإنسانَ كالإنْسانِ
أنت بذْرِى وإن تجاهلْت مايَفْـعلُ وَجْـدٌ بذِى هوًى وَلْهانِ
لستَ لا والغرامِ تجهل شأْناً لِمُحِبٍّ وإن تجاهلتَ شانِى
أنت إمَّا مُغالِطٌ لِى وإلّا فغيورٌ أو حاسِـدٌ أو شانِى

⁂

---

(١) فى خلاصة الأثر: « يا مريدا لسلوتى كف عنى ».

(٢) فى ا، ج: « خلف الغرام »، والمثبت فى: ب.

٢٠٢

وجيه الدين عبد القادر بن الناصر بن عبد الرَّبّ

ابن عليّ بن شمس الدين بن شرف الدين بن شمس الدين بن أحمد بن يحيى*

الوجيهُ نضَّر الله وجهَه ، وجعل وِجْهته للفلاح خيرَ وِجْهة .

من بين مَعادِنِ الموجودات النُّضار أو العَسْجَد[1] ، ومن بين جواهِرِ الذَّوات دُرَّةُ التَّقاصِير أو الزَّبَرْجَد .

فهو كنزُ النَّائلِ المُسْتَماح ، ومطلَبُ الكرم والسَّماح .

له لُبُّ الفَخار الأشَبّ[2] ، وبَحْبُوحة النَّسب والنَّشَب .

سامَى السِّماكَ[3] بعزْمٍ للحُسَّاد مُبيد وماحِق ، وسبَق إلى غاياتِ الفضل ولا بِدْع فليس للوَجيه لاحِق[4] .

* * *

وقد وقفتُ له على شعرٍ تلألأ غُرَّةُ المجدِ فى مُحَيَّاه ، وتُروِّق[5] السُّقاةُ الأقمارَ كُئوسَها من حُمَيَّاه .

فمنه قوله[6] :

(*) السيد عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب .
مولده بكوكبان ، وبها نشأ ، وقرأ القرآن ، وأخذ بها عن أكابر العلماء الأعيان .
تولى بعد والده ملك كوكبان وما والاها من البلاد ، وكانت حضرته مجمع الأدباء ، وحلبة الشعراء .
توفى سنة سبع وتسعين وألف بكوكبان .
خلاصة الأثر ٢/٤٦٩ ــ ٤٧٢ ، ملحق البدر الطالع ١٢٤ .

(١) فى ا : «النصارى العسجد» ، والمثبت فى : ب، ج. (٢) فى ب : «الأشيب» ، والمثبت فى : ا، ج. والأشب : الغنى .

(٣) السماك : أحد نجمين نيرين ، يقال لأحدهما العازل ، وللآخر الرامح .

(٤) يشير إلى الوجيه ولاحق من فحول الخيل الكريمة المعروفة عند العرب . انظر أنساب الخيل .

(٥) فى ا : «وترق» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٦) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٤٧٢ .

قد طار قلبي إلى مَن لا أُسمِّيه ... وإن تناسَى الوفا فاللهُ يحميه

مُهَفْهَفٌ مادَ من تيهٍ ومن جَذَلٍ ... فكادَ قدُّ قضيب البانِ يحكيه(١)

بدرٌ تكادُ بدورُ التمِّ تُشبِهُهُ ... والظَّبيُ حاكاه لكنْ ما يُساوِيه

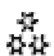
ذُو مُقلةٍ يعرفُ السحرَ الحلالَ بها ... قلبي بهـا يتقلَّى في تَلَظِّيه

كم أكتُمُ الحبَّ في قلبي وأُضْمِرُه ... لكن مدامعُ عيْنِي ليس تُخفِيه

أبيتُ أرْعَى نُجومَ الليلِ مُنْزعِجًا ... ألتاعُ شوقًا وفي قلبي الذي فيه

لي نارُ وَجْدٍ وأشواقٍ أُكابدُها ... للهِ قلبيَ فيـه كم يُقاسِيه

البرقُ يُذْهِلُه والرِّيحُ يُدهِشه ... والشوقُ يَنْشُره والوجْد يَطْوِيه





(١) في ا : « من تيه ومن عدل » والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

٢٠٣

ولده الحسين*

سيدُ هذه الأسرة بأسرِها ، والواقِف على نُكتةِ المسألة وسِرِّها .

أحدُ من تحدَّى بما أبْدَى ، وأسكت كلَّ مِنْطيقٍ لمَا أدَّى[1] .

تصدَّر بالعِلْم وجَلالة القَدْر ، حتى شهد له الصَّدْر بأنه الصدر .

وكانت بلادُهم مُخضَرَّةَ الأكْناف من أنْدائِه ، فشمِل بِرُّه كافَّةَ أصدقائِه وأعدائِه .

فأصبح والِهِمَمُ إليه نازِعة ، ولطاعته مُتنازِعة .

والقلوبُ بولائِه صَبَّة ، وإلى ثنائه مُنْصبَّة .

وهو فى طُمأْنينة ورفاهية ، وأعيُنُ الطَّوارق عن تَطَرُّقه ساهِية .

افْترَّت أيامُه ضاحكاتِ المَباسِم ، واستوتْ فُلْكُ أمانيه على مَراسِى المَواسم .

حتى قام الإمام محمد بن أحمد بن الحسن[2] قَوْمَتَه التى أرْهبتِ لُيوثَ الآجام ، وهى بعدُ أجِنَّةٌ لم تخرُج من الأرْحام .

فما عقَد أمانا ، ولا وفَّى ضَمانا .

(*) السيد الحسين بن عبد القادر بن الناصر .

شاعر مجيد ، مكثر ، مبدع ، فائق .

وكان ذا رياسة ، وكياسة ، ومكارم ، وفواضل .

ولما دعا المهدى محمد بن أحمد إلى نفسه ، فر منه السيد حسين إلى مكة .

توفى سنة اثنتى عشرة ومائة وألف بشبام ، ودفن بها .

البدر الطالع ١/٢٢١ ، ٢٢٢ ، حديقة الأفراح ٩ .

(١) فى ا : « أبدى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) الذى يلقب بالمهدى ، كان مولده سنة سبع وأربعين وألف ، وولى الخلافة بعد موت الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل على الله إسماعيل ، بعد نزاع شديد ، وحروب طويلة ، اجتمع لحربه فيها جميع أكابر سادات اليمن ، فغلبهم ، وسجن كثيراً منهم .

توفى سنة ثلاثين ومائة وألف .

البدر الطالع ٢/٩٧ – ١٠١ .

ولا أشهد على نفسه ثقة ، ولا غلط يوما بفرط مُتْعَة .

ولبس لِبْسَ الأشرار ، وخلع حِلية الأحرار .

ضَرْبا بالسيوف البَواتِك ، وطَعْنا بالرماح الفواتك .

حتى لقِيَت اليمنُ منه العِبَر ، ووقفتْ من خُروجه على جَلِيَّة الخبَر .

فبعضُ كُبرائِها ترك الوطَن وجَلاه ، والبعضُ الآخر أسلَمَتْه إلى القُيود رِجْلاه .

فكان الحسينُ ممَّن استبْدل اليمنَ بالحرم الآمِن ، وأقام به وهو كالدُّرَّة فى وسط الصَّدَف كامِن .

فتلَت الألسُن سُوَرَ أوصافِه ، واجتلتِ الأسماعُ صُوَرَ اتِّسامِه بالفَضْل واتّصافِه .

وقد رأيتُه بمكَّة فى يومٍ خرَج به مُتنزِّها ، وجوُّه يُطلِع صَنْدَلا ، ومَمْشاه يفوح مَنْدِلا .

فرأيت مَلَكاً فى صُورة مَلَك ، وبدرًا طلَع من فلَك .

عنوانُه يدلُّ على طِرْسِه ، ونُور مَعاليه مُبَيِّن طهارةَ غَرْسِه .

وطلبتُ به الاجْتِماع مع واسِطٍ له من أخِصّائه مادح ، فاعتذر له بما اعتذر به عِزُّ الدولة ابنُ صُمادِح[1] .

* * *

وذلك ما حكى ابنُ اللَّبَّانة[2] الشاعر، قال : ذكرتُه لأحدٍ ممَّن صحِبْتُه من الأدباء ، ووصفتُه بما فيه من الصفات العليَّة ، فتشوَّق إلى الاجتماع به ، ورغِب إلىَّ فى أن أستأذنه فى ذلك .

فلما أعلمتُ عزَّ الدولة ، قال : يا أبا بكر ، أتعلمُ أنَّا اليوم فى خُمول وضِيقٍ ،

---

(١) هو عز الدولة أبو مروان عبد الله بن محمد بن معن ، المعروف بابن صمادح .
تولى بعد والده المعتصم ابن صمادح أمر المرية وبجانة والصمادحية ، والأمور مضطربة ، والدولة منتقضة ، وكانت وفاة والده سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، كما جاء فى وفيات الأعيان ٤/١٣٥ ، ١٣٦ .
وتجد بعض أخبار عز الدولة فى : قلائد العقيان ٤٨ ـ ٥١ ، نفح الطيب ٩/٢٥١ .

(٢) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول ، صفحة ٣١٠ .

لا يتَّسِع لنا معهما ، ولا يجمُل بنا الاجتماع معَ أحدٍ ، لاسيَّما مع ذِي أدب ونَباهة ، يلقانا بعين الرحمة ، ويزُورنا بمِنة الفضل فى زيارتنا ، ونُكابد من ألفاظ توجُّعه ، وألحاظ تفجُّعه . يجدِّد لنا همًّا قد بَلِيَ ، ويُحيِي لنا كَمدًا قد فَنِيَ ، وما لنا قدرةٌ أن نجُود عليه بما يرْضَى به عن هِمَّتنا ، فدعْنا كأننا فى قبْر نتدرَّع لِسهام الدَّهر ، بدِرْع الصبر .

* * *

وهو كما تحقَّقتُه فى العلم أجلُّ مَن انعقدت عليه عشرةُ أبناء الدهر ، وأشهرُ من البدر فى ليلة الرَّابع عشر من الشهر .

وله فى الأدب فرائد شنَّف بها آذانَ الزمان ، وأطْلَعها أشْمَخَ من قلائد العِقْيان ، وعُقود الُجمان .

وجميعُ ما أثبتُّ له قد جردته من كتاب « الطَّوق[1] » الذى جمعه يوسف بن على الهادى[2] من شعر بعض العصريِّين باليمن .

قال فيه : لمَّا بلغه تأليفى لهذا « الطوق » ، وتكليف نفسِي بمزاحمتها لأهل هذه الصناعة فوق الطَّوق .

رغب الاطِّلاع عليه ، وسأل منِّى ذلك فسيَّرتُ ما كان قد تحصَّل منِّى إليه .

وسألتُ منه نَظمَ شىء فى الحمائِم ، ونقْل ما أمْكن من نَظْمِه ونثره اللَّذين لم يُكتَم شهادتُهما ومن يكتُمها فإنه آثِم .

فعاد الرسول مصحوبًا بقطعة منها هذا نَظِير، فى وصولِ الطَّوق الذى لا يدخل تحت الطَّوق له نَظِير ،

يُوسُفِىُّ الجمالِ كم هام صَبٌّ فى معانِى جمــالِه اليُوسُفِى

---

(١) أى « طوق الصادح » كما جاء فى البدر الطالع ١ / ١٢١   (٢) تأتى ترجمته فى هذا الباب ، برقم ٢٣٧ .

ولما كَمل له النَّظر فيما أرسلتُ إليه من هذا التأليف ، أعاده إليَّ ومعه كُرَّاس فيها من مُعْجِز نظمه البديع التَّرْصِيف .

افْتتحها بأبْياتٍ ، مدَح بها ما أودعتهُ فى هذا التأليف من الأبْيات البيِّنات .

ولعَمْرِى : إن الإنصاف ، من خِلال الأشراف .

والإنـكارَ ، من خِلال الأشرار .

وقبْلها من قوله ، ما لفظه : هـذه الأبيات فى تقريظه « طوق الصادح » ، الذى لا يدخل حَصْرُ أوصافه تحت طَوْق المادح :

لَعَمْرُكَ ما الروضُ المُوَشَّع بالزَّهْرِ ... ولا طلعةُ البدرِ الذى حُفَّ بالزُّهْرِ

ولا الحُور قَلَّدْنَ النُّحورَ قلائداً ... تُضِىء من الدُّرِّ المفصَّل بالشَّذْرِ

ولا ابنُ ذُكا ياذا الذَّكاء ولا ولا ... بأبْهَج من هذا الكتاب بلا نُكْرِ [1]

لقد أطربتْ ألفاظُه كلَّ سامعٍ ... فيا مَن رأى طَوْقاً له نَغْمةُ القُمْرِى

مَعانيه أضْحتْ فى المَهارِق تُجْتَلَى ... كما يُجْتلَى وَجهُ المَليحة فى الخُمْرِ

ولا عيبَ فى ألفاظِه غير أنَّها ... غَدَتْ لأُلِى الألْباب تنفُث بالسِّحْرِ [2]

على كُتب التاريخ يفضُل يا فتَى ... كما فضَلتْ شمسُ النهارِ على البَدْرِ

فما يُجْتلى وجهُ « الخرِيدة » بعدهُ ... وذَلَّ به قَدْرُ « اليتيمة » فى الدهرِ [3]

و « رَيْحانة » المولَى وإن فاح عَرْفُها ... ففى طَىِّ ذا من رِيح يوسُفَ والنَّشْرِ [4]

فمن علَّم الوَرْقا بأنَّ محلَّها ... به قد غدَا يعلُو على هامةِ النَّسْرِ

---

(١) ابن ذكاء : الصبح . (٢) « غدت » زيادة اقتضاها السياق والوزن .

(٣) فى ا : « وجه الخريدة بعدها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وفى البيت إشارة إلى خريدة القصر للعماد الأصفهانى ، وإلى يتيمة الدهر لأبى منصور الثعالبى .

(٤) فى ا : « وإن فاح نشرها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وفيه إشارة إلى ريحانة الألبا للشهاب الخفاجى .

فقُل للذى جاءتْ بَنانُ بيَـــانِهِ   بزُخْرُفِ لفظٍ قد سَبا كلَّ ذى حِجْرِ[1]
لئن وردَتْ نهرَ البَيان عصابةٌ   فأنت الذى قد خُضْتَ من ذاك فى بَحْرِ
وإن هبَطتْ مصرَ البلاغةِ عُصبةٌ   فيوسفُ قد أضْحَى العزيزَ على مصرِ

قال : هذا هو النظمُ الذى لورامت البدورُ أن تحاكيه لظهر عليها أثرُ التكلُّف ، أو دُعيت الأقلامُ إلى رَقْمِهِ لسعتْ إليه على رأسِها وما جنَحتْ إلى التخلُّف .

أو همَّت الرَّاحُ أن تُشابهه فى تجْديد اللَّذات لقُلنا لها هذا مما لا يُدْرِكه العَتِيق ، أو التمسَ أحدٌ شَقِيقاً للرِّياض لقالتْ له وأبيك مالى غيرُ هذا النظم من شَقِيق .

أو تغلْغَل فكرُ ابنُ بَحْرٍ[2] فى طرَفٍ من محاسنه غرِقت فيه أواخرُه ، أو تجلّى طِرْسُه للأُفُق غارتْ من شُموس مَعانيه زواهرُه .

فلله دَرُّ ناظمِهِ من فَصيحٍ لم يزَلْ لحَلْىِ السُّطور لا الصُّدور صائغا ، ومن بليغٍ يكون الكلامُ دونه أُجاجاً فإذا انتهى إليه تلقّى طِيبه فصار فُراتاً سائغا .

***

ومما جمعه من ثمَر نظْمه فى تلك الأوراق ، وأطلَق يَراعته لرَقْمِهِ فغدا مشكوراً على الإطلاق .

قوله فى وَرْقا ، رقَت من الدَّوْح وَرَقا[3] ، ورقّتْ لها القلوب لما رقَّت نفسَها خوفاً من الجنون وما أكْيَس من رقَّى نفسَه ورَقَى :

ما للمَشُوق مُجيبٌ فى دُجَى الغَسَقِ   سوى الصَّدَى وهَديلِ الوُرْق فى الوَرَقِ
يا قَـــومُ لو كان للورْقا شُجونُ شَجٍ   ما صَفّقتْ من سرورٍ طَلْعةَ الفَلَقِ
ولولها فقدتْ إلْفاً لما خضَبتْ   كفًّا ولا جعلتْ طَوْقاً على العُنُقِ

---

(١) الحجر : العقل .
(٢) يعنى أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .
(٣) يعنى ورق الأغصان .

ولم تُحرِّكْ لنا عُوداً وتنشِد من ... ألحانِ إسحاقَ أصواتاً على نَسَقِ[1]

وهى التى دمعها ما زال مُحتبساً ... والصَّبُّ من صَبِّ دمعِ العينِ فى غَرَقِ

وحَسْبُها أنهـــا باتتْ مُعانِقةً ... غُصْنا وبتُّ لغُصنى غيرَ مُعتنِقِ

أبيتُ ليلِى أُراعِى النجمَ مُكتئِباً ... لفَرْطِ ما بِىَ من وَجْد ومن أرَقِ

ما أعجبَ الحبَّ يشْتاقُ العَميدُ إلى ... رِئْمِ الصَّريمِ وقد أرْداه بالحـــدَقِ

يا وردَ ذا الخدِّ دعْ إنكارَ قَتْلِ فتًى ... ما قَطُّ أبْقتْ له يُمناكَ من رَمَقِ

فى خَدِّكَ الشَّفقُ القانى بدَا وعلى ... قَتْلِ الحُسينِ دليـــلٌ حُمرةُ الشَّفَقِ

* * *

هذا الشعرُ أرَقُّ من مُدام الطَّلِّ فى كؤُوس الزَّهَر ، وأفْتنُ ولا أقول أفْتَرُ من جُفون الحُورِ المكسورة على الحَوَر .

ولطيفةُ الشَّفَق من مُبتكَراته ، وبدائع مُخْتَرَعاته .

والقولُ بأن الشفقَ الأحمر لم يظهر إلَّا من بعد قتل الحسين بن علىّ وردتْ فيه أخبار .

قال العَلاَّمة ابنُ حجَر الهَيْتَمِى[2] ، فى « الصواعِق المُحرقة » ، فى باب

---

(١) يعنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى النديم .
كان علما من أعلام الموسيقى والغناء ، شاعرا ، مصنفا .
توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين .
الأغانى ٥/٢٦٨ ـ ٤٣٥ ، وفيات الأعيان ١/٢٠٦ ، ترجمة رقم ٨٤ .

(٢) أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن حجر ، الهيتمى ، السعدى ، الأنصارى .
ولد سنة تسع وتسعمائة ، فى محلة أبى الهيتم ، من إقليم الغربية ، بمصر .
ودرس بالجامع الأحمدى بطنطا ، وبالجامع الأزهر بالقاهرة .
وأذن له بالإفتاء والتدريس ، وعمره دون العشرين .
برع فى علوم كثيرة من التفسير ، والحديث ، والفقه ، وعلوم العربية والتصوف .
وحج ثلاث مرات ، وفى الأخيرة أقام بمكة بعياله ، يدرس ، ويفتى ، ويؤلف ، حتى توفى سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة .
البدر الطالع ١/١٠٩ ، خبايا الزوايا ، لوحة ٩٥ ب ، ديوان الإسلام ، لوحة ١٣٤ أ ، ريحانة الألبا ١/٤٣٥ ، شذرات الذهب ٨/٣٧٠ ، النور السافر ٢٨٧ .

خلافة[1] الحسين ما لفظُه :

أخرج الثَّعْلَبِيّ[2] ، أن السماء بكتْ وبكاؤُها حمرتها .

وقال غيره : احمرّتْ آفاق السماء ستّة أشهُر بعد قتْله ، ثم لا زالت الحمرةُ تُرَدَّد بعد قتْله .

وأن ابن سِيرِين ، قال : أُخْبِرنا بأن الحمرةَ مع الشفق لم تكن قبل قتْل الحسين .

وذكر ابنُ سعد أن هذه الحمرة لم تُر فى السماء قبل قتْله .

قال ابنُ الجَوْزِيّ : وحكمته أن غضَبنا يُؤثّر حمرةَ الوجه ، والجوُّ تنزّه عن الجِسْمِيَّة ، فأظهر تأْثيرُ غضبِه على قتل الحسْين حمرةَ الشفَق ، إظهاراً لعظيم الجِناية .

انتهى كلام ابن حجَر .

قلت : للمقال مَجال فى هذه الأخبار ، فقد قيل قيَّد الشارعُ صلّى الله عليه وسلّم انقْضاء وقت المغرِب بغيْبُوبة الشفَق الأحمر ، وجعلها حُكْما من الأحكام ولا يكون ذلك إلّا مع ظهوره فى زمنِه صلّى الله عليه وسلّم ؛ فإن من البَعيد أن يتعبَّدنا الله بحُكْم معدوم سيُوجد .

والحديثُ الواردُ فى تقْييد انقْضاء وقت المغرب بغَيْبُوبة الشفَق الأحمر مشهورٌ عن ابن عُمَر ، رضى الله عنهما ، عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم .

---

(١) فى ا : « خلائق » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى .
صاحب التفسير ، وأوحد زمانه فى علم القرآن .
توفى سنة سبع وعشرين وأربعمائة .
طبقات الشافعية الكبرى ٤/٥٨ .

ولفظُه : « الشَّفَقُ الْحُمْرَةُ ، فَإِذَا غَابَ الشَّفَقُ وَجَبَتْ الصَّلَاةُ » .

أخرجه ابنُ عَساكر ، فى غرائب مالك .

وقال الدَّارَقُطْنِيّ فى « السُّنَن » : قرأتُ فى أصل أحمد بن عَمْرو بن جابر ، قال : حدَّثنا علىّ بن عبد الصَّمد ، حدثنا هارون بن سفيان ، حدثنا عَتِيق بن يعقوب ، حدثنا مالك بن أنَس ، عن نافع ، عن ابن عمر ، مرفوعاً إلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، باللفظ المذكور أوَّلا .

ورواه ابنُ عَساكر أيضاً من حديث أبى حُذافة ، عن مالك ، وقال : حديثُ عتِيقٍ أمْثلُ إسناداً .

وقد ذكر الحاكمُ فى المدخل حديثَ أبى حُذافة ، وجعله مثالًا لما ذكره المُخرِّجون من الموقُوفات .

وقال ابنُ خُزَيمة فى « صحيحه » : حدثنا عمَّار بن خالد ، حدثنا محمد بن يَزِيد ، هو الواسِطِىّ ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن أبى أيُّوب ، عن عبد الله بن عمر ، ورفَعه إلى النبىِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « وَقْتُ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ إِلَى أَنْ تَذْهَبَ حُمْرَةُ الشَّفَقِ » . . الحديث [1] .

قال ابنُ خُزَيمة : وإن صحَّت هذه اللفظةُ أغنتْ عن جميع الرِّوايات ، لكن تفرَّد بها محمد بن يَزِيد ، وإنما قال أصحابُ شُعْبة فيه : « نور الشَّفَق » مكان « حمرة الشفق » .

قال الحافظُ ابنُ حجَر العَسْقَلانِىّ :

قلتُ ، محمد بن يزيد صَدُوق . انتهى .

والتوفيق بين القَوْلَيْن صعبٌ جدًّا ، وبالله التوفيق .

* * *

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

ومما يتعلق بالشفق قول الشهاب :

مُذْ نَحَرْتُ الأيامَ خُبْراً وكانت   لى مَطايا قد أثقلَتْهـــا الأمانى
سلَختْ مُديةُ الهـلال شهوراً   شفَقُ الأُفْقِ من دمِ السَّلْخِ قانِى

***

ومن شعر الحسين هذه القصيدة [1] :

لفؤادى فى الهوى كَدٌّ وكَدْحُ   ولطَرْفى بالدِّما سَحٌّ وسَفْحُ
يا أخا التحْـــذيرِ أغْرَيْتَ وكم   مُغْرم أغْراه من قد راح يَلْحُو
قُل لِسآلٍ أسْنَد الوَجْـــد إلى   نفسِه مَهلاً ففى الإسْنادِ قَدْحُ
إن كسا الوَجْهُ حسيْناً ثوبه   فأحاديثُ الـكِسا فيه تَصِحُّ [2]
عاذِلى كُن عاذِرى فى حُبِّ مَن   فَرْقُهُ مَعْ فَرْعِه صُبْحٌ وجُنْحُ
ظالمٌ مأواه فى قلبى وما   لذوِى الظُّلمِ من النِّيران بَرْحُ [3]
شَحَّ بالوصلِ وللرِّيم حكَى   أخٍّ من شخصٍ كريمٍ فيه شُحُّ [4]
قدُّه لا طَعْنَ فى أوصافِهِ   عجباً لا طعنَ فيـــه وهْو رُمْحُ
كلَّما ماسَ تغنَّى حَلْيُـــه   فإذا للوُرْقِ فوق الغُصْنِ صَدْحُ
أنــكَرَتْ عيْناه قتْلِى وعلى   وَجْنتيْه من دمِى نَضْحٌ ونَصْحُ [5]
بدمِى قد شهدتْ وَجْنتُــه   ولطَرْفى وَيْحَه فى تلك جَرْحُ
ليت شِعْرى هل لقلبى سَلْوةٌ   عنه كلاَّ ما لِهذَا البابِ فَتْحُ

---

(١) ذكر الشوكانى فى البدر الطالع ١/٢٢٢ مطلع القصيدة فحسب . (٢) فى ا : « إن كسا الأسنا حسينا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى ج : « حسينا قبله » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) فى ا : « لذوى ظلم » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) فى ا : « أف من شخص » ، والمثبت فى : ب ، ج .
وأخ : كلمة تكره وتأوه . القاموس (أ خ خ) .

(٥) نصح الشىء نصحا : صفا وخلص .

لا يطِيبُ العيشُ إلّا للذى لم يكُن فى طَرْفِهِ ماعاش طَمَحُ
فمَذابى أصـــلُه من نَظْرةٍ رُبَّ جِدٍّ جرَّه للمرءِ مَزْحُ

***

تاللهِ ماهذا إلّا روضٌ يُسنَد لنا وجهُه الطَّلْق عن بِشْر بن بسَّام ، وتتغنّى حمائمُه فيجرُّ النسيمُ ذيلَه طربًا ويرقُص الزَّهر والأكْمام .

وقوله : « إن كسا » إلخ ، فيه إشارة إلى خبَر مُسلِم [1] ، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم خرج ذاتَ غَداة ، وعليـه مِرْطٌ مُرَجَّل [2] من شعَر أسْود ، فجاء الحسينُ [3] فأدخله ، ثم الحسنُ فأدخله ، ثم فاطمةُ فأدخلها ، ثم عليٌّ فأدخله ، ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [4] .

وفى رواية : « اللَّهُمَّ هؤلاء [5] أهْلُ بَيْتِى [5] » .

وفى رواية [6] أخرى أن أمّ سَلَمة أرادت أن تدخُل معهم ، فقال صلّى الله عليه وسلم بعد منْعه لها : « أنتِ عَلَى خَيْرٍ » .

وفى رواية أنها قالت : يارسولَ الله ، وأنا !

قال : « وَأَنْتِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الْعامّ » .

بدليل الرِّواية الأخرى : « وأنا ؟ » .

قال : « وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِي » .

---

(١) صحيح مسلم (باب فضائل أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، من كتاب فضائل الصحابة) ٤/١٨٨٣ .

(٢) فى صحيح مسلم : « مرحل » ، وفى شرح النووى ١٥/١٤ : « وقع لبعض رواة كتاب مسلم بالحاء ، ولبعضهم بالجيم ، والمرحل بالحاء ، هو الموشى المنقوش عليه صور رحال الإبل ، وبالجيم عليه صور المراجل ، وهى القدور ، وأما المرط فبكسر الميم ، وهو كساء » . (٣) فى الصحيح تقديم الحسن .

(٤) سورة الأحزاب ٣٣ . (٥) الذى فى صحيح مسلم (باب من فضائل على بن أبى طالب رضى الله عنه ، من كتاب فضائل الصحابة) ٤/١٨٧١ : « أهلى » .

(٦) زيادة من : ب ، على ما فى : ا ، ج .

وكذا قال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم لواثِلة [1] ، لَمَّا قال : يارسولَ الله ، وأنا ؟ فقال : « وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِي » .

وفى حديث حسَن ، أنه صلَّى الله عليه وسلَّم اشْتَمل على العبَّاس وبَنِيه ، ثم قال : « يَارَبِّ ، هَذَا عَمِّي وَصِنْوُ أَبِي ، وَهٰؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي ، وَخَاصَّتِي ، فَاسْتُرْهُمْ مِنَ النَّارِ كَسَتْرِي إِيَّاهُمْ بِمُلاءَتِي » .

* * *

وقوله : « ظالم مَأْواه فى قلبى » . . البيت .

هو كقول ابن نُباتة [2] :

شديدُ الظلمِ مسكنُه بقلبِى   كذاكَ الظلمُ يُوقِـعُ فى السَّميرِ

إلَّا أن بيتَ صاحب الترجمة أكملُ معنًى ، وأرقُّ لفظًا ، وأصحُّ مبنًى .

* * *

وقوله : « شَحَّ بالوصل » . . البيت [3] ، هو كقول الصَّفِيِّ الحِلِّيّ [4] :

مُبَخَّل يُشْبه دِيمَ الفَـلا   وأطْولُ شَوْقِى من بخيلٍ كريمْ

* * *

وقوله : « أنكرتْ عيْناه قتلى » . . . والبيت الذى بعده ، هما كقول القائل :

أنكرتْ مُقلتُـه سَفْكَ دمى   وعلاَ وجْنتَـه فاعْترفَتْ

---

(١) يعنى واثلة بن الأسقع بن عبد العزى .
صحابى جليل ، خدم النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين ، وكان من أهل الصفة .
توفى سنة ثلاث وثمانين ، وهو ابن مائة وخمس سنين .
أسد الغابة ٥/٧٧ .

(٢) ديوان ابن نباتة المصرى ٢١٢ ، ورواية البيت فيه :

شديدُ الظلمِ حلَّ صَمِيمَ قلبى   كذاكَ الظُّلْمُ يُوقِـع فى الأسيرِ

(٣) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٤) لم أجد هذا البيت فى ديوانه المطبوع ، وفيه قوله :

يَنْفِر كالرِّيمِ ألا فانْظروا   إلى بَخِيلٍ وهْو عندى كريمْ

ديوان الصفى الحلى ٢٦١ .

وقول الآخر [١] :

خدّاك بقتلى قد شهِدا ... فعلى مَ جُفونك تجحدُهُ [٢]

ولكن فاتهما لطيفةُ النَّضْح والنَّصْح ، وتَوْرية الجُرْح التى لا أعدل ممن يشهد بحُسنها من العدالة إلّا [٣] العُدول إلى القدْح .

***

وأما قوله :

* فعَذابى أصلُه من نَظْرةٍ *

فلا يخفَى مافى وجه فَصاحتِه من النَّضرة ، التى تصْبُو إليها أبصارُ البصائر من أوّل نَظْرة .

وإرسالُ المَثَل فيه هو الجمال البديع ، والسحر المُبين لأهل البَديع .

فسبحان المانح .

***

ومن قلائد أشعاره ، وخرائد أفكاره .

قوله فى الغزل [٤] :

خفِّفْ على ذى لَوْعةٍ وشُجونِ ... واحْفَظْ فؤادَك من عُيونِ العِينِ

فلَكَمْ فؤاد وَاجِب من سَهْمِها الْـ ... ـمسموم أو من سَيْفِها المَسنونِ

واتْرُكْ مَلامةَ مُغْرَمٍ فى حبِّ مَن ... أغنتْ مَحاسنُه عن التَّحْسينِ

رَشأٌ أغَنُّ غَضيضُ طَرْفٍ لم يزَلْ ... يأتِى بسحْرٍ مِن رَناه مُبينِ

ستَرَ الضحى من شعرِه بدُجًى كما ... كشفَ الدُّجى منه بصُبحِ جَبينِ

---

(١) هو أبو الحسن الحصرى القيروانى ، من قصيدته المشهورة « ياليل الصب » . انظر « أبو الحسن الحصرى القيروانى » صفحة ١٤٣ . (٢) فى المصدر السابق : « خداك قد اعترفا بدمى » .

(٣) فى ب : « إلى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) مطلع هذه القصيدة فى البدر الطالع ١/٢٢٢ ، وهى فى حديقة الأفراح ٩ .

وتراه مُنتصِبَ القَوامِ ولم يزَلْ ... عن ضَمّه ينْهَى بكَسْرِ جفونِ
وإذا مشَى مرَّ النسيمُ بعِطْفِه ... فيكاد يلْوِيه لفَرْطِ اللِّينِ
نابتْ عن الصَّهْبا سُلافةُ رِيقِه ... وخدودُه أغْنَتْ عن النَّسْرِين
ما مال كالنَّشْوان تِيهاً عِطْفُه ... إلّا وفيه ابْنةُ الزَّرَجُونِ[١]
وترى الذى أرْداه صارمُ لَحْظِه ... يحيا برَشْفِ رُضابِه فى الحِينِ
فلِحاظُه فيها المَماتُ ورِيقُهُ ... ماءُ الحياةِ لمُغرَمٍ مَفْتونِ
يا شادناً شاد الغرامُ كِناسَه ... فى مُهْجتِى لا فى رُبا يَبْرِينِ[٢]
لك فى فؤادِي مَرْبَعٌ وحُشاشتِي ... لك مَرْتَعٌ والوِرْدُ ماءُ عُيونِي
يا مَن له الخدُّ الأسِيلُ ومَن له الطَّ ... رفُ الكحِيلُ وحاجبٌ كالنُّونِ
ما زلتَ مُغْرًى بالخِلافِ لشافعِى ... يا مالكِى وتقول لا تُرْدِينِي
وَيْلاه مِن لا فى الجواب وكَرْبِها ... يا كربَ لا أرَضِيتِ قتلَ حسينِ[٣]
لمّا تحمَّلتُ الغرامَ وقام فى ... جَفْنِي السَّقامُ وسال ماءُ جفونِي
يا مَن يدومُ على البِعادِ أما ترى ... قد حَلَّ بى من ذاك ما يُضْنِينِي[٤]
زفراتُ مُشتاقٍ ولوعةُ عاشقٍ ... وحنينُ مُدَّكِرٍ ودمعُ حزينِ
ورضيتُ قتْلِى فى هواك ولم أقُلْ ... أكذا يُجازَى وُدُّ كلِّ قرينِ[٥]

***

---

(١) الزرجون: الكرم . (٢) يبرين: رمل بالبحرين موصوف بالكثرة . معجم البلدان ٤/١٠٠٦ .
(٣) يشير إلى كربلاء ، التى كان بها مقتل الإمام الحسين بن على ، رضى الله عنهما .
(٤) فى ج : « يامن يروم » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وحديقة الأفراح . وفى الحديقة : «على العناد» ، وهى أولى ، وفى ب : « من ذاك ما يكفينى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وحديقة الأفراح .
(٥) يشير إلى قصيدة الرئيس أبى منصور على بن الفضل ، الكاتب المعروف بصردر ، ومطلعها :

أكذا يُجازَى وُدُّ كلِّ قرينِ ... أم هذه شِيَمُ الظِّباءِ العِينِ

ديوانه ٥٣ ، وريحانة الألبا ١/٢٢ .

قوله :

* وَيْلاه مِن لا فى الجواب وكَرْبِها *

هو كقول الفَيُّومِىّ[١] ، فى مليح اسمه حسين[٢] :

جعلتَ جَفْنِى واصلًا والكرَى رَآه فجُد بالوصل فالوصلُ زَيْنْ[٣]
ولا تُجِبْنِى عن سُؤالِى بِلَا فالقلبُ يخْشَى كَرْبَلَا يا حُسَيْنْ

لكن قول الحسين هو عند نُقَّاد الأدب الدُّرُّ الثمين ، فإنه أبْدع وأطرب ، وأغْرَى على حُبِّ محاسنه وأغْرَب .

ومن نظَره بعين الإنْصاف ، رآه أسْنَى من البدر عند الإنْصاف .

***

ومن نظمه قوله مضمِّنا فى شخص يلقَّب بأخى الحوائج :

سُلْوان قلبِى فى هوَى من لقَّبوا بأخِي الحوائج ما إليه سبيلُ
عجباً له ما مَـــله ذُو مُقْلةٍ وأخو الحوائج وجهُه مملولُ

***

وقوله مضمِّنا مع زيادة التَّوْرِية :

وريمٍ غَرِيرٍ بالجميل مُوَلَّعٌ تناءيتُ عنه وهو يدْنُو ويقرُبُ
فقبَّلْتُه فى الخدِّ سبْعين قُبْلةً وكلُّ امرئٍ يُولِى الجميلَ مُحبَّبُ[٤]

***

---

(١) شهاب الدين أحمد الفيوى ، من شعراء الريحانة ، وترجمته فيها ١/٣٨٥ ـ ٣٨٧ .

(٢) البيتان فى ريحانة الألبا ١/٣٨٦ ، ٣٨٧ . (٣) يشير إلى واصل بن عطاء ، وتعذر نطقه الراء .

(٤) ضمن صدر بيت المتنبى ، الذى يقول فيه :

وكلُّ امرئٍ يُولِي الجميلَ مُحبَّبٌ وكلُّ مكانٍ يُنبِتُ العِزَّ طيِّبُ

ديوان أبى الطيب ٤٦٦ .

استعمالُ التَّحْبِيب بمعنى التَّقبيل عُرف شائع لأهل اليمن ، وبه حسُنت التَّوْرِية .

***

وكتب إلى القاضي عماد الدين يحيى بن الحسين الحَيْمِيّ [1] مُلغِزاً :

قُل لعماد الهدى الجليلِ وَمن ... كاد لفَرْط الذكاء يلتهبُ

ما سابحٌ في البلاد ذُو قَلَقٍ ... ما إن له في وقوفه أرَبُ

يُتابع الخِضْر في شريعتِه ... فاعْجَبْ له إنَّ أمرَه عجَبُ

إذا ألْتقتْه السَّفِينُ يخرِقُهــــا ... وهو لعُمْر الغــــلام ينْتَهِبُ

لـكنه في الجدارِ خالفَه ... يُزَلْزِل الجِدْرَ وهو مُنْتَصِبُ [2]

ما زال ماسَــــار في تقلُّبِه ... وهو على ذاك ليس ينْقلِبُ

فأجابه القاضي أبو الفضل محمد بن الحسن [3] :

يا شَرَف المَكرُمات نظمُك قد ... وافَى إلينا وكلُّه نُخَبُ [4]

مُنْسَبِكَ النظمِ في فواصِــــلِه ... كأنما الشُّهدُ فيه مُنسكِبُ

مثل عقُود الجُمانِ في نَسَقٍ ... تعجزُ عن صَوْغ مثلِه العرَبُ

جاء على غِرَّةٍ فأذْعَـــــرني ... كالسيلِ لـكنَّ ضَرْبَه ضَرَبُ [5]

فهو الذي أخْرَب الجِدارَ كما ... إذا ألْتقتْه السَّفِينُ تضْطرِبُ

وهو الذي سار في البلادِ فلا ... يُنْتَجُ في موضعٍ له نُجُبُ

---

(١) الحيمي ، نسبة إلى الحيم ، من قرى الجند باليمن . معجم البلدان ٢ / ٣٨٢ .

وهو القاضي يحيى بن الحسين بن أحمد الحيمي الشبامي .

أديب ، شاعر ، فصيح ، مدح الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسن بن القاسم وغيره من الرؤساء .

وتوفي سنة ثمان وثمانين وألف بمدينة عيان .

ملحق البدر الطالع ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٢) في ب : « وهو منتقب » ، والمثبت في ا ، ج . (٣) تأتي ترجمته في هذا الباب ، برقم ٢٣٢ .

(٤) في ب : «يا أشرف المكرمات» ، والمثبت في ا ، ج . (٥) الضرب : العسل الأبيض الغليظ .

وهو لعُمْرِ الغلامِ مُنْتهِبٌ أيضاً وللكهلِ ظَلّ ينْتهِبُ
وشِرْعةُ الخِضْرِ إذ يمُرُّ بها طريقُـه إنّ أمْره عجَبُ
وهْو مَدَى الدهرِ فى تقلُّبِه وليس قلبٌ له إذا قلبُوا

***

ذكرت بهذا اللُّغز لُغْزاً لنصِير الدِّين الحَمَامِيّ[١] كتبه إلى السّراج الورّاق[٢] .

وهو :

لتُرشِدَنى شيئاً به تُرْشَد المُنَى له قلبُ صَبٍّ كم فؤاد به صَبُّ
إذا ركِب الهَيْجاء يُخْشَى ويُتقَى فلم يثْنِه طَعْنٌ ولم يثْنِه ضَرْبُ[٣]
فقلتُ يهُدُّ الصَّخْرَ عند لقائه ومن أعجَبِ الأشياء ليس له قَلْبُ

***

ومن إنشاءاته التى إذا شدَا[٤] بها اليَراع وزَهَر طِرْسها أزرَتْ بكل حديقةٍ غَنّا ، أو عرَفْنا[٥] بها السحرَ المُبين علمنا أنه لم يستتِرْ وجهُ الصواب عنّا .

ما كتبه جواباً عن كتاب أنشأتُه إليه من عمّى أوْحد الكُبَرا ، وأجمل الوزرا .

ذى النظمِ الفائق ، والإنشاء الرّائق .

---

(١) نصير الدين الحمامى .
شاعر كان بمصر ، كيس الأخلاق .
وكانت حرفته اكتراء الحمامات ، وأسنّ وضعف عن ذلك ، فكان يستجدى بالشعر .
توفى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة .
فوات الوفيات ٢/٦٠٤ .

(٢) سراج الدين عمر بن محمد بن حسن الوراق .
شاعر مصرى ، كتب للأمير يوسف بن سباسلار ، والى مصر .
توفى بالقاهرة سنة خمس وتسعين وستمائة .
فوات الوفيات ٢/٢١٣ ، والنجوم الزاهرة ٨/٨٣ .

(٣) فى ج : « إذا ركب البيداء » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٤) فى ا : « شذا » ، وفى ج : « شفا » ، والمثبت فى : ب . (٥) فى ا : « غرقنا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

عبد الرحمن بن الهادى ، لا برِح رَوْضَ مجدٍ يُقيِّد عين الرّائِى وعينَ جُود يكرَع منها الصادِى .

وهو :

سماء بلاغة زهَرت نجومُ بُروجها ، وروضةُ فصاحةٍ نجَمت زهورُ مُروجِها .

ورَدتْ إلىّ بأنْفاسها اليُوسُفيّة ، ونسماتِها النّدِّيّة النّدِيّة .

من مَقامِ مَن اشْتدَّ بوزارته أزْرُ الإمارة ، وظهرتْ على محبّته وصِدق مَودّته الأمارة .

ذلك الماجدُ المُكرّم ، والسابقُ فى حَلْبتَى الأدب والنُّسْك حتى أنْسَى بالـكُميت[1] وابنِ أدْهم .

بهْجةُ النّادِى وحَدَقة حديقةِ الوادِى ، وَجيهُ الدين عبد الرحمن بن الهادى .

لا زال مُرْتشِفا من النِّعَم زُلالَها الصافى ، مُتفيِّئا ظِلالها الظّليل[2] الضّافى .

ماناحَتْ الحمامُ على الهَدِيل[3] ، وأطْربت بهَديرِها والهديل .

وبعد ؛ فإنه ورَد منـه ذلك الـكتاب ، الذى أزال خُطوبَ النّوَى بِلُطف ذلك الخطاب .

فأُقْسِم بالليل من سَوادِ نِقْسِه[4] ، وبالفجر من بَياض طِرْسِه .

لقـد تعطّرتْ[5] به الأرْجاء وتمسّـكتْ ، [6] بالأكُفِّ[7] التى تلمّستْ به وتمَسّـكت[6] .

ولقد شَنّف الأذانَ بما أوْدع من الجواهر والدُّرَر ، وفعَل ذلك اللفظُ اليُوسُفِىُّ فى البصائرِ فِعْلَ القميصِ اليُوسُفِىِّ فى البصَر .

---

(١) يعنى الـكميت بن زيد الأسدى الشاعر ، وإبراهيم بن أدهم الزاهد ، والـكميت والأدهم وصفان للفرس أيضا .
(٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج . (٣) الهديل : فرخ الحمام . (٤) النقس : الحبر .
(٥) فى ج : « تقطرت » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٦) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .
(٧) فى ا : « والـكف » ، والمثبت فى : ب .

فلِلّه دَرُّ مُنْشِىءِ ذلك الدُّرِّ النَّظِيم ، ولولا ذِلّةُ اليُتْمِ لقُلت اليتيم .

ولَعَمْرى إن من أجَلِّ فوائد هـذا السِّفْر المُفيـدة ، تطْويق بنَفِيس تلك الدُّرَر الفَرِيدة .

وأسأل فالقَ الحَبِّ والنَّوَى ، أن يهَبنِي أسْبابَ الإياب ويقطعَ أسْباب النَّوَى .

وقد قابلتُ بحصَى هذا الجواب دُرَرَ ذلك[1] الابْتدا ، ولو لزِم اسْتواءُ لفظِ البادِي والمُراجِـع لَما سُمِّيَ جوابًا رَجْعُ الصَّدَى .

فعلى صاحبِ ذلك الـكتاب وكاتبه ، أزْكَى سلامِ اللهِ وأطايبه .

ودُعاؤُهما مُستَمَدٌّ فى آخر شهرِ الصيام ، سِيَّما بالتوفيق وحسنِ الختام .

＊＊＊

ومن غاياتِه التى لا تُدرَك ، وآياته التى لا تُشْرَك .

ما كتب به جوابًا عن قصيدة ، كتبها إليه أوحدُ السادة ، وسليل أكْرم قادَة .

ضياءِ الإسلام والدين زيد بن محمد بن الحسن[2] ، وأرسلها على يد السيِّد عماد الدين يحيى بن أحمد العبّاسِيّ[3] .

فأصحبها السيدُ المذكور أبياتًا منه تتضمَّن تصديرَها إليه ، فأجاب عليها بهـذه

---

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .

(٢) السيد زيد بن محمد بن الحسن الحسنى الزيدى .
شيخ مشايخ صنعاء فى عصره .
ولد سنة خمس وسبعين وألف .
وأخذ العلم عن أعيان العلماء ، كالقاضى على بن يحيى البرطى ، والقاضى الحسين بن محمد المغربى .
وكان يؤهل للامامة ، ويرجى لها ، مع براعة فى جميع المعارف ، لا سيما علم المعانى والبيان .
توفى سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف .
البدر الطالع ١/٢٥٣ ــ ٢٥٦ .

(٣) السيد يحيى بن أحمد العباسى .
أديب بارع ، مؤرخ ، ماجد ، حسن الأخلاق
وزر للمهدى صاحب المواهب مدة ، ثم نكبه فلزم الخمول .
توفى فى القرن الثانى عشر .
ملحق البدر الطالع ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

الـكلمات ، ومابعدها من النظم الذى تنعقد خناصر المحبّرين عليه :

وهو :

أبهى تحف تحفُ بكلّ معنّى بديع ، وأبهج كَلِم يعجز عن تحرير مثلها الحريرئ والبديع .

وردت إلينا من مقام من أضحت العلومُ بأسرها فى أسْره ؛ فهو ابن عبَّاس عصره ، وابنُ بسَّام دهره ، يحيى الذى يحيا الفؤادُ بذكره .

أتحفه اللهُ بسلام تتعطَّر الأرجاء بنشره ، ويليق بعالى مقامه الرَّفيع وقدْره .

وبعد ؛ فإنها وردت تلك المطالَعة ، التى طلَعت بدورُها بالأنوار الساطعة .

متضمِّنة تصْديرَ تلك الحدائق التى تروُق الناظر ، ويذْوِى لدَى نوْرها النجمُ [١] الزاهر ، ويخفَى عند نُورها النجمُ الزاهر .

من نِظَام فرْع الدَّوْحة القاسميَّة ، وطِراز العصابة الهاشميَّة .

فلعمْرِى لقد نسَج ببنَان البيان بُرْداً لم يُنسج على مِنْواله ، وأثار [٢] برقَّة ذلك الغزَل جوًى فى حوانِج كم من وَالِه .

فلما وصلت تلك الـكلمة السنِيَّة ، قابلَها المحِبُّ بالإعْظام والإجلال ، ووضَعها على العَيْن والرأْس ، وقال :

أهــلاً بهـا فهْىَ أنفاسٌ ذَكِيَّاتُ ... نَدِيَّةٌ مالهــــا نِدٌّ نَدِيَّاتُ

هبَّت لنـا من جهاتِ الشرقِ عاطرةً ... وإنهــــا نسَماتٌ عَنْبَرِيَّاتُ

جاءتْ تُذكِّر أيامَ العَقِيقِ فصُبَّ ... تْ من الطَّرْف فى الخَـدِّ الصُّباباتُ

سقَتْ عهودَ لياليـــه العِهادُ ففِى ... تلك الليالِى التى مرَّتْ حلاواتُ [٣]

(١) النجم هنا : ماينجم من الأرض من النبات ونحوه . (٢) فى ا : «وأنار» ، والمثبت فى : ب ، ج.
(٣) العهد : أول مطر الربيع .

أَعُدُّها من ليالى القَدْرِ حين غَـدَا ... فى جُنْحِهـا لنُزول الرُّوح عاداتُ

مَن إن تثنَّى تغنَّى حَلْيُـه فإذا ... لِلْوُرْقِ فوق قضيبِ الْبانِ نَغْماتُ

وقَدُّه ليس فيـه مَطْعَنٌ أبداً ... فاعْجَبْ وقد شابهته السَّمْهرِيَّاتُ

واْعجَبْ لألْحاظِه مافى الجمالِ يرى ... حَدًّا لها قطُّ وهْى المَشْرَفِيَّاتُ

لجملة الحُسْنِ أضحى جامعاً فلذا ... إذا تبدَّى غدَا للناسِ سَجْداتُ

عليك ياجامعَ الحُسْنِ الدموعُ غدَتْ ... وَقْفاً فهاهى جَوارٍ مُسْتمِرَّاتُ

يامَن سَجَا طَرْفُه السَّاجِى ومَبْسَمُه الْ ... ماجِى صَباً مَن له بالعشقِ سَكْراتُ

وخيَّلتْ لِكَليمِ القلبِ مُقْلتُـه ... بالسحرِ أن حِبالَ الشَّعْرِ حيَّاتُ (١)

وحُسْنُه أصْمتَ العُذَّالَ فيه وقد ... كانتْ تَنازَعِ فهْى الآنَ أمْواتُ (٢)

الخمرُ بالنَّصِّ حلَّتْ فى الجِنان فلِمْ ... ياجَنَّتِى حُرِّمتْ من فِيك رَشَفاتُ (٣)

ياظالماً سُوحُـه قلبِى ولا عجبٌ ... فالظالمون لهم فى النارِ ساحاتُ

قد أنكرتْ مُقْلتاك اليومَ سَفْكَ دمِى ... فأكْذَبتْهـا بخدَّيْك الأماراتُ

فى خَدِّك الشفَقُ القانِى وفيه على ... قتْلِ الحُسَينِ كما قالوا علاماتُ (٤)

فهْو القتيـلُ بلا ذَنْبٍ له ولِذا ... أضحتْ تجلَّى له فى الأرض جَنَّاتُ

من نَظْمِ من قد حَباهُ من بلاغتِه ... بجَنَّـة وجَنَى تلك الجنايَاتُ

فأصبح الطِّيبُ مُذْ فاحتْ نَسائمُهـا ... فى سُوحِنا وغَواليه رَخيصاتُ

ذاك الذى فيه أوْصافُ الكمالِ غدَتْ ... حقيقةً وهْى فى قومٍ مَجازاتُ

نَدْبٌ بصارِمه المَسْنونِ قد وجبَتْ ... قلوبُ أعـدائه وهْى المُباحاتُ

سُلالةُ المِلكِ الهادى الذى عُقِدتْ ... له على الخلْقِ فى الأعْناقِ بَيْعاتُ

---

(١) فى ب : « لكليم القلب مقبله » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ب : « كادت تنازع » ، والمثبت فى: ا ، ج ، وفى ا : « وهى الآن » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ا : « فى الجنان وقد » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) ورد هذا البيت فى البدر الطالع ١/٢٢٢ ، وفيه : « كما قالوا أمارات ».

مُرْدِي السيوف فما تشكو الصَّدَى أبداً وكيف تشكو الصَّدَى وهى الصَّقِيلاتُ[1]

كم من رُءوسٍ أبانَتْها صوارِمُه من العِدَى وهى آياتٌ مُبيناتُ

ماعمرُو ماثلُ زيدٍ فى الزمانِ له على سيادةِ من مرُّوا زياداتُ

أبياتُه قد أتتنا لا قصورَ بهـا كالزَّهْر لا بل هى الزُّهْر المُنِيراتُ

وافتْ على يدِ من يحيَا الفُؤاد به يحيى بنِ أحمد خصَّتْه التحيّاتُ

مَن جاد بالدُّرِّ منظوماً ولا عَجَبٌ فالبحرُ حقًّا له بالدُّرِّ نفثاتُ

لو لم يكنْ آيةً فى المَكْرُماتِ لَمَا تلَتْه فى طُرُقِ المعروف ساداتُ

يا كوكبَيْ فلَكِ العَلْيا ومن سطَعتْ فى كَوْكَبانَ بما قالا إناراتُ

بدُرٍّ نَظْمِكما للهِ درُّكما طوَّقتُمانى ولى فيه مَقالاتُ

لِذاك سَجَّعتُ فى الأوراقِ مَدْحَكما وللمُطَوَّق فى الأوراقِ سَجْعاتُ

دامتْ لنا منكما يامالِكَيَّ على مَرِّ الزمانِ مَـودَّاتٌ مُؤدّاةُ

ما هبَّتِ الرِّيحُ والأرواحُ تُنْشِدها أهلاً بها فهى أنفاسٌ ذَكِيّاتُ

***

قوله : « جاءت تذكِّر أيام العقيق » .

البيتُ فيه الاستخدام بالضمير ، وهو استخدام حسَن .

***

وقوله : « مَن إن تثنَّى » . . . البيت .

هو كقول ابن نُباتة[2] :

يتثنَّى وحَلْيُـه يتغنَّى هل رأيتَ الحمامَ فى الأغْصانِ[3]

***

---

(١) لعل الأولى : « مرضى السيوف » .

(٢) ديوان ابن نباتة المصرى ٥١١ .

(٣) فى الديوان : « هل سمعت الحمام » .

وقوله : « عليك ياجامع الحسن » .

هو كقول الأول :

أجريْتُ واقِفَ مَدْمعِي من بعدِهِ وجعلتُه وقْفاً عليــــه جارِياً

* * *

وقوله : « يامن سَبَى طَرفُه السَّاجِي » .

فيه مُراعاة النَّظِير ، وفيه التَّسجِيع أيضا .

* * *

وقوله :

* كانت تنَازَع فهْى الآن أمْواتُ *

قد نازَعنى كأسَ هذه النُّـكتة ، وأنا السابق إليها بقولى :

كم لى على حُسْنِهِ المطلوبِ من عُـــذَّلٍ قد نازَعوا وبغَيْظٍ منهمُ ماتُوا

* * *

وقوله : « الخمر بالنَّصِّ » . . . البيت .

فيه الاعتراض بـ « جَنَّتِي » ، وهو من مَحاسِنِ هذه القصيدة ؛ لِما اشتمل عليه من المعنَى المبتـكَر البديع البعيد .

* * *

وقوله :

* حقيقة وهْى فى قومٍ مَجازاتُ *

ذكرتُ به قولَ القائل فى مدح أمير المؤمنين علىٍّ كرَّم الله وجهَه :

أنت للعـــلمِ فى الحقيقةِ بابٌ يا إمامُ وما سِـــواكَ مَجازُ

* * *

وقوله : « لو لم يـكُنْ » هو آيةٌ من آياتِه،وفيه إثبات صفة غير مُمكِنة للموصوف، وهو كقول ابن نُباتة [١] :

ولو لم تـكنْ فى الجـودِ للناسِ آيةٌ لَما كان مُنْهَلُّ الغمام تلاكا [٢]

وهذا النوع من البديع بديع ، منه قولُ الخطيب الدِّمَشْقِىّ :

لو لم تـكُنْ نيـّةُ الجوْزاء خِـدْمتَه لَما رأيتَ عليهـــا عقدَ مُنْتطِقِ

وقول التِّهامىّ [٣] :

لو لم يـكُنْ أقْحُوانًا ثغرُ مَبْسَمِها ما كان يزْدادُ طِيباً ساعةَ السَّحَرِ

وقوله أيضا [٤] :

لو لم تـكُنْ رِيقَتُــــه خَمْرةً لمـــا تَثَنَّى غُصْنُه وهْو صاحِ

وقول أبى إسحاق الغَرْناطِىّ :

ولو لم يـكُن رِيمُـــه سَكْراً لَمـــا دار من حَوْلِه الشَّارِبُ

***

ومن مَحاسِنِ الحسين ، قوله مُضمِّنا ومُورِّيا ، لَمَّا استُشْهِد أوحد الأمراء صفىُّ الدِّين أحمد بن محمد بن الحسين ، وكان لـكثرة صَمْته تُلقِّبُه العامَّة بحجَر [٥] :

ودِدْتُ مَصرعَ مولانا الصَّفِىِّ ولا رجوعَ فى سِلْكِ قومٍ بعد أن كسرُوا

وصرتُ أنْشِد من كَرْبٍ ومن أسَفٍ ما أطْيَبَ العيشَ لو أن الفتى حَجَرُ

☆

(١) ديوان ابن نباتة المصرى ٣٦٤ .

(٢) فى الديوان : «ولو لم تـكن للجود فى الناس آية» .

(٣) أبو الحسن على بن محمد بن فهد التهامى .
أصله من تهامة ، ورحل إلى الشام والعراق ، وولى خطابة الرملة .
ثم رحل إلى مصر بكتب من حسان بن مفرج الطـائى ، إلى بنى قرة ، فاعتقل فى مصر وحبس ، ثم قتل سراً فى سجنه ، سنة ست عشرة وأربعمائة .
دمية القصر (تحقيق) ١/١١٠ ، وفيات الأعيان ٣/٦٠ .
والبيت فى ديوانه ٤٣ .

(٤) ديوان أبى الحسن التهامى ٢٢ .

(٥) البيتان فى البدر الطالع ١/٢٢٢ .

٢٠٤

السيد عيسى بن لُطْف الله بن المُطهَّر بن الإمام شرَف الدين *

هو من سادات هذه القبيلة ، ونُبَغاء هذه الطائفة النبيلة .

مُتعادِل الشَّرفَيْن ، مَحْبُوك الجدّ من الطَّرَفَيْن .

وله كَلماتٌ من نَفْحة عيسى فيها نَفْخة ، ومُحاضرات فى صَفْوة المُدامة منها رَشْحة .

وكان فى كلّ العلوم مُشاراً إليه ، إلّا أنه أكثرَ من علم النُّجوم فغلَب عليه .

***

فمن شعره هذه القصيدة ، كتبها إلى الإمام القاسم (١) ، يتنصَّل مما ينسبه الناس إليه ، وكان توجيهها من كَوْكَبان إلى شَهارة (٢) .

وهى قوله (٣) :

ماشاقَنِى سَجْعُ الحمامهْ سَحَراً ولا بَرْقُ الغَمامَهْ
كلّا ولا أذْكَى الجوَى ذِكْرُ العُذَيْب وذِكرُ رَامَهْ

(*) السيد عيسى بن لطف الله بن المطهر بن الإمام يحيى شرف الدين .
أديب رقيق الحاشية ، منجم ، مؤرخ .
له تاريخ سماه « روح الروح » ، وآخر سماه « النفحة اليمنية فى الدولة المحمدية » .
توفى سنة ثمان وأربعين وألف .
البدر الطالع ١/٥١٦ ، خلاصة الأثر ٣/٢٣٦ – ٢٣٩ .

(١) الإمام القاسم الملقب بالمنصور بالله بن محمد بن على .
صاحب اليمن .
ولد سنة ثمان وستين وتسعمائة ، وطلب العلم ، وتنقل فى البلدان ، ثم حارب الدولة العثمانية ، وصالحته الدولة العثمانية ، سنة ست عشرة وألف على جهات معلومة ، واستمر واليا إلى أن حاربه العثمانيون مرة أخرى وهزموه ، فخرج متنكرا ، وتوفى سنة تسع وعشرين وألف .
البدر الطالع ٢/٤٧–٥١ ، خلاصة الأثر ٣/٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٢) تقدم ذكر كوكبان، أول هذا الباب، وأما شهارة ، فهو من حصون اليمن. معجم البلدان ٣/٣٣٦.

(٣) مستهل هذه القصيدة فى البدر الطالع ١/٥١٦ ، وجميعها فى خلاصة الأثر ٣/٢٣٦ – ٢٣٨ .

ودموعُ عيني ماجرَتْ شَوقاً إلى لُقْيا أُمامَهْ
هيْهــــات قلبي لا يَمِيـ لُ إلى مليحٍ هزَّ قامَهْ
ماشاقَنِي إلّا الذى نفْسِى عليـــه مُستَهامَهْ
برٌّ كريمٌ ماجـــدٌ حازَ الجلالةَ والشَّهامَهْ
وحوَى الفَخارَ جميعَــه حتى غــدا فى الدهرِ شامَهْ
لبِس الفضائلَ حُـــلَّةً فبدَتْ لها منـــه وَسامَهْ
فردٌ تفرَّد بالعُــــلَى ولديْه للعَلْيـــا عَلامهْ
أعْـــنِى أميرَ المؤمنيـ نَ مُغيثَ أرْبابِ الظُّلامَهْ
القاسمَ المنصورَ مَـن زان الخلافةَ والإمامَهْ
رُكن النُّبُوَّةِ شــاده والبيْت ترفعُه الدِّعامَهْ
عَرَّجْ بِمَرْبَعِهِ الكِرا مِ ترَى به وَجْهَ الكرامَهْ
وترَى جــــوَاداً دونَه فى الجودِ طَلْحةُ وابنُ مامَهْ(١)
أعــــداؤه شهِدتْ به بالفضلِ طُرًّا والزَّعامَهْ(٢)
والفضلُ ما شهِدتْ به الـ أعداءُ لا أهلُ الذِّمامَهْ(٣)
أحْيـــا الجهادَ فكم له يوم حكَى يومَ اليمامَهْ
واسْــألْ بذاك سُيوفَه كم أذْهَبتْ فى الجوِّ هامَهْ
فَطِنٌ يـكون بِسلْمِه بَدْراً وفى الهَيْجا أُسامَهْ
مولاىَ يا قمرَ الهُدَى الـ مذكورَ فى قتِ الإمامَهْ
يا مَن أرَى حُبِّى له أسْنَى الذَّخائرِ فى القيامَهْ

---

(١) طلحة الجود ، وهو طلحة بن عبيدالله الصحابى ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وكعب بن مامة جواد جاهلى مشهور .
(٢) فى خلاصة الأثر : « شهدت له » .
(٣) فى خلاصة الأثر : « لا أهل الرحامة » .

وجّهتُ نحوكَ سيِّدي عِقْداً أجزْتُ به نِظامَهْ

عِقْداً من النَّظْمِ الذي سلَبتْ خرائدُه قُدامَهْ [1]

يُهدِي إليك تحيّتي ويُزِيل عن سرِّي لِثامَهْ

أيضاً ويُوضِح حُجَّتِي والحقُّ مَسْلكُه أمامَهْ

لا تأخُذَنِّي سيِّدي بمَقالةٍ حازَتْ ذِمامَهْ

وبقَوْلِ واشٍ قد حشَا لضعيفِ فِكْرته أثامَهْ

قد قال إنِّي قائلٌ بنُجومِ سعدٍ أوشآمَهْ

ونفَيْتُ صَنْعةَ ربِّنا ووثِقْتُ عمْداً بالنَّجامَهْ

لا والذي جعَل النُّجو مَ بلَيْلها تجلو ظَلامَهْ

ما قلتُ إلّا أنَّها للناسِ والأنوا علامَهْ

ولمن أتَى مُسْتغفِراً للهِ رَجْوَى فى السَّلامَهْ [2]

مولايَ واسْأَلْ لا مْرِئٍ فلقد تهوَّر فى المَلامَهْ

ماصيَّر القمرَ التما مَ مُحقَّراً يحكِى القُلامَهْ

ولِمَ الخسوفُ يُصيبُه فى الضَّعف إن وَافَى تمامَهْ

والشمسُ والأفلاكُ تُو ضِح لى بهيْئتها كلامَهْ

فبها عرَفتُ بأنها خَلْقُ الذي يُحْيِي رِمامَهْ

وعليك صلَّى خالقِي وحباً رُبوعَك بالكَرامَهْ

واسلَمْ ودُم فى نعمةٍ يا خيرَ من رفَع العِمامَهْ

* * *

---

(١) يعنى قدامة بن جعفر ، وما عرف به من البصر بطرائق الشعر والنثر .

(٢) فى خلاصة الأثر : « رجو فى السلامة » .

ومن شعره ماقاله لما مرّ ببعض آثار جده المُطهَّر[1] :

قلتُ لَمّا رأيتُ مُرتبع المُلْ ـكِ بسُوحِ المُطهَّر المَلْك مُخْلَى

أبداً تسترِدُّ ما تهبُ الدُّ نيا فياليت جُودَها كان بُخْلا

* * *

وأورد له ابنُ حَميد الدين فى كتابه « ترويح المَشُوق » هذه الأبيات[2] :

ظَبْىٌ على ظَبْىٍ سَطَا منه المُعَنَّى خلَطَا

يا هاجِرى كُن واصلِى فواصلٌ نَجْلُ عطَا

بَغَيْتَ بالصَّدِّ ولا أقولُ أبْغَى الخُلطَا[3]

لَمّا رأتْك مُقْلتِى قلتُ هلالٌ هبَطَا

أردتُ منه وَصْلَهُ ورُمْتُ أمراً فُرُطَا[4]

ورامَ صَبْرِى عاذِلى فقُلتُ رُمْتَ الشَّطَطَا

قلبى عليه ذائبٌ ومنه ما قد قَنِطَا

إذا سلَوْتُ عِشْقَه فسلْوتى عينُ الخَطَا

أقسمتُ ما أترُكُه ولو بشَيْبٍ وُخِطَا

ولو إلى الموتِ دعا حثَثْتُ فى السيرِ الخُطَا

وربُّنا سبحانَه يغفرُ فى الحبِّ الخَطَا

*

---

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ٣/٢٣٨ . (٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٣) فى خلاصة الأثر :

نعيت بالصَّدِّ ولا أقولُ نعىَ الخُلطَا

(٤) فى ب : « منه وصلة » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

٢٠٥

ولده السيد جعفر

أديبٌ شمائلُه مفترَّة عن النَّسِيم ، وأخلاقه منتسَجَة من الروضِ الوَسِيم . يكاد لُطفه يطير مع الهَوا ، لولا تجاذَبه علائقُ الأهْوا .

***

وله شعرٌ يُطرِب المستمِع ، ويُسْتَشَفُّ صِدْقُ بَرْقِه الُملتمِع .

فمنه قوله :

فى القلبِ من لَحَظاتِ الحبِّ أشْجانُ ... وفى الفؤادِ من الهجْرانِ نِيرانُ

وكيف أفْتُر عن ذِكْر الحبيبِ وفى ... قلبى جوًى وسحابُ الجفْنِ هتَّانُ

وللفؤاد اشْتيـاقٌ فى هوَى قمرٍ ... تُشْجِيه من نغَمات الطيرِ ألْحانُ

وكم تعلَّقتُ بالإعْراضِ عنه وكم ... بكيتُ حتى بكَى لى فى الحِمَى الْبانُ(١)

وشَفَّنى فيه وَجْـدٌ لا أُطِيق له ... وكيف أصبرُ عنه وهْو فتَّانُ

حسِبتُ أنّ السكْرَى فى العشقِ يُسْعِدنى ... فصَحَّ لى فيه أن القَـومَ خُوّانُ

قد كنتُ أملِك قلبى قبل عِشْقتِه ... والآن قد رحلَتْ بالعقْلِ أظْعانُ

يا مُحرِقًا لفـؤادٍ أنت ساكنُه ... رِفْقًا فقد فتكَتْ بى منك أعْيانُ

وكلُّ من لامَنى فى الحبِّ قلتُ له ... يكْفيك أنَّ عذابى فيه سُلْوانُ

***

---

(١) فى ج : « وكم تعرضت بالإعراض » ، والمثبت فى : ا ، ب . وفى ا : « بكيت حتى يكون » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٢٠٦

أحمد بن الحسين بن أحمد بن حميد الدين *
ابن المُطهَّر بن الإمام يحيى شرَف الدِّين

ذو عارضةٍ لا تُعارَض ، وسَليقة لا تُقارَض .

ونظْم كالسِّحرِ إلا أنه حَلال ، ونثر كالماء إلا أنه زُلال .

جاء فى ذلك بالمُعجِز ، فى الطويل منه والمُوجَز .

فيُوجِز لكنَّه لا يُخِلّ ، ويُطْنِب لكنَّه لا يُملّ ، وكيف يُمِلُّ ، وتوفيق من أقاد العقول عليه يمِلّ .

وهو باليمن سِرُّ النَّباهة ، وفَرْد فى جَودة البَداهة .

وله الكتاب الذى سمَّاه « ترويح المَشوق[1] » ، ذكر فيه من نُخَب الأشعار ما هو ألَذُّ من نظَر العاشق فى وجهِ المعشوق .

جرَّدتُ من شِعْاره التى أثبتَها فيه ما يهُزُّ المَعاطف اهْتِزازَ النَّشْوان ، وكأنما هو سِقْط النَّدَى على الأُقْحوان .

***

(*) ترجمه الشوكانى ، فى البدر الطالع ١/٤٥ ـ ٤٧ ، وذكره فى ترتيبه باسم « أحمد بن الحسن » ، وذكر أن المحبى ترجمه فى نفحة الريحانة .

وقال : « توفى فى سنة ثمانين وألف » .

(١) تمام اسمه « فى تلويح البروق » . البدر الطالع ١/٤٥ .

فمن ذلك قوله فى وِزان قصيدة يحيى بن مَطْرُوح[1] ، التى أولها[2] :

بأبِى وبِى طَيْفٌ طَرَقْ عَذْبُ اللَّمى والمُعتنَقْ

* * *

إيَّاكَ من سُودِ الحدَقْ فهى التى تكسُو القَلَقْ[3]

لا يخدعنَّك حُسْنُها فالأَمْنُ يتبعه الغَرَقْ[4]

واحذَرْ مُلاطفةَ الغَوا نِى بالتذلُّل والمَلَقْ

يا أيّها المولى الذى أنا مِن مَواليه أرَقّ

ياباخِلاً حتى بطَيْ فِ خيالِه جُنْحَ الغَسَقْ

للهِ وصلُكَ ما ألَذَّ وطعمُ هجرِكَ ما أشَقّ

ياغُصنَ دُرٍّ مائِدٍ قد ضَنَّ عنَّا بالوَرَقْ

جَمعَ المَلاحةَ والطَّرا وَةَ والحلاوةَ فى نَسَقْ

كيف الخلاصُ لمُغرَمٍ لولا المَدامعُ لاحْترَقْ

لولاكَ مادار الغَيُو رُ ولا تشبَّثَ بالعُلَقْ

يا أيها البرقُ الذى خُفُوقِه قلبى خَفَقْ

أرُفُقْ سفَحْتَ مَدامعِى اخشَ علىَّ من الغرَقْ

أتظُنُّ أنك ثَغرُه هيهات عنك الفَهْمُ دَقّ

ما أنتَ جوهرُه النَّفِيـ سُ إذا تبسَّم أو نَطَقْ

---

(١) جمال الدين يحيى بن عيسى المصرى ، ابن مطروح ، الشاعر .
ناظر الخزانة بمصر أيام الصالح أيوب .
توفى بمصر ، سنة تسع وأربعين وستمائة .
شذرات الذهب ٥/٢٤٧ ، النجوم الزاهرة ٧/٢٧ ـ ٢٩ .

(٢) القصيدة فى ديوانه ١٧٨ ، وهذا البيت فى البدر الطالع أيضا ١/٤٦ .

(٣) هذا البيت والأبيات الثلاثة التالية فى البدر الطالع ١/٤٦ .

(٤) فى البدر الطالع : « يتبعه الفرق » ، وهو أولى .

أقسمتُ من خدَّيْك يا شمسَ الملاحـــةِ بالشَّفَقْ
ومن الجبين بنيِّرِ الْـ قمرِ المُنـــيرِ إذا اتَّسَقْ
ومن الغـــدائرِ منك باللَّـ يْلِ البَهِيمِ وما وَسَقْ
لم أنسَ ليْلاتِ العُذَيْـ بِ وطيبَ ذيَّاك الأرَقْ
قصُرتْ ولكن طوَّلَتْ أسَفاً بعاقبـــةِ الحُرَقْ
ياعيشَنا المــــاضي اللَّذيـ ذَ وأنت بالذِّكْرَى أحَقْ
علِّي أراك عُـــلالةً ومن العُلالةِ ما صَدَقْ[1]

***

وقوله[2] :

يارشأً أشْمَتَ بي العَواذِلَا مالك جانبْتَ الوفاء عادِلَا
ما زِلْتَ تُولِيني صُــدوداً دائماً قد نصبَتْ لي هُدْبُك الحبائلَا
أوْقَعْتَنِي فيهـــا فلمَّا وقعْـ تُ نفسي ماحصَّلْتُ منك طائلَا[3]
كلَّفَنِي هوَاكَ كلَّ كُلْفةٍ أكْسَبَنِي صُدودُك البَلابِلَا[4]
ياغاضِباً ياهاجِراً ياسائِماً ياقابِساً ياراجِماً يانابِلَا[5]
ياجائراً في نَهْيِه وأمْرِه ياقاسِياً يافاتِكاً ياقاتلَا
قد كنتُ خِلْواً قبل حَمْلِي للهوى حتى رأيتُ أعْيُناً قواتِلَا
سَواحِراً يخْتِلْن أرْبابَ الهوَى والسحرُ أمْضَى مايكون خاتِلَا
يازمنَ الأثْلِ ومَن لي لو تَعِي نِدايَ أو تُرْجِع عيْشِي قابِلَا
ياحَلْيَ لذَّاتِيَ من بعـــدِك قد شاهدْتُ أجْيادَ المَهَا عَواطِلَا

---

(١) في ج: «على أراك غلالة»، والمثبت في: ا، ب. (٢) الأبيات الثلاثة الأولى في البدر الطالع ١/٤٦.
(٣) في البدر الطالع: «ما حصلت منها طائلا». (٤) البلابل: الهموم، ووسواس الصدر.
(٥) في ج: «ياقاضبا ياهاجرا»، والمثبت في: ا، ب، وفي ب: «ياراجحا ياناثلا»، والمثبت في: ا، ج.

هل تذكُرَنَّ ما تفضلْتَ به ... يازمنًا قلّدنى الفضـائِلا

أمْكنني من بَدْرِ إنسٍ آنِسٍ ... كانتْ له منازِلى منازِلَا

تُقْنَص آرامُ الظِّبا بعيْنِه ... فكم سَبا مَشادِنًا مَطافِلا (١)

تُطرِبه إذا مشَى حُلّتُه ... أستغفرُ اللهَ خَلا الخلاخِلا

يابِأبِى بدرٌ على غُصْنٍ نَقًا ... يُقِلُّه خَصْرٌ كصَبْرِى ناحِلا

يحمِل من أرْدافِه مثلَ الذى ... حمَلْتُ كىْ أغْدُو له مُماثِلا (٢)

كم لذّةٍ قضَّيْتُها بحبِّه ... فى روضةٍ تكْتنِف الخمائلا

والنهرُ قد جُنَّ لفَرْطِ عُجْبِه ... فصارتِ الرِّيحُ له سَلاسِلا

والنَّرجِسُ الغَضُّ يقول طَرْفُه ... لِيهْنِك المُغازلُ المَغازِلا

أُمْلِي عليه من كتابِ صَبْوتى ... رسائلًا تُحقِّر الرسائلا

لو أُنْشِدتْ رَضْوَى لرَقَّ صَلْدُه ... أو أُنْشِدتْ يَذْبُلَ عاد ذابِلا (٣)

فيابَنِى الدنيا ويا أهلَ الهوى ... هذا هو العيشُ لنا تَطاوَلا

لا وقفةُ الحائرِ فى طُلولِه ... تسألُ مَغْناها حبيبًا راحِلا

وإنّنى أرجُو الذى مرَّ لنا ... يُعِيده ربُّ السماء عاجِلا

حتى تعودَ منه أبْياتُ الحِمَى ... أوانِسًا تجمعنا أواهِلا

* * *

وقوله (٤) :

للهِ أيامُ الغَزَلْ ... مابين مُعْتَرَكِ المُقَلْ

---

(١) فى ا ، ب : « فكم سبا مشاذفا » ، وفى ج : « فكم سبا مشافها » ، ولعل الصواب ما أثبته . والمشادن ، جمع المشدن ، وهى الظبية شدن ولدها ، أى قوى واستغنى عن أمه ، والمطفل ذات الطفل.

(٢) فى ا : « حملت كف أغدو » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) رضوى : جبل بالمدينة ، وتقدم ذكره كثيرا ، ويذبل : جبل مشهور الذكر بنجد . معجم البلدان ٤/١٠١٤ .

(٤) البيتان الأولان فى : البدر الطالع ١/٤٧ .

أيامَ أرْكُض فى ميا   دِينِ المَسرَّة والجذَلْ (١)
والأحْوَرُ التَّيَّاه من   حطَمتْ لَواحِظُه الأسَلْ
بدرٌ بدا فى الأوْجِ مِن   فَلَكِ الأزِرَّةِ واسْتَهَلّ (٢)
مُتفــــرِّدٌ بالحُسْنِ قد   حاز المَلاحةَ عن كَمَلْ
مافوَّق السهمَ الذى   فى طَرْفِه إلّا قتَــــلْ
ياخَصْرَه عجبًا عليْـ   ـك لِما حملْتَ من الثِّقَلْ
أيقِلُّ منك الجذْبُ يا   وَاهِى القُوَى خَصْبَ الكَفَلْ
يا أيُّهــــا الرَّشأُ الذى   أنا فى محبَّتـــــه مَثَلْ
نَقَل الأراكُ بأن ثَغْـ   ـرَكَ ضامِنٌ لِشِفا العِلَلْ
ياحُسْنَ مارفَع الأرا   كُ عن الثغورِ وما نقَلْ
خَـــبرٌ نَماه إلى صِحا   حِ الجوْهَرِىِّ فلا يُعَلّ (٣)
مَن مُنصِفِى من جائرٍ   شابَ الوَسامةَ بالبَخَلْ
أفْدِيه من مُتَــــلوِّنٍ   لا يستقِرُّ على عمَلْ
ياليْته صَـــدَّ الصُّدو   دَ وليتــــه مَلَّ المَلَلْ
مُتحجِّبٌ بالرَّغمِ من   مَفْتونِه خَلْفَ الكِلَلْ
وهو الذى فى الرُّوح منِّى   منـــــذ حينٍ قد نزَلْ
مافيه من عيْبٍ سوَى   أن جار فىَّ وما عدَلْ
أو أنَّه نادَى فؤا   دى بالصَّبابةِ وارْتحَلْ
والدمعُ ألْزمُه يَصُو   بُ على المَنازِل وانهَمَلْ

(١) فى البدر الطالع : « أيام ركضى » . (٢) فى ا : « فلك الأسرة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) يشير إلى صحاح اللغة لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى ، وما قيل فى اعتماده الصحة فيما ينقله .
انظر المزهر ١/ ٩٧ ، وهو يشير أيضا إلى الصحيح من الجوهر .

ناديتُ يوماً طَرْفَه ... اللهَ فى أمرِ العجَلْ

فأجابنى بجفونِه ... السيفُ قد سبَق العذَلْ[1]

وَاهاً له من مُدرِكٍ ... فعَل الجنايةَ واستدَلّ

يا أثْلَ عِيسٍ المُنحنَى ... حَيّتْك سُحْبُك بالبَلَلْ

لم أنسَ طِيبَك لا نَسِيـ ... ـتُ وطيب أوْقاتى الأُوَلْ

قد كنتَ جامعَ لذّتى ... بك كم حصُلْتُ على أمَلْ

هل تَعطِفَنّ برَجْعةٍ ... لِى لستُ أرضَى بالبَدَلْ

أشكو عليك من المُهَفْـ ... ـهفِ سالبِ الظّبْىِ الكَحَلْ

ياما جرَى من بَعْدِ بُعْدِ ... كَ فى العميد وما حصَلْ

فعَل العزيزُ بعبدِه ... فِعْلاً يرِقُّ له الجبَلْ

مازلْتُ من أفعالِه ... بين التّدلّه والوَجَلْ

قضّيْتُ دهرى فى هوا ... ه مُولّهاً بعسَى ولعَلّ

فاسْمعْ لِما قال العمِيـ ... ـدُ ولا تَمَلَّ لِما أمَلّ

قد كنتُ كيتَ وذَيْتَ يا ... دهرى القديمَ فلا تسَلْ[2]

فلقد قنِعْتُ إليك من ... شَكْواىَ منه بالجُمَلْ

واللهُ لى نِعْمَ الوكيـ ... ـلُ فقد عجزْتُ عن الحِيَلْ

***

وقوله[3]:

سقَى الأثْلَ كلُّ سَحابٍ مُطِلّةْ ... عليه ولا برِحتْ مُستهِلّةْ

رعَى اللهُ أيامَه السالفاتِ ... وحَيّى مَحلّتَه من محلّةْ

---

(١) سبق السيف العذل، مثل يضرب لنفاذ الأمر قبل القدرة على منعه. انظر مجمع الأمثال ١/١٣٧، ٢٢١.

(٢) ذيت مثل كيت. انظر القاموس (ذ ى ت). (٣) البيت الأول فى البدر الطالع ١/٤٧.

وليْلاتِ أفراحِنـــا المُشْرِفا ... ت بأغصانِ بَاناتِنا والأهِلّهْ
وكلّ فتـــاةٍ كأنّ الهوى ... يُريد بها فتْنةَ الخلْقِ جُمْلَهْ
إذا عاقـــلٌ سامَها نَظْرةً ... على غِرّةٍ أخذَتْ منه عقْلَهْ
وبى من كتمتُ اسمَها غَيْرةً ... ومَن حُبُّها لفؤادى جِبِلّهْ
أحاكِى فى حُبِّها عَنْـــتَراً ... وتحْكِى وأستغفرُ الله عَبْلَهْ
أغالِطُ مِن أجلهـــا عاذِلى ... وأشْتاق فى باطنِ الأمرِ عَذْلَهْ
وأُكْنِى عن نَغْرِها بالبرُوقِ ... وبالرِّيم عن مُقْلتيْها تَعِلّهْ
رَبيبةُ مُلْكٍ إذا ما انْثنتْ ... لإيقاعِ أقْراطِها والأَثِلّهْ
تحـــيِّرُ قدّ قضِيب النَّقَا ... وتُظْهِر فى صَفْحةِ البدرِ خَجْلَهْ[(١)]
وكم جاهلٍ قال لى قد سلَوْتَ ... هَواهـــا فقُلتُ له حاشَ لِلّهْ
يُؤنِّب والعُذْر من وَجْهِها ... يُحرِّر لى نَيِّراتِ الأهِلّهْ
فيـــالِيَ من عاذلٍ مُكثِرٍ ... ويالِيَ من عقْلِهِ ما أقَـــلّهْ
ومنزِلُها خَـــلَدِى والشَّغا ... فُ تحمِلُهـــا حَلّةً ثم حَلّهْ
وإنّ نَسِيبى لهــــا وحدَها ... إذا نسَب الناسُ عُلْوَى ورَمْلَهْ

***

وكتب إلى محمد بن إبراهيم بن يحْيى الشَّرَفِى[(٢)] ، من كَوْكَبان ، هذه الأبيات اعتمد فيها الجناسَ التّامّ :

أخْبارُ أيّامِنا العَـــوالِى ... صِحاحُها نُجُلُ العوالِى[(٣)]

---

(١) فى ا : « فى صفحة الدهر » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) تأتى ترجمته فى هذا الباب ، برقم ٢١١ .

(٣) الأنجل من العوالى : الرمح الطويل .

أيَّام سَلْعٍ وأين سَلْعٌ مَرّتْ على أنها حَوالِى[1]
دهرٌ حَبانِى بكلِّ سُؤْلٍ وكان طَوْعِى وما حَوَى لِى
وساحرُ الطَّرْفِ ضَنَّ عنِّى بالطَّيْفِ فى عالَم الخيالِ
بنَى على الشَّكِّ فى المعانى واستقبل الجامعَ الخيالِى

***

هذا الجامع من مُحسِّنات علم المعانى ، ومن مفتاح السَّكّاكِىِّ فى بحثه لطائف .

قال : ذكر أن السيد العلاَّمة صلاح الدين بن عبد الله المعروف بالحاضِرِىّ ، مضى إلى جامع صَنْعاء ، فلقِىَ بعضَ الطلبة خارجا من الجامع ، فسأله عن دخوله الجامع ؟

فقال : للإعادة فى « التلخيص » ، فبدَهه بعبارة القَزْوِينىّ : « ولصاحب علم المعانى فضلُ احتياجٍ إلى معرفة الجامع » .

فليعجبْ من هذا الاتفاق ، والبلاغة التى سلمت له بالوفاق .

***

ما قَطُّ يلْوِى على شُجونِى من بين صَحْبِى ولا خَيالِى
أظهر هجرى بغير جُرْمٍ ولستُ أدرى بما جَنَى لِى
أرْخَص سِعر الدموعِ عجباً وهْى على غيرِه غَوالِى
وضاع شِعْرُ العُبَيد لَمَّا ضَاع شذَاه على الغَوالِى

***

ضاع الشىء : فات ، وضاع الطِّيب : ظهر .

والشَّذا : الذَّكا .

والغوالى : جمع غالِية ، نوع من الطِّيب .

---

(١) سلع : جبل بسوق المدينة . معجم البلدان ١١٧/٣ .

قال العَسْكَرِىّ فى « الأوائل » : أولُ من سمَّى الغالية غاليةً معاويةُ ، شمَّها من عبد الله بن جعفر ، فسأله عنها ، فوصفها ، فقال : إنها غالية .

ويقال إنه شمَّها من مالك بن مالك .

وأنكر الجاحظ هذا ، وقال : نحن نجد فى أشعار العرب ذكرَ الغالية ، وأنشد :

أطْيَبُ الطِّيب طيب أم بان   فَأْرُ مِسْكٍ بعنبرٍ مَسْحوقُ
خلَطَتْه بزَنْبَقٍ وببَانٍ   فهو أحْوَى على اليدَيْن شرِيقُ

ونسبهما إلى عَدِىّ بن زيد .

ومعجونات العطر كلّها عربيّة ، مثل الغالية ، والشّاهِرِيّة[1] ، والخَلُوق ، واللَّخْلَخَة[2] ، والقُطْر ، وهو العود المُطَرَّى ، والذَّرِيرة . انتهى .

وقد نقل أن الغاليةَ وقَع ذكرُها فى الحديث .

وعن عائشة : كنتُ أُغَلِّل لِحيةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم .

***

أرْجَف عنى الوُشَاةُ أنِّى   فى ثغر سُلطانه جَلالِى
هيْهات أرْضَى بمِثلِ هذا   أعاذَنى اللهُ ذو الجلالِ

***

قال : الشىء بالشىء يذكر ، ذكرتُ بالبيت الأول قولَ السيِّد العلامة الحسن بن

---

(١) الشاهرية : ضرب من العطر . اللسان (ش هـ ر) ٤٣٢/٤ .

(٢) فى ا : والخلخلة » ، والصواب فى : ب ، ج ، وانظر القاموس (ل خ خ) .

أحمد الجلال[1] ، فى الخال :

ونازلٍ أظْلَمَ منه أسْوَد فى مَنْزِلٍ لم يكُ مُستوْطِنَهْ
مُذْلاحَ للنّاظرِ سُلطانُه عاد الجلالىُّ إلى السَّلْطنَهْ

***

قلتُ له مرَّةً لماذا عاقبْتنى جُرْأةً ولالِى
وأنت أعتقْتنى قديماً فقال أقْرَرْتَ والولا لِى
إن كان فى الناسِ من مُجيرٍ للصبِّ فى دولةِ الجمالِ
وقعتُ حالِى وما ألاقِى فوراً إلى مَسْمَعِ الجمالِ
عنَيْتُ قاضِى الأنامِ طُرّاً مَن امتطَى غاربَ الكمالِ
تأخَّر السابقون عنه وبيَّنَ النقْصَ فى الكمالِ

***

هذا الكمال ، عنَى به محمد بن علىّ ، المعروف بالزَّمْلكانِىّ[2] الدِّمَشْقِىّ ، وقد عقد ابنُ نُباتةَ[3] له ترجمة فى « سَجْع المُطوَّق » وأنشد[4] :

---

(١) السيد الحسن بن أحمد بن محمد الحسنى اليمنى ، المعروف بالجلال .
ولد سنة أربع عشرة وألف .
وجال فى البلاد ، وأخذ عن أكابر علماء اليمن ، مثل القاضى عبد الرحمن الحيمى ، والحسين بن القاسم بن محمد ، وغيرهما .
وله مؤلفات منها « شرح الفصول » ، و « عصام المتورعين » .
وله شعر طيب النفس ، فى فنون كثيرة .
توفى سنة أربع وثمانين وألف ، وذكر المحبى أنه توفى سنة تسع وسبعين وألف .
البدر الطالع ١/١٩١ ـ ١٩٣ ، خلاصة الأثر ٢/١٧ ، ١٨ .

(٢) نسبة إلى قريتين ، إحداهما بدمشق . اللباب ١/٥٠٧ .
وكان الزملكانى فقيها شافعيا ، انتهت إليه رئاسة الشافعية فى عصره ، توفى سنة سبع وعشرين وسبعمائة .
الدرر الكامنة ٤/١٩٢ ـ ١٩٤ ، طبقات الشافعية ٥/٢٥١ ـ ٢٥٩ (الطبقة السابعة) .

(٣) أى المصرى ، محمد بن محمد ، الشاعر المشهور ، المتوفى سنة ثمان وستين وسبعمائة .

(٤) البيت لكشاجم ، وهو فى ديوانه ١٧٣ ، والتمثيل والمحاضرة ٤٣٥ .

ما كان أحْوَجَ ذا الكمالَ إلى   عَيْبٍ يُوَقِّيه من العيْنِ

***

إليك أرسلتُها تَهادَى   كاملةَ الشَّكلِ والخيالِ

تنشُر طَيِّبَ الثناءِ نَشْراً   عليك يا صادقَ الخيالِ

فاقْبَلْ من المدحِ نَزْرَ قولٍ   واستُرْ إذا ما رأيتَ قالِي

أنت من الناسِ خيرُ خِلٍّ   غيرُ مَمْلولٍ وغيرُ قالِي

فيالَها فُرْجــــةً أزالتْ   عنِّي هُمومى وطاب بَالِي

فاستعبدِ الدهرَ فى سرورٍ   والْبَسْه حتى يعودَ بَالِي

***

فأجابه عنها بقوله :

طالِعُ سَعْدٍ قضَى وفالِى   أنَّ حبيباً حقًّا وفَى لِي

وبُلْبُلُ الأيْك راح يشْدُو   براحتِي وانْشِرَاحِ حالِي

رافعَ صوتٍ بخفْضِ عيشٍ   جديدُهُ صِينَ عن وَبالِ

ذكَّرنى إذ شــدَا وغنَّى   ما مَرَّ لى من حَميد حالِي

لياليًا كُنَّ كاللآلِي   سالفُ عيْشى بِهِنَّ حالِي

كم خوَّلتْنى ونوَّلتْنى   تلك الليــالِي من النَّوالِ

فليت أنِّى اتَّخــذْتُ عهداً   لافوَّتَ البَيْنِ والنَّوى لِي

ولا قضَتْ بافْتراقِ شَمْلِي   وشَمْلِ مَيْمونةِ الشِّمالِ

كم طَوَّقتْ جِيدَهـا الليالِي   زَنْدُ يمينِي مع الشِّمالِ[(١)]

وكم سقتْنِي بما سقتْنى   من مُسْكِرٍ طاهرٍ حَلالِ[(٢)]

---

(١) سقط صدر هذا البيت من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٢) فى ب : « من سكر طاهر » ، والمثبت فى : ا ، ج .

لو بعـــده ذُقْتُ أيَّ حُلْوٍ　　أستغفرُ اللهَ ما حَلا لِي[١]

***

ذكرت بالبيت[٢] الأوّل قولَ ابنِ نُباتة فى خطبة « سجع المُطوّق » : وهذه أوراقٌ تُثمِرِ الشكر ، وفواصلُ طاهرة إلّا أنها تُنْتِج الشُّكر .

***

للهِ عَيْشٌ خَــلا وكُلٌّ　　كما قضَى ذُو البَقاءِ خَالِي
ليت الذى عمَّهُ جَمــالٌ　　وخَصَّه حُسنُه بخَالِ
رَقَّ لِرِقٍّ عزيزِ قَــومٍ　　أرْخَصَه الحبُّ وهْو غالِي[٣]
ما رَقَّ لى مرَّةً صديقٌ　　ممَّا أُقاسِي ولا أوَى لِي
ولم أجِدْ مثــلَ واحدٍ فى　　أواخِرِ النــاسِ والأوَالِي
طَوَّقَ جِيــدى بعقْدِ نَظْمٍ　　شُهِدْاً على الحــالتَيْن حَالِي
يا واحداً فى العُــلَى فريداً　　وسابقاً ما تلاه تالِي
وخيرُ مَن صام فى نهــارٍ　　وقائمٍ فى الدجى وتَالِي
إن مُسمَّاك فى اكتســابٍ　　لأحمَدِ الحمدِ غــيرُ آلِ
عليك أزْكَى السلامِ تَتْرَى　　بعد نبيٍّ وبعــدَ آلِ

***

وكتب ابنُ حَمِيد الدِّين إليه أيضا ، من محروس شِبام[٤] ، ونَوْر الربيع يضحك عن حَبَبِّ الغَمام[٥] :

قدِم الربيعُ وخيرُ مَقْدَمْ　　والغيثُ أنْجَمَ ثم أنْجَمْ[٦]

***

---

(١) فى ا : «أبعده ذقت» ، والمثبت فى : ب ، ج .　(٢) فى ب : «فى البيت» ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٣) فى ب : « رخصه الحب » ، والمثبت فى : ا ، ج .　(٤) شبام : جبل عظيم قريب من صنعاء، فيه شجر وعيون . معجم البلدان ٣/ ٢٤٨ .　(٥) الأبيات فى البدر الطالع ١/ ٤٧ .
(٦) فى البدر الطالع خطأ : « أنجم ثم أنجم » .

يُقال : أَنْجَمَ المطرُ وأدْجَن ، وأَرَثَّ ، وأَلَثَّ ، فإذا قيل أَقْلَع ، قيل أَنْجَم .
وفى الكَلِمِ النَّوابغ : المرء يقدِم ثم يُحْجِم ، والنَّوْء يُنْجِم ثم يُنْجِم .

* * *

وتقـــدَّم الأنْوَا فلو صَلَّى الوَلِى ورآه سلَّمْ[1]
والجـــوُّ ينشر مِطرَفاً لك فاخِىَّ اللونِ مُعْلَمْ
والسُّحْبُ مَدَّ رُواقَ دِيـ باجٍ بساحتِنا وخَيَّمْ
والروضُ نَمَّقَه الغَمَا مُ بحُسْنِ صَنْعته ونَمَّمْ
فبَـــدا يرُوق الناظرِيـ نَ كأنه بُرْدٌ مُسَهَّمْ

* * *

بُرْد مُسَهَّم : فيه خُطوط مستوية ، ومن ثَمَّ سُمِّىَ الإرْصاد البَدِيعىّ تسهيما ، أخْذاً منه .

وحقيقتُه أن يجعل قبل العَجُز من الفقرة والبيت ما يدلُّ عليه ، إذا عرف الرَّوِىّ .
ومنه فى التَّنْزيل قوله تعالى[2] : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

* * *

والوردُ أبْدَى صفحةً من خدِّه فاشْتَمَّ والْثِمْ
هذا هو العَيْشُ الذى يُصْبِى الحليمَ إذا تحلَّمْ
قد كادت الدنيـــا تقو لُ لساكِنيها لو تَكلَّمْ
هُبُّوا إلى فَىْءِ المُقلَّ صِ ظِلُّه فالفَىْءُ مَغْنَمْ

* * *

---

(١) فى البدر الطالع : « ومقدم الأنواء لوه » .   (٢) سورة العنكبوت ٤٠ .

الغنيمة فى هذا البيت نادرةٌ غريبة ، وبعيدة المُلك ، وإن رآها الغَبيُّ قريبة .

* * *

لِلّهِ أنفـــاسُ الصَّبا ولطيفُ ما أهْدَتْه مِن نَمْ
يا طِيبَ رَيَّاها وإنْ أغْرِى الشَّجِيُّ بها وأُغْرِمْ
حَملت كلاماً سِرُّه الْ مكنونُ أن الشوقَ يُكْتَمْ
ناديْتُها حــتَّى م أحْ تملُ الهوَى العُذْرِى إلى كَمْ
فتعــثَّرتْ بذُيولهــا طَرَباً وقالتْ لا تظَلَّمْ
لا رَأْىَ إلا الصــبرُ وهْ و مع الرِّضا أسْلَى وأسْلَمْ
فأجبْتُها سَمعاً لمــــا حَتَم الحبيبُ على المتــيَّمْ
فبِرُوحِىَ الأحْوَى وفى نَظْمِ الجِناس أقول أحْوَمْ

* * *

الجِناس بين أحْوَى وأحْوم لاحِق .

وحقيقتهُ أن يتباعد الحرفان فى المَخْرج ، وهو نقيض المُضارع .

ومن أمثلته فى التَّنزيل(١) : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ .

* * *

بَدْرِىُّ وَجْهٍ كَمَّلَ الْ بــارِى محاسِنَه وتَمَّمْ
ونَجِىُّ أسْرارِى وإنْ أكُ من لَواحظِه مُـكَلَّمْ
ذَهَبِىُّ خَـــدٍّ منه أثْ رَى صَبُّه والغيرُ أعْدَمْ(٢)
ذُو مُقْـلةٍ نَجْلاء أسْ حر مُقْلةٍ من فوق مَبْسَمْ

* * *

(١) سورة الهمزة ١ .

(٢) فى ج : « ذهبى خد منهم » ، والمثبت فى : ا ، ب .
وأعدم الرجل : افتقر .

﴿ لطيفة ﴾

قال بعضُ قُرَيش لرجلٍ من بنى عُذْرة ، إذا علِقْتم المرأة تموتون ، وهل هذا إلا خَوَر !!

فقال : لو رأيتُم الحواجب الزُّجّ ، تحتها النواظِر الدُّعْج ، تحتها المباسِم الفُلْج ؛ لاتخَذْتُموها اللَّاتَ والعُزَّى .

***

أنزلْتُـــه فى المُنْحَنَى من أضلُعِى واللهُ يعلَمْ
رسلُ الخيالِ إليـــه تَتْ رَى خِفْيةً والناسُ نُوَّمْ
أن ليس أنْسَخُ وُدَّه بالهجْرِ منه فهو مُحْكَمْ
فاعجبْ لهـــا من قِصَّةٍ يا أيهـــا الحَبْرُ المكرَّمْ
ياخــــيرَ تالٍ للأُلَى سلَفُوا وإن كان المُقدَّمْ
عَرِّف حدودَ رُسُومِها وامنَحْ برأْيٍ منك يُرْسَمْ
علِّقْ غَريبَ حديثِها فمحاسنُ الآدابِ ترُقَمْ

***

فى هذا البيت إشارةٌ إلى قاعدتَيْن من علوم [1] الحديث .

الأولى المعلَّق ، وحقيقتُه ماسقَط من مَبادِى سنَدِه رجلٌ بعد التابِعِىّ أو رجلان ، وهو مِن قِسْم المردُود ؛ للجَهْل بحال المَحْذوف .

والثانية الغريب ، وهو ماتفرّد بروايته شخصٌ واحد فى أىّ موضِع من السَّنَد .

***

وابعَثْ قريضَك عُوذةً لفؤادِ مُختبَـــلٍ مُهيَّمْ
فالشوقُ أنجدَ فيـــه لـٰ ـكنْ صبرىَ المسكينُ أتهَمْ

---

(١) فى ا : « علم » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وارْغَبْ إلى الوهَّاب فى جَمْعٍ لفُرْقتنـــا مُنظَّمْ
وختامِ عُمْرٍ من شَـــذَا نفحاتِهِ الأعمالُ تُخْتَمْ

***

فأجابه بقوله :

بأبِى وبِى عَيْشٌ تقدَّمْ كان المُنَى لو أنه تمّ
أيامَ أرْفُل فى ثيا ب شَبابِىَ الْهانِى الْمُنعَّمْ

***

﴿ فائدة ﴾

إنما سُمِّىَ الغزَل تشْبيبا ؛ لذِكْر الغريب فيه أيامَ الشباب ، فما بكت الأعيُن شيئاً كما بكته ، ولا رثَتْ غائبا بأشعارها كما رثْته .

ويروى أن منصور النَّمَرِىّ[(١)] لمَّا أنشَد هارونَ الرشيد أبياتَه العيْنيَّة التى منها :

ماتنْقضِى حسرةٌ منِّى ولا جزَعٌ إذا ذكَرْتُ شباباً ليس يُرْتجَعُ
ما كنتُ أُوفِى شبابِى كُنْه قِيمَتِــه حتى مضَى فإذا الدُّنْيا له تبَعُ[(٢)]

استعبَر الرشيد ، وأجرى دمعه ذلك النَّشيد .

وما أشجى قول ابن طَباطَبا[(٣)] :

للهِ أيامُ الشبابِ فإنَّهــــــا كانت لسُرعةِ مَرِّها أحْلاماَ[(٤)]

---

(١) فى الأصول : « النميرى » ، والمثبت فى اللباب ٣ / ٢٣٨ .
وانظر القصة والأبيات فى زهر الآداب ٢ / ٦٤٩ .

(٢) فى زهر الآداب : « كنه غرته » . (٣) الأبيات فى وفيات الأعيان ١ / ١٢٢ فى ترجمة أبى القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل ، ابن طباطبا ، قال ابن خلكان قبل إيراد الأبيات : « ونقلت من ديوان أبى الحسن بن طباطبا من جملة أبيات : » ، ثم قال بعد إيراد الأبيات : « ولا أدرى من هذا أبو الحسن ، ولاوجه النسبة بينه وبين أبى القاسم المذكور ، والله أعلم » . (٤) من وفيات الأعيان : « لله أيام السرور » .

لو دام عَيْشٌ رحمةً لأخِي هَوًى ... لأقام ذلكم السرورَ دَواماً [١]

ياعيشَنا المفقودَ خُذْ من عيشِنا ... عاماً ورُدَّ من الصِّبا أيّاماً [٢]

وأشْجَى منه قول ابنُ الأثير « فى المثل السائر » ، من رسالة :

أعوامٌ تُعَدُّ أيّاما لقِصَرِ [٣] أعْمارِها ، وشهورٌ لا يُشعَر بأنْصافها ولا سِرارِها .

فالأوقاتُ بها أصائل ، والمَحاسن فيها شمائِل ، والمآرِب فى ساعاتها رياضٌ فى خمائِل .

فما أدْرِي أهي خيالاتُ [٤] أحْلام عرَّتْ ، أم أحاديثُ أمانٍ مرَّتْ [٥] .

***

والأحْورُ الأحْوَى ومعنى الْ ... ميشِ أحْوى الطرْفِ أحْوَمْ

رَشأٌ مُؤشَّرُ ثَغْرِه الْ ... بَرَّاق مَعْسولٌ مُوشَّمْ

كأسٌ كخاتِمِ فِضَّــــةٍ ... أضحَى بمِسكِ الخالِ يُخْتَمْ

يُذْكِي الغرامَ مُبَرَّدٌ ... منه مليحُ الطعمِ والشَّمْ

لو أشرقتْ للبــدرِ غرَّ ... ةُ وجهِه صَــلَّى وسلَّمْ

من أجْــلِه قد سَلْسلَتْ ... عيْنِي حديثَ الدمعِ عن دَمْ

ياليْتـــه يوماً يَرِقُّ ... لحالِ مظـــلومٍ تظلَّمْ

حتَّى مَ أشــكُو واصْطبا ... رُ أخِي الهوى فَرْضٌ مُحتَّمْ

للهِ مــــولًى مالكٌ ... أهْدَى لِيَ الدُّرَّ المُنظَّمْ

أهْدَى لِيَ الوردَ الجَنِيَّ ... وقالَ لى فاشْتَمَّ والْثَمْ

---

(١) فى وفيات الأعيان :

* لأقام لى ذاك السرور ودَاماً *

(٢) فى وفيات الأعيان : « خذ من عمرنا » . (٣) بعد هذا فى ب زيادة : « أيامها » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ب : « أضغاث » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ا ، ب : « قرت » ، والمثبت فى : ج .

يامالكِى والمالكُ الْـ ... مولَى جزيلُ الفضلِ يخدمْ
شرَّفتنى ولك الفخا ... رُ كما لكَ الشرفُ المقدَّمْ
بمُشَرِّفٍ لقُـدومِه ... قدمِ الربيعُ وخـيرُ مَقْدَمْ
فكحَلْتُ منـه ناظرِى ... بالشمسِ والبدرِ المُتمَّمْ (١)
والسبعةُ الأفلاكُ جا ... ءتْ فى دقائقِه تنظَّمْ
مازلتُ أطْوِيه وأنْـ ... شرُه وأمسحُـه وألثَمْ
هو نُصْبُ عينى مُذْ أتَى ... مازال بيْن الفتْحِ والضَّمّ
مازلتُ أستَشْفِى به ... ورسائلُ الأحبابِ مَرْهَمْ
فرأيتُـه لِجَوايَ أحْـ ... سَنَ قاطعٍ لى وأحْسَمْ (٢)
وشكرتُ أجملَ نعمةٍ ... من فضلِ مَولانا وأجْسَمْ
ونظَمتُ حَصْباءَ الترا ... بِ ولم تكن ممَّا تنظَّمْ (٣)
وغُررتُ أنِّى كنتُ أنْـ ... ظِم فى زمانٍ قد تقدَّمْ
فاعذِر فهـذا النَّظمُ يدْ ... فعُ فى لَهازِمِه ويلْطِمْ
ولأنْت أكرمُ ساترٍ ... لعُيوب خادمِه وأرْحَمْ
وإذا تسكامات المَودَّ ... ةُ ياصديقُ وأنت أعلَمْ
طُوِيَ البِساطُ فلم أكُنْ ... ممَّن تَحاشَى أو تجهَّمْ (٤)
والحمـدُ للهِ الذى ... أعلاكَ مِقْـداراً وعلَّمْ
واللهُ يجمعُ شَمْلَنـا ... من فضْلِه جَمْعاً مُنظَّمْ

* * *

---

(١) فى ب : « والبدر المنمم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ج : « فوجدته لجواى » ، والمثبت فى : ا ، ب . ويجز البيت غير مستقيم الوزن .

(٣) فى ب : « ممن تنظم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ج : «أطوى البساط » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وفى ب: «مما تحاشى» ، والمثبت فى : ا ، ج .

ومن بدائعه قوله :

شوقٌ تجنّاه الحبيبُ بلا جُرْمِ ... ورِئمٌ غريرٌ لا يُوافِي ولا يَحْمِي
وشوقٌ كأن النارَ من قَدْحِ زَنْدِه ... فكيف يرُوم العاذلون له كَتْمِي
وجَفوةُ نَشْوانِ المَعاطِفِ حالِيَ المَرا ... شِفِ بدرٌ تمَّمَ البدرَ فى التّمِّ
حلَا مُرُّ حُسّادِي عليه بذكره ... كأنَّ المُسمّى منه فى صورةِ الإسْمِ
وكم ليلةٍ بِتْنا على غيرِ رِيبةٍ ... تُطارحنى نَظْمًا فينْظِمُه نَظْمِى
وأرْشُفُ رِيقًا علَّه يُطْفِئُ الجوَى ... ولم أدْرِ أن البردَ إفْراطُه يُظْمِى
جِناسِى على رشْفِى لذاك مُحرَّفٌ ... ولا شكَّ أن الظَّلْمَ نوعٌ من الظُّلْمِ (١)
على خدِّه قد وقَّع الحُسْنُ أسْطُرًا ... فيكتبُها دمعى ويَخْتِمها لَثْمِى
رمَى جُرْحَ أحشائى عليه صَبابةً ... وعهْدى به قد كان يُدْمِى ولا يَدْمِى
أحِبّتَنا كم من رقيبٍ عليكمُ ... أُداريه حتّى فى الدجَى مُقْلةَ النَّجْمِ
سقَى عهدَكم صَوْبُ العِهادِ ومُقْلتى ... فعهْدى بها من هجرِكم دِيمةٌ تَهْمِى (٢)
ألا ليت شِعْرِى هل أقولُ قصيدةً ... ولا أشْتكِى فيها إلى صاحب هَمِّى (٣)
ومَن ذا يُشكِّينى إذا جئتُ شاكِيًا ... وقاضِى الورَى دون الورَى كلِّهم خَصْمِى
هو الماجدُ السَّباقُ فى حَلْبة الوغَى ... نعمْ وكذا فى حَلْبة العلمِ والحِلْمِ
وما فيه من عَيْبٍ سوى أنَّ كُتْبَه ... تُعوِّذنى من طارقِ الليلِ بالنَّجْمِ
حكمتُ له بالسَّبْقِ فى كلِّ غايةٍ ... وظَنِّى به أن يُثْبِت الحكمَ بالحُكْمِ
عسى المُبدِئُ الخلّاقُ يُرجِعُ سالفًا ... فيَرجِعُ رُوحُ الأُنْسِ منِّى إلى جِسْمِى
ودونَكها عَذْراءَ كالشمسِ رِفعةً ... علَابيّتها عن عِلّةِ الكشْفِ والخَزْمِ (٤)

***

(١) الظلم بالفتح : الريق . (٢) العهاد : جمع العهدة ، وهو مطر الربيع الأول .

(٣) فى ا : « إلى صاحب وهمى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) فى ب : « الكشف والحزم » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ومن غزليّاته الرقيقة قولُه :

أشاقَكَ بَرْقُ نعمانِ فعُدْتَ مُدَلَّهاً عاني

رُوَيْدَكَ إنَّني يا صا حِبي في الحالِ سِيّانِ

تعالَ نذكُرِ الأحْوَى الـ ـذي أصغَى إلى الشّاني

وأطْمعَني فلمَّا أنْـ ـسَتُ به تجافاني

وأغْضَبَني وأصْلَح بيْـ ـنَ تسْهيدي وأجْفاني

وما بالغتُ في ذِكْري له إلّا تناساني

فسَلْني كيْ أحقِّق أنَّ دهري فيه يوْمانِ

فيومٌ يومُ تهديدٍ وآخرُ يومُ هِجْرانِ

أُراقبُ حاسديه له فأصْحَب كلَّ إنسانِ

فسُكّانُ الغضا سكَنوا وأهلُ الأثْلِ جيراني

أيا زمني على الأثْلِ الـ ـخصيبِ وعيْشيَ الهاني

سَقاكَ من الغمامةِ صَوْ بُ هتّانٍ بهتّانِ (١)

لقد قلَّدْتني مِنناً تُحقِّر كلَّ إحسانِ

وكنتَ ليَ السرورَ فهلْ تُعيد مسرَّتي ثاني

وتحفظُ حُرْمتي أبدًا فيَرْعاها ويرْعاني

أليس من العجائبِ أنَّ عَزْمي ليس بالواني

وحظّي كلّما خالَدْ تُ من خِلٍّ تعدَّاني

وبَدْري حاضرٌ ناءٍ فقُل في غائبٍ داني

وما نَفْعي بقُرْبِ الدّا رِ مَعْ صَدٍّ وحِرمانِ

---

(١) الهتان : المتتابع .

فرُبَّ قريبِ أوْطانٍ يُعَدُّ بعيـــدَ أوطانِ
أراني قد جُبِلتُ على هواكَ فلسْتَ تخشاني
وقلبي بالورَى قَلْبٌ وقلبُك فيــه قَلْبانِ

* * *

وقوله :

مُصدِّق الـكاشحِ والشانِي ومُرسِلِ الدّمعِ من الشّانِ[1]
ذاكَ الذى مُلْكُه مُهجتِي من كلِّ يومٍ هو فى شانِ
مَن أجمعَ النـــاسُ على حبِّه لم يختلفْ فى وصْفِه اثنانِ
غُصْنٌ من الدُّرِّ لذيذُ الجَنَى لـكنَّه عَزَّ عن الجاني
حلوُ التَّثَنِّي والثَّنايا التي أزْرَتْ على بارقِ نَعْمانِ
أصْلَى فؤادِي نارَ هجرٍ لهــا مُقْتَبَسٌ من خدِّه القاني
وليس يلقانِي ولـكنَّه فى مَوْضِـعِ الصَّبْوةِ ألْقاني
أُعِيذه باللهِ أن ينتَحِي ظُلْمِي بلا واضحِ بُرهانِ
إلَّا على الشُّورَى التي أُودِعتْ إليــه من زُخْرُفِ غَيْرانِ[2]
يا لِي من الواشِي الغَيُورِ الذى أغْراهُ بالزُّورِ وأغْرانِي
لـكنَّنى لم أستمِعْ فيه قَوْ لَ الزُّورِ من إنْسٍ ولا جَانِ
ياساحرَ الطرفِ الـكحِيل الذى أخْرَجني من أرضِ سُلْوانِ[3]
وكيف أسْـلُو وغريمُ الهوى فى كلِّ حينٍ يتقاضانِي

---

(١) الشاني : المبغض ، والشان : العرق الذى تجرى منه الدموع .

(٢) فى ا « فى زخرف غيران » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) السلوان معروف ، وسلوان : عين نضاخة يتبرك بها ويستشفى منها بالبيت المقدس ، أو هى محلة فى ربض بيت المقدس ، تحتها عين عذبة . معجم البلدان ١٢٤/٣ ، ١٢٥ .

أشكوك حالًا أنتَ أدرَى بها ... يَرْثِى لهــا شامخُ ثَهْلانِ[1]

قد كِدْتُ أن أكتُمَها دائمــا ... وإنَّمـــا فِعْلُكَ أَجْانِى

فما عَدا فيما بَدَا بيننــا ... حــتى تهاوَنْتَ بأَيْمانِى

وأنْتَ قد أمَّنْتَنِى بعـــدَها ... سَطْوَةَ إعْراضٍ وهجْرانِ[2]

أخْلَفْتَنى أوّلَ وعـــدٍ فهلْ ... أطْمَعُ فى الثالثِ والثانِى

ثَناكَ رِيحُ العَذْلِ عن وَالِهٍ ... والرِّيحُ تَثْنِى غُصُنَ البانِ

قد كاد من قَبْلِكَ أن ينْثَنِى ... وإنَّمـــا حَظِّىَ أقصانِى

فهْو الذى أزْدادُ عِلْمًا به ... يسْعَى لإقْصـــائِى وحِرْمانِى

وهاكَ عَتْبِى فاحْتمِـــلْه وإنْ ... أسأْتُ عامِلْنِى بإحْسانِ[3]

وأنت فى أوْسعِ حِلٍّ ولا ... وَاخَـــذكَ اللهُ بأشْجانِى

واحْكُم بما شئْتَ وما ترْتَضِى ... فكلُّ مايُرْضِيكَ أرْضانِى

وكلُّ أرْضٍ أنتَ ثاوٍ بها ... تصـــيرُ من جُملةِ أوْطانِى

❊❊❊

---

(١) ثهلان : جبل ضخم بالعالية . معجم البلدان ١/٩٤١ . (٢) فى ا ، ب : « وأنت قد أفتنتنى بعدها » ، والمثبت فى : ج . (٣) فى ب ، ج : « وهاك عتبى واحتمله » ، والمثبت فى : ا .

٢٠٧
أخوه محمـــد

أديبٌ كما تقترِح ، له طبع طَيِّعٌ وخاطر مُنْشرِح .

اقتفى أثرَ أخيه فى أسلوبه ، فتمّ له ماجنَح إليه على وَفْق مطلوبِه .

فمن رآهما عرَف ابنَىْ صاعِد ، وقال كلا الفرقَدَيْن محلُّهما (١) غيرُ مُتباعد .

فهما يَدٌ وساعِد فى الاتِّصال ، وجِسمان والرُّوح واحد لا يقبَل الانفصال .

* * *

وقد ظفرت لهذا بِشعرٍ قليل ، لكنه على ماقُلته فى وصفِه أوّلُ دليل .

فمنه قوله :

حُثَّ المَطِىَّ إلى الأوْطانِ ياحادِى ... أما ترى السَّعْدَ قد نادَاك بالنَّادِى

غـــدَتْ طَوالعُه بالسَّعْدِ تخبِرُنا ... وجَــوَّدته بإتقـانٍ وإسنـادِ

عَساكَ تبلُغ بى الأحْوَى الذى فتكتْ ... ألحاظُه وأهاجتْ نارَ أكْبادِى

رمتْ فؤادِى على عَمْدٍ وما حفِظتْ ... عهدِى ولا أنْجزَتْ بالوصلِ مِيعادِى

مَن لى برَشْفِ رُضابٍ من مُقبَّلِه ... يَرْوِى ظَما قلْبِيَ المُستأسِر الصَّادِى

مَن لى بذلك فى أمْنٍ وفى دَعـــةٍ ... من الوُشاةِ رَماهم سهمُ إبْعادِى

باللهِ باللهِ ياريحَ الصَّباء خُذِى التَّـ ... ـحيَّةَ مِن ذا الرائحِ الغادِى

وصِفْ هَـــواى وما ألْقاه من كَمَدٍ ... لجِيرةِ الجِزْعِ والباناتِ والْوادِى

هم أصـــلُ دائِى ولولاهم لَما طرِبتْ ... نفسِى إلى شادنٍ فى الحىِّ أو شادِى

ليت الغُوَيْرَ تُعِيـــد المُلتقَى لِشَجٍ ... كما مضَتْ وتساعِفنى بإسْعادِى (٢)

وعَلَّ ساكنةَ الأحشاءِ تُطلِقُه ... لِمُغْرَمٍ مالَه من أسرِها فادِى

(١) فى ا : «محلى» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : «ليت الفرير» ، والمثبت فى : ب ، ج .

٢٠٨

إبراهيم بن المُفضَّل

إمامٌ تحلَّى بحِلْيةَ التُّقى ، وبلَغ في الزَّهادة غايةَ المُرتقى .

اجتهد فى العبادة من عهد شبيبته واهتمّ ، وسهِر الليالى ثم قال لما يكره اللهُ نَمْ .

ومع ذلك فهو فى الأدب مُجيدٌ مِلْءَ فَمِه ، مُطْلِع لأحاسِن الشعر من طَرف قلمِه .

وَفَّى القولَ حقَّه ، وادَّعى حُرَّ الكلام فاستحقَّه .

* * *

وقد أوردتُ له ماتشمُّ منه نفَسا عابقًا [(١)] ، ولا تجد عنه إلا بُعْدَ مَناله [(٢)] عائقا .

فمنه قوله فى الغزل :

أورثَتْ جَفْنِى الأرَقَا ... بجفنِــــه إذ رَمَقَا [(٣)]

ظَبْىٌ يُعِـــير قامةٌ ... إذا انْثَنى غُصْنَ النَّقَا

رشيقُ قَدٍّ سلَب الأ ... ألْبابَ لَمَّـــا رشَقَا

صارمُ لَحْظَيْــــه بمُهْ ... جةِ المُعــــنَّى مَشَقَا

صُبحُ جَبِينِــــه إذا ... أسْفَر جَــلَّى الغَسَقَا

داءُ هواه أعْجزَ الرَّا ... قِى فما تُغنِى الرُّقَى [(٤)]

قد صار قلبى فى هَوا ... هُ يارِفاقِى مُرْتَقَى

ودمـــعُ عينى لم يزَلْ ... مُذ صَدَّ عَـــنِّى مُطلَقَا

* * *

---

(١) فى ا : « عابقة » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : « مثاله » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ا : «إذ رفقا» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ا ، ب : «عجز الراق» ، والمثبت فى : ج .

وقوله :

دَعْنِي أُكابِدُ لَوْعتِي وأُقاسِي أين الشَّجِيُّ من الخَلِيِّ القاسِي
باللهِ لا تُطِل المَلامَ فإنَّ لى قَلْباً عليلاً مالَه من آسِ
فى حُبِّ مَن يحْكِى الصخورَ بقلْبِه والقدُّ منه حكَى قَضِيبَ الآسِ
يُخْفِى الغزالةَ إن بدَا فى حُسْنِه ويفُوق بدرَ التَّمِّ فى الأغلاسِ

٭



٢٠٩ ، ٢١٠

شمس الدين أحمد ، وبدر الدين حسين ابنا يحيى بن المفضّل *

كوكبا كَوْكبان[1] ، اللّذان ظهر فضلُهما وبان .

تَوافقَا صِبْغة وصَنْعة ، وتَظاهرَا نِعْمة ومَنَعة .

لجمعَا من المَكارم ما به المجد يتأثّل ، وبمحاسنِه الفضل يتمثّل .

يضُمّان يديهما على الفِضّة والذَّهَب ، فلا يُمْسيان إلّا والفِضّة انفضّتْ والذهبُ ذهَب .

* * *

وقد ذكرتُ لهما مالا يشْبَع منه الناظِر ، ولا يروى من الخاطر .

فمن شعر الشمس النَّيِّر الأكبر قولُه[2] ، من قصيدة كتب بها إلى أحمد بن حَمِيد الدين[3] صاحب « التَّروِيح » .

ما ابتسَم البرقُ ولا أبْرَقَا ... إلا وأشجَى قلبيَ المُحْرَقَا

ولا تغنَّتْ وُرْقُ بَانِ الحِمَى ... إلا جرَى دمعى الذى مارَقَا[4]

ولا سرَتْ نَسْمةُ رِيحِ الصَّبا ... إلّا وأهْدتْ عَرْفَ رِيمِ النَّقَا[5]

مُهَفْهَفٌ يُزْرِى بشمسِ الضّحى ... ويُخْجِــلُ البدرَ إذا أشْرَقَا

حاجِبُه المَقْرون عن مُقْلتِي ... قد حجَب النومَ فلن يطرُقَا

وطَرْفُه النَّعْسانُ من قوسِه ... بسَهْم ذاكَ اللَّحْظِ قد فوَّقَا

(*) ذكر الشرواني في حديقة الأفراح ٦ شمس الدين أحمد بن يحيي بن المفضل الكوكباني ، وأورد له نونية سأنبه عليها في محلها إن شاء الله تعالى .

(١) تقدم ذكر كوكبان في أول هذا الباب .

(٢) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

(٣) تقدمت ترجمته برقم ٢٠٦ من هذا الباب .

(٤) رقأ الدمع : انقطع .

(٥) في ا : « ريح النقا » ، والمثبت في : ب ، ج .

وخَــدُّه الورديُّ قد حَفَّه زهرٌ ونَسْرينٌ به نُمِّقا
وثَغْرُه قد زانَه مَنْطِقٌ للهِ ما أحسنَه مَنْطِقا
وريقُــه الجارِي على دُرِّه يشْفِي جوَى قلبِي الشَّجِي لا الرُّقَى
وجِيدُه السَّامي يفُوق الظِّبا فحَقَّ أن أصْبُو وأن أعشقا
وقَدُّه ما رُمْتُ تشبيهَه بالغُصْنِ إلَّا كان ذا أرْشَقا
ما خلقَ الرحمنُ فى خَلْقِهِ مِثْــلاً له كلَّا ولن يخلُقَا
ولا رأينا فى الورَى مُشْبِهاً لمَّا غدَا فى دهرِنا المُنْتقى
شمسُ الهدى أحمدُ أعنِي الذى أحْيَى رُسوماً للعُلَى وارْتقَى
عينُ بنى المُختارِ فى عصرِنا العلَمُ الفَرْدُ حليفُ التُّقَى
سعَى إلى العَلْيا بعزْمٍ له نال به المجدَ فلن يلْحَقَا
له فَخارٌ أصــلُه راسخٌ فى روضةِ العَلْياء قد أغْرقَا
صِفاتُه غُرٌّ فصِفْه بمَــا شئْتَ فما أحسَن ما أصْدقَا (١)
ما كان فى رَبْعٍ ولا منزلٍ إلَّا غدا من نُورِه مُشْرِقَا
فى كَوْكَبانَ العِزِّ لمَّا بدا إليــه شاهدْنا له رَوْنقَا
وزادَه حُسْنا إلى حسنِه وجدَّد الوَجــدُ له مَوْثِقَا
أسعدَه اللهُ بأيَّامه ولطفه غرَّب أو شرَّقَا

* * *

فأجابه بقوله :

يا زمنَ الأثْلِ بوادى النَّقا سَقاك مُنْهَلٌّ دموعِى سَقَا
يا بهجةَ العُمرِ ووجــهَ المُنَى قد كان باللَّذَّةِ لى مُشْرِقَا

---

(١) فى ا : « وما أحسنَ ما أصدقا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

أيامَ لا أَلْوِى على صـــادقٍ مُناصِحٍ أو كاذبٍ صدّقَا
أيامَ لا أصحبُ ريحَ الصَّبا ولا أُراعِى بارقاً أبْرَقَا
وروضةُ الحسين لنا مَوْئِلٌ وغُصْنُها المَيَّاد قد أوْرَقَا (١)
عيشٌ مضَى فالْجَفْنُ من بعــدِهِ وقَّع سطراً بالبُــكاء مُلحقَا
هل لِى إلى جنَّاتِهِ ماجِــعٌ وهل أرى لى فى الهوى مُشفِقَا
يا جِـــيرةَ الروحِ بحقِّ الوفا لا تنقُضُوا عهداً ولا مَوْثِقَا
أتحسَبونى قد تناسيْتُ ما قَدْ حلا قِدْماً بعصرِ اللِّقا (٢)
فلم أزَلْ إنْ عَنَّ لى ذِكْرُه مُفكِّراً فى عَوْدِهِ مُطرِقَا
لى فى هواكم مَذهَبٌ مُذْهَبٌ حقَّق فيه الدَّرْسُ ما حقَّقَا
توْضِيحُه يُزْهِى بتنْقيحِـــهِ تَلْوِيحه يُعْجِز من دَقّقَا
ســألتُ مَن حمَّلنى بُعْدَكم يجعلُ لى من أمرِكم مِرْفقَا
ويعمرُ الفضلَ بإبقــاءِ مَن أكْسَبه فى دهرِنا رَوْنقَا
قد رفع النظمَ فقلنـــا له نظمُك فى الذِّرْوة يا مُنتقِى
أحمدُ مَن حَمْدِى له دائمـــاً ما سجَع الطـــيرُ وما صَفَّقَا
يا ماجـــداً طوَّقنى منَّه أعْجزنى أفْحَمنِى مَنْطِقَا
بدأتَ بالفضْلِ وأنتَ الذى سبقْتَ بالفخرِ فلن تُلْحَقَا
للهِ ما شنَّفَتْ سَمْعِى به من غزَلٍ حَـــيَّرنى أقْلقَا
تخذْتُ صَبْرِى دونه جُنَّةً ثم ترقَّبْتُ لنفْثِ الرُّقَى
فما اهْتدَى قلبى إلى سَـــلْوةٍ ولا هدَى كَلّا ولا فرَّقَا (٣)

---

(١) فى ا : « لنا موئل » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٢) فى ا : « قد حلا وقد بعصر اللقا » ، وفى ب ، ج : « حلا وقد بعصر اللقا » ، ولعل الصواب ما أثبته.
(٣) فى ب : « ولاهدى كلا ولا أفرقا » ، والمثبت فى : ا ، ج .

ضَمَّنتُه ذِكْرَ اجتماعٍ لنـــا   كَمَّله اللهُ بطُولِ البَقَا
كان لىَ الحـــظُّ به كُلُّه   فلم أزلْ مُغْرًى به شَيِّقَا
ودونـكم نَظْمِى الذى جاءكم   مُجـدِّدا للعهد مُستوثِقَا
واعذِرْ سَرِيعِى إن مشَى مُسْرِعاً   يطلُب من أفواهِـكم فُسْتُقَا
واستُرْ عليـــه إن تجِدْ عَثْرةً   فإنه نَزْرُ كلامِ اللِّقَا
وسَل لنا التوفيقَ والعفوَ والْ   غُفرانَ فالفائزُ من وُفِّقَا

***

وله(١) :

بالبِعـــاد تجْزِينِى   يا غـــزالَ يَبْرِينِ(٢)
هل لذاك من سَبَبٍ   أم تُريد تَـبْرِينى
قد وَلِيت حُـكْمَ شَجٍ   فى هـــواكَ مَفْتونِ
ما تخـــافُ يا أمَلِى   من تِلافِ مسكينِ
بالصـــدودِ تقْتُلنى   والهوانَ تُولِيــنِى
أىُّ حاكمٍ يُفتِى   ياحبيبُ بالْهُــونِ
هـــل يصحُّ ذاك ومَن   بالجـــوازِ يُفتينِى
ليس ذاك يُوجَـــد فى   شِرْعةٍ ولا دِينِ(٣)
كَمْ جمعْتَ من حسَنٍ   كامـــلٍ بتحْسينِ(٤)
اللِّحـــاظُ فاترةٌ   بالسِّهــــامِ ترمِينِى

---

(١) القصيدة فى حديقة الأفراح ٦ .
(٢) يبرين : رمل بالبحرين ، يوصف بالكثرة . معجم البلدان ٤/١٠٠٥ ، ١٠٠٦ .
(٣) فى حديقة الأفراح: « شرعة أو دين » .   (٤) فى الأصول: « كامل بتحسينى » ، وفى حديقة الأفراح : « كامل التحسين» ، ولعل الصواب ما أثبته .

والخـــدودُ ناعمـــةٌ أزْهرَتْ بنَسْرِينِ

والجبينُ حاجبُـــه فى القِرانِ كالنُّونِ

والقَـــوامُ مُعتـــدِلٌ كالغصُون فى اللِّينِ

والسَّقامُ من مُقَلٍ ناعســـاتِ تَسْبِينِى

والدواءُ فى شَنَبٍ كالأقاحِ مكْنونِ

لَثْمُه شِفـــا أملِى والرُّضابُ يرْوِينِى (١)

كم أقولُ من شَغَفٍ فيك مَن لِمَفْتونِ (٢)

مَن لِمُغرَمٍ دَنِفٍ بالجـــآذرِ العِينِ

***

وله :

جُدْ بوصلٍ ياناعسَ الأجْفانِ وترفّقْ بالمغرمِ الوَلْهانِ

رامَ كَتْمَ الهوى فنمَّ عليه سُقْمُ جسمٍ له ودمعٌ قانِى

قسَمًا بالجفونِ والخدِّ والثغْـ ـرِ وبالقدِّ مُخْجِل الأغصانِ

ما يمُرُّ السلُوُّ فى البالِ مذغبْـ ـتَ ولاتعرفُ الكرى أجْفانِى

كم وكم رُمْتُ سَلوةً فى هواكم أين منِّى مارمتُ من سُلوانِ (٣)

لحمامِ الربُوعِ شَجْوٌ ولكنْ فى فؤادى تتابُعُ اللَّمعانِ

أتمنَّى يقال فى كلِّ حينٍ وإلى كم وَيْلاه منِّى الأمانِى

هل سبيلٌ إلى الوصالِ قريبٌ أم بعيدٌ وما إليـــه تدانِى

ضاق بى مذ غِبتمُ كلُّ رَحْبٍ وتجافَيْتُ بعدكمْ أوْطانِى

ذاب قلبى من لوْعةٍ فى فؤادى يا مُناىَ قد أشْعلتْ نِيرانِى

---

(١) فى حديقة الأفراح : «لثم فيه أملى» . (٢) فى حديقة الأفراح : « بك من المفتون » .

(٣) فى ا : « من سلوانى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

إن تجنّى فى حبّه فهْو عبدٌ ... وإلى المالكِ انتهاء الجانى

فصِلوه جُودًا وإلا فصُدّوا ... لا عدِمْناكُمُ مَدَى الأزمانِ

قلتُ للعاذِلِ المُعنِّف فيـــــه ... لسْت أصغِى فليس شأنك شانِى

وصلاةٌ على الشفيعِ وآلٍ ... ما أمال النسيمُ غصنَ البـــانِ

* * *

وللبدر من قصيدة ، مستهلها :

رُعيتمُ أهلَ جَيْرونٍ ونَعمانِ ... ياساكنِى قلبِىَ العانِى وأعْيانِى [1]

ففيكمُ ساحرُ الألْحاظِ ذُو غنَجٍ ... مُهَفْهَفُ القَدِّ لا يرْثِى لأشْجانِى

ياسامِىَ الجيدِهل للهجرِ من سبَبٍ ... فالهجرُ والصدُّ والتهْدِيدُ أضْنانِى

ارْحمْ مُحبّك من طولِ البِعادِ فقدْ ... حرّمْتَ نومِى ولذّاتِى وسُلْوانِى

اللهُ يجمع شَمْلى بالذين نَوَوْا ... بالعهدِ فهْو كريمٌ خيرُ منّانِ

✲✲✲

---

(١) جيرون : سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف ، وحولها مدينة تطيف بها ، عند باب دمشق . معجم البلدان ٢ / ١٧٥ .

٢١١

محمد بن إبراهيم بن يحيى

من أفراد اليمن وُفُورَ حظٍّ مُتّقِد، وسلاسةَ لفظٍ يجرى من خاطرٍ مُنْتقِد.
حاز قصَبَ السَّبْق نِظاما، وأوسعه أهلُ خِطَّته لفضْله إجْلالاً وإعظاما.
فقصَّرتْ نُظَراؤُه عن مَجالِه، وعلموا أنهم ليسوا من رجالِه.

***

وله نظمٌ إذا نَعَتَّه فقد عِبْتَه، [1] وإن وصفتَه [1] فلَعَمْرِى [2] ما أنصفْتَه.
فمنه قوله، من قصيدة كتبها إلى محمد بن حَميد الدِّين [3].
مطلعها:

سَقْياً لِبانِ المُنْحَنَى وزَرُودِه ... وسُهولِ ذَيَّاكَ الحِمَى ونُجودِهِ [4]

ولذلك الزمنِ الذى طلَعتْ على ... باهِى مَنازِلِه نجومُ سُعودِهِ

عَيْشِى مضَى فى بَهْجةٍ ونَضارةٍ ... وَاهاً لنَضْرته وخُضْرةِ عُودِهِ

ذاكَ الزمانُ هو الزمانُ وغيرُه ... لا فَرْقَ بين فَنائِه ووُجودِهِ

أعَلَى الليالى لو تجودُ بعوْدةٍ ... عَيْبٌ وهل أحدٌ يُعاب بجُودِهِ

ياصاحِبَىَّ ومَن يُلام إذا شَكَا ... مَالَ الحبيبِ له وطولَ صُدُودِهِ

عُوجا على ذاكَ الملُولِ تلطُّفاً ... وحَذارِ سَطْوةَ بِيضِه من سُودِهِ

لا تَعْدُوَنْ ذا الرسمَ فى تعْريفِه ... إن الغرامَ مُجاوِزٌ لحدودِهِ

فعَساه يعطِف أو يرِقُّ لمُذْنَبٍ ... ياصاحِبِى ويلِينُ بعد جُمودِهِ

---

(١) ساقط من: ا، وهو فى: ب، ج. (٢) فى ا: «ولعمرى»، والمثبت فى: ب، ج.
(٣) تقدمت ترجمته، فى هذا الباب، برقم ٢٠٧.
(٤) الزرود: الأرض التى تبتلع المياه التى تمطرها السحائب. انظر معجم البلدان ٢/ ٩٢٨.

أمِن المُروءةِ أن أبيتَ مُسهَّداً ... ويبيتُ بين هُجوعِه وهُجودِهِ

وأنا الخليلُ ومن بموسَى ذا النَّوَى ... قلبى الكليمُ مُقيَّد بقيودِهِ [1]

مالى وللأشواقِ لا ترْضَى سِوَى ... إلْهابِ قلبى دائماً ووَقُودِهِ

مالى وقلباً راح فى الأُخدودِ من ... نارَىْ صُدودِ حبيبِه وخُدودِهِ

قِصَصُ المحبّةِ زُخرُفٌ وأسْألُ به الشُّـ ... ـعراء عن أوْصافِه وقُيودِهِ

* * *

ما أحْلَى قول ابن نُباتة ، فى خطبة « سرح العيون » [2] : وإن [3] كنتَ من الشُّعَراء فلستَ [4] ببعيدٍ من القصص .

* * *

فإذا انْتهَى معك المديحُ إلى هنا ... فاقصِدْ بذلك مُنتهَى مقصودِهِ

وامدَحْ به لتكونَ أصدقَ مادِحٍ ... ممدوحَ كلِّ مُفوَّهٍ مقصودِهِ

فخَرتْ به آباؤه وجُدودُه ... والفخرُ فى آبائِه وجُدودِهِ

مولاىَ دعوةُ عبدِ رِقٍّ يرْتجِى ... بك نَفْحةً تأْتيه من معْبودِهِ

فارْجِعْ يديْك إذا قرأْتَ قصيدةً ... تدعُو له فى نَيْلِ كلِّ قُصودِهِ

وكَمُلتَ لا أحدٌ يفُوقك فى عُلاً ... فأتى بكاملِ شِعرِه موجودِهِ [5]

* * *

الصدرُ يتضمَّن ثانى أبيات الأندلسىّ ، فى بحر الكامل ، وهو مركب من متفاعلن متفاعلن ، مرتين .

* * *

عُذْراً إليك فإنه سَلْب النَّوَى ... منظومَ ذاك الدمْع مع منْضودِهِ [6]

---

(١) فى ا : « ومن بمؤنس ذا النوى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) سرح العيون ١٤ .
(٣) فى سرح العيون : « وإذا » . (٤) فى سرح العيون : « فما أنت » .
(٥) فى ا : « بكامل شعرى موجوده » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٦) فى ا : « ذاك الدمع فى منضوده » ، والمثبت فى : ب ، ج .

لكنْ تألّق للجوارح بارقٌ ... في عارضٍ مُتلفعٍ ببُرُودِهِ
ترك الفؤادَ لشوْقِه وحَنينِه ... يختال بين بُروقِه ورُعودِهِ

***

عجز هذين البيتيْن متضمّن بيتَ البُحْتُرِيّ ، مطلع قصيدة (١) .

***

من أين لى كالبُحْتُرِىّ قلائدٌ ... قامتْ له فيها عُدولُ شُهودِهِ
لكنْ بكُمْ شِعرى غدا وكأنّه ... هو ذاك عند قِيامِه وقُعودِهِ
وصدورِه عند الوُرود فسَلْه عن ... شَرْحِ الصُّدورِ وكيف حالُ وُرُودِهِ

***

فكتب إليه ، مراجعاً له :

نَظمٌ كسِمْط الدُّرِّ نَظْمُ عُقودِهِ ... لاحتْ على نَحْرِ الزمانِ وجِيدِهِ
سِحْرٌ هو السحرُ الحلالُ وإنّما ... لأُعِيذه من نافثاتِ عُقودِهِ
طِرْسٌ هو الرّوض النضيرُ نُضارُهُ ... يختال بين زُهورِه ووُرودِهِ
وشَّتْ بطَرْزِ وَشْيِه أثْرَ الحيَا ... فشجاكَ مُعْلَمُه ونَسْجُ بُرودِهِ
يا أيها الحَبْرُ الذى أبْقَى لنا الْ ... بارى الذين تقدّموا بوُجودِهِ
يا كاشفَ «الكشّاف» فينا مَن به ... يُتَلَقَّن التفسير عن مَحْمودِهِ (٢)
عَفْراً فما شِعرِى لشِعْرك مُشْبِهاً ... أيُقاسُ شِعرُ لَبيدِه ببليدِهِ (٣)
شِعْر يعود حَبيبُ منه مُبغَّضاً ... ويفُوق نَظْمَ يزيده ووَليدِهِ (٤)

---

(١) وذلك قوله فى مدح عبيدالله بن يحيى بن خاقان :

يا عارضًا متلفعا ببرودِهِ ... يختال بين بُروقِه ورُعودِهِ

ديوانه ٢/٦٩٣ .

(٢) يعنى الإمام جار الله أبا القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشرى ، وكتابه الكشاف .

(٣) فى ا : « فما شعرى بشعرك » ، والمثبت فى : ب ، ج ، ويعنى بلبيد لبيد بن ربيعة العامرى الشاعر .

(٤) يعنى بحبيب حبيب بن أوس الطائى أبا تمام ، ولعله يعنى بيزيد يزيد بن زياد ، المعروف بابن مفرغ الحميرى . انظر معجم الأدباء ٢٠/٤٣ ، ويعنى بوليده الوليد بن عبيد البحترى .

لـكنه جُهْدُ المُقِـــلِّ وإنمـا ... يأْبِى الفتى بالقُلِّ من مَوْجُودِهِ

سابقتنى فى الشوقِ مَهْلاً إننى ... وَحْدِى عميدُ القلب وأُبنُ عَميدِهِ

وسألتنى بَذْلَ الدعاء بجَمْعِنـا ... يارَبِّ عجِّـلْ باللِّقاءِ وعودِهِ

إبلاغُ خيرٍ بعد مَدْحِك مُلْحَقٌ ... والنَّفلُ بعد الفرضِ فى تَعْديدِهِ

أشْكُو إليك نوًى تَطاوَل عُمرها ... وعجزتُ عن دفعِ النَّوَى وجُنودِهِ (١)

وبىَ الذى صِرْتُ الـكليمَ بنارِه ... وهو الخليلُ وكيف لى ببُرُودِهِ

لولاه ماقال العميـــدُ صَبابةً ... سَقْياً لبانِ المُنْحنَى وزَرُودِهِ

يامُنْجزَ الإيعادِ فى أفعالِهِ ... ومُخالِفَ المرجُوِّ من مَوْعودِهِ

ومُصدِّقَ العُذَّالِ فى شَرْعِ الهوى ... من غـــيرِ بُرْهانٍ له بشُهودِهِ

ذَا مَدْمَعٌ للوصلِ أضْحَى سائلاً ... لا تَنْهرَنَّ الدمعَ فى أُخْـدودِهِ

ياطَرْفَه السَّفاحَ لستُ بمُهْتَدٍ ... هيْهاتَ يامُهدِى الهُدَى برَشيدِهِ (٢)

لا تَعْجلَنَّ فإنَّ عبدَك طائعٌ ... أوَ لستَ تنظُر منه فى تسْويدِهِ (٣)

مَن لى بوَقْفتِك الشَّهيرةِ مَرَّةً ... وبقُرْبِ وصلِك فى الحِمَى وعُهودِهِ

أشْكوك حالًا من صُدودِك مُرَّةً ... يرْثِى لهـا الصَّفْوانُ فى جُلْمودِهِ

بُعْداً يُرَى فى العيْن مَيْلاً قُرْبُهُ ... ويطُول فَرْسَخُه كطُولِ بَريدِهِ

هل نافعٌ لى عاصِمٌ يامالِـكِى ... فى سُورةِ الدعوَى وفى تجْويدِهِ (٤)

يا كاملَ الأوْصافِ دونَك كامِلاً ... تُزْرِى ببحْرِ طويلِه ومَديدِهِ

❋

---

(١) فى ا : « تطاول عمره » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) يشير إلى السفاح والمهتدى والرشيد ، من خلفاء بنى العباس . (٣) فى ا خطأ : « فإن عبدك طائعا » ، والصواب فى : ب ، ج .

(٤) فى ب : « فى سورة الدعوى وفى تجديده » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وهو يشير إلى أبى بكر عاصم بن أبى النجود الكوفى الأسدى .

أحد القراء السبعة ، المتوفى سنة سبع وعشرين ومائة .

طبقات القراء ١/٣٤٦ ، وفيات الأعيان ٢/٢٢٤ .

٢١٢

مُطهّر بن صلاح الهادى

أظنُّ أن هذا الاسم لا يتخلّف ، وإنما أراه يتّحِد مع مُسمّاه ويتألّف .

فإنَّ الأصلَ أصلٌ طاهر ، واسْتفادةُ الكثْرة من الفَرْع معنًى ظاهر .

فهذا المُطهّر ازْداد طهارة فى الرُّوح والجسم ، واحتَسَى كأسَ المحبّة من يدِ ساقِ الغيْب وما غيّر ذلك الاسم .

***

وله شِعر جرَى فيه على ذائقةِ أهلِ التصوُّف،وملَكَ به فى حَلْبة الواصِلين إلى المعرفة عِنان التصرُّف .

فمنه قوله :

صار حُبّي لأحبابِي سليقَهْ ... وهوَى الغيرِ اختلاقٌ لا خليقَهْ

هكذا مرَّ زمانِى معهم ... والهوَى فيـــه مجازٌ وحقيقَهْ

ففؤادِى لأحبابِى غـــدَا ... صادقًا يختارُه أهلُ الطريقَهْ

لستُ ممّن وُدُّه زُورٌ ولا ... أنا ممّن بالنّوَى ينسَى حُقوقَهْ

بل ودادِى ذلك الوُدُّ الذى ... قد غدَتْ فيه عرَى عهدِى وَثيقَهْ

ليتَ مَن أضنَى فؤادِى حبُّه ... يتلافانِى بسُقْيا خمرِ رِيقِه(١)

❁

(١) فى هذا البيت إقواء كما ترى .

٢١٣

السيد لُقمان

ابن أحمد بن شمس الدين بن الإمام المهديّ لدين الله أحمد بن يحيي

ألْمعِيٌّ هوَى المعارف فحذَقها ، ولزِم الحِكْمَةَ فنطقَها .

كان يتراسَل هو والسيد محمد بن عبد الله بن الإمام شرف الدين[1] .

فما كتبه إلى السيد محمد بيتان قد طارا كلَّ مَطار ، وزَانا ببَهْجتِهما الأقْطار .

وهما :

واسِطةَ العِقْدِ متى تأْتِنا ... فعِقْدُنا أضْحَى بلا واسِطَهْ

وحالُنا أضْحَت بلا صاحِبٍ ... وجُملةُ الوصلِ بلا رابطَهْ

***

وكتب إليه[2] السيِّد : إلى سيِّده وأخيه لقمان بن أحمد أبقاه الله حَلْياً لعاطِل الزمن ، وسَناً لِمُحيَّا اليمَن ، وقد ذهَب عنِّي وأنا نائم فانتبهتُ وقمت ، وأرسلتُها إليه ، وقد طلع إلى ذِمار[3] :

مَن عَذِيرِي مولايَ منك فقد ... غادَرْتَ قلبي لما به من غَرامِ

رحْتَ عنِّي في نَوْمتي فتوهَّمْـ ... ـتُ بأن اللِّقاء طيفُ مَنامِ

وشَجَى نفسِيَ الفِراقُ فناجَتْـ ... ـنِي إن الفِراقَ في الأحْلامِ

زعمتني وَسْنان وَجْداً ومالتْ ... بِي لما زَخْرفَتْ من الأوْهامِ

وأنا الآن لستُ أدرِي أيقْظا ... نُ أنا أم مُهوَّمٌ لهيـــامِ[4]

---

(١) تقدمت ترجمته في هذا الباب برقم ٢٠١ .

(٢) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج . (٣) ذمار : اسم قرية باليمن ، على مرحلتين من صنعاء . معجم البلدان ٢/٧٢١ . (٤) في ب : « أم مهوم لهيامي » ، والمثبت في : ا ، ج .

سَكْرةٌ من جَوَى فِراقِكَ مَولا ... ى ولاسَكْرةُ الرَّحيقِ المُدامِ (١)

***

فأجابه بقوله :

سيِّدى لا ترى علىَّ فإنِّى ... بطُلوعِى بادرتُ صَوْبَ الغَمامِ (٢)

وثيابِى كما علمتَ من الرِّقَّـ ... ـةِ قد أذَّنَتْ بِصِدقِ انْصرامِ

لو ترى السُّحْبَ قد أطلَّتْ لسالتْ ... فوق مَتْنِى أبِتْ للَيْل التَّمامِ (٣)

فابْسُط العُذْرَ يا أخى إنَّ فعلِى ... قد تجاوزْتُ فيه حَدَّ احْتشامِ

ونِظامِى هذا فقـيرٌ إلى سَتْـ ... ـرِكَ فاسْتُرْ فأنت رَبُّ النِّظامِ

---

(١) فى ا : «ولا سكرة من رحيق المدام» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ا : «غادرت صوب الغمام» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ا : «فوق متنى أبت الايل التمام» ، وفى ب : «فوق متنى للليل التمام» ، وفى ج : «فوق متنى لليل ليل التمام» ، ولعل الصواب ما أثبته .

بيت المُلاَّ المَهْدوِيّ الشَّرَفِيّ

هذا البيتُ له نَبأٌ يُذْكَر ، وحديث غيرُ مُعَلٍّ ولا مُنْكَر .

وبَنُوه في العلم والجاه ، مَآل الأماني والآمال المُرتجاة .

سَمْتُهم توفيق وهُدَى ، ومنذ الْتحمُوا[1] في المعارف لم يدَعُوا شيئاً سُدَى .

فمنهم :



(١) في ب : « التحموا » ، والمثبت في : ا ، ج .

٢١٤

عبد الحفيظ بن عبد الله *

كبيرُهم المنتقى ، ورئيسُهم الشامِخُ المُرتقى .

الورع المجتهِد ، والساهر المُهجِّد[1] .

جَلَّى وبَرَّز ، وحاز فَضْل السَّبق وأحْرَز .

وقد أنار بَصِيرته ، وجبَل على الخير سِيرته .

فأهلُ بلاده على كثْرة مَفاخِرِهم ، مُقِرُّون بفضلِه التَّامّ عن آخرِهم .

***

وله فى الأدب مرتبةٌ عليَّة ، وأشعارُه بمثابةِ علمِه واضحةٌ جليَّة .

فما بلغنى من شعره ، وقد أنشد بعضهم بيتَى ابن حَزْمٍ الظَّاهِرِىّ .

وهما[2] :

إن كنتِ كاذبةَ الذى حَدَّثْتِنِى فعليكِ إثمُ أبى حنيفة أو زُفَرْ

الواثِبِينَ على القياس تمرُّدًا والرَّاغبين عن التَّمسُّكِ بالأثَرْ[3]

(*) عبد الحفيظ بن عبد الله المهلا المهدوى الشرفى ، القاضى ، الحافظ .

أخذ عن والده ، وعن الإمام القاسم بن محمد ، وولده المؤيد بالله ، والحسين بن الإمام القاسم ، وغيرهم ، وأجازوا له .

كان من أكابر علماء عصره ، وكان يحفظ فى كل العلوم مؤلفات عديدة مع شروحها .

وله أجوبة على مسائل وردت إليه من علماء عصره ، ورسائل بليغة ، وخطب ، وأشعار .

توفى سنة سبع وسبعين وألف ، وقبره بالأشغاف من عمل الشجعة .

خلاصة الأثر ٣٠٦/٢ ـ ٣١٠ ، ملحق البدر الطالع ١١٢ .

(١) فى ا : « المهتجد » ، وفى ج : « المتهجد » ، والمثبت فى : ب .

(٢) البيتان وأبيات المترجم بعدها فى خلاصة الأثر ٣٠٨/٢ .

(٣) فى ا : « الوارثين على القياس » ، والمثبت فى : ب ، ج .

فأنشد :

ماكان يحسُن يا ابنَ حزْمٍ ذمُّ مَن حاز العلومَ وفاق فَضْلاً واشتَهرْ

فأبو حنيفةَ فضلُه مُتواتِرٌ ونظيرُه فى الفضلِ صاحبُه زُفَرْ

إن لم تكنْ قد تُبْتَ مِن هذا فَفِي ظنِّى بأنك لا تُباعَد من سَقَرْ[1]

ليس القياسُ وقد تكون أدِلَّةٌ للحُكْمِ من نَصِّ الكتابِ أو الخبَرْ[2]

لكنَّ مَعْ عَدَمٍ تُقَاسُ أدِلَّةٌ وبذاك قد وَصَّى مُعاذاً إذْ أمَرْ

☆☆☆



(١) فى خلاصة الأثر : « عن سقر » . (٢) فى خلاصة الأثر : « ليس القياس مع وجود أدلة » .

٢١٥

ابنه النَّاصر*

حاملُ راية الاجْتهاد وناصرُها ، وقاطِفُ أغْصان البدائع وهاصِرُها .

منْظور بالمهابة والجَلال ، مُدِلٌّ بالخِصال البارِعة والخِلال .

وله الخاطِرُ الوقَّاد بِتَلَسُّنِ لَهَبِه ، والفكرُ النقاد لِذَهَب القَوْل ومُذْهبه .

وكان استوْزره الإمام المؤيَّد بالله فانتظَم الأمرُ أيَّامَ وزارتِه ، وتصرَّفت الأيَّامُ طَوْعَ إشارته .

فأحسَن[1] الله له نَيْل وَطَرِه ، ونخر بالظهور على من انْحطَّ خَطْوُه عن خَطَرِه .

وهو صاحبُ رأيٍ سَدِيد ، وله فى الأدب وأنواعِه باعٌ مَدِيد .

***

وشعره صُوَر محاسنه مجْلُوَّة ، ونثرُه سُوَر بدائعِه متْلُوَّة .

فمن شعره ما كتبه إلى السيد الإمام يحيى بن أحمد الشَّرَفِى[2] ، عاتبا عليه فى تأخُّرِه

(*) الناصر بن عبد الحفيظ بن عبد الله بن المهلا الشرفى اليمنى .

أخذ عن شيوخ كثيرين ؛ منهم والده وجده ، والعلامة محمد بن الصديق الخاص السراج الحنفى الزبيدى وغيرهم ، وأجازه شيوخه .

وله مؤلفات مشهورة ، منها « المقرر » و « المحرر » فى القراءات ، ومنها « أرجوزة فى الفقه » .

وكان له من التمكين ، ودقة النظر فى كل مبحث شأن عظيم .

استوزره الإمام المؤيد بالله ، وكان له وللامام مجالس خاصة ، تحتوى على بحث عظيم فى جميع العلوم .

توفى سنة إحدى وثمانين وألف ، وذكر فى ملحق البدر الطالع أنه توفى سنة نيف وستين وألف .

خلاصة الأثر ٤/٤٤٤ ـ ٤٤٧ ، ملحق البدر الطالع ٢٢٢ .

(١) فى ا : « وأحسن » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) السيد يحيى بن أحمد بن محمد الشرفى اليمنى .

عالم الزمن ، وفقيه اليمن .

أخذ عن كثير من شيوخ عصره ، منهم العلامة عبد الحفيظ بن عبدالله المهلا ، وولده الناصر ، وغيرهما .

وله مباحث وأشعار رائقة .

توفى سنة تسع وثمانين وألف ، بالقويعة من أعمال الشرف الأعلى ، وعمره نحو سبعين سنة .

خلاصة الأثر ٤/٤٦٤ ـ ٤٦٦ .

عن الدَّرْس ؛ لشُغْلٍ عرَض له [١] :

أحبابَنا مالهذا الهجرِ من سَبَبِ وما الذى أوْجَبَ الإعْراضَ واعَجبَا
يمضِى الزمانُ ولا نحْظَى بقُرْبكمُ على الجِوارِ وكَوْنِ الجارِ ذا قُرْبَى [٢]
وليس شىءٌ على المُشْتاقِ أصْعبَ من بُعْدِ اللقـــاءِ إذا مُشْتاقُه قرُبَا
فصانَكَ اللهُ ياسِبْطَ الأكارمِ أن يكونَ وُدُّك للأحْبابِ مُضْطرِبَا [٣]
هـــذا وإنِّى أدْرى أن قَصْدَكَ لِى وأنتَ معْ ذاكَ شَيْخى عَكْسُ ماوَجَبَا
لكنَّه لم يكنْ مـــنِّى لحقِّكمُ جهلٌ ولكنَّ عُذْرِى عنك ماعَزُبَا [٤]

***

وطلب السيد يحيى منه أن يرسل له [٥] مؤلَّفَه « المُحرَّر » فى علم القراءات ، فأرسله إليه وكتب معه [٦] :

سلامُ اللهِ ما همَر السحابُ ففاحَ عَبيرُ زَهْرٍ مُستطابُ
وإكرامٌ وإنْعـــامٌ على مَن له فى المجـــدِ مَرْتبةٌ تُهابُ
على يحْيى الذى مانال كَهْلٌ عُلوماً نالَهـــا وكذا الشبابُ
وبعدُ فإنَّ أشْواقِى إليكمْ كثيرٌ ليس يحصُرها كتابُ [٧]
وتقْصُر ألْسُنُ الأقلامِ عن أن تقومَ بوَصْفِهـــا وكذا الخطابُ
فيا ابْنَ مَدينةِ العلمِ التى لمْ يكُن غـــيرُ الوَصِىِّ لتلك بابُ
ومَن حاز المَكارِمَ والمَعالى فمنه قل بَدا العجَبُ العُجابُ [٨]
إليك أتى المُحرَّر فى حَياء لتُصْلِح منه ما العلماء عابُوا

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٤٤٤ . (٢) فى الخلاصة : « وكون الجار ذى قربى » .
(٣) فى خلاصة الأثر : « أعيذك الله يا سبط الأكارم » . (٤) فى ب ، ج : « ما غربا » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر . (٥) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .
(٦) القصيدة فى خلاصة الأثر ٤/٤٤٤ ، ٤٤٥ . (٧) فى ا : « ليس يحصره » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٨) فى خلاصة الأثر : « قد بدا » .

وتنظُرَه بعينِ البِرِّ حتى يزولَ إذا وجدْتَ به اضْطرابُ
فمَن قد زارَ من بلدٍ بَعيـــدٍ حَقِيقٌ أن يُلانَ له الجنابُ
وراجِــعْ فى عبارتِه أصولًا لديكَ بحفظِها كُشِفَ الحجابُ(١)
وإنّى طالبٌ بَسْطًا لعُــــذْرٍ ويشملُنى دُعاؤكم المُجابُ
فمالى غـــيرُ شِعْبِ الآلِ شِعْبٌ وإن حسُنَتْ بزَهْرتِها الشِّعابُ
ودُمْ واسْلَمْ مُعافًى فى نعيمٍ مُقيمٍ والقَرابةُ والصِّحـــابُ

***

فكتب إليه السيِّد(٢) :

سلامٌ لا يُحيط به حِسابُ ولا يُحصِى فضائلَه كِتابُ
ولو أنَّ البِحارَ له مِـــدادٌ ولم يبْرَحْ له الدهرَ اكْتِتابُ
سلامٌ مِن فَتِيتِ المِسْكِ أذكَى ودُون مَذاقِ سَلْسَلِه الرُّضابُ(٣)
سلامٌ حَشْوُه وُدٌّ مُصَفًّى يرُوق فما بتَكْدِيرٍ يُشابُ
ورحمةُ ربِّنا الرحمنِ تُهْدَى مع البَرَكاتِ ما انْهمَر السحابُ
إلى مَن لم يزَلْ للمجدِ خِـــدْنًا ولم ينْفَكَّ بينهما اصْطِحابُ
حَلِيفُ محاسنِ الشِّيَمِ الذى لم يُدنِّسْ مجدَه مُذ كان عابُ(٤)
سَلِيلُ أكابرِ العلماءِ مَن لم يــكُن كنِصابِ فضلِهِمُ نِصابُ
حُماةُ شريعةِ المُخْتارِ مِن أنْ تُضامَ وأن يُخامِرَها اضطِرابُ(٥)

---

(١) فى ا : « كشف الحساب » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٢) قصيدة السيد فى خلاصة الأثر ٤/٤٤٥، ٤٤٦ . (٣) فى خلاصة الأثر : «ودون مذاب سلسله» .
(٤) سقط عجز هذا البيت وصدر الذى يليه من: ج ، وهو فى: ا ، ب ، وخلاصة الأثر ، وفى ا ، ب : « مذ كان غاب » ، والمثبت فى خلاصة الأثر . (٥) بعد هذا فى خلاصة الأثر زيادة :

بُناةُ مكارمِ التقوى الذين اتَّـ ـقَوْا مولاهُمُ وله أنابُوا

وأوحدُ أهلِ هـذا العصرِ طُرًّا ... بما قد قُلْتُه لا يُسْتَرابُ (١)

أليسَ مُقصِّراً عن نَيْلِ أدْنَى ... عُلاه الشِّيبُ منهم والشَّبابُ

وَجيهُ الدِّينِ ناصرُه فما إنْ ... يَزالُ له بنُصْرتِه احْتِسابُ

حَماه اللهُ من كَيْـدِ الأعادِى ... وأرْغَم أنفَهم عنه وخابُوا

وأبْقاه الإلهُ لنـا مَلاذاً ... له فى العِـزِّ مَرتبةٌ تُهابُ

وبعدُ فإنه قد جاء منـه ... كتابٌ سرَّنى منـه الخِطابُ

بلغْتُ به من الفرَحِ الأمانِى ... وزايلنِى برُؤْيتـه اكْتئابُ

وفَى بالدِّينِ والدنيـا جميعاً ... فمالى غـيرُ مافيه طِلابُ

وكيف فَطَيُّه مُلْكٌ عظيمٌ ... يدُوم فمـا يُخافُ له ذَهابُ (٢)

هو الذُّخْرُ الذى من لم يحُزْه ... ذخائرُه وإن كثُرتْ تُرابُ

وذاك العلمُ أفضـلُ ماتحلَّتْ ... به نفسٌ وأفضلُ مايُصابُ

وقد أهدَيْتَ منـه لنا نصِيباً ... به منَّا تطوَّقتِ الرِّقابُ (٣)

جمعْتَ به المُحرَّر من علومٍ ... جَلاها أهْلُها طابتْ وطابُوا

فنِلتَ بمـا أنَلْتَ عظيمَ فضلٍ ... ومغفرةً ويهْنِيكَ الثَّوابُ

ولا برِحتْ فضائلُك اللَّواتِى ... علَوْنَ بها لنا يعلُو جَنابُ

ودُمْتَ مُسلَّماً مالاح مجـدٌ ... وفاح عبيرُ نَشْرٍ يُسْتطابُ (٤)

٭٭٭

---

(١) فى خلاصة الأثر : « وواحد أهل هذا العصر » .

(٢) فى خلاصة الأثر : « وكيف وطيه » . (٣) فى ا ، ج : « وقد أهديت لنا منه نصيبا » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر . (٤) فى خلاصة الأثر ، وهو أولى : « ما لا نجر » .

وقد ذكر المحبى للمترجم شعرا آخر، فى ترجمته فى خلاصة الأثر ٤/٤٤٦ ، ٤٤٧ ، وفى ترجمة والده، فى الخلاصة أيضا ٢/٣٠٩ .

٢١٦، ٢١٧

الحسن* والحسين* ابنا النّاصر

فرَسا رِهان وعِدْلا جمَل، وصِنْوا جُرْثُومة فى عِلْم وعمَل.

يُنبِت عَزْمُهما الوردَ يانعاً فى اللّظَى، ويُطلِع رأيُهما الماء جارياً من صُمّ الصَّفا.

وكلٌّ منهما غَيْثٌ فى كرَم، ولَيْثٌ فى حرَم.

وبدر فى أُفُق، وزَهْر فى خَلَق.

طَوّقا اليمنَ نُبْلا ومجدًا، وانْتحلا بها المعالى انْتحالَ من مُلِئ صَبابةً ووَجْدًا.

فى اقْتبالٍ من العيش بهِما كَلِف، وحَظٍّ من الأمانِى رائح إليهما مُخْتلِف.

وكانا يتهادَيان شعْرًا، فيتنافَثان سِحْرًا.

ويقْتدِحان زَنْدًا، فيُوريان عَرارًا ورَنْدًا (١).

***

وشعرُهما مُثقَّف المَبانى، مُرْهَف كالحسام اليمَانِى.

(*) الحسن بن الناصر بن عبد الحفيظ المهلا الشرفى.
المتفرد فى وقته بالعلم والفضل، والورع والزهد فى الدنيا.
أخذ عن أبيه، وجده، وسمع على أخيه الحسين كثيرا.
وله ارتحالات كثيرة، وكان صاحب خط حسن، وله نثر ونظم فائقان.
توفى سنة تسع وثمانين وألف، بصنعاء.
خلاصة الأثر ٢/٦٤ – ٦٨.

(*) الحسين بن الناصر بن عبد الحفيظ المهلا الشرفى.
عالم يمنى كبير، وله مؤلفات، منها: «المواهب القدسية شرح البوسية».
وكان أطلس لا لحية له.
قتل شهيدا فى فتنة المحطورى، سنة إحدى عشرة ومائة وألف.
البدر الطالع ١/٢٣١، ٢٣٢.

(١) الرند: شجر طيب الرائحة.

فمما كتبه الحسين إلى الحسن يعاتبه على القراءة فى غَيْبته ، وجعل أوّل كلّ بيت حرفاً من حروف المعجم [1] :

أذاب فؤادى بارقُ الغَوْرِ إذ سرَى ... بنَفْحة مِسْكٍ من حدائقها شَرَى [2]

بحقك خَــبِّرْنى عن الغَوْر إنه ... حديثٌ صحيحٌ ليس فى القولِ مُنْكَرَا

تأمّل به تلك المغـــانِى تَلْقَ لى ... لطائفَ فاقتْ فى المحاسنِ مَخْبَرَا [3]

ثَمِلْتُ وقد دارتْ رَحِيقةُ وَصْفِه ... فأَنْهلنا التَّسْنيمُ من تلك سُكَّرَا [4]

جرَى ذكرُ أحْبابى برَوْضة قُدْسِها ... وقد كُسِيتْ بُرْداً من الوَشْىِ أخْضَرَا [5]

حَوَوْا من مليح الوصفِ كلَّ غريبةٍ ... كزُهْر سماء الأرض فى حُسْنها ترَى

خليلىَّ ماوافٍ بعهــدِىَ أنتما ... إذا لم تَقُصَّا وصْفَها لى وتُخبِرَا

دعَوْتُكما كى تُفْهِمانِى حقيقةَ الْ ... أحبَّة فيهـا مُفرقَيْن وتحضُرَا [6]

ذكرتُ لهم ذكرَ الصِّفات فهاجَ لى ... من الشوقِ ماألفيتُــه مُتذكِّرَا

رأيْنا بهـــا مايملأُ العينَ قُرَّةً ... فروّحتِ الأرواحُ من حُسْنِ مانرى [7]

زيارتُهم فيهــا لقلبى مَسَرَّةٌ ... غدَتْ مَوْرِداً للصالحات ومصدَرَا

سَلِى إن أردتِ اليومَ عــنِّى وعنهمُ ... ترَىْ مايسرُّ الأولياء بلا مِرَا

شَفَتْنا وأوْلتنــا فوائدَ عندها ... يُسهِّل للأحبابِ ماقد تعسَّرَا [8]

صفَتْ عندنا تلك الصفاتُ التى علَتْ ... وفاقتْ وراقتْ للقلوب بلا امْتِرَا

---

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٦٥ ، ٦٦ .

(٢) شرى ، كرضى ، الشر : استطار ، والبرق : لمع ، ولعله أراده فاعتاصت عليه القافية .
وفى خلاصة الأثر : « من حدائقها تَرى » .

(٣) كذا فى الأصول ، والخلاصة : « تلق لى » . (٤) التسنيم : أرفع شراب أهل الجنة . غريب القرآن للسجستانى ٧٥ . (٥) فى ا ، ج : « بردا من الورد » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

(٦) فى ب : « كى تفهما لى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

(٧) فى خلاصة الأثر : « من حسن ما ترى » .

(٨) فى ا : « أشفعنا وأولتنا » ، وفى ب : « شقتنا وأولتنا » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر .

طوَيْنا لدى الأصحابِ كلَّ مَقالةٍ ‏ ‏ ‏ وقد كان فى نفسِى مقالٌ تكثّرا (١)

ظَفِرْنا بما نرجُو من الحسَنِ الذى ‏ ‏ ‏ يُفيدك إن أقْرا الفوائدَ أوْ قرا

عليمٌ بأعْقاب الأمورِ كأنما ‏ ‏ ‏ لِما فى غدٍ من قبل يأْتيه أبْصَرا

غدوْتُ عليه عاتباً حين أهمل الأ ‏ ‏ ‏ أُخُوّةَ لمّا ينْتظِرْنِى ويذكُرا

فواعجبًا من فعْلِهِ حين غِبْتُ عن ‏ ‏ ‏ محافِلِه هلاّ لحقِّ آثرا

قرأتَ حماكَ اللهُ لم تنتظِرْ لنا ‏ ‏ ‏ وعُذرِىَ أن السحبَ بالغيثِ أمْطرا

كفَى حُجّةً بُرهانُها مُشرِقٌ بما ‏ ‏ ‏ فعلتَ على إهمالِ حقٍّ بما عرا (٢)

لوَيْت عِنانَ الوُدِّ عنِّىَ عامداً ‏ ‏ ‏ وأُنْسِيتَ حقًّا للإخاءِ مُؤثَّرا

محلُّك فوقَ الشمسِ عندى وإننى ‏ ‏ ‏ لأبْنِى له فوق المَجرّةِ معْمَرا

نحوتُكُم لمّا تقشّع سُحْبُها ‏ ‏ ‏ وسرتُ إلى سُوحِ المَعالى مُبكِّرا

وقد لاح فى الصُّبْحِ الثُّريّا كما تُرى ‏ ‏ ‏ كعُنقُود مُلاّحِيّةٍ حين نوّرا (٣)

هو الصُّنْع إن تعْجلْ فخيرٌ وإن ترِثْ ‏ ‏ ‏ بِعُذْرٍ فكم رَيْثٍ به عاد أكْبرا (٤)

يقول لك القلبُ الذى ترَكَ الهوى ‏ ‏ ‏ إذا أنتَ راعيتَ الإخاءَ المُقرَّرا (٥)

لِأَعْظمِ من أوْلَى ووالَى صنيعَهُ ‏ ‏ ‏ وحاز من الخيراتِ سَهماً مُوفَّرا

ألستَ من القومِ الذين وَلِيدُهمْ ‏ ‏ ‏ يُرجَّى لإقْراءِ العلوم وللقِرَى

---

(١) فى ا : «طوينا لدى» ، والمثبت فى: ب ، ج ، وخلاصة الأثر، وفى الخلاصة : «لدى الأحباب» ، وفى ب : « مقالا تكثرا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر. (٢) فى ب : « كفى حسنها » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى الأصول : « برها مشرف » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٣) ضمنه من قول أبى القيس بن الأسلت، انظر معاهد التنصيص ١ /١٣٨ ، وفيه : «الثريا لمن رأى» .
والملاحى : عنب أبيض فى حبه طول .

(٤) فى خلاصة الأثر: « فخير وإن بدت» ، وفى ج: «لعذرفكم» ،والمثبت فى: ا، ب ،وخلاصة الأثر.

(٥) فى خلاصة الأثر : « ترك الهدى » ، وفى ا : « راعيت الإخاء الموقرا » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .
وبين هذا البيت ، والذى بعده تقديم وتأخير فى خلاصة الأثر .

بلغنا السماَ مجداً وعزًّا وسُؤدداً ... وإنا لنرجو فوق ذلك مَظْهرَا [1]

تجرَّدْ لأخْذِ العلم عنهم فإنهم ... أئمتُها وارحَلْ إليهم مُشمِّرَا

ثباتُهم فيها عظيمٌ رُسوخُه ... وذِكْراه قد يُولِي الثناء مُعنْبرَا [2]

جزَى الله آبائِي عن الكلِّ خَيْرَه ... وأبْقاهمُ ما قيل نظمٌ وسُيِّرَا

حَمَوْا بعواليهم حِمَى الدِّين واستوَوْا ... على فلَك العَلْياء لَمَّا تَفوّرَا

عليك سلامُ الله ما انْهلّتِ السَّما ... بوَدْقٍ على روضٍ أرِيضٍ فأزْهرَا [3]

* * *

فأجابه بقوله [4] :

أُسَرُّ إذا حقَّقت فى النوم معشَرَا ... وتكثُر أفراحِي إذا كان أكْثَرَا [5]

بناءً على أن امرَأً باد عمرُه ... إذا كان فى غيرِ العلوم تكثَّرَا [6]

تبيَّنْتُ أن العزَّ فى العِلم والعُلَى ... وأن تجارَ العلم هم خِيرةُ الورَى

ثنائِي عليهم لا على كلِّ مُهْمِلٍ ... يُجانبهم ممَّن عتَا وتجبَّرَا [7]

جنَوا ثمراً من روضِ كلِّ فُنونه ... وأعطاهمُ الرحمنُ حظًّا مُوفَّرَا [8]

حَرِيُّون بالتقديم أقدامُهم على الثُّـ ... ـريَّا وأهلُ الجهلِ فى أسْفلِ الثَّرى

خلا مَن غدا فى دهْرِه مُتعلِّمًا ... ومستمِعاً ما فاق دُرًّا وجوهرَا

---

(١) فى ب : « بلغنا السما عزا ومجدا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

والبيت مضمن من قول النابغة الجعدى :

بلغْنا السماءَ مجدَنا وجدودَنا ... وإنَّا لنرْجُو فوق ذلك مَظْهرَا

ديوانه ٥١ .

(٢) فى الأصول : « وذكره يولى الثناء معبرا » ، والمثبت فى خلاصة الأثر . (٣) الودق : المطر .

(٤) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٦٦ ـ ٦٨ . (٥) فى خلاصة الأثر : « أسر إذا خففت فى القوم معشرا » ، ولم يستقم لى معنى ما فى الأصول أو الخلاصة . (٦) فى خلاصة الأثر : « فى غير العلوم مكثرا » .

(٧) فى خلاصة الأثر : « ممن عتا وتكبرا » . (٨) فى خلاصة الأثر : « من كل روض فنونه » .

دنا منهمُ فازْداد فضـــلًا ورِفعةً   وعاش حميداً فى الورى مُتبصِّرَا
ذكرتُ خِلالًا للحُسَين فسرَّنى   بأن أخى للعلمِ أضحى مُشمِّرَا
رَضِيتُ له هـــذا طريقاً ومَسْلَكاً   وصاحبُه فوق النجومِ كما ترَى
زيادةُ مَن فوقَ البسيطةِ لم تكُنْ   من العلمِ نقْصان وخُسْرٌ بلا مِرَا (١)
سما مَن له العـــلمُ الشريفُ وَسيلةٌ   وما فازَ ذُو جهلٍ وخاب من افْترَى
شَرَى نفسَه يبْغِى الرِّضا من إلٰهِه   فيافَوْزَه بالرِّبح من خيرِ ما شَرَى
صَبُور على درسِ الدفاترِ مُقْبِلٌ   سَرِىٌّ سرَى والصبحُ قد يُحمَد السُّرَى
طويلٌ عليه الليلُ إن بات مُهمَلًا   قصيرٌ إذا للدرسِ بات مُؤثِرَا (٢)
ضَجِيـــعُ كتابٍ لا يفارقُه ولا   يُرافِق إلّا عالِماً مُتبحِّرَا
ظفرتَ بما أمَّلْت فاشْــكُر ولا تكنْ   مَلُولًا فإن الصيدَ فى باطِنِ الفَرَا (٣)
على أنه وافَى نِظامُــك عاتِباً   علينا ومنْظوماً نِظاماً مُحرَّرَا (٤)
غدَوْتُ به فى نعمـــةٍ لبلاغةٍ   حَواها وألفاظٍ لهـــا قد تخيَّرا
فوا عجباً من عاتبٍ كان حقُّه   بأن يُبْتدَى بالعَتْبِ فيما تحرَّرَا
قوافِيكَ أوْلَتْنا مَحاسِنَ عندهـــا   نقولُ وقد خاطبت مَن كان قصَّرَا (٥)
كأنَّك لم تعلَمْ بمَن سار أشهُراً   ليحْظَى بعـــلمٍ ثم عاد مُطهَّرا
له رِحْلةٌ معروفةٌ أنت أهلُهـــا   فواصِلْ دُروساً دَرْسُها لك يُسِّرَا
مدَى الدهرِ لا تبرَحْ على الدرسِ عاكفاً   فما العلمُ فى الأسواقِ بالمال يُشترَى
نَبيُّك لم يترِكْ سوى العلمِ فاغتنِمْ   وِراثَته بالدَّرْسِ عن سيِّد الورَى

---

(١) فى خلاصة الأثر : « زيادة ما فوق البسيطة » . (٢) فى الأصول : « طويل عليه الذيل » ، والمثبت فى خلاصة الأثر . (٣) الفرا : حمار الوحش .

(٤) فى ب : « وافى نظامك عاتبا » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وفى الخلاصة : « نظامامحبرا » .

(٥) فى خلاصة الأثر : « أولتنا محاسن عقدها * تقول . . » .

وأنتَ بحمْد الله قد صِرْتَ عالِماً ... ولكنْ نظَمْنا ما تراه مُذكِّرَا

هــداناَ إلهُ الخلقِ نَهْجا مُبلِّغاً ... إلى جنَّةِ الفِرْدوسِ فضلاً ويَسَّرَا (١)

لئن كنتَ ترْعَى للحقوقِ فإنَّنى ... لأرْعَى لها واسألْ بذلك مَن دَرَى (٢)

يريد أخِى قلبَ العِتابِ فقُلْ له ... يحِقٌّ لمِثْلى أن يغُضَّ ويصبِرَا

إذا أنا لم أحمِلْ على النفس ضَيْمَها ... سَدَدْتُ طريقاً للشناء مُنوَّرَا (٣)

بَدا لِىَ عُـذْرُ الصِّنْو بعد جَفائِهِ ... وذلك أن السحبَ دام وأمْطَرَا (٤)

توَالت بذا الأسبوع فضلًا ونعمةً ... فرَام لهذا أن يُقَـال ويُعذَرَا

ثلاثاً هجَرْتُم ثم زِدتُمْ كمِثلِها ... لك اللهُ أرجو أن تُقِيل وتعذِرَا (٥)

جرَى ما جرَى منكم من الهجرِ والقِلَى ... وفوق ثلاثٍ حَرَّم الطُّهر ما جرَى (٦)

عليك سَــلامُ اللهِ ما ذَرَّ شارِقٌ ... وأسْأَر ذُو عزْمٍ لعلمٍ وما سَرَى (٧)

---

(١) فى خلاصة الأثر : « هداك إله الخلق » . (٢) فى خلاصة الأثر : « فاسأل بذلك » .

(٣) فى الأصول : « مددت طريقا » ، والصواب فى خلاصة الأثر . (٤) فى الأصول : « عذر الضوء » ، والمثبت فى خلاصة الأثر. (٥) فى ب : «ثم عدتم لمثلها» ، وفى ا ، ج : « ثم زدتم لمثلها» ، والمثبت فى خلاصة الأثر. وفى الخلاصة : «أرجو أن يقيل ويغفرا» . (٦) فى خلاصة الأثر: «حرم الطهر» .

(٧) فى خلاصة الأثر : « وآثر ذو عزم » .

٢١٨

على بن عبد الله بن المُهَلاَّ بن سعيد النيساى[1] الشَّرَفِىّ*

نُخْبَة أهل العصر الغابِر ، وأفصح من استعمل الأقلامَ والمحابر .

زجَرطيرَ البَنَان فى أوكارِه ، وجاء بمعدِنِ البَيان من أبكاره .

وكان الحسن بن الامام القاسم[2] يشهد بتقدُّمه،ويُرِى مُجارِيه منتهَى قدمِه .

***

وله فى مدحه أشعارٌ أعْبَقُ من نفَحات الأنْوار غِبَّ القِطار ، وأشْهَى من كأس المُدامة فى مغتنَم فُرَص الأوطار .

فمنها قوله من لاميَّة ، مستهلُّها[3] :

لا تحسَبُوه عن هواكم سلَا   كلَّا ولا فارقكُم عن قِلَى

ولا ثنَتْ وَهْنانةٌ قلبَــه   هَضِيمةُ الكَشْحِ صَموتُ الحُلَى

***

---

(١) فى ا : « النساى » ، وفى خلاصة الأثر : « الميساى » ، والمثبت فى : ب ، ج ، ولم أجد ما يعين على معرفة الصحة فى هذا .

(*) على بن عبدالله بن المهلا بن سعيد الشرفى .

ولد بكوكبان ، وبها نشأ ، وقرأ بصعدة والشرف ، ثم قرأ بصنعاء .

أخذ عن جماعة من العلماء ، منهم : محمد بن عبدالله المهلا ، وعبد الحفيظ بن عبدالله المهلا .

وبرع فى الفقه ، والنحو ، والمعانى ، والبيان ، والمنطق ، والتاريخ ، فقصده الطلبة وعلماء الأرض من كل مكان .

توفى بصنعاء ، سنة تسع وأربعين وألف .

خلاصة الأثر ٣/١٦٨ - ١٧٢ .

(٢) تقدمت ترجمته فى هذا الباب برقم ١٩٣ .

(٣) المقصيدة فى خلاصة الأثر ٣/١٦٨ - ١٧٠ .

الوَهْنانة : اللّيِّنة الجسم ، ناعمتُه ، تكاد تسقط من النُّعومة .

* * *

تفضح بالقَدِّ غصونَ النَّقا ... ليناً وتحكى الشادنَ الأكْحَلا
نَشْوانةٌ ما شربت قَرْقَفاً ... سَحّارةٌ ما عرفتْ بابِلَا[1]
آهِلةُ الدارِ بأترابِها ... لا عفَتِ الرِّيحُ لها مَنزِلَا
نسيمُها حدَّث عن مِسْكِها ... نخاله أهلُ الهوى مُرْسَلَا
دعِ التَّصابى فى المَقام الذى ... فاق سناء واقْصِد الأفْضَلَا[2]
وقُلْ بأعلَى الصوتِ إن جئْتَه ... يا مَلِكاً حاز جميعَ العُلَى
هُنِّيتَ هذا الشرفَ الأطْوَلَا ... فالمَفْخرُ الباذِخُ فوق المَلَا
أدركتَ مَجْداً عُشْرُ مِعْشارِه ... قد أعجز الآخِرَ والأوَّلَا
ما أنتَ إلَّا آيةٌ أُنزِلتْ ... تقمَع من حافَ ومن أبطَلَا[3]
يشهد ما فى الأرضِ من علمِه ... أنَّك صِرْتَ الواحِدَ الأكْمَلَا[4]
نورَ هدًى يُهْدَى به ذو التقى ... نارَ وَغًى حاميةَ المُصْطلَى
وبحرَ علمٍ ماله ساحلٌ ... يزْخَر إن فَصَّل أو أجْمَلَا
دقيقَ فكرٍ ما رأى مُشكِلاً ... إلا وحلَّ المُشكِلَ المعضِلَا
يا ابنَ أميرِ المؤمنين الذى ... ما برِحَ النصرُ له مُقْبِلَا
رُمْحُك لا يألفُ إلا الحشَا ... سيفُك لا يعشَق إلا الطُّلَا
طَرْفُك يختاضُ دماءَ العِدَى ... كأنها كانتْ له مَنْهَلَا
مُنتَعِلاً فى الرَّوْعِ هاماتِهم ... مُجلَّلاً أكبادَهم والكُلَى

---

(١) القرقف : الخمر . (٢) فى خلاصة الأثر : « فاق سناه » .
(٣) فى ب : « تقمع من جاف » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٤) فى خلاصة الأثر : « مافى الأرض من خلقه ... الأوحد الأكملا » .

نهدْتَ للتُّرْكِ وقد حزّبوا أجْنادَهم تملأُ عُرضَ الفَلَا (١)
تغَصُّ قِيعانُ زَبيــــدٍ بِهِمْ تخالُ فرسانَهمُ أجْبُــــلَا (٢)
فدارتِ الحربُ وقد أمّلُوا رَأْياً وقد يُعكَسُ مَن أمَّلَا
وزاوَلُوا منك فتًى ماجِــــداً لا يرهَبُ الموتَ إذا أقبَلَا
يستحسِنُ الدِّرْعَ على جسمِهِ ثوباً ويستخشِنُ ثوبَ المُلَا
سابِغةً تسْخَرُ بالبِيضِ في الْـ هَيْجا وتستزرِي القَنا الذُّبَّلَا (٣)
فَجُرِّعوا من بأسِهِ عَلْقَما مُعتَصَراً من شَجَراتِ البَلَا (٤)
واستبدلُوا عن صهوات الذُّرَى والضُّمَّرِ الجُرْدِ بطونَ البِلَى
فمنهمُ مَن جاء مُستَسلِماً ومنهمُ مَن طار خوفاً إلَى
فهكذا فلتكُنِ الهِمَّةُ الْـ قعساءُ والفخــــرُ وإلّا فلَا
فانقشعتْ تلك الغَيابات عن مُهـــذَّبٍ كالقمرِ المُجتلَى
عن فاطِمِيٍّ ذِكْرُ أيامِهِ يفعلُ في السامِعِ فعلَ الطِّلَا
الحسنِ بن القاسم النَّدْبِ مَن غار على الإسلامِ أن يُهْمَلا
وشاد رُكْناً لبني هاشمٍ طاوَلَ مِن رِفعتِــهِ يَذْبُلَا (٥)
ساسَ من الشِّحْرِ إلى مَكّةٍ إلى الحِمَى عُمْرانَهــا والخَلَا (٦)
ودَوّخ الأرضَ فلو رام تَخْـ تَ الشَّامِ بَلْهَ الرُّومَ والمَوْصِلَا
لأقبلتْ بالطَّوْعِ مُنْقــادةً لأمرِهِ أسرَعَ مِن لَا ولَا

---

(١) نهد للعدو : برز إليه .
وفي خلاصة الأثر : « مهدت للترك » .
(٢) في خلاصة الأثر : « تخال فرسانهم أجلا » . (٣) في ا : « سابحة تسخر » ، والمثبت في : ب ، ج ، وخلاصة الأثر . (٤) في خلاصة الأثر : « من شجرات الملا » .
(٥) يذبل : جبل مشهور الذكر بنجد . معجم البلدان ٤/١٠١٤ . (٦) الشحر : صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، بين عدن وعمان . معجم البلدان ٣/٢٦٣ .

ونالَ منهـــا كلَّ ما يبْتغِي　　وحازَها بالسيفِ أو بالجلاَ
وما هِيَ الأرضُ وما قَدْرُها　　عندك يامَن قَدْرُه قد عَلاَ
لو أنهـــا عندك مجموعةً　　وهَبْتَها من قبلِ أن تُسأَلاَ
ولو أمرتَ الشُّهْبَ إقبالَها　　نحوك لا تلبَثُ أن تنزِلاَ
وضَيْغمُ الأفلاكِ لو رُمْتَـــه　　جعلتَ من قُرونِه أنْعُلاَ
ولو نَهيْتَ الدهرَ عن فِعْلِه　　بالحُرِّ لاسْتعبَدَ واسْتمثَلاَ
وإن يُرِدْ منـــــه على بُخْلِه　　يُوليه بِرًّا كاد أن يفعلاَ
دُمْتَ لدِينِ المصطفَى مَعْقِلاً　　ولِلَّهيفِ المُعتفِي مَوْئِلاَ [1]

***

وقوله ، من نونيَّة ، أولها [2] :

هام وَجْداً بساكِني نَعْمانِ　　حَسْبه من أحِبَّــــةٍ ومكانِ
جِـــيرةٌ خَيَّموا فخيَّمَ قلبي　　واستقلُّوا فهام بالأظْعانِ [3]
ألِفَتْهم رُوحِي فهانتْ عليهم　　قَلَّما يسلم الهوى مِن هَوانِ
الهوى شأنُه عجيبٌ فكم مِنْ　　مُسْبِلٍ ماءَ شأْنِه إثْر شانِ [4]
عِلقِ القلبُ منهمُ بدرَ تِمٍّ　　ساحرَ اللَّحْظِ فاترَ الأجْفانِ
وافرَ الرِّدْفِ كاملَ الطَّلْعةِ الغرّا　　ءِ مُرَّ الصُّدودِ حُلْوَ اللِّسانِ
مَن لقلبي بعَضِّ تُفَّاحِهِ الغضِّ　　وتقْبيلِ خـــدِّه الأُرْجُوانِي
فأُداوِي الفؤادَ من ألَمِ الحبِّ　　ليُشْفَى مُعـــذَّبُ الهِجْرانِ [5]

---

(١) في ب : « وللملهف المعتفى » ، والمثبت في : ا ، ج، وخلاصة الأثر .

(٢) القصيدة في خلاصة الأثر ٣ / ١٧٠ ، ١٧١ .　(٣) في خلاصة الأثر : « فهام في الأظعان » .

(٤) ماء الشئون : الدموع ، والشانى : المبغض .　(٥) في ب : « ليشفى من معذب الهجران » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .

مالـكِي ماتُرِيد أصاحِك اللّٰـ ... ـهُ بإتلافِ مُطْلَقِ الدمعِ عانِ [(١)]

نَمْ هنيئاً مِلْءَ الجفـــونِ فإن عا ... وَد طَرْفِي الـكرى فقُل لا هَنانِي

يَطَّبِينِي هوَى الحسانِ ولـكنْ ... مارآنِي رَبِّي بحيث نَهانِي [(٢)]

بل تحامَى نفسِي القريضَ فَيُد ... نيها إليـــه تشبيهُها بالغوانِي

إجماحٌ مع الصِّبا بعـــد مالا ... حَتْ ثلاثٌ بيضٌ ثَنَيْنَ عِنانِي

فاتنِي رَيِّقُ الشبابِ وأرْجُو ... عَوْدَه من أكُفِّ فَرْدِ الأوانِ [(٣)]

يا أبا أحمدٍ بَقِيتَ فمـــا غَيْـ ... ـرُكَ يُدْعَى إذا الْتَقَى الجَمْعانِ

ذُدْ عن الدِّين واحْمِهِ بالصِّفاحِ الْـ ... ـبِيضِ والصَّافِناتِ والمُرّانِ [(٤)]

أنت مَهْدِيُّ هـــذه الأمة المَرْ ... جُوُّ إحْياؤُه عَقِيبَ الزمانِ [(٥)]

زمِنَ الدهرُ عنـدما درَس الحقُّ ... فَمُذ جئت عاد فى العُنْفُوانِ

غَبَنَ المُدَّعِي عُلاك لقـــد مَدَّ ... يَداً وَيْحَه إلى كِيوانِ [(٦)]

يرْتجِي شأوَك الرَّفيعَ لقـد ضَلَّ ... وغرَّته نفسُـــــه بالأمانِي

رفع اللهُ منك رايةَ حَقٍّ ... يتَّقِي بأسَهـــا أُولو الطُّغيانِ

سَلْ زَبِيداً والنَّجْدَ نَجْدَ المُحَيْرِ ... بِ وقاعَ القِبابِ من سِخّانِ [(٧)]

لو تصدَّى لهـــا سواك إذاً آ ... لَ كَبِيرَ القَنا قتِيلَ طِعانِ [(٨)]

---

(١) فى ا : « ياطلاق مطلق الدمع » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر. (٢) فى ج : « يصيبني هوى الحسان » ، وفى خلاصة الأثر : « يصطبيني هوى الحسان » ، والمثبت فى : ا ، ب .

واطباه : دعاه .

(٣) فى خلاصة الأثر : « فرد الزمان » .

(٤) المران : الرماح اللدنة فى صلابة . (٥) بعد هذا فى خلاصة الأثر زيادة :

لك من قَوْلِ جدِّك الصَّادق الها ... دى ومن قولِ حَيْدرٍ شاهدانِ

(٦) كيوان : زحل . القاموس (ك و ن) . (٧) انظر فى نجد اليمن معجم البلدان ٤/٧٥١ .

وفى خلاصة الأثر : « من سنجان » ، وسنجان بعيدة عن اليمن .

(٨) بعد هذا البيت زيادة بيتين فى خلاصة الأثر .

أَلِفَتْ خيلُكَ الوغَى فهْى من شو ـقِ إليـه تهُمُّ بالطَّيَرانِ (١)

كم جيوش غادرتَها للأعادِي جَزَراً للنُّسـورِ والعُقْبانِ

من رأى بأسَكَ الشديد وإقدا مَكَ يوم الوغَى على الأقْرانِ

مُعْلَماً يلتقِي الكتائبَ فَرْداً حيث تُنْسَى مَوَدَّةُ الإخوانِ

لا يرى غيرَ هامةٍ أو نَجيعٍ أو قَتامٍ أو صارمٍ أو سِنانِ

علِم الناسُ أن ما لكَ ثانِي واستبانُوا أن الفَخار يمانِي (٢)

ذلك المَحْتِدِ الرفيعُ وعَلْيا كَ على الخلقِ مالهـا من مُدانِي

راق مَدْحِي فيمَن حوَى قصَبَ السَّـ ـبْقِ ودانتْ لأمْرِه الخافقانِ (٣)

مِلكٌ يقْهر الجبابرةَ الصِّـ ـيدَ ويعْنُو له ذَوُو التِّيجانِ (٤)

سَنَّ للناس مذهبَ الجُودِ والْـ ـباسِ فما زيدُ الخيلِ وابنُ سِنانِ (٥)

نشَر اللهُ عَـدْلَه فى البَرايا ليفوزُوا بالأمْنِ والإيمانِ

وأعادَ الأعْياد تَتْرَى عليـه أبداً ما تعاقَب المَلَوانِ (٦)

---

(١) فى خلاصة الأثر : « شوق إليهم » .

(٢) بعد هذا فى خلاصة الأثر زيادة :

الغِنَى والفَنا بكفَّيك موجُو دان ذَا للعافِى وذا للجانِى

(٣) بعد هذا فى خلاصة الأثر زيادة :

الهُمامُ الذى له الوَقَعاتُ السُّـ ـودُ فى أهل الزَّيْغِ والعُدْوانِ

(٤) بعد هذا فى خلاصة الأثر زيادة :

حسنُ بن المنصور سِبْط السَّجايا مَرْبَع الفضل منبع الإحسانِ

(٥) زيد الخيل ، هو زيد بن مهلهل الطائى ، لقب زيد الخيل لكثرة طرده بخيله .
وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فسماه زيد الخير .
توفى سنة تسع للهجرة .
أسد الغابة ٢/٢٤١ ، ثمار القلوب ١٠١ .
وابن سنان ، هو هرم بن سنان المرى الجاهلى .
عرف بجوده ، وذلك أنه احتمل ديات عبس وذبيان ، مع ابن عمه الحارث بن عوف ، ليتم الصلح بين الحيين .
انظر شرح ديوان زهير ٣٣ .

(٦) الملوان : الليل والنهار .

٢١٩

أخوه محمد

من ذوى الألْسُن الذُّلُق ، المَوْسُومين بالأوْجُه الطُّلُق .

تعلَّق به النُّبلاَ ، وترْوِى عنه الفُضَلا .

وفيه تودُّد وألْطاف ، وله شِعر تمايل طرباً به أرْدانٌ وأعْطاف .

***

فمنه قوله :

وأغْيَدَ مَغْسولِ الشَّنائبِ والَلَّمَى يُسائلنِي عن شَرْحِ جَمْعِ الجوامعِ
فقلتُ له والعينُ تسكُب عَبْرةً نعم ياخليلى شرحُ جمعِ الجوَى مَعِى

***

وقوله :

شريفٌ تِهامِىٌّ تعـالَى وقال لى أُرِيد من المولى نَوالًا ونامُوساَ
فقُلتُ له ما الاسم قال أنا موسى فقلت لقد أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يامُوسَى[1]

☆☆

(١) اقتباس من قوله تعالى ، فى سورة طه ٣٦ :

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ .

أولاد الجُرمُوزِيّ

الثلاثةُ الإخوة ، الذين اجتمعت فيهم المروءة والنَّخْوة .

سلسلةُ مجدِهم مُتساوٍ شرَفاها ، وهم كالحلقة المُفرَغة لا يُدرَى أين طَرفاها .

أمّا :

٢٢٠

الحسن *

حاكم المَخَا(١)

فهو لخزانة الفضل إقْليد ، لا يليق بغيره لحـكْمِه تقْليد .

سمعتُ بخَبَرِه فعرفتُ كُنْهَه ، وزالت عنّى فى(٢) مُسلَّمات فضلِه كلُّ شُبْهة .

فما تلقّيْتُ بأحسنَ ممّا فهمت ، (٢) ولا انْتَقيْتُ إلّا تعشّقْتُ فهِمْت (٢) .

فرُوحى فِدَى مناقِب ، نُجومها فى سماء الفضل ثَواقب .

إن لم تـكن بذاتِها زِينة(٣) النُّحور ، فمنها تـكتسب الرَّوْنَقَ درارِىُّ البحور .

* * *

وقد وقفتُ له على أشعار وُفِّقتُ إليها ، فرأيت الحُسْنَ جميعَه وَقْفًا عليها .

فمنها ما كتب به إلى شيخِه القاضى محمد بن إبراهيم السَّحُولِىّ(٤) ، وهو إذ ذاك فى

(*) السيد الحسن بن مطهر بن محمد الحسنى ، اليمنى ، الجرموزى .

ولد بعتمة ، سنة أربع وأربعين وألف .

وقرأ على القاضى عبدالرحمن بن محمد الحيمى ، والقاضى محمد بن إبراهيم السحولى ، وغيرهما من العلماء .

وبرع فى النحو ، والصرف ، والمعانى ، والبيان ، والمنطق ، والفقه ، والحديث ، والتفسير .

وله مؤلفات ، منها : « شرح نهج البلاغة » ، و « نظم الـكافل » .

وله شعر حسن .

اتصل بالمتوكل على الله إسماعيل ، وتنقل فى الولايات ، فولى حراز ، ثم بندر المخا ، ومدحه الشعراء .

توفى سنة مائة وألف بصنعاء ، بعد أن تغيرت له الأحوال .

البدر الطالع ١/ ٢١٠ ، ٢١١ .

(١) المخا : بلدة بساحل بحر اليمن . القاموس (م خ ى) . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

(٣) فى ا : « زينت » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) تأتى ترجمته فى هذا الباب ، برقم ٢٣٦ .

صَنْعا ، وقد أمره بوظيفةِ الخطابة فى جامع صَنْعا :

حتَّى م تنهــلُّ البوادِرْ ... وإلى مَ أغدو الدهرَ ساهِرْ
ويصدُّنى رِيمُ الفَــلا ... ةِ أمَا لذاك الصَّــدِّ آخِرْ
لا تعجبوا من فِتنتِى ... بمُلَكٍ فى الحب جائرْ
فالطَّرْفُ منه والقَوا ... مُ اللَّدْنُ فتّاكٌ وســاحِرْ
أو ما ترَوْنَ خُــدودَه ... بدمِى أقرّتْ فهو ظاهِرْ
وترَوْنَ فى الثَّغرِ الأنيـ ... قِ سُموطَ دُرٍّ بل جواهرْ
يهْدِينَ كالمِصبــاح إمَّا ... حِرْتَ فى ظُـلَمِ الدَّياجِرْ
وتُنِيرُ أسْرَارُ البــلا ... غةِ فى البيــانِ لِكلِّ ناظِرْ
فعلمتُ أن دلائــلَ الْـ ... إعجازِ من تلك المَحاجِرْ (١)
مُذْ صــدَّنى جرَتِ الدُّمو ... عُ على الخدودِ من النَّواظِرْ
فوَجْنــتِى غُدْرانُها ... وعلى المُتُون له غدائرْ
غادرْتَنِي فأفاضَ دمْـ ... عِى بالعقِيق من المَشاعِرْ
وحكَتْ جُفونى المُعصِرا ... تِ فدمعُها هــامٍ وهامِرْ

إلى أن قال فى المديح :

هزّتْ وباهتْ فَرْحــةً ... لِلِقــاكَ أعْطافُ المَنابرْ
وتبسّمتْ صفَحــاتُها ... عن طِيب أرْياحٍ عواطِرْ
ما قُسُّ ما سَحْبــانُ وا ... ئلٍ فى الخطابةِ من مُناظِرْ
ما سِيبَوَيْه النحــوِ ما الْـ ... جَرْمِيُّ كَلاَّ وابنُ طاهِرْ (٢)

---

(١) يشير إلى كتاب « دلائل الإعجاز » لعبد القاهر الجرجانى .

(٢) الجرمى هو أبو عمر صالح بن إسحاق ، اللغوى ، النحوى .
له فى النحو كتاب جيد يعرف بالفرخ ، أى فرخ كتاب سيبويه .

ما الصاحبُ الكافِي أو الصَّـ ـابي فكلٌّ عنه قاصِرْ
حُزْتَ المكارمَ والعُلى فلكَ الموارِدُ والمصادِرْ
واسلَمْ ودُمْ فى خَفْضِ عَيْـ ـشٍ ما زهتْ بك من دفاتِرْ
وبقِيتَ ما إنْ غرّد الشُّـ ـحْرورُ مشكوراً وشاكِرْ

***

فأجابه القاضى محمد :

بين المحاجِرِ والمعـاجِرْ فِتَنِ الأصاغِرُ والأكابِرْ
وعلى الدُّمَى طُلَّتْ دِما ءُ للأوائلِ والأواخِـرْ
أمعلَّمَ الأغصـانِ كيْـ ـفَ تميلُ فى الورَقِ النواضِرْ
ومُعيـرَ آرامِ الظِّبا ءِ الحاجِريَّاتِ المحاجِرْ (١)
أعلمتَ وَسْنانَ الجُفو نِ بحالِ ساهٍ فيك ساهِرْ
يبـكى فعيْنٌ دَمْعُها هامٍ وهـذا العينُ هامِرْ

إلى أن قال :

إن راق فيـك تغزُّلى وملأْتُ أوراقَ الدفـاتِرْ
ورآه بعضُ الحاسدِيـ ـنَ من النَّقائصِ والجرائِرْ
جهـلاً بحُسْنِ سَريرتى واللهُ أعلَمُ بالسَّرائِرْ
فلأمْحُـوَنَّ خَطيئتى إنْ سلِمْتُ واللهُ غافِرْ
بمديحِ مولانا الكريـ ـمِ ابنِ الكريمِ أخى الأطاهِرْ

= توفى سنة خمس وعشرين ومائتين .
بغية الوعاة ٢ /٨ ، وفيات الأعيان ٢ /١٧٨ .
ولم أعرف من يريد بابن طاهر .

(١) الحاجريات : نسبة إلى حاجر ، وهو موضع قبل معدن النقرة . معجم البلدان ٢ /١٨٢ .

حسنٍ سليــلِ مُطَّهرٍ نَسْلِ الغَطارِفة الأكابرْ[1]

إلى أن قال :

مولاىَ أفصــحَ ناظمٍ فى أهــل جِلْدتِهِ وناثِرْ

قابلتُ هاتيــك الفصو ن بهــذه الدِّمَنِ الدَّواثرْ

عِلْمًا بأنَّك كامــلٌ وبأن بحرَ نَداك وافرْ

وبأنَّ علمَك عاذِرٌ فيما أتيْتُ به وســاتِرْ[2]

وهى طويلة ، أجاد فيها كلَّ الإجادة .

***

ومن شعره فى الوعظ قوله مُضمِّنًا بيت ابن تُومَرْت[3] :

فيا حجر النَّجْدِ حتى متى تسُنُّ الحديدَ ولا تقْطَعُ[4]

***

ألا انهَمِرى أيهــا الأدمعُ وذوبِى جوًى أيها الأضلُعُ

ونُوحِى على من له أُوقِعتْ كِبارُ المَعاصِى التى تُصنَعُ

فـكم غاص جَهْلًا بحارَ العمَى ومِن عنده يُوجَد المَهْيَعُ[5]

---

(١) فى ب ، ج : « نُجل الغطارفة » ، والمثبت فى : ا .

(٢) فى ج : « وبأن حلمك » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن تومرت ، الملقب بالمهدى .
صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن ، ملك المغرب .
عرف بالزهد والصلاح ، والحرص على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
توفى سنة أربع وعشرين وخمسمائة .
طبقات الشافعية ٦/١٠٩ ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ٢٤٥ – ٢٦٤ ، النجوم الزاهرة ٥/٢٥٤ ، وفيات الأعيان ٤/١٣٧ .

(٤) البيت فى النجوم الزاهرة ٥/٢٥٥ ، وفيات الأعيان ٤/١٤٥ .
وفى النجوم : « فياحجر الشحذ » ، وفى وفيات الأعيان : « فياحجر السن » .

(٥) المهيع : الطريق الواسع البين .

على أنه واعظٌ إن رَقَى　　على مَتْن رَوْعٍ به يَرْدَعُ[١]

فمثِّلْه إن شئتَ فى حالهِ　　بمثلِ الذى قاله المُبدِعُ

فيا حجَرَ النَّجْد حتى متى　　تَسُنُّ الحديدَ ولا تقطعُ[٢]

***

وله :

باللهِ لا بسِواه من الأنامِ تمسَّكْ

فافْزَعْ إليهِ إذا ما خَطْبُ الحوادثِ مَسَّكْ

تنَلْ بدُنْياك خيْرًا وفى حُلولِك رَمْسكْ

فإن وثِقْتَ بخَلْقٍ سواه ضَيَّعْتَ نفسَكْ

***

وله فى التضمين :

تجاوزتِ يا هندُ المليحة فى الخدِّ　　وصُلْتِ بسُودٍ دونها البِيضُ فى الحدِّ

وأغمدتِ سيْفَىْ مُقْلتيْك بمُهجتِى　　وهل يُجمَع السيفانِ أفديك فى غِمْدِ[٣]

***

وله :

على مَ تتَّخذ الحَلْىَ النفيس وقد　　غَنِيت عنه بما فى حُسْنِك البَهِجِ

الجِيدُ من فضةٍ والخدُّ من ذهبٍ　　والثَّغْرُ من لُؤلؤٍ والصُّدْغُ من سَبَجِ

***

---

(١) فى ا ، ب : « على أنه واعظا » ، والمثبت فى : ج .　(٢) جاء عجز هذا البيت فى ب :

* تصدع قلبى بك المُوجَعُ *

والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) عجز هذا البيت مما يتمثل به . انظر التمثيل والمحاضرة ٢٨٩ .

وله :

بأبي من قد سَبانِي حُسْنُهُ وغدَا قلبي به مُرْتَهِنَا[١]
فالِقُ الإصْباحِ مِن غُرَّتِهِ جاعل الليل عليها سَكَنَا
تَمِلُ العشاقُ فى عشْقتِهِ وأفاقُوا سَكْرةً إلَّا أنَا

***

الثانى مُنتزَع من قول البَاخَرْزِىّ ، فى أبياته المشهورة[٢] :

يا فالِقَ الصُّبحِ من لَألاءِ غُرَّتِهِ وجاعِلَ الليلِ من أصْداغِهِ سكَنَا[٣]
بصورةِ الوثَنِ استعْبدْتَنِي وبها فتَنْتنِي وقديماً هِجْتَ لى شَجَنَا
لا غَرْوَ أن أحرقتْ نارُ الهوى كَبِدِي فالنارُ حَقٌّ على مَن يعبُد الوثَنَا[٤]

***

وله ، وقد ذُكِرتْ بحضرته أبياتُ الأعْشَى ، التى يقول فيها[٥] :

وتسْخُن ليلةَ لا يستطِيع نُباحًا بها الكلبُ إلَّا هَرِيرَا
وتبرد بَرْدَ رِداءِ العَرُو سِ ليالىَ ضَمَّخْنَ فيه العَبِيرَا[٦]

***

أفْدِى الذى زِينةُ الدنيا مَحاسِنُها فلا مليحٌ على الدنيا يُدانِيهاَ
فى البردِ حَرَّى ووقت الحرِّ باردةٌ وبُغيةُ المُتمنِّى فى مَعانِيهاَ[٧]

***

وله :

للهِ ماءُ ثَنايَاكِ التى عَذُبتْ وحبَّذا قُبَلٌ فيـــــه وتَكْرارُ
لـكنه بارِدٌ أذْكَى لَظَى كَبِدِي فاعْجَبْ لماءٍ غدَتْ تُذْكَى به النارُ

(١) فى ا ، ج : « من قد سبانى بحسنه » ، والمثبت فى : ب . (٢) الأبيات فى المنتقط من ديوان الباخرزى ٨، ٩ . (٣) فى ا ، ج : «فى أصداغه» ، والمثبت فى: ب ، والمنتقط من ديوان الباخرزى .
(٤) فى المنتقط : « لا غرو لو » . (٥) البيتان فى ديوانه ٩٥ ، مع تقديم وتأخير .
(٦) فى الديوان : « رداء العروس رقرقت بالصيف فيه العبيرا » .
(٧) فى ا : « فى البر حر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والرسم فيهما : « حرا » .

وله فى معناه مضمنا بيت المَعرِّىّ :

قد قال لى الحِبُّ مُذ قَبّلتُهُ سَحَرًا ... فى الخدّ دون لَماهُ الطيِّبِ العَطِرِ
أتهجُرُ الماءَ يا مغرورُ مُغتبِطًا ... وتقصِدُ النارَ ذاتَ اللَّفحِ والشَّرَرِ
فقُلتُ من خَصَرٍ مولاىَ أهجُرُه ... والعذبُ يُهْجَر للإفْراطِ فى الخَصَرِ [1]

وله فى الزَّنبَق [2] :

انظُر إلى الزَّنبَق الأنيقِ وقد ... أبْدَع فى شَكْلِه وفى نَمَطِهْ
يحكى قناديلَ فِضّةٍ غُرِستْ ... شموسُ تِبْرٍ تُضِىءُ فى وسَطِهْ [3]

* * *

وله :

رِيمٌ تَسُلُّ البِيضَ أجفانُه السُّـ ... ـودُ فتَسْقينا كؤوسَ الحتوفْ
جرَّدها عَمْدًا وفى ظَلْمِهـا ... وردٌ على الخدّ مَنِيعُ القُطوفْ
يا حبَّذا وَجْنتُه جَنَّةً ... لكنَّها تحت ظِلالِ السيوفْ

* * *

وهو من قَوْل ابن الخطيب [4] :

انظُر إلى عارضِه فوقه ... ألحاظُه تُرْسِل فيها الحُتوفْ [5]
تُشاهدِ الجَنَّةَ فى وجهِه ... لكنها تحت ظلالِ السُّيُوفْ

---

(١) صدر بيت أبى العلاء :

* لو اختصرتُم من الإحسانِ زُرْتكُمُ *

شروح سقط الزند ١٢٠/١ .

(٢) البيتان فى البدر الطالع ٢١١/١ . (٣) فى البدر الطالع :

كمِثْلِ قِنْديل فِضّةٍ غُرِستْ ... شموعُ تِبْرٍ تُضِىءُ فى وسَطِهْ

(٤) الذى أورده المقرى للسان الدين بن الخطيب ، فى نفح الطيب ١٧٦/٩ :

أصبح الخدُّ منك جنةَ عَدْنٍ ... مُجتَلَى أعْيُنٍ وشَمَّ أُنوفِ
ظَلَّلَتْه من الجفون سيوفٌ ... جَنَّةُ الخُلْدِ تحت ظِلِّ السيوفِ

(٥) فى ب : « ألحاظها ترسل » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وأمّا :

٢٢١

جعفر *

فهو طَيّار الصِّيت فى الآفاق ، سيّار الذِّكْر بين الرِّفاق .

خُمِّرت طِينتُه بالأدب كلَّ التَّخْمير ، ودُعِىَ له بالفضل (١) فى الولاية والتّأْمير .

فضُرِب لِمُخيَّم عُلاه على الأثيرِ سُرادِق ، ووَعد جعفرُ فضلِه بِسَقْىِ العُلَى فيالَه من جعفرٍ صادِق .

وقد سمعتُ من مادِحيه بعضاً يقول : إنه فَرْدُ الزمان ، وبعضاً يقول : إن معه فى التوحد توقيعُ الأمان .

* * *

وله شعر كنَوْر الأقاحِ كاد أن ينْفتِق ، أو كنُور الإصْباح همَّ أن ينْفلِق .

فمنه قوله من قصيدة يمدح بها جمال الإسلام علىَّ بن المتوكِّل إسماعيل (٢) :

هكذا شرطُ الهوى سَلْبُ القلوبِ وشروقُ الدمعِ من تلك الغُروبِ

وجوًى نامٍ وصَبْرٌ ناقصٌ وزفيرٌ قد تعالَى بنَحِيبِ

وجُفونٌ قد جفَتْ طِيبَ الكرى ما أعزَّ النومَ للصَّبِّ الكئيبِ

(*) السيد جعفر بن مطهر بن محمد الجرموزى .

الرئيس ، الكاتب ، الشاعر .

ولاه المتوكل على الله إسماعيل بلاد العدين ، ثم صار كاتبا مع السيد عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن ابن الإمام القاسم .

توفى فى حدود سنة ست وتسعين وألف ، بالعدين .

البدر الطالع ١/١٨٣ ، وانظر حاشيته .

(١) فى ا ، ج : « فى الفضل » ، والمثبت فى : ب .

(٢) تقدمت ترجمته فى هذا الباب ، برقم ١٩٦ ، صفحة ٢٥٧ .

ما لِعُذْرِيٍّ الهوى عُذْرٌ وقد ... لاح كالصبحِ سَنَاً وَجهِ الحبيبِ
أَهْيَفٌ مهما تَثَنَّى أو رَنَا ... يا حياءَ الظَّبْيِ والغُصْنِ الرَّطِيبِ
شادِنٌ كالظَّبْيِ يرْعَى أبداً ... فى رياض الحسنِ حَبَّاتِ القلوبِ
عَنبرِيُّ الخالِ مِسْكِيُّ الشَّذَى ... سُكَّرِيُّ الرِّيقِ دُرِّيُّ الشَّنيبِ
ساحرُ الأَلْحَاظِ فَتَّاكُ الرَّنَا ... شَفَقِيُّ الخدِّ حُقِّيُّ الكُعوبِ(١)
لو رآه عاذِلى ما عادَ لِى ... سلَبَ الصبرَ عن القلْبِ السَّليبِ
قَصِّرِ اللَّوْمَ عَذُولِى فى الهوَى ... وأَفِقْ باللهِ عنِّى يا رقيبى
أنت لا تبْرحُ تلْقَى نَصَباً ... فى حبيبٍ هو فى الدنيا نَصِيبى
وعلى أيَّةِ حالٍ فاسْترِحْ ... يا رقيبى إنه غيرُ قريبِ
هو مثلُ البدرِ بُعْداً وسَنَاً ... وجمالُ المُلْكِ مَعْدومِ الضَّرِيبِ

***

وله فى الغزل :

برَّح الشوقُ فواصِلْ ... أنت عمَّا بِيَ غافلْ
زُرْ فأيام المُحِبِّـ ... ـين كما قِيلَ قلائلْ
قد تركتَ القلبَ منِّى ... ذاهباً والعقلَ ذاهِلْ
بأبى بدرٌ بدَا لى ... فى سماء الحُسْنِ كامِلْ
كلَّما فوَّق سهماً ... لم يُصِبْ إلَّا المَقاتلْ
رِدْفُه للخَصْرِ منه ... ظالمٌ والقدُّ عادلْ
أقوامٌ ذاك أم غُصْـ ... ـنُ نقَا فى الدَّوْحِ مائلْ
وعيونٌ فاتراتٌ ... تلك أم أسْحارُ بابلْ

---

(١) فى ا : « فتاك رنا » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وخـــــدودٌ قانياتٌ أو ورودٌ فى غلائـــلْ
قيَّدتنى عارِضـــاه لهواهُ فى سَلاسِــــلْ
قال لى لمَّـــا رآنى مِن هواهُ فى حبائلْ
عارضِى المَقْرون نُونٌ وعِذارِى سالَ سائِل٭[1]
قد مضَى العمرُ وولَّى لم أفُزْ منه بطائلْ
لستُ أُصغِى فى هـــواه لوُشاةٍ وعـــواذِلْ[2]
إنَّ دِينَ الحبِّ حَقٌّ وسُلُوِّى عنه باطلْ
فدعِى العـــاذلَ فيه فليَقُلْ ما هو قائـــلْ
هو لا شَــــكَّ لِمَا بى من جوًى فى القلب جاهلْ
أنكَر العاذلُ وَجْدِى وعلى الوجـــدِ دلائلْ
وكفَى السُّقْمُ دليـــلاً ودمٌ فى الخــدِّ هامِلْ

٭٭٭

وله ، فى الغزل أيضا :

سُمتَ الفؤادَ مَنالَ المَنْزَعِ السَّامِى سَوْمَ العِداةِ مَرِيرَ السَّوْمِ بالسَّامِ
أذْكيتَ نارَيْنِ فيه من هوًى ونوًى كلاهما ذاتُ إضْرار وإضْرامِ
عـــذَّبْتَه ياوَقاكَ اللهُ ظالِمَهُ وهْــو المُبرَّأُ عن ذنبٍ وإجْرامِ[3]
أقوَتْ مدارسُ صبرِى مذ نأيْتَ عَفاً لم يبْقَ منهـا سوى نُؤْيٍ وآرامِ[4]
ظننتُ مَهْلاً غرامِى فيك وهْــو معى كالحافِظَيْن ومِن خَلْفِى وقُدَّامِى[5]
صحِبْتُه والهوى بُرْدِى ومعهدُه عَهْدِى وحُلَّته حَـــلِّى وإبْرامِى[6]

---

(١) يشير إلى السورتين الكريمتين : القلم ، والمعارج .

(٢) فى ب ، ج : «أو عواذل» ، والمثبت فى : ا . (٣) فى ج : «من ذنب» ، والمثبت فى: ا، ب.

(٤) النؤى : الحفير حول الخيمة يمنع السيل . (٥) فى ب : « ظننت سهلا » ، والمثبت فى : ا، ج.

(٦) فى ب : « والهوى بردى » ، والمثبت فى: ا، ج .

وإذ لُباناتُ خِلِّى فى الغرام لُبا ... ناتِى وأحكامُه فى الحبِّ أحكامِى
وكنتُ والكونُ مسروراً بمأْربتِى ... ولا أخاف مَلاماً غِبَّ إلمامِى (١)
أيامَ كنتُ ولا أخْشَى جَفاك ولم ... أحْفِل بتحفيل عُذّال ولُوّامِ
ويازمانَ التّصابِى لا عَداك من الْ ... وَسْمِىِّ أغْدَق غيثٍ هامعٍ هامِى (٢)
يسْقِى مَعالمَ أُنْسٍ كم قطعتُ بها ... ساعاتِ دهرى وأيّامى وأعوامِى
واهاً على سالفٍ منها ظفِرتُ به ... كأنه إذْ مضى أضْغاثُ أحْلامِ
يقِلُّ منِّى عليه حين أذكرُه ... كَفٌّ يُمَضُّ وجَفْن دَمْعُه دامِى
ومُهْجةٌ حَشْوُها ممَّا أُكابدُه ... نارٌ وَقُودٌ وجسمٌ حِلْفُ أسْقامِ
ويارَبِيبةَ مُلْكِ الحُسْن ليس يُرَى ... فى غير حُبِّك إسْرارِى وإجْرامِى (٣)
ولا ورَبِّك ما إنْ عَنَّ فى خَلَدِى ... سِوَى هواكِ ونعمَ الناشئُ النّامِى
مُكِّنتِ منه مَحلاً دون مَبْلغه ... صَدَّتْ نوازِعُ أفكارٍ وأوهامِ (٤)
عَقِيلةَ الحىِّ مُلِّكتِ السَّنا وبه ... ملكْتِ كلَّ رقيقِ القلبِ هيّامِ (٥)
ضارعْتِ مثلَك فى البَيْداء سالفةً ... أختَ الغزالةِ مَهْوَى قُرْطِك السّامِى
ومُقْلة ماشَبا الهِنْدىُّ يوم وَغًى ... منها أبَتُّ لأكبادٍ وأجسامِ
رَنَتْ فكم طار من حِجْرٍ لذى أدَبٍ ... طَيْرَ الحمامةِ خوف النّابِل الرّامِى (٦)
ذاتَ الفِراخِ نأتْ عنها مَحلّتُها ... وقد دَجا الليلُ فى ظلمٍ وإظْلامِ (٧)
وقبلَ عَيْنيْك ما إنْ دار فى خَلَدِى ... أسْحارُ بابِلَ فى ألْحاظِ آرامِ

---

(١) فى ا : « غب إلمام » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) فى ا ، ج : « يا زمان » ، والمثبت فى : ب .

والوسمى : مطر الربيع الأول .

(٣) فى ا ، ب : « ويا ربيبة تلك الحسن » ، والمثبت فى : ج . وفى ب : « فى غير حبك إصرارى وإضرامى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) فى ج : « ما كنت منه محلا » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٥) فى ج : « هلكت كل رقيق القلب » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٦) فى ا ، ج : « خوف النائل الدامى » ، والمثبت فى : ب . (٧) فى ج : « من ظلم وإظلام » ، والمثبت فى : ا ، ب .

حَكَّمْتها فى عذابى فِعْلَ غانيـــةٍ ... لم تعرف العدلَ فى تصريفِ أحكامِ (١)

لولاكِ ما باتَ طَرْفى غيرَ ذِى طَمَعٍ ... من المنـــامِ بإسعافٍ وإلمامِ

وقد ملكتِ فؤادى فاسمحِى كرَماً ... فإنه قلبُ ماضى العَزْمِ مِقْـــدامِ

وليس قبلَكِ يا أختَ الغزالِ سَطَتْ ... بباسلٍ فى عَرِينِ الأُسْد صَمْصامِ (٢)

إذْ كنتُ لا أتوقَّى هَيْبَ نازلةٍ ... حتى بُليتُ بحبٍّ منكِ قَصَّامِ

كالشمسِ عُذْرِ محبٍّ صار فيك لَقًى ... عن عَـــذْلِ كلِّ غليظِ القلبِ لَوَّامِ

باتتْ إليك نجومُ الأُفقِ شاخصةً ... تَحْديقَ طالبِ حُسْنٍ منك مُسْتامِ

والبـــدرُ لمَّا حكَى مِرْآكِ كان له ... معنَى الجمالِ وفيـــه بعضُ إيهامِ

وماسرَى الرَّكْبُ فى أرضٍ حلَلْتِ بها ... إلَّا على ضوءِ ثَغْرٍ منك بَسَّامِ

وأهدَتِ الرِّيحُ منهـــا مَنْدَلًا عطِراً ... أَزْرَى بنفْحة طِيبِ الهنـــدِ والشَّامِ

وقد ملكتِ كتابَ الحسْنِ منفرداً ... ظفِرتْ منهـــا بأنواعٍ وأقسامِ

***

وله من قصيدة يمتدح بها ضياء الدين إسماعيل بن محمد بن الحسن (٣) :

ماغرَّد بُلْبُلٌ وغَـــنَّى ... إلَّا وأضلَّنِى وعَـــنَّى

فى حبِّ مُهَفْهَفٍ غَريرٍ ... من حُسنِك ياهلالُ أسْنَى

البدرُ يَغارُ إن تبـــدَّى ... والغصنُ يموتُ إن تَثَنَّى

والظَّبْىُ إذا رأى رَناهُ ... والجِيدُ يكاد أن يَحِنَّا (٤)

لو شاهده العَذُولُ أضحَى ... فيـــه قلِق الوِسادِ مُضْنَى

---

(١) فى ب : « لم تعرف العدل فى تعريف أحكام » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ج : « وليس قلبك . . . بيابل فى عرين . . . » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) تقدمت ترجته فى هذا الباب ، برقم ١٩٩ ، صفحة ٢٦٦ .

(٤) فى ج : «إذا رأى رناء » ، والمثبت فى: ا ، ب ، وفى ب : «يكاد أن يحنى» ، والمثبت فى: ا، ج.

أهْواه ولا أُلامُ فيـــه ... ما أطيبَ عِشْقَه وأهْنَا

أُشْقَى بجمالِه وأشْقَى ... أحْـيِي بدَلالِه وأفْنَى

الحبُّ مع الوصالِ إسمٌ ... والموتُ مع المِطالِ مَعْنَى

أهْـوَى وأوَدُّ لو تَراهُ ... ياعاذلُ كالهلالِ حُسْنَا (١)

كى تعـذِر فى الهوى مُحِبًّا ... قد صارمن الخلالِ أضْنَى (٢)

يامالكَ مُهْجتِي ترَفَّقْ ... فضـلاً وتَداركِ المُعَنَّى

فى حُبِّك قد بذلْتُ رُوحِي ... لا تحْسبَنْه لَديْك رَهْنَا

ياغصنُ أما لكَ انْعِطافٌ ... ياحُسْنُ أما لديك حُسْنَى

ياوردَ خُـدودِه الزّواهِي ... عهْـدِي بك ياوردُ تُجْنَى

يابدرُ أما تزُور وَهْنًا ... كالبدرِ إذْ يلُوح وَهْنَا (٣)

ماضَرَّكَ هـل عليك عارٌ ... لو تُنْعِش مُغْرَمًا تَمَنَّى

هَبْ عُذْرَكَ واضحٌ فقُل لى ... ياطَيْفُ كم الصدودُ عنَّا

لا أُشْرِكُ فى هواكَ خَلْقًا ... ماوَحَّـد مُسْلِم فثَنَّى

بل أنتَ وأنتَ كلُّ قَصْدِي ... أغْنَى بصَبابتي وأفْنَى

***

ومن مُقطَّعاته البديعيّة (٤) قوله :

عاتَبْتُهم حين حال وُدُّهمُ ... عنـد انْعِكاس الزمان مُمْتحِنَا

قالُوا فمن ذا تراه لم يكُ يَسْـ ... ـتحيلُ بالانْعكاسِ قلتُ أنَا

***

---

(١) فى ا ، ج : « يا عاذلا كالهلال » ، والمثبت فى : ب . (٢) الخلال ككتاب : العود يخلل به الثوب والأسنان . المصباح المنير (خ ل ل) . (٣) فى ب : «إذا يلوح» ، والمثبت فى: ا ، ج .

(٤) فى ب : «البديعة» ، والمثبت فى: ا ، ج ، وانظر شغف المترجم بالبديع، فى البدر الطالع، ترجمته .

وله فى الحمامة :

وحمامــــةٍ غنَّتْ على غصنٍ يميـــل مع الرياحِ
وَرْقاء تبعثُ للقـــلو ب هوَى الصِّباحِ مع الصَّباحِ[1]
صَـــبْراً فلاحِى صَبْوتِى من قبل حَىَّ على الفَــلاحِ[2]

***

وله فيها :

ياصاحِبَىَّ حمامــــةُ الْ وادى أهاجتْ لى غَراماَ
غنَّتْ فغنَّتْ مُغْــرَماً فيهمْ وهَى جِسْماً وهاماَ
قُلنـــا سلاماً تبْتغِى فى سَجْعِهـــا قالتْ سلاماَ

***

وكتب إليه الأديب حسام الدين ناصر بن سعد[3] بن عبد الله ، قبل المعرفة بينهما :

لقـــد خطَب الوُدَّ منك امرُؤٌ وأمْهره المِثْــل من وُدِّهِ
فإن تَرْضَــه يارَضِىَّ الهُـــدى وإلَّا فأحْسِن فى رَدِّهِ

***

فأجابه بقوله :

خطبْتَ وِدادَ امرِئ لم يزَلْ مَودَّتُك الجُــلُّ من قَصْدِهِ
ومن يَحْظَ بالوُدِّ من ناصرٍ قد أحْرزَ الجِــدَّ من سَعْدِهِ[4]

***

---

(١) فى ب : « تبعث للفؤاد » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) لاحى الصبوة : أول ما يلوح منها .
(٣) فى ج : « سعيد » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٤) فى ج : «فى سعده» ، والمثبت فى : ا، ب.

ومن شعره قوله :

بعَيْشِك حَدِّثْني عن الْبانِ هل سَرَى ... به الركبُ أم مالوا إليه وخَيَّمُوا [1]

فلِي أبداً شَوْقٌ إليهم مُــــبَرِّحٌ ... ولِي أبداً قلبٌ عليهم مُتَيَّمُ

* * *

وقوله [2] :

تعانقَتْ أغْصانُ بانٍ بالِحمَى ... فأشبهتْ أعْطافَ أحْبابِي [3]

ومُذْ صَبا قلبي صَبا صاحِبِي ... آهٍ على الصَّاحِبِ والصَّابِي

* * *

وقوله :

ياغـــزالًا لم يزَلْ ... وجـــدِي به أمراً عظيماَ

جُدْتَ بالوصـــل فأحْيَيْـ ... ـتَ أخا وَجْـــدٍ كَلِيمَا

أتُرى ضَمَّ كريمًا ... منك أم ضَمَّك رِيمَا

* * *

وقوله :

ومليحٍ كالبـــدر وجهاً وكالظَّبْـ ... ـيِ الْتفاتاً وكالقَضِيبِ اعْتـــدالَا

كلُّ شيءٍ منـــه مليحٌ وإن جا ... رَ وأما الهِجْران والاعْتـداَلا

* * *

وقوله :

بأبِي الذى ماشبَّ إلَّا ... شَبَّ وجـــدِي فيه أكْثَرْ

---

(١) فى ب : « عن البان أنه سرى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) البيتان فى البدر الطالع ١/١٨٣ . (٣) فى ج: «بان الحمى» ، والمثبت فى: ا،ب ،وفى البدر الطالع:

تعانَقَتْ أغصانُ بانِ النَّقَا ... فشابَهَتْ أعطافَ أحْبـابى

وإذا تعـــــذّر مالِكي   فهناك صبْرِي قد تعـــذّرْ

***

وقوله فى مليح به شرط :

بى أحمرُ الوجْنَـــةِ مَشْروطُها   لَدْنُ التثنّى ناعِسُ المُقْلتيْنْ[1]

لو لم تـكنْ عيْناه مكسورةً   مافعلُوا من تحتهما خفْضَتيْنْ[2]

***

وقوله :

قالتْ وقد أفْنَتْ جميعَ تصبُّرِى   ونفَتْ لذيذَ النومِ عن أجْفانِى[3]

إن رُمْتَ منِّى زَوْرَةً فى ليـلةٍ   فاصبرْ وليس لَدَىَّ صبرٌ ثانِى

***

وقوله :

يا من إذا جاء يوماً   يُتابــعِ المَنَّ بالمَنّ[4]

أحْرَقْتَ بالمَنِّ قلبى   واحرَّ قلباهُ مِمَّنْ[5]

*

---

(١) فى ج : « وبى أحمر الوجنة » ، والمثبت فى ا ، ب .

(٢) فى ا ، ج : « ما فعلوا من تحتها » ، والمثبت فى : ب .

(٣) فى ج : « من أجفانى » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٤) فى ج : « إذا جار يوماً » والمثبت فى ا ، ب

(٥) فى ج : « واحر قلبى ممن » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وهو يشير إلى قول أبى الطيب :

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قلبهُ شَبِمُ   ومَنْ بجسمى وحالى عنده سَقَمُ

ديوانه ٣٢٢ .

وأمَّا :

٢٢٢

محمد*

فإليه الحديثُ يُساق ، ويُخجِل خبرُه العِقْدَ في تناسُبٍ واتِّساق .

فهو ممَّن اشْتهر وبهَر ، وأضْحَى روضةً أطَلَّتْ على نَهَر .

وله القلم البابِلِيُّ السَّحَّار ، والكَلِمُ التي عطَّرتْ نسائمَ الأسْحار .

* * *

وقد ذكرتُ له ما تتنادَم الألسُن على ذِكْر مَزاياه ، وتَسْتنْشِق[1] الأرواحُ المِسْك الدَّارِيّ[2] من عَرْف رَيَّاه .

فمنه ما كتبه إلى الأديب حسين بن عليّ الوادِي[3] ، وهو إذ ذاك بصَنْعا[4] :

السُّحْبُ أرْخَى أدمُعا لا يُفيق	وألْبَس الأغصانَ ثوباً أنيق[5]
ودبَّجَ الأرضَ فمِن أخضرٍ	أو أصفرٍ أو أحمرٍ كالعَقِيقْ
وكلَّما مرَّتْ بنا نَفْحةٌ	أهدتْ من الأزهارِ مِسْكاً سَحِيقْ
روَتْ حديثاً عادَ دمعِي له	مُسَلْسَلا بالوُدِّ لا يستفِيقْ
أن الرُّبَى قد كُلِّلتْ بالنَّدَى	وانْتظَم المَنْثورُ بين الشَّقِيقْ
يا أيُّها الوادِي الذي نَشْرُه	قد ملأ الأرجاءَ نَشْراً فَتِيقْ

(*) ذكره الشرواني ، في حديقة الأفراح ٢٤ .

(١) في ج : « وتنشق » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) الداري : نسبة إلى دارين ، فرضة بالبحرين يجاب إليها المسك من الهند . (٣) تأتي ترجمته في هذا الباب ، برقم ٢٥٣ .

(٤) القصيدة في حديقة الأفراح ٢٤ . (٥) في حديقة الأفراح : « الغيم أرخى » .

بُعْدُكَ عنِّى والوفاء شِيمَتِى ... مالى إلى السُّلْوانِ عنه طريقْ

***

فأجابه الحسين بقوله :

إن الذى صــــيَّرنى حُبُّه ... دمعاً جرِيحاً وفؤاداً رَقِيقْ

لا يــكْتفى عن مُهجتِى بالغضا ... ولا عن العيْن بسفْحِ العقِيقْ

واحرَّ قَلْباه ومن نافعِى ... منه إذا يجْرح قلبى الحرِيقْ[1]

من قمرٍ يفْعل بالعقــل مَرْآ ... هُ ولا فعلَ سُلافِ الرَّحِيقْ

مُكَوْثَرُ الرِّيقــةِ كم لى دَمٍ ... ومَدْمعٍ فى حبِّه قد أُرِيقْ

مالى عن عشْقته سَــلْوةٌ ... ولا أرى السُّلوانَ عنه يليقْ

إلَّا حديثا فى جُمـــانِ الهدى ... كأنما حُلَّ بمِسْكٍ سَحِيقْ[2]

وهى طويلة .

***

ومن شعره فيما[3] كتبه إليه أيضاً[4] :

قُم يا رسولِى نحوَ دارِ الحسينْ ... وقُل له الوعْدُ شَبيهٌ بدَيْنْ[5]

لا زلتَ تُدْلِى لى حبالَ المُنَى ... بوَقْفةٍ والأمرُ فى ذاك هَيِّنْ

وأىُّ يومٍ نلْتقى لم تقُلْ ... غداً نُوافِيكم وما ذاك مَيْنْ

فأرقُب السَّاعاتِ حتى مضَى ... ميعادُكم وأستخلِفُ الحسْرتَيْنْ

يا ابنَ علِىٍّ أنت أطْرَبْتنِى ... ولم أنلْ منك سوَى وَقْفتَيْنْ

---

(١) فى ب : « واحر قلباه من نافعى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « فى جال الهدى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ب : « بما » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) ساقط من : ج ، وهو فى ا ، ب . (٥) فى ج : « شبيهاً بدين » والمثبت فى : ا ، ب .

لله واديكَ وما حــازَهُ | من نغماتٍ من كلا الجانبيْنْ
بُلْبُلُه بَلْبَلَ بالي فلم | أزلْ أُراعِي فى الدجَى الخافقيْنْ

* * *

فأجابه بأبيات ، منها :

ذكرتَ أن الوعـدَ دينٌ نعمْ | الوعدُ عند الحرِّ لا شكَّ دَيْنْ
وكيف يخفَى فيكم سائلي | وسائلي قد مَلأَ الخافقيْنْ
فهل سألتَ الرَّبعَ عن وَقْفةٍ | وقفتُها فيه بلا وقْفتيْنْ
وقلت للوادى هل جاءنا الْ | وادى وفَيْناه فما الأمرُ هَيْنْ (١)
إن كان ذا مَطْلاً فنفسِي لَهُ | صبرٌ جميلٌ يقبل الحالتيْنْ

* * *

ومن جيِّد شعره قوله :

قِفا حَدِّثا عن لوعتِي وغرامِي | ففى القلب نارٌ أُجِّجتْ بِضرامِ
وعنِّي خُذَا الأشواقَ والوجدَ والهوى | فليس دَعِيٌّ فى الهوى كإمامِ (٢)
وفى الجزعِ حَيٌّ كلَّما شاقَ ذكرُهم | نسيمُ اشْتياقٍ لا يلذُّ مَنامِي (٣)
جفَوا مُغرماً لم يُثْنِه عن هواهمُ | سُلُوٌّ ولا أرْواهُ شُرْبُ مُدامِ (٤)
ولا لَحنُ شادٍ مَعْبَدِيّ غناؤُه | يُرجِّع ألْحاناً كسَجْعِ حمامِ
إذا سَلْوةٌ رامتْ إلى القلب مَسْلَكاً | يقول لها الوجدُ ارْجعي بسلامِ

* * *

---

(١) فى ب : « وقلت للنادى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « والود والهوى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ا : « لا يلذ منام » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٤) فى ج : « لم يثنهم عن هواهم » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وله في صَنْعاء :

أرى المدائنَ شَوْها كلَّما ذُكِرتْ   صنعاء والبابُ منها بابُ سيرانِ
ما حلَّ فيها امرُؤٌ إلّا وعايَنَها   جَنَّاتِ عَدْنٍ عليها حُـور رِضْوانِ

وذيَّـل عليهما صِنوه السيد الحسن[1] فقال :

إيَّاك إيَّاك أن تعدِل بها بلداً   هيهاتَ ما الدُّرُّ والحصْباء سِيّانِ
تاهتْ على الأرضِ ما نَهْرُ الأُبُلَّةِ والْـ   وادِي المُقدَّسِ أو ما شِعْبُ بوّانِ[2]

☆☆☆



(١) تقدمت ترجمته في هذا الباب ، برقم ٢٢٠ .   (٢) الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى، في زاوية الخليج الذي يدخل مدينة البصرة ، ونهر الأبلة من جنان الدنيا . انظر معجم البلدان ١/ ٩٧ . وشعب بوان : بأرض فارس ، بين أرجان والنوبندجان ، وهو أحد متنزهات الدنيا ، وحسبه ما قال فيه أبو الطيب المتنبي . انظر معجم البلدان ١/ ٧٥١ ، ٧٥٢ .

السادة بنو الحجاف :

٢٢٣

السيد زيد بن على *

أميرُ المَخَا ، وخليفةُ المُزْن فى السَّخا .

من سَرَوات الأشراف ، كريمُ الأسلاف والأطْراف .

له خليقةٌ بَذْلُ المعروف دِيمتُها ، وسَجِيَّةٌ نجْدةُ الملهوف شِيمتُها .

ولَّاه المتوكل المَخَا فكان بها حظًّا زائدا لا يُنتقَص ، وحَرَمًا آمِنا لا يُباح صَيْده ولا يُقْتنَص .

وله فى أحكامه سِيرةٌ رَضية [1] ، وعزيمةٌ ما تخلَّفتْ بها عن حُكمِه قضيَّة .

***

وأما أدبُه فرَوْض نَسَّام ، كأنه فى ثَغْر الدهرِ ابْتسام .

فمن شعره الذى لفَظَه بحرُه ، وتزيَّنتْ به لَبَّةُ الزمانِ ونحرُه .

قوله [2] :

ولى عَتْبٌ على قومٍ أساءوا ... مُعاملتِى وسامُونى اغْترارَا

جنَوْا عَمْداً وما راعُوا حقوقاً ... وما اعْتذروا وسامُونى صَغارَا

سأضربُ عنهمُ صَفْحا وأُغْضِى ... مَخافةَ أن أُقلِّدهم شَنارَا [3]

ولو أنِّى ركبتُ متونَ عَزْمِى ... إذاً لَسقَيْتهم مُرًّا مِرارَا

(*) ترجمه ابن معصوم ، فى سلافة العصر ٤٥٥، ٤٥٦ ، وذكره الشروانى ، فى حديقة الأفراح ١٤ ، وزادا فى اسمه بعد « على » ، « بن إبراهيم » .

(١) فى ا ، ج : « مرضية » والمثبت فى : ب .

(٢) الأبيات فى سلافة العصر ٤٥٥ ، وذكر ابن معصوم أن المترجم أنشدها العلامة جعفر بن كمال الدين البحرانى ، سنة ثمان وستين وألف ، وهى أيضا فى حديقة الأفراح ١٤ ، نقلا عن السلافة

(٣) فى الأصول : « صفحا وأقضى » ، وفى السلافة : « صفحا وأعصى » ، والمثبت فى حديقة الأفراح .

ولو أنّي هممْتُ بأخْذ حقّي ... لَوَلّوني ظُهورَهمُ فِرارَا[1]

***

فأجابه بعضُ أصحابه بقوله[2] :

لك العُتْبَي ومنك الصفحُ يُرْجَى ... إذا لم تستَبِنْ منهم وَقارَا

وأنَّهم جنَوْا عمْداً وجَهْلاً ... وما راعوا ولا طلَعوا اعتذارَا[3]

فإن البــــدرَ لا يَثنِيه شيٌ ... من العجْما صِياحاً أو جُؤارَا[4]

وأنت على أذاهمْ ذُو اقْتدارٍ ... عَلِيٌّ أن تُسامَى أو تُبارَى[5]

فطِبْ نفساً فكلُّهُم ذليـلٌ ... لعِزَّتك اخْتياراً واضْطرارَا

***

وله :

أقول للوردِ لَمَّا افْتَرَّ مبتسِمًا ... صنَعتَ فيما أراه صَنْعةَ الأدبِ

فى فيكَ لى صدقُ وُدٍّ قد أضِنُّ به ... شَيءٌ من الضَّرَبِ الحالِي مع الشَّنَبِ[6]

***

ومن بدائعه قوله[7] :

ومالِي وللهمِّ الذى أنا حاملٌ ... ولى صِلةٌ من لُطفِ ربِّى وعائدُ[8]

إذا عادةُ اللهِ التى أنا آلفٌ ... تذكّرتُها هانتْ علىّ الشدائدُ

فلا أتَّقِي هَوْلاً وأرْهبُ طارِقًا ... ولى ثِقــةٌ باللهِ ما قام عابدُ[9]

---

(١) فى ا : « لأخذ حق » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والسلافة ، والحديقة .

(٢) فى السلافة ٤٥٥ ، ٤٥٦ أن العلامة جعفر بن كمال الدين البحرانى ، قال : «وسألنى القول على ذلك فقلت : » . (٣) فى السلافة :

وإن هم قد جَنَوا عمدًا وجهلا ... وما رَاعو وما طلبُوا اعتذارَا

(٤) فى ا ، ب ، والسلافة : «لايثنيه شيء» ، ولعله أراد «يشينه» أو « يشنأه » ، والمثبت فى: ج.
وعجز هذا البيت ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج ، والسلافة .

(٥) فى السلافة : « على أن لا تسامى أو تبارى » . (٦) الضرب : العسل الأبيض الغليظ .

(٧) الأبيات فى سلافة العصر ٤٥٦ . (٨) فى ا : «ومالى للهم» ، وفى السلافة : « ومالى والهم» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٩) فى السلافة : « فلا تتقى » .

٢٢٤

السيد عبد الرحمن بن الحسن القاسميّ

صاحب يدٍ فى القَريض وساعِد، وجَدٍّ إلى أُفقِ النَّيِّرات صاعِد.
يزرع الدُّرَّ فى أرض الطُّروس[1]، فيقتطِف ثمارَها طَيِّبةَ المَجْنَى[2] والغُروس.
بعباراتٍ عذُبتْ فأغنَتْ غَناء الثَّنايا العِذاب، وإشاراتٍ يُذِيب بصَوْغِها القوافى فتُؤدِّى رَوْنَقَ الذهب المُذاب.

***

وقد أثبتُّ له ما يرُوق تطريزُه، وينفَق[3] فى سوق الأدب إبرِيزُه.
فمن ذلك قوله، من قصيدة:

ألا أيُّها البرقُ الذى لاح من بُعْدِ ... فهيَّج أشجانى وجــدَّد لى وَجْدِى
ومِيضُك من قلبى وغَيْثُك أدمُعِى ... ومن زفَراتى والبُكا حَنَّةُ الرعدِ
وقد أنحلتْ جسمى مَرارةُ مُهجتِى ... ومُنْهمِر الأعْيان قد خَدَّ فى خَدِّى
عَســاك إلى الأحْبابِ تُهْدِى تحيَّتِى ... وتُخْبِرُنى عن دارِ هنـدٍ وعن هندِ

منها:

ففِى مُهجتى من طولِ ذا البعدِ والنَّوى ... بنارٍ وقد ذاب الفؤاد من الفقدِ[4]
فياليت أحبابِى لِما بِىَ شـاهدُوا ... ويا ليت شِعْرِى كيف حالُهم بَعْدِى

---

(١) فى ب: «طروس»، والمثبت فى: ا، ج. (٢) فى ب: «المجتنى»، والمثبت فى: ا، ج.
(٣) فى ج: «وينطق»، والمثبت فى: ا، ب. (٤) فى ا: «بنار قد أذاب»، والمثبت فى: ب، ج، وهو غير مستقيم.

ومنها :

مَنامِي طَرِيدٌ من فِراق أحبَّتِي ... وقلبيَ لا يقوَى وُقِيتُم على الصَّدِّ

فهل عندكم للعهدِ عند وَداعِنا ... وفاءٌ فإنِّي لا أحُول عن العهدِ

***

وقوله :

أولَى وأحرَى بالمَلامةِ لُوَّمِي ... منّي وأجدَى بالجِدالِ المُبْرَمِ

لامُوا على أن ظلَّ دمعِي ذارِفًا ... والحقّ أن أبكي دُموعًا من دَمِ

بل لو بكَيْتُ دمًا لقَلَّ لحادثٍ ... أضحَى لديه كلُّ ذي نظرٍ عَمِي (١)



(١) في ج : « بل إن بكيت » ، والمثبت في : ا ، ب .

٢٢٥، ٢٢٦

السيد إسماعيل*، والسيد يحيى*، ابنا إبراهيم الحجاف

غُصْنا كمال، وكوكبا جمال، وكلٌّ منهما يمِين للمجد وشِمال.

قد[1] لانتْ أخلاقُهما، وما بات إلا بالأدب اعْتلاقُهما.

وكلاهما في حَلْبة الأدب من الفرسان، وفي شَوْطها[2] مِمّن أحْرز قصَب الإحسان.

***

ولهما شعر لاتنْجاب دِيمتُه، ولا تغلُو بغير قلمِهما قِيمتُه.

فمن شعر السيد إسماعيل، قوله من قصيدة يمدح بها المتوكِّل إسماعيل.

أولها[3]:

أصبح الدهرُ طيِّبَ الأوقاتِ كاملَ الحُسْنِ وافِرَ الحسَناتِ

(*) السيد إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى الحجاف الحبورى.
ولد سنة أربع وعشرين وألف تقريبا.
وأخذ عن والده، والحسين بن على الحجاف، وعبد الرحمن بن الحسين الحجاف، وغيرهم.
وكان محققا في الفروع، والأصول، والعربية، والطب، مع أدب وحافظة.
وكان حاكما بحضرة المتوكل على الله إسماعيل.
توفى بحبور، سنة سبع وتسعين وألف.
خلاصة الأثر ٤٠٤/٢ ـ ٤٠٦، سلافة العصر ٤٥٧، ملحق البدر الطالع ٥٥، ٥٦.

(*) السيد يحيى بن إبراهيم الحجاف الحبورى.
كان سيد وقته علما وعملا.
وتولى القضاء بمدينة حبور، أيام المتوكل على الله إسماعيل.
وله ما يجرى مجرى الشرح لـ «نهج البلاغة».
توفى في حدود سنة ثلاث ومائة وألف.
حديقة الأفراح ٢٦ ـ ٣٠، وذكر له شعرا كثيرا، ملحق البدر الطالع ٢٢٦.

(١) في ج: «وقد»، والمثبت في: ا، ب.   (٢) في ج: «شوطهما»، والمثبت في: ا، ب.

(٣) القصيدة بتمامها في خلاصة الأثر ٤٠٤/١ ـ ٤٠٦، والبيت الأول، والبيتان الثاني عشر والثالث عشر في ملحق البدر الطالع ٥٥/٢.

مُشْرِقَ الوجهِ باسمَ الثغرِ يزْدَا ... دُ بِمَرِّ الشهورِ والسَّنَواتِ
كعَرُوسٍ من فوقه زادَها الحَلْـ ... ـىُ جمالاً إلى جمالِ الذّاتِ[1]
غادة تسلُب العقولَ وتفتنا ... لُ قلوبَ الأنامِ باللَّحَظاتِ
بنتُ سَبْعٍ وأربعٍ وثلاثٍ ... برعتْ فى السكونِ والحركاتِ
تتثنَّى فينثنى مِن وَراها ... خافِقُ القلبِ ساكبُ العَبَراتِ
جَمَعتْ كلَّ مُفْرَدٍ مِن جمـــالٍ ... وتثنَّتْ غُصْنا من المائساتِ
مُذ تولَّى أمرَ الخلافةِ فيـــه ... أوْحَدِيُّ الأفعالِ جَمُّ الصِّفاتِ[2]
ثابتُ الجأْشِ ثابتُ الرأيِ إسما ... عيلُ حِلْفُ الهدى حليفُ الهداةِ[3]
هدوِىٌّ فى نِسْبةٍ من أبيـــه ... قاسِمِىٌّ فى نِسْبةِ الأُمَّهاتِ[4]
تتلاقَى أطْرافُه فى المعـــالِى ... بين خَيْرٍ وخَيِّرةِ الصَّالحاتِ[5]

منها :

يا إمامَ الزَّمانِ قد أسْعَد اللَّـ ... ـهُ أناسًا رأَوْكَ قبل المَماتِ
شاهدُوا فيكَ من صِفاتِ علىٍّ ... جُملةً أخبرتْ عن الباقياتِ[6]

منها :

نَبَّقَ الأرضَ جُود كفَّيْك فيـــه ... وعمَرْتَ الورى بأسْنَى الهباتِ[7]
يتبارَى كفاكَ والبحرُ جُودًا ... فأنافَا سَبْقًا على الذَّارياتِ
صِفَةٌ من صفاتِ جَدِّكَ قد جا ... ءَ بمضمونِها حديثُ الرُّواةِ

وهى طويلة .

***

(١) فى خلاصة الأثر : « كعروس من فوقها زانها الحلى » .
(٢) فى خلاصة الأثر : « أوحدى الفعال » .
(٣) فى خلاصة الأثر : « ثابت الرأى ثابت الجأش » .
(٤) فى ب : « عدوى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر .
(٥) الخير : الكثير الخير ، وهى بهاء . القاموس (خ ى ر) .
(٦) فى ب : « شاهدوا منك » ، والمثبت فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وملحق البدر الطالع .
(٧) فى خلاصة الأثر : « وغمرت الورى » .

وللسيد يحيى من[1] كتاب إلى الحسين بن الناصر[2] ، وقد اطّلع على كتابيْه « المواهب القدسية » و « مطمح الآمال ، فى إيقاظ جهلة العمّال ، من سنة الضّلال » .

أما بعد ؛

فإنه جاءنى كتابٌ كريم ، ومَسْطور أنشأه عظيمٌ عليم[3] .

حفظه الله ، وأطال فى عافيةٍ بقاه ، وأهدى إليه سلاما طبّق فضله وكفاه ، وحَباه برحْمته وبركاته غُدُوَّ عُمْرِه ومَساه .

فآنسنى مجيئُه وسَرّ ، ووَصلنى به مُنْشِيه وبَرّ .

وبهرنى كمالُه الباهر ، وملأ[4] صدرى إعْظامًا له فضلُه وإفْضالُه الغامِر .

فدعوتُ اللهَ أن يتولّى مكافأتَه عنّى ، ويجْزِيه أفضلَ ما جزَى به المحسنين الواصلين نيابةً منّى .

والله تعالى يشكُر مساعِيَه الحميدة ، وعوائد نفْعِه العديدة .

هذا ، وقدطالعتُ مؤلَّفَيْه اللذيْن أحكمهما ، فوقفتُ فيهاعلى علمٍ كبير ، ووَصْلٍ خطير .

أما « شرح المنظومة[5] » فقد انطوى على علم غزير ، وفقه كثير .

وانتظم نَظْمَ المُقارضة للّفظ الأنيق ، والجمع للزِّيادات مع أسلوبٍ رشيق .

وأما كتاب « مطمح الآمال » ، فلقد جمع على حَصْرِه ، من أعيان الهُداة ، ومن شمائلهم وسِيَرِهم ، وأمثلة تَقْواهم لربِّهم[6] وخَشْيَتهم له[6] ومُراقبتهم ، ما هو لُباب المُطوَّلات ، ومقصود المَبْسوطات .

---

(١) زيادة من : ج ، على ما فى : ا ، ب . (٢) تقدمت ترجمته ، فى هذا الباب ، برقم ٢١٧ .

(٣) فى ا : « حليم » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ج : « وسلاه » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) يعنى « البوسية » ، وهى منظومة فى الفقه للبوسى على نمط الشاطبية فى الوزن والروى والقافية ، والإشارة إلى مذاهب العلماء بالرمز ، وجملة أبياتها ثمانون بيتاً وخمسمائة بيت وأربعة آلاف بيت ، والبوسى أحد علماء الزيدية باليمن .

انظر البدر الطالع ١/٢٣١ .

(٦) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .

وتمَّ كمالَه ما ضمَّه إليه من مكاتبات العُلَما ، ومُباحثات الفُهَما .
فصار مصباحًا للبصائر ، ومِفْتاحًا لما انغلق من منْهاج الأخائر .
وإنَّ فيما اشتمل عليه لذِكْرَى لِمن كان له قلبٌ أو ألْقَى السمعَ وهو شهِيد .
وإنَّ طريق الحقِّ لأبْلج ، لولا حُبُّ الدنيا فإنه رحِيبُ المدخل ضَيِّق المَخرج .

***

ومن شعره قوله :

قد لَامَنِي العاذلُ لما رأى ... صَبابتى فى الشَّادِنِ الشارِدِ
وقال مهلًا لا تَرُم وَصْلَه ... فقد غدا فى شَرَكِ الصَّائدِ



السادة النُّعْمِيُّون (١)

٢٢٧

السيد على بن الحسن *

ذو النَّسَب الطاهر ، والحسَب الظاهر .

ليس له مُدان ، غير بَنِي عبد المَدان .

فيه شمائلُ نسماتِ نَجْد ، وله كلَفٌ بالمعلوات ووَجْد .

نشأ فى بيت الفضل والنِّعْمة ، (٢ ونما على فُرُشِ اللِّين والنَّعْمة ٢) .

إلى سجيَّـة مُرتاضة ، وطبيعة فيَّاضة .

وتمَّـة لفظٌ ألَذُّ من حلاوة (٣) عدَن ، ومعْنًى أشهى من العافية إلى البدَن .

* * *

فمن شعره ، قوله فى الزهر (٤) :

سَرْحةُ الروضِ نُزهةٌ للنفوسِ وبهـا مَرْهَمٌ لداء وبُوسِ (٥)

---

(١) النعميون : نسبة إلى جد لهم ، يقال له : نعمة .
خلاصة الأثر ٢/٣٦ .

(*) السيد على بن الحسن بن محمد النعمى ، الشريف الحسنى ، اليمنى ، ضياء الدين .
ولد سنة أربع وثمانين وتسعمائة .
وهو أحد أفاضل اليمن وأجلائه ، وأكابر سراته .
ولى القضاء بجهـة صبيا ، وألف المؤلفات العديدة والرسائل ، ورزق الحظوة التامة فى البنين ؛ حتى أعقب اثنى عشر ولدا ذكرا ، كلهم علماء أدباء شعراء .
توفى سنة سبع وستين وألف .
خلاصة الأثر ٣/١٥٢ ـ ١٥٥ ، ملحق البدر الطالع ١٦٢ .

(٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .   (٣) فى ا : « حلوة » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٤) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/١٥٣ ، وذكر المحبى هناك أنهما فى مدح « شرح الأزهار » ، والأبيات الثلاثة الأولى فى ملحق البـدر الطالع ١٦٢ ، وذكر صاحبه أنها فى مدح « شرح الأزهار فى فقه الأئمة الأطهار » .   (٥) جاء صدر البيت فى خلاصة الأثر ، وملحق البدر الطالع :

* دَرْسةُ الشرحِ نُزهةٌ للنفوسِ *

وهْىَ أشهَى لإلفِها من سُلافٍ قد أُدِيرتْ على نَدامَى الكؤُوسِ

ولهــا صورةٌ بمَنْظر قلبِى هىَ أبهَى من صورةِ الطاوُوسِ

فاسْتمرُّوا فى دَرْسِها فالمَعالى تتهادَى فى حالكاتِ الدُّروسِ

والمَعــانى مُهورُهنَّ مَغانٍ وارداتٌ عن صَفْوةِ القُدُّوسِ

وجليسٌ مُذاكِرٌ فى رَشادٍ خيرُ خِلٍّ وصاحبٍ وجليسِ

فإذا لم يكُن فصُحْبةُ سِفْرٍ هى عنـد اللَّبيبِ خيرُ أنِيسِ

واسْتمِدُّوا فضـلاً من اللهِ يأْتِى فيه نورٌ يفُوق نورَ الشُّموسِ (١)

واستعِينوا بالصَّبْر كيْما تفوزُوا بخِلالِ عظيمــةِ النَّاموسِ

فسلامٌ عليكُمُ مُستمِــرٌّ ماهَمَى عارِضُ الغمامِ الرَّجيسِ (٢)

***

وله من رسالة كتبها إلى الفقيه أبى القاسم بن محمد أبى هم (٣)، فى مسألة حصَل بينهما فيها نزاع :

وقد كان الأَوْلى رفعُ النفس عن مُجاراتك فى جهلِك ، والالْتفات إلى فرطاتِ عقلِك .

وكفُّ اليد عن جوابِك ، وقطعُ المَدى عن عِتابِك (٤) .

غير أنِّى أعلم أنك لم تعُدَّنى بالإعْراض (٥) مُتكبِّرا،ولا بالازْوِرار عنك مُسْتحكِيا.

بل تقدِّر مع ذلك أنك قد أصبت مُعظمَ الصواب من هـذا البحث ، وأنك قد أخذتَ بمَقالك الأقبح الأرْفَث .

---

(١) فى خلاصة الأثر : « يفوق ضوء الشموس » .   (٢) عارض رجيس : قاصف بالرعد .

(٣) فى ا : « هيم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر ، والرسالة فيها ١٥٣/٣ ، ١٥٤ .

(٤) فى خلاصة الأثر : « إعتابك » .   (٥) فى الأصول : «الاعتراض» ، والمثبت فى الخلاصة .

وأيضا ، فإن من مُحكَم كلام الجليل : ﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (١) .

ومن قَوْل حكيم الشعر (٢) :

إذا أتَتِ الإساءةُ من وضيعٍ ولم أَلُمِ المسيءَ فمَن ألومُ

وبعد هـذا ، فاعرفْ موضعَ قدمِك قبل المَسِير ، وتبصَّرْ فى الأمور أيها الجاهل الغَرِير .

وقِفْ عند انْتهاء قَدْرِك ، وانظُر فى إصلاح أَمْرِك .

فالأَوْلى لك أن تكون متعلِّمًا لا مُعلِّمًا ، (٣) وأن تكون متفهِّما لا مُفهِّما (٣) .

وليس لك فيما سلكتَ جملٌ ولا ناقة ، ولا (٤) تَذْكر فى (٤) مُقدِّمة ولا ساقة .

٭٭٭



---

(١) سوره الشورى ٤١ . (٢) يعنى أبا الطيب المتنبى ، والبيت فى ديوانه ٤٨٤ .

(٣) ساقط من خلاصة الأثر . (٤) ساقط من خلاصة الأثر ، وفى ب : « ولا تذكر منها فى » ، وفى ج : « ولا تذكر معها فى » ، والمثبت فى : ا .

٢٢٨ ، ٢٢٩

السيد محمد* والسيد حسن* ، ابنا عليّ بن حِفظ الله

غُرّتان في جَبْهة الزمن ، وشامَتان في وَجْنة اليَمن .

أمَاطَا عن وَجْهِ البلاغة البَراقع ، وطَلَعا كالنَّسْرَيْن الطائر والواقِـع (١) .

ولهما جمعيَّة أدوات تُعجِز الإدراك ، وانْحيازة نزَعات تأْبَى في سواهما الاشْتراك .

***

وشعرهما في غاية ما يكون ، يحرك بالضرورة طَرَبا له كلّ ذى سكون .

فممَّا يُحمَد لمحمد قوله ، من قصيدة أولها (٢) :

مَن لقلبٍ مِزاجُـــه الأهواءُ ... وعيونٍ أودَى بهِنَّ البكاءُ

لِشَجِيٍّ متيَّمٍ مُستهـــامٍ ... هَمُّه النَّوْحُ دَائباً والأساءُ (٣)

ياخليليَّ بالبُكا ساعِـــدانى ... فى عِراصٍ ربُوعهنَّ خَلاءُ

(*) السيد محمد بن على بن حفظ الله الحسنى ، النعمى ، اليمنى .

ولد سنة ست وعشرين وألف .

وكان سيدا جليلا ، وأديبا نبيلا ، جمع شعره ابن أخيه صفى الدين أحمد بن الحسن بن على بن حفظ الله فى ديوان .

توفى سنة تسع وسبعين وألف ، بجهة مور .

خلاصة الأثر ٤/٥٧ ــ ٦٠ .

(*) السيد حسن بن على بن حفظ الله الحسنى ، النعمى ، اليمنى .

ولد سنة تسع وعشرين وألف بالدهنا ، من أعمال صبيا ، وبها نشأ .

وأخذ عن العلامة على بن الحسن النعمى ، وغيره .

وبرع فى العلوم الشرعية ، والمحاضرات الأدبية ، وله أشعار رائقة بديعة .

توفى سنة تسع وسبعين وألف .

حديقة الأفراح ١٠ ، خلاصة الأثر ٢/٣٦ ــ ٣٨ .

(١) النسران الطائر والواقع : كوكبان . انظر القاموس (ن س ر) .

(٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . والقصيدة فى خلاصة الأثر ٤/٥٧ ، ٥٨ .

(٣) فى خلاصة الأثر : « همه النوح دائماً » واضطر الشاعر إلى مد « الأسى » ، وهو مقصور .

دارِ ليلى ودارِ نُعْمٍ وهنـــدٍ ودِيارٍ تحُلُّهـــا أسْماء

وَقِفَا بي هُـــدِيتُما لو فُواقاً فوُقوفي على الطُّلولِ شِفاء[1]

أيها الرسمُ هـــل تُجيبُ سؤالاً لِمَشوقٍ أوْدتْ به البُرَحاء

كائناً عن ودادِ ليلى بهنـــدٍ وبنُعْمٍ وشـــوقُه أسْماء

وكذا كلُّ مُولَعٍ بحبيبٍ يتكنَّى وهل تُفيـــد الكُناء

بُحْ غراماً إن كنتَ حِلْسَ ودادٍ وقُلِ اللومُ في الحسانِ هُذاء[2]

أنا حِلْفُ الغرامِ في كلِّ حينٍ وفؤادي من السُّلُوِّ هَـــواء

كلَّما أزْمع الفؤادُ سُـــلُوًّا ذكَّرتْني وَهْنانةٌ هيفـــاء

بعيـــونٍ فواترٍ ساجياتٍ رُسُلُ الموت بينها كُمناء[3]

قائلاتٍ لمن تمنَّى هَـــواها لا بقاءَ مع اللِّقـــا لا بقاء[4]

وقُدودٍ بمَيْلهـــا تتثنَّى ظامياتٍ أكْفالُهنَّ رِواء[5]

يُطمِعِ الصبَّ لينُهـــا في لِقاها وهْيَ للصبِّ صخرةٌ صمَّاء

لم أنَلْهـــا بالعين إلَّا اختلاساً ردَّ عيني عن الصَّفاةِ الضِّياء[6]

وعَـــدانِي عن ازْديارِ حِماها رُقَباها وصَـــدَّها الرُّقباء[7]

فتراني أهْوَى المَماتَ طِماعاً لازْديارِي منهـــا وبئس الرَّجاء

وأُرجِّي يومَ النُّشورِ لِقاها وكثيرٌ من الرجاءِ هَباء[8]

(١) في الأصول: «على الطلال شفاء»، والمثبت في خلاصة الأثر.
والفواق: ما بين الحلبتين من الزمن.

(٢) الهذاء: ما يهذى به المرء.

(٣) في ا، ب: «رسل الموت بينهم»، والمثبت في: ج، وخلاصة الأثر. (٤) في ج، وخلاصة الأثر: «لمن تمنى لقاها»، والمثبت في: ا، ب. (٥) في: ا، ب: «ضاميات أكفالهن»، والمثبت في: ج، والخلاصة. (٦) في ج: «رد عيني عن الصفاء»، وفي ا، ب، والخلاصة: «عن الصفات»، ولعل الصواب ما أثبته. (٧) في ج، وخلاصة الأثر: «عن ازدياري حماها»، والمثبت في: ا، ب. (٨) في خلاصة الأثر: «أو أرجي».

إنمـــا الحبُّ ذِلّةٌ وغرورٌ   وسَقامٌ يـكِلُّ عنه الدّواء

***

وقوله من أخرى ، أولها [١] :

تيّمتْنى ذاتُ الخدودِ الرّهافِ   وبرتْنى ذاتُ القُـدودِ اللِّطافِ

طَفْلةٌ تفضَحُ القضيبَ قَواماً   تُسْبِلُ الليلَ فوقَ رمْلِ الحِقافِ [٢]

صَوّرَ اللهُ شَخْصَهـا من ضياءٍ   ولُجَيْنٍ ولُؤلؤِ الأصْـدافِ

أعلَى مَن هـوى لتلك مَلامٌ   لا وربِّ الحديدِ والأحْقافِ [٣]

***

وقوله أيضا [٤] :

سَمحتْ بوَصْـلِ المُستهامِ العاشقِ   هَيفـاءُ خُصّتْ بالجمالِ الفائقِ

بيضاءُ صامتـةُ الوُشَحِ طَفْلةٌ   تُزْرِى القضيبَ بلِينِ قَدٍّ باسقِ

من بَعْدِ ماشحّتْ بطيبِ وِصالِها   نَحْوِى ولم تسمحْ بطَيْفٍ طارقِ

وافَتْ وثوبُ الليـلِ أسودُ حالِكٌ   فى جسمِ عاشقِها وزِىِّ السارقِ

باتتْ ذوائبُها الحِسانُ قَلائدِى   ومُوسّدِى فَعْمِ الذِّراعِ الرّائقِ [٥]

نشْكو الجوَى ونبُثُّ سِرَّ غرامِنـا   فى غَفْـلةِ الرُّقَبا ونومِ الرّامقِ

للهِ مِن وصـلٍ هنالك نِلْتُه   فى جُنْحِ ليـلٍ غَيْهَبِىٍّ غاسِقِ

من شادِنٍ غَنِجٍ أغَنَّ مُهَفْهَفٍ   باهِى الجمالِ بديعِ صُنْعِ الخالقِ [٦]

فى ليلةٍ ظَلْما كأنّ نجومَهـا   فى لُجِّ بَحْرٍ أُوثِقتْ بوَثائقِ

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٦٠   (٢) فى ا : « تسبل الرمل » ، وفى ج : « تسبل الليل » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .   (٣) يشير إلى السورتين الكريمتين .

(٤) القصيدة فى خلاصة الأثر ٤/٥٨ .   (٥) فى ب : « الحسان قلائد » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة . وفى الخلاصة : « نعم الذراع » ، والفعم : الممتلىء .   (٦) بين هذا البيت والذى بعده تقديم وتأخير فى خلاصة الأثر ، وفيها : « أحوى العيون بديع صنع الخالق » .

ملكَ الفــــؤادَ بدَلّه ودلالِهِ   فجوانحي كجَناحِ طيرٍ خافقِ

تاللهِ لا أنْساه ليـــــلةَ قال لى   لا تنْسَ منِّى مَحْضَ وُدٍّ صادقِ

واسألْ فؤادكَ عن فؤادِى إنه   يُنْبيك عمَّا جَنَّ قلبُ الوامقِ

***

ومما يحسُن لحسَن ما كتبه للحُسَين المُهلاّ (١) :

لأنتَ لِمُدْلَهِمِّ الأمرِ بدرُ   يضيء وشمسُ معرفةٍ وبحرُ

وطَوْدُ مكارمٍ وسبيـــلُ حَقٍّ   لليلِ دُجًى من الشُّبُهاتِ فجرُ (٢)

ونورُ هـــدًى لمن يعرُوه جهلٌ   ويَمٌّ نَدًى لمن فاجاه فقرُ

بُيوتُ عُلاك شامخةٌ طِوالٌ   وروْض هُداك ناضِرُه يسُرُّ (٣)

علومُك أصبحتْ عسَلاً مُصفًّى   وفى أنهارِهـــــا لبنٌ وخمْرُ

وحُـــورُ حِسانِها مُتبخْتراتٌ   تدور بشأنهـــا ولهُنَّ بِشْرُ (٤)

وأشْبهُ بالنسيمِ الرَّطْبِ شيئًا   عِتابٌ فيـــــه للمعْتوب عُذْرُ

لتأْخيرِ الرسائلِ منك عنِّى   وذلك بين أهلِ الوُدِّ فَخْرُ

وأنت حمَيْت نُورَ سوادِ عيْني   ورِقٌّ وَلاىَ تحت لِواك حِجْرُ (٥)

عليك سلامُ ربِّك فى تحايَا   تخصُّك ما أنار وضاء بَدْرُ (٦)

***

---

(١) تقدمت ترجمته فى هذا الباب، برقم ٢١٧. والقصيدة في : حديقة الأفراح ١٠، وخلاصة الأثر ٢/٣٧.

(٢) فى ا : « من الشهباء فجر » ، وفى الحديقة : « من الشبهات فجر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر.

(٣) فى ج : « ناظره يسر » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وحديقة الأفراح ، وخلاصة الأثر.
وبعد هذا البيت فى الخلاصة زيادة :

وفضلُك جاءنى فاهتزَّ عِطفٌ   له منِّى وطاب بذاك صدرُ

(٤) فى حديقة الأفراح : « وحور جنانهـا » .

(٥) فى حديقـة الأفراح ، وخلاصة الأثر : « تحت ولاك حجر » .
وبعد هذا البيت زيادة بيتين فى خلاصة الأثر .

(٦) رواية البيت فى خلاصة الأثر :

عليك تحيةٌ وسلامُ ربٍّ   رحيمٍ ما أنار وضاء بدرُ

وكتب إليه، يتشوّق لمروره بمحلّه [1] :

مُنتظَرَ القلبِ متى وصلُكمْ فحالُنا شَقٌ به الانْتظارْ
وشوقُنا لمّا يزَلْ صالياً جوانحَ القلبِ بجمرٍ ونارْ
ورَبْعُنا تهتزُّ أكنافُه شوقاً إليكم ياخِيارَ الخِيارْ
لا زلتمُ للحقِّ قُوّامَه وفى المعالِى قادةً والفخارْ [2]

***

فأجابه بقوله [3] :

يابدرَ أُفْقٍ فى الليالى أنارْ ومَن لأفلاكِ المَعالى أدارْ
يارافعاً دار العُلَى فى المَلاَ فدارُه أضْحى رفيعَ المَنارْ
وساكناً أرْضاً به أصبحتْ غرّاءَ بيضاءَ كشمسِ النهارْ
ومَنْبَعُ السُّؤْددِ والمجدِ فى دارٍ له صار به خيرَ دارْ [4]
وافَى إلينا النظمُ كاللُّؤْلُؤِ الـ مَنْظومِ فى حَوْراءَ فيها حوارْ [5]
فهو لقلبِى وفؤادى شِفاً وليَمينى وبِسارِى يَسارْ

***

وكتب لعلىّ بن الهادى المَنْسَكِىّ، معتذراً إليه فى إبْطاءِ كُتُبِه عنه قوله [6] :

مابُعْدُ كُتْبى عن الأحبابِ نِسْيانُ وقَطْعُ وصلِى لهم واللهِ سُلْوانُ
أو سَلْوةٌ بسِواهم لا وحقِّهِمُ إنِّى على عهدِهم باقٍ وإن بانُوا [7]

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٣٧، ٣٨.
(٢) فى ا، والخلاصة: «للحق قوامة»، والمثبت فى: ب، ج.
وبعد هذا البيت فى خلاصة الأثر زيادة بيتين.
(٣) الجواب فى خلاصة الأثر ٢/٣٨.
(٤) فى خلاصة الأثر: «دار له صارية، خير دار».
(٥) رواية الخلاصة: «فيها يحار»، وهى أولى.
(٦) زيادة من: ج، على ما فى: ا، ب. والأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٣٦، ٣٧.
(٧) فى ج: «وسلوة بسواهم»، والمثبت فى: ب، ج، والخلاصة.

وكيف أسْلو وفى الأحشــاء منزلُهمْ والقلبُ رَبْعٌ لهم والجسمُ أوطانُ

ومَن إذا شِمْتُ بَرْقًا نحوَ رَبْعِهِمُ بُلّتْ من الدمعِ أرْدانٌ وأجفانُ

ومَن إذا الطَّيْفُ منهم زارنِى عجِلاً يُشَبُّ فى مُهْجتى جَمْرٌ ونِيرانُ

***

وكتب [(١)] إليه من إنشائه جوابا عن كتاب :

وقد جاء من تِلْقائِه [(٢)] الكتاب الكريمُ الشافى ، ووصَل من نحوِه المِثال الفخيم الوافى .

جلَتْ طوالِعُه [(٣)] حَنادسَ الهموم ، وحَلّتْ نوازِعُه فوارسَ البلاغة فى يومٍ مشهودٍ له الناسُ وذلك يومٌ معلوم .

فما تنزّل به رُوح أمانِيه [(٤)] من بَيان سماء بلاغته إلا لشِفاء أُوامِى ، ولا تدلّى أمينُ يَراعتِه على بيان بلاغته إلّا لبُرْء أسْقامى .

فما أحْلَى ماشربتُ من زُلاله المَعِين صافيا ، وما ألَذَّ ما ارْتويتُ [(٥)] من بَرْد [(٦)] نَميره المُغيث شافيا .

وما أنْوَر ما تبسّم [(٧)] به ثَغْرُه عن لُؤْلُؤ عتابٍ كريم ،وما أعْطر [(٨)] ما تنسّم به [(٩)] فَجْرُه عن رَوْح غُفرانٍ من المولَى وتسليم [(١٠)] .

⁂

(١) فى ا ، ج: « فكتب » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر ٢/٣٧ .

(٢) فى ج : « تلقاء » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .

(٣) بعد هذا فى الخلاصة زيادة : « المهيئة » .

(٤) فى الخلاصة : « لمعانيه » .

(٥) فى ج : « ارتوت » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .

(٦) فى ج : « بر » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .

(٧) فى ا ، ج : « ابتسم » ، والمثبت فى : ب ، وهو يوافق ما يأتى ، وهو أيضا فى الخلاصة .

(٨) فى ب : « أعظم » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة .

(٩) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، والخلاصة .

(١٠) فى ا ، ج : « وسلام » ، والمثبت فى : ب ، وجاء فى الخلاصة : « وسلام قولا من رب رحيم » .

٢٣٠

السيّد الحسن بن على بن الحسن بن محمّد *

سيِّد تحلَّى بالحُلَل السنيَّة ، وأرْبَى على أجْواد الأسرةِ النُّعْمِيَّة الحسَنيَّة .

بفضلٍ مُرْتوِى النبْتِ خصِيب ، وفكرٍ كيف ما [1] سدَّدْته فهو مُصِيب .

فهو بدرٌ فى شِيَم ، وبحرٌ فى دِيَم .

ونَوْر وزَهْر ، فى شاطىء غدِيرٍ ونهر .

* * *

وشعره قولٌ حسَن ، مُسْنَد إلى الحسَن .

فمنه قوله فيما كتبه إلى الناصر المُهلاَّ [2] ، على لسان محمد بن صلاح [3] :

ألا باللهِ يانفسَ الخيالِ أعِدْ لى ذكر سالِفةِ اللَّيالِى

وأتحِفْنى بذكْرِ أُهَيْلِ نجدٍ وما قد مرَّ فى تلك الحِلالِ [4]

وهاتِ الكأسَ صِرْفًا صَرْخَدِيًّا بذِكْراهنَّ لى فى كلِّ حالِ [5]

(*) السيد الحسن بن على بن الحسن بن محمد ، النعمى ، الحسنى ، اليمنى .

ولد بصنعاء ، وبها نشأ ، وقرأ القرآن ، وأخذ عن والده علوما جمة ، وقويت فى طلب العلوم همته.

وهو من فضلاء الزمن ، وأدبائه ، وعلمائه .

توفى بمكة ، سنة ثلاث وستين وألف ، ودفن بالشبيكة .

خلاصة الأثر ٢/٣٤ ـ ٣٦ .

(١) فى ا : « كيما » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) تقدمت ترجمته ، فى هذا الباب ، برقم ٢١٥ .

(٣) جاء فى ملحق البدر الطالع ذكر لاثنين ، يقال لكل منهما محمد بن صلاح ، الأول محمد بن صلاح ابن سعيد السلامى الآنسى ، المتوفى بذمار ، سنة اثنتين وستين وألف ، والثانى محمد بن صلاح بن محمد الفلكى الذمارى ، المتوفى سنة أربع وسبعين وألف . ملحق البدر الطالع ٢٠١ ، ٢٠٢ .

وفى حديقة الأفراح ٢٤ ذكر للسيد محمد بن صلاح الهادى .

والقصيدة فى خلاصة الأثر ٢/٣٤ ، ٣٥ ، وذكر أنه أرسلها نائبا عن السيد جمال الإسلام محمد ابن صلاح ، يتشوق إليه .

(٤) فى خلاصة الأثر : « فى تلك الخلال » . (٥) لم يرد هذا البيت فى خلاصة الأثر .

وصرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران ، من أعمال دمشق ، ينسب إليها الخمر . معجم البلدان ٣/٣٨٠ .

فإنِّى إن ذكرتُ زمانَ وَصْلِى وماقد مرَّ من حُسْنِ اتِّصالِى[1]

بمَن أهواه فى عيشٍ خصيبٍ وأيامٍ حُلاها قد حَلا لِى

أكاد أذُوبُ من وَلَهِى عليه وأضربُ باليمين على الشِّمالِ

وأصْبُو للرُّبوعِ وساكنِيها وأبْقَى فى افتكارٍ واشتغالِ

وأرجُو اللهَ يجمعُنا قريباً بذاتِ النفسِ لا طَيْفِ الخيالِ

ونقْضِى للصَّبابةِ والتَّصابِى لُباناتِ التَّواصُلِ والوصالِ

❊



(١) فى ا ، ب : « من حسن اتصال » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر .

٢٣١

الحسن بن أحمد الحَيْمِيّ*

رئيسٌ سامِي المِقدار ، مشكور السِّيرة في الإيراد والإصْدار .

طلع في أُفُق البيت الحَيْمِيّ بدراً تحرُس مجدَه الثَّواقب ، وزيَّن من مجلسِ إفادتِهم صَدْراً تحفظ طرَفيْه المَناقب .

فهم من مَلْقاه في ضياء يسْطَع ، ومن رَأْيه الصائبِ في حُكْمٍ يقْطَع .

وكان معروفاً بعُلُوِّ الهمَّة ، مَقْصِداً في الأمور المهمَّة[١] .

ولذلك أرسله الإمام إسماعيل المتوكل[٢] رسولا إلى الحبشة فظهرت له اليدُ البيضاء في أغراضٍ عُيِّن لها ، وقضاها بنظَرِه على حالٍ ما تغافَل عنها ولا لَهَا .

***

وقد رأيت له[٢] قطعةً من نظمِه استجَدْتُها ، وطالَما أبْدَيْتُها لحُسْن دِيباجتِها وأعَدْتُها .

(*) الحسن بن أحمد بن صلاح اليوسفى ، الجمالى ، الحيمى ، اليمنى .

أحد أعيان دولة الإمام المؤيد بالله بن القاسم ، وأخيه المتوكل على الله .

وكان من أكابر العلماء ، وأفاضل الأدباء ، صاحب تدبير ورياسة ، ومعرفة فى الأمور المهمة .

أرسله الإمام المتوكل على الله إلى حضرموت ، لما وقع الاختلاف بين السلاطين ، من آل كثير ، فصلحت الأمور بحميد رأيه ، وكذلك وجهه إلى سلطان الحبشة ، حين رغب السلطان فيمن يرشده إلى الإسلام ، وأقام هناك مدة ثلاث سنين ، ثم رجع ، وكتب رسالة عن الحبشة ، ضمنها كثيرا من العجائب والغرائب .

توفى سنة سبعين أو إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين وألف .

البدر الطالع ١/١٨٩ ـ ١٩١ ، وانظر حاشيته ، خلاصة الأثر ٢/١٦ ، ١٧ .

والحيمى : نسبة إلى الحيمة ، وهى قرية من قرى الجند باليمن . معجم البلدان ٢/٣٨٢ .

(١) فى ب : « المدلهمة » ، والمثبت فى : ا ، ج .   (٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

وهي قوله [١] :

فؤادٌ على نارِ الأحبَّة لا يقْوَى … وكيف وربْعُ العامرِيَّة قد أقْوَى [٢]

وصبرٌ ولكنْ غالَه الهجرُ والنوَى … فلا نَفْعَ للمهْجورِ فيه ولا جَدْوَى

ولكنَّنى قد ذُبْتُ فى الوصلِ بالرَّجا … وكم ذِى لُباناتٍ تمنَّعَ بالرَّجْوَى [٣]

فيا أيُّها الخِـــلُّ الذى أنا صَبُّه … عليكَ بآدابِ الحديث الذى يُرْوَى

ومُنَّ علينا بالترسُّـــل إنَّنى … رأيتُ حديثَ المَنِّ أحْلَى من السَّلْوَى [٤]





---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/١٧ ، وللمترجم شعر آخر فى البـدر الطالع .

(٢) فى ج : « فوادى على هجر الأحبـة » ، وفى خلاصة الأثر : « فؤاد على هجر الأحبـة » ؛ والمثبت فى : ا ، ب .

وأقوى الربع : خلا من ساكنيه .

(٣) فى خلاصة الأثر : « تمتع بالرجوى » .

(٤) يشير إلى المن والسلوى ، اللذين أنزلهما الله على بنى إسرائيل نعمة وتفضلا .

والمن : شىء حلو ، كان يسقط فى السحر على شجرهم ، فيجتنونه ويأكلونه .

والسلوى : طائر يشبه السمانى ، لا واحد له .

غريب القرآن للسجستانى ١٣٤ ، ٢١٨ .

٢٣٢

ولده القاضي بدر الدين محمد*

قاضٍ إذا التبَس الأمران ، عَنَّ له فى تمييزهما رأىٌ يحسده النَّيِّران .

ليس للماء صفاءُ فكره ولو تصلَّف ، ولا لبدرِ السَّماء حُسْنُ وجهِه ولو تكلَّف

وكانت[1] الأحكامُ بفضله مُطرَّزةَ العواتِق ، والأيامُ بحُسْن تدبيره مأمونةَ الفواتِق .

وهو فى كثرة الإحاطة بحرٌ له مَشارِع ، جرى فى الصَّواب على وَفْق مُرادِ الشارِع .

وقد فصَّل الأدب بدائعَ فُصول ، فضلُ القاضِى الفاضل[2] عندها فُضول .

وأتى بفرائد منظوم ومنثور ، [3]يُستهجَن لدَيْها كلُّ منقول ومأثور[3] .

***

فن شعره قوله ؛ من قصيدة كتب بها إلى يوسف بن على الهادى[4] صاحب « الطوق » .

(*) بدر الدين محمد بن الحسن بن أحمد الحيمى ، الكوكبانى ، اليمنى .

أديب شاعر ، وكان قاضيا بكوكبان ، وذكر له الشوكانى حكايات أيام قضائه ، نقلا عن صاحب نسمة السحر .

توفى سنة خمس عشرة ومائة وألف .

البدر الطالع ٢/١٥٣ ، ١٥٤ .

(١) فى ا بعد هذا زيادة : « له » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) عبد الرحيم بن على البيسانى ، المعروف بالقاضى الفاضل .

كاتب مترسل ، كان رأس الكتاب فى عصره ، ومن وزراء صلاح الدين الأيوبى .

توفى سنة ست وتسعين وخمسمائة .

خريدة القصر ١/٣٥ ، النجوم الزاهرة ٦/١٥٦ ، وفيات الأعيان ٢/٣٣٣ .

(٣) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٤) تأتى ترجمته ، فى هذا الباب ، برقم ٢٣٧ .

مطلعها[١] :

أعِدْ من حديثِ السالفاتِ لنا ذِكْرَا ... فللّه ما أحْــلاه دهراً وإن مَرَّا
وكرِّر على سَمْعِي قديمَ حديثــــهِ ... وقُل إن تُدِرْه ما ألَذَّ وما أمْرَا[٢]
ويا ساجعاتِ الوُرْقِ لا هَزَّكِ الهوى ... كما اهتزَّ غصنٌ فى الرُّبى بعد ما اخْضرَّا
ولا خُضِبتْ منك الأكُفُّ بعَنْدَمٍ ... كدمعٍ جرى من أسْوَدِ الطَّرفِ مُحْمَرَّا
ولا صفَّقتْ منك الجناحان صَبْوةً ... إلى أفْرُخٍ فى شاهقٍ أُودِعتْ وَكْرَا
إذا لم تُبِنِّي ماكتمتِ من الهوى ... وأحسنُه ما طابقَ الخَــبَرُ الخُــبْرَا
جفاكِ خليـــلٌ أم نَبابك منزلٌ ... فما بيننا يا وُرْقُ أن تــكْتمِى سِرَّا
وما أنتِ بِدْعٌ فى غرامٍ ولوعــةٍ ... وما الحبُّ إلّا ما يُرَى سِرُّه جَهْرَا
كِلانا على الأغصانِ ناحٍ وإنمـــا ... على قــدرِ ما نَهوى تخالفتِ الآرَا
وما أنا فى ذِكْرِ العَقِيقِ وأهلِه ... بأوّلِ صبٍّ صبَّ فى جَفْنِه التِّبْرَا
فلو سكبتْ عيناى ما سكبتْ على ... بقاعِ الدُّنَى ما رأى أهلُها قَفْرَا[٣]
رعى اللهُ أيامَ العَقِيقِ وإن تــكُنْ ... على بُعْدِه أجْرَتْه من مُقلتِي نَهْرَا
إذا استُخْدِمتْ عينِى لساكنِه فلا ... عجيبٌ فإنِّى لست أُدْعَى بهم حُرَّا
ولا عجبٌ إن هِمْتُ فى ساكنِي النَّقا ... غَراماً فقد شَبُّوه فى كبدى جمرَا
أبَى الحبُّ إلّا أن أكون له أخاً ... شقيقاً ولو أنى أشقُّ به الصَّخْرَا
فمـــا لدمُوعِى لا تُنَظِّمُ عَسْجداً ... إذا عجزتْ فى الحبِّ أن تنثُر الدُّرَّا[٤]
بحُبِّ رَشاً ما خامَرَ العقلَ حُبُّه ... وأغراه إلّا خِلتُه خامَرَ الخَمْرَا
له مُقَلٌ إن حُــلَّ عِقْدُ نِقابِها ... فقد حلَّلتْ قتلاً وقد عقدتْ سِحْرَا

---

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٢) فى ا : « سمعى القديم » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) فى ب : « ما إن رأى أهلها قفرا » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٤) فى ا : « فما لعيونى لا تنظم » ، والمثبت فى : ب ، ج .

إذا ما انتضَى منها سيوفَ لحاظِه ... فما أكثرَ القتلَى وما أرخص الأسْرَى

وما مِلتُ منه قِيدَ شِبْرٍ لسَلْوةٍ ... فمن أجلِ ذا العشاقُ تنظرُ نى شَزْرَا[1]

ومن أجلِه أرْعَى النَّظير لقدِّه النَّـ ... ـضيرِ فأهوَى الغصنَ والصَّعْدَةَ السَّمْرَا[2]

إذا ما بدتْ للطَّرْفِ غُرَّةُ وجهه ... رأيتَ بها الشمسَ البهيَّةَ والبدرَا[3]

وأعْجَبُ مِن ذا جَنَّةٌ فى خدودِه ... فشاهد فيها الماءَ والنارَ والزَّهْرَا

وأعْجَبُ من هذين يكسِر جَفْنُه ... علىَّ وما ضمَّنتُ من قدِّه خَصْرَا

وأعجبُ من كلٍّ نظامٌ لماجدٍ ... رأينا سطوراً منه قد سُمِّطتْ دُرَّا

إذا قيل لى سَمِّيه قلتُ مُكنِّياً ... هو الغايةُ القصوَى هو الآيةُ الكبرى

له خلُقٌ كالروضِ بل هو أعجبٌ ... وكيف يُساوِى الزَّهْرُ فى خَلْقِه الزَّهْرَا

أنادِى بأعْلَى الصوتِ قد حلَّ يُوسفٌ ... بمصرَ من الآداب فلتهْبِطوا مصرَا

عليمٌ بأنواعِ البديعِ وهذه ... خزائنُه من فكرِه أُودِعتْ فكرَا

حَبانِى بنظمٍ لو حُبِينَ بمثلِه الـ ... ـغوانِى لعِفْنَ العِقدَ والشُّنْفَ والشَّذْرَا

إذا قيل لى فى الخمرِ سُكْرٌ مُحرَّمٌ ... فمِن غير ذاك النظمِ لا أعرف السُّكْرَا

وإن قيل لى فى الروضِ زهرٌ مُنوَّعٌ ... فمِن غيره لا أعرف الروضَ والزَّهْرَا

سطورٌ أتتْنى منه وهْى قلائدٌ ... حلَّيْتُ بها نحراً شرحتُ بها صدرَا

كأنِّىَ يعقوبٌ رأى بُرْدَ يوسفٍ ... فلا عجبٌ إمَّا مُلِئتُ بها بِشْرَا

وهاكَ جواباً قلتُه مَعْ شواغلٍ ... وأشجانِ قلبٍ لا أُطِيق له حَصْرَا

ولا تعتِبنِّى فالوِدادُ مُحقَّقٌ ... وأنت به ياذا الوفا فى الورى أدرَى

---

(١) فى ج : « فما ذنى العشاق » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) الصعدة : القناة المستوية .

(٣) فى ج : « الشمس البديهة » ، والمثبت فى : ا ، ب .

ودُمْ فى نعـــيمٍ لا انقضاء لعُمْرِه تفُوق به فضلاً وتسمُو به قَدْرَا

***

فراجعه بقوله :

خُذَا إن رَنا من سِحْرِ مُقْلتِه الحذْرَا فأىُّ فؤادٍ لا يبيتُ به مُغْرَى[1]

وإيَّاكما من نارِ مُتْرَفِ خـدِّه فلِمْ تركتْ أحشاء رامقِها حَرَّى

غزالٌ إذا قُلنا حكى الليلَ شعرُه أبان لنا فَرْقًا مُبِينا حكَى الفجْرَا

غَنِىُّ جمالٍ إن أتى مَعْشَرُ اللِّقا إليـــه بدمعٍ سائلٍ ردَّه نهرَا

مُبرِّدُ رِيقٍ للقـــلوبِ مُقاتلٌ بمكْحولِ جَفْنٍ منه لم ينجُ مَن فرَّا[2]

يعلِّمُ أغصانَ النَّقا كيف تنْثنِى قَوامٌ له ياقومُ ماعرف الهصْرَا[3]

ويرْنُو فتُصْبِينا جفونُ عيونه الـ مِراضِ وتُصْمِينا سهامٌ له تُبْرَى

له اللهُ رِيمٌ ماأعــزَّ نِفـارَه وأمْلَحه شكلاً وأحْلاه إن مرَّا

يُحذِّرنى من حبِّه كلُّ كاشحٍ ولم يدْرِ جهلاً أن تحْذيرَه أغْرَى

ولو لم يـكنْ أعْلَى ذوِى الحُسْنِ رُتْبةً بما حازَه ما كنتُ أسكنْتُه الصـدرَا

مليحٌ براه اللهُ أحسنَ مايُرَى فأرْدَف منه الرِّدْفَ واخْتصَر الخصْرَا

أطار فؤادِى نحـوه ثم حـلّه ولم يرَ طَرْفٌ طائراً قد غـدا وَكْرَا

عجبتُ لدمعِى فى الخدود مُسَلْسَلاً وما جَنَّ إلا القلبَ فهْو به أحْرَى

ويعجَمُ عندى باللَّواحظِ مَنْطِق فيُعرِب عنِّى مُهْمَلًا يُوضِح العُذْرَا[4]

ومِن عاذِلٍ بالصبرِ مازال آمرِى وإنِّى مع الهجْران أستعذِب الصَّبْرَا

لِيَهْنِ فؤادى أنه فيـــه نازلٌ وأفْقُ العُلى أنى بدرْتُ به بَدْرَا

---

(١) فى ج : « مقاته حذراً » والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) فى ا : « جفن له لم ينج » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) فى ج : «لم يعرف الهصرا» ، والمثبت فى:ا ، ب. (٤) فى ب: «فيعرف عنى» والمثبت فى:ا،ج.

لِيَ الشرفُ الضَّافِي علىَّ دِلاصُه ... مع السُّؤددِ الضخمِ الذى يطأ النَّسْرا(١)

ولِي قلمٌ فيـــه المَنِيَّةُ والمُنَى ... إذا خطَّ أبدَى الأنجُمَ الزُّهْرَ والزَّهْرا

وكم حافظٍ ذِكْرَ ارتفاعى بصَمْتِــــه ... وماهو إلّا ناصبٌ فتَّه فَخْرا

ونِـكْسٍ جهولٍ رام يُدْرِكني وهل ... تُرَى يمكِن الزُّرْزُورُ يقتنِص الصَّقْرا(٢)

عَلَوْتُ كلَّا فالثُّرَيَّا إذا غــدتْ ... ترَى منزلى والشمس فيه غدتْ تِبْرا

ألم ترَنِي فوق السماء كأنني ... أنَظِّم فى أقوَالِيَ الأنجُمَ الزُّهْرا

فأثْنِي على قاضِي القُضاة محمَّدٍ ... فتَى النَّسَبِ الوَضَّاح مَن زَيَّن الدَّهْرا

منها :

أخو الفضلِ فينا جعفرُ الجودِ خالدُ الْـ ... ـمحامِد يُحيِي ذكرَه كلَّما مَرّا

إذا أرقَم القِرْطاسَ قَرْطَسَ أسْهُماً ... ترى العين منها فى نُحور العِدى نَحْرا(٣)

هو البَرُّ فى الأفعال والبحرُ فى النَّدَى ... وأعْجَب ماشاهدتَ بَرًّا غــدا بَحْرا

أرى العلمَ ألقَى منه فى قُدْسِ صَدرِه ... عَصا السَّيْرِ لمَّا أن رآه لهـــا أحْرَى

فتًى عمَّر الدارَيْن بالجودِ والتُّقَى ... وأحْرزَ من دون الورَى الفخرَ والأجْرا

***

هذا ماوجدته منها فى مُسوَّداتى ، ولها تتمَّة غفِلتُ عن إلحاقها .

⁂

---

(١) الدلاص : الدرع اللينة الصلبة . والنسر : نجم .

(٢) النِّكس : الذى لا خير فيه . والزرزور : طائر أكبر من العصفور .

(٣) فى : ا ، ب : « إذا أرقم » ، والمثبت فى ج .

وقرطس السهم : أصابه به الهدف .

(٤) فى ج : « وحدث » ، والمثبت فى : ا ، ب .

عبد الرحمن بن محمد الحَيْمِىّ

بحرٌ زاخِر ، لا يُدرَكُ منه آخِر .

تشنَّفت به الأسماع ، وانْعقَد على فضلِه الإجْماع .

وهو فى الأدب صاحبُ آيتِه ، (١) وواصِل غايتِه (١) .

ونُكتة مَساءلته ، وفارِس محلَّتِه .

عليه فى حلِّ مُشكلاتِه المَدار ، وله فيه نبَاهةُ المكانة والمِقْدار .

***

فمن شعره ، ما كتبه إلى أحمد بن حَمِيد الدين(٢) ، صاحب « ترويح المشوق » ، وهو بكَوكَبان :

عن أحمدٍ يروِى حديثَ العُلى ... شيْخان أعنى قلبِى واللِّسانْ

ذا بدرُ أُفْقٍ زائدٌ فى السَّنا ... فاعْجب لبدرٍ ضمَّه كَوْكَبانْ

***

وكتب إليه أيضا :

سار دمعى منِّى إليك رسولَا ... حين أخليْتَ رَبْعَه المَأْهولَا

وفؤادى اسْتقرَّ إذْ أنتَ فيه ... يَتراءاكَ بُكْرةً وأصِيلاَ

ونسيمُ الصَّبا تحمَّل مِن وصْـ ... ـفِ اشْتياقِى فيه حديثًا طويلاَ

حبَّذا قُرْبُك الذى كان أنْدَى ... فى فؤادِى من النسيم بَلِيلاَ

قرَّب اللهُ عهدَكم من ليَالٍ ... لم أكُنْ لاقترابِهنَّ مَلُولاَ

أتلظَّى جوًى وفرْطَ حَنينٍ ... إنْ تذكَّرتُ ظِلَّهنَّ الظَّليلاَ

وإذا ما احْترقتُ شوقًا فقوْلِى ... ليتَ لم أتَّخِذ فلانًا خَليلاَ(٣)

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٢) تقدمت ترجمته فى هذا الباب ، برقم ٢٠٦ ، صفحة ٣٣١ .

(٣) اقتباس من قوله تعالى فى سورة الفرقان ٢٨ : ﴿ يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾

كنتُ أجنِي ثمارَ أُنْسِك فيهنَّ فبُدِّلتُ بالنَّوَى تبديـــلاَ

***

فأجابه بقوله :

طلب الشوقُ من فؤادِي كفيلاَ مُذ تراءى وجـهُ النهارِ صَقِيلاَ[1]

ومشَى الغُصْنُ فى المَطارفِ لمَّا عقَـــد الطَّلُّ فوقه إكْليلاَ

صاحبي صاحَ بي لَواعِجُ شَوْقٍ يا أخا الصَّبْوة الرَّحِيـلَ الرَّحِيـلاَ

آهِ والشوقُ ما تأوَّهْتُ منــــه لزمانٍ ذكرتُ منه الجميـــلاَ

أيَّ دهرٍ أسْـدَى إلىَّ جميـلاً مُذ رآنى ذاك الـكريم الجليلاَ

وخليـــــلاً ما قلتُ لمَّا افترقْنا ليت لم أتَّخذْ فُلاناً خليلاَ[2]

كان يومى به كلَمْحةِ طَرْفٍ فغدَا للفِراقِ حَوْلًا كَميـــلاَ

لإمامٍ حاز العـــلومَ فروعاً باسِقاتٍ قد أينعَتْ وأُصـــولاَ

كم أرتْنــا فصولُه اللُّؤْلُؤيَّا تُ إلى مُنتَهى الأُصولِ وصُولاَ

حُجَّةٌ صَـــيَّرَ المَفاخرَ أوْضا حاً على طَرْفِ عَزْمِه وحُجولاَ

راسِـخٌ فى العقول لو فاخر السَّيْـ ـفَ لأغْضَى فى جَفْنه مَفلولاَ[3]

جَمع اللهُ شَمْلَنـــا وأرانا من أســارِيرِ وجهِهِ المَأمولاَ

***

قلت : مراده بالسَّيف ، الآمِدِيّ[4] ، صاحب « الإحكام » .

❊

(١) فى ب : « وجه الربيع » ، وفى ج : « وجه الزمان » ، والمثبت فى : ا .

(٢) فى ب ، ج : « ليتنى لم أتخذ » ، والمثبت فى : ا .

(٣) فى ج : « لأغضى فى جفنه » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٤) أبو الحسن على بن محمد بن سالم التغلبي الآمدى ، سيف الدين .
صاحب كتاب « الإحكام فى أصول الأحكام » ، وغيره من المصنفات فى الأصول وعلم الكلام .
توفى سنة إحدى وثلاثين وستمائة بدمشق .
طبقات الشافعية الكبرى ٥/١٢٩ (الطبقة السادسة) ، وفيات الأعيان ٢/٤٥٥ .

٢٣٤

محمد بن أحمد بن[1] عز الدّين السّلفيّ

جامعُ شَمل الآداب ، والصّارفُ عمرَه على الاشْتغال والتّدْآب .

قصد بنى القاسم مُتّقِياً بهم عارِض البأس ، مُستسْقِيا روحا مُعلّقة بخيْط الياس .

فأحسنُوا إجابتَه ، وقابَلُوا بالقَبول إنابتَه .

فاغتدَى من أجَلِّ[2] شِيعتِهم ، الشّاربين من زُلال شَرِيعتِهم .

وانبسطَت بالمواهب يدُه وباعُه ، وتموّجتْ بذخائر العَطايا رِباعُه .

وشهرتُه ثَمّـةَ[3] شهرةُ الشمس والقمر ، وأشعارُه فيما بينهم عِـوَضُ الأحاديث والسّمَر .

على كلِّ أُذْنٍ منها لُؤلؤةٌ فى قُرْط تترجْرَج ، وعلى كل عِطْف بُرْدٌ من عَمل اليمن يتبرّج .

***

فمن شعره قوله يمدح السيد الحسين بن الإمام القاسم[4] من[5] قصيدة غراء .

أولها :

خَـلا أنها تسْبِى العقولَ وما تدرِى ... وماعذرُها فى ذاك إلا الهوى العُذْرِى[6]

وإلّا فمـا فى العالَمِين نظيرُها ... ويكْفيك وَصْفاً أنهـا غُرّةُ الدهرِ

سَرَى طَيْفُهـا ليلاً فذكّرنى الأسَى ... وعهداً بليلَى حيثُ ماطَيْفُها يَسْرِى

فلولا التّسَلِّى مِن هـواها وعهدِها ... لأحْرقتِ الأهْوَا بحرِّ الجوَى صدرِى

(١) بعد هذا فى ب زيادة : « أحمد بن » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٢) فى ا : « أجل » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٣) فى ا : « ثم » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) تقدمت ترجمته فى هذا الباب برقم ١٩٤ ، صفحة ٢٤٦ . (٥) ساقط من : ب ، وهو فى ا ، ج .

(٦) فى ا : « وما عندها فى ذاك » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ولكنه أنسانِيَ اليأسَ أنسُهـا ... وقُلِّدتُ من نعمائها بحُلَى التِّبْرِ

عَذُولَيَّ صَفْحاً عن مَلامِي وخَلِّيا ... فأذْناىَ عنها فيهما أيُّما وَقْرِ

سَلاَ هـل سَلاَ قلبي إذا لم أزُرْهُمُ ... أم انطوتِ الأحشاء منِّى على جَمْرِ

هو الحبُّ إن يَملِكْ فغيرُ مُدافَعٍ ... وإن تحتكمْ أسبابُه فى الفتى يَبْرِى

ومَن شأنِه حَمْلُ الهوى مثلَ مذهبى ... فليس له غـيرُ التجلُّدِ والصبرِ

عساها يدومُ الوصلُ منها تكرُّماً ... ففى وَصْلِها بين الورى شرفُ القَدْرِ

وما ليلةٌ يأتيك عنها سفيرُها ... بِبُشْرَى التَّلاقِى غيرُها ليلةُ القدْرِ

إذا شُبِّهتْ بالأنجُم الزُّهْرِ أنفسٌ ... فما أنْصِفتْ إن شُبِّهتْ هى بالبدرِ

وإن أطنبوا فى وصفِ بيضاء دُمْيـةٍ ... فلا شكَّ يوماً أنها بَيْضةُ الخِدْرِ

ألا لستُ لولا حبُّها أعرفُ الهوى ... وما كنتُ أدْرِى بالقَرِيض وبالشعرِ

قِفَا فلأمرٍ ما أُوَرِّى بذِكْرِهـا ... على عادةِ التَّشْبِيبِ بالنظمِ والنثرِ

حَلاَ غزَلاً فَنُّ القوافِى وأهلِها ... كما حَلَتِ الغِزْلانُ فى الحُلَلِ الخُضْرِ

فأسْحَرْتُ فى سَبْكِ المعـانى بواكراً ... كما بان لى بعضُ البياناتِ فى السِّحْرِ (١)

وما عَلِقَ التَّشْبِيبُ صـدرَ شَبِيبتى ... سناء ولا ذاتُ الخِمارِ ولا الخَمْرِ

ولكن مَـدْحَ الطاهرِ الشِّيَمِ الذى ... كَسَا الناسَ ثوبَ الأمنِ فى البَرِّ والبحرِ

وأجْرَى ينابِيعَ الهوى والورَى معاً ... وأوْرَى زِنادَ المُلْك بالنَّهيِ والأمرِ (٢)

وأرْوَى السيوفَ المُرهَفات من العِدى ... أُولِى الفِسقِ والفَحْشاء والبَغْيِ والنُّكْرِ

وجرَّد فيهم همَّـةً نبويَّةً ... فأفناهمُ بالجُرْدِ والبِيضِ والسُّمْرِ

هو الشرفُ الأعلَى هو الناسُ جملةً ... إذا قيل فيمن دونه أوحـدُ العصرِ

---

(١) فى ا ، ب : « بعض البيان فى السحر » ، والمثبت فى : ج .

(٢) فى ب : « الهوى فى الورى » ، والمثبت فى : ا ، ج ، ولعل الصواب : « وأجرى ينابيع الهدى والروا معا » .

فيومُ الأعادى لم يزلْ منه باكياً دماً إذْ له الأيامُ ضاحكةُ الثَّغرِ

إليك أبا يحيى أتتْك تحيـــة تضوّعَ من أرجائها أرَجُ البِشْرِ

تجُوب الفَيافِي نحو بابك مثلمـــا تؤُمُّون نحوَ البيت والرُّكْنِ والحِجْرِ

لها شرفٌ يزهو بتقْبِيلِها الثرى لديْك ومن سُوحِ العلى مثلُها يَثْرِى [1]

بكَرتُ لها فِكراً ومِن وصفِك الذى يزِين القوافى فيك ساعَدنى فِكْرِى

كما قيل فى البانِى الذى وجـــد البِنَا فلا عجبٌ أن طال ماشاد من قَصْرِ [2]

وماذا يقول الواصِفون وهل أتى لغيرِكمُ من هل أتى مُحكَمُ الذِّكْرِ [3]

وأثْنَى عليكم فى المَثانِى دلائلاً جَلِيَّاتِ أحْكام تجلُّ عن الحصْرِ

***

وكان يُولَع بقصيدة ابن دُرَيد اللاميَّة ، التى أوَّلها [4] :

هل الحُرُّ إلّا مَن أفاد فأفْضَلا وما المالُ إلا ما اسْتُفِيـــد ليُبْذَلَا

دعِينِى لهذا المجـــد أرْعَى سَوامَه وإن لم أعِشْ إلا مَلُوماً مُعذَّلَا

وكان يُنشِدها مسْتَرْوِحاً بها .

ونظم على وِزانها [5] قصيدة فى السيد الحسن بن القاسم [6] ، أولها :

كفَى المجدَ فخراً أنْ غـــدا لك مُرسلاً وقد كان للماضين قبلَك مَوْئِلاً

*

---

(١) فى ج : « مثلها يبرى » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ا ، ب : « فلا عجب أن شاد ما طال فى قصر » والمثبت فى : ج . (٣) يعنى ما جاء فى سورة الإنسان ٨ من قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ ، وأنها أنزلت فى على وفاطمة وجاريتهما ، وانظر الكلام على هذا فى تفسير القرطبى ١٩/١٢٨ ــ ١٣٢ .

(٤) فى ديوانه المطبوع .

(٥) فى ا ، ب : « وزنها » والمثبت فى : ج .

(٦) تقدمت ترجمته ، فى أول هـذا الباب ، برقم ١٩٣ ، صفحة ٢٤٣ .

٢٣٥

السيد حاتم بن الأهْدَل *

حاتمٌ للأجواد خاتِم ، وبه فصل السخاء تَمّ .

فحاتمُ طَيّءٍ طُوِيَ به ذِكرُه ، ومَعْنُ بن زائدة (١) تجاذَبه عنده جهلُه ونُكْرُه .

فضائل قامتْ على الأساس المُحكَم ، وفواصِل تكاد تُنطِق لسانَ الأبْكم .

تخمَّرتْ طينتُه بالنَّدَى ، وأُفرِغت في قالب الهدى .

وله من الآداب كلُّها ، ومن المحامد دِقُّها وجِلُّها .

* * *

وشعره روض بالزَّهر (٢) مِسْكِيُّ الأرْدان ، كأنّه النَّدَى فكأنما هو (٢) لُؤْلؤ استُخرِج من حَصاء الغُدْران .

(*) السيد حاتم بن أحمد بن موسى الأهدل ، الحسيني ، اليمني .

واحد الدهر في جميع أنواع العلوم والمعارف ، والنظم والنثر ، وقد غلب عليه التصوف .

رحل إلى كثير من البلدان ، وأقام بالحرمين ، ثم توطن المخا ، وحصل له بها شأن عظيم ، وعم نفعه بها .

توفي سنة ثلاث عشرة وألف ، ببندر المخا ، ودفن ببيته .

حديقة الأفراح ١٢ ، خلاصة الأثر ١/٤٩٦ – ٥٠٠ ، سلافة العصر ٤٥١ – ٤٥٥ ، ملحق البدر الطالع ٦٥ – ٦٧ .

(١) معن بن زائدة بن عبد الله الشيباني .

جواد مشهور ، وشجاع فصيح .

عاصر آخر الدولة الأموية ، وبداية الدولة العباسية ، وولاه المنصور اليمن ، ثم سجستان .

قتل غيلة سنة إحدى وخمسين ومائة .

تاريخ بغداد ١٣/٢٣٥ ، وفيات الأعيان ٤/٣٣١ .

(٢) ساقط من : ا ، وهو في : ب ، ج .

فمنه قوله من تَشْطِيرِ لفائيَّة ابن الفارِض[١] :

قلبي يُحــــدِّثني بأنك مُتْلِفِي عجِّل به وللك البقا وتصرَّفِ
قد قلتُ حين جهِلْتني وعرفْتني رُوحِي فِداكَ عرَفْتَ أم لم تعرِفِ
أنت القتيـلُ بأيِّ مَن أحبَبْتَهُ فلكَ السعادةُ بالشهادةِ ياوَفِي[٢]
ولقد وصفتُ لك الغرامَ وأهْلَه فاختَرْ لنفسِك في الهوى مَن تصْطفِي

***

وقوله ، من تخميس عيْنيَّة ابن النَّبِيه المشهورة[٣] :

رقَم العَذُولُ زخارِفاً وتصنَّعا وأشاع نقْضَ العهدِ عنك وشنَّعا[٤]
فأجبْتُــــه والنفسُ تقطُر أدمُعاً أفْدِيه إن حفِظ الهوى أو ضيَّعا[٥]
ملَكَ الفؤادَ فما عسى أن أصْنَعا

***

حكم الغـــرامُ فلُذْ به وبحُكْمِه واثبُتْ على مفروضِ واجبِ رَسْمِه
واخضَعْ لعَذْلِ الحُبِّ فيه وظُلْمِه من لم يذُقْ ظُلْمَ الحبيبِ كظُلْمِهِ[٦]
حُلْواً فقد جهِل المَحبَّةَ وادَّعَى

***

ومن فصل له في رسالة[٧] :

---

(١) فائية ابن الفـارض في ديوانه ١/١٤٨ ـ ١٦٦ ، والتشطير في : خلاصة الأثر ١/٤٩٩ ، وسلافة العصر ٤٥٣،٤٥٤ .

(٢) في خلاصة الأثر : « في الشهامة ياوفي » .

(٣) عينيـة ابن النبيـه في ديوانه ١٩ ، ٢٠ ، والتخميس في : خلاصـة الأثر ٤٩٩ ، وملحق البدر الطالع ٦٦ ، ٦٧ .

(٤) في ملحق البدر الطالع : « نقض العهد عنك وشيعا » .

(٥) في ب : « فأجبته والعين » ، والمثبت في : ا ، ج ، وخلاصة الأثر ، وملحق البدر الطالع .

(٦) كظلمه : كريقه . (٧) هذا الفصل في خلاصة الأثر ١/٤٩٨ ، سلافة العصر ٤٥٢ .

يقصُر عن [(١)] جسم مَعاليك قميصُ الثناء فيفوت الرُّصَّاف [(٢)] ، ويرفُل زَهْواً إذا فُصِّلت لمعانيك حُلَلُ الأوصاف .

ويعترف بالعجز سَحْبان إذا سحَبَ ذيولَ البيان ، ويُقِرُّ المَعرِّيّ بالتَّعرِّى عن لفظِك الحرِيرِيّ المشتمِل على الجواهر الحسان .

ويلحَق القاضىَ الفاضلَ النقصُ فى هذا الميزان ، ويذْوِى [(٣)] «بديعُ المعانى» [(٤)] عند شمس مَعانيك البديعة التِّبْيان .

⁂



(١) فى ج : «من» ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة والسلافة . (٢) فى سلافة العصر «الوصاف»

(٣) فى خلاصة الأثر : « ويزوى » ، وفى سلافة العصر : « ويذوب » .

(٤) فى ج : « البديع » ، وفى الخلاصة : « البيانى » ، وفى السلافة : «البنانى» ، والمثبت فى: ا، ب

٢٣٦

القاضي محمد بن إبراهيم السَّحُولِيّ *

قاضٍ قُضِيَ له بالبراعة مذ حُلَّت عنه التَّمائم ، وحاكم تصرَّف باليراعة مذ وُضِعتْ على رأسه العمائم .

توَّج بالافْتخار هامَ (١) تِهامة ، وطار في أُفْقِها بين نباهةٍ وشَهامة .

* * *

وهو في الأدب هُمام أوْحَد ، وفضلُه فيه لا يُنكَر ولا يُجحَد .

وله كلُّ معنًى إذا تطابَق مع لفظِه كان أعْلَقَ بالقلب من فِكْرِه ، وبالطَّرْف من لَحْظِه .

فمن شعره قوله :

نظُنُّ ما ألْقــاه فيك باطلَا فلا تُبالِي أن تكون ماطِلَا

مدَدْتَ حبلًا للجفاء طائلَا فهل رأيتَ تحت ذاك طائلَا

لو مِلْتَ نحوى أو عطَفتَ مثلَمـا رأيتُ عِطْفَك الرشيقَ مائلَا

تحلُو لقلبِي إذ تمُرُّ حاليـاً قلبُك لي عن الحِجاء عاطلَا

رفعتُ قِصَّتِي وقد مررْتَ بي تجُرُّ ذيلًا للدَّلالِ ذائلَا

(*) محمد بن إبراهيم بن يحيى الشجرى ، ثم السحولى ، الصنعانى ، القاضى .

أحد العلماء المبرزين ، والأدباء المجاهدين .

أخذ العلم عن والده ، وغيره ، وأخذ عنه جماعة من أكابر العلماء .

وكان خطيباً بجامع صنعاء ، ثم صار خطيباً برداع ، وفى آخر مدته ولاه المهدى صاحب المواهب الخطابة بالخضراء ، التى اختطها .

وكان مبرزاً فى العلوم الآلية والأدب .

توفى سنة تسع ومائة وألف .

البدر الطالع ٢/ ٩٦ ، ٩٧ .

(١) فى ج : « هامة » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وقد فتحتَ ناظِريك ناظرًا   فى قِصَّتى نصبْتَ لى الحبـائلا

فرُحتُ مقْتولًا وكان قاتِلى   مَن لا يُبالى أن يكون قاتلا

يا قاتَل اللهُ العيونَ مالهـا   من حاجةٍ فى أن تُرى قواتلا

نَواعِساً فـواترًا فـواطرًا   فواتـكاً لا تُخطِئُ المَقاتِلا

تَرَكْنَ إذْ فعَلْنَ قلبى دائمـا   فيالهـا تَوارِكاً فواعِلا[١]

تصولُ فينـا بالجفون تارةً   وتارةً تُجرِّدُ المنـاصِلا

سقَى الغَضا سقَى الحِمَى سقَى اللِّوَى   سقَى الحيـا تيَّالِك المَنازِلا[٢]

منازِلًا عهِدْتُهـا أقْمارُها   لم تُمْسِ عن بُرُوجهـا أوافِلا

ولَّهْنَنِي بلهْنَنِي أذْهلْنَنِي   صَيَّرْنَنِي بين الأنام بَاقِلا

فى كلِّ عامٍ أرْتجِيكَ مُقبلًا   نحوِى وإن لم أرْتجِيك قابِلا

يا كم أرَى فيكَ الزمانَ لم يزلْ   لجيشِ آمالِى فيك خاذِلا

ماضرَّ لو أطعْتنِى تفضُّلًا   ولو عصيْتَ واشِيًا وعاذِلا

ولو ذكرتَ بالحِمَى لياليًا   وطِيبَ أوقاتٍ مضتْ أصائلا

كم قد أقمْتَ فى تثنِّى قامةٍ   من الدَّلالِ فى الهوى دلائلا

وليـلةٍ غازلتُ منك فى الدجى   غزالَ إنسٍ يُدهِش المُغازِلا

والشُّهْبُ من غيظٍ تَوَدُّ أنهـا   تُوقِد لى من نارِها المَشاعِلا

وطالمـا فُزْنا بقَصْرِ ليـلةٍ   وذا هو العيشُ فلِمْ تطاوَلا

أحْلَى الهوى ما كان فى عصرِ الصِّبا   لو لم يكنْ حالُ الصباح حائلا

* * *

(١) فى ب : « قلبى داميا » . والمثبت فى : ا ، ج ، وفى ج : «توارکا نواهلا » ، والمثبت فى : ا ، ب

(٢) رواية البيت فى ج :

سقى الحِمَى سقى الغَضا سقى الهوى   سقى الحيـا هنالك المنـازِلا

والمثبت فى : ا ، ب .

وتيالك : تصغير تا ، وتا : اسم يشار به إلى المؤنث . القاموس (التاء فى الحروف اللينة) .

وكتب إلى الإمام إسماعيل المتوكل[١] :

مولاىَ إسماعيلُ لى طفلٌ بكمْ مُتبــارِكٌ أدعُوه إسماعيلاَ
قد عِيل صبرِى من مُفارقتِى له لا بالرَّباب ولا بأسْما عِيلاَ
مُنُّوا بإسْمــاعِى نعم حاشاكمُ أن تقطعُوا صِلتِى بإسماعِى لا

***

ومن انْسجاماته اللطيفة[٢] قوله :

أتظُنُّهـــا قمرًا سَنِيًّا باللهِ أم بشرًا سَوِيًّا
هزّتْ معاطِفَ قَدِّها غُصْنــا ولَدْنًا سَمْهَرِيًّا
وطوَى مَدارُ نِطاقِهـــا من خَصْرِها سِرًّا خَفِيًّا
نَشْوَى بخمْرِ شبابِهـــا ورُضا بهـــا لا بالْحُمَيَّا
تختـــال فى حُلَلِ الدَّلا لِ تملُّقــاً وتِيهِ غيًّا
وتخالُهـــا وُرْقَ الحمَا مِ إذا انثنتْ غُصْنا نَدِيًّا
وتظُنُّ وَسْواسَ الحُلِيِّ عليـــه تغْرِيدًا شَجِيًّا
عجبًا لوَرْقاءِ الغُصو نِ لقد أتتْ شيئًا فَرِيًّا
لا الغصنُ يعرِف عِطفُه حُللاً ولا أَلِف الحُلِيَّا
كلاَّ ولا ناط الجمــا لُ عليه عِقْدًا عَسْجَدِيًّا
ولئِن تبسَّم ثغرُه ما كان كأسًا لُؤْلُؤِيًّا
هبْ أنَّ فيـــه مَلْمَسًا رَطْبًا ونَشْرًا عَنْبرِيًّا
ولرُبَّما أبْدَى الحيــا بخُدودِه وردًا جَنِيًّا
أيكون ذاك مُشبِهًا وردًا يكون له سَمِيًّا

(١) تقدم ذكره ، فى هذا الباب ، أثناء الترجمة رقم ٢٢٥ . (٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب.

٢٣٧

يوسف بن على الهادى*

نكتة عُطارِد وتحفة الفلك ، قالتْ محاسنه اليُوسُفيَّة ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملَك.

تناوَل رايةَ البيان باليمَان[1] ، فظهر فضلُه فيه ظهور الإيمان .

وقد أُوتِيَ من الفصاحة ما لو سمعه سَحبان لاستحيْىَ ولم يتفوّه ، ومن البلاغة ما أعجز من نُظَرائه المَرمُوقين[2] كلَّ مُفوَّه .

يجرى الأدب فى أزِمّته ، فيأخذ منه الأملُ برُمَّتِة .

إلى عجائبِ لطائفِ أخذت بكلّ معنى ، وتعطّر بمَشامّ ذكْرِها كلُّ مَغنى .

* * *

وشعره مثل طبعِه مصقول ، ودهرُه راويةٌ ما يقول .

وقد أثبتُّ من نثره ما هو أفوَح من الزَّهرة تفتَّحت عنها الـكِمامة ، ومن نظمه ما هو أبْهج مَنظرًا من صدر البازِىّ وطَوْقِ الحمامة .

قال :

ولمّا طلع بدرُ عَوْد شرفِ الإسلام الحسين بن وجيه الدين[3] من المشرق كاملا ، ونهَض منه إلى حضرة الإمام قافِلا .

(*) يوسف بن على الهادى ، الـكوكبانى ، ثم الصنعانى .

القاضى الأديب ، والشاعر المجيد .

وهو مصنف « طوق الصادح المفصل بجوهر البيان الواضح » ، و « سوانح فكر الأفهام وبوارح فقر الأقلام » ، وله ديوان سماه « محاسن يوسف » .

لقى يوسف الـكثير من المحن من أهل عصره ، لأنه برع وفاقهم .

توفى سنة خمس عشرة ومائة وألف .

البدر الطالع ٢/٣٥٥ ، ٣٥٦ .

(١) اليمان : اسم لليمن .   (٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٣) تقدمت ترجمته ، فى هذا الباب ، برقم ٢٠٣ .

بعد أن فقر(١) عليهم عدوانُ العدوِّ أَمَمًا ، وكاد أن لا (٢)يبسم لهم(٢) ذلك الثَّغْرُ عن شَنَبِ الفتح فَمًا .

ففتقتْ لهم ريحُ الجِلاد بعنبر النصر ، واجتنوْا زهَرات الظَّفَر بأنامل النُّجْح الذى تندُّ أوصافه عن الحصْر .

وكان وصولُه إلى حضرة الإمام مُقارنا لقُدوم العِيد ، فكأنما كان هلالُه صَلْتَ(٣) وجهِه السَّعيد .

فأورده الإمامُ وِرْدَ إكرامه الصَّاف ، وأنزلَه ظلَّ تبجيله وتعظيمِه الضَّاف .

وملأ بالثناء عليه أسماع المَلَا ، وأجابه إلى الدعاء له بنُجْح الأرب ولم يتلقَّ حُسَيْنًا بكَرْبَلا .

كتبتُ إليه أُهنِّيه بالفتح والعَوْد والعِيد ، برسالةٍ وقصيدة لم(٤) يُنْسَج على مِنْوالهما البديعِ البعيد .

وهما :

يقبِّل الأرضَ التى أضحتْ مواطِنَ التَّهانى ومَواطئَها ، وصارت منازلَ الأمانى المقرونة بالنَّجاح ومنازهَها .

وتطولَّتْ على ذوى التَّقصير ببِرِّها المحمودِ فى يوم العَرْض ، وصيَّرتْ فَضْلَها أبيًّا لمفارقة ذى الفضل فلو قيل له : اذهبْ عنَّا قال : لن أبرَح الأرض(٥) .

وأنشأتْ سحبَ جودِها فرأينا النَّدى منها على الأوراق، وفتحتْ أكمامَ(٦) معارفِها عن زَهراتِ فوائدِها فتمشَّيْنا فيها بالأحداق .

(١) كذا فى الأصول ، ولم أدر وجهه ، ولعل الصواب : « فغر » .

(٢) فى ج : « يتبسم له» ، والمثبت فى : ا ، ب . (٣) فى ا : « صلة » ، والمثبت فى : ب ، ج . والصلت : الجبين الواضح . القاموس (ص ل ت) .

(٤) فى ج : «على» ، والمثبت فى : ا ، ب . (٥) اقتباس من الآية الكريمة ٨٠ فى سورة يوسف.

(٦) فى ب : « كمام » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وأطلقتْ للعُفاة مِنَحاً[1] ، وللعُداة مِحَنا .

فغدت مشكورة فى الأمرين على الإطلاق ، وطوّقتْ أجيادَ الأنام بالنّدَى الذى يُجِيب قبل سماع النِّدا فانْقادتْ إليها بالأطْواق .

وأشرقت الجوَّ بِنَقْع غُبارِها وأشرقت بنُور البَصر المُبين فأضحت مشهورة فى الحالَيْن بالإشراق ، وقادتْ ذوِى الفضائل إليها بسلاسِل الأشواق ، لمَّا نصَبت لهم من تخيُّل محاسنها حبائل ، فعلِموا يقيناً أنهم لمن أُمَّةٍ تُقاد إلى الجنة بالسَّلاسل .

وجعلتْ حِماها مَرابِعَ النِّعَم ، لا مَراتِعَ النَّعَم .

وأوردتِ الصَّادِيَ ماء عيْنِ كَرَمِها الذى يشْتاق إليه الرَّائى ، فعينُ الله تعالى على ذلك الكرم .

ونهَتْ عن إغلاء قِبابِ بِرِّها ، وإغلاقِ بابِ عفوها .

وذلك شأنُ من هو بالمعروف معروف ، ورحُبتْ لما ضاق صدرُ الفضاء بعُفاتها فهم فيه كالبُنْيان المَرصُوص والعِقْد المرصوف .

وأمضَتْ أمرَها المستقبَل وأرادت السُّيوف أن تحاكيه مَضاء فجاوزتْ حَدَّها ، وأشرقتِ الأحرار بالإحسانِ فما منهم إلا من يقول لمن يدَّعِيه بالحريَّة : لا تدْعُنى إلا بيا عبدَها .

فأبقَى اللهُ حِماها الذى ما من خائفٍ إلا هو[2] له مأْمَن ، وروضَ[3] جَنابِها الذى عَنْعَنَ عنه المَنْبِرىُّ أحاديثَ ذكاه ضَنَّتْ بصِحَّتها عن أنّ .

وصفا باطنُها بأنهارها ، وحلَى ظاهرُها بأزهارها .

وملأ صحونَ ديارها المِسْكيَّةِ الروائحِ من قَطْر الغَوادِى ، ونسَج لها من بِيضِ خُيوطِه

(١) فى ج : « ملحا » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج .
(٣) فى ا ، ج : « وروحت » ، والمثبت فى : ب .

حُلَّةٌ خضراء يقول كلُّ ناظرٍ إليها كأنما نُسِجَتْ على مُرادِي :

فإنهــــا أرضٌ لمن لم يجِدْ　　لعَيبِه عن مَنْهجٍ منهجَا

نَدْبٌ يُعيدُ الفرضَ أن لا يرى　　باباً له عن مُرْتجٍ مُرْتجا

وسيِّد أقامته المعالى والعوالى فلم يختلفْ فى فضله اثنان ، وهُمامٌ أضحَى المُشترِى لرُتبةٍ رجَحتْ من قبل أن يَرْصُدَ الميزان .

ومولًى صار نصيراً للخلافة فنِعْم المولى ونعمَ النَّصير ، وصاحب أقلامٍ حطَّم عَوالِيَ الأعداء بترسُّل قصيرِها قبل أن تقول بيدى لا بيديْك يا قَصير .

وملِكٌ إذا صلَّتْ صوارِمُه لم يبْقَ للعِدى [1] غيرُ التَّسْليم ، أو أراد تَكليمَ المُعاندين بألسِنة أسِنَّةٍ أذْعنوا له قبل التَّكليم [2] .

أو عقد ألْوِيَته حلَّ بالمخالِف الوَبالُ والتَّلَف ، أو وَجَف بخيْله ورِكابِه على الأعداء قيل جرَى القلمُ بهلاكِهم وجَفّ .

أو وصف لهم عزائمَه وترسُّلاتِه ظنُّوا بأنهم عِيالُه ألْفَ صَفٍّ من عزائِمِه وصَفّ ، أو وَكَف جودُ كفِّه أقلع السحابُ عن مُجاراته وكَفّ .

أو ملأ سمعَنا أمالِيَ لا قَالِيَ [3] لها فهى [4] المليحة المليحة ، أو جادَل طعَن الخَصْمَ بعَوالِي أحاديثِه الصحيحة .

أنَّى تُجاريه فرسانُ العلومِ ومِن　　غُبارِه فى هَوادِيهنَّ ما نقَضُوا

فهو ربُّ السيف والطَّيْلسانِ ، والقلم الذى يزْداد إفصاحا كلما قُطِع منه اللسان .

واليد التى [5] لا تَهْرَع الناسُ إليها فيفوزون بالخمسة الأشْباح ، وتدعو الأنامُ لها بالبَسْط فكم ظفِروا من أنامِلها بأيادٍ تجِلُّ عن الإيضاح .

---

(١) فى ج : « للأعداء » ، والمثبت فى : ا ، ب .　(٢) تكليم الأولى من الكلم ، وهو الجرح ، والتكليم الثانية : الكلام .　(٣) من القلى ، وهو البغض ، وهو يشير أيضاً إلى أمالى القالى .

(٤) فى ج : « فهما » ، والمثبت فى : ا ، ب .　(٥) ساقط من : ا ، ج ، وهو فى : ب

وتُحتقَر الثُّريَّا أن تكون لتقبيلها فما ، وتعوَّدُ أناملُها الخمسُ بالسَّبع الطِّباق فما .

والنَّسَب الذى هو كصدر الرُّمح إلا أنه لا مَطْعَن فيه لجارح ، ولا نَقْصَ فى كمالِ بدرِه لمنتقصٍ ولا عيبَ فى زَنْد شَرفِه لقادح .

نسبٌ تحسَب العُـلَى بحُلاهُ   قلَّدتْها نجومَها الجـوْزاء[1]

ولِمَ لا يكون نسبُه النَّسَبَ العزيز ، والسِّلْسلة المَنُوطة بالشُّهب المَصُوغة[2] من الإبْريز .

وهو من قومٍ عُجِنتْ طِينتُهم بماء الوَحْىِ والنُّبُوَّة ، ونبَتتْ نَبْعتُهم فى حديقة الفضل والفُتُوَّة .

وتردَّدُوا ما بين الخلافة والإمارة اللَّتَيْن لا يبلَى على مَرِّ الجديدَيْن شَرفُهما العظيم ، وشهِد بفضلهما الحديثُ النبوىُّ والقرآن الكريم على رأى الأشعريَّة وما أجلَّ مَن شهد بفضلهم الحديثُ والقديم .

أضــاءتْ لهم أحسابُهمْ ووجُوهُهمْ   دُجَى الليـلِ حتى نظَّم الجِزْعَ ثاقبُهْ

شَقِيقُ روضِ الفضل والعَلْيا ، ولو أنصفْتَه[3] لقلت رَيحانتُه لأنه سَمِىُّ الحسين أحدُ رَيْحانتِى الرسول من الدنيا .

شرفُ الإسلام والمسلمين ، الحسين[4] بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن على بن شمس الدين بن أمير المؤمنين .

جمالُ ذا العصر كانوا فى الحياةِ وهمْ   بعـد المماتِ جمالُ الكُتْبِ والسِّيَرِ

لا زال آخـذاً بآفاقِ سماء[5] الفضائل والفواضِل ، فله أقمارُها الطَّوالِـع ولغيره نجومُها الأوافِل .

---

(١) البيت فى ريحانة الألبا ١/٢٨٩ .   (٢) فى ج : « المصونة » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) فى ب : « أنصفت » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) تقدمت ترجمته ، فى هذا الباب ، برقم ٢١٧ .

(٥) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

ولا برح سيِّداً إذا علتْ رُتْبةٌ أو جُنَّ دهرٌ كان لهما أفضل رَاق[1] ، ونبيلاً للقلوب وفَاق ، فى أنه أفضلُ مَن سادَ الأنام وفَاق .

وإماماً فى العلوم تنبُذ عند سماعِ[2] حديثه[3] العَقِيق ، وهُماماً نظَرُه فى الأمور كالسيف السُّرَيْجِىّ[4] فى الدِّقة والاسْتواء وكالسِّراج فى البَرِيق .

مَنُوطا عمرُه بيوم التَّناد ، مُفسَحا فى أيامِه حتى لم يدرِ أهى أحادٌ أم سُداس فى أحاد .

وبعد بَذْل أدعيةٍ بلغتْ إلى الأفُق الأعلى ورَحُبت فوقه مَظْهرا ، ومضى سِلاحهُنَّ فى كلِّ مَن استقبل الحالَ بأمرٍ مكروه فأضحى مُضْمراً انكساره مُظْهرا .

إذا رُفِعتْ يوماً لذِى العرشِ خَيْمةٌ   لصِدْقِ وَلائى فيك بين السُّرادِقِ

اعتماداً على ما أخرجه مسلم[5] ، من حديث أبى الدَّرْداء عن أم الدَّرْداء[6] : « دَعْوَةَ الرَّجُلِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجابَةٌ ، وَمَلَكٌ فَوْقَ رَأْسِهِ يَقُولُ : آمِينَ آمِينَ ، وَلَكَ بِمِثْلٍ[7] » .

(١) من الرقى ، وهو الصعود للأول ، واستعمال الرقية للثانى . (٢) ساقط من : ا ، وفى ب : « سماعه » ، والمثبت فى : ج . (٣) فى ج : « حديث » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٤) نسبة إلى سريج القين . القاموس (س ر ج) . (٥) فى صحيحه (باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب ، من كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) ٢٠٩٤/٤ .

(٦) فى الأصول : « أم كرز » وهو خطأ؛ فرواية الحديث فى جميع طرقه عن أم الدرداء ، والذى أوقع فى هذا الخطأ أن الحديث فى أحد طرقه مروى عن طلحة بن عبيدالله بن كريز ، وهو بهذه الألفاظ التالية، رواية صفوان بن عبد الله بن صفوان ، وكانت تحته الدرداء ، قال : قدمت الشام ، فأتيت أبا الدرداء فى منزله ، فلم أجده ، ووجدت أم الدرداء ، فقالت : أتريد الحج العام ؟ فقلت : نعم . قالت فادع الله لنا بخير ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول . . . إلخ . انظر صحيح مسلم . الموضع السابق .
وأم الدرداء هذه هى الكبرى ، وهى خيرة بنت أبى حدرد الأسلمى . انظر أسد الغابة ٥٨٠/٥ .

(٧) رواية مسلم للحديث : « دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ : آمين . وَلَكَ بِمِثْلٍ » .

وعلى ما ورد فى الحديث الصحيح عن ابن عبّاس سيِّد الصحابة ، فى[1] أنّ دعوةَ الرّجُل لأخيه بِظَهرِ الغَيْب أحدُ الدّعواتِ الخمْس المُسْتجابة .

ينهى[2] والأليقُ به أن تنْتهى[3] نفسُه الأمّارة ، عن مُكاتبة أهلِ الخلافة والإمارة .

فإنه [4]وإن كان[4] من الكرام الكاتِبين لهم فليس ذلك ، وكيف يُكاتب مالكَه مَن هو مُقِرّ بالدّخول تحت رِقّه وإنما المكاتبة من المالِك .

لكنه وإن كان دونهم فهو يعتقد عدمَ خُروجه عنهم ، اعْتماداً على ما رفعه أبو رافع[5] إلى سيِّد الأنبياء : « مَوْلَى الْقومِ مِنْهُمْ » .

على أنه إن تصرّف فى هذا إلّا أنها الذى كل رَقٍّ[6] لجرّ كلامِه مَفْتون ، فهو يعلم صحةَ إذْنكم[7] له ولا يُنْكَر تصرّفُ العبد المأذون .

وورد خبرُ عَوْدكم المَقرون بالنجاح ، بعد أن لاح لكم الظَّفَر من مشرق الفلاح ، وسفَرت لكم شمسُ الظَّفَر مِن[8] خلف ستارة الصّلاح ، وأعربت عن رَفْع شأْنكم بلادٌ بَنَتْها على الفتح عزائمُكُم التى هى أمْضَى من بِيض الصِّفاح ، وابتَسمتْ لكم ثُغُورها لمّا جلَيْتُموها من قَلَح[9] العِدى بمَساوِيك الرِّماح .

والفتحُ المُشرِق قد طلَعت فيه شمسُ الخلافة بعد أن أفَلَتْ وانْسَدّ ، وقلتُ فى ذلك

---

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .　　(٢) فى ج : « انتهى » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) فى ا : « تنهى » ، والمثبت فى : ب ، ج .　　(٤) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٥) أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اختلف فى اسمه ، فقيل : أسلم ، وقيل : إبراهيم ، وقيل : صالح .

وكانت وفاته فى خلافة عثمان ، وقيل فى خلافة على ، قال ابن الأثير : وهو الصواب .

أسد الغابة ٥/١٩١ .

(٦) ساقط من : ا ، ج ، وهو فى : ب ، والعبارة ركيكة .

(٧) فى ج : « إذنه » ، والمثبت فى : ا ، ب .　　(٨) فى ا ، ب : « عن » ، والمثبت فى : ج .

(٩) القلح : صفرة الأسنان .

مادحاً لكم مقالَ مَن أنشأ وأنشد :

لمّا فتحتَ الشّرقَ بالْ مَزْمِ الذى ما هاب سدّا
طلعتْ به شمسُ الخلا فةِ بعد أن أفلَتْ وسُدّا

وأقسِم قَسَمَ مَن برّ ، إنه لشرقٌ أكثرُه شرّ .

فكم أجرَى الدمعَ من الغَرْب[1] ، وأوْجَب سَلْبَ نفوس القادمين إليه فأتى بالإيجاب والسَّلْب .

وأغْرَب لمّا أشْرق نزيلُه بندمِه ، وأطْلعَ بدرَ القتيل منه فى شفَقِ دَمِه .

حتى جُعِلت لكم الكرّةُ عليهم ، وكانت لكم العودةُ إليهم .

وحان منهم بآرائِك ورايايتِك الحَيْن ، وقال النصرُ المُبين حُسَين منِّى وأنا مِن حسين .

وجرّدتم كلّ صارمٍ يفترس ذُبابُهُ الأسد ، وأعملتم كلّ لَهْذَمٍ[2] يخشى ثَعْلَبُه[3] الأطلسُ[4] فيرى الفرارَ من الرَّأْيِ الأسَدّ .

وصيّرتُم البَيْضاء من دمائهم حمْرا ، والزّهْراء من أقتام المعارِك غبْرا .

وكثُرت القتلَى ، ورخُصَت الأسرى .

وغَلى منهم النَّجيب ، وعَلا منهم النَّحيب ، وذَهِل المُحِبُّ عن الحبيب .

(٥ فلم يُنْشِد ٥) :

ذكرتُك والخطّىُّ يخطُر بيننا وقد نهِلتْ منها المُثقّفةُ السُّمْرُ

وسخِرتُم بهم بعد أن كانوا ساخِرين ، وغُلِبوا هنالك وانقلبُوا صاغرين .

---

(١) الغرب : عرق فى العين يسق لا ينقطع .

(٢) اللهذم : السيف الحاد القاطع . (٣) الثعلب : طرف الرمح .

(٤) الأطلس : الذئب الأمعط فى لونه غبرة إلى السواد . (٥) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

وصار :

للسَّبْيِ ما نَكَحُوا والقتلِ ما وَلَدُوا   والنَّهْبِ ما جَمَعوا والنارِ ما زرعُوا[١]

والحمدُ لله الذى جعل فَناهم فى فِناهم ، وتَدْميرَهم فى تدبيرهم .

وصَدَعهم بالزُّجاج[٢] ، صَدْعَ الزُّجاج .

وأراد تصغيرهم ، بعد تصْعِيرهم[٣] .

وأعادَكَ[٤] فى جَمْعِ سَلامة وهو جيشُك الذى لم يدخل واحدُه وهو[٥] أنت شىء من العِلَل ، ومَرَّ بهذا الفتح المبين الذى انْسَدَّ به كلُّ خَلَلٍ جَلَل .

والعَوْد الذى هو بمنزلة الربيع ، فكم جدّد لنا أفراحا أثْنَيْنا عليها بأحسنَ ممَّا أثنى على كأْسِهِ الخليع[٦] :

وكَسَا الأرضَ خِدمةً لك يامَوْ   لاىَ دون الملوكِ خُضْر الحريرِ

فغدتْ كلُّ رَبْوةٍ تَشْتهى الرَّقْـ   صَ بثوبٍ من النبات قصيرِ

فهى تختال فى زَبَرْجدة خضراء تُغذَّى بلُؤلؤ منثور ، وإن لم تكونوا نزلتُم فى منازلكم التى هى مطالعُ السرور ، ومَعْدِنِ الخلافة التى لم تُطَوَّر آيتُها[٧] المرفوعة بيمين النصْر إلى يوم النُّشور .

ففى[٨] تقريب الجياد ، تقريبٌ من البِعاد .

---

(١) البيت لأبى الطيب المتنبى ، وهو فى ديوانه ٣٠٣ .   (٢) الزج : الحديدة التى فى أسفل الرمح ، ويقابله السنان .   (٣) فى الأصول : « تصغيرهم » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٤) فى ج : « والهادى » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٥) زيادة من : ج ، على ما فى : ا ، ب .

(٦) يعنى الحسين بن الضحاك بن ياسر الباهلى .

شاعر عرف برقة الشعر ، والبراعة فى الخمريات .

نادم الأمين العباسى ، ومدح المعتصم ، والواثق .

وتوفى سنة خمسين ومائتين .

الأغانى ٧/١٤٦ ـ ٢٢٦ ، وفيات الأعيان ١/٤٩٠ ، ترجمة ١٨٣ .

(٧) فى ب : « آياتها » ، وفى ج : « أعيانها » ، والمثبت فى : ا .   (٨) فى ا : « فهى » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ومع تَنَيكم لعِنان الرُّجوع ، تُسْتَقدمون [1] إليه قُدومَ السيف إلى غِمْده ، واليُمْنُ مشرِقٌ من غَرْبِه ، والسَّعْدُ موقوفٌ على جِدِّه .

وفى أمثال مَن غَبَر : لا بُدَّ من صَنْعا وإن طال السفر .

ووالله يهْنِينا هذا الرجوع الذى محا عنَّا بصُبْحِه أسْدافا ، فأذهب أتراحا ، وأهدى أفراحا ، [2] فاخذتا وأسدافا [2] .

ومن محاسنه المقرونة بالإحسان ، اقترانُه بهذا العِيد الذى خُتِم به شهرُ الصِّيام فهما فى الحقيقة عِيدان .

فإذا ذكرنا معهما هذا الفتحَ الذى أعْرَب عن رَفْع شأنكم بكسر الضِّدّ ، قَوِيَت بتضاعُفِها المسرَّات وعجِبْنا لاجتماع ثلاثةِ أعيادٍ فى شهر واحد .

وليس ذلك بعجب [3] ، فكل أيام مولانا أعيادٌ ومواسم ، وكل ساعاتِه غُرَرٌ فى جَبَهات الأيام ومَباسم .

ولقد أراد المملوكُ أن يُهنِّيك بهذا العِيد فقال فكرُه [4] السليم انْتَبِه ، وتمثَّل له الصوابُ فى مِرْآة عقله [5] فهنّاه بك [5] لا أنت به .

وأما المملوكُ فلم يَرَ أنه عِيدٌ لعدم رؤيته لهلاله وهو جَبِينُك السعيد ، لكنه رأى اجتماعَ هذه الأمَّة وهى لا تجتمع على ضَلالة فقام يُنشِده قولَ مَن تبلَّد عنده لَبِيد [6] :

عِيدٌ بأيَّةِ حالٍ عُدْتَ يا عِيدُ ... بما مَضَى أم لأمْرٍ فيه تجْديدُ

أما الأحبَّةُ فالبَيْداءُ دونَهمُ ... فليْتَ بينَك بيدًا دونها بِيدُ [7]

فالله بينى وبين بَيْنِى [8] عن هذا المالك الذى [9] كان لفِراقه علىَّ تِرَة ، والسيد الذى فى عين المُلْك رَجُلٌ إذا كان غيرُه فى عَيْن المُلْك مَرَّة .

(١) فى ا : « وستقدمون » ، وفى ج : « ستقدمون » والمثبت فى : ب .

(٢) فى ج : « فاخذنا دواء سدافا » ، والمثبت فى : ا ، ب ، ولم أعرف وجهه .

(٣) فى ج : « بعجيب » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٤) فى ج : « وما فكر » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٥) فى ج : « لعدم رؤيته » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٦) البيتان لأبى الطيب المتنبى ، وهما فى ديوانه ٤٨٥ . (٧) فى الديوان : « فليت دونك بيدا دونها بيد » .

(٨) البين : البعد . (٩) ساقط من : ا ، ج ، وهو فى : ب .

ولا كانت حوادثُ حدَّثنا على الوصل فهمزت بنا إلى الدهر فـكانت همزة قَطْع ، وغارَتْ من الْتئامِ شَمْلِنا فاستعانتْ عليه بيَد التَّشْبيب فصدَعتْه أيَّ صَدْع .

فلا وَصل بعد ذلك ، ولا مُكاتبةَ فيه للملوك من المالك .

إذا لم يكنْ يا غُصْنُ وصلٌ فإننى   سأقْنَعُ بالأوراقِ منك على كَمَدْ

فقد فقَد الطرْفُ القريحُ مَنامَهُ   وقد هَتَن القلبُ الجريحُ وقد وَقَدْ[1]

وقد قَدَّ النَّوَى لَمَّـا غدوتَ[2] سَمِيَّ يُوسُف فؤادىَ من قُبُلٍ لا قميصىَ من دُبُر ، وصَيَّرنى فى سجْن الهموم لَمَّـا علم أنى كنتُ من قومٍ هم على مُفارقتِك صُبُر .

وأجْمع رأيَه أن يجعلنى فى غَيابات جُبِّ الأحزان ، بعـــد أن انثنَى عن قتْلى بسيف الأشجان .

وجاء على قميصى من دموعى بدَم ، واسْترَقَنى لَمَّـا اسْترَقَنى وباعنِى ببَخْسٍ بَيْعًا[3] لم يتْبَعْه ندَم .

فأخرِجْنى أيها الملكُ العزيزُ برأيك فى الوصل والمُـكاتبة لا برُؤْياك ، واجعلْنى على خزائن التَّلاقى إنِّى حفيظٌ بوُدِّك عليم بالوفاء الذى يليق بعَلْياك[4] .

ووَفِّ غيرَ مأمورٍ لغيرِ غادر ، واحفظْ عهدَ من أضاع[5] فيك كلامَ العاذِلين فأنت قادر .

يا مَن أطعتُ بحبِّه   مُخالِفـــًا مُعنِّفِي

اللهَ   فى   مُحافظٍ   على الوَلَا   وفى وَفِى

وأُقْسِم بالله إقْسامَ من لا يجعله عُرْضةً لأيْمانِه ، وبحياة مولانا التى يعلم يودُّها المملوك لأنها أحدُ شروطِ إيمانه ، وتحالفتْ ، على إتْلاف رُوحى ، التى كدت أن أقول لها بعدك روحى ، وما تحالَفتْ .

---

(١) فى ب : « وقد وهن القلب الجريح » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٢) فى ا ، ب : « غدرت » ، والمثبت فى : ج .   (٣) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٤) بعد هذا إلى قوله : « أسفى على زمن حكى أحلاما » الآتى ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٥) فى ا : « أطاع » ، والمثبت فى : ب .

وما فؤادِيَ مُشتاقٌ بمفردِهِ   بل كلُّ عضوٍ إلى لُقياكَ مُشتاقُ

فلذا سَلْسَلتْ رُواةُ الجفون أحاديثَ الدمعِ بعد أن رفَعتْ عنها أثرَ الكرى ، وقالت للشوق المُبرِّح وقد سال شأنُه[1] من شأنِه أنْ يُسيل دمعةً ثم تسأل ما جرَى .

وأدْمَى جوارحي سجعُ الحمام الصّادح ، ولم أر صادحًا هو بسَجْعه للجوارح جارح .

وجرى دمعي ذا ألوان ، فقلت لأخي العجب منه هو ربُّ الحزن فكلَّ يومٍ هو في شأن .

فلا كان الفِراق فلولاه ما باتت الجوانحُ تحترق ، ولا صارت القلوبُ لاستْرِقاق الأشواقِ لها تحت رِقّ .

ولله أيامُ التّدانى ، ففيها كلُّ أمانٍ من الهموم وفيها نلتُ أمانِي .

يا حبَّذا زمنُ التّواصُل إنه   زمنٌ كأحلَا ما يُبلُّ أُوامَا[2]

لكنه وَلَّى كأحْلامٍ فيا   أسَفِي على زمنٍ حكَى أحْلَامَا

وقد آن أن أُرَقِّيَ على هذا المنثور بالمنظوم ، وأُدِيرَ على سمع مولانا منه كأسَ رحيق بمِسْك الفصاحة والبلاغة مختوم .

وأمدحُه بطائية لو رآها الطّائيُّ[3] لقال لاطاقة لي بهذه الطّا ، فهل من طا ، أو أُنشِدت النجوم لطأطأت ، وقالت لكل حرف من رَوِيِّها طَا .

على أنى معترف بأن نظمى لا يقوم بنثر[4] مولانا فإنه ذو النظمِ الأبيّ ، وكيف يقوم نظمى بنظمه وإنّى لو كنتُ أبلغَ من ابن النَّبيه فى النظم لقيل لى : ما أنت كابن النَّبيّ .

ولقد تَطاولتُ إلى مدح مولانا بها مع القُصور ، وسوَّلتْ لى نفسِي بهذه الأبيات ظَنًّا بأنها كالقصور .

---

(١) أحد شئون الدمع .   (٢) فى ا : « كأحلام يبل أواما » ، والمثبت فى : ب ، وقد حافظت على رسم « أحلا » هنا وفيما يأتى لتتم المشاكلة .   (٣) يعنى أبا تمام حبيب بن أوس .

(٤) فى ج : « بنشر » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وإذا سكرتُ فإننى ربُّ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ[1]

وإذا صحوتُ فإننى ربُّ الشُوَيْهَةِ والبعيرِ

ولولا وُدّ حكَم بتصْديقه كلُّ ذى مَنْطِق ، ودَلَّ بالمُطابقة والتضمُّن والالْتزام على أنه فى الصحة مُعْرِق .

وأضحَى حَدُّه جامعا لشروط الصحة مانعاً لكل عِلَلٍ مُفْسِدة ؛ لأن جنسَه القريبَ الإخلاص وفصله التحقيق الذى يُقْصِيه عن البُطْلان ويُبْعِده .

لأطْرَقْتُ إطراقَ الشُّجاعِ ولو رأى مَساغًا لنابَيْهِ الشُّجاعُ لصَمَّمَا[2]

وقَيَّدتْ أقدامُك فكرى عن الخوض فى بُحور القَرِيض، ومنعتْ نفسى من وُقوعها من انْتِقادات مولانا فى الطويل العريض .

لكننى[3] أعلم أنك الحرُّ الذى يجرُّ على الزَّلَّات ذَيْلَ المُسامحة ، وتكسِر الجفْنَ عن الخطيئة كما تكسِره يوم الوغى والمُكافحة .

ولو لم تهزُّه أرْيَحيةٌ عَوَّدكم الذى خلَع على المُلك دِيباجاً لا مِرْطا ، لما قال مُهنِّيًا لكم مَقالَ من أدار على أفْواه المَسامع من نظمِه إسْفَنْطا[4] :

دنَا مَزاراً بعد ماشَطَّا فصيَّر القلبَ له شَطَّا

مُهَفْهَفٌ صارِمُ ألحاظِه لم تنبُ إن قَدَّ وإن قَطَّا

كم عاذلٍ صوَّبَ عشْقى له لمَّا رأى عارِضَه خَطَّا

تظهرُ فى ألحاظِه سَكْرَةٌ وما احْتَسَى ياصاحِ إسْفَنْطَا

كم تاهَ لمَّا أن غدا مالِكاً للخافقيْنِ القلبِ والقُرْطَا[5]

---

(١) البيتان للمنخل بن عامر اليشكرى ، وهما فى الأصمعيات ٦٠ ، ٦١ .
وفيها : « فإذا انتشيت فإننى » .

(٢) أخذه من المتلمس ، وأول بيت المتلمس : « فأطرق إطراق . . . » .
وبيت المتلمس فى : التمثيل والمحاضرة ٣٧٧ ، واللسان (س م م) ٣٤٧/١٢ .

(٣) فى ب : « ولكنى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) الإسفنط : الخمر .

(٥) لعل الصواب : « الخافقين القلب والقرطا » .

قلتُ له ياطلعـــةَ المُشترِي ... مَن باع منكَ القلبَ ما أخْطَا

ظَبْيٌ رعَى منَّا ثمارَ الهوى ... وما رَعَى أثلاً ولا خَمْطَا (١)

أهْيَفُ حاكَتْ لِينَ أعطافِهِ ... سُمْرُ القَنـــا فاعتُقِلتْ سُخْطَا

تجـــلُّدى شكٌّ لدى سُخْطِهِ ... فمَن يَقِينِى إن نوَى الشُّخْطَا (٢)

عرَّض بالزَّوْرةِ من بعـــد أن ... طوَّل فى الهِجْران واشْتطَّا (٣)

فجاءنى مُنْتصِبَ القَـــدِّ قد ... جرَّ من التِّيـــه به المِرْطَا

فى ليـــلةٍ أحببْتُ أن لا أرَى ... للصبحِ فى مَفرِقهـــا وَخْطَا

فلم يزَلْ لى مشهداً جامعاً ... لِلَذَّتى توسِعـــنى غَبْطَا

حتى بدا الصبحُ لنـــا حاكياً ... وجهَ الحُسَين البَرِّ إن أعطَى

سِبْطُ رسولِ الله أزْكَى الورَى ... أرُومـــةً أكْرِمْ به سِبْطَا

تألَّفتْ من دُرَرٍ ذاتُه ... فصار فى جِيدِ العُلَى سِمْطَا

شؤْبوبُ إحْسانٍ وجُودٍ لنـــا ... وجودُه قد أعْـــدَم القَحْطَا (٤)

يرفع للسَّارِين نارَ القِرَى ... فكم بصـــيرٍ أمِن الخَبْطَا

وارِى زِنادِ الرَّأْى كم حاذَرتْ ... أعـــداؤُه من نارِه سِقْطَا

يُستحسَن الدِّرعُ لِباساً على ... جسمٍ لديه يُستخشَن الرَّيْطَا (٥)

كم فرَّ من ثَعْلبِ خَطِّيِّـــه ... لَيثٌ حسِبْنـــاه إذاً قِطَّا

نرجُو له نَقْداً ونخشَى له ... نَقْداً أبى الإبطالَ والإبْطَا (٦)

لَمْقُ المُحَيَّا ظاهرُ البِشْرِ لم ... يَزْوِ بفَوْه خُلْقُـــه السَّبْطَا

---

(١) الخمط : شجر كالسدر، وشجر قاتل . القاموس (خ م ط) .

(٢) فى ا ، ب : «إن نوى الشحطا» ، والمثبت فى : ج . (٣) فى ا : «طول بالهجران واستبطا» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) الشؤبوب : الدفعة من المطر . (٥) فى ب : «جسم له» ، والمثبت فى : ا ، ج . (٦) النقد الأولى : اختلاس النظر نحو الشىء ، والثانية من تمييز الطيب من الخبيث .

قد طاوَل الشمسَ فقُلنـــا له   طإِ الدَّرارِى ياملِيكاً طَأَ

ذُو قلمٍ يرْدِى ويُعْطِى فقـــد   تجانَس الإعْطابُ والإعْطَا

إن قَطَّ قَطَّ رءوسَ العِـــدَى   فما رأيْنــــا مثلَه قَطَّا

مِلكٌ مَهِيبٌ ليس يرضَى سوى الـ   ـجيشِ رسولًا والظُّبا قَطَّا

سَجَّان قد ألْقَتْ ملوكُ الورَى   إليه منهـا القَبْضَ والبَسْطَا [(١)]

أقرَّتِ الخلْقُ بتفضيـــلِه   ولم تُطِقْ جَحْداً ولا غَمْطَا

أدْرَك من شأوِ العُـلَى أغْيدا   مافات عن ذى اللِّمة الشَّمْطَا

لم يخْلُ من إقْراء وَفْدٍ ومِن   إقْراء علمٍ يحسِم الإبطا [(٢)]

فيا أبا المجد استمِع مِدْحةً   خلَتْ عن الإقْواءِ والإيطَا [(٣)]

ابْنَةَ يومٍ غَضَّـــةً لم يقُل   مُنْشِئُهـا هل لك فى شَمْطَا

طائيَّـــةُ الحُسْنِ وطائيَّتُه   قصَّر عنها مَن غـدا فُرُطَا [(٤)]

وقال مالى قطُّ من طاقةٍ   بهــذه الطَّاءِ فهل مِن طَا

إنْشاءُ من إن شاء شُهْبَ الدُّجى   قوافياً أنفَـــدَها لَقْطَا

ما اشترطتْ قطُّ جزاءا لهـــا   سوَى جوابٍ فاجْزِها الشَّرْطَا

***

وكتب إلى القاضى محمد بدر الدين بن الحسن الخيِّمِىّ [(٥)]، هــذه الرسالة، والتزم فيها السِّين .

---

(١) يعنى بسجان : أنه علك أمر الملوك . وفى ج : « سجان من ألقت » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٢) إقراء الأولى ، من القرى ، وهو إكرام الضيف .

(٣) الإقواء فى الشعر : المخالفة بين قوافيه برفع بيت وجر آخر .

والإيطاء فيه : أن يكرر القافية لفظا ومعنى .

(٤) سقط عجز هذا البيت وصدر الذى يليـه من : ج ، وتألف من صدره وعجز التالى بيت فيها ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٥) تقدمت ترجمته برقم ٢٣٢

وهى :

سيّدنا باسِقُ غَرْسِ السّماحة والحماسة ، وسابِقُ فرسان السِّيادة والسياسة ، (١ وشمسُ سماءِ الدامسة (٢) والرِّئاسَة ١) .

المستنيرة (٣) بسيَّارات سماءِ مَحاسنِه سُدَفُ المجالس ، والمستعيرة سِماه المُقدَّسة سُكّانُ المدارس .

مَن إن (٤) رسَم القِرطاسَ قَرْطَس (٥) سهمَ حُسّاده ، أو سوّد سطورَ الطُّروس اسْتنار دامِسُ نِقْسِ سَوادِه .

أو سأل لسانُه الإسْفارَ للأسْفار انْسَلَّ حُسامٌ ماسِح ، أو اسْترسل فى التَّرسُّل فحَسْبُك بقَلَمْسِها (٦) وسَمْلَقِها (٧) سابِح وسائح .

أو حسَّن نَسِيباً أنسى الحِسان ، أو أرسَل فرسَ لَسَنِه أنْسَى لِسَبْق سَحْبان ، فسبحان مُسَوِّى إنسانه شمساً مُسفِرةً بحُسْبان .

سَمِيُّ الرسول ، وسِبْطُ الحسَن .

وبَيْهَسُ (٨) خِيس (٩) سُراة الرِّآسة (١٠) ، ووَسْمِيُّ سُحب سَماحِ الحسْن وسُؤْل مجالسِ سُرُرِ الدِّراسَة .

اتَّسق سَناه سنائِه الوَسِيم ، وانْبَجس سَرِيُّ سائغ إحسانِه القَسِيم .

واستمرَّ مُحْتسِياً كؤُوسَ السعادة ، محسوداً حسَن السَّجايا والسيادة .

---

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .   (٢) كذا فى : ا ، ب . ولم أعرفه .

(٣) فى ج : « المستنير » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٤) ساقط من : ا ، ج ، وهو فى : ب .

(٥) قرطس : أصاب الهدف .   (٦) فى ا ، ب : « بقلسها » ، وفى ج : « بقملسها » ، ولعل الصواب ما أثبته .

والقلمس : البحر الزاخر . القاموس (ق ل م س) .

(٧) السملق : القاع الصفصف . القاموس (س م ل ق) .   (٨) البيهس : الأسد . القاموس (ب هـ س) .

(٩) الخيس : الشجر الكثير الملتف ، وهو موطن الأسد .   (١٠) ما بعد هذا إلى قوله : « وسرت فساه دروسها » الآتى ، ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

مُستَقرِياً السلامَ السلامَ ، محروسةً نفسُه سفينةُ الإسلام .

دارساً لطِرْس ، المُستودَع سَرِيرة نَفْس .

الدَّارسة أساس أُنْسِها ، والقَسرْبَل بسَرابيل بُؤْمِها .

لافتراس سَبُع المُحاسمة الأغبَس ، وسَدِّ شُسوعِه سُبُلَ استدْناء إنسانِه السَّمْح الأحْمَس .

واستبْعاد سُوحِه السَّامى أساسُه ، وعَسْماس تأنِيسِه السَّاطع نِبْراسُه .

وحَسْم تدارُس خَنْدرِيس مُنافستِه ومُجالسته ، وخُسوف سَلِيقة مُؤانستِه ومُراسلتِه .

أَسْتمنحُ القُدْسَ إسْعادى باسْتِدامةِ سُنَّتِه ، فلستُ أستعذِبُ استمرارَ شُسوعِه وتَنامِيَ سُنَّتِه :

لستُ أنساك ومَن ينْسَى سَجَاياك السنيَّهْ
وسُوَيْداىَ لإنسانِك سَفْحٌ وسَرِيَّهْ
ياسليلَ الحسَن السَّمْحِ ومَغْسولَ السَّجِيَّهْ
والحُسَام الماسِح الحُسَّادَ مَسْحاً بالسَّوِيَّهْ
فاستمِعْ سِيرَةَ اسْتِيحاش نفسٍ يُوسُفيَّهْ (١)
سَرَدَتْ سِيناً ولَيْسَتْ بلسانٍ فارسيَّهْ
واسْقِ سمعِى من رِسالاتكَ كأساً سَلْسَلِيَّهْ
والْبَسِ السُّؤْددَ لا مُسْحَ السُّدُوسِ السُّنْدُسيَّهْ (٢)
حرَستْ نفْسَك شمسُ الدَّرْدَبِيسِ الحِنْدِسيَّهْ (٣)

---

(١) فى ا : « نفوس يوسفيه » ، والمثبت فى : ب . (٢) السدوس : الطيلسان الأخضر . القاموس (س د س) . (٣) الدردبيس : خرزة سوداء ، كأن سوادها لون الكبد ، إذا رفعتها واستشففتها رأيتها تشف مثل لون العنبة الحمراء . اللسان (د ر د ب س) ٦/٨١ .

والحندسية : الشديدة الظلمة .

وأسيرُ سَجاياه المُستحسَنة ، أرْسَل الحسناء مُستجْلاةً [1] فى الألْسنة .

فاسْتَبشِرْها فى الاسْتجلاء ، واستقبِلْها بالاسْتحلاء .

ولستُ أسألُه سوى رسالتِه [2] ، يستغفر لشُسوعِه مُواساته .

وحسْبُنا السلام ، وسلامُه على رسولِه سيدِ الإسلام .

* * *

وقد سلَكَ فيها مَسْلَكَ الخطيب الحَصْكَفِيّ [3] ، فى رسالته التى كتب بها إلى القاضى أبى على سعيد بن أحمد بن الحسن بن إسماعيل :

بسم السَّمِيع السَّاتر أسأل مُمسِك السَّماء ، ومُرْسِل السَّماء [4] ، الحسَن الأسماء ، حراسةَ مجلس سيدنا الرئيس ، السيد النَّفِيس .

فنفسى سكْرَى بسُلاف الأسى ، مُتماسكةٌ لشُسوعِه بسوف وعسى .

تُمارس أسَفاً يُسْقِم ، وتستنْجد سُلُوًّا يُسلِم .

أسيرةُ سُجون الوساوِس ، كسيرةُ مَناسِر الدَّهارِس [5] .

السُّهْد سميرى ، والدَّم سَجِيرى [6] .

والسعير مَسْنَدِى ووِسادِى ، والتحسُّر مِجْسَدِى [7] وجِسادِى [8] .

أسهرُ سَهَرَ السَّلِيم ، وأتنفَّس استرْواحا بالنسيم .

---

(١) فى ب : « مستجادة » ، والمثبت فى : ا .   (٢) لعل الأولى : « رسالاته » .

(٣) أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسين الحصكفى الخطيب .

أديب ، نشأ بحصن كيفا ، ثم ورد بغداد ، ومهر فى الأدب ، وتفقه على مذهب الشافعى ، ورجع إلى ميافارقين فاستوطنها ، وتولى بها الخطابة والفتوى ، وانتفع به الناس .

توفى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة .

طبقات الشافعية الكبرى (الطبقة الخامسة) ٤/٣٢٢ ، اللباب ٢/٩٠ ، معجم الأدباء ٢٠/١٨ ، وفيات الأعيان ٥/٢٥١ .

(٤) السماء هنا : السحاب .   (٥) الدهارس : جمع الدهرس ، وهو الخفة والنشاط ، ويقال الداهية أيضاً . القاموس (د هـ ر س) .   (٦) السجير : الخليل الصفى .   (٧) المجسد : القميص الذى يلى البدن .

(٨) الجساد : الزعفران .

إمسائى سَواء والسُّحْرَة [١] ، وسِيَّان يَسارِى والعُسْرة .

وأُقْسِم بسَيْبه الواسِع ، وسَناء حَسَبِه الساطِع .

وسُموق سُؤددِهِ الباسِق ، وسُبوغ إحسانِه السّابق .

لَلاِسْتِسْعاد بأساريرِ وَسامتِه سُولى ، والطِّرْسُ لمُسْتولِى السَّهر والسّقم رَسُولى .

إنسانى مسلوبُ السِّنَة ، ولسانى أخْرسُ الألْسِنة .

أستوحِش بمؤانسةِ الجليس ، وأسْتوخِم بمُجالسة الأنيس .

يُسامِرنى فأسْتَثْقِلُه ، ويُسارُّنى فأستوْبِلُه [٢] .

أسمع وأسكُت فيسْتريب بسمعى سائلا ، وأسْبِل سَبْـكا يسْفح سائِلا ، تحسَب سَجْلَه [٣] للسَّحاب مُساجِلا .

وحسْبى بمُساترة الحُسّاد ، ومُساوَرة الآساد ، يتوسَّلون بأسْباب الفساد ، ويسعَوْن لطَمْس سُبُل السَّداد .

سَقْياً لساعاتٍ بالمَسَرَّة سلَفتْ ، وبسُعودِها شموسُ النحوسِ كُسِفت .

ساعفتْ بالمَحاسن عُروسُها ، وسَرَّتْ فساء دُروسُها :

عسى سامِكُ السَّبْع سبحانه ... يُسهِّل أُنْساً يسرُّ النُّفوسَا [٤]

ويُسْقِى الحسودُ بإسْعادِنا ... كؤوسَ سمامٍ أسًى ليس يُوسَى [٥]

ويسْرِى نَسِيمٌ يُسَرِّى السَّمُومَ ... ويبْسَم سِنٌ يُنَسِّى العُبوسَا

ويُؤْنسنى بسطورِ الرئيسِ ... سعيدٍ لتُمْسِى لسِرِّى عُروسَا

سطورٌ حَنادِسُها كالشموسِ ... تُسْفِر حُسْناً وتُسْمَى طُروسَا

ويسكُت حُسْنُ أبى سالمٍ ... لنرمسه ونحس التيوسَا [٦]

(١) السحرة : السحر الأعلى . (٢) استوبله : عده وبيلا .

(٣) السجل : الدلو العظيمة .

(٤) فى ج : « عسى فاطر السبع » ، والمثبت فى : ا ، ب (٥) فى ج : « كؤوس سهام » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٦) هكذا جاء عجز هذا البيت فى الأصول ، ولم أعرفه .

فلستُ لسالفِ إحْسانِه بناسٍ ولستُ لبُؤْسٍ بؤُوسَا

* * *

ومن مُقطَّعاته قوله ، فيمن اسمه حسين :

لكَ يا أوْحدَ المحاسنِ طَرْفٌ أسدُ الغابِ من سَطاه جبانُ
كيفَ لم يخْشَ طَعْنةً منه نجْلَا ءَ وأنت الحسينُ وهْو سِنانُ

* * *

سنانُ هو سنان بن الأشتر النَّخَعِيّ ، وهو الذى طعن الحسين حتىأرْداه ، ثم احتزَّ رأسه لشَمِر بن ذى الجَوْشَن ، لعنهما الله تعالى .

فالتَّورية فى سنان من مُبتكَراته النادرة .

* * *

وقوله ، وهو من الغايات :

كلَّ يوم يزيد عَذْلُ اللَّواحِي لكَ يا مَن به الفؤادُ عَميدُ[1]
فأطِعْنى بالوصلِ إنِّى مُحِبٌّ واعْصِه يا حُسَينُ فهْو يزِيدُ

* * *

وقوله ، وهو من نُكَته البديعة :

دُكَّ شِمْرًا فى سُوءِ عَذْلِ اللَّواحِي بالتجلِّى للصَّبِّ لاجئتَ أمْرَا[2]
واخْشَه يا حسينُ إن رحْموه واجتنِبْه فقد غدا لكَ شِمْرَا[3]

(١) سقط هذان البيتان من : ج ، وهما فى : ا ، ب . (٢) جاء صدر هذا البيت فى : ج « كل يوم يزيد عذل اللواحى » ، وهو صدر الأول من البيتين المتقدمين ، والمثبت فى : ا ، ب .

و « شمرا » هنا ترخيم « شمراخ » كما سيذكر المؤلف فيما بعد .

والشمراخ : العثكال عليه بسر أوعنب .

(٣) تضبط « شمر » بفتح فكسر ، وبكسرفسكون . انظرالقاموس (ش م ر) .

فإن «شمر» هو ترخيم «شمراخ» ، وقد تقدم أن شِمر هو الذى احتزّ رأسَ الحسين.

***

وقوله ، وهو السِّحر السامِرِىّ ، والبُرْد السَّابِرِىّ[1] :

خلَّدْتني في نارِ هجرِكَ لي ... يا مالكاً لم أَلْقَ رِضْوانَهْ[2]

وسكَنْتَ قلبي يا حسينُ فلِمْ ... يشكو العذابَ وأنتَ رَيْحانَهْ

***

عن ابن عمر[3] ، أن النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، قال : إنَّ « الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ[4] الدُّنيَا » .

وعن مجاهد بن جَبْر[5] صاحب ابن عباس ، قال : مرَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلَّم ، بحائطٍ من حيطان المدينة أو مكَّة ، فسمع صوت إنسانين يُعذَّبان فى قبورهما ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ » .

ثم قال : « كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ » .

ثم دعا بجريدة فكسرها كِسْرتَين ، فوضع على كلٍّ منهما كِسْرة .

فقيل له : يا رسول الله : لِمَ فعلتَ هذا ؟

قال : « لَعَلَّه أن يُخَفَّفَ[6] عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا » أو « أَنْ يَيْبَسَا » أو « إِلَى أَنْ يَيْبَسَا » انتهى .

وقد تأسَّى بفعل النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بُرَيْدةُ الصَّحابِيّ[7] فأمر بوضع الجريدة

---

(١) السابرى : ثوب رقيق جيد . (س ب ر) . (٢) فى ب : « فى نار هجريك لى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وفى : ا ، ب : « لم آلف رضوانه » ، والمثبت فى : ج .

(٣) حديث ابن عمر ، فى صحيح البخارى (باب مناقب الحسن والحسين ، من كتاب مناقب المهاجرين) ٥/٣٣ . (٤) فى الأصل : « فى » ، والمثبت فى صحيح البخارى . (٥) حديث مجاهد ، فى صحيح البخارى (باب من الكبائر ألا يستتر من بوله ، من كتاب الوضوء) ١/٦٤ ، ٦٥ ، وفى (باب الجريد على القبر ، وباب عذاب القبر من الغيبة والبول ، من كتاب الجنائز) ٢/١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، وفى (باب الغيبة ، وباب النميمة من الكبائر ، من كتاب الأدب) ٨/٢٠ ، و ٢١ .

وهو أيضاً فى صحيح مسلم (باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ، من كتاب الطهارة) ١/٢٤٠ ، ٢٤١ . (٦) فى ا : « يخففا » ، وفى ب ، ج : « يخفف الله » ، والمثبت فى الصحيحين .

(٧) هو بريدة بن الحصيب الأسلمى ، كما فى البخارى ، وفتح البارى ١/٣٣٢ .

على قبره ، وهو أَوْلَى أن يُتأسىَّ به[١] .

وأنكره الخطَّابِيّ ، وغيره[٢] .

وقال : إنما هو ببركة يدِه صلى اللهُ عليه وسلَّم ، أو لأمرٍ مُغَيَّب[٣] ، عُلِّل في قوله : « لَيُعَذَّبانِ » إلخ .

ولا يلزم من كَوْننا لا نعلم تعذيبَه ، « أنّا لا »[٤] نتسبَّب في أمرٍ يُخفِّف عنه العذاب .

ولم يزل الناسُ على وضع الرَّيْحان ونحوه من الخُضَر على القبور .

وقد ورد هذا في الأشعار ، كقول العُتْبِيّ ، يرثي ولَده[٥] :

كان رَيْحانِي فأضحَى وهْو رَيْحانُ القبورِ
غَرَسْته في بَساتيـنِ البِلَى أيْدِى الدهورِ

***

ففي قوله في البيتَيْن المتقدِّمين: « وسكنت قلبي يا حسين فلِم » إلخ ، العَقْدُ لِقولِه صلَّى الله عليه وسلم في الحسَنين « هُمَا رَيْحانَتَاىَ » الحديث ، ولِقولِه صلى الله عليه وسلم : « لَعلَّهُ أن يُخَفَّفَ[٦] عنهُمَا » الحديث ، والإشارةُ[٧] إلى ماعليه عملُ الناسِ إلى الآن ، من وَضْع الرَّيْحان على القبور تسبُّبا في تخفيف العذاب .

ومعنى البيت التعجُّب من القلب كيف شكا العذابَ ، وفيه ريحانَة ، مع أنها تُوضَع على قبر المُعذَّب للتخفيف ، تأسِّيًا بفعْل النبيِّ صلى الله عليه وسلم .

ولا يخفَى على ذِي العرفان والذَّوق السليم ، صِحةُ هذا المعنى الذي يتركُ[٨] الحاسدَ الصحيحَ الذِّهن كالسَّليم[٩] .

***

(١) هذا القول في ريحانة الألبا ٢/٣١١ ، وهو شبيه بقول ابن حجر في فتح الباري : « وهو أولى أن يتبع من غيره » . (٢) يعني بغير الخطابي ابن الحاج في المدخل ٣ / ٢٨٠ ، ٢٨١ ، وقد نقل ابن الحاج فيه مقالة الخطابي في شرحه لمعالم سنن أبي داود . (٣) قوله : « أو لأمر مغيب » ، هو من كلام القاضي عياض ، وليس من كلام الخطابي كما يوهم السياق . انظر فتح الباري . (٤) في الأصول : « أن » ، والمثبت في ريحانة الألبا ٢/٣١٠ ، وجل هذا الفصل منقول بالعبارة منها . (٥) البيتان في ريحانة الألبا ٢/٣٠٩ . (٦) في ب ، ج زيادة : « الله » ، والمثبت في : ا ، وتقدم . (٧) معطوف على « العقد » فيكون السياق : ففي قوله . . . العقد لقوله . . ولقوله . . والإشارة . .

(٨) في ا ، ب : « يتركه » ، والمثبت في : ج . (٩) السليم : الملدوغ .

٢٣٨
~~٢١٩~~

السيد على بن صلاح الدَّيْلَمِىّ

نسبةٌ إلى الإمام الناصر الدَّيْلَمِىّ ، الذى دعَا فى الدَّيْلَم ، ثم خرج إلى أرض اليمن .
صاحبُ بيت فى الرِّياسة صَميم ، وفضل على[1] المَكْرُمات عَمِيم .
تميَّز من بين أَكْفائه بالكِفاية ، واحتفَّ دون خُلفائه بالحفاية .
فظهر فضلُه الأبْيَن ، وبهر أدبُه الأزْيَن .

***

وأشعاره للبراعة سَوالِب ، وهى للصِّناعة جَوالِب جَوالِب .
فمنها قوله[2] فى الغزل[2] :

صَبٌّ يُماطِل قلبَه الوَصْلَا	لم تسْلُ عن أهلِ الحمَى أصْلَا
ما انْهلَّ فى حَىٍّ مَدامعُه	إلَّا ولم يجدُوا به مَحْلَا
وإذا شَدَا غنَّتْ مُطوَّقةٌ	وتبادَرتْ لحنينِها الثَّكْلَى
كم ضَلَّ يجأر بالنِّدا كَلِفاً	يا أهلَ سَفْح المُنحنَى مَهْلَا
أللهَ فى صبٍّ أقامَ على	نارِ الغرامِ وحَرِّها يَصْلَى
ذابتْ حُشاشتُه فأرْسَلها	مَثَلا بصفحة خدِّه تُتْلَى
وتباعَد الصبرُ الجميلُ كما	بَعُدَ المَزارُ وقوَّض الرَّحْلَا
وخَريدةٍ لانَتْ مَعاطفُها	وقسَتْ فؤادًا وانْثَنتْ خَجْلَى
فى جِيدِها هَيَفٌ وقامتُها	رَيَّانةٌ للهِ ما أحْلَى
تبدُو كما يبدُو الصباحُ إذا انْـ	ـجابتْ غدائرُهَا لتُسْتَجْلَى

---

(١) فى ج : « فى » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٢) زيادة من : ج ، على ما فى : ا ، ب

فتُرِيكَ بَرْقاً من ثَنِيَّتِها   لَمَعانُه يستهترُ العقلا (١)

وكلؤلؤٍ أُلقِي على صَدَفٍ   رشحَ الجبينُ وقدرُه أعْلَى

يا سائقَ الوَجْناء مُعْتسِفاً   أدْركتَ من بُرَحائك النَّبْلَا

كيف السبيلُ إلى مُواصلةٍ   تُدْني الدِّيارَ وتجمعُ الشَّمْلَا

بِي مثلُ مابك والنَّظائرُ في   ما بينها تتعارفُ الحَمْلَا (٢)

فاحملْ أخًا قعَـد الزمانُ به   وعَدا عليـه البَيْنُ واستولَى

حتى تُبَلِّغـه ذُرَا مَلِكٍ   يهوى النَّوالَ ويمنحُ الجزْلَا

ويرُوع جَيْشَ الهمِّ إن فتكَتْ   بعُفاتِه ويسُومُهـا قَتْلَا

بكَرائمٍ لا يستقيم لهـا   خَطْبُ النوائبِ قَلَّ أو جَلَّا

ومَكارمٍ تكسُو العُلَى حُلَلًا   يَبْلَى الزمانُ بهـا ولا تَبْلَى

من مَعْشرٍ سَلَكُوا بسَعْيِهمُ   في الصَّالحاتِ طريقةً مُثْلَى

ونَضَوْا لنصرِ الدِّين مُرْهَفةً   أضحتْ أعاديه بهـا قَتْلَى

حَسْبُ الليالي أنهـا جمعتْ   بين الفَخارِ وأهلِه شَمْلَا

وأتتْ بمَلْكٍ جَلَّ عن شَبَهٍ   مَلَأَ البَسيطةَ سيفُه عَدْلَا

لا يَرْتضِى العَلْيَا سِواه لهـا   في الأكْرَمِين جميعهم عِدْلَا

☆☆☆

---

(١) الهتر ، بالضم : ذهاب العقل . القاموس (هـ ت ر)   (٢) في ب : « تتفارق الحمـلا » ، والمثبت في : ا ، ج

٢٣٩

السيد محمد بن الهادى الدَّيْلَمِيّ القُطَابِرِيّ [١]

شمسُ فضلٍ يضيء به الزمنُ البَهِيم ، وبحرُ أدبٍ تروى به العِطاشُ الهِيم .

له [٢] من الفضل لُبُّ اللُّباب ، ومن الأدب ماتصبو إليه أولو الألباب .

***

وقد رأيتُ له قصيدةً على حرف العين ، فقلتُ : عليها عينُ الله من العين .

ثم أثبتُّها مُتنافِساً فيها حُسْنا ولُطْفا ، وهاهى كالخَود الرَّداح [٣] تهتزُّ من دَلِّها رِدْفًا وعِطْفا .

وقد كتب بها إلى الحسين المُهلا [٤] .

ومطلعها [٥] :

عُجْ بالغضا ولَعْلَعٍ ... ورامـــة والأجرعِ [٦]

وقِفْ هنـــاك مُعْلِناً ... بصوتِك المرجَّـــعِ

واسألْ أُهَيْـلَ المُنحنَى ... عن قلبِيَ المُستودَعِ

قلبٌ به نارُ الهـــوى ... والوجـــدُ بين أضلعِى

مَن لامرِىءٍ دموعُـــه ... فى الخـــدِّ أىّ هُمَّعِ

يَبكى اللُّوَيْلاتِ التى ... سلامُهـــا تودِّعِى [٧]

ليـــلاتُ وصـــلٍ عبرتْ ... عُبورَ برْقٍ مُسرِعِ

---

(١) قطابر ، كعلابط : موضع باليمن . القاموس (ق ط ر) . (٢) فى ج : « وله » ، والمثبت فى ا ، ب

(٣) الخود : المرأة الشابة ، والرداح : الثقيلة الأوراك . (٤) تقدمت ترجمته برقم ٢١٧ ، صفحة ٣٧٦ ، من هذا الجزء . (٥) فى ج : « وهى » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٦) فى ج : « لح بالغضا » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٧) فى ا ، ب : « سلامها تودع » ، والمثبت فى : ج .

أيامَ لي ثوبُ الصِّبـا　　وصَفْوُهُ تدرُّعِي [1]

سقى الحيـا زمانَه　　وعيشُنـا ذاك رُعِي

آهفي على مواقفٍ　　مضَتْ بذاك المَرْبَعِ

كنتُ بهـا في غفلةٍ　　ونِعْمـةٍ لم تُنزَعِ [2]

وشادنٍ جَفْـوتُه　　نِبالُهـا لم تُدْفَعِ

واصَلـنِي تكرُّماً　　طبعاً بلا تطبُّـعِ

فليت شِعْرِي ماله　　شَطَّ على المُولَّعِ [3]

آهٍ على العيشِ الذي　　طـال له توجُّعِي

نُديرُ كاساتِ الطِّـلَى　　بلفظِ نَدْبٍ ألْمَعِي

في حَيِّ حَيٍّ كلُّهمْ　　كالبدرِ عنـد المَطلَعِ

شموسُ عـلمٍ نورُهمْ　　مازال ذا تشَعْشُعِ

من آلِ طه مَعْشرٍ　　ذوِي السُّيوفِ القُطَّعِ

ليوثُ حربٍ إن دُعُـوا　　لبَّوا ببطْشِ الأنْزَعِ

أكْرِمْ بهم من سادةٍ　　صـدور كلِّ مَجْمَعِ

وأنت ياسعـدُ إذا　　نُودِيتَ يوماً فاسْمَـعِ

أبْلِـغْ حُسَينـا مَن له　　في المجدِ خـيرُ موضـعِ

قاضي القضـاةِ يالَه　　من عالمٍ وأَرْوَعِ [4]

بُورِكَ للعـالَمِ في　　حيـاتِه والمَرْبَعِ

فخلِّني من غـيرِه　　كم صَنَمٍ مُلَفَّعِ [5]

---

(١) في ا ، ب : « وصفوه تدرع » ، والمثبت في : ج .　　(٢) في ج : « ولمعة لم تنزع » ، والمثبت في : ا ، ب.　　(٣) في ج : « من المولع » ، والمثبت في : ا ، ب.　　(٤) في ج : « من عالم وأورع » والمثبت في : ا ، ب .　　(٥) في ا : « كم صنم مقطع » ، والمثبت في : ب ، ج .
والتلفع : التلحف . انظر القاموس (ل ف ع)

أَكْرِمْ بِهِ مِنْ عَلَمٍ وعالِمٍ مُمَتَّعِ
وباسِلٍ عرَفْتُهُ بالكفِّ عارِى الأَشْجَعِ (١)
إِنْ صَرَفَ الدهرُ ولم يَجُزْ ولَمَّا يَمْنَعِ (٢)
يَمْنَعْهُ مُسلَّماً بحالةِ المُودِّعِ

***

ومن جواب القاضى له :

يا ابنَ الوَصِيِّ الأَرْوَعِ ونورَ كلِّ مَجْمَعِ (٣)
نَجْلَ النبيِّ مَن له قال الإلهُ فاصْدَعِ
ومَن غَدا بُرْهانُهُ فى العلمِ أىَّ مَرْجِعِ
وافَى إلىَّ نَظْمُهُ كزهرِ روضٍ مُمْرِعِ
فى جَنَّةٍ راقتْ لدَى فضلٍ بتلك مُولَعِ
أنهارُها كفضةٍ تجرى بتلك الأَرْبُعِ

ومنها :

كأنما مرَّتْ على سُوحِ العظيمِ الأَرْوَعِ (٤)
محمدٍ مَن عِلْمُهُ فى الناسِ ذُو تَنَوُّعِ
وإنْ بَدَا فى مَحْفَلٍ مُشَرَّفٍ مُمَنَّعِ
رأيتَ بحراً زاخِراً أمواجُهُ لم تُدْفَعِ
يُمْلِى عُلوماً جَمَّةً لِمُسْمَعٍ ومُسْمِعِ (٥)

---

(١) فى الأصول : « عارى الأسجع » ، ولعل الصواب ما أثبته .
والأشجع : واحد الأشاجع ، وهى أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف . القاموس (ش ج ع) ويوصف الأسد بأنه عارى الأشاجع . اللسان (ش ج ع) ٨/١٧٤ .
(١) فى ج : « يجر ويمنع » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٣) فى ج : « الوصى الأورع » ، والمثبت فى : ا ، ب (٤) فى ا : « العظيم الأورع » ، وفى ج : « العظيم الأدرع » ، والمثبت فى : ب .
(٥) فى ج : « كسمع ومسمع » ، والمثبت فى : ا ، ب .

يروِى الحديثَ مُسْنَداً وإن يُحدِّثْ يرْفَعِ
مُدبَّجاً ومُرسَلاً كالغيْثِ إمَّا يهْمِعِ
مُعَنْعِنا مُعْضَلَه مُسَلْسِلا لَمن يَعِى[1]
كم خبرٍ منه لنا غريبُه لم يرجِعِ
يُزِيلُ كلَّ مُنكَرٍ موضوعُه لم يُسْمَعِ

وهى طويلة .

* * *

ومما كتبه إلى الحسين أيضا ، قوله :

لئن صُرِفتْ عنِّى الهمومُ الطَّوارِقُ ... وساعَدنى دهرى وما عاق عائقُ
وأيَّدنى ربُّ العِباد بنصْرِه ... وتأييدِه لم أخْشَ ما قال فاسقُ
وحَسْبُ الفتى أن يتَّقِى اللهَ ربَّه ... وماغضبُ المخلوقِ إن يرضَ خالقُ
فقُل للألى قد يحسدونى على العُلَى ... لِحَيتُمْ أمَا فيكم مدَى الدهرِ صادقُ
تبِيتُ كأعْيان الغوانى عيونُكم ... تمَلَّكُم عند الخمُولِ النَّمارِقُ[2]
ولى مُقَلٌ سُهْرُ الجفونِ ومِفْرَشى ... سُروجُ المَذاكِى والحسامُ المُعانِقُ[3]
وسَرْدُ الدِّلاصِ الزَّغْفِ أشْرَفُ مَلْبَسٍ ... علىَّ وللنَّقْعِ الكثيفِ سُرادِقُ[4]
ولى عَزَماتٌ تسلُب الليثَ شِبْلَه ... وعزمٌ له تعنُو الذُّرَى والشَّواهِقُ
ورأىٌ إذا أعملْتُه فى مُلِمَّةٍ ... يفُلُّ فِرِنْدَ السيفِ والسيفُ فالِقُ
سَجِيَّةَ آباءٍ كِرامٍ غَطارِفٍ ... إلى المجدِ سبَّاقٌ وإنِّى للاحِقُ
تمَنَّتهم إلى العَلْيا نفوسٌ كريمةٌ ... تخاف أعاديها وترجو الأصادقُ[5]

---

(١) فى ج : « مسلسل لمن يعى » ، والمثبت فى : ا ، ب .
والمعضل : ما سقط من سنده اثنان فصاعدا مع التوالى .
انظر شرح نخبة الفكر ٢٨ .
(٢) فى ب : « ثبات كأعيان الغوانى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) المذاكى : الخيول التى كملت قوتها .
(٤) السرد : حلق الدرع ، والدلاص : الدرع اللينة الملساء . ودرع زغيف : واسعة محكمة حسنة السلاسل .
(٥) فى ا : « تخاف أعاليها » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وما هى إلّا نعمةٌ قد تحدّثتْ ... بهـا شفتى والحرُّ بالحقّ ناطِقُ

أيا سعدُ عُجْ بالحسـين الذى له ... علومٌ لها بحرٌ على الناسِ دافقُ(١)

فتًى يُدْهِش الأبصارَ رأيًا وحِكمةً ... وعلمًا وحِلْمـا فهْو للنفسِ خارِقُ

ونادِ بناديه وقـل يا ابن ناصرٍ ... عليك سلامُ الله ما ذرَّ شارِقُ

لقدأُرعدتْ فى الأرض من قبل صَبْوتِى الا ... ـشـامِ وللأوباشِ ثَمّ بَوارِقُ

وما صَوْلتِى لولا الإمام لقـولِه ... فبُورِكَ قولًا فهو للخير سابقُ(٢)

أتتْ نحوه منك الطُّروسُ مُذكِّرا ... فلَبّتْـك منه بيضُه والسَّوابقُ

يقودهمُ مَن ليس للخَصْم مَدْخَلٌ ... عليه ولا للقِرْنِ إن ضاق مَأزقُ

فتًى شبَّ فى نَصْرِ الخليفـة جاهداً ... وشاب وما شاب الزمانُ الغُرانِقُ(٣)

وقام بأمرِ الحقّ عن أمرِ قائمٍ ... هو العدلُ إن حار اللئيمُ المنافقُ

وأنْقَذَ سُبْلاً للمساكين لم يزلْ ... بها ماردٌ طاغٍ وما زال مارِقُ(٤)

وجاء معى وجـهٌ من الحقّ أبلَجٌ ... أضاء به الإسـلامُ فالغمُّ زاهقُ

ولـكنني أدعوه دعـوةَ وامقٍ ... ونَفْثَةَ مَصْدورٍ به الصدرُ ضائقُ

ذَوِى البَغْىِ فى الأصْفاد حرب وآخر ... له شُبُهاتٌ وهْو واللهِ سارقُ(٥)

لعـلَّ أميرَ المؤمنين يُحقق الّـ ... ـذى قلتُ أو يدرِى لما أنا راشِقُ

ومَن يعـلم التَّمليح غير خليفةٍ ... ولولاه ما فى الخلقِ أروعُ حاذِقُ(٦)

وكيف يصِحُّ الجسمُ والرأسُ مُوجَعٌ ... وكيف يُنير العدلُ والجَوْرُ آنقُ(٧)

إليـك على بُعْدِ الديارِ نصيحةٌ ... لها الوُدُّ والإخلاصُ داعٍ وسابِقُ

---

(١) صدر البيت مضطرب الوزن . (٢) فى ج : « فبورك قبولا » ، والمثبت فى ا ، ب .

(٣) زمان غرانق : شاب ، وشباب الزمان ، رخاؤه ورفاهية العيش فيه .

(٤) فى ب ، ج : « وأنقذت سبلا » ، والمثبت فى : ا . (٥) هكذا ورد صدر البيت فى الأصول ، ولعله بتقدير « قيد » أو « ضم » ، ولعل الصواب على هذا « فى الأصفاد حزب » .

(٦) فى ب : « ومن يعلم التمليح » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٧) هكذا فى الأصول : « والجور آنق » ، ولعله يريد أنه مطبق بظلمته كظلمة الأنوق ، وهو طائر أسود . انظر القاموس (أ ن ق) .

فإن نطقتْ عنّى بحقٍّ فأهلُه ... وإن كذبتْ فالمجدُ عندىَ طالقُ

ويا أيها القاضِى المزَبْرُ وخيرَ مَن ... يُنادَى إذا ما الظلمُ للرِّفْقِ ماحِقُ

سلامٌ عليكم بعد جَدِّى وآلِه ... سلامَ امرِئٍ إن رُمْتَه لا يُنافِقُ

تحيــــةَ ذِى قلبٍ تحرّقَ بالجوَى ... ولِمْ لا وقد قَلَّ الوَلِىُّ المُصادِقُ

ولولاكَ فى هذِى الرُّبَى للفيتها ... وأوحيتها ما لاح فى الجوِّ بارِقُ (١)

وإخوتُكَ الصِّيدُ الكرامُ عليهمُ ... تحيــــةُ صَبٍّ بالمَوَدَّةِ واثِقُ

يقول إذا ما ضَمَّ شَمْـلِى بشَمْلِكم ... فَرِيقًا هوًى منا مَشُوق وشائِقُ

❊



(١) فى ا : «فى هذا الربى» ، والمثبت فى : ب ، ج ، وفى الأصول هكذا : « للفيتها * وأوحيتها ..»

٢٤٠

السيد محمد بن صلاح بن الهادى *

من سُراة اليمَن وأشرافِه ، يقطرُ ماء النَّباهة من أطرافِه .

له السَّبْق فى الجهاد ، ونَظْمُ أعمالِ الجِبال والوِهاد

وقد وَلِيَ الأعمال بأبى عريش وجازان(١) ، فزاد شرفُهما بقَدْرِه وزان .

وله فى الأئمة(٢) بنى القاسم مدائحُ قالها تحبُّباً لا تكسُّبا ، وعمَر بها مجالسهم تقرُّبا لا تحسُّبا .

تحظِيَ عندهم بإكرامٍ وإعْزاز ، ووضَع ثوبَ نفاستِه فى يَدَىْ بزَّاز .

* * *

وهو فى الشعر ممَّن نشر وَشْياً محُوكا ، ونظَم دُرًّا محْبُوكا ، ومنَح ذهباً مسبوكا .

وقد أثبتُّ من عيون أشعاره هذه العَيْنيَّة ، وهى كما ترى روضةٌ تهدَّلت أغصانُها بالثمار الجَنيَّة .

وقد كتب بها إلى الناصر المُهلَّا(٣) ، ولم يبلُغنى منها إلا المقدار الذى كتبتُه(٤) :

لستُ أنْسَى رقَّةَ العيشِ الذى ... زاد فى الرِّقَّةِ حتى انقْطَعَا

فى رُبَى الشَّجْعَة كُنَّا جيرةً ... وأخِـلَّائى وأخْدانِى مَعاً(٥)

جنةٌ عندى رُباهَا زُخْرِفتْ ... سِيًّا والـكَرْمُ فيها أيْنعَا

وسقَى اللهُ لُيَيْـــلاتِ الحِمَى ... وكلاه وحَمَـــاه ورَعا

(*) ذكره الشروانى فى حديقة الأفراح ٢٤ .

(١) جازان : موضع فى طريق حاج صنعاء . معجم البلدان ٢/ ٧ . (٢) فى ا : «أئمة» والمثبت فى : ب ، ج

(٣) تقدمت ترجمته برقم ٢١٥ . (٤) القصيدة فى حديقة الأفراح ٢٤ .

(٥) فى معجم البلدان ٣/ ٢٦١ : « شجعى » ، بوزن سكرى : موضع .

وصديقاً زارني من بعدما ... بجلابيبِ الظلامِ أدَّرعا
قطعَ البيداءَ نحوي مسرعاً ... والفيافي والموامي قطعا[1]
زار كالطيف اختلاساً ومضى ... ثم ما سلَّم حتى ودَّعا
أودع القلبَ أسىً إذ ودَّعا ... لجميلُ الصبرِ مني امتنعا
وسعى الحادي به مستخفراً ... ليته يا قلبُ ما كان سعى
إن يكن لذَّ لسمعي خبرٌ ... بعد أن فارقتكم لا سمعا
أو ظننتم أن جفني هاجعٌ ... فلعمري بعدكم ما هجعا
عيلَ صبري إذ رحلتم جزعاً ... وفؤادي ذاب فيكم ولعا
كان ينهاني الحيا أن أشتكي ... فغرامي لحيائي منعا
فاقصدا الناصرَ فضلاً إنه ... خيرُ بحرٍ للمعاني جمعا[2]
واسألا لي من نداه دعوةً ... فهو برٌّ ومجابٌ إن دعا

☆☆☆

---

(١) الموامي : جمع موماة ، وهي الفلاة لا ماء فيها .

(٢) لم يرد هذا البيت والذي بعده في حديقة الأفراح .

٢٤١

السّيد يحيىٰ بن أحمد بن صلاح بن الهادى الوَشَلِىّ(١)

فرعٌ من دَوْحة السيادة أوْرَق وأثْمر، وهلالٌ فى أُفق النَّجابة أمدَّه النُّور الإلٰهىّ فأبْدَر وأقْمر.

وآباؤه صَناديد ضَراغم، طَأْطَأ لهم السُّؤددُ وهو راغم.

لهم الشرفُ الذى أرْبَى على كل شرَف، واحْتوى على أدوات المعالى من كلِّ طرَف.

فكان فيهم سَحْبانَ يسحَب ذَيْلَ فصاحتِه، وحاتمًا يُقيم رسمَ سَماحتِه.

وحَسِيبُهم هذا كالمُسِند كلما كبِر ساد، وكالذهب كلما سبكَتْه السُّنون زاد.

* * *

وله من الشعر بدائعُ ألطفُ من سُلافة المصير، وروائع أشهَى من رَبيبات المَقاصير.

فمن جيِّده قوله، من قصيدة، أولها:

حَمَى النومَ بَرْقٌ جاء من جانبِ الحِمَى ... يلُوح فأبكَى العينَ لَمّا تبَسَّما(٢)

وحرَّكَ أشجانًا وهيَّج لَوْعةً ... وأوْدَع نِيرانًا بقلبِى وأضْرَمَا

وذكَّرنى عهدًا وما كنتُ ناسيًا ... لعهدٍ مضَى بالرَّقْمتَيْن وإنّما(٣)

يُجدِّد ذِكْرًا فوق ذِكرٍ فأنْثنِى ... مُبيحا لما قد كان منى مُكتَّمَا

رعَى اللهُ سُكّانَ الحِمَى وحِمَاهمُ ... ولَذَّةَ عيشٍ طاب فيه ومَغْنَمَا(٤)

وأيامَ أُنْسٍ قد مضَتْ ولياليًا ... تقضَّتْ به والضِّدُّ فى عينِه عَمَى

---

(١) نسبة إلى الوشل، وهو اسم جبل عظيم بناحية تهامة. معجم البلدان ٤/٩٣٠.

(٢) فى ج: «حمى اليوم»، والمثبت فى: ا، ب. (٣) الرقتان: قريتان بين البصرة والنباج. معجم البلدان ٢/٨٠١.

(٤) فى ج: «سكان الحمى ورعاهم»، والمثبت فى: ا، ب.

وروضا أرِيضًا كم نعِمْنـــا بظلِّه ... وظلًّا ظليلا كان للصَّبِّ مَغْنَمًا (١)

سحَبنـــا به ذيْلَ المَسَرةِ بُرْهةً ... من الدهرِ لا نَلوِى على كاشحٍ رَمَى

فلِلّهِ من ظلٍ مَدِيدٍ ومَجْمَـــعٍ ... سعيدٍ ومن عيشٍ رغيدٍ تقــدَّمَا

وحَيَّى الحَيَا تلك المعاهدَ والرُّبَى ... هَنِيًّا إذا وافَى رَوِيًّا إذا هَمَى (٢)

حدائقُ عَلْيـــا صافحتْها يدُ الصَّبا ... صَباحًا وزارتْهـــا الشَّمالُ مُعتِّمَا

أُعلِّل قلبـــاً بادِّكارِ مواطنٍ ... فيزْدادُ وَجْدا بالتذكُّرِ كُلَّمَا

وما بالُ قلبى خافق كُلَّمَا سَرَى ... نسيمٌ أمِنْه خَفْقَـــةٌ قد تعلَّمَا (٣)

أقول إذا الحادِى ترنَّم شادِيًا ... رُوَيْدَكَ قد هيَّجْتَ قلبـــا مُتَيَّمَا

وإن جَدَّ ليلى زاد ما بِى من الجوَى ... فنومِى على الأجْفانِ إذ ذاكَ حُرِّمَا

ولا غرْوَ مَن يَلقى كوَجْدِى يرَى بِما ... يُقاسِيه أسْقامًا ووَجْدًا مخيِّمَا

أحِبَّـــةَ قلبى هل لأيَّامِنا التى ... مضتْ من إيابٍ أو تعود إلى الحِمَى

وهل ذلك الروضُ الأرِيضُ وعَيْشُه الرَّ ... قيقُ كما قد كان فيما تقـــدَّمَا

فشَوقى إلى ذاكَ الحِمَى شوقُ صادِىٍ ... إلى الماءِ يوماً قد أضرَّ به الظَّمَا (٤)

ووجْدِى بهم وَجْدُ الحسين بنِ ناصرِ بْـ ... ـنِ عبد الحفيظ النَّدْبِ أفضل مَن سَمَا

بِجَمْعِ المعالى من طَرِيفٍ وتالِدٍ ... نسِينا به أخبارَ من قد تقـــدَّمَا

إذا قال لم يتْرُكْ مقالًا لقائلٍ ... فما قُسٌّ فى إبْداعِـــه إن تــكلَّمَا

وما ابنُ هلالٍ فى مَلاحـــةِ خَطِّهِ ... وما ابنُ عميدٍ فى البلاغة دَعْهُمَا (٥)

له رتبةٌ قَمْساءُ ماقطُّ نالَهـــا ... سِواه ولو كان السِّماكان سُلَّمَا (٦)

---

(١) فى : ب ، ج : « وظلا مديداً » ، والمثبت فى : ا (٢) فى : ا ، ب : « هنيا إذا وفى » والمثبت فى : ج . (٣) كذا بالأصول : « قلبى خافق » . (٤) أثبت الشاعر ياء المنقوص فى « صادى » لضرورة الوزن . (٥) يعنى بابن هلال أبا الحسن على بن هلال ، المعروف بابن البواب .

الذى هذب طريقة ابن مقلة وحسنها ، وكانت وفاته سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة .

البداية والنهاية ١٢/ ١٤ ، وفيات الأعيان ٣/ ٢٨ .

(٦) السماكان : الأعزل والرامح : نجمان نيران . القاموس (س م ك) .

إذا زُرتَه شاهدتَ فى الأُنْسِ روضةً ... وفى فضلِه شَمْساً وفى العلم خِضْرِماً (١)

لمجلسِ علمٍ لو تعــدَّاه ضَيْغَمٌ ... تأدَّب إجْــلالاً له وتحرَّما

علومٌ طغَتْ أمْواجُهــا فتلاطَمتْ ... وصــدرٌ رحيبٌ كالخِضَمِّ إذا طَما

منها :

لقــد ضلَّ مَن يبْغِى عُلاك جهالةً ... ودون عُلاك النجمُ أقربُ مُرْتَمَى

ولو بابْنِ حَيُّوسٍ دنَا منك وقتُه ... لَعاد بما تُولِيه منك مُعظماً (٢)

وجاوَرَ لُقْمانا وشاهَــد يُوسفاً ... وخاطَب سَحْبانا وأمَّ يَلَمْلَماَ (٣)

فكم ليلِ شَكٍّ قد جلَيْتَ ومَسْمَعٍ ... مَلَيْتَ وكم أوْضَحتَ ما كان مُبْهَما

وكم عُقَدٍ أحْلَلْتَها وأحَلْتَهــا ... وكم نُوَبٍ أجْلَيْتَهــا مُتكرِّماً

وليس لِما أبرمْتَ نعرفُ ناقِضاً ... ولا لمقــالٍ أنت تنقُض مُبْرِماَ

(١) الخضرم : البحر المطمطم . القاموس (خ ض ر م) .

(٢) فى ا ، ب : « دنا منه وقته » ، والمثبت فى : ج .

ويعنى بابن حيوس الأمير أبا الفتيان محمد بن سلطان بن محمد .

شاعر دمشق ، كان يمدح وزراء الفاطميين ، ثم رحل إلى حلب ، وانقطع إلى بنى مرداس يمدحهم .

توفى سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة .

مقدمة ديوانه ، والوافى بالوفيات ٣/١١٨ ، وفيات الأعيان ٤/٦٤ .

(٣) يلملم : ميقات أهل اليمن ، وهو موضع على ليلتين من مكة . معجم البلدان ٤/١٠٢٥ .

٢٤٢

السيد محمد بن أحمد بن الإمام المؤيَّد بن عليّ بن جبريل *

سيِّد بهر بحُسْن خُلُقه وخَلْقِه ، ولقد أطلق عِنانَه فى المَكارم فلم يدرِك أحدٌ شأْوَ طَلْقِه .

محاسنُه سافِرة القِناع ، ومَحامدُه يتمُّ بها وحدَها الإقناع .

ولَّاه المتوكل بندرَ المَخا فأُحمِدت سِيرتُه ، وظهرتْ عن سِرِّ الكِناية [1] سَريرتُه فأمدَّه بالمعونة المُتبيِّنة ، واستظْهر له الرعايةَ المُتعيِّنة .

فلم يزل حتى طوَى من مَسافة العمر المَراحل ، وانتهى من لُجَّة بحر الحياة إلى السَّاحل .

* * *

وقد أثبت له من شعره السَّهل الانقياد ، ما استوفَى الحسنَ جملةً فلم يبْقَ فيه محلٌّ لازْدِياد .

(*) السيد محمد بن أحمد بن الإمام الحسن بن داود بن الحسن بن الإمام الناصر بن الإمام عز الدين بن الحسن بن على بن المؤيد بن جبريل .

هكذا أورد المحبي نسبه فى خلاصة الأثر .

وذكر زبارة فى ملحق البدر الطالع ، أنه السيد محمد بن أحمد بن الحسن بن على بن داود الحسنى .

وهو عالم فاضل ، وسيد شجاع .

قرأ بصنعاء وصعدة ، وصبر على مشاق الوقت حتى أفضت به إلى محل من الخير لا يدرك .

وكان يشارك فى المهمات ، ويقود الجيوش لبنى القاسم .

تولى فى زمن الحسن بن القاسم العدين ، وضم إليه فى أيام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم حيس من تهامة ، وبندر المخا .

ولما كان الحج الكبير ، سنة ثلاث وخمسين ، وكان فيه جلة بنى القاسم ، جعله الإمام المؤيد بالله محمد ابن القاسم أميراً عليهم جميعاً .

وللسيد محمد شرح على « كافية ابن الحاجب » ، سماه « تحفة الطالب وزلفة الراغب » ، وله « شرح على الهداية » فى الفقه ، و « ديوان شعر » .

توفى سنة اثنتين وستين وألف ، ببندر المخا ، ونقل إلى حيس فدفن بها .

خلاصة الأثر ٣/٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ملحق البدر الطالع ١٩٣ .

(١) لعل الصواب : « الكفاية » .

فمنه قوله [1] :

طَرَبٌ يهيجُ اليَعْمَلاتِ سَبانِ ... وجـوًى بأطْباقِ الفؤاد ذَوانِي [2]

وتَعلُّلِي بَخِلتْ به رِيحُ الصَّبـــا ... وتصبُّرِي كَرُمتْ به أجْفانِي [3]

إن الحبيب وقـــد تناءتْ دارُه ... أغْرَى فُؤادَ الصبِّ بالأحْزانِ

لو زارني طَيْفُ الكَرَى مُتفضِّلاً ... بجمالِه وحـــديثِه لشفانِي [4]

أو لو تفضَّـــل بالوِصالِ تـكرُّماً ... أصبحتُ مِن قَتْـــلاه بالإحْسانِ

ياعاذِلِي دَعْـــنِي فلستُ بمُرْعَوٍ ... عَذْلُ العِدَى ضَرْبٌ من الهَذَيانِ [5]

من مديحها :

لولا طلوعُ الشمسِ فى كبدِ السَّما ... خِلْناه أشْرَفَ مِن علَى كِيوانِ [6]

فـكأنه السفَّاحُ منصورُ اللِّوَا ... جاءتْ صـــوارِمُه على مَرْوانِ

وكأنه الهـــادِي بنُورِ جَبِينِه ... وكأنني المَهْـدِيُّ فى إذْعانِي [7]

وكأن نُورَ جَبِينِه من يوسُفٍ ... فأنا الرَّشِيـــدُ به إلى الإيمانِ

يا أيهـــا المأمونُ عند إلهِه ... والمُتبِـــعُ الإحسانَ بالإحْسانِ

والحاشرُ الماحِي المُؤمَّـــل للورَى ... تحت اللِّوَا ذُخْراً إلى الرحمنِ [8]

الجارُ والرَّحِمُ الذى أوصَى به ... ربُّ السما ودعاكَ بالإعْـــلانِ

فاللهَ فىَّ أبا شَبِيرٍ وشَـــبَّرٍ ... كيلا أخافَ طوارقَ الحِـدْثانِ [9]

⁂

(١) القصيدة فى خلاصة الأثر ٣/٣٨٥ . (٢) اليعملات : النوق النجيبة المطبوعة على العمل .

(٣) فى ا ، ب : « الريح الصبا » ، وفى خلاصة الأثر : « ريق الصبا » ، والمثبت فى : ج .

(٤) فى خلاصة الأثر : « لوزار فى طيف الكرى » . (٥) فى خلاصة الأثر : « يا عاذلى عنى » .

(٦) كيوان : هو زحل .

وفى الخلاصة : « من علا كيوان » .

(٧) فى ا ، ج : « فى إذعان » ، والمثبت فى : ب .

وهو يشير فى هذا البيت السابق عليه والتالى له إلى بعض خلفاء بنى العباس .

(٨) فى ا ، ج : « ذخر إلى الرحمن » ، والمثبت فى : ب . (٩) فى الأصول: « أبا بشير وشبر » ، والمثبت فى الخلاصة .

وشبير وشبر ، أبناء هارون عليه السلام ، وبهذين الاسمين سمى النبى صلى الله عليه وسلم الحسين والحسن رضى الله عنهما . انظر القاموس (ش ب ر) .

٢٤٣

محمد بن دعفان الصَّنعانىّ

من آل أبى عمرو أُساة القَرِيض ، ووُلاة الجاهِ[1] العَرِيض .

وكانوا بصنعاء ممَّن بنَوا للآداب مَنارَها ، ورفعوا نارَها ، وأطْلَعُوا وردَها وجُلَّنارَها .

وهو من بينهم بحرُ النِّظام ، وبقيَّةُ الأعلام العِظام .

أبْذَهُ مَن نطَق ولفَظ ، وأنبَه مَن نظَر ولَحظ .

***

وقد وقفتُ له على أبيات من قصيدة ، مدح بها الإمام القاسم[2] مُهنِّيًا له بفتْح صَنْعا .

وهى هذه :

هِمَمُ الخطِير جليلةُ الأخطارِ ... محمودةُ الإيرادِ والإصْدارِ

وتَفاضُل العَزَماتِ فى أرْبابها ... يجرِى بحسَب تفاضُل الأقْدارِ

والناسُ مُشتبِهو الذَّواتِ وإنما ... ليس المَعادِنُ كلُّها بنُضارِ

إنَّ اليواقيتَ الثمينة لم تكُنْ ... ممَّا تُقاسُ بسائرِ الأحْجارِ

جاء ابنُ حمزةَ فى القياسِ بمُعْجِزٍ ... من جِنْسِ مُعجِزِ جَدِّه المُختارِ

وأتى ابنُ بنتِ محمدٍ كمحمدٍ ... ما أشبَهَ الآثار بالآثارِ[3]

كُنَّا عن المنصورِ نَرْجُو مُخْبِراً ... حتى بدَا يُغْنِى عن الأخْبارِ[4]

❁

(١) فى ا : « الجار » والمثبت فى : ب ، ج .
(٢) تقدم التعريف به ، فى صفحة ٣٢٦ .
(٣) فى ج : « وأتى ابن بنت محمد بمحمد » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٤) فى ا : « كنا عن المنظور » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٢٤٤

أحمد صفيّ الدين بن صالح بن أبي الرِّجال*

رأسُ مَهَرة علوم اللسان . وناسِج صَنْعاء الحُلَل الحِسان .

توفَّرتْ آراؤُه للصنائع الناجِحة ، واختصّ ميزان حسناتِه بالأعمال الراجِحة .

وله التاريخ الذى أبدع[1] فيه وأغرب ، وأطرب بحُسْن تعبيراته جِدّ ما أطرب .

استكْمل فيه الفروعَ والأصول ، واستوفَى الأجناسَ برُمَّتِها والأصول .

يأخُذ الحقّ ويُعطيه ، ويرمى الغرَضَ فلا يُخطيه .

وهو إلى ما يُريد ، أقربُ من حبل الوَريد .

* * *

وله أدب دارَ به من رَحيق البيان مُعتَّقُه ، وملأ[2] الأكامَ من [3]زَهَر روضِه[3] مُفتَّقُه .

وقد أخرجتُ من شعره قطعةً أنضرَ من الرَّوض غصونُه تعتنِق ، وأسْحارُه تتنسَّم وآصالُه تَغتبِق .

(*) صفي الدين أحمد بن صالح بن محمد ، ابن أبي الرجال العمري .

ولد سنة تسع وعشرين وألف ، في جهات الأهنوم .

وأخذ عن جماعة من العلماء ؛ منهم : الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد ، والسيد إبراهيم بن محمد بن أحمد المؤيدى ، والسيد عز الدين بن دريب ، والقاضى إبراهيم بن يحيي السحولى ، كما أجاز له جماعة آخرون .

كان من سراة الأدباء والفضلاء بصنعاء ، حلقت عليه الدروس بصنعاء وشهارة وصعدة ، وكانت له اليد الطولى فى المعانى ، والبيان ، وتفسير القرآن ، وتقييد الفروع بالأصول .

وهو صاحب « مطلع البدور ومجمع البحور » ، فى تاريخ اليمن ، وقد ترجم فيه لأعيان الزيدية .

توفى بصنعاء ، سنة اثنتين وتسعين وألف .

البدر الطالع ١/٥٩ ـ ٦١ ، حديقة الأفراح ٥ ، خلاصة الأثر ١/٢٢٠ ، ٢٢١ .

(١) فى ج : «أعجب» ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٢) فى ا ، ب بعد هذا زيادة : «به» ، والمثبت فى : ج .

(٣) فى ا ، ب : «زهور روض» ، والمثبت فى : ج .

وهي قوله ، في وصف روضة صَنْعاء الشهيرة[1] :

روضةٌ قد صَبا لها الصُّغْدُ شوقاً ... قد صفا ليلُها وطاب المَقِيـــلُ[2]

جوُّهـــا سَجْسَجٌ وفيها نسيمٌ ... كلُّ غصنٍ إلى لِقـــاه يميلُ

صحَّ سُكَّانُها جميعا من الدا ... ءِ وجسمُ النسيم فيها عَليـــلُ

إيهِ يا ماءَ نهرِها العذبَ صَلْصِـــلْ ... حبَّذا يا زُلالُ منك الصَّلِيلُ

إيهِ يا وُرْقَهـــا المُرِنَّةَ غنِّى ... فحياةُ النفوسِ منك الهَدِيلُ

رَوْضَ صنعاء فُقْتَ طبعاً ووصفاً ... فكثيرُ الثناء فيك قليـــلُ[3]

تِهْ على الشِّعْبِ شِعْبِ بَوَّانَ وافْخَرْ ... فعلَى ما تقولُ قام الدليـــلُ[4]

نهرٌ دافقٌ وجَـــوٌّ فَتِيقٌ ... زهرٌ فائقٌ وظِلٌّ ظليـــلُ

وثِمـــارٌ قِطافُها دانياتٌ ... يجتنيها قصيرُنا والطويلُ[5]

لستُ أنسَى ارْتعاشَ شُحْرورِ غُصْنٍ ... طرَباً والقضيبُ منه يميلُ

وعلى رأسِ دَوْحِهِ خاطبُ الوُرْ ... قَ ودَمْعُ الغصونِ طَلًّا يسيلُ

ولسانُ الرُّعـودِ تهتفُ بالسُّحْ ... بِ فكأنَّ الخفيفَ منها الثقيلُ[6]

وفمُ السحبِ باسمٌ عن بُروقٍ ... مستطيرٌ شُعـاعُها مستطيلُ[7]

---

(١) القصيدة في : حديقة الأفراح ٥ ، ٦ ، خلاصة الأثر ١/ ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٢) في خلاصة الأثر : « قد صفا لها السعد » .

وصغد سمرقند من جنان الدنيا ، وهي قرى متصلة خلال الأشجار والبساتين ، من سمرقند إلى قريب من بخارى ، لاتبين القرية حتى تأتيها لالتحاق الأشجار بها ، وهي من أطيب أرض الله ، كثيرة الأشجار ، غزيرة الأنهار ، متجاوبة الأطيار .

معجم البلدان ٣/ ٣٩٤ .

(٣) في خلاصة الأثر : « فقت لونا وطبعا » . (٤) في ا : « شعب بوان نخرا » ، والمثبت في : ب ، ج ، والحديقة ، والخلاصة .

وتقدم ذكر شعب بوان ، وأنه من جنان الدنيا ومتنزهاتها ، في أكثر من موضع .

وفي الخلاصة : « فعلى ما تقول قام دليل » .

(٥) في ا : « وثمار قطفها دانيات » ، وفي الخلاصة : « قطوفها دانيات » ، والمثبت في : ب ، ج .

(٦) في ج : « فكأن الخفيف منها ثقيل » ، والمثبت في : ا ، ب ، والحديقة ، والخلاصة .

(٧) في ج : « وفم السحب باسق » ، والمثبت في : ا ، ب ، والحديقة ، والخلاصة .

وزهورُ الرُّبَى تعجَّبُ مِن ذَا شاخِصاً طَرْفُها المَلِيحُ الجميلُ
فانبَرتْ قُضْبُها تَراقَصُ تِيهاً كخليلٍ سقاه خمراً خليلُ
وعلى الجوِّ مِطْرَفُ الغَيْمِ ضافٍ وعلى الشَّطِّ بُرْجُ أُنْسٍ أَهِيلُ
فيه لى رُفْقةٌ رِقاقُ الحَواشِي كاد لِينُ الطِّباعِ منهم يسيلُ[(١)]
وهمُ فى العلى أشدُّ من النَّبْـ ـعِ إذا حَلَّ فى الخُطوبِ الجليلُ[(٢)]
أرْيَحِيُّون لو تسومُهم النَّـ ـفْسَ لجادُوا فليس فيهم بخيلُ[(٣)]
نَتهادَى من العلومِ كُؤوساً طَيِّباتٍ مِزاجُها زَنْجبيلُ
وغوانٍ من المَعانِي كِعابٍ رِيقُها عند رَشْفِهِ سَلْسبيلُ
طاب لى رَأْدُها وطاب ضُحاها كيف أسحارُها وكيف الأصيلُ[(٤)]

***

ولما اطَّلع عليها القاضى محمد بن إبراهيم السَّحُولىّ[(٥)]، عارَضَها بقوله :

لا زال وجهُ الجمالِ الجميلُ ولها منه غُرَّةٌ وحُجولُ
وعليها من المَلاحة سِرْبا لٌ طِوالٌ أرْدانُه والذُّيولُ
وخَلاخيلُ بهجةٍ وسُلُوسٌ وتَقاصِيرُ نَضْرةٍ وفُلولُ[(٦)]
والذى أبرزَتْ من الحسنِ معلو مٌ ولكنْ أضْعافُه المجهولُ

---

(١) فى الأصول : « كان لين الطباع » ، والمثبت فى : حديقة الأفراح ، وخلاصة الأثر .

(٢) لم يرد هذا البيت فى خلاصة الأثر ، وفى ا : « فى الخطوب جليل » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وحديقة الأفراح .

والنبع : شجر تتخذ منه السهام والقسى .

(٣) فى حديقة الأفراح : « لو يسوحهم النفس » ، وهو خطأ ، وفى خلاصة الأثر : « لو تسومهم الروح » .

(٤) فى ج : « طاب لى رودها » ، وفى خلاصة الأثر : « طاب لى دارها » والمثبت فى : ا ، ب ، والحديقة.

ورأد الضحى : ارتفاعه .

(٥) مضت ترجمته ، فى هذا الباب ، برقم ٢٣٦ .

(٦) السلوس : جمع السلس ، بفتح فسكون ، وهو الخيط الذى ينظم فيه الخرز الأبيض ، تلبسه الإماء ، أو القرط من الحلى . القاموس (س ل س) . والتقصار : القلادة .

وَلِهذى الدعوَى براهينُ قد حُرِّرَ منها المَعقولُ والمنقول
غيرَ أن المَجالَ يُستحسَن الإجْ مالُ فيه ويسمُجُ التفصيلُ
جنَّةُ الأربعِ الجِنان الذى دَا نَ بتفضيلِها عليها الرسولُ(١)
ومتى احْتاجتِ الغزالةُ فى رَأْ دِ الضحى أن يُقام فيها الدليلُ
ولِموضوعِ حُسْنِها فى الحواشِى مُلحقاتٌ بدائعٌ وفُصـــولُ
كالرياضِ الغَنَّا إذا طاب فيها ليلُهـا والضحى وطاب المَقيلُ
وبكى الغيمُ فى رُباها فأضحى ضاحكاً منه ثغرُه المعسولُ
وتغنَّى الهَزارُ فى الوَرَقِ الأخْ ضرِ واصْفرَّ كالنُّضارِ الأصيلُ
وأتى مُرْسَلُ النسيمِ إلى الغُصْ نِ فيُوحِى إليه كيف يميلُ
حبَّذا حبَّذا مُروجٌ أحاطتْ ببرُوجٍ فيها البدورُ نُزولُ
كجِنانِ الفِرْدَوْسِ ألوانُ وِلْدا نٍ من النَّبْتِ فى رُباها تجُولُ
فلِرَيْحانِها سرورٌ وقد را قَ بلالًا خَدٌّ له مَبْـــلولُ
وإذا اهتزَّ الغصنُ وانتثرَ الطَّ لُّ بمَرْجانِه تبسَّم لُؤلُو
وإذا ما النسيمُ دبَّ على المـا ءِ تَعاطاه جوهرٌ وقبولُ
حَبَّذا نهرُها الذى المِسْكُ والكا فورُ والشُّهدُ فيه والزَّنْجبيلُ
ما نَقيبٌ ودِجْـــلةٌ والمُعلَّى وفُراتٌ ونيلُ مصرَ المُنيلُ(٢)
فى البساتين كالثَّعابين تَنْسا بُ رأيتَ الحِبابَ كيف تسيلُ(٣)

---

(١) فى ج : « الجنان اللذان بتفضيلها » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٢) النقيب لعله ماء . انظر معجم البلدان ٣٧١/٢ ، ٧٤٣/٣ ، وهو فيه ٨٠٧/٤ : شعب من أجأ .
ونهر المعلى : نهر ببغداد ، يدخل من باب بين ، وتعرف محلة ببغداد به ، وهى أشهر وأعظم محلة فيها ، كما يقول ياقوت ، فى وقته . معجم البلدان ٨٤٥/٤ .
(٣) الحباب : جمع الحب ، وهو الجرة العظيمة ، ولعلها « الحباب » بالضم ، وهى الحية .

أو كما هزَّ للمِصاعِ بِقاعٌ ... صَحْصَحانُ الأطرافِ سيفٌ صقيلُ(١)

إن تُصلْصل حُماتُه حكم القا ... ضِي فمِن عادة السيوفِ الصَّليلُ

كل ما مرَّ فهْو حالٍ ولكنْ ... لا تقُل فيه كلُّ حالٍ يحُولُ

كم خلافٍ عنه له ثمراتٌ ... قد حَواها جميعَها المَحصولُ

☆☆☆

---

(٣) المصاع: القتال والجلاد . والصحصحان: المستوى الأطراف الأجرد .

٢٤٥

القاضى حسن بن العفيف الحضرَمِىّ

شاعرُ تلك الخِطَّة ، وأديبها الذى أقدارُ أدبائها عنه منْحطَّة .

له شهرةٌ فى تأليف الدَّرارِى بأسْلاكها ، كشُهرة الكواكب طالعةً فى أفلاكها .

* * *

وقد رأيتُ له قصيدة فتعلَّقتُ بها وتمسَّكت ، وتأرَّجتُ بروائحها العَبِقة وتمسَّكت[1] .

وها هى كالغانية ، ضُمِّخَتْ بالغالية .

نُخذها مُبارَكا لك فيها ، وَمتِّع الفكر فى ظاهرها وخافِيها .

وكان مدح بها المتوكل إسماعيل[2] ، وأولها :

هو الرَّبْعُ سَلْه أو فقِفْ لى أسائلُهْ ... أَنُزَّالُه نُزَّالُه أم نَزائلُهْ

فإنَّ هُدُوَّ القلبِ يُؤْذِن أنَّمـا ... به غيرُهم والدمعُ أشْكل سائلُهْ

أرى القلبَ أهْدَى لى الصوابَ وربَّما ... غدا وهْو ذُو علم بما الطَّرْفُ جاهلُهْ[3]

فيــا رَبْعُ نَبِّئْنا أنزَّالُك الأُلَى ... عَهِدْنا فإنَّ الحقَّ ما أنتَ قائلُهْ

فقال أجَلْ مَن قد عَهِدنا وذا الحِمَى الْ ... مُسمَّى وذاك المُنْحَنَى وخمائلُهْ

وتلك لُبَيْنَى حيث تُقْضَى لُبــانَةُ الْ ... مُحِبِّ وحال الصَّبِّ تَهْدا بَلابلُهْ[4]

فقلتُ سُقِيتَ الغَيْثَ لم أجهلِ الذى ... علمتَ ولكنْ لاقَ عندى تجاهُلُهْ

وليــلٍ كتأْميلِ المَشيبِ أرِقْتُه ... لهم ثم ليــلُ الهمِّ سار يُطاوِلُهْ

كأنَّ به جَفْنى لجَفْنِىَ عاشِقٌ ... وطَرْفِى رَقيبٌ حارسٌ لا يُواصِلُهْ

---

(١) من الادهان بالمسك . (٢) تقدمت ترجمته ، فى صفحة ٢٤٩ . (٣) فى ب ، ج : « أهدى لى الصواب وإنما » ، والمثبت فى : ا . (٤) فى ج : « وذاك لبينى » ، والمثبت فى : ا ، ب .

إذا ما سها وَقْتًا كَلَا وكذا وَشَى ... من الدَّمْعِ نَمَّامٌ على السهوِ عاذِلُهْ (١)

لِيَ اللهُ من ثاوٍ بجسمٍ وطَيُّــــه ... طمِينُ فؤادٍ راحلُ الفكرِ قافِلُهْ

أُفكِّرُ أيَّ البيـــد بالقُودِ أرْتَمِى ... إلى منزلٍ بالغُبْرِ طابتْ منازلُهْ (٢)

وأيَّ خِضَمٍّ بالسَّفِين أخوضُه ... إلى مثلِه جُودًا تطامَتْ جداوِلُهْ

وعاذلةٍ بين الجوانح راعَهـــا ... مُحاولُ حالٍ فى عَنــا مَن يُحاوِلُهْ

تقول على مَ ذا التَّرامِى على النَّوَى ... ومُرِّ النوَى والرزقُ فاللهُ كافِلُهْ

أقولُ لهـا قولَ امرِئٍ لم يَطِبْ له ... على دَعَةٍ مِن طَيِّبِ العيشِ خامِلُهْ

ذَرِينى على أخلاقَ الصمد التى ... هى الوَفْرُ أو شرْبُ تَرَنَّ ثَوَاكِلُهْ (٣)

فلم أرَ عُذْرًا للكريمِ بدون ما ... ينالُ الفتى أو بازْدِيادٍ يُزاوِلُهْ

مآثرِى كما يسْرِى الهلالُ بأُفْقِه ... هو الحظُّ إما مَحْقُه أو تكامُلُهْ

وحقَّقَ نَيْلِى للمُنَى ووَسِيلتى ... دعاءُ أميرِ المؤمنين ونائلُهْ

فلا فضلَ إلا دون فضلِ ابن قاسمٍ ... ولا بَذْلَ إلَّا دون ما هو باذِلُهْ

إذا قيــل إسماعيلُ أبلغ جُنْدُه الْ ... ـهدى عُدَّةً والوصلُ طالتْ أنامِلُهْ

إمامٌ وعاءُ الدهرِ يطْفحُ مُتْرَعًا ... به وكذا طابتْ قديمـا أوائِلُهْ

فضائلُه ضاق الزمانُ بكُنْهِها ... وفاضتْ على طُرْقِ الزمانِ فواضِلُهْ

إذا ما دعانا الخطْبُ لُذْنا بيُمْنِه ... فتُجْلَى به فى الحـال عنَّا جلائلُهْ

وإن جال فرسانُ العلومِ فإنه ... يُحاذِرُ منه فارسَ القوم راجلُهْ

فعمَّا تسائله فإنك سائلٌ ... حَيْدَرة فى علمـه إذْ تُسائلُهْ

تأمَّلْ إذا أمْلَى دقائقَ فِكْرِه ... وما ضُمِّنتْه كُتْبه ورسائلُهْ

---

(١) كلأه : حرسه .   (٢) القود : جمع الأقود ، وهو ما طال ظهره وعنقه من الخيل وغيره .

(٣) فى ج : « ذرينى على إطلاق الصمد » ، والمثبت فى : ا ، ب .

والصمد ، بفتح فسكون : القصد والضرب والنصب ، ولعله أراد : « إطلاق الصمد » بضم الصاد والميم ، جمع الصمدة ، وهى الناقة المنعيطة التى لم تلقح . انظر القاموس (ص م د) .

فسألةٌ كالشمسِ يزهو ضَوْءُها كبـدرٍ وكالزُّهْرِ النجومِ دلائلُهْ
أقول مَقالًا قيل قبلى وإنّمـا إلى خيرِها من شرِّها أنا ناقلُهْ
جَوادٌ يُنيلُ الحمـدَ جَذْلانَ باسمًا ويزْدادُ بشرًا كلّما ازْداد آملُهْ
علامةُ جودِ المرءِ بالطَّبْعِ بِشْرُهُ كجودِ الحيا لَمْعُ البروقِ مَخائلُهْ
أجلْتُ افتكارِي فى الكرامِ فما بهم سِواه كريمٌ كاملُ الجودِ شاملُهْ
وكاملُ جودٍ جودُه غيرُ شاملٍ وشاملُه لكنّ ما هو شاملُهْ
فللّه برٌّ بَسْطـةُ البحرِ كفُّه سَماحًا وبحرٌ ساحةُ البرِّ ساحلُهْ
بلغتَ بأفْقِ الجودِ أفضلَ رُتْبةٍ فقِف ثم لا أعْلَى لما أنتَ طائلُهْ
كأنك فى الدنيـا بجِسْمِك كائنٌ وبالزُّهْد فينـا بائنُ القلبِ آفلُهْ
تأملْتَ « إنّى تاركٌ فيكمُ » وما يُضاهيه عن خير الورَى ويُشاكِلُهْ (١)
فأنتَ به المقصودُ فى العصرِ والذى يحُثُّ عليـه فى اتّباعك حاصلُهْ
كَلاكَ ووَالاكَ امْرُؤٌ فاز ناجيًا وعنكَ تولى مَن أُتيحتْ مَقاتلُهْ
وخُذْ شُكْرَ إحسانٍ تُواليه دائمـا علىَّ ومَن لى أنَّ شُكْرِى مُقابلُهْ
فكم كُرْبةٍ فرّجتَ عنى وشِدّةٍ كشفْتَ وحالِى ماحِلُ الحالِ حائلُهْ
وقمتَ بنصْرِى والزمانُ مُحـارِبِى وأهوِنْ به خَصْمًا إذا أنت خاذِلُهْ (٢)
أذمُّ كشُكْرِيك الزمانَ وأهْلَه فساء وساءوا فالقليـلُ أماثلُهْ
أسافلُه فيـه الأعالى وشرُّها لَقِيتَ زمانًا والأعالِى أسافلُهْ
إذا شئتُ رَفْعِى شاء خَفْضِى فدائمًا يُماطِلنى عمّا أشا وأُماطِلُهْ
فياليت شِعْرى والعجائبُ جَمّـةٌ لأيّةِ معنًى غاض فى الدهرِ فاضلُهْ
دَعِىٌّ كذُبابٍ خُصَّ بالخَفْضِ عَيْشُه ونَدْب أديب أبْرَضَتْهُ مآكلُهْ (٣)

---

(١) يعنى : « إنى تارك فيكم » كتاب الله وسنة رسوله . (٢) فى ج : « والزمان مجازف » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٣) برض الماء : خرج ، وهو قليل ، ورجل مبروض : مفتقر ؛ لكثرة عطائه . القاموس (ب ر ض) .

لَحَى اللهُ دهرًا باقِلٌ فيــه قُسُّهُ وقُبْحًا له إذ قُسُّه فيــه باقِلَهْ

وما قلتُ هذا جازِعًا من صُروفِهِ ولكنْ ليدْرِى منه ما هو غافِلَهْ

ويعلم أنِّى بالإمام مُظفَّرٌ وإن ظافَرتْه من بَنِيه أراذِلُهْ

تباركْتَ مَوْلًى لم يخبْ منك سائلٌ عظيماً ولم تعظُم عليك مَسائلُهْ

وحَسْبُ امْرِئٍ وَافاكَ رأيكَ فى النَّدى وأن صِفاتِ الْجودِ فيك وسَائلُهْ (١)

وصلَّى عليك اللهُ بعــــد نَبِيِّه وعِتْرتِهِ ما المُزْنُ أسْبَل وابِلُهْ

۞



(١) فى ج : « رأيك فى العدى » ، وفى ب : « رأيك فى الندا » ، والمثبت فى : ا .

٢٤٦

مُطهَّر بن على الضَّمْدِىّ *

اسمُه مُطهَّر ومُسمَّاه طاهر ، وفضلُه وأدبُه كلاهما زَاهٍ وزاهِر .

وهو فى العلم مُشارٌ إليه ، وفى حَلِّ المُشكلات مُعوَّل عليه .

لم يدَع فنًّا إلّا أهْداه ، ولا معنًى مُغلَقا إلا أبْداه .

وتفسيره « الفرات النمير ، فى تفسير الكتاب المنير » مَفْخَر ذلك القُطر إحسانا زائداً ، وأجَلُّ أثَرٍ لم يمْنع من تلَقِّى الفوائد النوادر [1] رائداً .

كما قال فى آخره [2] : « فدونَك ما [3] حوَى من أصْداف التَّفاسير لآليها ، وأنار من [4] مُشْكِلات الأقاويل لَياليها .

ولن يسْعد بحلِّ رُموزِه ، ويظفرَ بكشْف كُنوزه .

(*) مطهر بن على بن نعمان الضمدى اليمنى .

ولد بوادى ضمد ، سنة أربع بعد الألف .

وحفظ القرآن ، وجوده على الشيخ عبد الرحمن اليمنى ، ثم قرأ على جماعة من علماء عصره ؛ منهم : الفقيه عبد الله الوهم ، والقاضى سعيد الهبل ، وأخيه أحمد بن على بن النعمان ، والقاضى أحمد بن حابس ، والسيد أحمد بن المهدى المؤيدى .

وكان مشهورا بالذكاء ، والفطنة ، وجودة الحفظ ، وله مؤلفات أجلها التفسير المسمى : « الفرات النمير تفسير الكتاب المنير » .

توفى بضمد ، سنة ثمان وأربعين أو تسع وأربعين وألف .

البدر الطالع ٢/٣١٠ ، ٣١١ ، خلاصة الأثر ٤/٤٠٣ ـ ٤٠٦ ، وجاء اسمه فيه خطأ «مصطفى» وترتيب الكتاب يأباه .

والضمد التى ينتسب إليها : موضع بناحية اليمن ، بين اليمن ومكة ، على الطريق التهامى . معجم البلدان ٣/٤٨٠ .

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٢) نقل المحبى هذا أيضاً فى خلاصة الأثر ٤/٤٠٤ .

(٣) مكان هذه الكلمة فى خلاصة الأثر : « رخيصاً ثمينا ، خميصاً بطيناً » . (٤) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، والخلاصة .

إلَّا مَن برَز في علم البيان ، وأُشير إليه في معرفة صحيح الآثار بالبَنان ، وراضَ نفسَه على وفاق [1] مَقاصد السنة والقرآن .

هذا ، ومع لطافة جسمه فكم حوَى من لطائف ، ومع حَداثة سِنّه فكم حدَّث بطَرائف ، ومع رشاقة قَدِّه كم رشَق من مُخالف .

وكم مشكلٍ أوضَحه قد أغفله الأوَّلون ، وكأيٍّ من آية يمرُّون عليها وهم عنها معرِضون [2] » .

قلتُ : وقد حَظِيَ هذا التفسير في اليمَن بالقَبول ، ومدحَه كثيرٌ من علمائه بالمدائح السائرة مَسْرَى الصَّبا والقَبُول .

فمن جملة مَن مدحَه السيد صلاح الدين بن أحمد بن المَهدِيّ المُؤيَّدِيّ [3] ، حيث قال [4] :

هذا الفُراتُ فَرِدْ مَشارِعَ مائِه ... تجِدِ الشرائعَ أُودِعتْ في بَحْرِهِ [5]

كَشَّافُ كلِّ غَوامضٍ بِبَيانِهـا ... أسرارُ مُنْزَلِ ربِّنـا في سِرِّهِ

لا عيبَ فيـه سوى وَجازةِ لَفْظِه ... مع أنه جمَع الكمالَ بأسْرِهِ [6]

---

(١) في خلاصة الأثر : « دقائق » .

(٢) اقتباس من قوله تعالى ، في سورة يوسف ١٠٥ : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ .

(٣) صلاح الدين بن أحمد بن مهدي المؤيدي .
ولد سنة عشر أو سنة تسع عشرة وألف .
وكان من عجائب الدهر وغرائبه ، فإنه على صغر سنه ، فاز من كل فن بنصيب وافر ، وصار له في الأدب قصائد طنانة ، وصنف تصانيف مفيدة ؛ منها : « شرح شواهدالنحو » و « شرح الفصول » ، و « مختصر شرح العباسي لشواهد التلخيص » ، و « ديوان شعر » .
ورغم اشتغاله بالأدب والعلم ، فقد ظل طيلة حياته مجاهداً للأتراك ، مع الحسن والحسين ابني الإمام القاسم .
توفي سنة أربع وأربعين أو ثمان وأربعين وألف ، بقلعة غمار ، من جبل رازح .
البدر الطالع ١/ ٢٩٣ - ٢٩٥ ، وحاشيته .

(٤) الأبيات في خلاصة الأثر ٤/ ٤٠٤ .

(٥) في خلاصة الأثر : « أودعت في سطره » .

(٦) في خلاصة الأثر : « مع الاحتواء على الكمال بأسره » .
وبين هذا البيت والذي بعده تقديم وتأخير في خلاصة الأثر .

حبَس المعـــانى الرّائقاتِ برِقّهِ والحقّ أطلَق والضـــلالُ بأسْرِهِ

***

وله نظم ونثر شهيران .

فمن نظمه قوله (١) :

مَن شافعِى نحوكم يحنِّفكُمْ إلىّ يامالـكِى فأحمَـــدُهُ

زَيَّدتنى حين صِرْتَ مُعْتزِلِى وَجْداً كَحَرِّ الجحيم أبْرُدُهُ (٢)

يارافِضِى أنت ناصِبِى لهوًى ماكنتُ قبل الفِراقِ أعْهَدُهُ

***

وقوله (٣) :

تظنّـــونىَ مُرْتاحاً ومَن أين لىَ الرّاحَـــهْ

إذِ الراحـــةُ فى الـكيسِ وليس الـكيسُ فى الرّاحَهْ (٤)

***

وله (٥) :

تزوّجْ هُدِيتَ تِهاميّـــةً ترُوقك فى المِئْزرِ المِطْرَفِ (٦)

ودَعْ عنك بيضاءَ نَجْدِيَّةً ولو برَزتْ فى بَهـــا يُوسُفِ

عليهـــا قَميصٌ وسِرْوالةٌ وليستْ تَرِقُّ لمُسْتعطِفِ (٧)

***

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٤٠٥ . (٢) فى ا ، ب : « وجدا كجمر الجحيم » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة . (٣) البيتان فى خلاصة الأثر ٤/٤٠٥ . (٤) يشير إلى كيس النقود ، وإلى الـكيس ضد الحمق . (٥) الأبيات فى خلاصة الأثر ٤/٤٠٥ ، وذكر أنه كتب بهـا إلى السيد صـلاح المؤيدى . (٦) المطرف : رداء من خز ذو أعلام .

(٧) فى ا : « وليست تروق لمستعطف » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .

فأجابه السيد صلاح المُؤَيَّدِىّ بقوله[1] :

أردتَ بهـــا الذمَّ فَألْبَسْتَهَا سَرابِيلَ مَدحٍ لا تختفِى[2]

نعم هكذا شِيمةُ المُحْصَنَاتِ إذا شئْتَ تمـدحُ مَدْحا وَفِى

قَسًا فى القلوبِ ولِينُ القُدودِ وخَدٌّ نَقِىٌّ وصوتٌ خَفِى[3]

وإن رام منهـا الْوَفا طارقٌ فليستْ ترِقُّ لِمُستعطِفِ

✿



---

(١) الجواب أيضاً فى خلاصة الأثر ٤/٤٠٥ ، ٤٠٦ . وفى ب ، ج : « مدح ولا تختفى » ، والمثبت فى : ا .

(٢) فى الخلاصة : « ألبستها » ، وفيها

(٣) قسا ، لعله أراد مصدر قسا يقسو .

(نفحة الريحانة ٣/٣٢)

٢٤٧

حسن بن على المَرْزُوقِ*

أديبٌ تَعاطِى الشعرِ جُلُّ بِضاعتِه ، وتَوْشِيةُ حُلَلِ الطُّروسِ مُعْظَم صِناعته . مع رِقَّة طبعٍ تحسدها القُدود الرِّشاق، وعَلاقة صَبابة تتفانَى عليها نفوسُ العشّاق .

***

وقد أوردتُ له قطعةً كلهـا غُرَر ، ينقدح فيها من وَجْده الذى سكَن لُبَّه شرَر . وهى قوله[1] :

تألَّقَ من نحو الكَثِيبِ ووَهْدِهِ بريقٌ تلألا فى خَمـائلِ بُرْدِهِ[2]

تَراءى لِعَيْنٍ قد تقرَّحَ جَفْنُهـا وعُوِّضَ عن طِيبِ المَنام بسُهْدِهِ[3]

فهيَّجَ وَجْدًا مُضْمَرًا فى سَرائرِى وأبْدَى مَصُونًا ما استطعتُ لِرَدِّهِ[4]

فبِتُّ كئيبًا وَالِهَ القلبِ شَيِّقًا ... غرامٍ بين جَزْرٍ ومَدِّهِ[5]

وما افْترَّ إلّا جاد بالدَّمعِ ناظِرِى وأذْكَرَ ماءً بالعُذَيبِ ووِرْدِهِ[6]

ومَسْرَحَ غِزْلانٍ يرُحْنَ عَشِيَّةً بذاتِ اللِّوَى والأبْرَقَيْنِ ونَجْدِهِ

(*) ترجمه ابن معصوم ، فى سلافة العصر ٤٦٨ ــ ٤٧٠ ، وذكر أن اسمـه على بن حسن المرزوقى اليمنى ، وأكد هذا حين قال : « مقامه فى الأدب كاسمه ، وشعره كاسم أبيه » ، وذكر أنه رآه بحضرة والده ، وقد أخنى عليه الكبر ، وظل يخدمه بفرائد أفكاره حيناً ، ثم استأذنه فى العود إلى وطنه .

ولعل الاسم اختلط على المحبى ؛ فإن هذه الترجمة عيال على ما فى السلافة .

(١) القصيدة فى سلافة العصر ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، وذكر ابن معصوم أنه مدح بهـذه القصيدة والده ، وعارض قصيدته المثبتة فى السلافة ١٩ ، والتى أولها :

مُثيرُ غرامِ المستهامِ وَوَجْـدِهِ وَمِيضٌ سَرَى مِنْ غَوْرِ سَلْعٍ ونَجْدِهِ

(٢) فى الأصول : « فى خمائل برده » ، والمثبت فى السلافة . (٣) فى السلافة : « تراءى لعينى » .

(٤) سقط عجز هذا البيت من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، والسلافة .

(٥) فى سلافة العصر « ببحر غرام » . (٦) فى سلافة العصر : « وأذكرنى ماء العذيب وورده » .

وميّادَ غُصنٍ مُذ تثنّى بعِطْفِه ... لوَى عقرَبَيْ صُدْغيْه خفّاقُ بَنْدِهِ

كثيرُ التجنّي والتّجاوُزِ ظالمٌ ... جنَى سيفُ لَحْظٍ منه وهْو بغِمْدِهِ (1)

له حَدَقٌ صحّتْ بسُقْمِ جُفونِها ... ومِن عجَبٍ تقْويمُ شيءٍ بضِدِّهِ

وإنّي إذا ما جَنَّ ليلِي تخالُني ... أحِنُّ حَنينَ الثّاكلاتِ لفَقْدِهِ

ويُطربني صَدْحُ الحَمامِ بأيْكةٍ ... إذا صاح قُمْريُّ البَشامِ بِرَدِّهِ

ورنّةُ شُحْرُورٍ يُردِّدُ شَدْوَهُ ... بِغُنّةِ إدْغامٍ ولينٍ بِمَدِّهِ (2)

وترْجيعُ صوتِ العنْدَليب كأنه ... غدا راهبًا فيه زعيمًا بوِرْدِهِ

وإن شقّ نحرُ الفجرِ ناحتْ حمائمٌ ... تُسبّح للهِ القديمِ بحمْدِهِ (3)

وإنّي على وُدّي مُقيمٌ على الوفَا ... وما مِلْتُ بل باقٍ على حِفْظِ وُدِّهِ (4)

كأنّي وما أرجُو كُثيِّرُ عزّةٍ ... إذا حِرْتُ أو بِشْرُ العَميد بهِنْدِهِ (5)

ألا في سبيلِ اللهِ دهرٌ قضَيتُه ... على ظَمَإٍ لم يَرْوِه ماءُ صَدِّهِ

أبيتُ على جَمْرِ الغضَا مُتقلّبًا ... وفي طَيِّ أحْشائي تلَظٍّ بوَقْدِهِ (6)

☆☆☆

---

(1) في سلافة العصر: «كثير التجني والمجون وظالما». (2) في سلافة العصر: «وتنبيه شحرور يرتل شدوه». (3) في الأصول: «وإن شق نحو الفجر»، والتصويب من السلافة، وفيها: «تاجت بلابل». (4) في السلافة: «على حفظ عهده». (5) في سلافة العصر: «متى حار فكري فيه أو بشر هنده». (6) لعله: ألح عليه.

٢٤٨

محمد[١] بن محمد العشبي

شاعرٌ له قِطَع مُسْتجادَة ، مسبوكةٌ فى قالِب الإجادة .
أثبتُّ منها ما تقِلُّ مؤُونته ، وتكثُر لأديبٍ معونتُه .

* * *

فمن ذلك قوله :

سألتُ ذات الحُسْن لمَّا رَنَتْ ... بمُقْلةٍ ساحرةٍ فاتنهْ
عن الأحاديثِ وعن إسْمِها ... وهْى بوَكْرٍ للبَها صائنَهْ[٢]
قالتْ خَفِ الرحمنَ يا سيِّدِى ... الطيْرُ فى أوْكارِها آمِنَهْ[٣]

* * *

وقوله فى مليحة اسمُها كوكب :

بدت كوكبٌ مثلَ بدرِ الدجى ... لِصَبٍّ هوَى قلبُه واسْتعاذَا
فأنكَر شمسَ الضحى فى الهوى ... فلمَّا رأى كوكباً قال هذَا

* * *

وقوله :

ياسائلِى عن وَصْفِ مَن ... مالتْ كغُصْنِ الْبانِ مَيْلاَ
بالبدرِ هندٌ تُوِّجتْ ... وتبرْقعتْ بالشَّعْرِ ليْلَى

* * *

---

(١) فى ج : « مهدى » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٢) فى ج : « وهى بواكر » والمثبت فى ا ، ب .
(٣) فى ج : « خف الله » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وقوله :

وقفنا بالغَضاء فكلُّ قلبٍ مُصَلٍّ فى جوانحِهِ مُعَنَّى [١]

وهِمْنا بالعَقيق بكلِّ وادٍ ونُحْنا فى حِمَى لَيلَى ولُبْنَى

***

وقوله :

وأغيَدٍ من تَعزِّ بِتُّ أسأله من أى حافاتِ سِرْبِ الخُرَّدِ الغِيدِ

أجاب مِن حافةِ الهزّازِ قامتُه لكنَّ أعيُنَه من حافةِ السُّودِ [٢]

***

وقوله :

وبُوسُفِيِّ جمالٍ زار عارضَه مُوسى فأصبح منه العبدُ مأنوسا [٣]

تفرْعَنَتْ فى كَليمِ مُقلةٌ سَحَرتْ لعقربِ الصُّدْغِ حتى حَلَّه مُوسى

***

وقوله :

وقالوا اعتَمِدْ لك مُسْهِلاً إن كان داؤُك يعسُرُ [٤]

فأجبتهم فى خَدِّ مَن أهوَى دوائى يظهرُ [٥]

إهْلِيلَجٌ من خالِه ومن الثَّنايَا كوثرُ [٦]

**

---

(١) اضطر الشاعر إلى مد المقصور « الغضى »

(٢) فى ا ، ج : « من حافة الهزار قامته » ، والمثبت فى : ب ، وفيهـا : « من حافة السودى » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ج : « منه البعد مأنوسا » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٤) فى ب : « قالوا اعتمد » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ا : « دواء يظهر » ، والمثبت فى: ب ، ج

(٦) الإهليلج : ثمر ، وهو يعنى هنا التام النضج منه ، وهو أسود . القاموس (هـ ل ج) .

٢٤٩

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الجابِرِيّ الشِّحْرِيّ *

أديب باهر (١)، وأريب ماهر (٢).

له نظمٌ كَأرِق السَّحْر، وعَبَق أرِيج الشِّحْر (٣) ونثرٌ كما رَقّ السَّحَر، وصافَح النسيمُ الشَّجَر.

وهو فى النظم مُقطِّع غيرُ مُقصِّد، فلله دَرّه من مُقتصِر على الحُسْن مُقتصِد.

* * *

وقد أثبتُّ له مايرُوق فى المَسامع، وتعجِز عن إدْراك مثله المَطامع.

فمنه قوله فى التَّوْجيه:

قد تعشَّقتُ غَزالاً فيه لى قولٌ ومَذْهَبْ
طال «مِنْهاجُ» غرامِى فى هوَى الظَّبْىِ «المُهذَّبْ»

* * *

وهو كقول التَّقِىّ السَّرُوجِىّ (٤):

تفقَّهتُ فى عِشْقِى لمَن قد هَوَيْتُهُ ... ولى فيه بـ«التحرير» قولٌ ومَذْهَبُ

(*) ترجمه الشروانى، فى حديقة الأفراح ٦، واسمه فيه: «أحمد بن محمد بن عبد الرحيم الجابرى الشحرى».

(١) فى ج: «ماهر»، والمثبت فى: ا، ب. (٢) فى ج: «باهر» والمثبت فى: ا، ب.

(٣) الشحر: ساحل البحر بين عمان وعدن، ينسب إليه العنبر الشحرى. وقد تقدم ذكره كثيراً.

(٤) تقى الدين عبد الله بن على بن منجد السروجى.

ولد فى سروج، سنة سبع وعشرين وستمائة، وانتقل إلى مصر، وعرف بإجادة النحو واللغة والأدب ونظم كثيراً، وغنى المغنون بشعره.

توفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة.

فوات الوفيات ١/٤٦٦ ـ ٤٧٦.

والبيتان فيه ١ / ٤٧٠.

وللعينِ «تنْبيهٌ» بهطال «شَرْحُه» ... وللقلبِ منه صِدْقُ وُدٍّ «مُهذَّبُ»

***

ومثله قولُ بعضهم :

«الروضُ» و«البهجةُ» ياسيِّدِى ... فى الخدِّ «مجموعٌ» له «حَاوِى»

وقد غوَى سالكُ «مِنْهاجِه» ... فامْنُنْ بِـ«إرْشادك» للغاوِى

***

وله [1] :

كتبْتُ على الخدودِ لفَرْطِ شَوْقى ... سُطوراً من دموعٍ مُستهِلَّهْ

فلا تعجبْ لخطٍّ فاقَ حُسْناً ... وحقِّك إنَّه خَطُّ ابنُ مُقْلَهْ [2]

***

وله [3] :

ماهَبَّ نَشْرُ صَباً لنَحْوِى منهمُ ... إلّا وأحْيَى المُسْتهـــامَ عَليلُهُ

فالقلبُ مصر وهُو منزلُ يوسفٍ ... والحسنُ رَوْضتُه ودَمعِى نِيلُهُ

***

وله :

شادِنٌ جار واقْتَــــدَرْ ... ورمَى القلبَ فى الـكَدَرْ

دَرَّ دمعِى فليْتَـــــه ... جاد بالوصلِ وَقْتَ دَرّ [4]

***

وله :

زارنى البــــدرُ ليْلَةً ... وحَبــــانِى بكلِّ ما

---

(١) حديقة الأفراح ٦ . (٢) ابن مقلة ، أى الدمع ، وابن مقلة صاحب الخط البديع ، وتقدم ذكره كثيراً .

(٣) البيتان فى حديقة الأفراح ٦ . (٤) فى ا ، ب : « رق دمعى » ، والمثبت فى : ج ، وهو يوافق ما جاء فى آخر البيت .

وقوله : «وقت در» ترسم «واقتدر» من القدرة ، وترسم «وقت در» من لفظة «الوقت» و«الدر» .

وبجسمٍ أباح لى مثـــلَ خزٍّ وأنْعمَا (١)

***

وله :

بروحِيَ بدرٌ فى المَحاسِنِ مُفْرَدٌ إذا ماتثَنَّى للغصونِ قد انتَمَى

أجادَ بخَدٍّ إذ أتانِىَ زائراً له مثل روضٍ فى النَّعيم وأنْعمَا

***

استعمل النعومةَ فى وصف الروض ، المفضَّل عليها نعومة الخدّ ، وفيها خَدْش .

***

وله مُضمِّنا :

فدَيْتُ من المِلاح غزالَ إنسٍ له قَدٌّ تثـــنَّى كالرَّداحِ (٢)

وخَـــدٌّ رائقٌ يزْهُو كوردٍ وثَغْرٌ زانَه حُسْنُ الأقاحِ

وإن فَخَر النهارُ بضوءِ صُبْحٍ فإنِّى بالثَّلاثةِ ذُو انْشِراحِ (٣)

جَبِينٌ والمُقَـــلد والثَّنايا صَباحٌ فى صَباحٍ فى صَباحِ

***

وله :

ومليحٍ بمُقْلتيْـــه سَبانِى وسَبا الشمسَ إذْ بدَتْ بمُحَيَّا

غلَب القلبُ فى هـــوَى ناظِرِيْه وضَعِيفان يغلبـــان قوِيَّا

***

وهو (٤) من قول ابن نُباتة (٥) :

ومليحٍ قد أخْجَل الغُصْنَ والبَدْ رَ قَواماً رَطْبا ووَجْهاً جَلِيًّا (٦)

(١) « أنعم » فعل ، وأفعل تفضيل . (٢) الرداح : العظيمة الأوراك .

(٣) فى ج : « فإنى بالتلاق » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٤) من هنا إلى نهاية البيتين ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٥) ديوان ابن نباتة المصرى ٥٦٧

(٦) مكان هذا البيت فى الديوان :

بأبِى فاترَ اللَّواحظِ ألْمَى جاء فيه العَذولُ شيئاً فَرِيَّا

غُلِبَ الصبرُ فى لِقَا ناظِرَيْهِ ... وضعيفان يغلبان قَوِيًّا [1]

* * *

وله :

رَئمٌ رماني من ظباءِ الفَلا ... بَسَهْمِ لَحْظٍ قد أتى مُرْسَلاَ

فالشمسُ تروِي عنْ سَنَا وجهِهِ ... عن نورِهِ عَن خـدِّه المُجْتلَى

وقد روى مَكْحولُ عن طَرْفِهِ ... لكنَّ ضَعْفَ الجَفْنِ قد أعْضَلاَ [2]

* * *

وله :

بأبى أفْدِي غـزالًا ... لم يزلْ باللَّحْظِ قاتلْ

أزْهَـرِيُّ اللَّونِ يروِى ... سيفَ لَحْظٍ عن مُقاتِلْ [3]

* * *

وله :

لو لم يكنْ من بابلٍ لَحْظُهُ ... ما هَيَّمَ الصَّبَّ ولا بَلْبَلاَ

أو لم يكنْ كالبدرِ فى طَلْعةٍ ... ما كان ذا القلبُ له مَنْزِلاَ

* * *

وله [4] :

بى ساحرُ الألحاظِ أطْلَق مَدْمَعِي ... والقلبُ منـه مُقَيَّدٌ فى حَبْسِهِ [5]

لا غَرْوَ أن هملتْ عيونى إذْ رَنَا ... فلِكُلِّ شيء آفةٌ من جِنْسِهِ

* * *

---

(١) فى الديوان : « فى هوى ناظريه » .

(٢) يشير إلى مكحول بن أبى مسلم ، الفقيه المحدث ، المتوفى سنة اثنتى عشرة ومائة .
والمعضل : الحديث الذى سقط من إسناده اثنان فصاعدا مع التوالى . انظر شرح نخبة الفكر ٢٧، ٢٨

(٣) يشير إلى أبى منصور الأزهرى اللغوى ، وإلى مقاتل بن سليمان المفسر .

(٤) البيتان فى حديقة الأفراح ٦ . (٥) فى الحديقة : « بى ساحر الأجفان » .

الأصلُ فيه قولُ القاضى أمين الدين الطَّرَابُلُسِيّ :

إنْ كان شَرْعُ هواكَ أطْلَقَ مَدْمَعِى فوكيلُ شَوْقِى عاجزٌ عن حَبْسِهِ (١)
أو كان منك الطَّرْفُ أسْهَرَ ناظِرِى فلكُلِّ شَىْءٍ آفَةٌ من جِنْسِهِ

* * *

وللنَّوَاجِىّ (٢) :

ظَبْىٌ إذا لَمَحَ الغزالَ بطَرْفِهِ فالرأىُ أن يَنْجُو الغزالُ بنَفْسِهِ
وتَقِلُّ بِيضَ الهندِ سودُ عُيونِهِ ولكلِّ شىءٍ آفةٌ من جِنْسِهِ

* * *

وله (٣) :

وبرُوحِى مُهَفْهَفُ القَدِّ ألْمَى ليت بالوَصْلِ للكئيبِ أعانَا
قد خَفِى الصَّدْرُ منه نَهداً ولكن مُذْ تَبدَّى وماسَ بالقدِّ بَانَا (٤)

* * *

وله (٥) :

برُوحِى رَشِيقٌ له قامةٌ يميلُ بها الريحُ من لُطْفِهِ
فلولا جَوارِحُ ألْحَاظِه لغَنَّى الحمامُ على عِطْفِهِ

* * *

وله فى معناه :

أفْدِيه من رَشَأٍ فى حُسْنِ طَلْعتِه كأنه البدرُ يَسْرِى فى غَمامتِهِ
لولا جَوارِحُ ألْحَاظٍ له صدَحتْ وُرْقُ الحمامِ على مَيَّادِ قامتِهِ

* * *

---

(١) فى ا : « إذا كان » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) سقطت هذه المقدمة والبيتان بعدها من : ب ، وهما فى : ا ، ج . (٣) البيتان فى حديقة الأفراح ٦ . (٤) فى الأصول : « منه نَهد » ، والمثبت فى حديقة الأفراح . (٥) حديقة الأفراح ٦ .

وله :

إن ماس حِبّي أو بدَا خدُّه أظهرتُ فيه كلَّ معْنًى دقيقْ

فقدُّه لابنِ رَشيقٍ انتمَى وخدُّه الزُّهْرِى روَى عن شَقِيقْ (١)

* * *

وله :

يا صاحِ إن جُزْتَ أعلامَ العَقيقِ فرُدْ دموعَ عَيْنِيَ منها الماء ينْسكِبُ

وإن مررْتَ بأرْدافِ الحبيبِ دُجًى قِفْ بى عليها وقُلْ لى هذه الكُثُبُ

* * *

وله :

تبدَّى العِذارُ بخدِّ الحبيبِ فقُلتُ ولم أخْشَ من لائِمِ

أمولاىَ سُدْتَ مِلاح الورَى فأنتَ المُسوَّدُ فى العالَمِ

* * *

وله :

أفْديه غُصْنًا وبدرًا إن بَدا ومشَى حذارِ منه إذا ما ماسَ أو سَفَرَا

بنُورِ شمسِ جبينٍ صاد كلَّ فتًى ونَمْلِ زُخْرُفِ ليلٍ هيَّمَ الشُّعَرَا

أفْدِى حبيبًا عزيزَ الوصلِ تيَّمنى فى كلَّ ليلٍ لِى منه موعدٌ ونَبَا

بزُخْرُفِ النَّمْلِ صادَ القلبَ عارضُه وهامتِ الشُّعَرَا فى هَلْ أتى وسَبَا (٢)

* * *

---

(١) يشير إلى ابن رشيق القيروانى ، الحسن بن رشيق ، صاحب كتاب العمدة ، المتوفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، وإلى الزهرى محمد بن مسلم بن عبيد الله ، من أكابر الحفاظ ، المتوفى سنة أربع وعشرين ومائة ، وإلى شقيق بن إبراهيم البلخى ، الزاهد الصوفى ، المتوفى سنة أربع وتسعين ومائة .

(٢) يشير إلى سور : الزخرف ، والنمل ، وص ، والشعراء ، والإنسان ، وسبأ ، من سور القرآن .

وله :

بأبي مليحٌ لم أزلْ في أسْرِهِ مُنذ ارْتشفْتُ سُلافةً من ثغْرِهِ
وسبا القلوبَ بنمْلِ عارضِ زُخْرُفٍ من فوقِ شمسِ ضُحى الجبينِ وعصْرِهِ [1]

* * *

وله :

وحبّةِ خالٍ بخدِّ الحبيبِ تلُوذ بعارضِه السّائلِ
تفانَى الرِّجالُ على حُبِّها فما يحصلُون على طائلِ

* * *

وله :

بثغْرِه الدُّرّ شبّهْهُ ووجْنته حمّالة الوَرْدِ لا حمّالة الحطَبِ [2]
رشفْتُ رِيقتَه فازْددْتُ من عجَبٍ إذْ بان لى جوهرٌ قد حُفَّ بالذّهَبِ

* * *

وله :

يا شادِنًا ملَكَ الفؤادَ بطَلْعةٍ شاهدت منها البدرَ ليلَ تمامِ
عجبًا لثغْرِك باردًا فى طَعْمِهِ وله غدا من سيفِ لحْظِك حامِى

* * *

وله :

ثغْرُ الذى أهوى له بارقٌ قد لاح للصّادرِ والواردِ
مُبرَّدٌ فى الثغْرِ عنه روَى وخدُّه يروِى عن الواقِدِى [3]

* * *

(١) يشير أيضاً إلى سور : سبأ ، والنمل ، والزخرف ، والضحى ، والعصر ، من سور القرآن .

(٢) فى ا : « بثغر شبهه » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٣) يشير إلى المبرد محمد بن يزيد ، صاحب الكامل، المتوفى سنة ست وثمانين ومائتين، وإلى الواقدى محمد بن عمر المؤرخ ، المتوفى سنة سبع ومائتين .

من قول ابنِ الوَرْدِيّ (١) :

وَمليحٍ إذا النُّحاةُ رأَوْه فضَّلوه على بديعِ الزَّمانِ
برُضابٍ عن المُبرِّد يرْوِي ونُهودٍ تروِي عن الرُّمَّانِ (٢)

* * *

وله :

وربَّ ساقٍ كبــدرِ التِّمِّ طَلْعتُه قد ضَنَّ بالرَّاحِ لمَّا غاب مَن عَشِقَا
ولا يزال عفيفَ الذَّيْلِ يمطُلنــا بالرَّاحِ واللَّثْمِ حتى زارَه فسَقَا (٣)

* * *

أخذه من قول الحافظ ابن حَجَر :

وساقٍ منَــع السُّقْيَا وقد غاب الذى عَشِقَا
وما زال عفيفَ الذَّيْـ ـلِ حتى زارَه فسَقَا

* * *

وله :

بالرُّوح منِّى مُغَنٍّ فيــه تزايَد عِشْقِي
ملـكْتُه بِشِراه فصار مَالِكَ رِقِّي (٤)

* * *

وله :

قال لى فى الدَّوْحِ حِبِّي وبه الأنهــارُ تجرِي
قُمْ بنــا فى الرَّوْضِ نَغدُو بين رَيْحانٍ ونَسْرِي (٥)

---

(١) ديوانه ٢٠٩
(٢) يشير إلى الرمانى أيضاً ، وهو على بن عيسى النحوى ، المتوفى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة .
(٣) حافظت على رسم «فسقا» لتدل على المعنيين . (٤) فى ج: «ملكته بثراه» ، والمثبت فى: ا، ب .
(٥) فى ج : « بين ريحان ونسر » ، والمثبت فى ا ، ب : و « نسرى » من السرى ، ومن النسرين .

أخذَه من قول الدَّمامِينىّ [١] :

يقول مُصاحِبى والروضُ زاهٍ … وقد بسَط الربيعُ بِساطَ زَهْرِ
تعال بنا إلى الرَّوْضِ المُفدَّى … وقم نَسْعَى إلى وردٍ ونَسْرِ [٢]

* * *

وله :

يا غائبين سَرَى لنحْوِى منكمُ … ذاكَ النسيمُ وذيلُه مَبْلولُ
فأتى إلىَّ مع الصَّباحِ بعَرْفِكمْ … وشفَا سقامَ الصَّبِّ وهْو عليلُ

* * *

أخذَه من قول ابن نُباتة [٣] :

يُداوِى أسَى العشَّاقِ من نحْوِ أرضِكمْ … نسيمُ صَبًا أضْحَى عليه قبولُ
برُوحِى ذَيَّاكَ النسيمُ إذا سَرَى … طبيبٌ يُداوِى الناسَ وهْو عليلُ [٤]

* * *

---

(١) تقدم ذكر الدماميني في أكثر من موضع . (٢) في ج : «إلى ورد ونسر» ، والمثبت في : ا ، ب.
(٣) ديوان ابن نباتة المصرى ٤٢٢ . (٤) في الديوان: «بروحى من ذاك . . . طبيباً يداوى . . .».

٢٥٠

علىّ بن نَشوان بن سعيد الحِمْيَرِىّ *

جَوادٌ سبَق البلغاء فى مَيْدان البراعة ، ثم جاء على رِسْلِه وقد تناول قَصَب اليَراعة .
وَلِىَ الأعمالَ الكبار فى أيام الإمام القاسم ، فافترّتْ له الأيامُ ضاحكةَ الثُّغُور والمباسِم .
وباشر حُروباً كثيرة ، جلّتْ عن هِمَمٍ عليه ومَساعٍ أثيرة .
فنشَر ذِكراً عاطِرَ الرَّيَّا ، وتبوّأ منزلةً فوقَ النَّسْر والثُّرَيَّا .

* * *

وهو إذا نَظَم فنَظْمُهُ من النَّمَط العالِى ، وإذا افتخر فقد أعْلَى مقدارَ النَّباهة والمعالى .
وقد ذكرتُ له ما لا يُمكن لَحاقُه ، ولو تتوّج به البدرُ ما أدركه مَحاقُه .
فمنه قوله على لسان الإمام ، لِيُقوِّىَ خاطرَه على النُّهوض :

يامُوقِدَ النارِ البعيدةِ أجِّجِ ... واشهِرْ بِعُفْرِمِها شِعار المَخْرَجِ [١]

أشْعِلْ وَشِيكاً جَذْوَةً بِبَرَاقِشٍ ... لِيُضِىءَ ما بينَ العِراقِ ومَنْبِجِ [٢]

إن الإقامةَ قد نقضْتُ شُرُوعَها ... ونسخْتُ أوقاتَ الضلالِ السَّجْسَجِ

بِشَرائعِ التَّهْجِيرِ والتَّغْلِيسِ والْـ ... إسْئادِ حينَ أقول أدْلِجْ أدْلِجِ [٣]

(*) فى الأصول : « على بن بسوان » ، ولعل الصواب ما أثبته .

وليس هذا ابن نشوان بن سعيد الحميرى ؛ فإن نشوان الحميرى صاحب « شمس العلوم » توفى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، وعلىٌّ هذا ولى الأعمال الكبار فى أيام الإمام القاسم ، وكانت وفاة الإمام القاسم سنة تسع وعشرين وألف . انظر ما تقدم فى صفحة ٣٢٦ ، من هذا الجزء .

(١) فى ا ، ب : « واشعل بعفرمها » ، والمثبت فى : ج . (٢) براقش : حصن باليمن . معجم البلدان ١/٥٣٥ .

وفى ج : « ليضل ما بين العراق » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) الإسئاد : سير الليل كله . والإدلاج : سير آخر الليل ، أو سير الليل كله .

والكرِّ بين الفَيْلَقَيْنِ وصَوْلَةٍ تحتَ العَجاجِ وتحتَ كلِّ مُدَجَّجِ
ولقد سئمتُ من المُقامِ وظِلِّهِ وتَتَوَّقَتْ نفسى لظَهْرِ الأعْوَجِى
وَلموقفٍ حِصْنِي به سُمْرُ القَنا وشَبا الظُّبا وقِرَى الحِصانِ المُسْرَجِ
فأمِتْ سُؤالِي حين أُنْشِدُ مُنْشِداً أَلجِمْ جِياداً ياغُلامُ وأسْرِجِ
وأرِقْتُ من طَرَبٍ إلى غَزْوِ العِدَى ومُسابِقِيَّ إلى الصَّرِيخِ المُزْعَجِ[1]
ذَهَبَ السُّلُوُّ فوَدَّعا طِيبَ الكَرَى وتتبَّعا أثَرِى وسِيرَا مَنْهَجِى
كَلَفِي بِطِرْفٍ لاحِقِيٍّ مُضْمَرٍ نَهْدِ المَراكِلِ لا بطِرْفٍ أدْعَجِ[2]
وكَتيبَةٍ مَوْصُولَةٍ بكَتيبَةٍ تَخْتالُ فى حَلَقِ الحديدِ المُدمَجِ
وتغطِّيى بعَجاجِ نَقْعٍ ثائرٍ ودمٍ لأثوابِ الكَمِيِّ مُضَرِّجِ
ولقد شهدتُ الخيلَ تقرع بالقنا فى حافظٍ نَجْدِ الوَغَى مُتوهِّجِ[3]
ولقد شهدتُ الليل حتى خِلتُ ما أيقنْتُ منه كالقميص المُدْمَجِ[4]
ولقد دخلتُ على السِّباعِ وِجارَها ووَلجْتُ غَيْلَ ضَراغِمٍ لم تُولَجِ
ولقد وردتُ أنا وواسٍ مَوْرِدًا فى مَسْلَكٍ من أُمَّةٍ لم تَخْرُجِ[5]
والشمسُ فى وسطِ السماء مُظِلَّةٌ والجوُّ أقتمُ بالعَجاجِ المُرْهَجِ[6]
وكأنَّ رَقْراقَ السَّرابِ بقِيعةٍ ذَوْبُ اللُّجَيْنِ هَرَقْتَ من مُتَبَرِّجِ[7]
قُوما فشُدَّا لِي على أعْلَى الثَّرى غَرِدَ النَّسا صافِي الأديمِ مُدمَّجِ

---

(١) لعل الصواب : « إلى الصريخ » . (٢) لاحق : نسبة إلى لاحق ، من كرام الخيل .
والمركل : حيث تصيب رجلك من الدابة إذا ركلتها .
(٣) هذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب (٤) فى ا ، ب « ولقد شربت الليـل » ، والمثبت فى : ج ، وفى ا : « كالقميص المدبج » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٥) « أنا وواس » كذا فى الأصول .
(٦) فى ا ، ب : « بالعجاج المهرج » ، والمثبت فى : ج .
والمرهج : المثار .
(٧) فى ا : « وكأن رقاق السراب » ، والمثبت فى : ب ، ج .

نَهْدٌ أقَبُّ الأَيْطَلَيْن إذا غدا ... في البِيد خِلْتَ مَمَرّ رِيح سَمْهَجِ (١)
درن يجاذبُ للوُثوبِ عِنانَهُ ... طَرَبًا ويصْهَل عندصوت المُسْرِجِ (٢)
وكأنه سَيْلٌ إذا ناقلتَه ... وإذا مددْتُ له فبارِقُ زَرْجِ (٣)

***

وقال بالجوف (٤)، يحضُّ قبائلَ همْدان على الجهاد مع الإمام :

أَرِقْتُ وما طربتُ إلى الغواني ... فأبكي في الرُّبوع أو المَغانِي
ولا عَدَت المُدامةُ لي ببالٍ ... فأسألُ عن مُعَتَّقةِ الدِّنانِ
ولا طِربتْ إلى الأوْتارِ نفسي ... ولا سمع المُجونِ ولا الأغانِي
ولكنِّي طربتُ لصَوْتِ داعٍ ... مِنَ الِ محمدٍ شهمِ الجَنانِ
إمامٌ عادلٌ برٌّ ذَكِيٌّ ... أمينٌ لا يقولُ بقَوْلِ مَانِي
له علمٌ ومعرفةٌ ودِينٌ ... يفُوه بذكْرِه أهلُ الزمانِ

*

(١) أقب الأيطلين : ضامر الخاصرتين ، والسمهج : المسرع . (٢) كذا في الأصول : « درن » .
(٣) الزرج ، بفتح فسكون : جلبة الخيل وأصواتها . القاموس (زرج) . (٤) الجوف: جوف المحورة ببلاد همدان . انظر معجم البلدان ٢/١٥٨ .

(نفحة الريحانة ٣/٣٣)

٢٥١

الحسين بن سليمان بن داود المُزْهِبِيّ

صاحب التَّجْنيس البديع الجِنْس ، الذى ضرَب به إلى الجِنّ وهو من خِيار الإنْس.
فتبارَكَ مُعْطِيه ، ولله مُتَعاطِيه .
ما أطولَ باعَه ، وأحسنَ طِباعَه .
ولقد سُخِّر له هذا النوعُ من الكلام كلَّ التسخير ، ولَعَمْرِى إنه لم يسمع بأحْسنَ[1] منه فى الزَّمَنَيْن الأوّلِ والأخير .

وقد أثبتُّ له مالو سمعه أبو منصور[2] ، لقال : التَّجْنيسُ الأنِيس على هذا مقصور .
أو أبو الفتح[3] لأعْرَض عن جِناسه الذى كثَّر فيه أقْواله ، وعَدَّ التَّناصلَ من التَّورُّط فى أمثالِه أقْوَى له .

***

فمن قوله ، وقد اتَّفق له أنه رفع قصته[4] للمتوكل[5] ، يعرض فيها شوقَه إلى وطنِه ، ويستأذن منه فى الذّهاب إلى أهلِه ، فوقّع له تحت قصته بيتاً فقط :

إذا يسَّر اللهُ أمراً أتاكَ وإن حاول النـاسُ إبْطالَهُ

فضمَّن هذا البيت فى قصيدة .

وهى :

أُذكِّرُ مولاىَ ماقالَهُ لعبـدٍ أبَثَّك أحْوالَهُ

---

(١) فى ج : « أحسن » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) يعنى أبا منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى ، صاحب أجناس التجنيس . (٣) يعنى أبا الفتح على بن محمد البستى ، صاحب الطريقة البديعة فى التجنيس . (٤) فى ب : « قصته » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٥) تقدمت ترجمته فى هذا الجزء ، صفحة ٢٤٩ .

شكى مايعانيه من دهره وأحسن فى الله آماله
فكان جوابُ إمامِ الهدى أدام له اللهُ إجلالَهُ
بخطِّ يدٍ خُلِقتْ للعطاء تُبارِى الغمامَ وتهْطالَهُ
إذا يسّر اللهُ أمراً أتاكَ وإن حاوَل الناسُ إبْطالَهُ
فجــدَّد قولُك أسماله وكان جوابُك أسْمَى لَهُ
وأشْفَى لقلبٍ وأطْفَى لَهُ لمن بَاتَ يذكُر أطْفالَهُ
وبَشَّرتَه ببُلوغِ المُــنَى وسكَّنْتَ بالوعــدِ بَلْبالَهُ
وأصبح يخْتــالُ من تِيهِه ويسحبُ بالفخرِ أذْيالَهُ
وهنَّاه كلُّ صـديقٍ وقَا لَ طُوبَى له ثم طُوبَى لَهُ
فأمْرُك فى مُخْلِصٍ مُضْمِرٍ من الوُدِّ فوق الذى قالَهُ
يَعُدُّكَ ذُخْراً ويخْشَى المعادَ ونَشْرَ العبادِ وأهْــوالَهُ
ومَن يتولَّ إمامَ الزَّمانِ فقــد أصلَح اللهُ أعمالَهُ
ومن يكُ فى النُّصْحِ أوْفَى له يُسَرُّ إذا مارأى فَالَهُ
ومن يَغْدُ فى الغَيْثِ أحْمَى له يحُطُّ من الوِزْرِ أحمالَهُ (١)
وذلك فى الدِّين أقْوَى له يُســدِّد رأيُك أقوالَهُ
وأمَّا الذى لا يودُّ الإمامُ فتَعْساً له ثم سُحْقاً لَهُ
ومَن كان فى الناسِ أشْكَى له فلا أكثر اللهُ أشكالَهُ (٢)
ومن يتهزَّا فأفْعَى لَهُ ولا قبِــل اللهُ أفعالَهُ (٣)
بَقيتَ إمامَ الهدى والتقى تمُدُّ على الدِّين سِرْبالَهُ
وتشْفِى للحقِّ أوْجالَهُ وتُرْدِى للشِّركِ أبْطالَهُ

---

(١) فى ب ، ج : « يحط عن الوزر » ، والمثبت فى : ا . (٢) فى ب ، ج : « فلا كثر الله » ، والمثبت فى : ا . (٣) فى ا : « ومن يهتز » ، وفى ج : « ومن يتهز » » ، والمثبت فى : ب .

وجازاك ربُّك عن خَلْقِه   وهَنّاك مولاى أفْضالَهُ

***

وكتب إلى الحسين المُهلاّ ، بداره الواسطة فى الطور[١] من المحابشة ، وأرسلها إلى السجمة[١] :

يافاضــلاً أرْبَى على أقْرانِهِ   وسمَا بمَفْخَرِه على كِيوانِهِ[٢]

ياعالِماً بهَرَ العقولَ بفَضْــلِهِ   وبفَضْــله وذَكائِه وبَيانِهِ[٣]

ومَلِيكَ عصرٍ لا يُرامُ مَحَــلُّه   إيوانُ كسرى غار من إيوانِهِ

إن فوّق الأعْدَا سهامَ قِسيِّهِمْ   أصْماهُمُ بلسانِهِ وسِنــانِهِ

ومُجلِّياً إمّا جرى فى حَلْبَــةٍ   قد فاز يومَ سِباقِهِ ببرهانِهِ

سبّاقُ فضــلٍ لا يُشَقُّ غُبارُه   أنّى لِمثْلى الجرْىُ فى مَيْدانِهِ

حقّاً لقــد شرّفْتنى بفوائدٍ   يلْهُو بهــا المُشْتاقُ عن أوطانِهِ

من جَوْهرِ النَّظّامِ بل أفْرادُه   كالبحرِ جاد بدُرِّه وجُمانِهِ[٤]

كالروضِ فى إبّانِهِ والوردِ فى   نيسانِهِ والغُمْرِ فى رَيْعانِهِ[٥]

فالبيتُ ممّا قُلْتَــه ونظَمْتَه   يزْهُو على الهَرَمَيْنِ فى بُنْيانِهِ

أهْدَيْتَ من دُرِّ العَرُوسِ نفائِساً   صَلُحتْ لمَلْكِ الروم فى تِيجانِهِ

خزَنَتْه سُمْرُ الطورِ إعْجاباً بهِ   وتقلّدَتْه البِيضُ فى طلانِهِ[٦]

فَرفلْتُ فى السِّرْبالِ من داوُدِهِ   وعلمتُ حُكْمَ الصَّمتِ من لُقْمانِهِ

---

(١) هكذا فى الأصول ، وتقــدم ذكر الشجمة ، وشجمى ، ككسرى ، موضــع . انظر معجم البلدان ٣/٢٦١ .

وهذه الفقرة كلها ساقطة من : ج ، وهى فى : ا ، ب .

(٢) كيوان: هو زحل . (٣) فى ا : «وبنانه» ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) يشير إلى إبراهيم بن سيار النظام ، المتوفى سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وقد تقدم التعريف به . (٥) فى ا ، ب : « فى إبانه والروض فى » ، والمثبت فى : ج . (٦) كذا فى الأصول : « فى طلانه » .

وروَيتُ علم الفقهِ عن نُعْمانهِ ... وقرأتُ حُرَّ الشِّعرِ عن حسّانهِ

ورأيتُ فى الحِلْمِ ابنَ قيسٍ أحنفاً ... وإياساً المشهورَ فى إتْقانهِ

وحقَرْتُ بطليموسَ دارسَ كُتْبهِ ... ورفضْتُ رِسْطاليس فى يُونانهِ

قلّدْتنى عِقْداً نفيساً فائقاً ... قَدْرِى الحقيرُ يجلّ عن أثمانهِ

وذكَرْتَ أخلاقِى كبَغْلِى رَثّةً ... فى سَرْجِه وحِزامِه وعِنانهِ

من بعد ما كان النجومُ تغارُ مِن ... قِطَعِ اللُّجَيْنِ مَنوطةً بِجِرانهِ

وعليه دِيباجُ الحريرِ مُصوَّراً ... والجوخُ يرفُلُ منه فى ألوانهِ (١)

فكذلكَ الدهرُ الخَؤونُ بأهلِهِ ... مَن ذا نجا مِن حادثاتِ زمانهِ

لم يُغْنِ عنها البَرُّ عن غِزلانهِ ... كلاّ ولا التَّيارُ عن حِيتانهِ (٢)

فَعساكَ تُعْدِينى على حِدْثانهِ ... وتُقِصُّنى من كَفِّه وبَنانهِ (٣)

جعلَ الإلهُ بكلِّ يومٍ شارقٍ ... بعظيمِ شأنِكَ فى الورى مِن شأنهِ

---

(١) الجوخ : معرب عن الفارسية ، بمعنى كساء من الصوف . المحكم فى أصول الكلمات العامية ٥٨ .

(٢) هذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٣) أقصه من فلان : جرحه مثل جرحه . المصباح المنير (ق ص ص) .

٢٥٢

ولده محمد

خبيرٌ بأساليب الكلام ، لم يُقصِّر فى شِعره عن درجةِ الأعلام .
وكيفما تفوَّه أطرَى ، وحيثما اقتدح أوْرَى .
مع حُسْن فَهْم ، أُوتِيَ منه أوْفرَ سهم .
ونفسٍ توَّاقةٍ إلى الحسنى ، وأوصافٍ تتحلَّى بها الكاعبُ الحسْنا .

***

وقد رأيت له [١] قصيدةً أحْكَم فيها الرَّصف ، فأثبتُّ منها مايستَغنِي بنفسِه عن كثرة الوصف .

وكان كتب بها إلى السيد الحسن بن الإمام إسماعيل ، وهو باللّحيَّة [٢] ، مادحًا له ، وشاكيا إليه من والدِه :

عُوفِيتَ من كَلَفِي وفَرْطِ عَنائى	ياشِبْهَ خُوطِ البانةِ الغَنَّاء
أمَّا أنا فشُحوبُ جسمى شاهدٌ	لى بالذى أُخْفِي من البُرَحاء
ومدامِعِي تُنْبِيكَ عن صُنْعِ الأسَى	من بَثِّ نُورِ هواكَ فى أحْشائِي
فإذا امْترَيْتَ فإن أيْكَة حاجِرِى	تدْرِى بواقعتِي مع الوَرْقاء [٣]
حين امْتطَتْ فَنَنَ الأراكةِ وانبرَتْ	فى النَّوحِ تُسمِعُه على أنْحاء
فوقفتُ لا عيْنِى تُساعِدنى على	رَمْزٍ ولا كفٌّ على إيماء
حَيْرانَ مسلُوبَ الجنانِ مُقرَّحَ الْ	أجْفانِ نِضْوَ هوًى وحِلْفَ بُكاء

(١) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .
(٢) فى ا : « بالحيـة » ، والمثبت فى : ب ، ج ، وسيأتى فى القصيدة .
وحية : من مخاليف اليمن . انظر معجم البلدان ٢/٣٨٢ .
(٣) فى ا : « أيكه حاجر » ، والمثبت فى : ب ، ج .

وعلى غِياضِ الواديْين بلابلٌ … عرفتْ لفَرْطِ ذكائها أنبائي [(١)]

كَلَفٌ به فَطِنَ الحمامُ فجائزٌ … أن يُمْتَرى فيــه لدَى العُقلاءِ

أعَقيلةَ الحيِّ الغيــورِ هُمامُه … مابالُ قومِك أذَّنوا بتَناءِ

نزلوا على نَشْرِ العَقيقِ وإنَّمــا … كرِهُوا الأجْلَى سَرْحة الرَّوْحاءِ [(٢)]

بَخِلُوا بوجهِك أن أراه يَقْظةً … فلْيَمْنعونى الطَّيْفَ فى الإغْفاءِ

أنَّى يُلِمُّ بنا الخيالُ ودوننا … رَصَدٌ عليــه لقومِها الغبراءِ

ياراكباً شَدَنِيَّةً مِذْعانةً … خَرْقاءَ تَخْرِق مِطْرفَ البَيْداءِ [(٣)]

مَوَّارةً تغْشَى الهواجِرَ جَسْرةً … تُخْفِى الجوى وتُغِذُّ فى الإعياءِ

أفْرِزْ بهــا عينَ النَّباهة ضارباً … بخِفافها فى أخْــدَع البَطْحاءِ

وادفعْ بها فى صدرِ كلِّ تنُوفةٍ … غُفْلٍ عن الأعلامِ والخضْراءِ [(٤)]

فإذا عَبرتَ عن التَّحيَّةِ ضَحْوةً … وشَمِمْتَ رَوْحَ مُروءةٍ وسَخاءِ

ورأيتَ أنوارَ الإمامةِ من ذُرا … مَلِكِ الزمانِ وخاتَمِ الكرماءِ

فانْزِلْ بأبْلَجَ من ذُؤابةِ هاشمٍ … كأسٍ مَلِئٍ محامدٍ وثَناءِ [(٥)]

والْثِمْ يداً فيهــا بحورٌ خمسةٌ … أغْنَتْ مَواقِعُهــا عن الأنْواءِ

فهناك سِرٌّ للنُّبُوةِ مُضْمَرٌ … حامتْ عليــه خواطرُ العُلماءِ

شرفَ الهدى يَهْنِيك أنك سابقٌ … فَرْدٌ عن الأشباهِ والنُّظَراءِ

مازلتَ فى دَرَجِ المحامدِ راقياً … مُتوقِّلَ الهضَباتِ فى العَلْياءِ [(٦)]

بالأمسِ فى الأمَرا وأنت اليومَ فى الـ … علما وأنتَ غــداً من الخُلفاءِ

أشكو إليك أبى وذاك أخو التقى … لكنه غَمٌّ على الأبْناءِ

---

(١) فى ا : « لفرط ذكائها إيناء » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) لعل الصواب : « نشز العقيق » .

(٣) الشدنية من الإبل : منسوبة إلى موضع باليمن أو فحل . القاموس (ش د ن) .

(٤) التنوفة : المفازة لا ماء فيها . (٥) فى الأصول : « كأس ملأ » ، ولعل الصواب ما أثبته .

(٦) توقل فى الجبل : صعد فيه .

وخَصاصةً بجوانحي من كَرْبِها ... مالم تسَمْه جوانحُ الدَّهْماء

وصروفَ أيامٍ أقَمْنَ قِيامتي ... بنوَى الخليطِ وفُرقةِ القُرَناء

وجفاء مَوْلًى كنتُ أحسَب أنَّه ... عَوْني على السرَّاء والضرَّاء

ثَبْتُ العزيمةِ في العُقوقِ ووُدُّه ... مُتنقِّلٌ كتنقُّلِ الأفْيـاء[1]

يُقْفِي المَسرَّة فَرْحةً ويُسِرُّ في ... ذَيْلِ المَبرَّةِ منه غَوْلَ جَفاء

وخَلاصَـةُ الأخبارِ عنه أنه ... مُتلوِّنٌ كتلوُّنِ الحِرْباء

أخْدمْتُه نفسِي النفيسةَ باذِلًا ... نُصْحِي له في شِـدَّةٍ ورخاء

وكتبتُ عنه رسائلًا شهِد الورى ... بمَكانِ شِدَّتِها على الأعداء

ومدحتُهُ بقصائدٍ زادتْ بها ... عَلْيـاه حُسْنَ صَباحةٍ وبَهاء

ولوَ انَّها في الدهرِ سالَم أهْلَهُ ... مِن حَرْبِه وحَنا على الفُضَلاء

وإلى أبي وله السَّلامَةُ يلتقِي ... سَوْقُ العتابِ فمنه أصلُ بَلائِي[2]

مال الزمانُ عليَّ حتى زادَني ... بجَفـائِه غَمًّا على غَمَّائِي

لو كان سائلِيَ الصَّغارَ وقاصدِي ... بالخَسْفِ غيرَ أبي رأيت إبائِي[3]

لكنَّه وله الكرامةُ مَن أتَى ... نَصُّ النَّبِيِّ بحقِّـه والآئِي[4]

فلأَصْبِرَنَّ ولا أقُول له قِلًى ... قَدْكَ اتَّئِبْ أرْبَيْتَ في الغُلَواء[5]

هـذا وحاصلُ ما أُكابِدُ أنني ... قد ذُبْتُ غيرَ حُشاشةٍ وذَماء[6]

ولقد وَهَى جَلَدِي وعِيلَ تصبُّري ... ما بين حرِّ هَوًى وحرِّ هواء

هل عَطْفةٌ أو لَفْتةٌ حسَنِيَّةٌ ... تُورِي زِنادَ مَسرَّتِي ورُوائِي

---

(١) في ج : « في العقود ووده » ، والمثبت في : ا ، ب . (٢) في ا : « منه أصل بلاء » ، والمثبت في : ب ، ج . (٣) في ا : « بالخنف غير أبي » ، وفي ج : « بالحسن غير أبي » ، والمثبت في : ب.

(٤) يعني بقوله : « والآئي » والآي القرآنية الكريمة . (٥) اتأب : خزي واستحيي . القاموس (وأب)

(٦) الذماء : البقية من الشيء .

وتُحِلُّنى فى عَقْوةٍ مَلَكيَّةٍ ... منها أحُلُّ مَراتبَ الخُلَصاءِ[1]

***

فأجابه والدُه بقوله ، مع تمثُّلِه بقول المتنبّى ،[2] وغيرِه من الشعراء[2] :

جاءتْ تَميسُ كغادةٍ حسناءِ ... تختـــالُ بين غلائلٍ وحُلاءِ

منظومةً قد كُلِّلتْ بجواهرٍ ... تُزْرِى بحُسْنٍ كواكبِ الجَوْزاءِ

فَضَّ الغلامُ خِتامَها فتنفَّستْ ... كتنفُّسِ الأزهارِ غِبَّ سَماءِ[3]

فكأنّها من رِقَّةٍ وطَلاوةٍ ... تِمثالُ نُورٍ فى أديمِ هَواءِ

وكأنّها لِعُذوبةٍ فى لَفْظِهـــا ... يُضْطَرُّ سامعُها إلى الإصْغاءِ

شهدتْ لِمُنْشِئِها بحُسْنِ تصرُّفٍ ... فى الوصفِ والتَّشْبيبِ والإنْشاءِ

للهِ دَرُّك يا محمـــدُ من فتًى ... أرْبَى على النُّجَباءِ والأُدَباءِ

فَلأَنتَ سَحْبانُ البلاغــةِ ناثراً ... ولأنتَ فى الشعرا حَبيبُ الطَّاءِ

وإليك سِتَّةَ أذْرُعٍ مجموعُها ... جيمٌ وواوٌ مُعْقَبانِ بِخــاءِ

وجوابَ والدِك الشَّفيقِ كما ترى ... مُتمثِّــلا برقائقِ الشُّعراءِ

أعْزِزْ علىَّ بفُرْقةِ القُرباءِ ... وتَعَتُّبِ الأبْنـــا على الآباءِ

فتفرُّقُ البُعَداءِ بعد مَودَّةٍ ... صعبٌ فكيف تفرُّقُ القُرَباءِ[4]

أمَّا أنا فأقولُ حاشاَ للمُــــلَى ... ما حُلْتُ عن أُكْرومَتِى ووَفائِى

ومَوَدَّةٍ أخلصتُها لك طاقتِى ... فى موضعِ الإخلاصِ من سَوْدائِى

فلقد كوَى كَبِدِى الجوَى وجوانحِى ... واغتالَ حُسْنَ عَزائمى وعَزائِى

---

(١) العقوة : الساحة .   (٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٣) فى ا ، ب : « فض الغلام ختامها فنضت » ، والمثبت فى : ج .

(٤) فى ب : « فتفرق الأعداء » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وسلبتني ثوبَ التحمُّلِ والأسَى ... وكسَوْتِنِي ثوبَىْ أسًى وعَناء[1]

كم زَفْرةٍ ضَعُفتْ فصارتْ أنَّةً ... تَمَّمْتُها بتنفُّسِ الصُّعَداء

وجرى الزمانُ على عوائدِ كَيْدِهِ ... من قلبِ آمالى وعكْسِ رَجائِى

قُلْ للبَخِيلةِ إنَّ وجهكِ جَنَّةٌ ... يا مَن رأى الجنَّاتِ للبُخَلاء

طلع البشيرُ بأطيبِ الأنْباء ... بُشْراىَ إنَّ العامَ عامُ لِقاء

وَعَدَتْ سعادُ بأن تزورَكَ فارْتقِبْ ... بُعْدَ السُّعاةِ وغَيْبةَ الرُّقَباء

إن صحَّ ذاكَ ومَن بذاكَ فقد غدتْ ... رُؤْياىَ حقًّا واستُجِيبَ دُعائِى

ماذا عليكِ إذا اكتسبْتَ مَبرَّةً ... تُجْزَى بها فى الخُلْدِ خيرَ جَزاء

ورَحِمْتَ ضَعْفَ جوارحى وقُوائِى ... لحملتَ بعضَ الثِّقْلِ مِن أعْبائِى

ووَصلْتنِى ممَّا لديْك ببَدْرةٍ ... مَعْدودةٍ من فِضَّةٍ بَيْضاء

إن الأبرَّ من البَنِين يواصلُ الْـ ... إحسانَ مُغتنِماً جَزِيلَ ثَناء

واسمعْ لقول ابن الحُسَين وياله ... مِن شاعرٍ أرْبَى على الحكماء

لأَبٌ قَطوعٌ جافٍ مُتجهِّمٌ ... أحْنَى إذاً من واصلِ الأبْناء[2]

* * *

وله من قصيدة، مستهلُّها:

لولا اشْتياقى حبيباً قَطُّ ما قَرُبَا ... لم ألْفَ صَبًّا ضئيلَ الجسمِ مُكتئبا

ولا شَجَتْنِى حَمامُ الدَّوْحِ ساجعةً ... وهيَّجتْ لِىَ أرْواحُ الصَّبا طَرَبا[3]

ولا أرِقْتُ لبَرْقٍ لاح مُبتسِما ... يحْدُو لِىَ الجزْعَ سُحْباً بَاتَ مُنْتحِبا

---

(١) فى ج: «ثوبى أسى وعزاء»، والمثبت فى: ا، ب.

(٢) لم يرد هذا البيت فى ديوان المتنبي على هذا الروى.

وفى ا، ج: «جاء فى متجهم»، والمثبت فى: ب.

(٣) فى ج: «حمام الدوح صادحة»، والمثبت فى: ا، ب.

ولا رضيتُ سؤالَ الظُّعْنِ لِي خلفاً   دون الشريفَيْن أعنى العلمَ والأدَبا[(١)]

ولا سَنَنْتُ وُقوفَ الصَّحْبِ فى طَلَلٍ   ما كان يطمع قلبي فيه أن يَجِبا

فاعذُرْ عَذُولِى ولاتُنْكِرْ ضَنَى جسدِى   وخَلِّ لَوْمِى وحَمْلِى فى الهوى التَّعَبا

ماذا أغاظك من شَجْوِى ومن قَلَقِى   ومن نُحُولِى ورَعْيِى فى الدُّجَى الشُّهُبا

إن العـــذاب لَمَذْبٌ فى الغرام وما   غدا لِىَ الصَّابُ إلا فى الهوى ضَرَبا[(٢)]

فى ذِمَّةِ اللهِ عينٌ ظَلَّ مَدْمَعُها   وخاطِرٌ راح فى حُبِّ الحِسانِ هَبا

ما بين جَفْنِى وبين النومِ فاصِلةٌ   لم تُبْقِ للطيفِ فى أجْزَا الكَرَى سَبَبا[(٣)]

تاللهِ ما عَنَّ ذِكْرُ السفحِ من إضَمٍ   إلا رَكِبتُ من الأشواقِ ما صَعُبا

يا رَبْعَ سَلْمَى سلمتَ المَحْلَ ما سلمتْ   ولا عَداكَ من الأنواءِ ما عَذُبا

ما بالُ مَمنوعِ حُزْنِى فيه مُنْصرِفاً   وما لمخفوضِ عَيْشِى فيك مُنْتصِبا

إن لم يُفِدْ ماءُ عينِى فيك مُطَّرِداً   فالقلبُ ما زال إلَّا عنك مُنْقلِبا

سَقْياً لأوْقاتك اللاتِى قَضيتُ بها   من الحبيبِ ومن شَرْخِ الصِّبا الأرَبا

أيامَ لا كاشِحٌ تُخْشَى غَوائِـــلُه   ولا عَذولٌ نُداريه إذا عَتَبا

وأهْيفِ القَدِّ عَبْلِ الرِّدْفِ مُقْتَبِلٍ   ما ماسَ إلَّا ذكرتُ البانَ والكُثُبا

يجُولُ ماءُ الصِّبا فى صَحْنِ وَجْنتِه   ويستحيـــلُ إذا حدَّثْتَه لَهَبا

حُلْوِ الفُكاهةِ إلَّا أن مَطْعَمَه   مُرٌّ إذا ما ثَنَى أعْطافَه غَضَبا

أدْنُو ويُبْعِدُه دَلُّ الشبابِ جَفا   فكلَّما قلتُ قد جَدَّ الهوى لَعِبا

كم صِحْتُ من طَرْفِهِ الفتاكِ وَاحَرَبا   لو كان ينفع قولُ الصَّبِّ وَاحَرَبا

قد صدَّنى عن نَسِيبٍ فيه أنْظِمُه   مَديحُ مَن طاب فى هذا الورى نَسَبا

❁

---

(١) فى ج : « ولا رضيت سواك الظعن » ، والمثبت فى : ا ، ب .   (٢) الضرب : العسل الأبيض الغليظ.

(٣) فى ج : « لم تبق للصيف » ، والمثبت فى : ا ، ب .

٢٥٣

الحسين بن على الوادِى*

هو فى الفضل صاحبُ مَزايا بوَادِى ، وأمّا فى الأدب فإن شئتَ عُدَّه من عَذَبات وَادِى .

يُجاذِبُه نسيمُ اللُّطفِ مِن هنا وهنا ، وإذا ساقَطَ فلا يُساقِط إلا رَطْباً جَنَى .

***

وقد أثبتُّ من شِعره ما يُحرِّك العَذَب[1] ، ولم يسمعْه صَبٌّ إلّا وإليه انْجَذَب .

فمنه قوله[2] :

نسيمَ الصَّبا فى سُوحِنَا يتبختَرُ ... لكَ اللهُ ما هذا الأرِيجُ المُعَنْبَرُ

أأنت رسولٌ يا نسيمَ الصَّبا وعن ... حُلولِ الحِمَى أم أنت عنهم مُبَشِّرُ[3]

فهمتُ الذى أودَعْته غيرَ أننى ... أُحِبُّ حديثاً منهمُ يتكرَّرُ

لِما ألِفَتْه النفسُ منهم وعُوِّدتْ ... وإلّا فعِلْمُ الغَيْبِ لا يُتقدَّرُ[4]

(*) الحسين بن على الوادى اليمنى .

من شعراء اليمن الفائقين ، وكان أديبا ، لطيف الطبع ، كثير الإحسان فى شعره .

توفى سنة ست وسبعين وألف ، بالجبى ، بفتح الجيم ، وكسر الباء الموحدة ، ثم ياء نسب : اسم لحصن عظيم عال من بلاد ريمة .

خلاصة الأثر ٢/٩٩ ـ ١٠١ ، حديقة الأفراح ١٠ ، ١١ .

والوادى ، نسبة إلى : وادى بنا ، أو وادى خبان ، أو وادى الشزب ، أو وادى يسكلا ، وكلها مواضع باليمن .

انظر معجم البلدان ٤/٨٧٥ ، ٨٧٧ ، ٨٨٠ .

(١) العذب : أغصان الشجر ، والأطراف من كل شىء . (٢) القصيدة فى : حديقة الأفراح ١٠ ، خلاصة الأثر ٢/٩٩ ، ١٠٠ . (٣) فى ا ، ب ، وخلاصة الأثر : « يا نسيم الصباء عن » ، والمثبت فى : ج ، والحديقة . (٤) فى ج : « لما ألفته النفس منهم وعودة » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والحديقة ، والخلاصة .

فكَرِّرْ على سَمْعِي أحاديثَ ذِكْرِهِمْ ... عسى تَنْطَفِي نارٌ بقلبي تَسَعَّرُ[1]

همُ استَصحبُوكَ السِرَّ بيني وبينهم ... لأنك أبْدَى بالجميـلِ وأبْدَرُ[2]

ومِثْلِي هداكَ اللهُ يا سارِيَ الصَّبَا ... يُسِرُّكَ والمعروفُ أجْدَى وأجْدَرُ

وأبْلَجَ أمَّا الخـدُّ منه فأحمرٌ ... وأمَّا قَوامُ القدِّ منه فأسمـرُ

وأمَّا ثنـايا ثَغْرِه حين يُجْتَلَى ... فكأسُ جُمانٍ فيه خمرٌ وكَوْثَرُ[3]

يُغازِلُ عن عَيْنَىْ مَهاةٍ وشادِنٍ ... يُلاحِظُنا منها سِهامٌ وأبْتَرُ

هي البِيضُ إلاَّ أنها خَنْدَسِيَّةٌ ... هي النَّبْلُ إلا أنهـا تتكسَّرُ

هي السِّحرُ إلَّا أن فيها خَصائصاً ... بها عالِمُ السِّحرِ الصِّناعِيّ يُسْحَرُ

وفي خـدِّه خالٌ يقولون إنه ... بِلالٌ له في جامعِ الحُسْنِ مِنْبَرُ

بَلَى ذلك الخالُ الصَّرِيحُ إشـارةٌ ... عديمةُ مِثْلٍ لا بِلالٌ وعنـبرُ

شكوتُ له من فَتْرةٍ في جُفونه ... لِشِدَّةِ ما ألْقَى بها حين تفـتُرُ

وما أنا فيه من هوًى وصَبابةٍ ... تبيتُ بها الأحشاءُ تُطْوَى وتُنْشَرُ[4]

فأفْصَح عن لفـظٍ توهَّمتُ أنه ... جُمانٌ من الثَّغْرِ الجُمانِيِّ يَبْهَرُ[5]

وقال نعم هـذا لعَيْنِيَ مَذهبٌ ... وفِتْنةُ نفسِ المرءِ شيءٌ مُقدَّرُ

بِرُوحِيَ أفْدِي جائرَ اللَّفـظِ قَدُّه ... تحقَّق فينا عَدلُه حين يَخْطِرُ[6]

ألا إن عَدْلَ القدِّ أكبرُ شاهدٍ ... عليك بجَوْرِ الحكمِ واللهُ أكبرُ

ورِقَّةَ هـذا الجسمِ منك بأنَّني ... رقيقُ هوًى والشيءُ بالشيءِ يُذْكَرُ[7]

---

(١) في ج: «أحاديث سمعهم»، والمثبت في: ا، ب، والحديقة، والخلاصة.
وفي خلاصة الأثر: «نار بأحشاى تسعر».

(٢) في ب: «أبدا بالجميل» ولعلها مسهل «أبدأ»، والمثبت في: ا، ج، والحديقة، والخلاصة

(٣) في الحديقة، والخلاصة: «حين يجتلى». (٤) في حديقة الأفراح: «تبيت بها الأشواق»

(٥) في ج: «فأفصح من لفظ»، وفي الخلاصة: «وأفصح عن لفظ»، والمثبت في: ا، ب، والحديقة

(٦) في الحديقة: «جائر اللحظ»، وفي خلاصة الأثر: «بروحي جوار اللحاظ وقده».

(٧) في خلاصة الأثر: «رقيق هوى والمثل بالمثل ينظر».

فللهِ أزمانٌ تواصَــــل يومُها بلَيْلتِها والعمرُ كالعَيْشِ أخضرُ
وليلٌ عهِدناهُ وإن كان أسوداً كشَعرِ الصِّبا يشكو سَواداً فيُشْكَرُ
وأحبـابُ قلبٍ ليس إلّا همُ المُنى صَفاء ودادِي فيهمُ لا يُكدَّرُ
دلائلُ عِشقِي فى هواهم صريحةٌ ومعرفتى فى حُبِّهم ليس تُنكَرُ
رِبحْتُ هَواهمْ فى زمانِ شَبيبتى وشِبْتُ فلن أرْضَى بأنِّيَ أخسَرُ
فلا تُنْكِروا أن أرْسَلَ الجفْنُ دَمْعَه وقد جاء فى رأسى من الشَّيْبِ مُنْذِرُ
ويعقوبُ أحْزانِي ويوسُف فِتْنتِي وصالحُ أعمــالِي عَسانِيَ أُوجَرُ
خليليَّ عَهْدُ اللهِ إن جُزْتُما الحِمَى وعايَنْتُما قلـــبي ببَيْداه يَجْأرُ
فدُلّا عليـه جِيرةَ الحَيِّ واذْكُرَا لهم من حديث الصَّبِّ ما يتيسَّرُ



٢٥٤

عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن مسعود الحوالىّ (١)

مُشَعْشِع سُلافٍ فى دِنان ، وواصِف جُؤْذُر وغُصنٍ فَيْنان .
بألفاظٍ مِلؤُها تَطْرِبَة ، ومعانٍ كلُّها عن الحسن تَوْرِيَة .
إلى طبعٍ يَفِيضُ فيه الغَمام ، وشِعْر كما بدَت الزَّهْرة من الأكْمام .

***

فدُونَك منه ماهو أشهَى من ثَغْرٍ مُبْتسِم ، وأبْهَى من خَطٍّ فى صفحةِ خَدٍّ مُرْتَسِم .

فمنه قوله :

عن سُعادٍ وحاجِرٍ حَدِّثانِى ... ودَعانِى من المَلامِ دَعانِى
واذْكُرا بُرْهةً من الدهرِ مَرَّتْ ... كنتُ أُدْعَى فيها صَرِيعَ الغَوانِى (٢)
أنا لا أكْتفِى بنَأْىِ رِئام ... والرُّبوع الرِّحاب من نَعْمانِ (٣)
قد سقَتْنِى بكأْسِها من مُدامٍ ... هيَّم القلبَ لَوْنُها الأُرْجُوانِى
عُتِّقتْ فى الدِّنان من عهد كِسْرَى ... فهْى تُنْمَى إلى أنُو شِرْوانِ
بَهرتْ فى الصِّفاتِ حَمْراء صَفْرا ... ءُ سُرورَ القلوبِ والأبْدانِ
ياعَذُولِى ولستُ للعَذْلِ أُصْغِى ... غيرَ قلبى يهُمُّ بالسُّلْوانِ (٤)
ولَوَ انِّى رُزِقْتُ حَظًّا لما صِرْ ... تُ أُعانِى من الهوى ما أُعانِى

---

(١) لعله نسبة إلى حوالى ، بضم الحاء وفتح اللام : موضع . انظر القاموس (ح و ل) .

(٢) فى ب ، ج : « كنت أدعى بها » ، والمثبت فى : ا .

(٣) كذا « بنأى رئام » ، ولعلها « بنأى رئام » .

(٤) فى ج : « يهيم بالسلوان » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وَلَأُثِرْتُ حاجـــةً فى فؤادِي ‌ ‌ ‌ ‌ صُنْتُهُـــــا عن فُلانةٍ وفُلانِ

***

وقوله فى رُباعيّة :

ياجُودَ حَياً على الجِنانِ العَرَبِي ‌ ‌ ‌ ‌ قد أنعمه بوَاكِفاتِ السُّحُبِ

أحْيَيْتَ الأرضَ فى رُباهُ فمتى ‌ ‌ ‌ ‌ تحْيَا بالوصـــلِ من حبيبى قَلْبِي

*



٢٥٥

أحمد بن سعد الدين بن الحسين بن محمد المسوري *

فتى إنابةٍ وعَفاف ، وله احتفافٌ بالفضائل والْتِفاف .

وكانت دولةُ القاسم زاهيةً بطلعته ، يتكلَّم في غَرَضٍ فتتحدّر سيولُ البراعةِ من تَلْعتِه .

وله في الأدب مِقْدار يتوسَّع فيه الشاكِر ، ويتفسَّح فيه الواصِفُ والذَّاكر .

ينظِم بأقلامِه ، منثورَ الآثار من كلامِه .

وينسِج بعباراته ، وَشايع [١] مُخاطباتِه ومُحاوراته .

***

فمن بدائعه ، ما أجاب به الأمير الشريف الحسين بن أحمد الخواجي [٢] ، صاحب صَبْيا [٣] ، وقد كتب إليه كتابا ، وأصْحَبه هديّةً :

وصل الكتابُ الذي هو جوابُ جوابي عليكم ، مشتمِلا على وجوهٍ من الخطاب ، صيَّرت ما كان سبَق منِّي من الإحسان بإجابةِ الكتاب الأول ذَنبًا ، وما كنت أحسَبه

(*) أحمد بن سعد الدين بن الحسين بن محمد المسوري اليمني الزيدي .

القاضي الفاضل ، المترسل البليغ المنشئ .

ولد سنة سبع وألف ، ببلاد الشرف .

وشارك في الفنون ، وحرر في كثير منها رسائل وفتاوى .

واتصل في أول عمره بالإمام القاسم بن محمد ، وأخذ عنه وكتب لديه ، ثم اتصل بولده الإمام المؤيد بالله ، ثم بأخيه الإمام المتوكل على الله .

توفي سنة تسع وسبعين وألف .

البدر الطالع ١/٥٨ ، ٥٩ ، خلاصة الأثر ١/٢٠٤ – ٢٠٧ .

(١) الوشيع : علم الثوب ، والوشيعة : القصبة التي يجعل فيها النساج لحمة الثوب للنسج .

(٢) ذكر المؤلف هذا أيضاً في خلاصة الأثر ١/٢٠٤–٢٠٧ . (٣) في خلاصة الأثر : «صنعا» . وصبيا : من قرى عشر ، من ناحية اليمن ، معجم البلدان ٣/٣٦٧ .

حَمْداً عند الله وعند خِيار [1] عبادِه سَبًّا ؛ إذْ لم يقعْ منِّى ماصدَر من البَشِير [2] السَّابق لمن [3] وصل [4] الحضرةَ الإماميَّة من إخوانكم الشُّرَفا ، ثم جوابى عليكم [5] فى كتابِكم الذى ابتدأ المولَى به إلّا رعايةً لحقِّ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ إذ [6] كنتم وأولئك الجماعة من أهلِ بيته ، وممَّن يُنْسَب إلى ذُرِّيَّته ، ثم صيانةً لعِرْضِ مولانا أميرِ المؤمنين ، ومحبَّةً فى أن يكون مَن فى [7] حَضْرتِه [8] الكريمة من المُكرَمين [8] ، كما جاء فى الحديث النَّبَوىِّ : « المُؤْمِنُ إِلْفٌ مَأْلُوفٌ » .

وكنتُ [9] أظنُّكم ـ رعاكمُ الله ـ وأولئك الجماعة ، ممن له فى خوفِ الله نصيب ، وممن قد أقْلَع عمَّا يُوجب البعدَ من القريب المُجِيب ، وممَّن دَعْواه صادقةٌ ، وأنه لا يريد إلا الله ، ولا يسعَى إلّا فى طاعتِه وتقْواه ؛ فخدعْتُمونى فى الله فانْخَدعت ، ولو أخذتُ بالحَزْم الذى هو سوء الظنِّ لما أبْعدت ، فحمَلتُم تلك الحالةَ على مازهَّدنى ـ والله [10] ـ وغيرى من المؤمنين فيكم ، [11] ونبَّهنى على الحَذَر والرَّيْب فى كلِّ مايصدُر من قولٍ أو فعلٍ عنكم [11] ؛ إذ أحْلَلْتمونى مَحَلًّا لستُ من أهله .

وكتبتُم إلىَّ بتَصْدير هديَّتِكم ، المردودة إليكم غيرَ مشكورةٍ ولا محمودة ، ولم ترَها ـ والحمدُ لله ـ عيْنى ، ولا لَمَسَتْها ـ والمِنَّة لله علىَّ ـ يَدِى ، أردتم خَديعتى عن دِينِى ، والتوصُّلَ بها إلى ما [12] تُرِيدون من أغْراضِ الأهْواء [13] وإن أهلَكَنى [13] .

---

(١) فى خلاصة الأثر : « خير » . (٢) فى خلاصة الأثر : « البشر » . (٣) فى ا : « لم » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة . (٤) بعد هذا فى خلاصة الأثر زيادة : « إلى من » .
(٥) فى خلاصة الأثر : « لكم » . (٦) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، والخلاصة .
(٧) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، والخلاصة . (٨) زيادة من خلاصة الأثر يقتضيها التسجيع .
(٩) فى الأصول : « وكنتم » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر . (١٠) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر . (١١) ساقط من : ا ، وهو فى : ب ، ج ، وخلاصة الأثر .
(١٢) فى ج زيادة : « لا » ، وهو خطأ ، صوابه فى : ا ، ب ، والخلاصة .
(١٣) فى خلاصة الأثر : « فى هلكتى » .

وأكون كما قيل (1) :

بِتُّ كأنّى ذُبالةٌ نُصِبَتْ تُضِىءُ للناسِ وهْى تحترقُ (2)

ومَعاذَ الله أن أكون ممَّن يبيعُ دِينَه بكلِّ الدنيا ، فضلا عن عَرَضٍ منها هو أقلُّ وأدْنَى ، وأن يُحْبِط أعمالَه ، ويُبْطلَها ، بإماطة الأوْساخ عن الناس لـ ﴿ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (3) .

وكيف إن بَقِىَ شىء من المعقول آمُرُ الناس بالبِرِّ وأنْسَى نفسِى ، وأتصدَّر لإمام الحقِّ فى إنْشاء مواعظَ يخطب بها على المَنابر لنصيحة الخَلْق (4) وأخُونُهـا ، وهى أعزُّ الأنفُسِ عندى (4) .

على أنّى ـ والمِنَّة لله علىَّ ـ من فضلِ ربِّى ، وفضلِ إمامى فى خيرٍ واسِـع ، ورزقٍ جامِـع ، وأمَلٍ فى كلِّ بَلاغ رائِـع .

ثم (5) إنه لا يسلُك أحدٌ طريقةً إلَّا وله فيها سلَف يقْتدِى بهم بعد رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

فأوَّلُهم أميرُ المؤمنين علىّ ، كرَّم الله وجهَه ، وهو يقول فى خطبة له (6) : « واللهِ لَأن أبِيت على حَسَكِ السَّعْدانِ (7) مُسهَّدا ، أو أُجرَّ فى الأغلال مُصفَّداً ، أحبُّ إلىَّ من أن ألْقَى اللهَ تعالى ورسولَه يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، أو غاصباً (8) لشىء من الحُطام .

---

(1) صاحب هذا البيت هو العباس بن الأحنف .
وهو فى ديوانه ١٩٧ .

(2) فى الديوان : « صرت كأنى » .

(3) سورة الأنعام ٥٦ . (4) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

(5) من هنا إلى قوله : « وبيشر فتلقه » الآتى، ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر.

(6) نهج البلاغة ٤٩٢/١ـ٤٩٤ . (7) السعدان : نبت ترعاه الإبل ، وحسكه : شوكه .

(8) فى نهج البلاغة : « وغاصبا » .

وكيف أظلمُ أحداً لنفسٍ [١] يُسْرِع إلى البِلَى قفولُها ، ويطولُ في [٢] الثَّرى حلولُها .

واللهِ لقد رأيتُ أخي عَقِيلاً وقد أمْلَق حتى استماحَني من بُرِّكم صاعاً ، ورأيتُ صِبْيانَه شُعْثَ [٣] الشعور ، غُبْرَ [٣] الألوان من فقرِهم ، كأنما سُوِّدَتْ [٤] وجوهُهم بالعِظْلِم [٥] ، وعاوَدني مؤكدا ، وكرَّر عليَّ القولَ مُردِّدا ، فأصغيتُ إليه سمعي ، فظنَّ أني أبيعُه دِيني ، وأتَّبع قِيادَه مفارقاً طريقي [٦] ، فأحميتُ له حديدةً ، ثم أدنيتُها من جسمِه ليعتبر بها ، فضجَّ ضجيجَ ذي دَنَفٍ من ألمِها ، وكاد أن يحترق من مِيسَمِها [٧] .

فقلتُ له : ثَكِلَتْك الثواكلُ ياعَقِيل ، أتئنُّ من حديدةٍ أحماها إنسانُها لِلَعِبِه ، وتجرُّني إلى نارٍ أضرمَها [٨] جبَّارُها لغضبه ؟ أتئنُّ من الأذى ، ولا أئِنُّ [٩] من لظى ؟

وأعجبُ من هذا طارقٌ طرَقنا [١٠] بملفوفةٍ في وِعائِها [١١] ، ومعجونةٍ شَنِئْتُها [١٢] كأنما [١٣] عُجِنت بريقِ حيَّةٍ أو قيئِها .

فقلتُ : أصِلَةٌ ، أم زكاةٌ وصدقة [١٤] ؟ فذلك مُحرَّم علينا . أهلَ البيت .

قال : لا ذا ولا ذاك ، ولكنها هديَّة .

---

(١) في خلاصة الأثر : « والنفس » ، والمثبت في الأصول ، ونهج البلاغة .
(٢) في ا : « على » ، والمثبت في : ب ، ونهج البلاغة ، وخلاصة الأثر .
(٣) زيادة من نهج البلاغة ، على ما في الأصول ، وخلاصة الأثر . (٤) في الأصول : « اسودت » ، والمثبت في : نهج البلاغة ، وخلاصة الأثر . (٥) العظلم : عصارة شجر أو نبت يصبغ به . القاموس (ع ظ ل م) . (٦) في نهج البلاغة : « طريقتي » ، وفي خلاصة الأثر : « يقيني » .
(٧) في الأصول : « منسمها » ، وفي الخلاصة : « مسها » ، والمثبت في نهج البلاغة .
(٨) في نهج البلاغة : « سجرها » . (٩) في نهج البلاغة : « تئن » ، وفي خلاصة الأثر : « أخاف » .
(١٠) في خلاصة الأثر : « يطرقنا » . (١١) في الأصول : « وعيها » ، والمثبت في : نهج البلاغة ، وخلاصة الأثر .

والملفوفة : نوع من الحلواء ، أهداها إليه الأشعث بن قيس . انظر حاشية نهج البلاغة .
(١٢) زيادة من نهج البلاغة . (١٣) في نهج البلاغة : « كأنما » . (١٤) في نهج البلاغة : « أم صدقة » .

فقلتُ : هَبِلَتْكَ الهَبُولُ[1] ، أعَن دينِ اللهِ أتيتني لتخدعني ! أمُخْتَبِط[2] ، أم ذو جِنَّة ، [3] أم تَهْجُر [3] ، واللهِ لو أُعطِيتُ الأقاليمَ السَّبعة بما تحت أفلاكِها على أن أعصيَ اللهَ في نملةٍ أسلُبها جُلْبَ[4] شَعيرةٍ مافعلتُه[5] ، وإن دُنْياكُم هـــذه[6] لأهْوَنُ[7] من ورقةٍ في فَمِ جَرادةٍ تقضَمُها ، مالعليٍّ ونعيمٍ يفْنَى ، ولَذَّةٍ لا تبْقَى ، نعوذُ باللهِ من سُباتِ[8] العقل[9] ، وقُبْحِ الزَّلَل ، وبهِ نستَعين » .

وأقربُ أئمَّتي إمامُ عصري بعد والدِهِ أميرِ المؤمنين القاسم بن محمد بن علي ، رضوانُ اللهِ عليهم ، وهما مَن عَلِم الخاصُّ والعامُّ سُلوكَهما تلك الطريق ، وتمسُّكَهما بذلك الحَبْل على التَّحقيق .

ورَفْضَهما الدنيا بعد مُلْك المشرِق والمغرب ، ورضاهما منها بأدْناها مع[10] نُفوذِ أمرِهما في العرب والعجَم ، والبُعد والقُرْب .

والشمسُ إن تخْفَى على ذي مُقْلةٍ ... نصفَ النهار فذاكَ تحقيقُ العَمَى

وأما آبائي الذين أنتسبُ إليهم ، فأدْناهم أبي الذي ولَدني كان ، والله ، كما وردَ في الحديث النَّبَويِّ : يغضَبُ لمَحارِمِ اللهِ كما يغضَبُ الجملُ إذا هِيج ، لا تأخذُه في الله لَوْمةُ لائم .

وكما قال الأول :

القائلُ الصدقَ فيـــه مايضُرُّ بهِ ... والواحدُ الحالتين السر والعَلَن[11]

---

(١) الهبول : « المرأة لا يعيش لها ولد » . (٢) في خلاصة الأثر : « أخبط أنت »

(٣) ساقط من خلاصة الأثر .

وتهجر : تقول الهجر ، وهو ما لا معنى له .

(٤) في الأصول ، وخلاصة الأثر : « خلب » ، والمثبت في نهج البلاغة .

وجلب الشعيرة : قشرها . انظر شرح ابن أبي الحديد ٢٤٩/١١ .

(٥) في نهج البلاغة : « ما فعلت » ، وفي خلاصة الأثر : « مافعلتها » . (٦) في نهج البلاغة : « عندي » .

(٧) في خلاصة الأثر بعد هذا زيادة : « عند الله » . (٨) في الأصول ، والخلاصة : « سيئات » .

(٩) في خلاصة الأثر : « العمل » . (١٠) في ا : « و » ، والمثبت في : ب ، وخلاصة الأثر .

(١١) في خلاصة الأثر : « حتى ما يضر به » .

ثم أخوه عمِّى الذى أدَّبنى ، كان كما قال أميرُ المؤمنين علىٌّ كرَّم الله وجهَه فى صفةِ المؤمن [1] : « بِشْرُه فى وَجهِه ، وحُزْنُه فى قلبِه .

أوْسَعُ شىء صدراً ، وأذَلُّ شىء نفساً .

يكره الرِّفعة ، ويَشْنأُ السُّمْعة .

طويلٌ غَمُّه ، بعيد هَمُّه .

كثيرٌ صَمْتُه ، مشغولٌ وَقْتُه .

شَكُور ، صَبُور .

مغمورٌ بفِكْرتِه ، ضَنِين بخُلَّته .

سهلُ الخَلِيقة ، لَيِّنُ العَرِيكة .

نفسُه أصلبُ من الصَّلْد ، وهو أذلُّ من العَبْد » .

ثم أبوهما جَدِّى [2] سلمان أهلِ البيت ، الذى لا نعلم أن إماماً من الأئمة مدح غيرَه بذلك ، فقال الإمام شرفُ الدِّين لولدِه شمسِ الدين :

جاءكم سَلْمــــانُ بَيْتِى ... فاعرِفَنْ ياشمسُ حَقَّهْ
وبرَجْـــواك فحَقِّقْ ... وببِشْرٍ فتلَقَّــــهْ [3]

***

وأنا ، بحَمْد الله ، لم أعرِف غيرَ سَبِيلِهم ، ولا رُبِّيتُ إلا فى حُجورِهم .

وإنِّى والناس لكما [4] قال عمرُ بن عبد العزيز [5] ، رضِىَ الله تعالى عنه :

يقولون لى فيك انقِباضٌ وإنمــــا ... رأَوا رجلاً عن موقفِ الذُّلِّ أحْجَمَا

(١) فى ب بعد هذا زيادة : « المؤمن » ، والمثبت فى : ا ، وخلاصة الأثر .

(٢) فى خلاصة الأثر بعد هذا زيادة : «المسمى» . (٣) فى خلاصة الأثر : « ولرجواه فحقق » . وهذا آخر الساقط من : ج ، وجاء فيها بعده : « إلى أن قال » .

(٤) فى ا ، ب : « كما » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر . (٥) هذه الأبيات للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى ، من شعراء اليتيمة ، وهى فيها ٤/٢٣ .

أرى الناسَ مَن داناهمُ هان عندَهمْ ... ومن أكرمَتْه عِزّةُ النّفسِ أُكْرِما [1]
ولم أقْضِ حقَّ العلمِ إن كنتُ كلما ... بَدَا طَمَعٌ صَـــيَّرتُه لِيَ سُلَّمَا [2]
وما كُلُّ بَرْقٍ لاح لى يسْتفزُّنِي ... ولا كلُّ مَن فى الأرضِ ألقاه مُنْعِمَا
إذا قيل هذا مَشْرَبٌ قلتُ قد أرى ... ولكنَّ نَفْسَ الحُرِّ تحتمِلُ الظَّمَا
ولم أبْتذِلْ فى خـدمةِ العلمِ مُهجَتِي ... لأخـدُم مَن لاقيْتُ إلّا لِأُخْدَمَا [3]
أأشْقَى به غَرْساً وأجْنِيـــه ذِلَّةً ... إذاً فاتّباعُ الجهــلِ قد كان أسْلَمَا [4]
ولو أنَّ أهلَ العــلمِ صَانُوه صانَهُمْ ... ولو عظَّموه فى النفوسِ لَعُظِّمَا [5]
ولكنْ أهانُوه فهَانَ ودَنَّسُوا ... مُحَيَّاه بالأطْماعِ حـــتى تجهَّمَا [6]

اللهمَّ إنى لا أقول ذلك افتخاراً على غيرى ، ولا تزْكيةً لنفسِى ، (7) ولكنْ لما شرعْتَه (7) من تجنُّبِ مواقفِ التُّهَم .

وأنا مع ذلك معترِف بأنِّى أحقرُ من أن أُذْكَر ، وأهْوَنُ من قُلامة الظُّفر ، ولكن مظلومٌ رفعتُ ظُلامتى إليك (8) .

وكما قال زَيْنُ العابدين ، (9) عليه السلام (9) : « يامَن لا تخْفَى عليه أنْباء المتظلِّمة ، (10) ويامَن لا يحْتاج فى قِصَصِهم إلى شهادةِ الشّاهِدين ، ويامَن قَرُبتْ نُصْرتُه من المَظْلومين (10)

---

(1) لم يرد هذا البيت فى اليتيمة .
(2) فى اليتيمة : « إن كان كلما » .
(3) فى خلاصة الأثر ، واليتيمة : « لكن لأخدما » . (4) فى اليتيمة : « قد كان أحزما » .
(5) لم يرد هذا البيت والذى يليه فى اليتيمة .
وفى ا : « ولو كان أهل العلم » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(6) فى خلاصة الأثر : « حتى تهجما » . (7) فى خلاصة الأثر : « بل لما ينبغى » .
(8) ساقطمن : به ، وهو فى : ا ، ج ، وخلاصة الأثر . (9) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وفى الخلاصة : « رضى الله عنه » . (10) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، والخلاصة .

ويامَن بَعُدَ عَوْنُهُ عن الظَّالمين ، قد علمتَ يا إلٰهى مانالني من فلان . إلى آخر ماذكره فى الدعاء [1] .

وحسبِيَ اللهُ لا إله إلَّا هو ، عليه توكَّلت ، وهو ربُّ العرشِ العظيم .

هذا ، ولولا تحرِيجُ [2] أميرِ المؤمنين ، [3] بَعْدَ الشكوى عليه [3] ، فى إعادةِ الجواب لَما توجَّه منى بعد ذلك خِطاب .

وهذا بيْنى وبينكم آخرُ كتاب .

☆☆☆



(١) فى الخلاصة : « دعائه » . (٢) فى الخلاصة : « تحرج » . (٣) مكان هذا فى الخلاصة : « على » .

٢٥٦

علي بن محمد بن أبي بكر الحَكَمِيّ *

من بني مُطَير[1] الذُّرِّيَّة المُختارة ، والكواكبُ الدُّرِّيَّة السَّيَّارة .

مسكنُهم بلدُ عَبَس[2] من أعمال كَوْكَبان ، ولهم بها الشهرةُ التي حَظُّها الأوفر قِرَى الرُّكْبان .

وعلى هذا عَلَمُهم الذي تُشِير إليه الأصابع ، وتبْتهِج به على الأفلاكِ العُلْوِيَّة المَرابع .

له مِقْدارٌ خَطِير ، وأدب كأنه روضٌ مَطِير .

* * *

وقد وقفتُ له على نَبَوِيَّة ، فقلت هذه عَلِيَّة عَلَوِيَّة .

وها هي كالخَوْد تلُوح ، ومن أرْدانِها مِسكُ دارِين[3] يَفُوح[4] :

مُتَيَّمٌ إن سرتْ رِيحُ الشَّآمِ صَبَا ومُسْتَهامٌ إذا مَرَّتْ عليه صَبَا

(*) علي بن محمد بن أبي بكر الحكمي .

ولد سنة خمسين وتسعمائة .

وحفظ القرآن ، واشتغل بفنون العلم ، وأخذ عن شيوخ كثيرين ، منهم : الأمين بن ابراهيم بن مطير ، وأبو بكر بن إبراهيم بن مطير ، والفقيه عبد السلام النزيلي ، وغيرهم .

وله مؤلفات كثيرة ؛ منها : « الإتحاف » مختصر « التحفة » لابن حجر ، و « الديباج على المنهاج » و « كشف النقاب بشرح ملحة الإعراب » للحريري .

توفي سنة إحدى وأربعين وألف ، بعبس الخضن ، من المخلاف السليماني باليمن .

خلاصة الأثر ٣/١٨٩ – ١٩١ ، ملحق البدر الطالع ١٧٦ ، ١٧٧ .

والحكمي : نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة ، من مذحج ، قبيلة كبيرة من اليمن. اللباب ١/٣٠٩ .

(١) بنو مطير ، منسوبون لمطير تصغير مطر بن علي بن عثمان الحكمي ، من حكماء الحرض ، وكان مطير من أعيانهم .

انظر خلاصة الأثر ٣/١٩٠ .

(٢) عبس الخضن ، كما جاء في خلاصة الأثر . (٣) دارين : فرضة بالبحرين ، يجلب إليها المسك من الهند ، وتقدم ذكرها كثيرا . (٤) القصيدة في خلاصة الأثر ٣/١٨٩ ، ١٩٠ ، والبيتان الأولان منها في ملحق البدر الطالع ١٧٧ .

وذُو شُجُونٍ وما غنَّتْ مُطوَّقَةٌ تبكِي على الإلفِ إلا دمعُه سكَبا[1]

يبكِي ويندُب لوفيَّاضُ أدْمُعِه من جُودِه جاد يومًا طَوْقَها سُلبا[2]

وإنْ تذكَّر أيَّامًا له سلَفتْ مع الأحبَّةِ فى أوطانِهم جُذِبا

روَى الرَّبيعُ مَغانِيهم ومَرْبَعَهم وعمَّ الغيْثُ منها السَّهْلَ والجَدَبا[3]

وأزْهرَ الروضُ منها والحمامُ غدَتْ مُغرِّداتٍ عليه تمتطى العَذَبا

وكلَّما رامَ يبْغِي نحْوَهم طُرُقًا يعْمَى السبيلُ عليه أيْنما ذَهَبا

سُبْحان من نفَذتْ فينا مَشيئَتُه فما يُسهَّلْ له يَسْهُلْ وما صَعُبا

ما زلتُ أقْرعُ أبوابَ الرَّجا ورَجَا نفسِي تفوزُ بجُودٍ شاملٍ وحِبا

وعمَّنِي اللهُ بالإحسانِ مَرْحمةً فضْلاً من اللهِ لا فرْضًا ولا سَبَبا

وإن تغلَّقتِ الأبوابُ عن أمَلِي قصَدتُ جاهَ الذى فاقَ الورَى رُتَبا[4]

فهْو الذى ملأَ الأكْوانَ أجْمعَها نُوراً وفتَّح فينا الشَّخْصَ والحِقَبا

يا مَن علاَ فوق مَتْنِ للبُراقِ ويا خيرَ الخلائقِ قاصِيهمْ ومَن قرُبا

منها:

وكم مَعاجِزَ لا تُحْصَى بُعِثْتَ بها عنها نُجُومُ المَعالِى ضُمِّنَتْ كُتُبا

يا سيِّدَ الخلقِ يا مِفْتاحَ يومِ غدٍ تُولِى الشَّفاعةَ يومَ الحشْرِ إذ صَعُبا

أنت الذى يوم بَعْثِ الخلْقِ شافِعُنا سَبْقًا وأثْبتَهُم إذْ أُلْزِمُوا رَهَبا

❊

(١) فى ا ، ب : « إذا غنت مطوقة » ، والمثبت فى : ج ، والخلاصة ، وملحق البدر الطالع .

(٢) فى خلاصة الأثر : « لو فياض مدمعه » . (٣) فى خلاصة الأثر : « السهل والحدبا » .

(٤) ورد هذا البيت مفرقا فى بيتين ، فى خلاصة الأثر ، هكذا :

وإن تغلَّقتِ الأبوابُ عن أمَلِي قصدتُ مَن طاب فَرْعاه وطاب أبَا

محمدُ العاقبُ الماحِي الذى اخْتتمتْ به النُّبُوَّةُ بل أعْلَى الورَى رُتَبا

٢٥٧

عبد القادر بن محمد بن الحسين الذَّمارِيّ الهرانيّ

فَرْدٌ فى سُرْعة البادِرة ، وَحيد فى جَوْدة النادرة .

يُطْرِب بكلماته ، ولا طربَ المُوسيقِيّ بنغماته .

ويسحرُ بألفاظِه ، ولا سِحْرَ الرَّشأِ الأغَنّ بألحاظِه .

***

وقد ذكرتُ له ما هو أرَقُّ من ماءِ البارِق ، وألطفُ من طَيْف الحبيب الطَّارِق[1] .

فمنه ما كتبه لبعض[2] الأئمّة ، [3]وهو قوله[3] :

يا حبَّذا الليلةُ مرَّتْ لَنَا	فى هِجْرَةِ الشُّمِّ بنى عُقْبَهْ[4]
رَعْياً لهــا من بلدةٍ ما لهـا	مِثلٌ لها فى هــذه الغُرْبَهْ
وحَبَّذا الأديمُ من بلدةٍ	صحيحةِ الأهــواءِ والتُّرْبَهْ
وَاهاً لهــا واهاً لهــا إنَّها	من جَنَّةِ الخُلْد لهــا نِسْبَهْ
قُصورُها حُفَّتْ بجنَّاتِها	تجرِى بها أنهارُهــا العَذْبَهْ
وجَوُّها مُنْخَرِقٌ واسعٌ	للقلبِ فى السُّكْنَى بها رَغْبَهْ
طابتْ بها أنفُسُنا فانجلَتْ	عنها غَمامُ الغَمِّ والكُرْبَهْ
خَيَّم فيهــا عُصْبةٌ دَأْبُهم	أن يُكْرِموا الأضْيافَ فى الغُرْبَهْ

(١) فى ا : « البارق » ، والمثبت فى : ب ، ج .

(٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

(٣) زيادة من : ج ، على ما فى : ا ، ب .

(٤) فى القاموس (هـ ج ر) : « وهجرة البجيج : قرب صنعاء اليمن ، وهجرة ذى غبب : قرب ذمار باليمن » .

سَقَى فروَّى صَيِّبٌ هاطِلٌ مِن الحْيا أفياءها الرَّحْبَهْ(١)

فيا أميرَ المؤمنين الذى له سَمَتْ فوق السُّها الرُّتْبَهْ

إيذَنْ لنا باللُّبْثِ يومَيْن فى أوطانِهم أيَّتُها العُصْبَهْ

وابْسُطْ لنا العُذْرَ وإن لم يكنْ فِراقُكم من مُقتضَى الصُّحْبَهْ

لا زال مُلْكُ العصرِ فى نعمةٍ ولا رأَى فى دَهْرِه نَكْبَهْ(٢)

سلامٌ ساطعٌ نورُه ، مُتضاحِك نَوْرُه .

أعذَبُ من باردِ سَلْسَلِ الأنهار ، وأطيبُ مِن رَشْف سُلاف أفواه الأبْكار .

وأعبَقُ من شَميمِ الزُّهور النَّدِيَّة ، وألَذُّ من تقْبيل خدودِ الخرائدِ الوَرْدِيَّة .

ورحمةُ الله المُنفجِرةُ عيونُها ، المُثمِرة شُئونُها .

وبركاتُه الواسعةُ الأفياء ، الكافِلةُ ببلوغِ المُنَى على مولانا أمير المؤمنين ، الهادى إلى الحقِّ المُبين .

أما بعد ؛ فإنَّا لما سِرْنا من المُخيَّم المنصور ، والمَقام المَحْجوج المَزُور .

وصلْنا إلى هَجْرةٍ لا يُحيط بوصْفِها المَقال ، ولا يبلُغ إلى كُنْهِها تصوُّر الخيال .

جمعتْ غرائبَ العجائبَ وعجائب الغرائب ، وأبعدتْ عن المَساوئِ والشَّوائب ، وحُمِيتْ عن سَطَوات المِحَن والنَّوائب .

رياضُها مُفْتَرَّة ، وغياضُها مُخْضرَّة .

وأنهارُها مُتدفِّقة ، وأحوالها مُنتظمةٌ مُتَّسِقة .

طَيِّبةُ المَثْوَى والمستقَرّ ، أنيقةُ المَرْأَى والمنظَر .

فهى تُنشِد بلسان حالِها مُطْرِبة ، مُتَبَجِّحة ببديع مَقالِها مُعجِبة :

---

(١) فى ا : « سرق فروى صوب هاطل » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) فى ج : « لا زال منك العصر » ، والمثبت فى : ا ، ب .

أنا خَـيرُ الأرضِ مالِي ... شِعْبُ بَوّانٍ يُدانِي[١]

لا ولا الغُوطَةُ مِثْـلِي ... أنا من بعضِ الجِنانِ[٢]

فعيُـونى جارياتٌ ... كلَّ حينٍ وأوانِ

وقُطوفِى دانيـاتٌ ... يجتنيها كلُّ جانِ

جانبي أضحى منيعاً ... فحُلولِي في أمانِ[٣]

كلُّ مَن حلَّ برَبْعِي ... فلقد نال الأمـانِي

***

نعم ، وحين كانت هذه نُعوتُها أتحفَنا المَقامُ النَّبَوِيُّ الإمامِيُّ بشرحِ شيءٍ من تلك الصفات ، وذِكْرِ طَرَفٍ من هاتِيك السِّمات .

لما نعرفُه من تطلُّعِه أبقاه الله تعالَى إلى مثلِ ذلك ، وإن لم نستطع استقْصاء ما هنالك .

والمأمولُ من طَوْلِه أيده الله تعالَى القبولُ والاحْتمال ، وسَتْرُ ما يقفُ[٤] عليه من الاخْتلال .

تفضُّلا ، وتكرُّما وتطَوُّلا .

***

وكتب إليه أيضا[٥] ، من شعره ، قولَه :

يا أيُّها المولَى الذى شَـأْوُه ... فى المجدِ أسْمَى من مَدارِ الفَلَكْ

---

(١) شعب بوان: أحد متنزهات الدنيا، وهو بأرض فارس، بين أرجان والنوبندجان. وتقدم ذكره كثيرا.

(٢) الغوطة : غوطة دمشق ، وهى أحد متنزهات الدنيا أيضا ، وتقدم ذكرها كثيرا .

(٣) حلول : جمع حال ، وهو المقيم .

(٤) فى ا : «يقول» ، وفى ب : «يسول» ، والمثبت فى: ج .

(٥) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .

أنت الذى مَن يمتثِلْ أمره يُهْدَى ومَن لم يمتثلْهُ هَلَكْ(١)
فأغِثْنِي إنِّى مُقِلٌ فقد أعطاك مَن للأمرِ ذا أهَّلَكْ
وأوْفِنِي منك الذى أرْتجِى فإنّ ما جمّلنِي جمَّلكْ
واقضِ دُيونِي يا مَلاذِي وقُلْ أبْشِرْ سنقضِي عنك ما أثقلَكْ
ولا تدَعْنِي مُعْدِماً مُقْتِراً وقُلْ سنُعْلِي فى الورَى منزلَكْ
وإن يكُنْ ذاك ولى لائقٌ أولا فإنّ الأمرَ والرَّأىَ لَكْ(٢)

☆☆☆



(١) فى ا ، ب : « ومن لم يمتثل » ، والمثبت فى : ج . (٢) فى ج : « وإن يك ذاك » ، والمثبت فى : ا ، ب . وفى ا : « فإن الأمور » ، والمثبت فى : ب ، ج .

٢٥٨

السيد محمد بن عبد القادر المقاطعجي *

أحدُ مَن نطقَ فسَحَر ، ورقّتْ شمائلُه فكانتْ[1] صَبًا تنفّسَتْ في سَحَر .

تجتلي به العَيْشَ في رَغَدِه ، وتنْتشِي وأنت في يَوْمِه إذا وعدَكَ بزَوْرةٍ في غَدِه .

***

وله أدبٌ أنْضَر من الروضِ في شَبابِ الزّمان ، وشِعْرٌ ألَذُّ من مُغالطةِ السَّاقِي عند النُّدْمانِ .

فمنه قولُه[2] :

أحْوَى حَوى الرِّقَّ منّي ثَغرُه الشَّنِبُ ... ومَبْسَمٌ لاحَ في جِرْيالِه الحَبَبُ

حُلْوُ التَّثَنِّي إذا رِيحُ الصَّبا عطَفَتْ ... مَعاطِفَ القَدِّ منه تَخْجَلُ القُضُبُ

مُهفْهَفُ القَدِّ ميَّاسُ القَوامِ إذا ... ما اهْتزَّ كالغُصْنِ لِيناً هزَّني الطَّرَبُ[3]

دَمِي مُباحٌ لِسَيْفٍ من لَواحِظِه ... إن كان غيرُ هَواهُ للحَشَا أرَبُ[4]

منها :

لا تعذِلُوني إذا ما هِمْتُ من شَغَفٍ ... بِمَن سَبانِيَ منكُم أيُّها العَرَبُ

قد بانَ عُذْرُ غرامِي في محبّتِه ... عَذْلَ العَذُولِ وشأْني في الهوى عَجَبُ

❋

(*) ترجمه ابن معصوم ، في سلافة العصر ٤٥٧ ــ ٤٦١ ، وذكر أن له «ديوانا» ، وأنه اختار منه ، وذكره الشرواني ، في حديقة الأفراح ٢٣ ، ٢٤ .

(١) في ب : « فكانه » ، وفي ج : « فكان » ، والمثبت في : ا .

(٢) الأبيات في : حديقة الأفراح ٢٣ ، وسلافة العصر ٤٦٠ .

(٣) في السلافة : « مهفهف العطف . . . هزه الطرب » .

(٤) في ج : « إن كان غير حشاه للورى أرب » ، والمثبت في : ا ، ب ، والحديقة ، والسلافة .

٢٥٩

حَيْدر بن محمد الرُّومِيّ

من شُعَراء العصر المُتنوّعين فى المَلاحة والمُلَح ، فإذا تأمّلتَ رأيتَ العالَمَ على لُطف خَلْقِه وخُلُقِه اصْطَلَح .

له طبعٌ كما حدَّثْت عن العيشِ الأخضر ، ووُدٌ كما تذكّرْت النَّعيم الأبيض الأخْضر .

إلى خَطٍّ كخطوط الغَوالِى فى خُدودِ الغَوانى ، وأشهَى من تذكُّر الليالى الخوالِى فى الأيام الدَّوانِى .

وشعرٍ كما زان الصّحابة حَيْدر   إذا كان شِعْر الشّاعِرِين مُعاوِيهْ

فمنه قوله فى الزَّنْبَق :

وزَنْبَقِ مُجْلَسٍ بين النُّدامَى   كشيخٍ حاز لُطْفا فى وَقارِ
يُرِيك إذا تَلَا إنَّا فَتحْنا   عَمودَ الفَجْرِ فى ضَوءِ النّهارِ

***

وقوله :

أمُعَلِّمَ الأزهارِ إن خُدودَ مَن   عَلَّمته مُغْنٍ عن الأزهارِ
هَلّا جعلتَ القلبَ منزِلةً له   فالقلبُ خيرُ منازلِ الأحْرارِ

***

وقوله ، فى غلام بديعٍ يُدعَى بتاج :

ريمٌ من اللَّحظِ ومِن قَدِّه   يُنْبِى بسَحّارٍ ومَيّاسِ
لو زارنى كنتُ مليكَ الورَى   وقلتُ يا تاجُ على رَاسِى

***

وقوله ، وعَجُزُ كلِّ بيت معكوسُ كلماتِ صدرِه :

زارني مَحْبوبُ قلبِي سَحَرًا ... سَحَرًا محبوبُ قلبِي زارَنِي[١]

ينْثني كالغُصْنِ لِينًا قَدُّه ... قَدُّه كالغُصْنِ لِينًا ينْثَنِي

سَرَّني لمَّا تبدَّى باسِمًا ... باسِمًا لمَّا تبدَّى سَرَّنِي

خَصَّني من دون غيرِي باللِّقَا ... باللِّقَا من دون غيرِي خَصَّنِي

أعْيُني قَرَّتْ بِخِلِّي مُذ أتَى ... مُذ أتَى قَرَّتْ بِخِلِّي أعْيُنِي

أجْتنِي يا طَرْفُ وَرْدِي خَدِّه ... خَدُّه يا طَرْفُ وَرْدِي أجْتنِي

اسْكُنِي يا نفسُ قد زال العَنَا ... العَنا قد زال يا نفسُ اسْكُنِي

❀



(١) عجز هذا البيت ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب .

٢٦٠

عبد الصمد بن عبد الله با كثير*

شاعرُ اليَمن ، ونادرةُ الزَّمَن .

ينْتهى فى النَّسَب إلى كِنْدة ، وهذا النسب كما عرفتَ تقفُ الفصاحةُ عندَه .

وكان كاتبَ الإنشاء لِملِك الشِّحْر[1] ، السلطان عمر بن بدر ، ونديمَه الذى سمَا به قَدْرُه على كلِّ قَدْر .

* * *

وهو أديبٌ فسيحُ الخطى ، وشاعرٌ مأمُون العِثار والخطا .

« وديوان شعره » مشهور[2] ومُتَداوَل ، وبأكُفِّ الاعتناء والقَبول مُتناوَل .

فمن مُختاره قولُه من قصيدة ، مستهلُّها[3] :

رَعْيًا لأيامٍ تقضَّتْ بالحِمَى ... فُزْنا بهـــا ووُشاتُنا غُفَلاءُ

جاد الزمانُ بهـــا وأسْعفَنا بمَنْ ... نَهْوَى ولم تشعُر بنــا الرُّقَباءُ

ومُنادِمِي بَدْرٌ على غصنٍ على ... حِقْفٍ له قلبِي العَميدُ خِباءُ[4]

(*) عبد الصمد بن عبد الله با كثير اليمنى ، ينتهى نسبه إلى كندة .

نابغة عصره ، وباقعة زمنه ، وخاتمة مفلق الشعراء باليمن .

وكان كاتب الإنشاء للسلطان عمر بن بدر ، ملك الشحر ، وشاعره ، ثم كتب لولده عبدالله بن عمر من بعده .

وديوان شعره مشهور .

توفى بالشحر ، سنة خمس وعشرين وألف ، وقد عمر طويلا .

حديقة الأفراح ٢٠ ، خلاصة الأثر ٢ / ٤١٨ – ٤٢١ ، سلافة العصر ٤٦١ – ٤٦٦ ، ملحق البدر الطالع ١٢١ .

(١) الشحر : ساحل البحر ، بين عمان وعدن ، وتقدم ذكره كثيراً . (٢) سقطت واو العطف من : ج ، وهى فى : ا ، ب . (٣) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٢ / ٤١٩ ، سلافة العصر ٤٦١ ، ٤٦٢ .

(٤) فى : ا ، ج : « على غصن علا » ، والمثبت فى : ب ، والخلاصة ، والسلافة .

عَذبُ المُقبَّلِ عاطرُ الأنفاسِ دِرْ ياقُ النفوسِ شِفاهُهُ اللّعساء

مُتبسِّمٌ عن أشنَبٍ شَنَبٌ له مهما تبسَّم فى الدجى لألاء[1]

ما مِسْكُ دارِينٍ بأطْيَبَ نَكْهةً منه وقد ضاعتْ له ريَّاء[2]

عبَرَ النسيمُ يجرُّ فضلَ ردائِهِ فحبتْه من كافورِها الأنداء

فتعطَّرتْ من طِيبِ فائحِ نَشْرِها أرواحُنا وسَرَتْ لها السَّرَّاء[3]

فسقَى الإلهُ مَرائعَ الغِزْلانِ مِن وادِي النَّقَا وهَمَتْ بها الأنواء[4]

وتهلَّلتْ برياضِها سُحْبُ الحَيَا وسَرَتْ عليها دِيمةٌ وَطْفاء

حتى يراها الطَّرْفُ أبهجَ روضةٍ فيروقُه الإصباحُ والإمْساء[5]

والطيرُ عاكفةٌ بكلِّ حديقةٍ فكأنَّها بلُحونِها قُرَّاء

والروضُ مُبتهِجُ الحَيَا فكأنَّما روَّاه من عمر النَّدَى إيماء[6]

* * *

وقوله من أخرى ، أوَّلها[7] :

بنَشْرِ وادِي الغَضَا نَشْرُ النسيمِ سَرَى فأفهَمَ الصَّبَّ عن أهلِ الحمَى خبَرَا

أهْدَى التحيَّةَ من أهلِ الخيامِ إلى حليفِ وَجْدٍ يُقاسِي الوجدَ والسَّهَرَا

لكنَّه جَدَّ فى وجدِي وأذكَرَنِي تلك الرُّبوعَ وبانَ الحَيِّ والسَّمُرَا

منها :

ولِي من العُرْبِ ظَبْيٌ ما رأى بَصَرِي شِبْهًا له فى الورى بَدْوًا ولا حضَرَا[8]

---

(١) فى سلافة العصر : « عن أشنب شيم » . (٢) دارين : فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند ، وتقدم ذكرها كثيراً . (٣) فى خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : « فائح نشره » ، وفى خلاصة الأثر : « وسرت له السراء » ، وفى سلافة العصر : « وسرت لنا السراء » .

(٤) فى سلافة العصر : « وادى النقاء وهمت الأنواء » . (٥) فى ا ، ب : « أبهج رؤية » ، والمثبت فى : ج ، وخلاصة الأثر ، وسلافة العصر . (٦) فى خلاصة الأثر :

* وَأراهُ من عَمْرِ النَّدَى دَأْماء *

(٧) القصيدة فى سلافة العصر ٤٦٣ ، ٤٦٤ .

(٨) فى ا ، ب : « وبى من العرب » ، والمثبت فى : ج ، وسلافة العصر .

كالبدرِ وَجْهاً ونَظْمِ الدُّرِّ مُبتسَماً ... والظَّبْيِ جِيداً وغُصْنِ البانِ إن خَطَرا (١)

كم ليلةٍ زارني فيها على وَجَلٍ ... مستوفِزاً خائفاً مستعجِلاً حَذِرا (٢)

يَمْشِي الهُوَيْنَى حذارَ الكاشِحين وقد ... أرْخَى السُّتُورَ ظلامُ الليلِ واعْتَكَرا

قَبَّلْتُ مَبْسِمَه عشْراً على عَجَلٍ ... فقام منِّي إلى التَّوْديعِ مُبْتدِرا (٣)

فكِدتُ أشْرَبُه لَثْماً وأَهْصِرُه ... ضَمّاً وأثْنِي عِناقاً قَدَّه النَّضِرا

***

وقوله من أخرى، أوَّلُها (٤):

هذِي المَرابعُ والكَثِيبُ الأوْعَسُ ... وظِبَا الخِيامِ الآنِساتُ الكُنَّسُ (٥)

قِفْ بي عليها ساعةً فلعلَّ أنْ ... يَبْدُو لِيَ الخِشْفُ الأغَنُّ الألْعَسُ

فلَطالَما عِفْتُ الكرَى عن ناظِري ... شوقاً إليه ومَدْمَعِي يتَبَجَّسُ

يَنْهَلُّ سَحّاً مِثْلَ مُنْهمِرِ الحَيَا ... فوق المَحاجِرِ مُطْلَقاً لا يُحْبَسُ

وأغَنَّ ناعِسُ طَرْفِه سلَبَ الكرَى ... عنِّي فطَرْفِي ساهِرٌ لا يَنْعَسُ

أشْتاقُه مالاحَ صُبْحٌ مُسْفِرٌ ... في أفْقِه أو جَنَّ ليلٌ حِنْدِسُ

ياعاذِلي دَعْنِي وشأْنِي إنّ لي ... قلباً بغيرِ الحُبِّ لا يَسْتأنِسُ (٦)

لكَ قُدرةٌ أن لا تلومَ وليس لي ... صَبْرٌ به دون الورَى أتَلبَّسُ

كيف السُّلُوُّ عن الأحِبَّةِ بعدما ... دارتْ علَيَّ من الصَّبابةِ أكْؤُسُ

نقل الصَّبا نَشْرَ الحبيبِ وحبَّذا ... نَشْرٌ به رِيحُ الصَّبا يتنفَّسُ

---

(١) في سلافة العصر: «كالبدر وجهاً وبدر التم مبتسما».

(٢) في ا، ب: «مستوفياً خائفاً»، والمثبت في: ج، وسلافة العصر.
والمستوفز: غير المطمئن في جلسته، المتهيئ للوثوب.

(٣) في سلافة العصر: «فقام عني»، وهو أفضل. (٤) القصيدة في: خلاصة الأثر ٢/٤١٩، ٤٢٠، سلافة العصر ٤٦٢. (٥) الأوعس: الرمل اللين يصعب المشي فيه.

(٦) قبل هذا البيت في خلاصة الأثر، وسلافة العصر: «منها».

آهاً ولا يجْزِى التَّـأَوُّهُ والأَسَى ۞ فالصبرُ أجملُ والتجمُّلُ أَكْيَسُ (١)

* * *

وقوله (٢) :

عاذِلِى فى الغـرامِ مَهْلا فقلبِى ۞ حَمَّلته الأحبابُ مالا يُطِيقُ

كيف يُصْغِى إلى اللوائم صَبٌّ ۞ فى حَشاهُ من الفِراقِ حَرِيقُ

سَلَبتْـه اللَّواحِظُ البابِلِيَّا ۞ تُ وأوْدَى به القَوامُ الرَّشِيقُ

وسَباه أَغَنُّ أَحْـوَى رَداحٌ ۞ يُسْنِد العِشْقَ حُسْنُه المَعْشوقُ (٣)

قد كَفاهُ عن المُهنَّـدِ لَحْظٌ ۞ وعن الرُّمْحِ قَدُّه المَمْشوقُ

رَوْضُ خـدَّيْه جَنَّةٌ لاح فيها ۞ جُلَّنـارٌ وسَوْسَنٌ وشَقِيقُ

وله مَبْسَمٌ يُضِىءُ سَنـاهُ ۞ عن شَنِيتٍ حَكاه دُرٌّ نَسِيقُ (٤)

ظَلْمُه فى لَماه شُهْدٌ مُـذابٌ ۞ فى سُلافٍ رَيَّاه مِسْكٌ فَتِيقُ (٥)

خَصْرُه يشتكِى من الرِّدْفِ فاعْجبْ ۞ كيف يَقْوَى عليـه وهْو رَقِيقُ

* * *

وقوله من قصيدة ، مطلعُها (٦) :

جادَ وَبْلُ الغَمامِ شِيحاً وضَالَا ۞ ورِياضاً بالسَّفْحِ مَدَّتْ ظِلالَا (٧)

لا جَفاها الحَيَا فلِى ثَمَّ رَبْعٌ ۞ لم أزَلْ مُكْثِراً عليـه السُّؤالَا

---

(١) فى الأصول : « والتحمل أكيس » ، والمثبت فى : خلاصة الأثر ، وسلافة العصر .

(٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢ / ٤٢١ ، سلافة العصر ٤٦٤ ، ٤٦٥ .

(٣) الرداح : الثقيلة الأوراك.
وفى خلاصة الأثر : « ينشد العشق » .

(٤) الشنيت : الثغر المفلج .
وفى خلاصة الأثر : « عن شنيب » .

(٥) لم يرد هذا البيت والذى يليه فى خلاصة الأثر .
والظلم : الريق .

(٦) القصيدة فى سلافة العصر ٤٦٥

(٧) الضال من السدر : ما كان عذيا ، أو السدر البرى . القاموس (ض ى ل) .

تسحبُ الغِيدُ في رُباه ذُيولًا ... تتهادَى من النَّعيمِ اختيالا
ورشيقِ القَوامِ ما ماسَ إلَّا ... أخجلَ الغُصْنَ قامةً واعتدالا
ماتثنَّى إلَّا ثنَى كلَّ قلبٍ ... نحْوَه تائبًا إذا مالَ مالا
صاد قلبي لمَّا تصدَّى لِقَتْلِي ... بِلحاظٍ يَرِيشُ منها النِّبالا
لَوْعَتِي في هَواه أذْكَتْ غَرامًا ... وأعادتْ آناءَ لَيْلِي طِوالا
كلَّما لاح بارقٌ من زَرُودٍ ... فاضَ وادِي العَقِيقِ دَمْعِي وسالا[1]

***

وقوله[2] :

أشْتاقُ من ساكِني ذاكَ الحِمَى خِيَمًا ... لأجْلِها زاد شَوْقي في الحَشا ونَما
ولاعِجُ الشوقِ والتَّبريحِ من كَمَدٍ ... أجْرَى من العينِ دَمْعًا يُخْجِل الدِّيَما[3]
ماجَنَّ لَيْلِي إلَّا بِتُّ من كَلَفٍ ... أرْعَى النجومَ بطَرْفٍ يستَهِلُّ دَمَا
لولا هوَى شادِنٍ في القلبِ مَرْتَعُهُ ... ما اشتقتُ وادِي النَّقا والبانَ والعَلَمَا[4]
نفسي الفِداءُ لظَبْيٍ وجهُه قمرٌ ... وبُرْجُه في سَمَا قلبِي العَمِيدِ سَمَا
يُصْمِي فؤادِي بنَبْلٍ من لَواحِظِه ... عن قَوْسِ حاجبِه مَهْما رَنَا ورَمَى[5]
في ثَغْرِه الدُّرُّ منظومًا فيالَكَ مِن ... ثَغْرٍ شَنِيبٍ يُرِيكَ الدُّرَّ مُنْتظِمَا[6]

---

(١) زرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية ، بطريق الحاج من الكوفة . معجم البلدان ٢/٩٢٨ .
وفي سلافة العصر : « فاض وادي عقيق دمعي وسالا » .

(٢) القصيدة في حديقة الأفراح ٢٠، ٢١ ، خلاصة الأثر ٢/٤٢٠، ٤٢١ ، سلافة العصر ٤٦٣ .

(٣) في حديقة الأفراح ، وسلافة العصر : « ولاعج البين » . (٤) في حديقة الأفراح : « في القلب مربعه »
وفي الحديقة ، والسلافة بعد هذا زيادة :

ولا طَرِبْتُ إلى نَظْمِ القريضِ ولا ... عَلَيَّ بالوجدِ سلطانُ الهوَى حَكَمَا

(٥) في ج : « عن قوس حاجبه سهماً رنا ورمى » ، والمثبت في : ا ، ب ، والخلاصة ، والسلافة .

(٦) في ج ، والحديقة : « في ثغره الدر منظوم » ، والمثبت في : ا ، ب ، والخلاصة ، والسلافة .

جَلَّ الذى صاغَه بَدْراً على غُصُنٍ ... على كَثِيبٍ فأبْداه لنا صَنَما [1]
لم يَكْسُه الحُسْنُ ثَوْباً مِن مَطارِفِه ... إلّا كَسا جَسَدِي مِن عِشْقِه سَقَما

***

وقوله من أخرى ، أوّلُها [2] :

جاد الغَمامُ مَرابِعَ الغِزْلانِ ... ومَرابِعَ الرَّشَأِ الأغَنِّ الغانِي [3]
وجرى عليها كلُّ أسْحَمَ هاطِلٍ ... غَـــدِقٍ يسيحُ بوابِلٍ هَتّانِ
يُحْيِي رُبوعاً طال ما لعبتْ بها الْ ... غِيدُ الحِسانُ نَواعِسُ الأجْفانِ
من كلِّ فاتنةِ اللَّحاظِ إذا رَنَتْ ... سلَبتْ بسِحْرِ اللَّحْظِ كلَّ جَنانِ [4]
فكأنّما الأقمارُ تطلعُ فى دُجَى ... ليلٍ من المُسْتَرْسِلِ الفَيْنانِ [5]
وكأنّما تلك القُدودُ إذا انْثَنتْ ... قُضُبٌ تمايَلُ فى رُبَى الكُثْبانِ
وبمُهْجتِي خِشْفٌ أغَنُّ مُهَفْهَفٌ ... أصْمَى فُؤادِي إذْ رنَا فرَمانِي
ظَبْيٌ مِن الأعْرابِ فى وَجَنــاته ... قُوتُ القلوبِ وسَلْوةُ الأحْزانِ
باللهِ ماطالعتُ طَلْعــةَ وجهِه ... إلّا ورُحْتُ براحــةِ النَّشْوانِ
ماءُ الشَّبِيبةِ فوق وَرْدِ خُدُودِه ... يجْرِى على مُتَلهِّب النِّــيرانِ
ذابتْ عليه حُشاشتِي وَجْــداً به ... وصَبابةً وجفَا الكَرَى أجْفانِي
لم أنْسَ أيامَ التَّواصُــلِ واللِّقا ... والشَّمْلُ مُجْتمِــعٌ بوادِى البَانِ
ومُنادِمِي مَن قدهويْتُ وبينَنا الصِّ ... رْفُ الكُمَيْتُ تُدار فى الأدْنانِ
شمسٌ مَطالِعُها سُعودُ كُؤوسِها ... بين النَّدامَى فى بُروجِ تَهانِي [6]
فى روضــةٍ مَفْروشةٍ أرْجاؤُها ... بالوردِ والمَنْثــورِ والرَّيْحانِ

---

(١) فى الحديقة والسلافة : « وأبداه لنا صنما » .
(٢) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢ / ٤٢٠ ، سلافة العصر ٤٦٢ ، ٤٦٣ .
(٣) الغانى : المستغنى بحسنه .
(٤) فى السلافة : « من كل فاترة اللحاظ » .
(٥) فى خلاصة الأثر خطأ : « المسترسل الفثيان » .
(٦) فى السلافة : « فى مروج تهانى » .

بتراجُعِ النَّغماتِ والعيدانِ ... يتراقَصُ النُّدَماءُ من طَرَبٍ بها
فردوسِ بين الحورِ والوِلْدانِ ... لم لا يُواصِلُني السُّرورُ ونحنُ في الْ

***

وقوله ، وعَجُزُ كلِّ بيت معكوس كلمات (١) صدره (٢)

وَا كَمَدِي مَن هَوِيتُ تيَّمَنِي (٣) ... تيَّمَنِي مَن هويتُ وَا كَمَدِي
حين بدا من سَناه حَيَّرَنِي ... حَيَّرَنِي من سَناه حين بدا
مُقْلَتُه بالنِّبالِ تَرْشُقُنِي ... تَرْشُقُني بالنِّبالِ مُقْلَتُه
وَا تَلَفِي بالصُّدودِ عَذَّبَنِي ... عَذَّبَنِي بالصُّدودِ وَا تَلَفِي
ذَا قَلَقٍ في هَواه صَيَّرَنِي ... صَيَّرَنِي في هَواه ذا قَلَقٍ
يُوعِدُنِي باللِّقا ويُمْطِلُنِي (٤) ... يُمْطِلُنِي باللِّقا ويُوعِدُنِي

***

(١) ساقط من : ب ، وهو في : ا ، ج .
(٢) الأبيات في سلافة العصر ٤٦٤ .
(٣) في السلافة : « من هواه » في الموضعين .
(٤) في السلافة : « يمطلني باللقا ويمطلني » ، ولم يرد فيها عجز البيت .

٢٦١

الحسن بن على بن جابر الهُبَل*

شهمٌ نَدْب ، روضُ أدبِهِ ما طَرَقَه جَدْب .

افْتَنَّ فى الآداب ، وسَنَّ فيها سُنَّةَ ابن دَاب[1] .

* * *

وله شِعْرٌ كاسْمِه حسَن ، وفضلٌ يقصُر عن وَصْفِه كلُّ ذِى لَسَن .

قال الصَّفِيُّ بن أبى الرِّجال ، فى حقِّه[2] : لا عَيْبَ فيه سوى بُعْدِ بِلاده ، وقُرْب مِيلادِه .

* فالمَنْدَلُ الرَّطْبُ فى أوطانِه حَطَبُ[3] *

(*) الحسن بن بن على بن جابر الهبل اليمنى .

ولد بصنعاء ، سنة ثمان وأربعين وألف .

ونشأ بها على العبادة والزهادة ، واشتغل بالعلوم والآداب ، حتى برع على الشيوخ فضلا عن الأتراب .

وله « ديوان شعر » فائق ، جعل صاحب « نسمة السحر » يقول : إنه لم يوجد باليمن أشعر منه من أول الإسلام .

وقد ارتفعت درجته عند الإمام المهدى أحمد بن الحسن ، حتى أصبح كالوزير له .

توفى سنة تسع وسبعين وألف ، عن إحدى وثلاثين سنة .

ودفن غربى القصر السعيد .

البدر الطالع ١/١٩٩ ، ٢٠٠ ، خلاصة الأثر ٢/٣٠ ـ ٣٤ .

وهبل : أبو بطن من كلب . القاموس (هـ ب ل) .

وفى البدر الطالع أن المترجم من قرية بنى الهبل ، وهى هجرة من هجر خولان .

(١) غلب على آل دأب الأخبار ، والذى يقال له ابن دأب عيسى بن يزيد بن بن بكر بن دأب ، وأخوه يحيى بن يزيد ، وكان أبوهما يزيد أيضا عالما بأخبار العرب وأشعارها ، وكان شاعرا أيضا .

انظر المعارف ٥٣٧ ، ٥٣٨ .

(٢) هذا القول أورده المحبى أيضا فى خلاصة الأثر ٢/٣٠ .

(٣) فى ج : « كالمندل الرطب » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة ، وفيها : « فى أوطانه خشب » .

أما صِغَرُ المِيلاد ، فلِلَّه دَرُّ أبي الطَّيِّب ، حيثُ يقول[١] :

ليس الحداثةُ من حِلْمٍ بمانعةٍ   قد يُوجَد الحِلْمُ فى الشُّبَّانِ والشِّيبِ

وأما بُعْدُ المِيلاد ، فأمْرٌ لا يعتبره الحُذَّاق ، وإنْ قالوا : القُرْبُ المُفْرِط مانعٌ لإدْراكِ الأحْداق[٢] .

وقال بعضُ الناس :

عَذِيرِىَ مِن عُصْبةٍ بالعراقِ   وقلبُهُـــمُ بالجَفَا قُلَّبُ

يَرَوْنَ العجيبَ كلامَ الغريبِ   وأمَّا القريبُ فــلا يُطْرِبُ

وعُذْرُهُمُ عند تَوْبيخِهِمْ   مُغنِّيَةُ الحىِّ لا تُطْـــرِبُ

لكن العاقلُ الفاضلُ لا يَجْنَحُ إلى التقليد ، حتى فى تَفْضِيـــلِ الحَصْباء على لآلِى الجِيد .

وإن الإنْصاف ، من أجمل الأوْصاف .

انتهى .

* * *

وقد وقفتُ له على أشعارٍ شَعْشَعها ورَوَّقها ، واستدْعَى بها القلوبَ للصَّبابة وشَوَّقها .
فأثبتُّ منها ما اتَّسَق اتِّساق النَّزعات الوَجْدِيَّة ، وانْتسق انتِساقَ النَّسَمات النَّجْدِيَّة .
فمن ذلك قوله ، من قصيدة أولها[٣] :

لو كان يعـــلم أنها الأحْداقُ   يومَ النَّوَى ما خاطَرَ المُشْتاقُ

جهِل الهوَى حتى غدَا فى أسْرِه   والحبُّ ما لأسِـيرِه إطْلاقُ

---

(١) ديوان أبى الطيب ٤٤٧ .   (٢) فى الديوان : « فما الحداثة » .
(٣) فى ج : « الأصوات » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والخلاصة .
(٤) البيتان الأولان فى : البـدر الطالع ١٩٩/١ .

ما لى أُكَنِّى بالنَّقَا عن غيرِه ... وأقولُ شامٌ والمُرادُ عِراقُ

***

يعجبُنى فى هذا المَعرِض قولُ الحَاجِرِىّ[1] :

خُمارُ هـــواك قد أتَى بالقَدَحْ ... والوقتُ صَفَا فقُم بنا نَصْطَبِــحْ

كم تـكتُم سِرَّ حَالِكَ المُفْتَضَحْ ... قُلْ علوة واكْشِفِ الغِطَا واسْتَرِحْ

***

منها[2] :

إن قلتُ قد أشْرقْتَنِى بمَدامِعِى ... قال الأهِلَّةُ شأْنُها الإشْراقُ

***

وقوله[3] :

حتَّى مَ عن جهلٍ تلومْ ... مَهْلاً فإنَّ الجهلَ لُومْ[4]

طَرْفِى الذى يشـــكُو السُّها ... دَ وقلبِىَ المُضْنَى الـكَلِيمْ

إن الشَّقا فى الحُبِّ عِنْ ... د العاشقين هو النَّعِــيمْ

ما الحبُّ إلّا عَـــبْرةٌ ... عَبْراء أو جسمٌ سَقِيمْ[5]

يا مَن أُكَتِّمُ حُبَّـــه ... واللهُ بى وبه عَـــلِيمْ

وبَلابِلٌ بَيْن الجُوا ... نِحِ لا تَنامُ ولا تُنِيمْ[6]

ما لِى وما لِلوَائِمِى ... أعليكَ ذو عقلٍ يلُومْ

ياهل تُراهُ يعـــودُ لى ... بِكَ ذلك الزمنُ القَدِيمْ

---

(١) تقدم التعريف بالحاجرى .
والبيتان ليسا فى ديوانه المطبوع

(٢) فى ج : « وقوله » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) القصيدة فى خلاصة الأثر ٢/ ٣٢ .

(٤) فى خلاصة الأثر : « فإن اللوم لوم » .

(٥) فى خلاصة الأثر : « ما الحب إلا مقلة » .

(٦) البلابل : هواجس النفس .

وهَنِيُّ عيشٍ باللِّوَى لَو أنَّ عيشَ هنًا يَدُومْ
وبِرَامَةٍ إذ نِلْتُ مِن وَصْلِ الأحبّةِ ما أرُومْ
يا حبَّــذا تلك الرُّبو عُ وحبَّــذا تلك الرُّسومْ
يا تاركينَ بمُهْجَتِي شَرَراً يذوبُ بها الجحيمْ
طال المِطالُ ولم تهُبَّ لِصِدْقِ وعدِكمُ نَسِيمْ
مَطْــلُ الغَرِيمِ غَرِيمَهُ حاشاكمُ خُلُقٌ ذَمِيمْ

***

وقوله[1] :

يا مَن أطــالَ التَّجنِّي منك الصُّـدودُ ومِنِّي
مولايَ إن طال هــذا علىَّ فاعــلمْ بأنِّي
أفديك قُلْ لىَ ماذا الّـ ذي بدَا لك مِنِّي
تركْتَــنِى مُسْتهاماً حَيْرانَ أقرَعُ سِنِّي
أشـكو إليك الذى بى وأنتَ تُعرِضُ عنِّي
ولم ترِقَّ لِحــالِي ولا رثَيْتَ لحُــزْنِي

***

وقوله[2] :

أصِـخْ لِشَكِيَّتِي وارْفُقْ بجسمٍ فيك قد نَحَـلَا
وقُل لى مَن أحَلَّ دمِي ومَن ذا حرَّمَ القُبَلَا
وإن تُنْـكِرْ ضَنَى جَسدِي ولم تعطِفْ علىَّ ولَا
فـكُفَّ النَّبلَ من عينَيْـ ـك يكْفِي بعضُ ما فعَلَا

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٣٣ .
(٢) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٣٣ .

ولا تُطلِعْ لنـــا خَدًّا ... كَ وَرْدَ رياضِها الخضِلا

* * *

وقوله[1] :

ما زلتُ من دَرَنِ الدَّنايا صائنًا ... عِرْضًا غدا كالجوهرِ الشَّفَّافِ[2]

فإذا جرَى مرَحًا بمَيْدان الصِّبا ... مُهْرُ الهوَى أَلْجمتُه بعَفافِ[3]

وإذا همُ وصَفُوا محاسِنَ شادِنٍ ... مُستكمِلٍ لِمَحاسنِ الأوْصافِ

أبْدَيْتُ فيه من النَّسِيبِ غرائبًا ... ووصفْتُ فيه ما عدا الأرْدافِ

* * *

وقوله[4] :

تغزَّلْتُ حتى قِيلَ إنِّى أخو هوًى ... وشَبَّبْتُ حتى قيل فاقدُ أوْطانِ[5]

وما بىَ من عِشْقٍ وشوقٍ وإنمـــا ... أتَيْتُ من الشِّعْرِ البديعِ بأفْنانِ

* * *

وله فى تعليل كُسوف البدر ، وفيه لُزُوم ما لا يَلْزم :

لا بِدْعَ أن يُكْسَفَ بدرُ السَّما ... ذاك لِمَعْنًى قد تحقَّقْتُهُ

لمَّا بدَا لى وجهُـــــه مُشْبِهًا ... وَجْهَ حبيبى حين فارَقْتُهُ

ذكرتُ محبوبى فمِن أجْـــلِهِ ... صَعَّدْتُ أنفاسِى فأحْرَقْتُهُ

* * *

---

(١) الأبيات فى خلاصة الأثر ٢/٣١ ، ٣٢ .

(٢) فى الأصول : « من حرن الدنايا » ، والمثبت فى خلاصة الأثر .

(٣) فى خلاصة الأثر : « وإذا جرى » .

(٤) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٣٢ .

(٥) فى ب ، والخلاصة : « أخو الهوى » ، والمثبت فى : ا ، ج .

وله أيضا :

قال مَن قال أُكْسِفَ البدرُ قُلْنا لا تظنُّوا كُسُوفَه عن شئانِ[1]
قد أخَذْنا سَناهُ عند التَّلاقِي وأعَرْناهُ حُلَّةَ الهِجْرانِ

***

ومن بدائعه قوله :

إذا شئْتَ أن تَتَسَلّى هواكَ وتَصْبِرَ لَا كان مَن يصْبِرُ
فقُلْ لِقَوامِك لا ينْثنِي وقُلْ لِلِحاظِك لا تَسْحرُ
وغَطِّ العِذارَ فمهْما بدا فإنّا على خَلْعِه نُعْذَرُ

***

وقوله :

قد كتب اللهُ على خَدِّه بالمِسْكِ سَطْراً دَقَّ مَعْناهُ
فقلتُ للعُشّاقِ لَمّا بَدا صَبْرٌ على ما كتَبَ اللهُ

***

وله فى مليح يقْرأ :

وساتِرٍ خَدَّه بمُصْحَفِهِ قلتُ له والفؤادُ فى قَلَقِ
خِفْتَ على الوردِ من لَواحِظِنا يا غُصْنُ حتى استَتَرْتَ بالوَرَقِ

***

وله :

لِفِعْلِ الخيرِ تشْتُمُنِي وتَرْكِى بَثَّ أسْرارِكْ
فقُلْ ما شِئْتَ فى ذَمِّى فإنِّى الفاعلُ التّارِكْ[2]

***

---

(١) فى الأصول هكذا « أكسف البدر » .
والشئان : جمع الشأن ، وهو الأمر العظيم .
(٢) انظر فى قولهم « الفاعل التارك » ريحانة الألبا ٢ / ٢٠١ .

وله فى مليح خَرَّاز :

وبِرُوحِي أفْدِيه خَارِزُ جُــلَّهِ يُخْجِلُ البدرَ فى الليالِى السُّودِ[1]

يتراءى للعــــاشقِين بسِكِّيــ ـنٍ تشُقُّ القلوبَ قبلَ الجلودِ

* * *

وله ، فى جنديٍّ باع سلاحَه بعد مرَض :

قام صلاحُ الدِّين مِن مَرَضِه واستقْبَل الدهرَ بعُمْرٍ جديدْ[2]

لا تعجَبوا أن باعَ أسْيافَه كلَّفَه التَّنْقِيهُ أكلَ الحديدْ

* * *

وقوله :

إياكَ لا تَضَــعِ المديــ ـحَ ولا تُرَى مُتغزِّلَا

أتقول قافيــةً وقد خَلتِ الدِّيــار فلَا ولَا

* * *

يريد قول الغزِّىّ[3] :

خَلَتِ الديارُ فلا كريمٌ يُرْتجَى منه النَّوالُ ولا مليحٌ يُعْشَقُ[4]

* * *

وله :

صَدَّ وَصْلَ الحبيبِ عنِّى عَذُولِى راح يسْعَى إليه بالتَّفْنيدِ

ورقيبٍ كأنما هو شهر الصَّــ ـومِ عندى فِراقُه يومُ عِيدِ

* * *

---

(١) الجل : ثوب الدابة . (٢) فى ب : « من مرضته » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٣) تقدم التعريف به ، فى الجزء الأول صفحة ٢١٨ .

والبيت فى تاريخ ابن الوردى ٣٦/٢ ، ريحانة الألبا ٣٤٢/٢ ، ٤١١ ، النجوم الزاهرة ٢٣٦/٥ ، نزهة الألبا ٣٨٧ . (٤) فى تاريخ ابن الوردى ، والنجوم الزاهرة : « خلت البلاد » .

وفى نزهة الألبا : « لم يبق فى الدنيا كريم يرتجى » .

وله فى مليح يُعْرَف بالقاسِمِىّ :

وَافَى فقلتُ وقد رأيتُ له سَناً قمراً على غصنٍ رَطِيبٍ نَاعِمِ
يا قاسِمِى بحُسامِ فاتِرِ طَرْفِهِ ارْحَمْ بعِزِّك ذِلَّتِى يا قاسِمِى(١)

* * *

وله ، وقد أرسل إليه السيد يحيى بن محمد بن الحسن كتاباً ودراهم :

يحيى عمادَ الدِّين يا مَن له كَفٌّ يُذِيل السُّؤْلَ قبلَ السُّؤالْ
عِطفِى قد اهْتَزَّ يا سيِّدِى مذ جاءنِى منك خطابٌ ومَالْ

* * *

وله مُضمِّنا :

لمَّا رآنى مَن أُحبّ مُفكِّراً نادَى إلىَّ مُداعِباً بتلطُّفِ
حدَّثتَ قلبَك بالسُّلوِّ فقلتُ بلْ قلبِى يُحدِّثنى بأنك مُتْلِفِى(٢)

* * *

وله ، رُباعيَّة :

كم أكتُم لَوْعتِى وكم أُخفِيها والدمعُ إذا جرَى وما يُبْدِيهاَ
يا مالكَ مُهْجتِى رُوَيْداً بشَجٍ ها مُهْجَتُه لديْك فانْظُر فيهـا

* * *

وله :

لاتعتبرْ ضَعْفَ مالِى واعتبرْ أدَبِى وغُضَّ عَن رَثِّ أطْمارِى وأسْمالِى
فمـا طِلابِىَ للدُّنيا بمُمْتَنِعٍ لكنْ رأيتُ طِلابَ المجدِ أسمَى لِى

* * *

(١) فى ج : « ارحم بعزك قلبى » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٢) ضمن بيت الفارض :

قلبى يُحدِّثنى بأنك مُتلِفِى رُوحِى فِداك عرفتَ أم لم تعرفِ

شرح ديوان ابن الفارض ١٤٨/١ .

وله[1] :

رُوَيْدَكَ من كَسْبِ الذنوبِ فأنتَ لا ... تُطِيقُ على نارِ الجحيمِ ولا تَقْوَى
أترْضَى بأن تَلْقَى المُهيْمِنَ فى غدٍ ... وأنتَ بلا عِلْمٍ لَدَيْك ولا تقوَى

***

وله[2] :

افْزَعْ إلى البارِى وكُنْ ... ممَّا جنَيْتَ على وَجَلْ
وارْجُ الإلٰهَ فلم يَخِبْ ... راجِى الإلٰهِ علَى وجَلْ[3]

***

وقد سُبِق إلى هذا فى قولِ الأوَّل[4] :

كُنْ من مُدَبِّرِكَ الحكيـ ... ـمِ عَلَا وجَلَّ علَى وَجَلْ

***

وله فى الثِّقَة باللّٰه[5] :

ثِقْ بالذى خلقَ الورَى ... ودَعِ البَرِيَّةَ عن كَمَلْ
إنّ الصديقَ إذا اكْتَفَى ... ورأَى غناه عنك مَلّ

***

وله :

رضيتُ بربِّىَ عن خَلْقِهِ ... وعن هذه الدارِ بالآخِرَهْ
سأسْعَى لطاعتِه طَاقَتِى ... وإن قصرتْ هِمَّتِى القاصِرَهْ

***

وقال ، وقد رأى شعرةً بيضاء فى رأسِه[6] :

شبابٌ غيرُ مذمومٍ تولى ... وشَيْبٌ قد أتى أهْلًا وسَهْلَا[7]

---

(١) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٣٣ ، وذكر أن فيه الجناس الكامل . (٢) خلاصة الأثر ٢/٣٣ .
(٣) « على » من العلو، وحافظت على رسمه لتتم المشاكلة . (٤) انظر أيضا خلاصة الأثر ٢/٣٣ .
(٥) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٣٣ ، ٣٤ . (٦) البيتان فى خلاصة الأثر ٢/٣٤ .
(٧) فى ا ، ج : « شبابى غير مذموم » ، والمثبت فى : ب ، وخلاصة الأثر .

مضى عمرِى الطويلُ ومرّ عيْشِى كأنّى لم أعِشْ فى الدهرِ إلّا

***

الضِّدُّ أقربُ خُطورًا بالبال عند ذِكْر ضِدِّه ، فذكرتُ من قوله : « رأى شعرةً بيضاء فى رأسه » ما حكى أبو الخطّاب بن عَوْن الحريريّ الشاعر ، أنه دخل على أبى العباس الشامِىّ المَصِّيصِىّ واجمًا [1] ، ورأسه كالثّغامة [2] ، وفى شعره واحدةٌ سوداء .

فقلتُ : يا سيِّدى ، برأسِك شعرةٌ سوداء !

قال : نعم ، هذه بقيّةُ شبابِى ، وأنا أفْرَح بها ، ولى فيها شِعْرٌ .

فقلتُ : أنشدْنِيه .

فأنشدنى :

رأيتُ فى الرَّأْسِ شَعْرةً بَقِيَتْ سوداء تَهْوَى العيونُ رُؤْيتَها

فقلتُ للبيضِ إذْ تُرَوِّعُها باللهِ ألّا فارْحَمْنَ غُرْبَتَها

وقَلَّ لُبْثُ السوداء فى وَطَنٍ تكون فيه البَيْضاء ضَرَّتَها

ثم قال : يا ابنَ الخطّاب ، بيضاء واحدة ترُوعُ ألْفَ سوداء ، فكيف حالُ سوداء بين ألفِ بَيْضاء .

☆☆☆

---

(١) فى ا ، ب : « جائما » ، والمثبت فى : ج .   (٢) الثغامة : السحابة البيضاء .

٢٦٢

أحمد اليَنْبُعِيّ (١)

شهابٌ فى سماء الفضل قد وَقَد ، تنفُث أقلامُه فى عقودٍ لا عُقَد .

وضَح فى طريق المعارف وُضوحَ النُّورِ السَّاطع ، ومضَى فى تحْصيل شواردِها مَضاء السيف القاطع .

***

وله بَدِيهــة لم تُعبْ فى مَيْـدان سَبْقٍ بِتخلُّف ، وأشعارٌ سلِمتْ من وَصْمةِ تعْقيدٍ وتــكلُّف .

فمنها قوله :

سَبَى فؤادِى ومَن حاز الجمالَ سَبَى ... ظَبْىٌ من التُّرْكِ ألْهَى حُسْنُه العرَبَا

منها :

والليلُ مشتمِلٌ بالغَيْمِ مُتَّشِحُ ... بالبَرْقِ قد وضعُوا تاجًا له الشهُبَا

والبرقُ مُسْتعِرُ الإيماضِ مُتَّصِلٌ ... كأنه قلبُ صَبٍّ للنَّوَى وَجَبَا

أو أنه ضَوْءُ مِصْباحٍ يُمثِّلُه ... ضَحْضَاحُ ماء ولـكن عندمَا اضْطَرَبَا

***

وله من أخرى ، مطلعها :

سَلُوا عن فؤادِى إن مَرَرْتُم على سَلْعِ ... فعَهْدِى به لمَّا الْتَقَى الرَّكْبُ بالجزْعِ (٢)

---

(١) ينبع : عن يمين رضوى لمن كان منحدرا من المدينة إلى البحر ، على ليلة من رضوى ، من المدينة على سبع مراحل .

معجم البلدان ٤/١٠٣٨ .

(٢) سلع : جبل بسوق المدينة . وتقدم .

منها[1] :

كأنَّ حُروفَ العِيسِ فى فاحِمِ الدُّجَى أحاديثُ سِرٍّ أُودِعتْ جَيِّدَ السَّمْعِ[2]

كأنَّ سُهَيْلًا غُرَّةٌ فوق أدْهمٍ يُجاذِبُه رَبُّ العِنانِ عن الرَّفْعِ

وتنظُر فى الغَرْبِ الهلالَ كأنه مِن العاجِ مُشْطٌ غاصَ فى آخرِ الفَرْعِ

***

هذا التَّشْبيه مَحَلُّ نَظَر .

***

إلى أن تجلَّى عن دُجَى الليلِ صُبْحُهُ تَجلِّى أميرِ المؤمنين عن النَّقْعِ

***

وله :

شكى إلى آسِيهِ مِن رأسِه مَن قَدُّه يَهزأُ بالآسِ

قلتُ كِلانا والهوى قد رَسَا فى القلبِ نَشْكُو أَلَمَ الرَّاسِ

---

(١) زيادة من : ب ، على ما فى : ا ، ج ، وتكررت بعد هذا البيت فيها أيضا .

(٢) الحرف : الناقة الضامرة أو العظيمة .

٢٦٣

إبراهيم بن صالح المُهْتدِى *

أَحَدُ مَن سبَق وادَّعَى ، ورَعَى من حَقِّ الصَّنْعة مارَعَى .

تبلَّغ بها على رَواجِ سُوقِها ، وانْتحلَها على تَوافُرِ أمانيه مِن وُثوقِها .

والإمام أحمد بن الحسن [1] أوّلُ مَن استدْناه ، وبلَّغه من وُفورِ المَواهب مُناه .

فَهادتْه السِّيادة تَهادِىَ الرِّياض النَّسيم ، وتنافَسُوا فيه تنافُسَ الدِّيار فى العَيْش الوَسِيم .

فنشأ خَلْقاً جديداً ، وجَرى طَلْقاً مَديدا .

* * *

(*) إبراهيم بن صالح المهتدى الهندى ، الصنعانى .

من أشعر أهل عصره ، وله « ديوان شعر » فى مجلد ضخم ، وكان يتشبه فى مدحه وحماسته بأبى الطيب .

كان والده من جلة البانيان الواصلين إلى صنعاء ، فأسلم على يد بعض آل الإمام ، وحسن إسلامه .

ونشأ ولده هذا مشغوفا بالأدب ، مولعا بمعالى الرتب .

مدح الإمام المهدى أحمد بن الحسن بن القاسم ، والإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم ، وابنه على ، ومحمد بن الحسن .

ولما صارت الخلافة إلى المهدى صاحب المواهب ، وفد إليه المترجم ، وشفع المصحف فى نفسه ، فقبل المهدى الشفاعة ، وطلب منه ألا يراه بعد ذلك ، فلازم العبادة والتزهد من ذلك اليوم .

حج ، ومات عقب عوده ، فى سنة مائة وألف ، أوفى التى قبلها .

ويؤكد زبارة فى حاشيته على البدر الطالع ، أنه توفى سنة إحدى ومائة وألف ، وذكر أن قبره بالروضة ، من أعمال صنعاء .

البدر الطالع ١/١٦ ، ١٧ ، حديقة الأفراح ٧ ، وسلافة العصر ٤٧٧ – ٤٨٧ .

(١) فى الأصول : « الحسين » ، وهو خطأ .

وهو أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد .

مولده سنة تسع وعشرين وألف .

ولما بلغ مبلغ الرجال ظهرت منه شجاعة وبراعة وقوة جنان ، وجاهد فى أيام عمه المتوكل على الله جهادا مشهودا ، أوقع فيه بأهل البغى الوقعات المأثورة ، واجتمعت الكلمة عليه بعد عمه المتوكل على الله .

واستمر مجاهدا فى سبيل الله ، حتى توفى سنة اثنتين وتسعين وألف ، ودفن بالغراس .

البدر الطالع ١/٤٣ ، ٤٤ ، خلاصة الأثر ١/١٨٠ ، ١٨١ .

وهو شاعرٌ كاتب ، حقُّه واجب ، وفضلُه راتِب .

وكلماتُه قلائد فى طُلَى وَلائِد ، وفرائد فى أجْياد خَرائد .

وقد أثبَتُّ له مايبلغ[1] الغايةَ فى الإغراب ، ولم يُسْمَعْ بأجْوَدَ منه من العرب والأعراب .

فمنه قوله ، من قصيدةٍ كتبها إلى الإمام إسماعيل[2] ، يحثُّه على الجهاد ، لمَّا أُحْصِر الرَّكْب اليمَانِىّ ، فى سنة ثلاث وثمانين بعد الألف[3] :

أظُلْمًا عن البيتِ الحرامِ تُذادُ ... على مِثْلِها الخيــلُ الجيادُ تُقادُ[4]

وخَسْفًا يُسامُ الهاشِمِيُّون إنهــا ... لَفَادِحةٌ فيهــا الحتوفُ تُقادُ[5]

فلا نامتِ الأجْفــانُ يا آلَ قاسِمٍ ... وكيف وفيهِنَّ السيوفُ حِــدادُ

ولا حَمَلَتْكُم مِن نتائجِ داحِسٍ ... شَــوازبُ مالم تُستَشَبَّ زِنادُ[6]

إذا لم يَصُنْ مجــدَ الخلافةِ منكمُ ... فمن أين مجــدٌ طارِفٌ وتِلادُ[7]

تدافعتِ البيــدُ المَوامِى بقومِكمْ ... تَدافُعَ ذُلٍّ فى دِماه ضِمادُ[8]

ورُدُّوا حيارَى خائبين بصفْقــةٍ ... يُنالُ بهــا رِبحُ الرَّدَى وتُقادُ[9]

وقد شارَفُوا أرْجاءَ مكةَ وانْثَنَوْا ... بِفاقِرةٍ تَفْرِى الْأَدِيمَ وعادُوا[10]

---

(١) فى ب ، ج : « بلغ » ، والمثبت فى : ا .

(٢) تقدمت ترجمته ، فى صفحة ٢٤٩ .

(٣) القصيدة فى سلافة العصر ٤٨٥ ـ ٤٨٧ .

(٤) فى الأصول : « على البيت الحرام » ، والمثبت فى سلافة العصر ، وفيها : « الخيل العتاق » .

(٥) فى الأصول : « الهاشميون إنهم * لفاوحة » ، والمثبت فى سلافة العصر .

(٦) داحس : فرس لبنى يربوع . انظر خبره فى النقائض ١/٨٣ .

وشوازب : ضامرة .

وفى السلافة : « شواذب إن لم يستشب زناد » .

(٧) فى سلافة العصر : « إذا لم يصن عرض الخلافة فيكم » .

(٨) الموماة : الصحراء الواسعة لا ماء فيها .

وفى السلافة : « تدافع ذل فى ضياه ضماد » .

(٩) فى ج : « وردن حيارى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، والسلافة .

(١٠) فى السلافة خطأ : « بفارقة تفرى » .

بني القاسمِ المنْصور لا تحْسَبونها ... مُهنِّيــةً لا بَلْ عَنًا وعِنادُ (١)

فعَزْماً فأنتم أُسْرَةُ السُّؤْددِ الذي ... مَبَانيه من فوقِ النُّجـومِ تُشادُ (٢)

ألستمْ بأهلِ البيتِ والرُّكْنِ والصَّفَا ... بلَى وهْيَ أوطانٌ لكم وبِلادُ (٣)

فلا تتركوا الأتراكَ في جَنَباتِها ... على الغَيِّ قد سادُوا القُرومَ وشَادوا (٤)

وصُولُوا مَصالًا يَتْرُكِ البحرَ جَذْوةً ... وحَزْماً فما فوق الجِمارِ رَمادُ (٥)

ويا آلَ قَحطانٍ ويا آلَ حاشِــدٍ ... وآل بَكِيلٍ آنَ آنَ جِهادُ (٦)

يُذادُ عن البيتِ الحرامِ حَجيجُكمْ ... كما ذِيدَ عن ذِئْبِ الفَلاةِ نِقَادُ (٧)

فشُدُّوا حِزَامَ الحَزْمِ فالطَّرْفُ إن يَدَعْ ... مَشَدَّ حِــزامٍ منه مالَ بِدادُ (٨)

ألا أيقِظُوا نُجْلَ العيونِ عن الكَرَى ... فليس بهــا إلَّا قذًى وسُهادُ

إذا فاتَهــا من أسْودِ الرُّكْنِ نَظْرَةٌ ... فلا دار في أحْـــداقِهِنَّ سَوادُ

قليلٌ بأن تُشْرَى مِنًى بمَنيَّةٍ ... لَيالِيَ لِقَا تَزْهُو بِهِنَّ سُعادُ (٩)

وتَجْريعُ كأسِ الموتِ إنْ تَدْرِ زَمْزَمٌ ... وأعْوزَتِ الوُرَّادَ منــه ثِمادُ (١٠)

---

(١) في الأصول: « مهنية لا بد عنا وعناد »، وفي السلافة: « بهينة لابل عنا وعناد »، ولعل ما أثبته الصواب، ولعل الأصح منه: « بهينة لا بل عنا وعناد ».

(٢) في سلافة العصر: « مبانيه فوق النيرات تشاد ». وفي ج: « فرغما أنتم أسرة . . . »، والمثبت في: ا، ب، والسلافة. (٣) في سلافة العصر: « أهل الركن والحجر والصفا ».

(٤) في سلافة العصر: « على الغي قد ساموا القروم وسادوا ». (٥) في سلافة العصر: « وصولوا صؤلا ». (٦) في سلافة العصر: « فيا آل قحطان.. وآل بكيران ذا الجهاد ».

(٧) في الأصول: « عن ذئب الفـلاة بعاد »، وفي سلافة العصر: « عن ذئب الفلاة نقاد »، ولعل الصواب ما أثبته.

والنقد: جنس من الغنم صغير الأرجل.

(٨) في الأصول: « مشيد حرام منه »، وفي السلافة: « فالطرف إن يدع * مشد حزام مال منه بداد »، ولعل الصواب ما أثبته.

والبداد: البراز.

(٩) في سلافة العصر: « قليل بأن نشرى ».

(١٠) سقط من ا: « تد زمزم »، ومكانها في ب: « تدر زمزم »، والمثبت في: ج، وفي السلافة: « ويجرع كأس الموت إن تدر زمزم * وأعززت . . . ».

وَنَحْرُ الفتى المذكورِ فى عَرَفَاتِها   على وَقْفةٍ فيها الجِرارُ بِرَادُ [1]

ألَذُّ وأحْلَى لِلْكَمِىِّ مَذاقةً   ألا انْتَبِهوا ياقوم طال رُقادُ

أتَقْذَى عيونٌ منكمُ بَمَذَلَّةٍ   وتُغْضِى جفونٌ حَشْوهنّ قَتادُ [2]

ويصْفُو على ذا الضَّيْمِ للحُرِّ مَشْرَبٌ   وكيف وشِرْبُ الهُونِ فيه يُرادُ [3]

دعوتُكمُ هل تسمعون نِداءَ مَن   يُحرِّض لكن لا يُجيبُ جَمادُ

فياسَيْفَ سيفِ الآلِ مِن حَسَنٍ أجِبْ   فقد لقِحتْ حَرْبٌ وثار جِلادُ

أأحمدُ ماذا العَوْدُ منكم بأحمدٍ   ولكن حديثُ الضَّيْمِ منه يُعادُ [4]

فثُرْ ثَوْرةً واغضبْ لربِّك غَضْبةً   بعَزْمٍ له فوق النُّجُوم مِهادُ

وقُلْ لأميرِ المُؤمنين أفِقْ لنا   يُذادُ بنا والمُقْرَباتُ جِيادُ [5]

لِأيَّةِ معنًى هذه الخيلُ تَدَّعِى   وبِيضُ المَواضِى والرِّماحِ صِعادُ [6]

وفى مَ يجُرُّ الجيشُ وهْو عَرَمْرَمٌ   لُهامٌ بها عُصْبٌ رُبًى ووِهادُ [7]

أغايتُه يوم الغَديرِ لِزينةٍ   وغايةُ جُرْدِ الخيلِ منه طِرادُ

أبَى اللهُ والدِّينُ الحَنيفُ وصارمٌ   على عاتقِ الإسْلامِ منه نِجادُ [8]

ويأبَى أميرُ المؤمنين وبأسُه   وفى الثَّغْرِ والرَّأْيِ السَّديدِ سَدادُ [9]

---

(١) صدر البيت فى السلافة: «ونحن الثنا المكروب فى عرفاتها»، وفى الأصول: «فيها الحرور براد»، وفى السلافة: «فيها الحرار براد»، ولعل الصواب ما أثبته. (٢) فى ج: «وتقذى جفون»، وفى السلافة: «وتغضى جفون»، والمثبت فى: ا، ب. (٣) فى السلافة: «يصفو على ذا الضيم للحرب مشرب»، وفى الأصول: «وشرب الهون فيه نداد»، وفى السلافة «منه يراد»، ولعل الصواب ما أثبته. (٤) فى الأصول: «أأحمد من ذا العود»، والمثبت فى السلافة.

(٥) فى السلافة:

وقُلْ لأمير المؤمنين أمْثُلَةً   يُراد بنا والمُقْرَباتُ جِيادُ

وفى الأصول. «والمعربات جياد».

والمقرب من الخيل: الذى يقرب معلفه ومربطه لكرامته.

(٦) فى الأصول: «والرماح صفاد»، والمثبت فى السلافة. (٧) اللهام: الجيش العظيم.

(٨) فى الأصول: «إلى الله»، والمثبت فى: السلافة. (٩) فى الأصول: «وثانى أمير المؤمنين»، والمثبت فى السلافة.

فيا أيُّها المولى الخليفةُ عَزْمَةً ... فقد شاب فَوْدٌ واستطار فؤادُ
فلا تَبْرِ أقلاماً سِوى من لَهاذِمٍ ... لها من دماء المَارِقين مِدادُ
ولا كُتُباً إلا الكتائبُ والظُّبَى ... ولا رُسُلاً إلا قَناً وجِيادُ (١)
دعا أحمدُ الهادى بمكةَ مُفْرَداً ... فمال ذَوُوه عن دُعاه وحادُوا (٢)
وقام وجُنْحُ الكُفْرِ دَاجٍ عِرانُه ... وما الكونُ إلا ضَلَّةٌ وفَسادُ (٣)
فلما تجلَّى صُبْحُ أسيافِه انْجلَتْ ... حَنادِسُ غَيٍّ واستنارَ رشادُ (٤)
فسَيِّرْ أميرَ المؤمنين جَحافلاً ... لهنَّ من السُّحْبِ الثِّقالِ مُرادُ (٥)
وجَهِّزْ صَفِيَّ الدِّين يمضى بهمَّةٍ ... بأشراكِها نَسْرُ السماء يُصادُ
وأيِّدْهُ بالأبطالِ أبناءِ عَمِّه ... وبابْنِك عِزِّ الآلِ يُبْنَ وِسادُ (٦)
ولا تَطْوِ أحشاءَ الفَخارِ على جَوًى ... تُؤَجِّجُ منه جَذْوةٌ وزِنادُ (٧)
أتُقْصَى عن البيتِ الحرام رِكابُنا ... ويُهْدَمُ مِن آلِ النَّبِيِّ عِمادُ (٨)
ألم تذكرِ الأتراكُ غارةَ أثْلَةٍ ... وأنَّهم ذاقوا الوَبال وبادُوا (٩)
ويارُبَّ يومٍ أدركوا فيه مَصْرعاً ... وللوَحْشِ منهم مَنْهَلٌ ووِرادُ (١٠)
فعُودُوا عليهم عَوْدةً قَعْسَرِيَّةً ... تُصاب سَلِيمٌ عندها ومُرادُ (١١)

---

(١) فى السلافة : « كتب » و « رسل » بالرفع فى الموضعين . (٢) فى الأصول : « لمكة مفردا » ، والمثبت فى السلافة . (٣) فى سلافة العصر : « وقام وجنح الليل داج إهابه » .
والعران : القتال ، وله معان أخر كثيرة . انظر اللسان (ع ر ن) ١٣ / ٢٨٢ .
(٤) بعد هذا فى السلافة زيادة :

وأنتَ له فينا أجلُّ خليفةٍ ... بكفِّك للنَّصِّ المُبينِ قِيادُ

(٥) فى السلافة : « من السحب الثقال مزاد » . (٦) فى السلافة : « وبابنك عن آل يمن وساد » ، وفى : ا ، ب : « بين وساد » ، والمثبت فى : ج . (٧) فى الأصول : « فلا تصلوا أحشا العجاب على جوى » ، والمثبت فى السلافة . (٨) فى ب : « الحرام ركائبا » ، والمثبت فى : ا ، ج . وفى ا ، ج : « ويهدم فما آل النبى » ، والمثبت فى : ب ، والسلافة . وفى السلافة : « أتقصى عن البيت العتيق ركابنا » . (٩) فى الأصول : « ألم تترك الأتراك غارب أثله » ، والمثبت فى السلافة ، وفيها : « وأنود إذ ذا قوا الوبال » . (١٠) فى السلافة : « أذكروا فيه مصرعا . . . منهل وزواد » .
(١١) فى ج : « عودة قيصرية » ، وفى السلافة : « عودة مضرية » ، والمثبت فى : ا ، ب .
وقعسرية : شديدة . القاموس (ق ع س ر) .

إذا أحْرَمتْ بِيضُ السيوف تَجِلَّةً ... وناط بخَيْفٍ أبْطَحٌ وجِيادُ[1]

هنالك يُشْفَى غَيْظُ نفسٍ كريمةٍ ... وقد حان من أهــلِ الضَّلالِ حَصادُ

ودونكم الحَرَّاء من قلبِ عارفٍ ... لها حِكَمٌ ما إنْ لهُنّ نَفادُ[2]

لقــد أرسلتْ تِمْثالَهـــا وترسَّلتْ ... فواصلُ فيهـــا للعداةِ صِفادُ[3]

أصِيخُوا لهـــا سَمْعاً وعَزْماً يقولُه ... خطيبٌ بليغُ الواعظاتِ جَــوادُ[4]

سلامٌ عليكم إن عملتُم بحُكمِها ... وإلّا فلا جاءَ الديارَ عِهادُ[5]

***

وقد وقفتُ لصاحبِنا أديبِ الدهر ، أحمد بن أبي القاسم الحِلّي[6] على قصيدة وِزانِها ، رَدٌّ عليه فيها .

وهي :

دَعَوْتَ ولكن مَن دعــوتَ جَمادُ ... ونَبَّهْتَ لكنْ مَن دَهاه رُقادُ

وأسمعْتَ مَن أضحتْ بأذْنَيْه عِــلّةٌ ... فمـــا لِمَواعِظِ الرَّشادِ رَشادُ

كأنَّ أحاديثَ الذين تخلّفــوا ... وصَـــدُّوا لآذانِ الرِّجالِ سِدادُ

وحرَّضْتَ أصْناماً ظَنَنْتَ شُخوصَهـــا ... جُسوماً ولكنْ ما لهُنَّ فُؤادُ

رأيتَ سَراباً لاح منهم بِقِيعَـــةٍ ... شَراباً فوِدْ إن الشَّراب يُرادُ

وآنسْتَ ناراً يُستطارُ شَرارُها ... وما هِيَ إلّا إن كشفْتَ رَمادُ

فَذي حَلٌّ في عينَيْك حتى تصوّرتْ ... لك الحُمْرُ أُسْداً والحمير جِيادُ

(١) في ا : « إذا أحمرت » ، والمثبت في : ب ، ج ، ورواية السلافة أصح وأولى ، وهي :

إذا أحْرَمتْ بِيضُ السيوفِ بمكةٍ ... وفاض نَجِيعًا أبْطَحٌ وجِيادُ

(٢) في الأصول : « ودونكم الحداء » .

(٣) في السلافة : « لقد أرسلت أمثالهـا وترسلت » * فواصل . . » . (٤) في السلافة : « وعزما بقوله » . (٥) العهاد : أوائل مطر الربيـع . (٦) في ا : « الحلى » ، والمثبت في ب ، ج .

وحتى البُروقُ اللّامعاتُ صَوارِمٌ وحتى الحصونُ المائلاتُ مَعادُ
وحتى النجومُ الزّاهِرات مَغافِرٌ وحتى طِرادُ اللاعبين جِلادُ
وحتى ظَلُومُ الليلِ جيشٌ عَرَمْرَمٌ تضيقُ به عند النُّزولِ بِلادُ (١)
وحتى السحابُ الجونُ قامتْ تثيرُه خيولٌ على السّبْعِ الشِّدادِ شِدادُ (٢)
وحتى الرّعودُ المُزعِجاتُ صَهِيلُها إذا هِىَ فى اليومِ العَبُوس تُقادُ
وحتى الهَباءُ السُّودُ وهْىَ عليهمُ دُروعٌ لقد غَرَّ السوادَ سَوادُ
أعِدْ نَظَراً فيما رأيتَ ولا تَمِلْ عن الحقِّ إنَّ المَيْلَ عنه عِنادُ
ألم يعلموا أن النفوسَ نَفائِسٌ وأن مَذاقَ الموتِ ليس يُرادُ
ألم يعلموا أن السّلامةَ مَغْنَمٌ إذا حصَلتْ نالوا المُنَى وأفادُوا
وهَبْ أنهم هَشُّوا لقولك هَشّةً وشدُّوا العِتاقَ السّابقاتِ وقادُوا
أليس قُصاراهم إذا قامتِ الوغَى ودارتْ رحَى الهَيْجا فَناً وشِرادُ (٣)
أبعْدَ افتراشِ الخزِّ تغدو من الثّرَى لهم فُرُشٌ مطروحةٌ ووِسادُ (٤)
وبعْدَ رُكوبِ الخيلِ يغدو رُكوبُهم على آلةٍ حَدْباءَ وعَزَّ مِهادُ
وبعد لَذِيذاتِ المَطاعِمِ منهمُ يكون طعامٌ للسِّباعِ وزادُ
يعزُّ عليهم يا أخا العَزْمِ والنُّهى يطُول لِربّاتِ الحِجالِ حِدادُ
بحقِّك قُلْ لى هل رأيتَ هَلاكَهمْ بإغرائِهم كيما يُنالَ مُرادُ
وهل فى الحَشا منكم كُلومٌ قديمةٌ فثارَ لأخْذِ الثّأْرِ منك فُؤادُ
كأنّى بهم لو حاولوا أن يُزايِلُوا منازِلَهم قادُوا الرّقابَ بِجادُ
ولو خرجُوا منها لأوشَكَ زادُهمْ يكون له قبلَ الخُروجِ نَفادُ (٥)

---

(١) فى ب : « وحتى ظلام الليل » ، وفى ج : « وحتى الظلام الليل » ، والمثبت فى : ا .
(٢) فى ج : « قامت تثيره » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٣) فى ا : « إذا قامت الوغى » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٤) فى ب : « لهم فرش مفروشة » والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ا : « يكون لهم » ، والمثبت فى : ب ، ج .

ولو جَنَحُوا للحربِ قَصَّ جَناحَهمْ وظَـلُّوا بأيْدِى القاعدين يُصادُوا
ولو فارقُوا أبْوابَ صَنْعا لفُرِّقتْ جُموعُهم أيْدِى سَبَاءٍ وبادُوا
ولو جاوزُوا غَرْسَ الغِراسِ هُنَيْئَـةً لـكان لهم يومَ المَعَـادِ مَعادُ

***

ومن بدائعه قوله، من قصيدة يمدح بها (١ الإمام إسماعيل ١) المتوكل. ومستهلُّها (٢) :

نعمْ مالرَّبّاتِ الحجُولِ ذِمامُ ولا لعُهودِ الغانياتِ دَوَامُ
أعَزُّ إلى مَ البرقُ عندكِ خُلَّبٌ وحتَّى مَ سُحْبُ الوصلِ منكِ جَهامُ (٣)
تقلّص ظِلٌّ مِن وفائِكِ سابِغٌ ظَليـلٌ وعاد الرِّيُّ وهْو أُوامُ
تخِذْتِ قِلَالَ الصَّدِّ والبعدِ جُنَّةً مَلَلْتِ ألا إن المَلالَ مَلامُ (٤)
وتلكَ لعَمْرِى فى الحِسانِ سَجِيَّةٌ وللشَّيْخِ فى إلمامِهِنَّ لِزامُ (٥)
ولـكنه فى حقِّهِنَّ مُمدَّحٌ يَحِلُّ وأما فى الرجـالِ حَرامُ
قُصارَى جَمالِ الغِيدِ وَجْدٌ ولَوعةٌ لها بين أحشاءِ الثَّناءِ ضِرامُ (٦)
تعصَّيْتِ حتى ما لمُضْناكِ حِصَّةٌ من الوصلِ إلَّا مِن رَنَاكِ سِهامُ
حسبْتِ بأن الحسنَ باقٍ وربمـا غدا يَنْمُهُ يا عَزُّ وهْو تَمامُ (٧)
وكلُّ شبابٍ بالمَشيبِ مُروَّعٌ وإن لم يَرُعْكَ الشَّيْبُ راعَ حِمامُ

---

(١) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . (٢) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .
والقصيدة فى سلافة العصر ٤٧٨ – ٤٨٠ .

(٣) الجهام : السحاب لا ماء فيه . (٤) ورد البيت فى السلافة هكذا :

تخِذْتِ القِلَى والصَّدَّ والبُعْدَ حِسْبةً مَلَلْتِ ولا إنَّ المَلالَ سلامُ

(٥) فى ا : « وفى الشيخ فى إلمامهن » ، وفى السلافة : « وللشيخ فى لمامهن » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٦) فى ا : « جد ولوعة » ، والمثبت فى: ب ، ج ، والسلافة ، وفيها : « بين أثناء الحشاء ضرام » .
(٧) فى السلافة : « غدا نبعه ياعز » .

أَلَم تعلمِى أنَّ المحاسنَ دولةٌ يزولُ إذا زالتْ جوًى وغرامُ

ولو دامتِ الدّولات كانُوا كغيرِهمْ رَعايا ولكن ما لَهُنَّ دَوامُ

إذا زِدْتِ بُعْدًا أو أطلتِ تجنُّبًا رحلتُ وجسمِى لم يُذِبْه سَقامُ (١)

ومافَضْلُ ربِّ السيفِ إن فتكتْ به جفونٌ كَليلاتُ المَضاءِ كَهامُ (٢)

أينصِبْنَ لى من هُدْبِهنَّ حُبالَةً وهل صِيدَ فى فخِّ الغَزالِ حَمامُ (٣)

ولى هِمَّةٌ لا يطَّبِيها صَبابةٌ وحَزْمُ فتًى بالخَسْفِ ليس يُسامُ (٤)

وعَزْمةُ نَدْبٍ لا يذِلُّ فؤادُه وجانبُ حُرٍّ لن تراه يُضامُ (٥)

هُيامِىَ فى نَهْدٍ أقبَّ مُطَهَّمٍ إذا القومُ فى نَهْدِ المَليحةِ هامُوا (٦)

ولم يكُ عندى غيرَ كُتْبٍ نَفيسةٍ تَرُوق وإلَّا ذابلٌ وحُسامُ

ولى قلمٌ كالصِّلِّ أمَّا لُعابُه فَسَمٌّ وأما نَفْثُه فَمُدامُ

وإن أمَّنِى دهرِى الخَؤُونُ بحادثٍ فلى مِن أميرِ المؤمنين عِصامُ (٧)

* * *

وله مناظرة بين القوس والبُنْدق .

قال فيها :

الحمدُ لله المُفيض كرمًا ومَنًّا ، والصلاةُ على نبيِّه الرّاقى إلى قابَ قوسَين أو أدْنَى .

المُؤيَّد بخوارِق آياتٍ هُنَّ أشَدُّ حُكْمًا وأنفذُ سَهْمًا ، الذى أُنْزِل عليه :

---

(١) فى السلافة : « أو أطلت تجنبا » .

(٢) فى ج : «حتوف كليلات المضاء» ، والمثبت فى : ا ، ب ، والسلافة . (٣) فى سلافة العصر : « فى فخ الغزال حمام » . (٤) فى ج : « لا يصطبينها صبابة » ، والمثبت فى : ا ، ب .

واطباه : دعاه .

(٥) فى الأصول : «لا يزال فؤاده» ، والمثبت فى سلافة العصر . (٦) النهد : الفرس الجميل المرتفع ، والأقب من الخيل : الضامر البطن الدقيق الخصر . (٧) فى سلافة العصر : « وإن رامنى دهرى » .

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾ [1] .

وعلى آلِهِ الذين تقوّستْ بريهم [2] ظهورُ النّواصب ، وأدركوا ببُنْدق الإصابة كلَّ غَرَض ناكِب .

وأُقيمتْ لهم فى الدّين الُحجَجُ والأدلّة ، وتقاصرتْ بجودِهم الشهورُ والأهِلّة .

أما بعد :

فهذه أُرجــوزة جمعتُ فيها غرائبَ من البديع ، ووشّمْتُ بُرْدَهـــا مُفوّفا كأزاهير الربيع .

وسمّيْتُهـــا « براهين الاحْتجاج والمناظَرة ، فيما وقَـــع بين القَوْس والبُنْدق من المُفاخرة [3] » .

سلكتُ فرائدَها مُمتثِلا لمُقترَح مولاى السيد العلامة لسانِ المتكلِّمين ، وترْجُمان الأئمة العارفين ، سيف الإسلام والمسلمين ، أحمد بن الحسن بن أمير المؤمنين .

وطرّزْتُها بفرائد من مديحه ، الذى لا يقْضِى النظرُ مع تعارُض الأدلّة إلا بترْجيحِه .

فهو المقصودُ أوّلا وبالذّات ، والمُقدّم التالى فى هذه الأبيات :

جاءتْك تبْرِى أسْهُمَ الجفونِ	عن قوسِ ذاك الحاجبِ المَقْرونِ
تخْتالُ مثلَ الغُصُنِ الرّطِيبِ	فى مِطْرَفٍ من حُسْنها القَشِيبِ
ريّانةٌ ظامئةُ الوِشـــاحِ	سَكْراء من خَمْرِ الصِّبا ياصاحِ
تفْتَرُّ عن دُرٍّ بَدِيدِ الشّنبِ	كأنه كأسٌ طفَا بالحَبَبِ
هِمْتُ بها وأعْجَبُ الإبْداعِ	ذو طَيْلَسانٍ هام فى قِناعِ

(١) سورة الأنفال ١٧ .　　(٢) كذا فى الأصول .

(٣) فى ج : « المناظرة » ، والمثبت فى : ا ، ب .

كالليلِ داجى شَعْرِها إذا سجَى ... ووجهُها كأنه بدرُ دُجَى

بيضاءُ بيْضاءُ الجِسْمِ كاعِبَهْ ... تُضْحى بألْبابِ الرِّجالِ لاعِبَهْ

كم مُغرمٍ بحُبِّهـا مُدَلَّهَا ... بقلْبِهِ نحوَ الهوى مَدَلُّهَا

جاءتْ إلينا كالأصيل فى الضُّحَى ... لو لَمَحَ البدرُ سَناها لَمحَا

وطَوْقُها يلوحُ فوق الجِيدِ ... كأنه شَكْلُ هِلالِ العيدِ

على جَبِينِ الأُفقِ البَهِيِّ ... مُنْحدِرٌ فى الجانبِ الغَرْبِيِّ

قد خُطَّ فى طِرْسِ السَّما كالنُّونِ ... كأنه قَوْسُ صَفِيِّ الدِّينِ

رامِى حَشَا البُخْلِ بِسَهمِ الجودِ ... وقاتلُ الإعْدامِ بالوجودِ(١)

يَمُّ العلومِ والنَّدَى المألوفِ ... وجُنَّـةُ اللائذِ والمَلْهوفِ

هو الُحسامُ فى يَدِ الخليفهْ ... حامِى ذِمامِ المِلَّةِ الَحنِيفهْ

مَنْ جَلَّ مِقْداراً على السِّماكِ ... وقال للشمسِ أنا سَماكِ(٢)

أحمدُ نَجْلُ الحسنِ بنِ القاسمِ ... ناهيك فى الهَيْجاءِ من مُصادِمِ

مَن عرَّف الجندَ بلامِ الحربِ ... واللامُ للتَّعْريف عند العُرْبِ

ما بين خَطِّىٍّ وبين ماضِ ... ومِغْفَرٍ وسابغٍ فَضْفاضِ

يتلوهما تركشة فى الرّاسِ ... فُؤادُها من الحديدِ قاسِ(٣)

وتركشُ النَّبْلِ وقوسُ الرَّمْيِ ... من لازمِ المُدَجَّجِ السَّكِمِيِّ

فالقوسُ قد عادتْ له أحكامُ ... وارتفعتْ لُحكْمِه أعلامُ

منذ أعاد الأحمدِيُّ أثرَهْ ... وشَدَّ أيضاً بالسَّوامِ أثَرهْ

فصار بين الخافِقَيْن مُشْتَهَرْ ... وجا على البُنْدُقِ أيضا يفتخِرْ

مُنْحَنِياً من الدَّها مُتَرْكشا ... مُقَذِّفاً لسهمِه مُرَيَّشا

---

(١) فى ج : « وقاتل الإعدام بالموجود » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ج : « أنا سماكى » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وسماك مسهل سماءك . (٣) لعل التركشة اسم بالتركية لأداة من أدوات الحرب .

بقول فَضْلِى ظاهرُ البيانِ   بسُورةِ الزُّخْرُفِ لا الدُّخانِ

يُزْجَى على ظهرِ الحصانِ الأعْوَجِ   أنا الهلالُ لم يُعَبْ بالعِوَجِ

قِدْحِى المُعَلَّى فى ظهورِ السُّبَّقِ   فأين مِن مَرْمَاىَ مُجْرِى البُنْدُقِ

قَبِيلتى بين الورَى كِنانَهْ   راشِقةٌ حِرابُهــــا طَعّانَهْ

فهل ترى لبُنْدُقٍ قبيـــلَهْ   سوى مقصّ شم أو فَتِيلَهْ(١)

وإن أتى وصوتُه مُجاشِــعُ   فإنمـــا أصولُه قَعاقِــعُ

غِذاؤُه الباروتُ والرَّصاص   كأنما فى جَوْفِه قُرّاص(٢)

فأرْعَـــدَ البُنْدُقُ حتى أبْرَقَا   بَرْقًا من الياقوتِ قد تألقَا(٣)

وقال إذْ قام على كُرْسِيِّه   قد أنطق الأخرسُ بعد عِيِّهِ

تمنْطَق القوْسُ علىَّ وافتخرْ   وهو مدَى الأيام فى أسْرِ الوتَرْ

مُشدّدُ الأطرافِ كالموثُوقِ   وقلبُــه مُطَرَّحٌ فى السُّوقِ

يفْخَر والفـــاخرُ عُقْباه النَّدَمْ   معْ أنه مُخَدْوَدِبٌ من الهرَمْ

ليس له ذخـــيرةٌ يُنفِقُها   إن ثار من نارِ الوغَى مُحْرِقُهَا

يجْهل ما بيْن الورَى تأثيرِى   ورَفْعَ كُرْسِيِّى على الصدورِ

ولا أزال طالعًا فى غاربِ   أرْمِى الشياطِين بنَجْمٍ ثاقبِ

أرُوعُ فى الهَيْجا زئيرَ الأُسْدِ   بصَرْخةٍ من رَمْيتِى كالرَّعْدِ

آكُلُ بالمِيزانِ أكْلَ الحِكْمَهْ   فلستُ أخشَى دائمًا من تُخْمَهْ(٤)

كفاكَ منِّى خَبَرِى وخُبْرِى   وحُسْنُ مَدْحِى من أديبِ العَصْرِ

قد قال فىّ والبليـــغُ حُجّهْ   وقولُه مُتَّضِح المَحَجّـــــهْ

---

(١) فى ا : « سوى نقص أو فتيله » ، والمثبت فى : ب ، ج ، ولم يستقم لى وجهه .

(٢) القراص : عشب ذو وبر حاد ، يقرص من مسه . (٣) فى الأصول : «من الياقوت حتى تألقا» ، ولعل الصواب ما أثبته . (٤) فى ب ، ج : « فلست أخشى أبدا من تخمه » ، والمثبت فى : ا .

ضئيلةٌ تَرْقِيشُها حسنُ الفرندْ   جَوْهرُها في الرُّومِ مَشْبوكُ الزَّرَدْ (1)

أفعاه في أجوافِها النِّيرانُ   يحْذَر منها الصِّلُّ والثُّعبانُ

ومَمُّهــــا تحمِلُه جَنِينَا   تُرْضِعُه من الرَّدَى علينا

بينا تُرَى تحملُ منه طِفــــلَا   حتى يصيرَ للحِمامِ كَهْلَا

ما تدرِ ما تلقَحُه وتضَعُهْ   ومن أفاويقِ الذُّعافِ تُرْضِعُهْ

إلَّا بمِقْدارِ اكْتحالِ النَّاظرِ   حتى يصير وهْو حَتْفُ الفاجِرِ

وَاهاً لها تلك مَخاضُ حُبْلَى   أسْرَعُ ما تدرأُ منه الحَمْلَا

فابْتَدرَ القوسُ بسهمٍ ووثَبْ   وازْوَرَّ كالحاجبِ من فَرْطِ الغضَبْ

وصار يُبْدِي صَوْلةَ المِقْدامِ   يسْحبُ أذْيالًا من السِّهامِ

وقال ما أفْرَعُ في خِطَامِهْ   والمرء قد يُقْذَعُ في إعظامِهْ

ما لِي وللبُنْدُقِ يا أُخَيَّــهْ   أصبح يُمْلِي صَوْتَه عَلَيَّهْ

جوابُه أن لا يُجابَ أبدَا   فمــا يُجيبُ صوتَه إلا الصَّدَى

لكنني مُنتصِرٌ خَشْيَةَ أن   يقول إنِّي قد رُميتُ باللَّــكَنْ (2)

وكان أوْلَى عِنْدِيَ السُّكوتُ   فإنمــــا نَفيثُه بارُوتُ

مُسْتــكْثَرٌ دُوَيْبِقٌ في ثَمنِه   أما تراه أبْخَرَ من نَتَنِهْ

وقال لم تَعْلَقْه من تُخَمَهْ   وإنما غذاؤُه بالحِكْمَهْ

وكم له من بِطْنةٍ مبغوضَهْ   تَظَلُّ أحْشاهُ بها مَغْضوضَهْ

كم آدَ مَن يحمِلُه من تَعَبْ   وأخَّرَ الرَّامِيَ عن نَيْلِ الأرَبْ

لثُقْلِه بجِرْمِه ثقيـــلُ   إن الثقيلَ قُرْبُه مَمْلولُ

(1) يعني بالضئيلة ، تشبيهها بالحية ، وكذا جاء في الأصول : « حسن الفرند » .

(2) في الأصول : « يقول إني رميت » ، ولعل الصواب ما أثبته .

ما أكثرَ التَّلْوينَ فى دِيانتِهْ وأضْيَعَ الأسرارَ فى خِزانتِهْ

فَتِيلُه نارُ الفَرِيقِ فى العَلَمْ فسِرُّ مَن يغزُو به لا يُكْتَتَمْ

كم دَرَّ بالصوتِ على رَامِيهِ ونَمَّ فى الليل على سَارِيهِ

وأينَه منِّى وحِفْظُ سِرِّى ما زال مَحْنُوًّا عليه ظَهْرِى

أُصِيب مَن أرْمِيه اغتيالَا حتى أكاد أرْشُق الخيالَا

أصُونُ سِرِّى فهو لا يبِينُ مُقْتدِراً بقَوْلِه استعِينُوا[1]

إن يتبجَّحْ فى عُلُوِّ الشَّانِ بمَدْحِه من شاعِرِ الزَّمانِ

فحُجَّتِى أرْجُوزةُ النَّباتِ ودُرَّةٌ من بَحْرِه الفُراتِ[2]

أعْنِى بذا فرائدَ السُّلوكِ فى ذِكْرِه مَصائدَ المُلوكِ

للهِ ما أعْذَبَها مِنْ مُلَحْ قد قال إذْ طَرَّزَها مَن مَدَحْ[3]

يا حبذا مُجِيبةُ الوِصالِ قاطعةُ الأعمارِ كالهلالِ[4]

زَهْراء خضراء الإهاب مُعْجِبَهْ ممَّا نَوَتْ بين الرِّياضِ المُعْشِبَهْ

كأنها حولَ المِياهِ نُونُ أو حاجِبٌ بما يشا مَقْرُونُ

لها بَنَانٌ بالمَنَى مَغْدُوقَهْ من نَبْعَةٍ واحدةٍ مَخْلوقَهْ[5]

فاضْطرَبَ البُنْدُقُ واسْتَثارَا وأظْهرتْ ذخيرةٌ شَرارَا

وقال عندى خَبَرُ البُخارِى ولى حديثُ الرَّمْىِ بالجِمارِ

يا قَوْسُ لا تدخُلْ فى أحْكامِى فأنت عندى من ذَوِى السِّهامِ

ولا تَقُل فى مَتْنِك التَّعْصِيبُ فما له من قِسْمَتِى نَصِيبُ[6]

---

(١) يعنى « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » . (٢) فى ا ، ب : « أرجوزة النباتى » ، والمثبت فى : ج . (٣) فى ب : « من طرزها من مدح » ، والمثبت فى : ا ، ج .

(٤) فى ج : « يا حبذا محبيه الوصال » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٥) المنى : الموت .

(٦) يشير فى هذا البيت ، والسابق له إلى ذوى السهام والتعصيب ، وهما من مسائل علم الفرائض .

القوسُ يا قومُ لنَدْفِ القُطْنِ لا لاتّخاذِ الرّمْيِ يومَ الطّعْنِ
كأنه فى مَسْجِدٍ مِحْرابُ أوراكمْ من خشيتى مُرْتابُ
كم فُتّتَ تحت الْبانِ كَبِدُهْ بِخِذمةٍ حتى يُقـــادَ أَوَدُهْ[1]
أنا الذى أحْرزَ فى الإقْدامِ بآيةِ الكُرْسِيِّ صَدْرَ الرّامى
وقال إنّى لثقيـــلُ الجِرْمِ وليس يدْرِى أنّ ذا من حِلْمِى
ونَبْـلُه من خِفّةٍ بَطِيشُ تحلُّه مع الرِّياحِ الرِّيشُ[2]
ما كلُّ من خَفّ قِباً لَطِيفُ إن الخفيفَ عقْــــلُه خَفِيفُ
فحين زادتْ منهما المُفاخَرَهْ واتّصلتْ بينهما المُشاجَرَهْ[3]
وكاد أنْ يُفْضِى إلى القتالِ بين رَصاصِ الرّمْلِ والنِّبالِ
تجرّدَ السيفُ عن القِرابِ وجرّ حدًّا منه غيرَ نابِى
وانْســلّ ما بينهما إصْلاحَا وقال قد طوّلْتُما الكِفاحَا
والرأىُ أن تصْطِرحَا فى الحالِ وتذهبا عن ظُلْمةِ الإشكالِ
إلى الصّفِيّ فيْصَلِ الأحْكامِ أحمدَ مَوْلى الحَـلِّ والإبْرامِ
فإنه قد قال وهْـــو الحاكمُ وحُـكْمُه فيما يقولُ لازِمُ
لا بُدّ للأصْيَدِ فى الفرسانِ من مُرْهفٍ وذابلٍ مُرّانِ[4]
وتركش مُقْـترِنْ بالقَوْسِ كمَن مضَى من خَزْرَجٍ وأوْسِ
فراجِـــلٌ يمْشى بلاحُسامِ وبُنْدُقٍ رامٍ إلى المَرامِ
كفارسٍ يبْرُزُ للـــنّزالِ من غيرِ لا سيفٍ ولا عَسّالِ

---

(١) هذا البيت ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .
ولعل الصواب : « حتى يقام أوده » .
(٢) فى ا ، ب : « ونبله من خفقة يطيش » ، والمثبت فى : ج ، ولعل الصواب « تحمله مع الرياح » .
(٣) فى ج : « منهم المفاخرة » ، والمثبت فى : ا ، ب .
(٤) المران : الرمح اللدن فى صلابة .

فعند ذا فاءا إلى الصُّلح معا ... ونحوَ بابِ الأحمديّ نَزَعا[١]

لَيْثٌ له كَهْفُ الفَخارِ خِيسُ ... يرتابُ من سَطْوتِه بِرْجِيسُ[٢]

الجامــعُ اللَّامَ ليومِ ألقاء ... فى مَوْكبٍ يملأُ عَيْنَ الرّائى

رَعِيلُ شُهْبٍ تنتقيه الشُّهْبُ ... وعنده نارُ العِــداةِ تخبُو

به تَمُور فَلَكُ الشَّهْباء ... وقَوْسُـــه فى أُذُنِ الجَوْزاء

أميرُه سيفُ الفتـــوحِ أحمدُ ... لِواؤُه فى كلِّ نَصْرٍ يُعْقَدُ

يا قمراً فى أُفُقِ الخِــلافَهْ ... دُونَكَها مُجاجَةَ السُّلافَهْ

تختالُ فى بُرْدٍ من الطُّروسِ ... ماشيـــةً كَمِشْيَةِ العَرُوسِ

لها مَعانٍ للعقولِ ســـاحِرَهْ ... فاخرةٌ فى حُلَلِ المُفاخَرَهْ

وإن تراخَتْ فى قضاءِ الواجبِ ... فَعُذْرُها عُذْرُ زمانٍ غالبِ

ثم الصلاةُ ما بدتْ غَزالَهْ ... على النبيِّ خاتِمِ الرِّســالَهْ

وآلِه سفينة النَّجــاةِ ... وصَحْبِه أكابرِ السَّاداتِ

***

ومن أبدع بدائعه ، قوله مخاطبا للإمام إسماعيل ، وقد عُرِض عليه حِصانان من كرائم خَيْله ، أحدهما أسود ، والآخر أبيض :

وأدْهَمٍ قد زَهَى اسْوِداداً ... مع أبْيَضٍ زانَه اخْضِرارُ

فأنتَ فى رُتْبــةِ المَعالِى ... يَحْمِلُك الليـــلُ والنهارُ

***

وقال ، وكان الإمام أراد أن يدخل مكانا[٣] له ، فهوَى قِنْديلٌ كان معلَّقًا ، فانكسر[٤] :

---

(١) فى ج : « ونحو باب الأحدى أزمعا » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) الخيس : موطن الأسد ، والبرجيس : هو المشترى ، النجم المعروف .

(٣) فى ب : « إلى مكان » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٤) البيتان فى حديقة الأفراح ٧ .

لاتعجبوا إن هوى القنديلُ مُنكسراً فما عليه أهيلَ الفضلِ من حرجِ
رأى الإمامَ كشمسٍ فى مطالعِها وعندشمسِ الضُّحى لا حظَّ للسُّرُجِ

* * *

وممّا يُحاضَر به ، ما اتَّفق أنّ زجاجةً انشقّت من ذاتِها ، فى مجلس سلطان ، فظهر منه تطيُّرٌ ، فأنشد بعضُ الشعراء :

ومجلسٍ بالسرورِ مُشتمِلِ لم يَخْلُ فيه الزُّجاجُ عن أرَبِ
سَرَى بأعطافِهِ بُرَنُحُهُ فشقّ أثوابَه من الطَّرَبِ

* * *

ومن محاسنه قوله يُخاطب بعضَ السّادة :

قُلْ للذين سَرَوْا والنارُ مُضرَمةٌ وفيهم شَرَفُ الإسلام إذ ظعنوا
لا تُشعِلوا النارَ فى مَسراكُمُ فلقد أغناكُمُ النَّيِّران البدرُ والحَسَنْ

* * *

وله :

يا عينَ فرسانِ بنى هاشمٍ سبحانَ حاميكَ من العَيْنِ
صُلْتَ برُمْحٍ وبعطفٍ فقُلْ فى فارسٍ جاء برُمحَيْنِ

* * *

وله :

أقبلَ كالرمحِ له هزّةٌ تحت قِباءٍ غيرِ مزرورِ
كأن ذاك الخالَ فى صدرِه حَبّةُ مِسْكٍ فوق كافورِ

* * *

وله :

حدّثانى عن النّقيبِ حديثاً وصِفا لى شُروطَه بالعلامَهْ

وارْوِيالى عن جَوْهَرٍ لَفْظَ حُكْمٍ ... واجْعَلاه فى جَبْهَةِ الدهرِ شَامَهْ
فيصِحُّ الحديثُ من غَيْرِ سُقْمٍ ... ما رواه إمامُنا عن أُسَامَهْ

* * *

وله[1] :

كأنهـــا والقُرْطُ فى أُذْنِها ... بَدْرُ الدُّجَى قُورِنَ بالمُشْتَرِى
قد كتَب الحُسْنُ على وَجْهِها ... يا أَعْيُنَ الناسِ قِفِى وانْظُرِى

* * *

وله فى حامل ساعة :

ومليـحٍ ملَكَ الحُسْـ ... ـنَ جميعاً فأطَاعَـــهْ
جاءنا ســـاعة أُنْسٍ ... إذْ حوَتْ يُمْناه سَاعَهْ

* * *

وله فى بانيانى[2] اسمه رامه :

وَلِعْتُ ببانيانِى فيـــه حُسْنٌ ... تظَلُّ الشمسُ عاكفةً أمامَهْ
كأن بِرِيعِـــهِ لَمَّا تبدَّى ... بريقَ الغَوْرِ فى أكْنافِ رَامَهْ

* * *

وله :

قد انقَضَى الصومُ وولّى وقد ... أقْلَقَهُ شَوَّالُ بالإرْتحالْ
فى الأرضِ تَرْميـــه مجانيقُنا ... وفى السَّما يَرْميه قَوْسُ الهلالْ

* * *

---

(١) حديقة الأفراح ٧ .

(٢) تقدم فى الحاشية فى صدر الترجمة ، أن والد المترجم كان من البانيان القادمين من الهنـد ، فأسلم وحسن إسلامه .

وفى القاموس (ب ن ى) : والأبناء قوم من العجم سكنوا اليمن . فلعل هـذا الجمع « البانيان » أطلق عليهم بأخرة .

وله :

طَيْلَسانُ المُهذَّبِ بن عشيشٍ هَذَّبته الشهورُ والأعْوامُ[1]
حاكَه مُجْتَبَى النُّبُوَّةِ شِيثٌ هكذا قد رَوَتْ لنا الأهْرامُ

* * *

وله :

طَيْلَسانُ ابنِ عشيشٍ ذِي العُلَى قد بَراه الدهرُ في نَشْرٍ وطَيّ
شَيِّقٌ يُذْكِرُ أيامَ الصِّبا ماله ممَّا بَراه الشوقُ فِيّ

* * *

طَيْلَسان ابن عشيش ، كطَيْلَسان ابن حَرْب ، فى قِدَم الزَّمان والاختِلال .

وطَيْلَسان ابنِ حرب صاحبُ الشهرةِ على ألْسنةِ الشُّعراء .

وكان محمد بن حرب[2] أهداه إلى الحَمْدُونِيّ ، وكان خَلَقاً ، فقال فى وَصْفه قُرابةَ مِائتيْ[3] مقطوعة ، لا تخْلُو واحدةٌ منها من معنًى بديع ، وصار الطَّيْلَسان عُرْضةً لشِعْرِه[4] ، ومثَلا فى البِلَى[5] والخلوقة ، وانْخرط فى سِلك حِمار طَيَّاب[6] ، وشاة سَعِيد[7] ، وضَرْطة وَهْب[8] ، وأيْر أبى حَكِيمة[9] .

---

(١) يلاحظ أنه من معانى « العش » بالفتح : ترقيع القميص ، فلعل الشاعر نظر إلى هذا فى صوغ هذا الاسم « ابن عشيش » .

(٢) هذا نقل عن ثمار القلوب ٦٠١، ٦٠٢ . (٣) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب ، وثمار القلوب .

(٤) فى ج : « للشعراء » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وثمار القلوب .

(٥) فى الأصول : « البلوى » ، والمثبت فى : ثمار القلوب .

(٦) انظر ثمار القلوب ٣٦٦ . (٧) انظر ثمار القلوب ٣٧٥ .

(٨) انظر ثمار القلوب ٢٠٦ . (٩) انظر ثمار القلوب ٢٢٥ ـ ٢٢٧ .

وفى ا ، ب : « أبى حكيم » ، والصواب فى : ج ، وثمار القلوب .

ومن نوادر ما قال فيه[١] :

يا ابنَ حَرْبٍ كَسَوْتَنِي طَيْلَسانًا أَمْرَضَتْه الأوجاعُ فهْو سَقِيمُ
وإذا ما رَفَوْتَهُ قال سُبْحا نَكَ مُحْيِي العظامِ وهْي رَمِيمُ

قلت[٢] : ومثلُه فى الشهرة ، ثَوْبُ المَالِقِيّ ، وفَرْوة ابن نُباتَة ، وصوف ابنِ مَلِيك .

☆



(١) ثمار القلوب ٦٠٢ . (٢) هذا القول ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب . وللمؤلف على نحو ثمار القلوب ، كتاب : مايعول عليه فى المضاف والمضاف إليه . انظر مقدمةالتحقيق ٢٣ .

٢٦٤

السيد أحمد بن محمد الأنسي*

شاعرُ صَنْعاء المُفلِق ، وشهابُ أُفُقِها المُتألّق .

تَعاطَى الآداب حتى سما بإحْرازِها ، فإذا نُشِرتْ حُلَلُها الصَّنْعائية فهو طِرازُ طِرازِها .

وكان له عند أئمتها قَدْرٌ لا يُجْهَل ، واعتناء لا يكاد حَقُّه يُهْمَل أو يُمْهَل .

ثم قدِم مكة ومدح شريفَها ، ونال من المَفاخر تَليدَها وطَرِيفَها .

فكان غَرْسَ نِعَمِه ، الذي سقاه ماء كَرَمِه سائغاً هَنِيًّا ، فأثمر قولًا جَنِيًّا .

وحُسامَه الذي حَلاه ، فأهدَى إليه من حُلاه .

وحَظِيَ حُظْوةً ما زال في خَيْرها إلى الممات يتقلّب ، واشتهر شُهْرةً أنْسَتْ شهرةَ أخي العرب قَدِم على آل المُهلَّب .

***

وقد أثبَتُّ من أشعاره ما يستغنِي في إحْكام صَنْعته عن الحُجّة والبرهان ، ويدلُّ على أن قائله حاز في مَيدان البَراعة مَزِيّةَ الرِّهان .

فمن ذلك رائيّته المشهورة التي مدح بها الشريف زيدا[1] ، وبلغني أنه أجازه

(*) ترجمه ابن معصوم في السلافة ٤٧٠–٤٧٣ ، وذكر أنه ورد مكة ، فمدح بها سلطانها السيد الشريف زيد بن محسن ، بقصيدة سجل ابن معصوم بعض المآخذ عليها .

وذكره الشوكاني ، في البدر الطالع ١/ ٣٧ .

(١) الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي الحسني .

شريف مكة .

ولد بمكة ، سنة أربع عشرة بعد الألف .

وتربى في حجر والده ، وسافر معه إلى اليمن ، ولما توفي والده بصنعاء رجع إلى الحجاز .

عليها ألفَ ذهبٍ ، وعبداً ، وفرَساً[1] :

سَلُوا آلَ نُعْمٍ بعــدَنا أيُّها السَّفْرُ ... أعندهمُ عِــلْمٌ بمـا صنَع الدهرُ[2]

تَصَــدَّى لِشَتِّ الشَّمْلِ بيني وبينها ... فمَنزلِيَ البَطْحا ومَنْزِلُها القَصْرُ[3]

رآني ونُعْماً لاهِيَيْن فغالَنــــا ... فشَلَّتْ يدُ الدهرِ الخؤونِ ولا عُذْرُ[4]

فو اللهِ ما مَكْرُ العَدُوِّ كمَكْرِهِ ... ولــكنَّ مَكْراً صاغَه فهو المَكْرُ

فقُولَا لأحْداثِ الليــالى تمَهَّلِى ... ويا أيُّهذا الدهرُ مَوْعِدُك الحَشْرُ

ســلامٌ على ذاك الزمانِ وطِيبِه ... وعيشٍ تقضَّى لى وما نبتَ الشَّعْرُ

فتلك الرياضُ الباسِماتُ كأنَّ فى ... عَواتِقِها من سُنْدُسٍ حُلَلٌ حُمْرُ[5]

تنَضَّد فيها الأُقْحُوانُ ونَرْجِسٌ ... كأعْيُنِ نُعْمٍ إذْ يقابلُهــا الثَّغْرُ

كأنَّ غصونَ الوردِ قُضْبُ زَبَرْجَدٍ ... تخالُ من الياقوتِ أعْلامُهـا الحُمْرُ

إذا خطَرَتْ فى الرَّوضِ نُعْمٌ عَشِيَّةً ... تفاوَح من فَضَلاتِ أرْدانِها العِطْرُ[6]

وإن سحَبَت أذْيالَها خِلْتَ حيَّةً ... إلى الماء تَسْعَى ما لأخْمَصِهـا إثْرُ

كَساهَا الجمــالُ اليُوسُفِىُّ مَلابِساً ... فأهْوَنُ مَلْبُوسٍ لها التِّيهُ والكِبْرُ

فكم تخْجَلُ الأغْصانُ منها إذا انثنَتْ ... وتُغْضِى حياءً من لَواحِظِها البُتْرُ

= ثم قام بأمر الحجاز سنة إحدى وأربعين وألف ، بعد خطوب كثيرة ، فكان عادلا مشفقا ، وأزال كثيراً من المنكرات ، وأمنت فى أيامه الرعايا .
توفى سنة سبع وسبعين وألف ، ودفن بالمعلاة .
خلاصة الأثر ٢/١٧٦ـ١٨٦ .

(١) القصيدة فى : خلاصة الأثر ٢/١٨٢ ـ ١٨٥ ، وفى السلافة ٤٧١ ـ ٤٧٣ ، منها الأبيات من ١ ـ ٣٢ ومن ٥٣ ـ ٥٨ . (٢) فى ا : « بما يصنع الدهر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٣) فى الأصول : « فنزلها البطحا ومنزلها القصر » ، وفى خلاصة الأثر : « فنزلها البطحا ومنزلى القصر » ، والمثبت فى سلافة العصر . (٤) فى سلافة العصر : « وإنى ونعما » .
(٥) فى خلاصة الأثر ، وسلافة العصر : « حلل خضر » .
وسيشير المؤلف إلى أن هذا البيت ملحون القافية ، نقلا عن ابن معصوم .
(٦) فى ا : « تفاوح من أردانها العطر » ، والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة ، والسلافة .

لها طُرَّةٌ تكسُو الظَّلامَ دَياجِياً ... على غُرَّةٍ إن أسفَرتْ طلَع الفجْرُ[1]

وجِيدٌ من البِلَّوْرِ أبيضُ ناعمٌ ... كعُنْقِ غزالٍ قد تكنَّفها الذُّعْرُ

ونحرٌ يقول الدُّرُّ إن به غِنًى ... عن الحَلْيِ لكنْ بي إلى مثلِهِ فقرُ

وحُقَّانِ كالكافورِ نافَ علاهُما ... من النَّدِ مِثْقالٌ فنَدَّ به الصَّبْرُ[2]

***

[3] قلتُ هذا النَّدُّ نَدَّ عن النَّدِّ [3].

***

رُوَيْدَك يا كافورُ إن قُلوبَنا ... ضِعافٌ وما كُلُّ البلادِ هي المِصْرُ[4]

بَدا القَدُّ غُصْناً باسِقاً مُتأوِّداً ... على نَقَوَىْ رَمْلٍ يطوفُ به نَهْرُ

يكاد يدُقُّ الخصْرَ من هَيَفٍ به ... رَوادِفُها لولا الثَّقافةُ والهَصْرُ[5]

لها بشَرٌ مِثلُ الحريرِ ومَنْطِقٌ ... رَخِيمُ الحواشِي لا هُراءٌ ولا نَزْرُ[6]

رأتْني سَقِيماً ناحِلاً والِهاً بها ... فأدْنَتْ لها عُوداً أنامِلُها العَشْرُ

وغنَّتْ ببيتٍ يلْبَثُ الرَّكْبُ عندَه ... حَيارَى بصَوْتٍ عنده يرقُص البَرُّ[7]

---

(١) بعد هذا في سلافة العصر زيادة :

وصَحْنانِ خَدٍّ أشْرَقا فكأنَّما ... مصابيحُ رُهْبانٍ أضاء لها الدهرُ

وسيذكر المصنف نقد ابن معصوم له ، فيما بعد .

(٢) هذا البيت ساقط من : ج ، وهو في : ا ، ب ، والخلاصة والسلافة .

وفي السلافة : « وحقان كالكافورتين علاهما » . وناف : علا وارتفع .

(٣) ساقط أيضا من : ج ، وهو في : ا ، ب . (٤) في ج : « وحقان كالكافور إن قلوبنا » ، وهو خلط فيها بين البيت الذي سقط منها ، وهذا البيت .

وفي سلافة العصر : « وما كل القلوب هي المصر » .

وهو يشير إلى كافور بن عبد الله الإخشيدي ، ممدوح المتنبي .

الذي تملك مصر سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، وتوفي سنة سبع وخمسين وثلاثمائة .

انظر وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٠ ، ٢٦٤ .

(٥) في س : « تكاد تقد الخصر » ، وفي الأصول : « لولا الثقافة والحفر » ، وفي الخلاصة : « ولولا الثقافة والحصر » ، والمثبت في : سلافة العصر . (٦) سيشير المؤلف فيما بعد إلى تضمين الشاعر بيت ذي الرمة . (٧) شرح ابن معصوم في السلافة « البر » هنا ، بأنه خلاف الفاجر .

إذا كنتَ مَطبوباً فلا زلتَ هكذا ... وإن كنتَ مسحوراً فلا برِئَ السِّحْرُ[1]

فقلتُ لهــا واللهِ يا ابنةَ مالكٍ ... لَمَا شَفَّنِي إلَّا القطيعةُ والهجرُ

رَمَتْنِي العيونُ البابلِيَّاتُ أسْهُماً ... فأقْصَدنِي منها سِهامُكُمُ الحُمْرُ[2]

فقالتْ وألقتْ في الحَشَا من كلامِها ... تأجُّجَ نارٍ أنت من مُلْكِنا حُرُّ

فواللهِ ما أنسَى وقد بكَرتْ لنــا ... بإبْرِيقِها تسعَى به القَيْنَةُ البِكْرُ[3]

تدُور بكاساتِ العُقارِ كأنْجُمٍ ... إذا طلعَتْ من بُرْجِها أفَلَ البَدْرُ

نَداماىَ نُعْمٌ والرَّبابُ وزَيْنَبٌ ... ثلاثُ شُخوصٍ بينَنا النظمُ والنثرُ

على النَّاىِ والعودِ الرَّخيمِ وقَهْوَةٍ ... يُذكِّرُها ذَنْباً لأقْدامِنــا العصْرُ[4]

فتقْتَصُّ من ألبابِنا وعقولِنــا ... فلم ندْرِ هل ذاكَ النُّعاسُ أو السُّكْرُ[5]

مُعتَّقةٌ من عهــدِ عادٍ وجُرْهُمٍ ... ومُودِعُها الأذْنانَ لُقمانُ والنَّسْرُ

مُشَعْشَعَةٌ صَفْرا كأن حَبابَهــا ... على فُرُشٍ من عَسْجَدٍ نَثَرَ الدُّرُّ[6]

إذا أُفْرِغتْ في الكأسِ نُعْمٌ وأخْتُها ... تشابَه من ثَغرَيْهِما الرِّيقُ والخمرُ[7]

خَــلا أن رِيقَ الثَّغْرِ أشْفَى لِمُهْجتِي ... إذا ذاقَه قلبِي الشَّجِي برَدَ الجَمْرُ

(١) في السلافة : « إذا كنت منظورا فلا زلت هكذا » . (٢) أقصدني : أصابني.

(٣) في سلافة العصر : « بإبريقها تسعى بها القينة البكر » . (٤) في سلافة العصر : « يذكرنا دينا لأقدامنا العصر » .

وذكر ابن معصوم فيها قوله : « يريد أن هذه القهوة عصرناها بأقدامنا ، فاقتصت من رءوسنا ، وهو معنى حسن ، إلا أن ضعف التركيب غبر في وجهه .

وهو من قول أبي نواس :

عاقرْتُمُ معْقورةً لو سالَمتْ ... شُرَّابَهــا ماسُمِّيتْ بعُقارِ

ذكرتْ حقائدَها القديمةَ إذْ غدتْ ... صَرْعَى تُداس بأرْجُلِ العُصَّارِ

ورَنَتْ لهم حتى انْتَشَوْا وتمكَّنتْ ... منهم فصاحتْ فيهمُ بالثّارِ

(٥) في سلافة العصر : « من ألبابنا ورءوسنا » . (٦) في خلاصة الأثر : « ينثر الدر » .

(٧) في ج : « إذا فرغت » ، والمثبت في : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .

وأنفعُ دِرْياقٍ لمن قتَل الهوى فهاتِ ارْتِشافَ الثغْرِ إن سَمَحَ الثَّغْرُ
بهــــذا عرفْنا الفرقَ مابين كأسِها وبين مُدامِ الظَّلْمِ إن أشْكلَ الأمْرُ(١)
فواللهِ ما أسْلُو هَواها على النَّوَى بَل إن سلاَ بذْلَ النَّدَى الملكُ القَسْرُ(٢)
أبو حسنٍ زيدُ المَكارمِ والتقى له دون أملاكِ الورى المجدُ والفخرُ(٣)
إذا ما مشَى بين الصُّفوفِ تزَلْزلتْ لِهَيْبتِه الأملاكُ والعَسْكرُ المَجْرُ(٤)
وترْجُف ذاتُ الصَّدْعِ خوْفًا لبأسِهِ فَيندكُّ أطوادُ المَمالكِ والقَفْرُ
فلو قال للبحرِ المُحيط ائْتِ طائعًا أتاه بإذْنِ اللهِ فى الساعةِ البَحْرُ
على جُودِه من وَجْهِه ولسانِه دليلانِ للوفْدِ البشاشةُ والبِشْرُ
فما أحنفٌ حِلْمًا وما حاتمٌ نَدًى وما عنترٌ يومَ الحقيقةِ ما عَمْرُو(٥)
هو الملكُ الضَّحَّاكُ يومَ نِزالِه إذا ما الجبانُ الوجه قَطَّبه الكَرُّ
لقد قرَّ طرْفُ المُلْكِ منه لأنَّه لَديْه النَّوالُ الحُلْوُ والغضبُ المُرُّ(٦)
أنِخْ عنده يا طالبَ الرِّزْقِ فالذى حَواه أنُو شِرْوانَ فى عينِه نَزْرُ(٧)
ولا تُصْغِ للعُذَّالِ أُذْنًا وإن دَنوْا بأحسابِهم منهم فمــا العبدُ والحُرُّ
وهل يسْتوِى عَذْبٌ فُراتٌ مُرَوَّقٌ ومِلْحٌ أُجاجٌ لا ولا التِّبْنُ والتِّبْرُ
فلو سمعتْ أُذْنُ العِدَى بهِباتِه إذا جاد لاستخيَتْ ولكنْ بها وَقْرُ(٨)
مَليكٌ إليــــه الإنْتهاءُ وقَيْصَرٌ يُقصِّرُ عنه بل وكِسْرَى به كَسْرُ(٩)

(١) فى ج : « بهذا عرفت الفرق » ، والمثبت فى : ا ، ب ، وخلاصة الأثر .
والظلم : الريق .
(٢) هكذا : « الملك القسر » ، ولعله وصفه بالمصدر .
(٣) فى خلاصة الأثر : « زيد المعالى والتقى » . (٤) المجر : الجيش العظيم . القاموس (م ج ر) .
(٥) يعنى عمرو بن معد يكرب. (٦) فى خلاصة الأثر : « والقضب المر » . (٧) فى ج، وخلاصة الأثر : « فى عينه النزر » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٨) فى خلاصة الأثر : « أذن العداة لجده » .
(٩) بعد هذا البيت فى خلاصة الأثر زيادة :
مَليكٌ له عنــد الإلهِ مَكانةٌ تبوَّأها من قبله اليأسُ والخِضْرُ

مَليكٌ له سِرٌّ خَفِيٌّ كأنّمـــا ... يُناجيه بالغيْبِ ابنُ داودَ والجَبْرُ (١)

فإن كذَّبوا أعداءُ زيدٍ فحَسْبُه ... من الشاهدِ المَقبولِ قِصَّتُه البِكْرُ

لَيالىَ إذ جاء الخَصِيُّ وأكْثَروا ... أقاويلَ غَيٍّ ضاق ذَرْعاً بها الصَّدْرُ (٢)

فأيقظَه من نَوْمِه بعــد هَجْعةٍ ... من الليلِ بيْتٌ زاد فَخْراً به الشِّعْرُ

كأنْ لم يكنْ أمرٌ وإن كان كائنٌ ... لَكانَ به أمرٌ نفَى ذلكَ الأمْرُ

وفى طَيِّ هــذا عِبْرةٌ لأُلى النُّهَى ... وذِكْرَى لمن كانت له فِطْنةٌ بِكْرُ (٣)

فيازيدُ قُلْ للحاسـدين تحفَّظوا ... بغَيْظِكمُ أن لا يُطيقَكمُ الصَّبْرُ (٤)

فمَجْـدِى كما قد تعلمون مُؤَثَّلٌ ... وكلُّ حَمامِ البَرِّ يقْنِصُها الصَّقْرُ

مِن القومِ أرْبابِ المَكارمِ والعُـلَى ... مَيامِينُ فى أيْديهمُ العُسْرُ واليُسْرُ

مَساميحُ فى الأُولَى مَصابيحُ فى الدُّجَى ... تَصافَحَ فى مَغْناهمُ الخيرُ والشَّرُّ

أسِنَّتهمْ فى كلِّ شرقٍ ومَغْرِبٍ ... إذا وردتْ زُرْقٌ وإن صَدَرَتْ حُمْرُ

مَساعِيرُ حربٍ والقَنــا مُتشاجِرٌ ... ويومَ النَّدَى تَبْدو جَحاجِحَةٌ غُرُّ (٥)

وَلِيــدُهمُ أَلْقَى الملوكَ لأمْرِه ... تقولُ لبَدْرِ التِّمِّ ما أنْصفَ الشَّهْرُ (٦)

بنِى حَسَنٍ لا أبْعدَ اللهُ دارَكمْ ... ولا زال مُنْهَلاًّ بأرْجائِها القَطْرُ

ولا زال صَدْرُ الدَّسْتِ مُنْشَرِحاً بكمْ ... فمنكم وُلاةَ البيتِ يَنْشرحُ الصدرُ (٧)

***

---

(١) فى سلافة العصر : « ابن داود والجفر » ، والجفر : هو عبارة عن العلم الإجمالى بلوح القضاء والقدر . كشف الظنون ١/٥٩١ . (٢) فى سلافة العصر : « أقاويل عنى ضاق » . وسينبه المؤلف على هذه القصة فيما بعد .

(٣) فى خلاصة الأثر : « له فطنة نفر » ، وفى سلافة العصر : « له فطنة تمر » .

(٤) فى ا : « قل للحافظين تحفظوا » ،والمثبت فى : ب ، ج ، والخلاصة . (٥) الجحاجحة : السادة.

(٦) فى الأصول : « وكيدهم ألقى الملوك » ، وفى خلاصة الأثر : « وليدهم دان الملوك » ،ولعل ما أثبته أقرب لنص النفحة .

وأنصف الشهر ، أى بلغ نصفه ، وهو تمام البدر .

(٧) تمام القصيدة فى خلاصة الأثر :

وصلَّى على المختارِ والآلِ ربُّنا ... وسلَّمَ مالاح السِّماكانِ والنَّسْرُ

قلت : وقد ترْجَمه صاحبُ السُّلافة ، وقال فيه [١] :

ورَد مكةَ ، فمدح سلطانَها السيد زيدا ، بقصيدةٍ طويلة الذّيل ، فأجازه عليها جائزةً سَنِيَّةَ النَّيْل [٢] .

على أنَّ نِظامَ أبياتِها غيرُ مُؤتلِف ، وانْتِساقَ معانيها يتفاوتُ ويختلِف .

فهى كما قيل :

دُرَّةٌ وآجُرَّة ، وقَحْبة تُجاورها [٣] حُرَّة .

ثم أوْرَد المِقدار الذى ذكره من القصيدة ، مع التعقُّبات التى فى أثنائها ، والاعْتراضات التى طمسَت من سَناها لا سَنائها [٤] .

فإن محاسنَ [٥] محاسنِها أثَّر فيها ذلك القَدْح ، وجلالةَ قَدْرِها مَشِيدةٌ بمدْح الشريف وشريفِ المدح .

وأقول : كأنَّ ابنَ معصوم لم يَظْفَرْ من شعرِ الأنسىّ إلّا بهذه القصيدة ، التى أظْهر فيها نقدَه .

على أن شعْره كثير ، وفضلَه أثِير ، وجِياد كلامِه لنَقْعِ البلاغة لم تزلْ تُثير .

قال : قوله : « فواللهِ مامكرُ العدوّ . . إلخ » هذا البيت ساقطٌ ، ويتلوه مابعده .

يُشير بذلك إلى الأبيات الثلاثة التى بعده .

أقول : ليس فى هذا البيت عيبٌ إلّا تكْرار لفظ « المكر » ؛ فإن التَّكْرار مُخِلٌّ بالبلاغة إن أدّى إلى التَّنافُر كما بيَّنُوه ، وأما من حيث المعنى فهو مستقيم ؛ لأنه لَمَّا ذكر أن الدهرَ مُعاندٌ له ، أثبتَه عدُوًّا ، ونسَب إليه المكرَ به [٦] ، كما هو شأنُ العدوِّ ، وادَّعى أن مكرَه أشدُّ من مَكْرِ العدو ، على طريق المُبالغة فى وصفِه بذلك .

---

(١) سلافة العصر ٤٧٠ ، ٤٧١ .   (٢) فى السلافة : « الذيل » .

(٣) فى ج : « يجاورها » ، وفى السلافة : « وتجاورها » ، والمثبت فى : ا ، ب.   (٤) السنا الأولى : الضوء ، والثانية : الارتفاع .   (٥) ساقط من : ب ، وهو فى : ا ، ج .   (٦) زيادة من : ج ، على مافى : ا ، ب .

وقوله : « هو المكر » ؛ أى هو الذى يستحقُّ أن يسمّى مَكْراً ، كأنَّ غيرَه بالنسبة إليه لا يُسَمّى مكراً .

وأما قوله: « فقولا لأحْداثِ الليالى .. » إلخ ، فلا يظهرُ وجهُ سقوطِه ؛ لا من حيث اللّفظ ، ولا من حيث المعنى ، وهو خارج مَخْرجَ التظلُّم من الدهر .

نعم قوله : « فتلك الرياض » ظاهرُ السقوط .

قال : وهو مَلْحونُ القافية ، إذ صوابُها النَّصبُ .

قوله : « وإن سحبَت أذيالَها خِلْتَ حيَّة » ، هـذا من قبيح التَّشْبيه ، على ما فيه من الخلَل .

قلت : اعتراضُه عليه ليس فيه خَفاء .

قوله : « وصَحْنان خد » .إلخ ، مَلْحون أيضا ، وفيه تشبيه المثنَّى بالجمع .

وقوله : « وما كل البلاد هى المصر » .

قال : أدْخلَ لامَ التعريف على مصر [1] ، وهى عَلَمٌ للبلدة المشهورة [2] وهو غيرُ جائز .

قوله [3] : « لها بَشَرٌ مثلُ الحرير » ، هذا البيتُ من قصيدة ذِى الرُّمّة المشهورة [2] ، وقد انتحَلَه من غير تنْبيه على ذلك .

قلتُ : بعد إثبات الشهرة لا يحتاجُ إلى التَّنْبيه .

وفى قوله : قد انْتحلَه من غير تنْبيهِ على ذلك ، غَفْلةٌ ، فإن مَن ينتحل شيئاً لا يُنبِّه على انْتحاله .

قال : وإنما نبَّهتُ على ذلك كله لأن بعضَ أهلِ العصر يُغالِى فى اسْتحْسانِها ، زاعماً أنها من أعْلَى طبقات الشِّعر ، وليس كما توهَّم .

---

(١) فى ا ، ب : « المصر » ، والمثبت فى : ج ، وسلافة العصر. (٢) ساقط من: ب ، وهو فى: ا، ج

(٣) سلافة العصر ٤٧٢ .

قلتُ : يكفيها شهادتُه بأنها من أعْلَى[1] الشِّعر ، فهى شهادةٌ بعالٍ من عَلِيّ ، والحقُّ أن حسنَ مَساقِها[2] واضحٌ جَلِيّ .

***

وقوله فيها[3] : « كأن لم يكن أمر وإن كان كائن » .

لهذا البيت قصةٌ ، وهى :

أنه كان ورَد مكةَ رجُلٌ يُقال له بَشِير ، ومعه أوامرُ من السلطان مراد ، بأنه مُطْلَق التصرُّف ، وكان فى ظنِّه أنه يعزِل الشريفَ زيداً عن منْصِبه ، فلما وصل إلى يَنْبُع ، ظهر خبرُ مَوْتِ السُّلطان ، فلم يتمَّ له أمرٌ .

وكان الشريف زيد : رأى فى المنام ، كأن شخصاً يُنْشِده هذا البيت :

كأنْ لم يــكنْ أمْرٌ . . . . إلى آخره

فانْتَبَه ، وكتبَه بالسِّواك على رمل[4] ، فى صَحْن نحاس ، خشْيَة النِّسْيان .

وكانت هذه الرُّؤيا فى الليلة التى أسْفَر صَباحُها عن الخبر ، فنظم الأنسىُّ القصيدةَ ، وأدرجَه فيها .

***

وله هذه الكافيّة ، فى مدح الشريف المذكور أيضا ، وأولها :

مِن قبــلِ رُؤْياكِ يا ريَّا عَرفْناكِ أهْدَى النسيمُ قَبُولًا طِيبَ رَيَّاكِ

ونَفْحة جابتِ الآفاقَ منكِ فلم يبْقَ على المِسكِ ذِكْرَى بعدَ ذِكْراكِ[5]

كم بَلْبَلَ البالَ منها بلْبُلٌ سَحَراً وهل مَغانيــه إلا بعضُ مَغْناكِ

وأطْربَ العِيسَ حادٍ فى مَفازَتِهــا تحت الدُّجَى حين غَنَّاها بمَغْناكِ

(١) فى ب ، ج : « أعالى » ، والمثبت فى : ا .

(٢) فى ج : « مذاقها » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) انظر : خلاصة الأثر ٢/١٨٥ ، سلافة العصر ٤٢٣ . (٤) فى ب : « الرمل » ، والمثبت فى : ا ، ج ، والخلاصة ، والسلافة . (٥) هكذا « يبق » لضرورة الوزن .

حَلَّت نَجْداً فطابتْ منكِ أَرْبُعُهُ ... وأَصْبحَ التُّرْبُ تبراً بعد مَمْشاكِ
وخالطَتْ مَجَّةٌ منك العُذَيْبَ وما ... عِلْمِي به قبلُ لولا نَفْثُ مِسْواكِ
عِمِي صباحاً مَغَانِي الغانياتِ ولا ... تَنْفَكُّ نِعم تغذ أيدى نُعْماكِ[1]
أين العهودُ التى كانتْ مُؤَكَّدَةً ... إيَّاكِ أنْ تَنْقُضِيها بعدُ إيَّاكِ
نَعِمْتِ يا نُعْمُ بالًا بعدَنا ولنا ... بالٌ يُبَلْبِلُه ذِكْرَى مُحَيَّاكِ
إن كُنَّ أرْبُعكِ اللّاتى زهَتْ وهزَتْ ... بأرْبعٍ من جِنانِ الخُلْدِ مأْواكِ[2]
فيهنَّ عَيْنانِ من شُهْدٍ ومن لَبَنٍ ... نَضَّاختانِ فمن عَيْنَيَّ عَيْناكِ
والمُنْحنَى من ضُلوعِي لم يَزلْ أبداً ... مَثْواكِ والقلبُ لا يَنْفكُّ مَرْعاكِ
لولاكِ ما قلتُ بيتاً فى النَّسيبِ ولا ... جَفا جُفونِي كَراها غِبَّ مَسْراكِ
ولا لَقيتُ من الوَجْدِ المُبرِّحِ ما ... يُرْضِ رَضْوَى فهل باللهِ أرْضاكِ
نَزَلْتِ نَجْداً وأضْحَى منزلى بِعَنًى ... حتى متى يا تُرَى باللهِ ألْقاكِ[3]
ولى بَقَايا حُشاشاتٍ أضِنُّ بها ... عَسَى عَسَى تتلافاها مَطاياكِ
وفى فؤادِيَ أسرارٌ تَضَمَّنَها ... من الصَّبا حبَّذا إيداعُها فاكِ
لا وَاخَذ اللهُ أيْدِي العِيسِ قد جمَعتْ ... بعائدِ الصِّلةِ المَشْكُوَّ والشّاكِي
يا ربَّةَ الخالِ والخَلْخالِ طَيْفُ خَيا ... لِ منك يشْفِي خليلاً وجْدُه ذاكِ[4]
وبارقٌ بَرَقَتْ لى من ثَنيَّتِه ... منك الثَّنايا فأضْحَى أىَّ ضَحَّاكِ
فتعتبيه به ما عاشَ وابْتَغِي ... دِماه لا تُعْدميه لا عَدِمْناكِ
سَقَى وروَّى وحَيَّى للرَّبابِ مُلِثٌّ ... م للرَّبابِ الرُّبى رَيّا بذِكْراكِ
حتى يُقال لمَغْناها لقد رَحِمَ الضَّ ... حّاكُ يا قومِ هذا العارضَ الباكِى
وحاكَ منها بُروداً ثم فَوَّفَها ... بكلِّ لَوْنٍ فأعْيَي وَضْعُها الحاكِى[5]

---

(١) كذا فى ا ، ب ، وفى ج : « تغذ أيد نعماك » . ولم يستقم لى أمره .

(٢) فى الأصول : « إن كانت أربعك » ، ولعل الصواب ما أثبته. (٣) فى ج : « متى متى يا ترى » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٤) فى ج : « عليلا وجده ذاك » ، والمثبت فى : ا ، ب.

(٥) فى ج : « فأعيي وصفها الحاكى » ، وهى رواية حسنة ، والمثبت فى : ا ، ب .

كأن زيداً أطـــال الله مُدَّتَه | أمدَّ بعضُ مُحَيّـــاه مُحيّاكِ
فهو الذى يدُه البيْضا وصَنْعتُها | نَسْجُ المَكارِم من إبّانِ إدْراكِ
ما بأسُ عمرٍو وما هَمُّ ابنِ ذى يزَنٍ | وما سياسةُ سَاسانٍ وإينـــاكْ (١)
ما زال لا زال يَطْوِى كلَّ مُنْتَشِرٍ | من المَمالك فى عُرْبٍ وأتْراكِ
حمَى به الحرَمَيْن اللهُ فامْتنعا | عن مُلْحِدٍ وأثيمٍ بل وهَتَّاكِ
فَأَمَّتِ الأُمَمُ البيتَ الحرامَ على الخَـ | ـوفِ تلافيها لم يَخفْ سِرْبٌ لنُسَّاكِ
سِنانُه لم يزَلْ يُدْعَى وصارِمُه | بفاطِـــرٍ وبسَفّاحٍ وسَفَّاكِ
هو الأمينُ ولـكن ليس يخدمُه الـ | ـمأمـــونُ إن غمزتْ عَيْنٌ لأفّاكِ
سَلْ عنه مكةَ هل مَلْكٌ تَسلْطَنَ يحْـ | ـكى منه زيداً بها من قبـــلِه حاكِ
وهل لطائرِه المأمونِ من مَثَلٍ | فيمن تقدَّم سَلْ سَلْعاً وذى الدا كِى (٢)
كم طاب فى طَيْبَةٍ رَبْعٌ لمُرْتبِـعِ | كَساه بُرْدَ ربيـــعٍ عَدْلُه الزّاكى
إن ينتقِلْ عنك جوْرُ يَثْرِبِ فلا غَرْ | وَ فقد نقلتْ من قبـــل حُماكِ (٣)
زيدٌ هو الجوهرُ الفرْدُ الذى انْعقَدتْ | له العِنايةُ فى أثْنـــاءِ شُبّاكِ

منها :

مَن لى برُؤْية زيدٍ مَن يُبلِّغنِى | مَن لى بِبَسْطِ يدٍ من قبلِ إدْراكِ
أعـــوذُ باللهِ من عجْزٍ يحُولُ عن | ازْديارِ مَن سَكَن الزَّوْراء نَهّاكِ
يا ربِّ بالبيتِ زِدْ زيدَ المـكارمِ تَعْـ | ـميراً وعِزّاً وصِلْ من حَبْلِىَ الوَاكِى
ثم الصلاةُ على المختـــارِ من مُضَرٍ | وآلِه ما انْطَـوتْ أشْراكَ إشراكِ

❀

(١) لم أجد لإيناك هذا ذكرا.

(٢) سلع : جبل بسوق المدينة . معجم البلدان ٣/١١٧ .

وفى ج : « سلعا وذى الداك » والمثبت فى : ا ، ب ، ولم أعرفه .

(٣) هذا البيت مضطرب كما ترى .

٢٦٥

ولده أحمـــــد*

سِرُّه الذى بدَا ، وأطَلّ رَوْضا مُتروَّيا(١) بطَلٍّ ونَدَى .

لَقِيتهُ بمكة يصْطبِح الحظَّ ويغْتبِق ، وثناؤُه ما بين أدبائها عَبِق .

وعندهم أشعارُه ناطقةٌ بتَبْرِيزِه ، واسْتيلائه من مَعْدِنِ الأدب على إبْرِيزِه .

وأنا على ذلك من الشاهدين ، وما شهدتُ إلّا وأنا من الشاهدين .

وأما عِشْرتى منه فما زلتُ أذكرها ، وبلسان الإخلاص أحْمَدها وأشكرها .

فقد رأيتُ منه خِلاًّ(٢) طَبْعُه مُصَفّى ، ومَشْرَبُه من رِيقِ(٣) الشُّؤْبوب(٤) أصْفَى .

* * *

ومِمَّا خاطبتُه به ، (٥ هذه الأبيات ٥) :

أأحمدُ يا مَن صَحَّ عندِىَ وُدُّه ... ووُدِّى لديْه صَحَّ عندِى ببُرْهانِ(٦)

كِلانَا على أنِّى الغريبُ وأنك الْ ... غريبُ ولا دَعْوَى هناك برُجْحانِ

وإنِّى وإيَّاك الحيــــاةُ وجِسْمُها ... كِلانَا على الإخــــلاصِ مُتَّفقانِ

(*) السيد أحمد بن أحمد الأنسى اليمنى ، المعروف بالزنمه .

نشأ بصنعاء ، ومدح الإمام المؤيد محمد بن إسماعيل بن القاسم ، ومدح المهدى صاحب المواهب محمد ابن أحمد ، وجرت له معه خطوب ، فلحق بمكة ومدح أميرها الشريف أحمد بن غالب ، ثم عاد إلى المهدى صاحب المواهب تائبا .

وكان حاد الطبع ، سريع الانحراف .

توفى سنة تسع عشرة ومائة وألف ، بجزيرة زيلع .

البدر الطالع ١/٣٦، ٣٧ ، حديقة الأفراح ٦ .

(١) فى ج : « مترو » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ج : « طلا » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٣) فى ا ، ب : « ريقه » ، والمثبت فى ج . (٤) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

(٥) زيادة من : ج ، على مافى : ا ، ب . (٦) فى ج : « صح أيضا ببرهان » ، والمثبت فى : ا، ب.

عجبتُ لوُدٍّ بيننـــا مع تبايُنٍ ... فإنّى قيسىٌّ وأنتَ يمـــانى
رفيقان شتّى ألّفَ الدهرُ بيننا ... وقد يلتقِى الشّتّى فيأتلفـــانِ

***

وقد أهدى إلىّ قصيدةً ، يمدح بها كتابى هذا ، وأنشدنيها ونحن فى السَّرداريّة(١) ، المتنزه(٢) البهِـج ، صُحْبةَ جماعةٍ صقلوا العِشْرةَ بطَبْعِهم الرّهِج .

وهى قوله :

لشمسِ المعالى والبلاغـــةِ إشراقُ ... وللنظمِ من بعد التَّقيُّدِ إطْـــلاقُ
فـ « ريحانةُ » المولى الخفاجىّ عَرْفُها ... بروضٍ من الآدابِ والعلمِ عَبّاقُ
ويا حبّذا « ذيــلٌ » كساها محمّدٌ ... سُلالةُ فضلِ اللهِ مَن هُوَ سبّاقُ
وذلك فضــلُ اللهِ يؤتيه مَن يشا ... وحَسْبُك أنّ الفضلَ والعلمَ أرْزاقُ(٣)
لقد فاق مولانا الأمينُ مُؤرِّخا ... لقومٍ لما تحْوِى التواريخُ قد فاقُوا
بأوراقِه زِينَتْ قُدودُ عُـــلاهُمُ ... كما زانتِ الأغصانَ فى الرَّوضِ أوراقُ
وأحْـكَم فى تأليفــهِ مُتفنِّناً ... وأبْدَعَ حتى قيل ذلك إغراقُ
بإغراقِه قد أصبح الغيثُ غارقاً ... وللغيثِ إرْعادٌ هنــاك وإبْراقُ
وفى بحرِه غارَ « العُبـابُ » حَقارةً ... وهيهاتَ لـ « لْمبرقِ اليمانىِّ » إلْحاقُ
فإن يُغْلِق الفتــحُ بنُ خاقانَ بابَه ... فحُقّ له من بعد ذلك إغْلاقُ
به فارقتْ تلك « القلائدُ » جيدَها ... وليس إلى ذكرِ « الخريدةِ » مشتاقُ
ودَعْ عنك آدابَ « السُّلافة » بعده ... فليس لـكاساتِ السلافة إدْهاقُ(٤)

---

(١) فى ا : « السردانية » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) كذا ورد فى الأصول ، وهو استعمال العصر . (٣) فى ب : « وحسبك أن العلم والفضل » . (٤) فى ج : « آداب السلافة دونه » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وأدهق الكأس : ملأها .

يحقُّ لهـذا « الذيلِ » إن قال تائهاً أنا الرَّأسُ و «الريحانة» الخُفُّ والسَّاقُ

كأن رِياضاً ماحَـــواه قِمطْرُه فمَنْ طَيِّه نَشْرُ اللطائفِ خَفّاقُ

كأن معانيــــه معانٍ لمَعْبَدٍ يُجاوبُه مهما ترنَّم إسْحاقُ (١)

كأن به هاروتَ ينفُثُ سِحرَهُ فلِلقَوْمِ إصْغاءٌ إليــه وإطْراقُ

كأن ذوِى الآدابِ عنــد سَماعِه وقد ثمِلُوا صَرْعَى مُـدامٍ فما فاقُوا

كأن التَّوارىَ والجِناسَ خرائدٌ تُشاهدُها فى موقفِ الأُنْسِ عُشّاقُ

كأن سَوادَ الحِـبْرِ فوقَ بياضِه وقد زانَه سحرُ البلاغةِ أحْداقُ

طَلاسِمُ أفـكارٍ تخُطُّ لناظرٍ دَيابيجُهــا حولَ التَّراجِم أَوْفاقُ (٢)

تَداوَى به الأذهانُ من داءِ عِيِّهــا وتلكَ لداءِ العِيِّ طِبٌّ ودِرْياقُ (٣)

فقُلْ للأمينِ الأفضلِ السَّيِّــدِ الذى له فى العُلَى قَدْران خَلْقٌ وأخْلاقُ (٤)

لكَ اللهُ قد جُزْتَ الـكواكبَ راقِياً وهل مجـدُكَ السَّامِى لقَوْلِىَ مِصْداقُ

وأطْلَعْتَ للآدابِ شمساً بنورِها تبلَّج من ليــلِ الجهالةِ آفاقُ

وصَغْتَ لأبنـــاءِ الزمانِ قلائداً تُطوَّق منهــا للمفاخِرِ أعناقُ

ولا عجَبٌ أن يُظهِر الفضــلَ نَجْلُه وأن يقْذِفَ الدُّرَّ الذى فيهِ دَفّاقُ

ودونَكَ منِّى عن ذوِى الشِّعْرِ مِدْحةً سَبائكُها للمجــدِ تاجٌ وأطْواقُ (٥)

لقد زانَ نَوْعُ الافْتنانِ نِظامَهــا وما فاتَها مَعْ رِقَّةِ اللفظِ إفلاقُ (٦)

أجَزْناكَ مَدْحاً يافريدَ زمانِنـــا ليُقْضَى به حَقٌّ ويُحفَظَ مِيثاقُ

---

(١) معبد بن وهب المدنى ، وإسحاق بن إبراهيم الموصلى ، تقدم ذكرهما كثيرا .

(٢) دياييجها : جمع تكسير لديباجة ، والأوفاق : علم الحروف ، وهو علم باحث عن خواص الحروف إفرادا وتركيبا . كشف الظنون ١/ ٦٥٠ . (٣) فى ب ، ج : « تداوى بها » ، والمثبت فى : ا .

(٤) فى ب ، ج : « للأمين السيد الأفضل » ، والمثبت فى : ا . (٥) فى ج : « عن ذرا الشعر مدحة » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٦) فى ج : « مع رقة اللفظ إغلاق » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وصلّى على المُختارِ ماهبّتِ الصَّبا ... وما باكَرَ الرّوضَ المُفوّفَ غَيْداقُ [1]

***

وكتبتُ إليه أمدحه بقولي :

بين النُّهُودِ ومَعْقِــــدِ البَنْدِ ... طعناتُ صائلةِ القنـــا المُلْدِ

فاحْـــذَرْ هنالك من رَنَا مُقَلٍ ... يصْرَعْنَ مَن يُبْصِرْنَ عن عَمْدِ

وأنا الفِـــداءُ لمَن بناظِرِه ... وأنا السّقامُ مُجاوِر الحَدِّ [2]

طَوْعاً إذا مارام سَفْكَ دَمِي ... لكنْ أخافُ يكون عن صَدِّ

صَنَمٌ لبِستُ الغيَّ فيـــه فلا ... أدْرِي أغَيِّي ضَـلَّ أم رَشَدِي

عَقَدَ النِّطاقَ وحَـلَّ مُصْطَبَرِي ... فذهبتُ بين الحَلِّ والعَقْدِ

قد أشرقَتْ من نُورِ طَلْعَتِه ... شمسُ الضحى فى طالِعِ السَّعْدِ

كُسِفَتْ نجومُ الأُفْقِ حين بَدَا ... فنثَرْنَ خِيـــلاناً على الخَدِّ

جســدٌ يذُوبُ لَطافةً وله ... قلبٌ بدَا فى قَسْوةِ الصَّلْدِ [3]

أشكُو النُّحولَ لخَصْرِه غلَطاً ... فيقول هــذا كله عندِي

مِن أضْلعِي نارُ الغضَا سكنَتْ ... فى المُنْحَنَى والدمعُ فى نَجْدِ

لا تعجبِي ياسَلْمُ مِن حُرَقِي ... أظهرْتُهــا خوفاً من البُعْدِ

فالعَنْدَليبُ ينُوح حين يرَى ... عدمَ الوفاءِ له من الوَرْدِ

شِيَمُ المَليحِ عرَفتُهـــا وأنا ... فى كلِّ حالٍ ثابتُ العهدِ

مَن كان يأمُل أن يُزهِّدَنى ... فيه فإنِّى زاهـــدُ الزُّهْدِ

إنِّى شُغِفْتُ به كما شُغِفَتْ ... بصفاتِ أحمدَ ألْسُنُ الحَمْدِ

نَدْبٌ حوَى الفضلَ التّمامَ وقد ... بلَغ العُلَى مُذ كان فى المَهْدِ

---

(١) الغيداق : المطر الكثير المخصب .

(٢) فى ب ، ج : « والسقام أنا مجاور الحد » ، والمثبت فى : ا ، ولعل الصواب : « مجاوز الحد » .

(٣) فى ج : « قلب يرى » ، والمثبت فى : ا ، ب .

فَرْدُ الزمانِ فإن نظرْتَ تجِدْ ... كلَّ الفضائلِ منــــه فى فَرْدِ
إن عُدَّ فخرٌ كان أوَّلَ مَن ... عُقِدتْ عليــه المَشْرُ فى العَدِّ
عَذْبُ الفكاهةِ فى بَداهتِه ... كَلِمٌ غدَتْ قطعاً من القَنْدِ (١)
وله بَنــــانٌ كلَّما كتبتْ ... نظَمتْ دَرارِى الشُّهْبِ فى عِقْدِ
مِن كل سَطْرٍ كالعِذارِ إذا ... مالاح فوق عَوارِضِ المُرْدِ
لو عايَن النَّظَّــامُ أحْرُفَه ... لَدرَى وجــودَ الجوهرِ الفَرْدِ
مولاىَ أنت أجَــلُّ مَن نطَقتْ ... فيــه المدائحُ من ذَوِى المَجْدِ
خُذْها إليكَ كريمةً بلغتْ ... فى الوصفِ أقْصَى غايةِ الجُهْدِ
واعْــذِرْ قُصورِى فى المديح فما ... تُحْصَى رِمالُ الأرضِ بالعَدِّ
لا زِلْتَ فى عِزٍّ وفى دَعَةٍ ... فبَقاكَ فينــــا غايةُ القَصْدِ

***

وأنشدنى أشعاراً كثيرة ، منها هـذه القصيدة ، قال : كتب بها إلى علىّ بن أحمد ابن أبى الرِّجال (٢) :

متى منك طِيبُ الوصلِ يدنُو ويقرُبُ ... ويسهُل من لُقياك ما كان يصعُبُ
وترحمُ صَبًّا صَبَّ صَبًّا دُموعَه ... لفَرْطِ الهوى من مَدْمَعٍ ليس ينضُبُ
ومادمْعُه الجارِى سوى قلبِه الذى ... بجَمْرِ الهوى قد ذاب وهْو المُذَبْذَبُ
رُوَيْدَكَ قد عذَّبتَ بالبَيْنِ مُهْجتِى ... وليس عَــــذابى لو ترفَّقْتَ يعْذُبُ
بلِينِ قَوامٍ منك لِنْ لِمُتيَّمٍ ... فؤاداً وراقِبْ من لطَيْفِك يرقُبُ (٣)

---

(١) القند : عسل قصب السكر إذا جمد .

(٢) على بن أحمد بن إبراهيم بن أبى الرجال القاضى .
كان فقيها عالما بالفروع الفقهية ، ذا قدم ثابتة فى علم الأصول .
وكان من أول من سارع من الأكابر إلى الجهاد مع الإمام القاسم .
وتولى القضاء بجهة وصاب ، بعد أن شهد المشاهد الإمامية كلها .
وكانت وفاته ، سنة إحدى وخمسين وألف .
خلاصة الأثر ٣/١٤٢-١٤٦ ، ملحق البدر الطالع ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٣) فى ج : « لوامتيم » ، والمثبت فى : ا ، ب .

وبالجيدِ جُـدْ بالوصلِ ياريمَ رَامةٍ ... فقد جَدَّ بى وَجْـدٌ من النَّأْى مُتْعِبُ
وباللَّحْظِ إلا ماتَرَى لى مُلاحِظاً ... وترحمُ قلباً فى هَواكَ يُقلَّبُ
ألا إنَّ فَنَّ الحبِّ فَنٌّ رَضِيتُـــه ... وقد صَحَّ لى فيـه اعتِقادٌ ومَذْهَبُ
وما كلُّ مَن يصْبُو مُصابٌ بدِينِهِ ... ولا كُلُّ مَن قال التَّغزُّلَ يُثْلَبُ
ولا كلُّ مَن يُنْشِى القَرِيضَ بشاعرٍ ... ولا كلُّ شِعْرٍ قيل شِعْرٌ مُهذَّبُ
إذا لم يَحُزْ مَدْحاً لأحمَـــدِ الذى ... به المَثَلُ المشْهورُ فى الناس يُضْرَبُ
فتًى طاب إكْراما وفَضْـــلاً وسُؤْدداً ... كما طاب فى بَذْلِ النَّوالِ له أَبُ

***

فأجبتُه بقولى[1] :

هو الدهرُ لاماقيل فى الـكذبِ أشْعَبُ ... يُمَنِّيك بالإسْعادِ حِيناً ويـكذِبُ
عَدِمْناه دَهْراً فيه قد عُدِمَ الوفَا ... فما ينْقضِى فيـه لِذِى الُحبِّ مَأْرَبُ
يُكدِّرُ وِرْدَ العَيْشِ بعـــدَ صَفائِه ... وإنْ ماكَسا ثَوْباً من العِزِّ يسلُبُ
ألم ترَنِى بُدِّلْتُ بالأُنْسِ وَحْشةً ... فما راق لى من مَشْرَبِ الحُبِّ مَشْرَبُ
تُنادِمنى بعـــد الندامَى نَدامَةٌ ... وأبْـكِى على رَبْعِ الأحِبَّا وأنْدُبُ[2]
أهِيمُ هَوًى مابين شَرْقٍ ومغربٍ ... وجَفْنِىَ شَرْقٌ للدموعِ ومَغْرِبُ
كواكبُ دَمْعٍ كلَّما انقَضَّ كوكبٌ ... من الأُفْقِ بازاه من الدمعِ كوكبُ
يذكِّرنى بدرُ الدجى مَن أَوَدُّه ... وقد حفَّه من فاحِمِ الشَّعْرِ غَيْهَبُ
وأذكُر بالبَرْقِ اللَّموعِ ابتِسامَهُ ... فتحْـكِى دموعِى سُحْبَه حين تسكُبُ
فمَرْجانُ دمعِى وهْـــو إذ ذاكَ أحمرٌ ... إذا سال فى مُصْفَرِّ خدِّكَ كَهْرَبُ[3]
وفيـــه مُراعاةُ النَّظيرِ لجوْهرٍ ... فُتِذْتُ به من ثَغْرِه وهو أشْنَبُ
وما البانُ إلّا ماحَـــواه قَوامُه ... له عَذَبٌ منها فُؤادِى مُعَذَّبُ

---

(١) الأبيات من الأول إلى الثانى عشر ، والخامس عشر والسادس عشر ، فى حديقة الأفراح ٦ ، ٧ .
(٢) فى الأصول : « بعض الندامى » ، والمثبت فى حديقة الأفراح .
(٣) فى الحديقة : « فى مصفر خدى كهرب » ، وهو أولى .

فما بِسِوَى ذاك الغزالِ تغزُّلِي … ولا بسوى عهدِ الشّباب أُشَبِّبُ

وإن تُطْرِبِ الألحانُ غيرى فإننى … إلى لَفْظِه أصْبُو غراماً وأَرْبُ [(١)]

لألحاظِه فى القلبِ صَوْلَةُ ضَيْغَمٍ … فقُل فيه لَيْثٌ فاتِكٌ وهْو رَبْرَبُ [(٢)]

بَهِيُّ المُحيّا قد حَلاَ لى جَمالُه … ومَدْحُ جمالِ الدِّين أحْلَى وأعْذَبُ

له الكلماتُ الرّائقاتُ كأنها … ثنايا حَبيبٍ أو جُمانٌ مُثقَّبُ

إذا شاءها كانت سُلافاً مُرَوَّقاً … وما كأسُها إلا البديعُ المُرتَّبُ

تقول إذا هَزّتْ يَراعاً بَنانُه … أذلك رُمْحٌ أم حُسامٌ مُشَطَّبُ [(٣)]

فكم رَاعَ جَيْشاً فى الطُّروسِ يَراعُهُ … وكم رَدّ مِن خَطْبٍ إذا هو يَخْطُبُ

جمالَ الهدى مُذْ غِبْتَ عَنِّيَ لم أزَلْ … أُغالِبُ فيك الشوقَ والشوقُ أغْلَبُ

ووُدُّك مِنِّى بالسّوادَيْن نازِلٌ … من القلبِ والعَيْنَيْن ثاوٍ مُطنَّبُ

وإن أوْجَبَ الحالُ التّنائِىَ عنكمُ … فإنِّى إليكم سوف أدْنُو وأقْرُبُ

وما خَشْيَتِى مِمّا عرفتَ وإنّما … بِعادُ الفتى عن مَرْبَعِ الضَّيْمِ أصْوَبُ

وفى السّودةِ الغَنّاء قد طاب مَسْكَنِى … وكلُّ مَحَلٍّ يُنْبِتُ العِزَّ طَيِّبُ [(٤)]

أقمتُ بها فى خَفْضِ عيشٍ ورِفْعةٍ … لأخْفِضَ بالإنْشاءِ قَوْماً وأنْصِبُ

سأبعثُ فى أثناء كُتْبِى كتائباً … بأمْثالِها الأمثالُ فى الناسِ تُضْرَبُ [(٥)]

سَلاهِبُ يتْرُكْنَ القوافِى قَوافِياً … إذا كَرّ منها مِقْنَبٌ جاشَ مِقْنَبُ [(٦)]

وهاكَ لِسانُ الحالِ عَنِّىَ ناطِقٌ … وعنْك بما قال الأديبُ المُجرِّبُ

لَحَى اللهُ ذِى الدنيا مَناخاً لراكبٍ … فكلٌّ بعيدِ الهَمِّ فيها مُعذَّبُ

ألا ليتَ شِعْرِى هل أقولُ قصيدةً … ولا أشْتَكِى فيها ولا أتعتّبُ

---

(١) فى ا : « إلى لفظها » ، والمثبت فى : ب ، ج . (٢) الربرب : القطيع من بقر الوحش .

(٣) مشطب : ذو شطب ، والشطبة : الطريقة أو الخط فى متن السيف . (٤) ضمن عجز بيت المتنبى .

انظر ديوانه ٤٦٦ . (٥) فى ج : « فى أثناء كتبى رسائلا » ، والمثبت فى : ا ، ب .

(٦) السلاهب : الطوال . والمقنب : جماعة الخيل تجتمع للغارة .

وبي ما يذودُ الشِّعرَ عــنِّي أقلُّه ولكنَّ قلبي يا ابنةَ القومِ قُلَّبُ [(١)]
وخُــذها جواباً عن تَصَدِّي فكرةٍ فما مثلُهــا إلا الصِّباء المُجرَّبُ [(٢)]

***

وأنشدنى أيضا ، [(٣)] من قصيدة ، أوَّلها [(٣)] :

فى عَبْرتى لكَ من وَجْدِي عِباراتُ وفى الكِناياتِ عن وَصْفِي إشاراتُ [(٤)]
بديعُ حُسْنِك يامَن لا نَظِيرَ له ما فيه لِلْوالِه المُضْنَى مُراعاةُ [(٥)]
فطَرْفُه فى انْسِجامٍ من مَدامِعِه وقلبُه فيــه للوَجْدِ اسْتِعاراتُ
مُسْتخْدَماً لكَ لكنْ ما اكتفيْتَ به بئس الجزَا منك فى الشَّرْطِ الإساءاتُ
فليت لِيتَكَ يَثْنِي الالْتفاتَ لكىْ تسْتدرِكَ الصَّبَّ منك الالْتفاتاتُ [(٦)]
فهْو الذى قد غدَا فى حُبِّــه مَثَلاً وفَوَّفتْ نَظْمَه منك الجِناساتُ [(٧)]
يَطْوِى وينشُر قلبِي من ثَنِيَّــتِه بَرْقٌ له من ثَناياكَ ابْتِساماتُ
ومِن خُفوقِ فؤادى بل ورِقَّتِه ونارِه ثَمَّ لِلبَرْقِ ابْتِساماتُ
ياغايةَ السُّؤْلِ شَرْحِي فى الغرامِ غدَا مُطَوَّلاً ماله فيــــه نِهاياتُ
وأنت كَشَّافُ ما أَلْقِى وبَهْجتُــه فهَلْ لِمِصباحِ وَجْدِى منك مِشْكاةُ
حديثُ وَجْــدِى قديمٌ والمَعاهِدُ لى فيهــا الشَّواهِدُ تُمْلِي والمَقاماتُ
أنتَ الشِّفاءُ ومابيْن الشِّفاهِ له مَناهِلٌ عَذُبتْ فيهــا الرِّواياتُ
عساكَ تسْمَحُ لى بالوَصْلِ مُنْعطِفاً فكم لِعِطْفِك ياغُصْنُ انْعِطافاتُ
بيْنى وبينك فى التَّشْبيهِ تَسْوِيَةٌ لولا اخْتِلافٌ به تُفْضِى الصَّباباتُ
وها نُحولِى شَبِيهُ الخَصْرِ منك وعنْ سقامِ جَفْنَيْك أخبارِى صَحِيحاتُ [(٨)]

---

(١) فى ج : « ولى مايذود » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٢) فى ب : « إلا الصفاء المجرب » ، والمثبت فى : ا ، ج . (٣) فى ج : « قوله » ، والمثبت فى : ا ، ب . (٤) فى ب : « عن وجدى » والمثبت فى : ا ، ج . (٥) فى ا : « للواله المضنى عبارات » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٦) الليت : صفحة العنق . (٧) فى ب : « منك الجنايات » ، والمثبت فى : ا ، ج .
(٨) فى ج : « أخبار صحيحات » ، والمثبت فى : ا ، ب .

ولؤلؤ الدمعِ مـــنّى حين أسكُبُه   تحكيه منك الثّنايا اللّؤلؤيّاتُ
ونارُ خدِّك فى قلبى لهـــا لَهبٌ   لولا عِذارُك من حَوْلَيْه جنّاتُ
من أجلِ طَرْفِك أهوى كُلَّ مُنصلِتٍ   فكم له صَوْلةٌ فينـــا وفتكاتُ
وكم أضمُّ رِماحَ الخطِّ حين حكَتْ   مَنصوبَ قَدِّك وهى السّمهريّاتُ
لِقَتْلِ أهلِ الهوى قد صار مُنكسِراً   ياللرِّجالِ لجفنٍ فيـــه كسْراتُ
نَقِىُّ خَـــدٍّ إذا ما افترَّ ضاحِكُه   بَدَتْ لقلبى من الأفراحِ راياتُ
رُوحِى الفـــداء لبدرٍ إن سَرَى فله   فى الطَّرْفِ والقلبِ أبراجٌ وهالاتُ
لكنه إن تثنّى ذابلٌ وإذا   رَنَا فظَبْىٌ له فى الأُسْدِ سَطواتُ (١)
لَئِنْ تضِلَّ به ألبابُنا فلهـــا   مَدْحُ الخليفةِ إن ضلّتْ هِداياتُ

***

وأنشدنى من أخرى ، مطلعُها :

لو كان أنصفَك الهلالُ لأنصفَا   لكن تكلَّف حُسْنَه فتكلّفَا (٢)
يا أيُّهـــا الشمسُ التى أنوارُها   لولا اكتسابُ البـــدرِ منها أكسفَا
كم رام صَبُّك أن يكون بحُبِّه   بين المَـــلا مُتنكِّرا فتعرَّفَا
صَبٌّ به صَبُّ المدامعِ لم يزَلْ   يُبْدِى من الوجـــدِ المُبرِّحِ ماخَفَى
وأراه بعد اليومِ إن لم يشْتفِى   بالوصل أو يُشْفَى يكون على شفَا (٣)
لا تسمعِ الشّانِى فشانى أدمُعِى   يُنْبيك عن شانى بوَكّافٍ كَفَى (٤)
لشُهودِ دمعى من لِحاظِك جارِحٌ   والسّقمُ يُثْبِتُ ماتقول وإن نَفَى
أفْدِيك من مُتنوِّعٍ مُتمنّعٍ   فى كلِّ مُمتنعِ الغـــرامِ تصرَّفَا
مِسْكينُ حُبِّك أيُّهـــا الغَانِى غدَا   لصِلاتِ وَصْلِك فى المَحبّةِ مَصْرِفَا

---

(١) فى ا : « وإذا * هفا فظبى » ، والمثبت فى : ب ، ج .   (٢) أنصف الثانية : بلغ كماله فى منتصف الشهر ، وتكلف الثانية : ظهر فى وجهه الكلف .
(٣) هكذا « يشتفى » للوزن.   (٤) الشانى الأول: المبغض، والثانى: أحد شئون الدمع، والثالث : الحال.

لولا أَلِفتُ لقــاكَ لم أكُ سائلاً ... إن لم يكنْ لكَ سائلاً فمؤلّفا [(١)]

بقَوامِكَ الأَلِفِيِّ وهــو أَلِيَّةٌ ... قد حاز للقَسَمِ الحروفَ وألّفا

وبواوِ صُدْغِكَ وهْو لو حَقَّقْتَه ... للعطفِ إلّا ماوصلتَ تعطّفا

كَتَبَ الجمالُ على مُحيّاكَ الذى ... فَتَنَ العقولَ من المَحاسِنِ أحْرُفا

نُونُ الحواجبِ ثم مِيمُ الثغْرِ مَعْ ... لامِ العِــذارَيْنِ اللّذَيْنِ تألّفا

نَمْلٌ بها قد هامتِ الشُّعراءُ لَمَّـ ... ـا سالَ سائِلُها وصارتْ زُخْرُفا [(٢)]

سبحان مَن جعل الحديدَ فؤادَه ... والنُّورَ طَلْعته وذاكَ المُصْحفا [(٣)]

يَرْوِيكَ إذ يرْوِى «مُبرّد» ثغرِه «الضَّـ ... ـحّاكِ» عن عَذْبِ المَناهِلِ بالشِّفا

* * *

منها [(٤)] :

ببَنانِه يحْكِى البَيانَ وكم حَكَتْ ... منـه الجِناسَ إذا أشار مطرِّفا

وبسِحْرِ مَنْطقِه البديعِ تظُنُّه ... فى كلِّ فَنٍّ فى الفنونِ مُصنِّفا

وكأنه من نُطْقِه ونِطاقِه ... وُرْقٌ على وَرَقٍ أدارت قَرْقَفا [(٥)]

* * *

منها :

خَصْرٌ تحمَّل منــه رِدْفاً مُرْدَفا ... ومن القَنا والقَدِّ رُمْحاً مُثَقَّفا

مع خَصْرِه والرِّدفِ تنظر نَهْدَه ... فمُدقّقاً ومُحقّقاً ومُخفّفا [(٦)]

بين السَّوالِفِ والسُّلافِ سَوالِفٌ ... سَلَفتْ أرَقَّ من النّسيمِ وألْطَفا

هيْهاتَ لا أسَفٌ على ماقد مضى ... فى الحالِ مايُسْلِيك أن تتأسّفا

---

(١) السائل والمؤلف قلبهمن مصارف الزكاة . (٢) يشير إلى سور : النمل ، والشعراء ، والمعارج ، والزخرف ، من القرآن الكريم . (٣) يشير أيضا إلى سورتى : الحديد ، والنور .

(٤) زيادة من : ب ، على مافى : ا ، ج . (٥) القرقف : الخمر . (٦) فى ا : « تعرف نهده » ؛ والمثبت فى : ب ، ج.

وأبيكَ قد عاد الغرامُ كما بَدَا   فدعِ المَلامَ فلا أعِي مَن عَنَّفَا
ورجعتُ عن نَظْمِ النَّسِيبِ مُغالِطًا   ومُكَنِّيًا بالرُّمْحِ قَدًّا مُرْهَفَا

***

وأنشدنى هذه الرُّباعيَّة :

أهْــوَى قمراً لِمُهْجَتِي قد قمَرَا   أغْنِي خَطَراً لقَدِّه إن خَطَرَا [1]
قد مَرَّ خَيالُه بطَرْفِي سَحَرَا   أهْلاً بخَيالِ مَن لِطَرْفِي سَحَرَا

***

وأنشدنى [2] فى مَلِيح [2] تَوارَى بيْن جَوارٍ ، قولَه [3] :

أضْحَى يُوارِي نَفْسَه   لِيصيرَ من جِنْسِ الجوارِي
باللهِ عـــــــنِّي قُلْ له   دَعْ ذا الجِناسَ معَ التَّوارِي

***

ما استعمل [4] التَّوارِي أحْسنَ من الشِّهاب ، فى قوله :

يامَن له من طَبْعِه   شِعْرٌ من الإحْسانِ عارِي
ماذاكَ إلَّا حُرْمَـــــةٌ   ولذاكَ أُولِعَ بالتَّوارِي

***

وأنشدنى قولَه :

إذا ماطال من أهْــوَى   فذاكَ الطُّولُ عن شانِ
مَعاطِفُ حُسْنِه يَمنَعْنَ   فطـــــال لِيمْنَعَ الجانِي

☆

(١) قمره مهجته : سلبه إياها .   (٢) فى ا : « لمليح » ، والمثبت فى : ب ، ج .
(٣) ساقط من : ج ، وهو فى : ا ، ب .
(٤) فى ج : « فاستعمل » ، والمثبت فى : ا ، ب .

٢٦٦

أخوه السّيّد علىّ

عرّفنى أخوه مَزاياه ، حتى حسِبْتُه أباه أو إيّاه .

وهو أديب بالكمال مَلِىّ ، قَدْرُه فوق أن يُقال: علىّ .

شُدّتْ عُرَى أَوَاخِيه ، بِقُوَى أبيه أو أخيه .

فإن طُوِيتْ لآثارها مَطارِف ، فلقد تُنْشَر لأخبارِه رَفارِف .

***

وقد تلقَّيْتُ من كلامِه ، وحَسناتِ أقلامه .

ما يأخذُ من البلاغة باليَمين ، ويُحْتَقَر عنده الدُّرُّ الثَّمين .

فمن ذلك قولُه من قصيدة ، أولها :

أعلَى سُطورِكَ أيُّهـا الرَّسْمُ ... سَحَبتْ فُضولَ ذُيولها نُعْمُ [(١)]

أم فُضَّ المِسْكِ الذَّكِيُّ على ... تُرْبٍ ثَوَى بِك يا تُرَى خَتْمُ

ما هذه النَّفَحاتُ تُخْبِرُنى ... إلا بأمرٍ شَرْحُه جسمُ [(٢)]

خبِّرْ هُدِيتَ عن الذين نَأَوْا ... فعَنِ العَميدِ الصَّبِّ لا كَتْمُ

وأدِرْ سُلافًا من حديثك عن ... ذاتِ الخلاخلِ دونها الكَرْمُ

هيْهات لا رَجْعٌ لِمَسْألتِي ... إلا صَدًى يهْفُو له الحِلْمُ

إن قلتُ هل علمٌ أُسَرُّ به ... رَدَّ الجوابُ علىَّ هل علمُ

يا نُعْمُ مالكِ والصُّدودِ أمَا ... تَرْثَىْ لصَبٍّ ذَلَّ يا نُعْمُ

يُمْسِى سَمِيرَ النَّجْمِ من قَلَقٍ ... وأبيكِ رَقَّ لِما به النَّجْمُ

وإذا ترنَّم طائرٌ سَحَرًا ... أشجاه منه الصَّدْحُ والنَّغْمُ

---

(١) فى ا ، ج : « سحبت ذيول فضولها نعم » ، والمثبت فى : ب . (٢) جسم بمعنى جسيم .

وَيْلاه من قلبٍ سَلَا وخَلَا عنِّى ومن قلبٍ هو الفَعْم[1]

وسقام طَرْفٍ قد كسا جَسَدِى سُقْماً وأنْحَلَ ذلك السُّقْمُ

وردٌ ورُمَّانٌ وصافيــــةُ الْـ خَدَّيْنِ والنَّهْدانِ والظَّلْمُ[2]

بأبِى الذى كَتمتْ محبَّتَه مِنِّى الحَشا فعليْه ينضمُّ

لا لا أُصرِّح باسْمِــــه أبدًا ويجِلُّ أن يُجْلَى له وَسْم[3]

وأقولُ يا نُعْمٌ وآونَةً سَلْمَى ولا نُعْمٌ ولا سَلْمُ

يا عاذِلِى إن كنتَ ذا رَشَدٍ آذانُ كلِّ مُتيَّمٍ صُمٌّ

أقصِرْ فمـــا عَذلٌ بمُتَّبَعٍ سِيَّان فيـــه القُلُّ والجَمُّ

إن رُمْتَ تَصْديقِى فلمْ رَجُلًا فى رَاحَتَيْه يغرَقُ الْيَمُّ

***

وقوله ، مُضمِّنا :

ورُبَّ فتًى فى مَعْبَرٍ قد تَلاعبَتْ به الرِّيحُ فى شَرْقِ المَحَلِّ وغَرْبِهِ

إذا ذهبَتْ رِيحُ الشَّمالِ بسَمْعِهِ وبالبصرِ الرِّيحُ الجَنُوبُ وسَلْبِهِ

يُناديهما ريحَ الجَنُوبِ وقد مضتْ بمــا أسْأراه من بَقيَّةِ لُبِّهِ

بعَيْشِكما لا تتْرُكاه مُرَوَّعًا خُذا مِن صَبا نَجْدٍ أمانًا لِقَلْبِهِ

***

وقوله ، وفيه الإيداع :

وَرْدةُ الخــدِّ نَوَّرَتْ فاخْتَشَى قَوْلَ هَاتِهــا

لحمَــاها بجَمْرَةٍ لم أكُنْ مِن جُناتِهــا

***

(١) فى ج : « من قلب خلا وسلا » ، والمثبت فى : ا ، ب .
والفعم : الممتلىء .

(٢) الظلم : الريق . (٣) فى ج : « ويجل أن يحلا له رسم » ، والمثبت فى : ا ، ب .

يريد قول الأول (١) :

لم أكن من جُناتِهـــا شهد اللَّـ ـهُ وإنّى لِحرّها اليومَ صالِى

***

وله :

شارِبُه المُخضَرُّ مُذ لاح فى مُحمرِّ ياقوتٍ له مُستَطابْ

فــدَّه بالقصِّ لمّا غدَا سكْرانَ من خمرِ الثّنايا العِذابْ

***

وله فى مَليح ، يأكل قاتاً (٢) :

أُشَبِّهُ ثغرَه والقاتُ فيـــه وقد ذهبتْ بِفتْنته القلوبُ

لآلٍ قد نبتْنَ على عَقِيقٍ وبيْنهمـــا زُمُرُّدَةٌ تذوبُ

***

آخر الجزء الثالث ، ويليه الجزء الرابع ، وأوله :

الباب السادس

فى عجـــائب نبغاء الحجاز

استـــدراك

سقط أثناء الطبع فى صفحة ٥٧٤ بعد قولِه :

همتُ بها وأعجبُ الإبْداعِ ذو طَيْلَسانٍ هام فى قِناعِ

قولُه :

أفدِى بقلبِ المُستهامِ دَلّها مَن ذا على قتْل النفوس دَلّهَا

---

(١) هو الحارث بن عباد . انظر أيام العرب فى الجاهلية ١٦١ .

(٢) فى ا ، ب : « قتاه » ، وفى ج : « قتاتا » ، والصواب ما أثبته ، وهو ماسيرد فى البيت التالى.
والقات : نبت معروف فى اليمن.

فهرس تراجم الجزء الثالث

(١) طبعت خطأ ٢١٩ ، فليصحح .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٥٨ / ١٩٦٩

(١) طبعت خطأ ٢٥٨ ، فليصحح .